

مجموعتنا الرسائل المنيرة

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣هـ

إدارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الله الدمشقي

فهرست

المجلد الاول من المجموعة المنيرية

| صفحة | صفحة |
|--------------------------------------|--|
| ١٠ فصل - سهولة الاطلاع والتصحيح | ١ الرسالة الاولى - ارشاد النقاد |
| ١١ » - « الاجتهاد اليوم عنه فيما سبق | ١١ الى تفسير الاجتهاد للعلامة الصنعاني |
| ١٢ » - تصحيح الشافعي والبخاري | ٢ عمل المتأخر بتصحيح المتقدم الحديث |
| ١٣ رد على من نفى الاجتهاد المطلق | تقليد أم اجتهاد والخلاف فيه |
| ١٤ اختلاف الرأي في التصحيح دليل على | ٣ تعريف الحديث الصحيح - الواجب |
| انه اجتهاد - التصحيح عمل بالرواية | أو الراجح العمل بخبر العدل وقبوله |
| ١٥ و ١٤ التوفيق بين رأى مالك | ليس من التقليد |
| وشعبة في ابن اسحاق | ٤ اشتراط السلامة من الشذوذ والعلّة |
| ١٦ اختلاف العلماء في تصحيح الاخبار | لا يمنع انه اجتهاد |
| ناشيء عن الرواة | ٥ تصحيح البخاري تقليد أو اجتهاد |
| ١٧ فصل مصحح الحديث راو فيجب | ٦ فصل - جواز التصحيح للتأخر - |
| معرفة حاله أيضاً | كونه مجتهداً فيه |
| ١٧ فصل ما يجب في الخبرين بالصحة | ٧ رد القول باحالة الاجتهاد |
| ١٨ مزية الصحيحين | ٨ ضرورة علم اللغة للحديث |
| ١٩ معرفة الحق من أقوال أئمة المرح | ٩ فضل علماء الحديث |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٤٦ الواجب على كل عبد ما يخصه من الأحكام - الأحكام | والتعديل |
| ٤٨ الرسالة الثانية - رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للشوكاني | ٢٠ القواعد المذهبية لا يلتفت إليها |
| ٤٩ جواز الغيبة في ستة مواضع | ٢١ الاجتهاد موهبة من الله |
| ٥٠ تحريمها ثابت بالكتاب والسنة والاجماع | ٢١ بيان ما سهل الاجتهاد |
| ٥١ لا يحب الله الجهر بالسوء | ٢٢ شروط الاجتهاد |
| ٥٢ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر | ٢٤ المتعة وما جاء فيها |
| ٥٣ ذهاب الدين بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر | ٢٥ قول الشافعي واحمد وأبي حنيفة في أنه لا يقدم على السنة قول أحد |
| ٥٤ ترجيح أدلة تحريم الغيبة | ٢٨ ما التقليد. حقيقته |
| ٥٥ ما جاء في اغتيال هند لأبي سفيان | ٢٩ القول بمجازه |
| ٥٦ حديث خير القرون قرنه | ٣٠ التوقف بتصديق الخبر حتى تقوم البينة |
| ٥٧ الاخبار بالغيبة عند المشاورة | ٣١ إقامة البينة على المدعي |
| ٥٨ ذكر المجاهر بالفسق ما جاهر به | ٣٢ مكابرة المكابرين وتعتهم |
| ٥٩ حديث « بنس أخو العشيرة » | ٣٤ قبول خبر الآحاد مشروط |
| ٦٠ الغيبة ذكر ك أخاك بما يكره | ٣٥ سؤال أهل العلم |
| ٦٢ الرسالة الثالثة - شرح الصدور | ٣٦ تأثير كلام الله ورسوله في العامة |
| في تحريم رفع القبور للعلامة الشوكاني | ٣٧ حديث اجتهاد الحاكم |
| ٦٣ العالم كالجاهل في التكاليف والتعبد | ٣٨ كلام الله ورسوله أقرب الى الافهام |
| ٦٦ رفع القبور والبناء عليها بدعة منهي عنها | ٣٩ ما جاء في صيام الشك |
| | ٤٠ رد الائمة لأدلة جواز التقليد |
| | ٤١ سؤال الصحابة لئنسانه صلى الله عليه وسلم |
| | ٤٢ رد أدلة المقلدين |

| صفحة | صفحة |
|--|--|
| عصر على حكم نص لا يقطع فيه | ٦٧ قول الامام محيى لا باس بالقباب الخ |
| باجماع الصحابة يوجب القطع بأنه | ٦٨ طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام |
| حق وحجة ولا يكون اجماعا | طاعة الله |
| ٨٣ وجوب الرجوع الى القرآن والسنة | ٧٠ النهي عن اتخاذ القبور مساجد |
| ٨٤ لا يحل القول في الدين بالقياس | ٧١ حديث لا تتخذوا قبوري وثنا |
| ٨٥ الاعتبار معناه التعجب لا القياس | ٧٢ حديث يا فاطمة بنت محمد لا أغنى |
| ٨٦ الحجة على ابطال القياس | عنك من الله شئنا |
| ٨٧ ما يضاف على النص للقول بالقياس باطل | ٧٣ لا نذر في معصية |
| ٨٩ حديث افتراق الأمة على بضع | ٧٤ النحر من أنواع العبادة |
| وسبعين فرقة | ٧٥ لا يقتدي بالعالم اذا خالف الكتاب |
| ٩٠ حديث أيها الناس ان الله فرض | أو السنة |
| عليكم الحج فحجوا | ٧٧ الرسالة الرابعة - مسائل من علم |
| ٩١ الفرض من أفعال النبي ما كان بيانا | الأصول للامام ابن حزم |
| لأمر - لا يحل اتباع شريعة نبي | ٧٨ الموقف والمرسل لا تقوم بهما حجة |
| قبل نبينا صلى الله عليه وسلم | برهان الطلان |
| ٩٢ حديث أعطيت خمسا لم يعطهن | ٧٩ رواية المجهول - القرآن ينسخ القرآن |
| أحد قبلي | والسنة، والسنة تنسخ القرآن والسنة |
| ٩٣ من قلد عالماً لم يطع الله ولا رسوله | ٨٠ ما لا يحل قوله في الآية أوفي الحديث |
| ٩٤ الرأي والقياس ظن والظن باطل | ٨١ الاجماع اليقين بأن جميع الصحابة |
| ٩٥ ضعيف الحديث أقوم من الرأي | عرفوا به وقالوا به |
| ٩٦ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» | ٨٢ ما صح فيه خلاف آخر من الصحابة لم |
| ٩٧ « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » | يكن اجماعا - يتعين اجماع أهل |
| ٩٨ الحكم بالظن وتعليق الامير الصنعاني | |

| صحيفة | صحيفة |
|---|--|
| ١٢١ الحديث الطويل « لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة الخ » | ١٠٠ الرسالة الخاصة - مسألة القدر |
| ١٢٢ الايمان بالحوض والكوثر والرؤية | للامام ابن تيمية |
| ١٢٣ الايمان قول وعمل ومعرفة | ١٠٥ الرسالة السادسة - عقيدة |
| ١٢٤ الايمان يزيد وينقص | السلف وأصحاب الحديث للصابوني |
| ١٢٦ تكفير تارك الصلاة عمداً | ١٠٦ عقيدة أصحاب الحديث |
| ١٢٧ اعتقاد ان الخير والشر بقضاء الله وقدره | ١٠٧ قول أهل الحديث في صفات الله عز وجل - عقيدتهم في القرآن |
| ١٢٧ عواقب العباد مبينة | ١٠٩ تكفيرهم من قال بخلق القرآن |
| ١٢٨ العشرة المبشرون بالجنة | ١١٠ قولهم في آية « الرحمن » على العرش استوى » |
| ١٢٩ الصلاة خلف البر والفاجر | ١١١ ماجاء في تفسير الاستواء |
| ١٣٠ لكل مخلوق أجل - وسوسة الشيطان للآدميين | ١١٣ حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الخ |
| ١٣٢ من علامات أهل البدع تجنبهم سماع الحديث | ١١٥ النزول بلا كيف - « ان الله يهمل حتى اذا كان ثلث الليل الخ » |
| ١٣٥ قلة العلم من علامات الساعة | ١١٦ ذكر أخبار ثابتة في نزول الرب من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول |
| ١٣٦ الرسالة السابعة - تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن | ١١٨ حديث « انكم تنظرون الى ربكم الخ » |
| ١٣٧ بيان أعظم أسباب التأخر | ١١٩ قصة صبيغ بن عثل مع عمر بن الخطاب « رض » |
| ١٣٨ ترك الوحي السماوى والتمسك | ١٢٠ أحاديث الصفات والرؤنة |

| صفحة | صفحة |
|--------------------------------------|---------------------------------------|
| ٢٣ بلاء | بالقوانين |
| ١٥٥ حديث « خمس بخمس الخ | ١٤١ الحاجة الى الشريعة ضرورية جداً |
| ١٥٦ « يوشك أن تداعى عليكم الامم » | ١٤٢ الشرع المنزل والشرع المؤول |
| - « حكاية لطيفة » | والشرع المبدل |
| ١٥٨ أمر الله بطاعة رسوله عليه الصلاة | ١٤٣ دين الانبياء كلهم الاسلام |
| والسلام | ١٤٤ ماجاء في معنى « وما كنا معذبين » |
| ١٥٩ محبة الله بموافقة ما أمر به | الآية |
| ١٦٠ القضاء ما قضى به الله ورسوله | ١٤٥ لا يدخل النار من لا ذنب له - |
| ١٦١ احباط اتباع القوانين للأعمال | لا يدخلها الا من قامت عليه الحجة |
| ١٦٣ زعم أن اتباع الشريعة مانع من | بالرسل - الاعتياض عن القانون |
| الترقية | السمارى بالقانون الارضى |
| ١٦٥ أدلة من الكتاب على تمام كفايته | ١٤٦ الدعوة الى القانون الموضوع |
| دينا ودنيا | خروج عن طاعة الله عز وجل - |
| ١٦٦ أمر الله بالرد اليه والى الرسول | لاعدل لمن ضل وحسب نفسه متديبا |
| ورأى المفسرين في ذلك | ١٤٧ وجوب التقيد بالاحكام المنزلة |
| ١٦٧ تفسير سورة والعصر | ١٤٨ تفسير « الطاغوت » - « لا يجتمع |
| ١٦٨ « أحاديث في النهى عن ابتغاء | أمتى على ضلالة » |
| غير الكتاب | ١٤٩ حال الصحابة وحالنا - « إن |
| ١٦٩ حديث « هلم اكتب لكم كتابا | تنصروا الله ينصركم » |
| ان تضلوا بعده » وقول عمر إن | ١٥٢ التحذير عن اتباع غير ما أنزل الله |
| في الكتاب عنية | ١٥٣ اتباع الاهواء منهي عنه - |
| ١٧٠ حسن فهم عمر (رض) وتيقظه | وسبب للاصابة بالشدائد والبلاء |
| ١٧٣ ختام الرسالة | ١٥٤ « اذا ضن الناس . الخ أنزل الله |

| صفحة | صفحة |
|--|---|
| ١٩٣ الخصوصية ١٨٤، ١٧٦، ١٨٦ الكفارة والخطبة والانصات | ١٧٤ الرسالة الثامنة في اثبات الاستواء والفوقية - ومسألة الحرف |
| ١٩٤ الخصوصية ٢٠٠، ١٩٩ تحريم الصلاة عند جلوس الامام على المنبر والنهي عن الاحتباء وقت الخطبة | والصوت في القرآن المجيد وتنزيه الباري عن المحصر والتمثيل والكيفية للجويني |
| ١٩٥ الخصوصية ٢٤٤، ٢٣٣ استحباب الفصل - للجماع أجران - الخصوصيات من ٢٤ الى ٢٩ استحباب السواك والطيب والدهن وازالة الظفر والشعر | ١٧٥ سبب انشاء الرسالة والدين النصيحة ١٧٧ عدم تحذير الرسول من الايمان بظاهر الصفات |
| ١٩٦ استحباب لبس أحسن الثياب | ١٨١ وصف الله نفسه بهذه الاوصاف |
| ١٩٧ تبخير المسجد - التذكير | ١٨٢ الفوقية والاستواء والنزول |
| ١٩٨ لا يستحب الابراد بها - تأخير الغداء والقبولة عنها | ١٨٣ ثبوت صفة الوجه |
| ١٩٩ تضعيف أجر الذهاب - لها أذانان - قراءة الكهف | ١٨٤ مسألة الحرف والصوت |
| ٢٠٠ قراءة الاخلاص والمعوذتين والفائحة بعدها | ١٨٥ علوه تعالى على عرشه بلا كيف ولا انحصار |
| قراءة الكافرين والاخلاص من مغرب ليلتها | ١٨٦ تقريب مسألة الفوقية |
| ٢٠١ قراءة الجمعة والمنافقين في عشاء ليلتها - منع التحلق قبل الصلاة - تحريم السفر فيه قبل الصلاة | ١٨٧ ختام الرسالة |
| | ١٨٨ الرسالة التاسعة نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي |
| | ١٨٩ كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً |
| | ١٩٠ كراهة تخصيص ليلته بالقيام |
| | ١٩١ صحتها أفضل الصلوات اختصاصها بركعتين - انها تعدل حجة |
| | ١٩٢ الطبع على قلب من ترك الجماعة |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٢١٧ علم الموتى بزيارة الاحياء - عرض أعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى - صيام الأربعاء والخميس والجمعة - صلاة ركعتين بعد مغرب ليلتها بالفاتحة والزلزلة | ٢٠٢ فيه تكفير الآثام - الامان من غنة القبر لمن مات يومها أو ليلتها - ولا يسأل في قبره |
| ٢١٩ حصول الشهادة لمن مات فيه | ٢٠٣ اجتماع الارواح فيه - هو سيد الامام |
| ٢٢٠ فضل وقفة الجمعة | ٢٠٤ هو يوم المزيّد |
| ٢٢١ تسجر فيه جهنم | ٢٠٥ هو الشاهد والمشهود - أقسم الله به |
| ٢٢٤ الرسالة العائسة - في تفسير سورة الكوثر للامام ابن تيمية | ٢٠٦ هو المدخر لهذه الامة - يوم المغفرة يوم العتق - فيه ساعة الاجابة |
| ٢٢٥ معنى الشانى، لغة واصطلاحاً | ٢٠٧ الاختلاف في تعيينها |
| ٢٢٦ معنى الكوثر | ٢١٠ رأى المصنف في ذلك - تضاعف الحسنة والسيئة |
| ٢٢٨ ما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها وبه تنتهى الرسالة | ٢١٢ قراءة الدخان يومها وليلتها ويس ليلتها وآل عمران وهود |
| ٢٢٩ الرسالة الحادية عشرة - في علم الباطن والظاهر للامام العلامة تقي الدين بن تيمية | ٢١٣ جلب الذكر للمغفرة قبل صبح يومها ما يقال ليلة الجمعة - الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها |
| ٢٣٠ أصل الايمان هو الايمان بالغيب | ٢١٤ عبادة المريض وشهود الجنائز والنكاح والعتق فيه |
| ٢٣١ بيان علم الظاهر وعلم الباطن | ٢١٥ صلاة حفظ القرآن في ليلتها |
| ٢٣٢ بيان غلاة المتصوفة والمتكاملين | ٢١٦ زيارة القبور يومها وليلتها |
| ٢٣٣ تفسير باطنية الصوفية للقرآن | |
| ٢٣٤ تفسير باطنية الفلاسفة للقرآن | |

| صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٢٤٧ أحاديث الصفات وأقوال النفاة | ٢٣٥ الدليل على بطلان كلام القرامطة |
| ٢٤٨ النفاق والتقية | ٢٣٦ كتاب جقائق التفسير لابي |
| ٢٥٠ بيان خطأ الاحتجاج بقصة موسى والخضر فخكها بخلاف الظاهر | عبد الرحمن السلمي وتقسيمه الى ثلاثة أنواع |
| ٢٥١ الظاهر لا بد له من باطن بحقيقته والعكس كذلك وفيه خاتمة الرسالة | ٢٣٧ نفي قولهم ان حسنا البصري صاحب عليا |
| ٢٥٣ رسالة اثنى عشرية - في رفع اليدين في الصلاة للامام السبكي | ٢٣٨ الناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام طرفان ووسط الخ |
| ٢٥٥ عدة الصحابة الذين نقل عنهم الرفع رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم | ٢٣٩ ادعاء قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم |
| ٢٥٧ الرسالة المائتة عشرة - في الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة للحافظ ابن حجر | ٢٤٠ جهل الفلاسفة كابن سينا وأمثاله من أعظم الجهل |
| ٢٥٨ حديث الغفران لأهل بدر | ٢٤١ بطلان ما يعتقد الباطنية |
| ٢٥٩ حديث صلاة التسبيح | ٢٤٣ بحث حديث أبي هريرة «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرائين» الخ |
| ٢٦٠ القراءة بعد الجمعة | ٢٤٤ بيان عن أبي سعيد الخراز وأبي طالب المكي وأبي حامد |
| ٢٦١ صيام يوم عرفة | الغزالي ممن يظن أنهم يقولون بباطن مخالف الظاهر والجواب عنه |
| ٢٦٢ فضل تعليم الولد القرآن | ٢٤٥ ما ينقل عن أبي يزيد البسطامي |
| ٢٦٣ قيادة الأعمى | ٢٤٦ رد حديث قولهم «ان من العلم كهيئة المكنون» الخ |
| ٢٦٤ التعمير في الاسلام | |
| ٢٦٦ ختام الرسالة | |

﴿ فهرست الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل المنيرية ﴾

| غرة الصفحة | |
|------------|---|
| ١ | <u>الدواء العاجل في دفع العدو الصائل للعلامة الشوكاني</u> |
| ٢٠ | <u>رسالة في العقل والروح للعلامة ابن تيمية</u> |
| ٣١ | <u>قاعدة نافعة في صفة الكلام له أيضا</u> |
| ٨٤ | <u>التحفي في مذاهب السلف للشوكاني</u> |
| ٩٧ | <u>ايضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن تيمية</u> |
| ١٥٢ | <u>فهرس ايضاح الدلالة</u> |
| ١٥٣ | <u>الانصاف فيما بين العلماء من الاختلاف للحافظ ابن عبد البر القرطبي</u> |
| ١٩٥ | <u>الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ بن حجر العسقلاني</u> |
| ٢٣٥ | <u>الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية للعسقلاني</u> |
| ٢٦٦ | <u>شرح الصدر بذكر ليلة القدر للامام العلامة ولي الدين بن الحافظ</u> |
| | <u>الزين العراقي</u> |
| ٢٨٠ | <u>رسالة الامام البيهقي الى الامام ابي محمد الجويني والداماد امام الحرمين</u> |



فهرست الجزء الثالث من مجموعة الرسائل المنيرة

| صحيفة | صحيفة |
|---|---|
| ١٩ (الرسالة الثانية مختصر كتاب المؤمل لارد الى الامر الاول) | ١ (الرسالة الاولى شرح حديث «ما ذنبان» جائمان ارسلنا في غم ») |
| ٢٠ بعض فضائل الامام الشافعى رضى الله عنه | ١ بيان ان هذا مثل عظيم ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساددين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا |
| ٢١ فصل في صفة أهل العلم | ٢ بيان ان الحرص على المال نوعين وبيان كلام السلف في ذم الحرص على المال |
| ٢٢ تغير العلماء عما كان عليه السلف في الصدر الاول | ٣ الترهيب في الحرص على الدنيا |
| ٢٢ بيان أن قبض العلم بقبض العلماء | ٤ النوع الثاني من الحرص على المال |
| ٢٣ بيان حال الصحابة في الفتوى عند نزول النازلة | ٥ فصل في مضار الحرص على شرف الدنيا |
| ٢٤ كراهية البحث عما لم يقع | ٦ بيان حال من أحب الحرص على نفوذ الامر |
| ٢٥ بيان حال أرباب الفتوى بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم وبيان حالهم في التقييد بعد تدوين المذاهب | ٨ بيان أن الصالحين احرص الناس على هداية الخلق |
| ٢٦ ذم القول بالرأى في الدين | ٩ القسم الثاني في بيان حال من طلب الشرف والعلو على الناس بالامور الدينية |
| ٢٧ بيان ان الحديث الصحيح مذهب الشافعى | ١٠ ماورد في ذم طلب العلم لتبروجهاته |
| ٢٨ بيان ما وقع من الخلل في كتب المؤلفين من الشافعية | ١٢ كراهية السخول على الملوك والنو منهم |
| ٣٠ بيان أن الوقوف على الاحاديث في عصور المتأخرين ايسر منه في عصور المتقدمين | ١٤ فصل في بيان أن الحرص على المال والشرف يفسدان دين المرء وفيه فوائد جدة عن السلف لا توجد في غير هذه الرسالة |
| ٣١ فصل في بيان ان تقليد امام من الائمة | |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٥١ | ٣٢ |
| الباب السادس في ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز | ليس هو اتباع أقواله كلها وإنما هو الجمع بينها وبين ما ثبت من الآثار والأخبار |
| ٥٣ | ٣٣ |
| فصل ليس لمنكر البعث شبهة الا مجرد تعجب واستبعاد والدليل على ذلك | بيان ان المتعصبين لمذهب الشافعي لم يمتثلوا ما أمر به امامهم |
| ٥٤ | ٣٤ |
| الباب السابع في ذكر أدلة نبوة نينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العزيز | الامر بالاجتهاد وكرهية التقليد وما ورد عن السلف في ذلك |
| ٥٨ | ٣٥ |
| الباب الثامن في ذكر الاسئلة والاجوبة الجدلية من الكتاب العزيز . الاول سؤال النعم | أشهر الكتب في مذهب الشافعي وبيان ان المتأخرين قلدوا ما في كتابي الشيرازي والفرالي وتعصبا الخ |
| ٥٩ | ٣٧ |
| سؤال التقض | فصل في بيان ان اعتماد الشافعي في مذهبه كان على الكتاب والسنة |
| ٥٩ | ٣٧ |
| فصل الحكم تارة يطل بطل واحدة متفردة وتارة بعلمتين | فصل في فوائد حسنة |
| ٦٠ | ٤٠ |
| فصل وقد يعلق الحكم بطل كل علة تستقل بالحكم | (الرسالة الثالثة في استخراج الجدل من القرآن الكريم) |
| ٦٠ | ٤١ |
| فصل تطبيق الحكم على علة تنقضي التقيض | الباب الاول في ذكر الجدل والحجة |
| ٦٠ | ٤٢ |
| فصل وقد تذكر صورة القياس وليس بقياس | الباب الثاني في بيان ان اول من سن الجدل هم الملائكة عليهم الصلاة والسلام |
| ٦١ | ٤٣ |
| فصل ومثال قياس الشبه | بيان ان ابليس لعنه الله هو اول من سن الخلاف وركب العناد |
| ٦١ | ٤٤ |
| فصل في الترجيح وهو دليل معتبر في الشرع قد تكرر وجوده في الكتاب في مواضع | الباب الثالث في جدال الاتياء عليهم الصلاة والسلام واولهم جدال نوح عليه السلام |
| ٦١ | ٤٥ |
| فصل في المفهوم وهو قسبان مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة | جدال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وحجابه وله ثلاث مقامات الخ |
| ٦٢ | ٤٦ |
| فصل وقد سمي الله الشبه التي ذكرها الكفار أمثالا | جدال موسى عليه الصلاة والسلام |
| ٦٣ | ٤٧ |
| فصل في ذم التقليد والمقلدين | الباب الرابع في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه وتعالى |

| صفحة | صفحة |
|--|--|
| ٧٠ جامع ماجاه في صلاة الليل | ٦٣ فصل في جواز التجوز في الكتاب العزيز |
| ٧١ دعاء الاستخارة | ٦٣ فصل يجوز عطف الواجب على غير |
| ٧١ الباب الثاني في الصيام | الواجب |
| ٧٢ ماجاه في صوم المحرم | ٦٣ فصل والانكار بعد الاعتراف لا يسمع |
| ٧٢ ماجاه في صيام عاشوراء | دليله |
| ٧٢ ماجاه في صيام شعبان | ٦٣ فصل ومن لطائف الاجوبة الجدلوية الخ |
| ٧٢ ماجاه في صيام رمضان | ٦٤ فصل ومن أنواع التجوز الخ |
| ٧٣ ماجاه في صيام ستة أيام من شوال | ٦٤ فصل في المساكاة بالتشنيع |
| ٧٣ ماجاه في العمل في عشر ذي الحجة | ٦٤ فصل وما يجري مجرى المقابلة |
| ٧٣ ماجاه في صيام يوم عرفة وثلاثة أيام من كل شهر ويوم الاثنين | ٦٤ فصل التخصيص في الذكر لا يدل على |
| ٧٤ الباب الثالث في الصدقة | الاختصاص في الحكم |
| ٧٤ الباب الرابع في الدعاء والذكر | ٦٤ فصل يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها |
| ٧٤ ما يقال عند القيام من النوم | ٦٥ فصل في الدليل على ان توبة الزنديق |
| ٧٧ ما يقال عند دخول الحلاء | لا تقبل |
| ٧٧ ما يقال بعد الفراغ من الوضوء | ٦٦ (الرسالة الرابعة كفاية التبدو تحفة الزهد) |
| ٧٧ ما يقال عند الخروج الى الصلاة | ٦٦ الباب الاول في الصلاة |
| ٧٨ ما يقال عند الصباح | ٦٧ ماجاه في فضل الصلاة |
| ٧٨ ما يقال عند سماع الاذان | ٦٨ ماجاه في فضل الصلاة لاول وقتها |
| ٧٨ ما يقال بعد التسليم من الصلاة | ٦٨ ماجاه في فضل الجماعة |
| ٨٠ ما يسهح به في الايام وفضل التسبيح | ٦٨ ماجاه في ركعتي الفجر من الفضل |
| ٨١ ما يقال عند القيام من المجلس | ٦٨ ماجاه في فضل المحافظة على الفجر والمصر |
| ٨١ ما يقال عند المساء | ٦٩ ماجاه في صلاة الضحى |
| ٨١ ما يقال عند النوم وأخذ المضجع | ٦٩ ماجاه في عدد صلاة الضحى |
| ٨٢ فصل في الصلاة على النبي ﷺ | ٦٩ ماجاه في الصلاة في ارتفاع الضحى |
| ٨٤ (الرسالة الخامسة ارشاد السائل الى | واستحراق الشمس |
| | ٧٠ ماجاه فيمن صلى في يوم ثنتي عشر ركعة |

| صحيفة | صحيفة |
|--|---|
| على الصيغة التي يستعملها كثير من الناس أم لا | دلائل المسائل |
| (الرسالة السادسة معنى قول الامام المطلي اذا صح الحديث فهو مذهبي) | ٨٤ الدليل على ان المقلد لا يجوز ان يتولى القضاء |
| بيان ان الحديث اذا صح فهو مذهب الشافعي | ٨٨ بيان ان الاعراب الذين لا يفعلون شيئا من الشرعيات الا مجرد التكلم بالشهادة هل هم كفار أم لا |
| تفصيل ابن الصلاح في جواز عمل الفقيه الشافعي بمحدث لم يأخذه امامه | ٨٩ بيان ما قيل في العصاة من أهل بيت النبوّة هل يدخلون الجنة على كل حال تكرّم عليهم أم لا |
| بيان أن ما قاله ابن الصلاح ليس ردا لما قاله الشافعي ولكنه بيان لصعوبة هذا المقام | ٩٠ بيان مذهب أهل الحق في شأن ما شجر بين الصحابة في الخلافة وما يترتب عليها |
| فصل في معنى كلام الامام مالك أنما أنا بشر أخطيء وأصيب الخ | ٩١ بيان حكم العادات الجارية في بعض البلدان من الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن على الاموات الخ |
| بيان ما انتقد على الامام مالك والجواب عنه | ٩٢ حكم الحلف بغير الله |
| بيان شروط العمل بخبر الاحاد عند الحنفية | ٩٢ حكم شعر الرأس هل يسن تبقيته أم لا |
| فصل وأما المالكية فقالوا بتقديم عمل أهل المدينة | ٩٣ حكم الارض التي فيها آثار ملك متقدمة ولا يد عليها في الحال ولا يعرف مالكها وبعض الناس أوضاع شرعية تفيد أن له ملكا فيها |
| فصل وقال آخرون اجماع أهل الكوفة حجة | ٩٤ هل يجوز تأديب الرعايا بالمال اذا حصل من أحدهم قتل أو نحوه أم لا يجوز |
| (الرسالة السابعة خلاف الامة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة) | ٩٥ حكم المائر المستجدة في الحرم الشريف كالقممات والمنارات وكذا التعلية في اليوت الخ |
| قاعدة في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة | ٩٦ حكم شجرة التباك هل يجوز استعمالها |
| بيان انواع الفساد التي حصلت بسبب | |

| صحيفة | صحيفة |
|---|--|
| ١٤٦ فصل اذا تبين بعض ما حصل في هذا | التنازع الاول والثاني والثالث |
| الاختلاف والفرق من الفساد فنحن | ١١٦ <u>الرابع الفرق والاختلاف</u> |
| نذكر طريق زوال ذلك وبيان | ١١٧ <u>الخامس شك كثير من الناس وطعنهم</u> |
| ما هو الواجب في الدين وذلك ببيان | <u>في كثير مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة</u> |
| الاصليين الجماعة والسنة. اما الجماعة الخ | ١١٩ <u>بيان القرائن الدالة على انتفاء الاحاديث</u> |
| <u>الاصل الثاني السنة</u> | <u>المكذوبة بوجوه الاول الخ</u> |
| ١٥١ قاعدة في ان الاعتقادات قد تؤثر في | ١٢٠ <u>الوجه الثاني</u> |
| <u>الاحكام</u> | ١٢٠ <u>الوجه الثالث</u> |
| ١٥٥ فصل اذا تبين هذا فمن الناس من | ١٢٠ <u>الوجه الرابع</u> |
| صار في طرفي نقيض فحكمي عن بعض | ١٢١ <u>فصل في بيان الطريق لزوال الخلاف</u> |
| السوفسطائية ان العقائد مؤثرة في | <u>وذلك ببيان اصليين الجماعة والسنة</u> |
| الاعتقاد وان الاشياء لاحقائق لها الخ | ١٢١ <u>الاصل الاول الجماعة وقد اُتِىَ في بيانه</u> |
| ١٥٦ فصل المتحقق ان الاحكام والاقوال | ١٢٥ <u>الاصل الثاني السنة</u> |
| <u>والاعتقادات نوعان</u> | ١٢٨ <u>(الرسالة الثامنة في توحيد الملة وتعدد</u> |
| ١٥٨ فصل ونحن نذكر في ذلك اصولا الخ | <u>الشرائع وتنوعها وتوحيد الدين الملى</u> |
| ١٦٢ فصل واما الاحكام والاعتقادات | <u>دون الشرعى)</u> |
| والاقوال العملية التى يتبعها المحكوم | ١٢٨ <u>فصل في توحيد الملة وتعدد الشرائع</u> |
| فهى الامر والنهى والتسحين والتقيح | <u>وقد ذكر كل ما يتعلق به من الادلة</u> |
| <u>الخ</u> | <u>القرآنية</u> |
| ١٦٥ فصل مذاهب الاثمة تؤخذ من | ١٢٨ <u>فصل في بيان أن أهل الاسلام هم أهل</u> |
| <u>اقوالهم دون افعالهم</u> | <u>الوفاق وان أهل البدع والكفر هم</u> |
| ١٦٥ <u>(الرسالة التاسعة في السماع والرقص)</u> | <u>أهل الاختلاف</u> |
| ١٦٥ <u>بيان السماع الذى شرع الله لعباده</u> | ١٣٦ <u>بيان ما يسوغ فيه الاختلاف في الاجتهاد</u> |
| ١٦٩ <u>واما سماع المساء والتصدية فهو سماع</u> | ١٤٠ <u>قاعدة في صفات العبادات الظاهرة التى</u> |
| <u>المشركين</u> | <u>حصل فيها نزاع بين الامة في الرواية</u> |
| ١٧٠ <u>بيان انه قد علم بالاضطرار دين</u> | <u>والرأى</u> |

| صحيفة | صحيفة |
|--|---|
| ١٨٧ فصل من زعم ان الملائكة والانبيا تحضر عند سماع المساء والتصدية فهو كاذب | الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحى امته وزهادهم ان يجمعوا على سماع الايات الملحنة |
| ١٨٩ بيان ان اتحاد التصفيق والغناء والضرب طريقا الى الله ليس من دين الاسلام | ١٧٢ بيان ان مسألة السماع اختلف فيها المتأخرون وان السماع الذى يفعله اهل الربابات لاصلاح القلوب يصد عن استماع القرآن وتدبره ويفسد الروح والقلب |
| ١٩٢ فصل نافع لمن تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وبيان مذاهب العلماء في تفسير الفطرة والراجح منها | ١٧٤ بيان ان الاصل هو الاعتصام بالكتاب والسنة |
| ١٩٦ الكلام على تسبيح الجمادات | ١٧٥ بيان انه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا يقرب الى الله الا بينه |
| ١٩٧ بيان ان معرفة الله فطرية وهو بحث نقيس | ١٧٦ بيان انه لفصل النزاع في مسألة السماع ثلاث قواعد مهمة |
| ٢٠٢ ذهب طوائف من النظار الى معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر واختلفوا في النظر | ١٧٩ القاعدة الاولى الخ ١٧٩ القاعدة الثانية ١٧٧ القاعدة الثالثة |
| ٢٠٢ (الرسالة العاشرة في شرح حديث ابى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى (يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى) الخ) | ١٧٧ كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في فصل الخطاب في هذا الباب ١٧٧ ما يباح سماعه وما لا يباح |
| ٢٠٩ بيان اختلاف العلماء في تفسير الظلم | ١٨٠ بيان ان الرقص لم يامر به الله ولا رسوله |
| ٢٠٩ بيان ان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى لاينا في قوله تعالى (وان ليس للسان الاماسى) | ١٨٠ ادلة من اباح السماع ١٨٢ الجواب عما تقدم من الادلة |
| ٢١٠ اقوال العلماء في الظلم المنقى وتحقيق المقام في ذلك | ١٨٠ بيان ان كثير من المتأخرين من اهل الحديث والفقه والتصوف اذا صنفوا في باب ذكر واماقيهم من الفسق والسمن |

| صحيفة | صحيفة |
|--|---|
| في ملكه وأن فجورهم ومصبتهم لا ينقص من ملكه | ٢١٧ تفسير قوله (وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) |
| فصل في بيان ان العباد لو سألوا ربهم في زمان واحد فاعطى كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عنده الخ | ٢٢٢ بيان ان كل خير في العدل وكل شر في الظلم |
| فصل في معنى قوله (يا عبادي انما هي اعمالكم احصيا لكم ثم اوفيكم اياها) | ٢٢٤ فصل في بيان ان العباد لا يقدر ان على جلب خير ولا دفع ضر الا بتيسير الله والكلام على المنافع والمضار |
| انقسام الناس ثلاثة اقسام في اضافة الحسنات والسيئات التي هي الطاعات والمعاصي الى ربهم والى نفوسهم | ٢٢٩ فصل في معنى قوله (يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم) |
| بيان ان قوله تعالى (ما اصابك من حسنة فمن الله) لا يصلح ان يكون دليلا للقدرية | ٢٣٢ فصل في معنى قوله (يا عبادي كلكم ضال الا من هديته) |
| | ٢٣٦ فصل في معنى قوله (يا عبادي انكم لن تبلفوا ضري فتضروني) |
| تم الجزء الثالث | ٢٣٧ فصل في بيان أن برهم وطاعتهم لا يزيد |

﴿ فهرست الكتاب ﴾

| صحيفة | صحيفة |
|--|--|
| ١٠ الثالثة عشر ، الايمان بوجوب | ٢ خطبة الكتاب |
| <u>التوكل على الله عز وجل</u> | ٢ حديث الايمان بضع وستون شعبة |
| ١٠ بيان أن الذكر ليس قاصراً على | <u>وبيان طرقه</u> |
| <u>اللسان</u> | ٣ تفسير البضع ، والشعبة |
| ١١ الكلام على الكي والرقية والطيرة | ٥ <u>الشعبة الاولى ، الايمان بالله</u> |
| ١٢ حقيقة التوكل | ٥ « الثانية . والثالثة . والرابعة |
| ١٣ الرابعة عشر الايمان بوجوب محبة | ٦ الخامسة . الايمان بأن القدر خيره |
| <u>النبي صلى الله عليه وآله ومحبه وسلم</u> | <u>وشره من الله تعالى</u> |
| ١٣ علامة المحبة | ٦ تحقيق الحق في المتشابه الوارد |
| ١٣ الخامسة عشر ، الايمان بوجوب | <u>في الكتاب والسنة</u> |
| <u>تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم</u> | ٦ السادسة . الايمان باليوم الآخر |
| ١٤ السادسة عشر شح المرء بدينه | ٧ السابعة الايمان بالبعث وتفسيره |
| ١٤ السابعة عشر طلب العلم الصحيح | ٧ الثامنة الايمان بحشر الناس وتفسيره |
| ١٥ الآيات والاحاديث الواردة في | ٧ التاسعة الايمان بأن دار المؤمنين |
| <u>فضل العلم والعلماء</u> | <u>الجنة ودار الكافرين النار</u> |
| ١٦ الثامنة عشر نفع العلم للنافع | ٨ العاشرة ، الايمان بوجوب محبة الله |
| ١٧ بيان أن الفقيه هو العالم العامل ، | <u>عز وجل</u> |
| <u>ومثال العالم غير العامل</u> | ٩ الحادية عشر ، الايمان بوجوب |
| ١٧ للتاسعة عشر تعظيم القرآن المجيد | <u>الخوف من الله عز وجل</u> |
| ١٨ <u>المشرون الطهارات</u> | ١٠ الثانية عشر الايمان بوجوب الرجاء |
| ١٩ الحادية والعشرون الصلوات الخمس | <u>من الله عز وجل</u> |

| صحيفة | صحيفة |
|---|---|
| عز وجل | ١٩ بيان أن تارك الصلاة خارج عن |
| ٣٠ كلام العلماء في النعم | <u>الدين بالنص واللوم كله على العلماء</u> |
| ٣١ الرابعة والثلاثون حفظ اللسان | <u>٢٠ الثانية والعشرون الزكاة</u> |
| ٣١ كلام تقيس على الكذب ومرايته | ٢١ بيان الآيات والاحاديث الواردة |
| <u>للامام البيهقي</u> | <u>في تقريع وتوبيخ مانعي الزكاة</u> |
| ٣٢ الخامسة والثلاثون الامانات وما | <u>٢٢ الثالثة والعشرون الصيام</u> |
| <u>يجب فيها من أدائها الى أصحابها</u> | <u>٢٣ الرابعة والعشرون الاعتكاف</u> |
| ٣٣ السادسة والثلاثون تحريم قتل | ٢٣ الخامسة والعشرون الحج وبيان |
| <u>النفوس</u> | <u>حج أهل زماننا</u> |
| ٣٣ معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم | <u>٢٤ السادسة والعشرون الجهاد</u> |
| <u>سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر</u> | <u>٢٥ حقيقة الجهاد وأقسامه</u> |
| ٣٤ السابعة والثلاثون تحريم الفروج | ٢٥ السابعة والعشرون المراقبة في |
| <u>٣٤ حكم اللواط وما ورد فيه</u> | <u>سبيل الله تعالى</u> |
| ٣٥ الثامنة والثلاثون قبض اليد عن | ٢٦ الثامنة والعشرون الثبات للعدو |
| <u>الاموال</u> | <u>أو ترك الفرار منه</u> |
| ٣٥ معنى قوله صلى الله عليه وسلم | ٢٦ تفسير قوله تعالى (فاذا قُتِلْتُمْ |
| <u>لا يزنن الزاني حين يزني وهو مؤمن</u> | <u>الذين كفروا زحفاً) الآية</u> |
| ٣٦ التاسعة والثلاثون وجوب التورع | ٢٧ التاسعة والعشرون أداء الخمس |
| <u>في المطاعم والمشارب</u> | <u>من المغمى</u> |
| ٣٧ قبض الخمر وشاربيه | ٢٨ الثلاثون العتق بوجه التقرب |
| ٣٩ بيان الطيبات المأمور بها وورع | <u>٢٨ الحادية والثلاثون الكفارات</u> |
| <u>السلف الصالح والكلام على</u> | <u>٢٨ الثانية والثلاثون الايفاء بالعقود</u> |
| <u>المشبهات</u> | <u>٢٩ الثالثة والثلاثون تعدد نعم الله</u> |

| صحيفة | صحيفة |
|--|---|
| ٥٢ السادسة والاربعون المرور | ٤١ حقيقة الورع وما قيل فيه |
| <u>بالحسنه والاغتمام بالسيئة</u> | ٤٣ الاربعون تحريم الملابس والزي |
| ٥٢ السابعة والاربعون معالجة كل | <u>المخالف والاواني</u> |
| <u>ذنب بالتوبة</u> | ٤٣ بيان الاحاديث الواردة في لبس |
| ٥٢ حقيقة السرور . والتوبة | <u>الحرر والنهي عنه مطلقاً</u> |
| ٥٣ الثامنة والاربعون، القراين | ٤٥ الحادية والاربعون في تحريم |
| ٥٣ حقيقة الفين، والقراين | <u>الملاعب والملاهي</u> |
| ٥٤ التاسعة والاربعون طاعة أولى | ٤٥ الثانية والاربعون الاقتصاد في |
| <u>الامر ومن هم</u> | <u>النفقة</u> |
| ٥٤ اختلاف الفقهاء في الاضحية | ٤٦ الثالثة والاربعون ترك الفل |
| ٥٥ الخمسون التمسك بما عليه الجماعة | <u>والحسد</u> |
| ٥٥ حكم من خرج من الطاعة وفارق | ٤٦ حقيقة الحسد وتقسيمه الى حرام |
| <u>الجماعة</u> | <u>ومباح وهو المسي غبطة</u> |
| ٥٦ استباحة دم من فرق امرأة محمد | ٤٧ الرابعة والاربعون تحريم الوقوع |
| <u>صلى الله عليه وآله وسلم وهي جمع</u> | <u>في أعراض الناس</u> |
| ٥٦ الحادية والخمسون الحكم بين الناس | ٤٨ الكلام على آية (ان الذين يحبون |
| <u>بالعدل</u> | <u>أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا)</u> |
| ٥٦ الثانية والخمسون الامر بالمعروف | ٤٨ الخامسة والاربعون اخلاص العمل |
| <u>والنهي عن المنكر</u> | <u>لله عز وجل</u> |
| ٥٧ مراتب الامر بالمعروف والنهي | ٤٩ معنى قوله تعالى (من كان يريد حرث |
| <u>عن المنكر</u> | <u>الدنيا) الخ</u> |
| ٥٨ صفة من يأمر وينهى | ٥٠ حقيقة الرياء |
| ٦٠ الثالثة والخمسون التعاون على | ٥١ كلام السلف في الرياء |

صحيفة

البر والتقوى

٦٠ الرابعة والخمسون الحياء حقيقته

٦١ الخامسة والخمسون بر الوالدین

٦١ السادسة والخمسون صلة الرحم .

حقيقته

٦٢ بيان الجمع بين الآیة والاحادیث

فی زیادة العمر

٦٣ السابعة والخمسون حسن الخلق .

٦٣ حقيقته . وکرام أخلاق النبی

صلی الله علیه وآله وصحبه وسلم

٦٤ صفات المؤمن حقیقة

٦٥ تقسیم الخلق الى طبعی ومکتسب

والدلیل علی ذلك

٦٦ الثامنة والخمسون الاحسان الى

الممالیک

٦٧ التاسعة والخمسون حق السادة

علی الممالیک

٦٧ الستون حقوق الاولاد والاهل

٦٧ الحادية والستون مقاربة أهل

الدین ومودتهم

٦٨ فوائد السلام وإفشائه

٦٩ الثانية والستون رد السلام

٦٩ بیان حکمه . والنهی عن الجلاس

بالطرقات ، وحکمة النهی

صحيفة

٧٠ الثالثة والستون عیادة المریض

٧٠ الکلام علی حدیث . أمرنا بسبع

ونهانا عن سبع

٧١ مبحث تمیس یتعلق بالحریر وأن

الحکم شامل لانواعه کلها وأن من

فرق بین أنواعه لا مستند له

٧١ الرابعة والستون الصلاة علی من

مات من أهل القبلة

٧٢ الخامسة والستون تشمیت العاطس

٧٢ بیان حکمه وکیفیه الحمد، والتشمیت

وجواب العاطس

٧٣ السادسة والستون فی مباحدة

الکفار والمفسدین والغاظ علیهم

٧٣ بیان الایات الواردة فی عدم

موالاة الکفار وحکمة النهی

وجواز الاستعانة بهم من تحالف

واتفاق علی عدونا

٧٤ السابعة والستون اکرام الجار

٧٤ الاحسان الى الجار ومواساته أمر

محبوب وفيه فوائد جمّة

٧٥ (بیان حقوق الجار وأنها تختلف

باختلافه وبیان ما علیه أهل

زماننا الآن من الاساءة للجار

الثامنة والستون اکرام الضیف

| صحيفة | صحيفة |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| ٨٥ الكلام على حديث من حسن | ٧٦ اختلاف العلماء في حكم الضيافة |
| <u>اسلام المرء تركه مالا يعنيه</u> | ٧٧ التاسعة والستون الستر على |
| ٨٥ الرابعة والسبعون الجود والسخاء | <u>أصحاب الذنوب</u> |
| ٨٥ تعريف الجود | ٧٧ بيان من يجب الستر عليه ومن لا يجب |
| ٨٦ سخاء النبي صلى الله عليه وسلم | <u>٧٨ السبعون الصبر على المصائب</u> |
| <u>وكرمه وأنه لا يسابق</u> | ٧٨ حقيقة الصبر وبيان حكمه |
| ٨٧ مدح الكريم وذم البخيل المثيم | ٧٩ الحادية والسبعون الزهد وقصر |
| ٨٨ الخامسة والسبعون رُحِم الصغير | <u>الامل</u> |
| <u>وتوقير الكبير</u> | ٧٩ تفسير الوعك |
| ٨٨ تعريف الرحم وبيان حال الفرس | ٧٩ حقيقة الزهد وأقوال العلماء فيه |
| <u>مع ولدها</u> | ٨٠ الآيات والاحاديث الواردة في |
| ٨٩ السادسة والسبعون اصلاح | <u>الزهد وذم الدنيا</u> |
| <u>ذات البين</u> | ٨٠ غنى المرء ذى الهمة لا ينافى زهده |
| ٨٩ حقيقة الاصلاح | ٨١ بيان سبب فتنة بنى اسرائيل |
| ٨٩ تفسير النجوى | ٨٢ ضلال من يعلم ولم يعمل |
| ٩٠ الكذب المستثنى في الحديث ليس | ٨٣ الثانية والسبعون الغيرة وترك |
| <u>بكذب حقيقة وانما هو من قبيل</u> | <u>المذاء</u> |
| <u>المعارض والتورية</u> | ٨٣ تفسير الغيرة والمذاء |
| ٩٠ السابعة والسبعون ان يحب الرجل | ٨٣ حقيقة الخنث وبيان فساد |
| <u>لاخيه ما يجب لنفسه</u> | ٨٤ الثالثة والسبعون الاعراض عن اللغو |
| ٩٠ جدول الخطأ والصواب | |

دليل كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة

| صحيفة | صحيفة |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| ١٢ ضرب الملائكة مثل النبي ﷺ | ٢ خطبة المؤلف. |
| ١٤ بيان بطلان ما يحتج به بعض من | ٢ الباعث على تصنيف هذا الكتاب |
| يرد الاخبار عن رسول الله ﷺ | ٣ رأى الزنادقة وغلاة الرافضة |
| ١٦ بيان ضعف الأحاديث التي يستدل | ٣ كلام الامام الشافعي رضي الله عنه |
| بها الخصم | في السنة |
| ١٨ بيان أن السنة شرح للقرآن | ٤ بيان أن الأمة اذا تنازعت في |
| ٢٠ حال الصحابة في تمسكهم بحديث | شيء فيرد تنازعهم الى كتاب الله |
| الرسول ﷺ | وسنة رسوله ﷺ |
| ٢٣ كان الصحابة يأخذون بسنة | ٤ كلام الامام البيهقي في حجية السنة |
| الرسول فيما لم يبين في القرآن | ٥ الرد على من قال تأخذ بكتاب الله |
| ٢٣ اجماع الصحابة على قبول خبر من | قطع وبيان جهله في الدين |
| أخذ بحديث عن رسول الله ﷺ | ٦ بيان المراد بقوله تعالى ويعلمهم |
| ٢٤ كلام أيوب السخيتاني رضي الله | الكتاب والحكمة |
| عنه في سنة الرسول ﷺ | ٧ بيان أن النبي ﷺ ترك فينا أمرين |
| ٢٥ ما كان في زمن الصحابة من يكذب | لا تضلوا ما تمسكنا بهما كتاب |
| ولا كانوا يدعون ما الكذب | الله وسنة رسوله ﷺ |
| ٢٧ كان أحد السلف برحل المراحل | ٨ من كان جل همته السنة فقد رشد |
| الكثيرة لأجل حديث واحد | ٨ كلام الامام الشافعي في أن السنة |
| ٢٨ جواب الشافعي لما سئل عن دليل | لها ثلاثة أوجه |
| كون الاجماع حجة | ٩ قضاء رسول الله ﷺ |
| ٣٠ بيان أن القرآن أحوج الى السنة | ١١ بيان أن طاعة الله هي طاعة رسوله |
| من السنة الى القرآن | ١١ تفسير قوله تعالى (فلا وربك لا |
| ٣١ كلام الامام أبي حنيفة في السنة | يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر |
| | بينهم) وفيمن نزلت |

دليل كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة

- | | |
|---|---|
| <p>٤١ <u>بيان أن أول الدين تركاً السنة</u></p> <p>٤٣ <u>تفسير قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)</u></p> <p>٤٤ <u>النظر الى الرجل من أهل السنة يدعو اليها عبادة</u></p> <p>٤٥ <u>كلام سعيد بن جبير في السنة</u></p> <p>٤٨ <u>كلام الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في السنة</u></p> <p>٤٩ <u>السنة لا تعارض بل يسلم اليها</u></p> <p>٥٠ <u>كلام الصوفية المخلص رضى الله عنهم في السنة</u></p> <p>٥٢ <u>خاتمة الكتاب نسأل الله حسن الخاتمة</u></p> <p>٥٢ <u>بيان ما ورد أن هلاك هذه الأمة على يد الزنادقة</u></p> <p>٥٢ <u>تنقسم فرق الرافضة الى اثنتي عشرة فرقة وبيانها مفصلة</u></p> | <p>٣٢ <u>لا يصح أن يفق العالم إلا إذا كان عالماً بالأثر</u></p> <p>٣٢ <u>كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه في السنة</u></p> <p>٣٣ <u>كلام الامام على كرم الله وجهه في الدين</u></p> <p>٣٤ <u>لا يصح أن يقال بعد ثبوت الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ لم</u></p> <p>٣٥ <u>بيان أن مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن</u></p> <p>٣ <u>أدب الامام مالك رضى الله عنه مع حديث الرسول ﷺ</u></p> <p>٣٧ <u>الأمر بكتابه السنة</u></p> <p>٣٨ <u>بيان أن من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار</u></p> <p>٣٩ <u>بيان أن العلم ثلاثة</u></p> <p>٤٠ <u>سبعة لعنوا على لسان رسول الله ﷺ</u></p> |
|---|---|

فهرست

فتاوى ابن الصلاح

| صحيفة | ترجمة المؤلف | صحيفة |
|---|---|-------|
| ٩ | ٢ | ٢ |
| تفسير قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) ماهو الذكر وما مقداره ؟ | ٤ | ٤ |
| ٩ | ٥ | ٥ |
| تفسير قوله تعالى (فويل للمصلين) الآية من الساهون والمراؤن | من كتاب الله عز وجل | ٥ |
| ١٠ | تفسير قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) الآية ومذاهب العلماء في ذلك | ٦ |
| ١٠ | ٦ | ٦ |
| تفسير قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحبي الارض بعد موتها) الآية امرنا بالنظر الى الاثر ولم يأمرنا بالنظر الى الرحمة | ضابط حسن لتعبير الرؤيا | ٧ |
| ١٠ | ٧ | ٧ |
| تفسير قوله تعالى (كل من عليها فان وبقى) الآية | تفسير قول الله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) والجمع بينها وبين آية (فاتقوا الله ما استطعتم) | ٧ |
| ١١ | ٧ | ٧ |
| ما المراد بالبقرة في قوله تعالى (انها بقرة) هل هي اثنى أم ذكر ؟ | تفسير قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) الآية | ٨ |
| ١١ | ٨ | ٨ |
| بقلة الرسول صلى الله عليه وسلم هل هي ذكر أم اثنى | ٨ | ٨ |
| ١٢ | ٨ | ٨ |
| تفسير قوله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم) الآية هل علمه جل ذكره يتجدد ؟ | أقوال العلماء في الصفات والكبائر | ٨ |
| ١٢ | ٨ | ٨ |
| القسم الثاني في شرح أحاديث وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم | تفسير قوله تعالى (وان ليس للانسان إلا مسمى) وهل يصل ثواب القرآن الى الميت ؟ | ٨ |

| صحيفة | صحيفة |
|--|---|
| ١٤ | ١٢ |
| مامنى قوله صلى الله عليه وسلم «انها من الطوافين عليكم؟» | مسألة في قوله صلى الله عليه وسلم «يوتى بالعالم يوم القيامة فيقال انما تعلمت ليقال كذا وكذا» الحديث |
| ١٤ | ١٣ |
| تفسير حديث «ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً» الحديث الوارد في الصحيحين والجمع بين الروايات الأخرى | مسألة في قوله صلى الله عليه وسلم «الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما» الحديث وما يكفر الجمعة ورمضان |
| ١٦ | ١٣ |
| مسألة قوله صلى الله عليه وآله وسلم «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» هل هو في الصحيحين وهل يصير في عقب التوبة كمن لا ذنب له أم لا بد من اصلاح العمل بعد التوبة الى مدة معلومة | مسألة في أن الخبر اذا ورد من جهة الله تعالى لا يتصور وجوده على خلاف الخبر به وهل هو كما أطلق أم ثم فرق بين وعده ووعيده |
| ١٦ | ١٣ |
| مسألة في قوله عليه الصلاة والسلام «ينزل ربكم في كل ليلة الى سماء الدنيا» الحديث هل هو على ظاهره أم على ضرب من التأويل | مسألة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تدخل فقراء أمتي قبل أغنيائها بنصف يوم، ما المراد بالفقير هنا؟ |
| ١٧ | ١٤ |
| مسألة قوله صلى الله عليه وآله وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث هل هي فطرة الاسلام او الفطرة التي هي الخلق، والابداع، والاختراع | مسألة قوله صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرني الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم» الحديث ما الفرق بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير صحته «أمتي كالنيت لا يدرى أوله خير أم آخره» ومامنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم «للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه» ما هي الفرحة؟ |
| ١٧ | |
| مسألة في معنى قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أبي (لم يكن الذين كفروا) بامر الله تعالى ما المراد بذلك وما وجه تخصيص هذه السورة بالذكر وما الحكمة في ذلك | |

| صحیفة | صحیفة |
|---|--|
| ٢٠ مسألة روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على صاع من شعير أو صاعين ، وورد انه مات وله حصون وارض فهل هذه الاحاديث صحاح ، وهل الفقير الصابر أعلى من الغنى الشاكر ؟ | ١٧ مسألة قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر » فهل هذا السوق قبل موت الخلق او بعد خروجه من الاجداث |
| ٢١ مسألة صوم رجب كله هل على صائمه اثم ام له اجر وهل صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ان جهنم لتسعر من الحول الى الحول لصوام رجب » | ١٨ مسألة فباروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لعن الله من اكرم غنيا لغناه واهان فقيرا لفقره » وقوله عليه السلام « لعن الله من اكرم بالغنى واهان بالفقر » هل يدخل تحت هذا اللعن شيخ يزار بحية الفقير والغنى وابناء الدولة وهو من ذوى الولايات والتسلط فيتكلف لابناء الدنيا ويحضر للفقير ما تيسر ام لا ؟ |
| ٢٢ مسألة من اخبر النبی صلى الله عليه وآله وسلم بايمانهم وانهم من اهل الجنة هل يأمنون المكسر هل الانبياء يدخلون الجنة ؟ اولوا وخدم ام كل نبی مع أمته ومن يدخل الجنة اولاً | ١٩ مسألة روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا من اهل الصفة مات فوجد معه ديناران فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « كيتان » فامعنى ذلك مع أن الدينارين لاحق فيهما لله تعالى |
| ٢٢ حكاية عيسى ابن مريم عليهما السلام لما رأى رجلا سرق فقال له أسرفت فحلف انه لم يسرق فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عني ماعنى ذلك | ١٩ مسألة اراد على المصنف فى مقدمته فى علوم الحديث والجواب عنه |
| ٢٢ ما الفرق بين الخبر الذى لا يتطرق اليه النسخ والخبر الذى يدخله الامر فيتطرق اليه النسخ | ٢٠ مسألة فى رجل يقرأ الحديث على المحدث ويقول فى كل حديث و بالاسناد حدثنا فلان عن فلان ولا يقول قال حدثنا فهل يضح هذا السماع ام لا |
| ٢٣ مسألة فى الفقير الصابر والغنى الشاكر ايها افضل | |

| صفحة | مصحف |
|------|---|
| ٢٣ | مسألة هل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه على كل قدم من الانبياء صلوات الله عليه وسلامه ولى من اولياء الله تعالى، وما الابدال والنقباء والاولاد هل لتلك اصل ام لا |
| ٢٣ | مسألة هل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في علماء الباطن الذين اقامهم الله تعالى كترية الاحوال والمقامات الشريفة وليوصلوا المريد الى الله بقوتهم ودعوتهم المجابة |
| ٢٤ | هل يجوز اطلاق الأب في الكتاب العزيز والحديث الصحيح على الأب من غير صلب، وما الفرق بين آدم أبى البشر و ابراهيم الخليل صلوات الله عليهما في ذلك |
| ٢٥ | مسألة هل من سب الصحابة وتاب لم ينفرد له ولم تقبل توبته؟ |
| ٢٦ | مسألة في رجل اغتاب رجلا وجاء اليه يستسمحه فما قبل |
| ٢٦ | مسألة هل الاستغفار كفارة الغيبة |
| ٢٧ | مسألة هل يجوز للانسان ان يقرأ القرآن ويهديه لوالديه ولاقاربه خاصة ولا موات المسلمين عامة وهل تجوز القراءة من قرب وبعد او على القبر خاصة |
| ٢٧ | مسألة هل قول لا اله الا الله في دفع الوسوسة نافع ثابت بدليل |
| ٢٨ | مسألة في رجل يمدح فتفرح نفسه ويذم فتألم |
| ٢٨ | مسألة في اى شيء يزول تحمل المن مع كون الانسان فقيرا ماله شيء |
| ٢٩ | مسألة ما حكم كلام الصوفية في القرآن كالجنيد وغيره واخراج القرآن عن ظاهره المفهوم منه نصالى تاويلات بعيدة جدا |
| ٢٩ | مسألة رجل طلب العلم وهاجر اليه من وطنه فسمع داعيا الى الزهد في الدنيا وله نفس جرح وخاف ان لا ينجو من آفات الدنيا مع النفس الامارة بالسوء فما الحيلة في نجاته؟ |
| ٣٠ | مسألة رجل قال ان الله لا يسمع دعاء ملحونا وما هو الدعاء الملحون |
| ٣٠ | مسألة قراءة القرآن بعد صلاة الصبح افضل او بعد صلاة المغرب اى الوقتين افضل؟ |
| ٣٠ | مسألة رجل له والد ووالده غير مفتقر اليه في القيام باموره فاحب الولد الانقطاع الى الله في قرية بعيدة عن والده ليسلم من المآثم ووالده يكره مفارقتها كيف الحال ويتبع ذلك مسائل؟ |

| صحيفة | صحيفة |
|-------|---|
| ٣١ | مسألة رجل تصدق بصدقة التطوع على صلحاء علماء الامة وسبق الى الآخذ الأخذ من الله تعالى لا من معطى الصدقة فايها افضل؟ |
| | <u>القسم الثالث فيما يتعلق بالعقائد والاصول</u> |
| ٣١ | مسألة هل بلغ امام الحرمين والغزالي وابواسحاق درجة الاجتهاد في المذهب ام درجة الاجتهاد مطلقا وما الفرق بين الاجتهادين؟ |
| ٣٢ | مسألة كتاب من كتب اصول الفقه ليس فيه منطوق ولا فلسفة هل يجوز الاشتغال به |
| ٣٢ | مسألة ما الفرق بين القياس والاستدلال |
| ٣٢ | مسألة هل كان داود الظاهري صاحب المذهب ممن يعتد بخلافه في انقاد الاجماع واقوال الائمة فيه |
| ٣٤ | مسألة هل يجوز لمن اتسبب الى العلم والتصوف الاشتغال بتصنيف ابن سينا ومطالعة كتبه وهل كان ابن سينا من العلماء |
| ٣٤ | مسألة فيمن اشتمل بالمنطق والفلسفة تعلما وتعلما وهل المنطق جملة وتفصيلا مما اباح الشارع تعلمه وتعليمه والصحابة |
| ٣٦ | مسألة قول بعض المصنفين مستدلا على اثبات القياس بخوض الصحابة في حوادث جملة واختلافهم فيها |
| ٣٦ | مسألة الامام ماث امام المذهب جمع بين السنة والحديث |
| ٣٦ | مسألة هل الاسلام مخصوص بهذه الامة ام يطلق على كل من آمن بنبيه |
| ٣٧ | مسألة فيمن يمتقدان في ملك الله تعالى ما لا يرضاه ولا يريد |
| ٣٧ | مسألة في ان الحروف التي في المصحف قديمة وما اعتقاد السلف في صفات الله كلها |
| ٣٨ | مسألة في يزيد بن معاوية هل هو امر يقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وهل يجوز لعنه |
| ٣٨ | الفرق بين المبتدع والفاسق والغضب والنل |
| ٣٩ | فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني |
| | رسالة الامام الاخضرى في التصوف |
| ٥٧ | جواب هاون الرشيد |

فهرست (التحفة العراقية)

| صفحة | صفحة |
|------|--|
| ١٤ | ٢ بيان أن الناس في الاعمال القلبية على |
| ١٦ | ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان |
| | على ثلاث درجات |
| ١٧ | ٤ بيان أن العبد الزاهد قد يكون مسخوطاً |
| | عند الله ورسوله لما في قلبه من بدعة ونفاق |
| | ٤ الأمر بقسط الحوارج والمارقين من |
| | الدين كملحدي زماننا |
| ٢٠ | ٥ بيان أن من عمل بما علم آوثره الله علم ما لم يعلم |
| ٢١ | ٦ الصدق يستلزم البر والكذب يستلزم |
| | الفجور |
| ٢٢ | ٨ الصدق والتصديق يكونان في الأقوال |
| ٢٤ | والأعمال |
| | ٩ أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة |
| | من العلوم والأعمال وأن الأعمال |
| ٢٥ | الظاهرة لا تنفع بدونها والدليل على ذلك |
| ٢٧ | ١٠ فصل بيان أن محبة الله والأخلاص له |
| | والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك من |
| | الأعمال الباطنة كلها مأمور بها في حق |
| ٢٨ | الخاصة والعامة |
| | ١٢ بيان ما حق الله على العباد وحق العباد |
| | على الله |
| ٢٩ | ١٣ التوكل والاستعانة للعبد بها الوسيلة |
| | والطريق الذي ينال به مقصوده |
| ٣١ | ومطلوبه من العبادة |
| ٣٢ | |
| ١٤ | حقيقة التوكل وغلط بعض العلماء فيه |
| ١٦ | بيان الإرادة الدينية والإرادة الكونية |
| | ومثالها من الآيات القرآنية |
| ١٧ | المواقب التي خلق لها الناس سعادة |
| | وشقاوة يسرون لها بالأعمال التي |
| | يصيرون بها إلى ذلك كما أن سائر |
| | المخلوقات كذلك |
| ٢٠ | بيان أولياء الله وغيرهم |
| ٢١ | الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله |
| | وعبادته |
| ٢٢ | تقسيم الناس إلى أربعة أقسام |
| ٢٤ | القسم الرابع هو القسم المحمود وهو |
| | حال الذين حققوا أياك نعمة بدواياك نستعين |
| | وقوله فاعبده وتوكل عليه |
| ٢٥ | ترك الأسباب المأمور بها غلط فاحسن |
| ٢٧ | ينبغي للإنسان إذا ابتلى أن يصبر ويثبت |
| | ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين |
| | القائمين بالواجبات |
| ٢٨ | تنازع العلماء والمشايخ في الرضا بالقضاء |
| | هل هو واجب أو مستحب |
| ٢٩ | مأجاء في مدح الصابرين من الآيات |
| | القرآنية |
| ٣١ | الرضا والحمد على الضراء بوجه شاهدان |
| ٣٢ | تدفع عقوبة فعل السيئة بعشرة أسباب |

فهرست التحفة المراقية

| صفحة | صفحة |
|--|---|
| <p>٤٩ زعم الجمد بن درهم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً والرد عليه</p> <p>٥١ انكار الجهمية الصفات وتأويلهم المحبة الواردة في القرآن والسنة والرد عليهم</p> <p>٥٤ كل مولود يولد على الفطرة</p> <p>٥٥ كلام الصوفية في المحبة وما كان عليه الأقدمون منهم وما ابتدعه المتأخرون</p> <p>٥٦ سماع ما يحرك المحبة ومعنى التغير والمغفرة</p> <p>٥٧ محبة الله موجبة لمتابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم</p> <p>٥٨ المقاصد المطلوبة للمريد من تحصل بالسماع الایماني القرآني النبوي الديني الشرعي الذي هو جامع النيين والعارفين والمؤمنين</p> <p>٥٩ مشروعية تحسين الصوت في القرآن</p> <p>٦٠ اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته باطنا وظاهرا توجب محبة الله</p> <p>٦١ حديث سبعة يظلهم في ظلّه يوم القيامة</p> <p>٦٢ تقسيم حمد الله على نوعين</p> <p>٦٤ كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في اليوم مائة مرة</p> | <p>٣٣ من رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط</p> <p>٣٤ تقسيم الناس الى أربعة أنواع بحسب الصبر وغيره</p> <p>٣٥ فصل من أعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله واجل قواعده محبة الله ورسوله</p> <p>٣٧ حقيقة قول لا اله الا الله</p> <p>٣٩ حديث من تشبه بقوم فهو منهم</p> <p>٤٠ النصارى واليهود يشبهون المخلوق بالخالق ومن ضاهاهم من المثلة</p> <p>٤١ اتباع الامة المحمدية الامم السالفة حذوا القذة بالقذة</p> <p>٤٢ صفة المحبين المحبوبين</p> <p>٤٣ يحب الله ما يحب عبده ويكره ما يكرهه</p> <p>٤٤ الاتحاد نوعان نوعي ووصفي</p> <p>٤٥ فصل في أن المحبة أصل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها</p> <p>٤٨ حديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين</p> |

مجموعتنا الرسائل المنيرة

الجزء الاول

يشتمل على ١٣ رسالة

- (١) ارشاد التقاد الى تيسير الاجتهاد للصنعاني (٢) رفع الريبة للامام الشوكاني
- (٣) شرح الصدور للشوكاني (٤) مسائل الاصول لابن حزم (٥) منظومة
- في القدر لابن تيمية (٦) عقيدة السلف واصحاب الحديث للامام الصابوني
- (٧) تحذير اهل الايمان للاسعردي (٨) في الاستواء والقوقية والحرف والصوت
- لل امام ابي عبد الله الجويني والدامام الحرمين (٩) نور اللمعة في خصائص الجمعة للسيوطي
- (١٠) تفسير سورة الكونر لابن تيمية (١١) في علم الظاهر والباطن لابن تيمية
- (١٢) في رفع اليدين للامام تقي الدين السبكي (١٣) الحصال للمكفرة للحافظ ابن حجر

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

ادارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الله الدمشقي

ارشاد النقاد

الى تيسير الاجتهاد

للسيد العلامة بدر الاسلام والمسلمين

محمد بن اسماعيل الامير الصناعي صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام

المتوفى سنة ١١٨٢ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ذلل مصاب علوم الاجتهاد لعلماء الامة * وحفظها بأساطين
الحفاظ وجهابذة الائمة * فتبعموها من الافواه والصدور * وخلدوها للمتأخرين
من الامة في الاوراق والسطور * واستنبطوا من القواعد ما لا يزول بمرور
الدهور * وأطلعوا من أنوار علم الكتاب والسنة على أنوار البصائر نوراً
على نور

وأشهد أن لا إله إلا الله المتكفل بحفظ علوم الدين * وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذي يحمل علمه من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين
واتحال المبطلين * صلى الله عليه وعلى آله قرناء القرآن * صلاة وسلاماً يدومان
مادارت الافلاك واختلف الملوان^(١)

وبعد فان السيد قاسم بن محمد الكبسي رحمه الله سأل عن المسائل العلمية
والابحاث العملية * نزلت علينا نزول النيث على الرياض * بل العافية على

الاجسام المراض * وخلاصة ما اشتمل عليه انه هل يكون العمل من المتأخرين بتصحيح الائمة من أهل الحديث للحديث أو تحسينه أو تضعيفه تقليداً لاولئك الحفاظ من الائمة والاعيان من الامة فيما وصفوا به الحديث من تلك الصفات ويكون القائل لذلك والعامل به مقلداً أو يكون فيما قبله من كلامهم في ذلك وعمل به مجتهداً

فانه قال السيد الامام محمد بن ابراهيم في الروض الباسم ان قول الثقة العارف الذي ليس له قاعدة في التصحيح معلومة الفساد ان الحديث صحيح يجب قبول قوله بالادلة العقلية والسمعية الدالة على قبول خبر الواحد وليس ذلك بتقليد بل هو عمل بما أوجبه الله تعالى من قبول خبر الثقات هذا كلامه ولكنه خالف كلام القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي في شرح بلوغ المرام فانه قال من لم يكن أهلاً للنقد والتصحيح فله أن يقلد في ذلك من صحح أو حسن ممن هو أهله فان لم يكن أحد من الائمة تكلم بذلك على الحديث وليس هو بأهل للنقد لم يجز له الاحتجاج بالحديث إذ لا يأمن من أن يحتاج بما لا يحل الاحتجاج به قال ولهذا أحال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح * والتقليد في التصحيح يخرج عن القصد وهو الاجتهاد قال ولم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض بالنظر الى قوة الدلالة أو الى كثرة من صحح أو جلالته والواجب الرجوع الى الظن القوي بحسب الامكان رأيت السائل دامت افادته جنح الى ترجيح كلام القاضي قائلاً انه قد يفرق بين التصحيح والتضعيف وبين الرواية فان تصحيح الحديث وتضعيفه مسألة اجتهادية ونظرية قد يختلف الامامان العظيمان في الحديث الواحد فأحدهما يذهب الى صحته أو حسنه والآخر الى ضعفه أو وضعه باعتبار ما حصل لهما من البحث والنظر وليس حال الرواية كذلك فان مدارها على الضبط والعدالة * ومدار التصحيح والتحسين ونحوهما على قوة اليد في معرفة الرجال والعامل المتعلقة بالاسانيد والمتون ومعرفة الشواهد والمتابعات والقاضي قد جزم بان قول الحفاظ

في التصحيح تقليد وإذا نظرتم الى تصرف العلامة الحسن بن احمد الجلال في ضوء النهار لم يجد الانسان في يده غير ما أشار اليه القاضي من الترجيح بقوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالة ولم يكن ممن يعرف الاسانيد والعلل مثل المنذرى وابن حجر والنووي ومن في طبقتهم من المتأخرين دع عنك الائمة الكبار مثل الحاكم والدارقطني مع تصريحه في غير موضع من كتبه بالاجتهاد المطلق وكذا العلامة المقبلي سلك هذا المسلك ولم يزل هذا السؤال يخطر بالبال فافضلوا بالجواب انتهى ماحرره السائل لازال مفيداً ولا يرح في أنظاره العلمية سديداً * وأقول : الجواب يظهر ان شاء الله تعالى بذكر فصول تشتمل على ايضاح المسئلة بمشيئة الله تعالى وهدايته .

فصل

رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه نخبة الفكر الحديث الصحيح بأنه مانقله عدل تام الضبط متصل السند غير معطل ولاشاذ وقال وهو الصحيح لذاته وقريب منه رسم ابن الصلاح وزين الدين بأنه ما اتصل اسناده بنقل عدل ضابط عن مثله من غير شذوذ ولاعلة قاذحة اذا عرفت هذا فهذه خمسة قيود ثلاثة وجودية واثنان عدميان وكلها أخبار : كأنه قال الثقة حين قال حديث صحيح هذا الحديث رواه عدول مأمون الضبط متصل اسنادهم لم يخالف فيه الثقة مارواه الناس وليس فيه أسباب خفية طرأت عليه تقدح في صحته وحينئذ نقول الثقة صحيح يتضمن الاخبار بهذه الجمل الخمس وقد تقرر بالبرهان الصحيح ان الواجب أو الراجح العمل بخبر العدل والقبول له وتقرر ان قبوله ليس من التقليد لقيام الدليل على قبول خبره فالتصحيح مثلاً والرواية للخبر قد اتفقا أنهما اخبار إما بالدلالة المطابقة أو التضمنية أو الالتزامية * أما قبول خبره الدال بالمطابقة فلا كلام فيه كقبوله زيد قائم وأما قبول خبره الدال بالتضمن أو الالتزام فيدل على قبوله أنهم جعلوا من طرق التعديل حكم مشروط العدالة

بالشهادة وعمل العالم المشترط لها رواية من لا يروى الا عن عدل فانهم صرحوا في الاصول وعلوم الحديث ان هذه طرق التعديل ومعلوم ان دلالة هذه الصور على عدالة الراوى والشاهد التزامية فقول الثقة حديث صحيح يتضمن الاخبار بالقبول الخمسة والرواية لها ولا يقال ان اخباره بانه صحيح اخبار على ظنه بحصول شرائط الصحة عند ظنه كما يدل له انه صرح زين الدين وغيره بان قول المحدثين هذا حديث صحيح اى فيما يظهر لنا عملاً بظاهر الاسناد لا انه مقطوع بصحته في نفس الامر لانا نقول اخبار الثقة بان زيدا عدل اخبار عن ظنه بانه آت بالواجبات مجتنب للمقبحات بحسب مارآه من ذلك وأخبر مع جواز انه في نفس الامر غير مسلم لكن هذه التجويزات لا يخاطبها المكلف فان قلت من شروط الصحيح السلامة من الشذوذ والعلّة وليس مدرّك هذين الامرين الاخبار بل تتبع الطرق والاسانيد والمتون كما أشار اليه السائل * قلت أما أولاً فالشذوذ والاعلال نادران والحكم للغالب لا للتادر ألا ترى ان الراجح العمل بالنص وان جوز انه منسوخ عملاً بالأغلب وهو عدم النسخ ويرهان فندورها يعرف من تتبع كلام أئمة الحديث على طرق الاحاديث من مثل البدر المنير وتلخيصه فانهم يتكلمون على ما قيل في الحديث فتجد القدح بالشذوذ والاعلال نادراً جداً بل قال السيد محمد بن ابراهيم في التنقيح ظاهر الحديث المثل السلامة من العلة حتى تثبت العلة بطريق مقبولة وأما ثانياً فقول الثقة هذا صحيح أى غير شاذ ولا مغلل إخبار بأنهم يقع في رواه راو ثقة خالف الناس فيه ولا وجدت فيه علة تنقذ في صحته وهذا اخبار عن حال الراوى بصفة زائدة على مجرد عدالته وحفظه أو حال المتن بأن ألفاظه مصونة عن ذلك وليس هذا خبراً عن اجتهاد بل عن صفات الرواة والمتون فانه اخبار بانه تتبع أحوال الرواة حتى علم من أحوالهم صفات زائدة على مجرد العدالة وفي التحقيق هي عائدة الى تمام الضبط وتتبع مروياتهم حتى أحاط بالفاظها فالكل عائد الى الاخبار عن الغير لاعن الاجتهاد الحاصل عن دليل ينقذ له منه رأى : وأنت

اذا نظرت الى الائمة النقاد من الحفاظ كالحاكم أبي عبدالله وأبي الحسن
الدارقطني وابن خزيمة ونحوهم كالمندري ونصحيحهم لاحاديث وتضعيفهم
لاحاديث واحتجاجهم على الامرين مستنداً الى كلام من تقدمهم كيحيى بن
معين واحمد بن حنبل وأبي عبدالله البخارى ومسلم وغيرهم من أئمة هذا الشأن
وانه ثبت له عنهم أو عن أحدهم انه قال فلان حجة أو ثبت أو عدل أو نحوها
من عبارات التعديل وانهم قالوا في غيره انه ضعيف أو كذاب أو لاشيء أو
نحوها ثم فرعوا على هذه الروايات صحة الحديث أو ضعفه باعتبار ما قاله من
قبلهم فانه تجنب ابن اسحاق من تجنبه من أهل الصحاح بقول مالك فيه مع ان
ابن اسحاق أمام أهل المغازى وقدحوا أيضاً في الحارث الاعور بكلام الشعبي
فيه ولم يلقوا ابن اسحاق ولا الحارث بل قبلوا كلام من تقدم فيهم من الائمة
واذا حققت علمت ان تصحيح البخارى ومسلم وغيرهما مبنى على ذلك وكذلك
تضعيفها فانها لم يلقيا إلا شيوخهما من الرواة وبينهم وبين الصحابة وسائط
كثيرون اعتمدوا في ثقتهم وعدمها على الرواة من الائمة قبلهم فلم يعرفوا
عدالتهم وضبطهم الا من أخبار أولئك الائمة فاذا كان الواقع من مثل البخارى
في التصحيح تقليداً لانه بناء على أخبار غيره عن أحوال من صحح أحاديثهم
كان كل قابل لخبر من تقدمه من الثقات مقلداً وان كان الواقع من البخارى
من التصحيح اجتهاداً مع ابقائه على خبر الثقات فليكن قولنا بالصحة لخبر
البخارى المتفرع عن أخبار الثقات اجتهاداً فانه لا فرق بين الاخبار بان هؤلاء
الرواة ثقات حفاظ وبين الاخبار بان الحديث صحيح الا بالاجمال والتفصيل
وكانهم عدلوا عن التفصيل الى الاجمال اختصاراً وتقريباً لانهم لو أعقبوا كل
حديث بقولهم رواه عدول حافظون روه متصلاً ولاشذوذ فيه ولا علة
لطالت مسافة الكلام وضاق نطاق الكتاب الذي يؤلفونه عن استيفاء أحاديث
الاحكام فضلاً عما سواها من الاخبار على ان هذا التفصيل لا يخلو عن الاجمال
إذ لم يذكر فيه كل راو على انفراده بصفاته بل في التحقيق ان قولهم عدل

معدول به عن آت بالواجبات مجتنب للمقبحات محافظ على خصال المروءة متباعد عن أفعال الخسة فعدلوا عن هذه الاطالة الى قولهم عدل فقولهم عدل خبر انطوت تحته عدة أخبار كما انطوت تحت قولهم صحيح * اذا عرفت هذا تبين لك صحة قول صاحب الروض الباسم وانه الصواب فيما نقله السائل عنه ومثله قوله في التنقيح انه ان نص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين للمؤمنين فيقبل منهم ذلك للاجماع وغيره من الأدلة الدالة على قبول خبر الآحاد ذلك مبين في موضعه ولا يجوز ترك ذلك متى تعلق الحديث بحكم شرعي

فصل

اذا عرفت ماقررناه فاعلم انه لا مانع لمن وجد في هذه الاعصار حديثاً لم يسبق عليه كلام امام من الائمة بتصحيح ولا غيره فتنبع كلام أئمة الرجال في أحوال روايته حتى حصل له من كلامهم ثقة روايته أو عدمها فجزم بايهما على الحديث كما جزم من قبله من أئمة التصحيح والتضعيف من مثل البخاري وغيره ومستنده في ذلك مستند من قبله كما أوضحناه * غاية الفرق انه كثر الوسائط في حقه لتأخر عصره فكانوا أكثر من الوسائط في حق من تقدمه لقرب عصرهم وهذا موجب لمشقة البحث عليه لكثرة الرواة الذين يبحث عن أحوالهم ولكن ربما كان ثوابهم أكثر لزيادة مشقة البحث هذا إن كانت طريق المتأخر هي الرواية وأراد معرفة أحوال شيوخه وتحقيقها حتى يبلغ الى مؤلف الكتاب الذي قرأه وأما اذا كانت طريقه الاجازة أو الوجادة فانه لاكثر للوسائط أصلاً بل هو كالقدمات في ذلك وحينئذ فيكون مجتهداً فيما حكم بصحته مثلاً فانه كما انه لا يحمي عن القول بان تصحيح الائمة الاولين اجتهاد فانه انما بنوه على ما بلغ اليهم من أحوال الرواة ففرعوا عليه التصحيح وجعلوه عبارة عن ثقة الرواة وضبطهم كذلك لا يحمي عن القول بان ما صححه من بعدم الى يومنا هذا أو ضعفه أو حسنوه حكمه حكم ما قاله الاولون من الائمة اذ الاصل في

الكل واحد وهو قبول اخبار من سلف عن احوال الرواة وصفاتهم والا كان القول بخلاف هذا تحكما لا يقول به عالم واذا عرفت هذا عرفت ضعف ما قاله ابن الصلاح بل بطلانه من انه ليس لنا الجزم بالتصحيح في هذه الاعصار وقد خالفه النووي ورجح زين الدين كلام النووي وهو الحق ولعل القاضي شرف الدين اغتر بكلام ابن الصلاح في هذا الطرف: واما قول القاضي ان القول بتصحيح الائمة الماضين والعمل عليه تقليد لهم فلا اعلم فيه سلفا بل الحق ما قررناه لك من قول الامام صاحب العواصم رحمه الله :

فصل

واما قول القاضي رحمه الله انه احال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح والاهلية لذلك فكلام لا يليق صدوره عن مثله فانه علل الاحالة بالتعسر وغير خاف على ناظرانه لو سلم التعسر لبعض طرق لا يصير محالا غاية انه يصير متعسرا لا محالا ولكن قد اطبقت عامة اهل المذاهب الاربعة في هذه الاعصار وما قبلها على ما قاله القاضي شرف الدين واشتد منهم التكبر على مدعى الاجتهاد من علمائهم قائلين انه قد تعذر ذلك من بعد الائمة الاربعة وضاق مجال الاجتهاد لم يبق فيه لمن بعدهم سعة واطالوا ذلك بما لا طائل نتمته فانه غير خاف على من له نباهة ان هذا منهم تهويل ليس عليه تعويل ومجرد استبعاد لا تهول فعاقة الاذكياء النقاد وكأن اولئك المستبعدين لما رأوا كثرة اتباع الائمة المتقدمين وعظمتهم لما وهب الله لهم من العلم والدين في صدور الاعيان من المتأخرين ظنوا انهم غير مخلوقين من سلالة من طين ولو نظروا بعين الانصاف وتبعوا احوال الاسلاف والاختلاف لعلوموا يقيناً ان في المتأخرين من اولئك الائمة من هو اطول منهم في المعارف باعا واكثر في علوم الاجتهاد اتساعا قد قبضهم الله لحفظ علوم الاجتهاد من كل ذى همة صادقة ونية سالحة

من العباد قد قربوا المتأخرين منها كل بعيد ومهدوها لهم كل تمهيد ففهم من قيضه الله لتتبع علم اللغة من اغواء الرجال ومن السنة النساء والصبيان في بطون الاودية ورؤوس الجبال فرحل الى بواديهم ونزل معهم في موارد مياههم ومراعي مواشيهم وتبعهم في البوادي والقفار وواصلهم تحت الاشجار والاحجار ولازمهم في الليل والنهار وصاحبهم في الاوطان ورافقهم في الاسفار وقام باقامتهم في المضارب والخيام وبيوت الشعر والتلول والاكام يعرف ذلك من نظر في رحلة الاصمعي والازهرى وغيرهما من كل ذى همة سري حتى جمعوا فنونها واناطوا معانيها واجروا عيونها واظهروا مخزونها حتى اصبحت بحارا ذاخرة ورياضا ناضرة وانواعا متكاثرة ومؤلفات فاخرة قد فاق من عرفها من لاقى قس بن ساعدة وسحبان وصار دونهم اختلط بالعرب العرباء في كل مكان وعلم اللغة بانواعه هو عمدة علوم الاجتهاد وبالتبحر فيه وعدمه تتفاوت النقاد والقي الله في قلوب اقوام محبة السنة النبوية والاثار السلفية ورزقهم هما تناطح السماء وتناول الاطلس من الافلاك فارتحلوا لطلبها من الاقطار وقارقوا الاوطان والاورطار وطووا في حبها الفياق والقفار وقنعوا من الدنيا بالكفاف وتركوا لغيرهم اللذات والاراف وانحذوا الزهد شعارا والقناعة دثارا فسهروا الاجفان لذي اليهم واطيب من المنام والجوع اشعى من الامتلاء من نفيس الطعام يرتحلون لسماع الحديث الواحد من الاقطار الشاسعة ويطلبون من الاقاليم المتباعدة الواسعة ففي مثلهم يقال

طوراً تراه في الصعيد وتارة في أرض آمد
فيبتغون من العلوم بكل أرض كل شارد
يدعون أصحاب الحديث بهم فجملت المشاهد

فهذا ابو عبد الله البخارى رحل بعد احاطته بحديث شيوخ بلده الى الشام والكوفة والبصرة وبلغ وعقلان وحمص ودمشق وكتب عن الفشيخ وثمانين شيخا وجمع المسلمين هذه الاحاديث التى تتبعها من الافاق وصحب في طلبها

الرفاق بعد الرقاق في كتابه الجامع الصحيح بقراءة المحدث قراءة تحقيق واتقان في أشهر شهرة الزمان (١) وغيره من أئمة هذا الشأن لهم أكل منة على أهل الإيمان فانهم تعبوا في جمع الاحاديث للمتأخرين وورعوا أوقاتهم في تحصيل ما فيه نفع المسلمين حتى لم يبق لهم وقت لغير نسخ الحديث أو السماع ففي النبلاء في ترجمة الامام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب التفسير والجرح والتعديل والمسند الذي ألفه في ألف جزء قال كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة كل نهارنا نقيم بمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة قال فاتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا فقالوا انه عليل فرأينا في طريقنا سمكة اعجبتنا فاشتريناها فلما وصلنا الى البيت حضر وقت المجلس فلم يمكننا اصلاحه ومضينا الى المجلس ولم نزل حتى مضى عليه ثلاثة أيام وكاد ان يتغير فاكلناه نيا لم يكن لنا فراغ ان نمطيه من يشوبه ثم قال لا يستطيع العلم براحة الجسم وفي مثلهم يقال :

ان علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع
فاذا جن ليهم كتبوه واذا اصبحوا غدوا للسمع

فأئمة الحديث جعل الله غذاهم ولتتهم قراءة الحديث وكتابته ودراسته وروايته ورزقهم حفظا يبر العقول ويكاد ان لا يصدقه من يسمع ما حكى عنهم في ذلك من المنقول حفظ الله تعالى بهم السنة وبهم يتم على عباده كل منة قد حفظوا الفاظ الاحاديث كحفظ القرآن واحرزوا كل لفظ منه بتحقيق واتقان والفوا فيها الجوامع النافعة والمسانيد الواسعة ثم تعبوا في احوال الرواة وصفاتهم ورحلتهم ومواليدهم وبلدانهم ووقلتهم حتى صار من عرف تراجمهم واحوالهم كأنه شاهدهم وزاجهم بل صار أعرف بأحوالهم من المشاهد لهم والمعاصر لانه قد يخفى على من عاصرهم بعض احوال من عارضه وشاهده وأما من طالع تراجمهم وتلقى عن الثقات اخبارهم فانه يراهم قد جمعوا من احوالهم وصفوا من

(١) قوله بقراءة المحدث الخ هكذا الاصل ولعل صواب العبارة هكذا يقرأ المحدث قراءة تحقيق واتقان في أشهر من الزمان والله أعلم

تعيين آثارهم ورحلهم ويقظتهم ومنامهم وتتبعوا احوالهم من كل عارف موافق ومخالف حتى اجتمع لمن قرأ أخبارهم ما لم يجتمع لمن شاهدتهم من الاوصاف وهذا أمر لا ينكره الا من حرم الانصاف

الا ترى ان من عرف تراجم الائمة الستة أهل الامهات من كتب أئمة التاريخ عرف احوالهم وواصفهم كانه لاقام وراهم لقاء خبرة وروية مخالفة وحصل له من الاطمئنان باقوالهم ويقرفي قلبه من امامتهم في الدين وعظم نصيحتهم للمسلمين ما لا يحوم حوله قدح قاذح ولا جرح جارح حتى لو جاءه من ينازعه في حفظ البخاري وتقوا ما لفت ذلك في عضديقته بحفظه وهداه وكذلك غيره من الائمة ومثلهم الرواة فان الله يسر أقواماً جعل همهم العالية وافكارهم الصافية مصروفة الى تتبع احوال رجال الحديث ورواته في القديم والحديث ثم الفوا في الرجال ما يطلع الناظر على كل ما يقال من جرح وتعديل . قال وقيل فذلوا للمتأخرين ما كان صعباً وصبروا بهمتهم ما كان ضيقاً واسماً رجباً جمعوا ما كان متفرقاً ولفقوا ما كان ممزقاً قد قربوا العلوم الحديثية اتم تقريب باكمال وتقريب وتهذيب فاجتمع للمتأخرين من احوال المتقدمين اجتماع لم يمت للاولين فانها اجتمعت لهم معارف العارفين واقوال المتخالفين وكل من الائمة ما زال حريصاً على تقريب المعارف للمسلمين حتى الفوا الكتب على حروف المعجم في الرجال والمتون واتوا بما لم يأت به الاولون فلم يبق للمتأخرين الا الاقتطاف لثمرات المعارف والارتشاف بكنؤوس قد اترعها لهم كل امام عارف ابقاء لحجة الله على المباد وحفظاً لعلوم الدين الى يوم المعاد

فصل

اذا عرفت هذا فكيف يحال في حق المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر بعده هذه الاشياء التي ساقها الله الى ائمة الاجتهاد على ايدي اهل الحفظ والورع والانتقاد الا ترى انك لو وجدت حديثاً في مسند ابن ابي شيبة أو عبد الرزاق أو غيرها

ولم نجد فيه كلاما لاحد ائمة الحديث باحدى الصفات الثلاث ورأيت من رواية الحجاج بن ارطاة. مثلاً فانك تحكم بضعفه لكلام الائمة في الحجاج كما يحكم بذلك الدارقطني والمنذري مثلاً وما لاقاه الدارقطني ولا رآه بل وقف على ما وقفت عليه من كلام ائمة الجرح * غاية الفرق انها قد تكون طريق الدارقطني في ذلك السماع وطريقك الوجادة وهذا لا يخرجك عن جواز التكلم بما تكلم به أو وجدت حديثاً كذلك ثم نظرت كلام ائمة التعديل في رجاله فوجدتهم موثقين فأى مانع لك عن تصحيحه مثلاً كما يفعله الحافظ المنذري وابن حجر فانهما يتكلمان على عدة من الاحاديث تصحيحاً ونحسناً وتضعيفاً وطريقهما في ذلك تتبع اقوال ائمة الجرح والتعديل في رجاله كما انها طريقة الناظر في هذه الاعصار وهما لم يلقيا الا شيوخيها كما انك لم تلق الا من رويت عنه أو قرأت عليه ان كانت طريقك القراءة لا الوجادة او الاجازة

فصل

قد علمت مما سبقناه ان الله وله الحمد والمنة قد قبض للتأخيرين ائمة من المتقدمين جمعوا لهم العلوم اللغوية والحديثية من الافواه والصدور وحفظوها لهم في الاوراق والسطور وذلوا لهم صعاب المعارف وقادوها الى كل ذكى عارف ودونوا الاصول واللغة بأنواعها مع انتشارها واتساعها وادخلوا علوم الاجتهاد لاهلها من كل باب تارة بإيجاز وتارة بأسهاب واطناب وهذا شيء لا شك فيه ولا ارباب ولا يجهله الا من ليس من اولى الابواب الذين نحوم يساق هذا الخطاب

وبعد هذا فالحق الذى ليس عليه غبار الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الاعصار وانه اسهل منه في الاعصار الحالية لمن له في الدين همة عالية ورزقه الله

فهما صافيا وفكرا صحيحا ونباهة في علمي السنة والكتاب فان الاحاديث في الاعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال وعلوم اللغة في افواه سكان البوادي ورؤوس الجبال حتى جعت متفرقاتها ونفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج طالب العلم في هذه الاعصار الى الخروج من الوطن والى شد الرحل والظعن فياعجابه حين تفضل الله بجمعها من الاغوار والانجاد وسهل سياقتها للعباد حتى اينعت رياضها واطرعت حياضها واجريت عيونها وتهدلت بشمراتها غصونها وقاض في ساحات تحقيقها معينها واشتد عضدها وجل ساعدها وكثر معينها تقول تعذر الاجتهاد ما هذا والله الا من كفران النعمة وجحودها والاخلاق الى ضعف الهمة وركودها الا انه لا بد مع ذلك اولا من غسل فكرته عن ادران المصيبة وقطع مادة الوسوس المذهبية وسؤال للفتح من الفتح العليم وتعرض لفضل الله فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فالعجب كل العجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد في هذه الاعصار وانه محال ما هذا الا منع لما بسطة الله من فضله لفحول الرجال واستبعاد لما خرج من يديه واستصعاب لما لم يكن لديه وكـم للائمة المتأخرين من استنباطات راتقة واستدلالات صادقة ما حام حولها الاولون ولا عرفها المتأخرون ولا دارت في بصائر المستبصرين ولا جالت في افكار المفكرين

فصل

ومن هنا تعرف انه لا فرق بين اجتهاد من ذكره السائل من العلامة الجلال والمقبلي واجتهاد من تقدمهما من الائمة الاربعة الذين اتفقت الامة على اجتهادهم وان مرجعهما في تصحيح الاحاديث ليس بتقليد لائمة التصحيح بل قبول رواية وهذا الشافعي رضي الله عنه اتفقت الامة على اجتهاده ومرجعته في صحة الاحاديث وعدمها الى ائمة الحديث فانه يقول في مواضع اذا لم يعمل بالحديث انه لم يرتض

رواية هذا الحديث ونحو هذه العبارة في محلات من تلخيص ابن حجر وتيسير البيان وغيرها من الكتب المجموعة لسرد الأدلة والتفتيش عن احوال رجالها كقوله في حديث بهز بن حكيم في الزكاة وهذا الحديث لا يثبت اهل العلم بالحديث وهذا هو بعينه ما يقوله الجلال والمقبلي وكل من تقدمهما وقد منا لك ان البخاري نفسه انما يعتمد ويضرع في التصحيح وغيره على أقوال من تقدمه من الرجال وانه لم يلق الا شيوخه والذين رواه عنهم وصحح لهم اضعاف اضعاف شيوخه وحينئذ يعرف الناظر انه لا فرق بين المتقدمين والتأخرين الا بكثرة الوسائط وقلتها وسيلان الاذهان وجمودها وحركات الهمم وركودها والفضل بيد الله لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع

وأما قول القاضي رحمه الله انه لم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض باعتبار قوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالة جوابه ان هذا الذي سماه ترجيحا هو الاجتهاد المطلق انما ذنب التأخر انه تأخر زمنه عن زمان من قال بالقول الراجح والمرجوح فنظر كنظر من قبله من المجتهدين وجزم باحد القولين نظرا الى الدليل فسميتوه ترجيحا لقول غيره وليس كذلك فافترضوا انه لم يتقدمه أحد فانه لو كان زمانه سابقا ورأيتم ما ادعاه وما اقامه من البراهين على دعواه لقلتم انه مجتهد مطلق ولا يخفى ان تقدم الزمان وتأخره لا اثر له في جميع الأدلة والاستنباط منها قطعاً بل قد أوضحنا لك ان الله قد جمع شمل الأدلة للتأخرين ولكنكم نظرتم الى تأخر زمانه وانه قد قال بما جنع اليه قائل قبله فقلتم ان هذا المجتهد الآخر رجح ما قاله من قبله بقوله الدلالة أو نحوها قلنا هو عين الاجتهاد ولا يضرننا تسميتكم له ترجيحا

فصل

وأما ما أشار اليه السائل دامت افادته من انه قد يختلف كلام امامين من أئمة الحديث فيضنف هذا حديثا وهذا يصححه ويرمي هذا رجلا من الرواة

بالجرح وآخر يعدله فهذا مما يشعر بان التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد الذي اختلفت فيه الآراء فجوابه ان الامر كذلك أي انه قد تختلف أقوالهم فانه قال مالك في ابن اسحاق انه دجال من الدجاجة وقال فيه شعبة انه أمير المؤمنين في الحديث وشعبة أمام لا كلام في ذلك وامامة مالك في الدين معلومة لا تحتاج برهاناً فهذان امامان كبيران اختلفا في رجل واحد من رواة الاحاديث ويتفرع على هذا الاختلاف في صحة حديث من رواية ابن اسحاق وفي ضعفه فانه قد يمد العالم المتأخر عن زمان هذين الامامين كلام شعبة وتوثيقه لابن اسحاق فيصح حديثا يكون من رواية ابن اسحاق قائلاً قد ثبتت الرواية عن امام من أئمة الدين وهو شعبة بان ابن اسحاق حجة في روايته وهذا خبر من شعبة يجب قبوله وقد يمد العالم الآخر كلام مالك وقده في ابن اسحاق القدر الذي ليس وراءه وراه ويرى حديثاً من رواية ابن اسحاق فيضعف الحديث لذلك قائلاً قد روى لي امام وهو مالك بان ابن اسحاق غير مرضى الرواية ولا يساوى فلما فيجب رد خبر فيه ابن اسحاق فبسبب هذا الاختلاف حصل اختلاف الائمة في التصحيح والتضعيف المتفرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواة وكل ذلك راجع الى الرواية لا الى القرابة فهو ناشئ عن اختلاف الاخبار فمن صحح أو ضعف فليس عن رأي ولا استنباط كما لا يخفى بل عمل بالرواية وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل فعرفت ان الاختلاف في ذلك ليس مداره على الرأي ولا هو من ادلة ان مسألة التصحيح وضده اجتهاد نعم وقد يأتي من له فحولة وقادة ودراية بحقائق الامور وحسن ذو وسعة اطلاع على كلام الائمة فانه يرجع الى الترجيح بين التعديل والتجريح فينظر في مثل هذه المسألة الى كلام الجارح ومخرجه فيجده كلاماً خرج مخرج الغضب الذي لا يخلو عنه البشر ولا يحفظ لسانه حال حصوله الا من عصمه الله فانه لما قال ابن اسحاق اعرضوا على علم مالك فانا يطاره فبلغ ما لكاف قال تلك

الكلمة الجافية التي لولا جلالة من قالها وما نرجوه من عفو الله من فلتات اللسان عند الغضب لكان القدرح بها فيمن قالها أقرب الى القدرح فيمن قيلت فيه فلما وجدناه خرج مخرج الغضب لم نره قادحا في ابن اسحاق فانه خرج مخرج جزاء السيئة بالسيئة على ان ابن اسحاق لم يقدح في مالك ولا في علمه غاية ما أفاد كلامه انه أعلم من مالك وانه يبطار علومه وليس في ذلك قدح على مالك : ونظرنا كلام شعبة في ابن اسحاق فقدمنا قوله لانه خرج مخرج النصيح للمسلمين ليس له حامل عليه الا ذلك وأما الجامد في ذهنه الابله في نظره فانه يقول قد تعارض هنا الجرح والتعديل فيقدم الجرح لان الجرح أولى وان كثر المعدل وهذه القاعدة لو أخذت كلية لم يبق لنا عدل الا الرسل فانه ما سلم فاضل من طاعن من ذلك لا من الخلفاء الراشدين ولا أحد من أئمة الدين كما قيل

فاسلم صديق من رافض ولا نبجا من ناصبي على

وما سلم الله من بريته ولا رسول الله فكيف انا

القاعدة ظاهرية يعمل بها فيما تعارض فيه الجرح والتعديل من المجاهيل على ان لك ان تقول كلام ما لك ليس بقادح في ابن اسحق لما علمت انه خرج مخرج الغضب لا مخرج النصيح للمسلمين فلم يعارض في ابن اسحق جرح وأعلم ان ذكرنا لابن اسحق والكلام فيه مثال وطريق يسلك منه الى نظائره واذا عرفت هذا فهو الترجيح لا يخرج ما ذكرناه عن كونه من باب قبول اخبار العدول بل هو منه انما لما تعارض الخبران عندنا في حال هذا الراوي تتبعنا حقائق الخبرين ومحل صدورهما والباعث على التكلم بهما فظهر الاعتماد على احدهما دون الآخر فهو من باب قبول الاخبار فهكذا يلزم الناظر البحث عن حقائق الاحوال وعن الباعث عن صدورهما من افواه الرجال فانه يكون كلامه بعد ذلك اقوم قليلا واحسن دليلا ووفق نظراً واجل قفراً فن عمل برواية التعديل والتزكية ومن يعمل برواية القدرح والتجريح وان كان الكل قابلين لخبار العدول عاملين بما يجب عليهم من قبول خبر المنقول فالكل مجتهدون

ولكن تخالفت الآثار وتفاوتت الانظار ومن هنا ونحوه وقع اختلاف المجتهدين في عدة مسائل من امهات الدين والكل مأجورون بالنص الثابت منهم من له اجر ومنهم من له اجران

ومن هنا علمت ان اختلاف الائمة في تصحيح خبر من امام وتضعيفه من امام آخر ناشئ عما تلقوه من اخبار العدول عن الرواة فهذا لامام لم يبلغه عن الرواة هذا الخبر الذي حكم بصحته الا العدالة والضبط فصحيح اخبارهم ولهذا تجد من يتعقب بعض الاحاديث التي صححها امام بقوله كيف تصحيحه وفيه فلان كذاب ونحو هذا ومعلوم ان من صحح هذا الحديث لم يبلغه ان في رجاله كذابا وهذا لامام بلغه من احوال رواة ذلك الخبر أو بعضهم عدم العدالة وسوء الحفظ أو انقطاع الخبر أو شذوذه حكم عليه بعدم الصحة وهذا معروف من جلة العباد وطبايعهم فمن الناس من يغلب عليه حسن الظن في الناس وتلقي اقوالهم بالصدق ومن الناس من له نباهة وفطنة وطول خبرة لاحوال الناس فلا يكتفى بالظاهر بل يفتش عن الحقائق فيقع على الحق والصواب ولذا اطبق النقاد ان ما صححه الشيخان مقدم على ما صححه غيرهما في غير ما انتقد عليهما كما يأتي عند التعارض ثم ما انفرد البخاري بتصحيحه مقدم على ما انفرد به مسلم ماذاك الا لحذاقة البخاري ونقاده ومعرفته باحوال الرواة وغيره ممن صحح يقبلون تصحيحه ويحملونه في رتبة اعلى من رتبة ما صححه البخاري (١) فهذا التفاضل نشأ من زيادة الاتقان لاحوال المحبرين الا ترى ان الشافعي رضي الله عنه مع امامته يروي عن ابن ابي يحيى ويعبر عنه بالثقة وغيره يقدحون فيه ويتجنبونه في الصحاح وذلك من الاختلاف في اخبار المحبرين عنه فالشافعي رضي الله عنه ثبت له عدالته وضبطه ويأتي فيه ما اسلفناه من انه لو عمل برواية احد الراويين لترجيح قوي عنده عضد ما يعرفه من حال الراوي جاز

(١) هكذا الامل ولعل صوابه هكذا : وغيره أي البخاري ممن صحح يقبلون تصحيحه ويحملون ما صححه البخاري في رتبة اعلا من رتبة هذا الخ

ذلك فوثقه وغيره ثبت له غير ذلك فتجنبوه والكل عائد الى اختلاف المخبرين

فصل

واذا تقرر لك ماحققناه من ان المصححين والمحسنين والمضعفين رواية
أحوال رجال الاسناد يعبرون عن ثقتهم وضبطهم واتصال مارووه وسلامته من
الشذوذ والعلّة بقولهم صحيح ويعبرون عن خلافه بضعيف : وعما بين الامرين
بحسن كما عرف ذلك من علم أصول الحديث فهم رواية مخبرون عن أحوال الرواة
للحديث فلا بد حينئذ من معرفة أحوالهم كمعرفة أحوال رجال المتن وقد اختلفوا
في ما يروونه كاختلاف رواية المتن ففهم من يصحح الحديث فيأتي من يتبع
رجال ذلك الحديث فيجد في رجاله من ليس بصفة رواية الصحيح ولذا ترى
النقاد من أئمة هذا الشأن يقولون في الاعتراض على بعض المصححين كيف يجزم
بصحته وفي روايته فلان كذاب وكذا وكذا من التي لا يصح معها تصحيح
روايته وهذا كثير جداً فيما يصححه الحاكم ويوجد قليلاً فيما يصححه الترمذي
وحينئذ فلا بد من التفطن لآحوال المخبرين بالصحة ونحوها وأنه لا بد فيهم من
النباهة وعدم التغفيل وصدق الديانة والنصيحة للمسلمين فان كان المخبر بالصحة
مثل أبي عبد الله البخاري ومسلم ومن في طبقتهم ومن خرج على كتابيها فخير
بالصحة مقبول قد تتبع أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ما صححه الشيخان
فوجدوه مبنياً على أساس صحيح وخبرة بالرواية ومعرفة واقفان وان وجد
الشيء اليسير في رجالها مما انتقده الحفاظ من بعدهما كانتقاد الحافظ أبي الحسن
الدارقطني على الشيخين فان مجموع ما انتقده عليهما من الاحاديث مائة حديث
وعشرة انفراد البخاري منها بثلاثة وسبعين حديثاً واشترك هو ومسلم في اثنين
وثلاثين حديثاً وقد أجاب عنه غيره من الحفاظ بأجوبة فيها الفث والسمين
وجملة من قدح فيه من رجال البخاري ثلثمائة وثمانية وتسعون وقد دفع الحافظ
ابن حجر مآلده به فيهم بعضه فيه تكلف وبعضه واضح لكن اذا عرفت عدة

ما اشتمل عليه الكتابان من الاحاديث الصحيحة والرجال الموثقين علمت ان صحة ما فيها الاغلب هي فالحكم له فيعمل بما فيها مالم يظن أو يعلم انه من المغلوب وذلك لان العمل بالظن والظن يحصل باخبار من غالب اخباره الصدق ولا يفت فيه تجوز انه غير صادق فيما اخبر به من الصحة مثلاً وقد صرح ائمة اصول الحديث بانه لا يترك الا من كثر خطأؤه ودهلوم ان خطأ صاحبي الصحيحين في الاخبار بالصحة قليل جداً محصور كما ذكرناه فلما أهل اصول الفقه فانهم قائلون انه لا يترك الا من كان خطأؤه اكثر من صوابه كما عرف

وبهذا التحقيق علمت مزية الصحيحين لا بما ادعاه ابن الصلاح من تلقي الامة لها بالقبول فانه قول غير مقبول قد حققنا في ثمرات النظر في علم الاثر بطلانه بما لا مزيد فيه ومثله في البطلان قول العلامة الجلال في دياجضة ضوء النهار انه يجب العمل بما حسنه او صححوه كما يجب العمل بالقرآن فانه كلام باطل قد بينا وجه بطلانه في منحة الفقار حاشية ضوء النهار مع ان دعواه اعم من دعوى ابن الصلاح نعم وان كان المخبر بالصحة مثل ابى عبد الله الحاكم فقد تكلم الناس فيما اخبر به من الصحة واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ولهم في الاحاديث التي صححها في مستدركه ثلاثة اقوال افرط وتقرير وتوسط فافترط ابو سعيد الماليني وقال ليس فيه حديث على شرط الصحيح وفترط الحافظ السيوطي فجعله مثل الصحيح وضمه اليهما في كتاب الجامع الكبير وجعل العزو اليه مهملًا بالصحة كالعزو الى الصحيحين وتوسط الحافظ ابو عبد الله الذهبي فقال فيه نحو الثلث صحيح ونحو الربع حسن وبقية ما فيه من اكسير وعجائب واذا عرفت هذا عرفت ان الاحوط الوقف في قبول خبر الحاكم بالصحة لانه صار كتابه غير غالبية عليه الصحة بل الصحيح فيه مغلوب وان كان المخبر بالصحة مثل ابى عيسى الترمذي فقد اتى عليه الائمة وقالوا في كتابه ربع مقطوع (١) وربع على شرط ابى داود والنسائي وفيه غيرها قد بين علته في كتابه

وهذا ذكرناه لك معياراً ومقياساً وتمثيلاً لاحوال رواة الصحة وانهم كرواة المتون فيهم الحجة الامام وفيهم من فيه لين و مسارعة الى الاخبار بالضعف والوضع كابن الجوزي فانه يسارع الى الحكم بالوضع في احاديث عالية الرتبة عن صحة الوضع وانتقده الأئمة قابن الجوزي والحاكم أبو عبد الله في طرفي نقيص هذا يسارع الى الاخبار بالصحة وهذا يسارع الى الاخبار بالوضع فمن هنا يتعين على الناظر ذى المهمة الدينية البحث عن احوال الأئمة كالبحت عن احوال رواة المتون ويطيل مراجعة التاريخ فانه بذلك يطلع على حقائق احوال أئمة هذا الشأن ويرى ما يوجب التوقف تارة والمضى أخرى والرد حيناً ما :

فصل

قد يصعب على من يريد درك الحقائق وتجنب المهاوى والمزالق معرفة الحق من اقوال أئمة الجرح والتعديل بعد ابتداع هذه المذاهب التي طال فيها القال والقال وفرقت كلمة المسلمين وأنشأت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم الدين وقدح بعضهم في بعض وانتهى الامر الى الطامة الكبرى العظمى من التفسير والتكفير وشب على ذلك من اهل المذاهب الصغير وشاب عليه الكبير كل هذا من آثار هذه الاعتقادات المبتدعة في الاسلام والمجانبة لما جاء به سيد الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام فترى اماما من العلماء العالمين يقدح في راو من حفاظ علوم الدين بانه كان يقول بخلق القرآن وتجد اماما آخر يقدح في راو آخر بانه كان يقول بقدم القرآن وكذلك يقدحون بامور ليست عمدة في الدين ولا يخرج المتصف بها عن زمرة المتقين ويقدحون بالقول بالقدر والاراء والنصب والتشيع ثم ترام يصححون احاديث جماعة من الرواة قد رموم بتلك القوادح الا ترى ان البخاري أخرج لجماعة رمومهم بالقدر كهشام بن عبد الله المستوثاني أخرج له البخاري وقد قال فيه محمد بن سعيد كان حجة الا أنه كان يرى القدر واخرج مالك لجماعة يرون القدر كما قاله ابن عبد البر في أنه سئل

مالك كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن يزيد وذكر له جماعة كيف رويت لهم ولقد كانوا يرون القدر قال كانوا لان ينجروا من السماء على الارض اسهل من أن يكذبوا وكم في الصحيحين من جماعة صححو احاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة.

اذا عرفت هذا فهو من صنيع أئمة الدين قد يعده الواقف عليه تناقضاً وبراه لما قرروه معارضاً ويفت عنده في عضد عظمة أئمة هذا الشأن ويظن التصحيح صادراً عن مجازفة من غير اتقان وليس الامر كذلك فإنه اذا حقق صنيع القوم وتبع طرائقهم وقواعدهم نفى عنهم اللوم وعلم انهم أجل من ذلك قديراً وأدق نظراً وأنصح لاهل الدين من جماعة الثغور المجاهدين وأنهم لا يستمدون بعد ايمان الراوي الا على صدق لهجته وضبط روايته وقد أقنأ برهان هذه الدعوى في رسالة ثمرات النظر في علم الاثر برهاناً لا يدفعه الا من ليس من الاذكياء ذوي التباهة والخطر

فصل

اذا عرفت هذا فاعلم ان هذه القوادح المذهبية والابتداعات الاعتقادية ينبغي لناظر أن لا يلتفت اليها ولا يعرج في القدح عليها قلن القول بقديم القرآن مثلاً بدعة كما ان القول بخلق بدعة وقد اختار الحافظ ابن حجر رحمه الله لنفسه وحكمه عن الجماهير غيره أن الابتداع بفسق لا يقدح به في الراوي الا أن يكون داعية وهذه مسألة قبول فساق التأويل وكفار التأويل وقد قتل في العواصم اجماع الصحابة على قبول فساق التأويل من عشر طرق ومثله في كفار التأويل من أربع طرق واذا عرفت ورأيت أئمة الجرح والتعليل يقولون فلان ثقة حجة الا أنه قدرى أو يرى الارضاء أو يقول بخلق القرآن أو نحو ذلك أخذت يقولهم ثقة وعلمت به والمزحوت قولهم قدرى ولا يقدح به في الرواية غاية ذلك أنه مبتدع ولا يضر الثقة بدعته من قبول روايته لما عرفت من كلام ابن حجر

ومن كلام مالك فان قولهم ثقة قد أفاد الاخبار بانه صدوق . وقولهم يقول بخلق القرآن مثلاً اخبار بأنّه مبتدع ولا تنفرننا بدعته في قبول خبره

ومن هنا يتضح لك اختلال رسم العدالة الذي اتفق عليه الاصوليون والفروعيون وأئمة الحديث بأنها ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وفسروا التقوى باجتناب الاعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة وقد أوضحنا اختلاله في ثمرات النظر وفي المسائل المهمة وفي منحة الفغار بما يعرف به انه رسم دارس وقول لا يعول عليه من هو لدقائق العلوم ممارس وان أطبق عليه الاكابر فكم ترك الاول والاخر وقد ناقضوه مناقضة ظاهرة بقبول فساق التأويل وكفاره والحوارج وغيرهم من أهل البدع المتكاثرة وبعد هذا فقد تقرر لك بما سقناه واتضح لك بما حققناه ان للناظر في هذه الاعصار أن يصحح ويضعف ويحسن كما فعله من قبله من الائمة الكبار فان عطا ربك لم يكن محظوراً وافضاله الممدود ليس على السابق مقصوراً وان علوم الاجتهاد في هذه الاعصار أقرب تناولاً منها فيما سلف من أزمنة الائمة النظار الا انه لا يخفى ان الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد فما كل من أحرز الفنون أجرى من قواعدها العيون ولا كل من عرف القواعد استحضرها عند ورود الحادثة التي يقتدر الى تطبيقها على الأدلة والشواهد

وما كل من قاد الجياد بسوسها ولا كل من أجرى يقال له مجري
لكن على العبد طلب المعارف والتماسها من كل عارف وسهر الجفون في
أحرار دقائق الفنون وإخلاص النية وطلب الفتح من باري البرية فالحير كله
بيده ولا ياتمس الا من عنده وكل قدرأينا وسمعنا من زكي عارف أمام يضيق
عطن بحشه عند ورود حادثة من الأحكام فيتبع أقوال الرجال تقليداً ويعود
عندها مقلداً مبتدأ كأنه ما عرف من بحار الفنون ولا عرف شيئاً من تلك الشئون
فسأل الله أن يعلمنا ما جهلناه ويذكرنا ما نسيناه وبرزقنا العمل بما علنا ويهتدنا
الى العلم بما جهلنا انه ولي كل خير واليه تعالى بالعلم والعمل القصد والسير وهو

المقصود في النهاية والابتدا وان الى ربك المنتهى * ومنه نستمد الهداية والتوفيق في كل بداية ونهاية وقد طال المقال وخرج عن مطابقة مقتضى السؤال وان لم نخرج عن مطابقة مقتضى الحال فالمقام جدير بالاطالة والاسهاب تحقيق بالزيادة على هذا الاطناب اذ الكلام في قواعد دينية ومباحث حديثة وخوض فيما هو من أساس الدين وعليه دوران فلك اجتهاد المجتهدين وكما قال

وقد أطال ثنائي طول لآبته ان البناء على التنبال تنبال

اذا عرفت ماقررناه فاعلم ان الذي سهل الاجتهاد والآن منه الصعاب الشداد هو ماقلعنا لك من سمي أئمة الدين في جميع علوم الاولين وجمعها بمد الشتات في نفائس المصنفات فلنكثر لهم الدعاء ولنحسن عليهم الثناء ولانكن من كفار النعم وأشياء النعم : وانما يعرف الفضل لاولى الفضل من هو منهم واليه أشار من قال :

اذا أفادك انسان بفائدة من العلوم فأكثر شكره أبدا

وقل فلان جزاء الله صالحة أفادنيها وخل اللؤم والحسد

وبهذا يبطل تشيع الجصاى بأن من خالف الاوائل في بعض المسائل قد ادعى الترفع عليهم وقال انه أعلم منهم وهذا خيال باطل وسوء ظن حاصل وإلا لزم ان التابعين قد ادعوا الفضل على السابقين الاولين من الانصار والمهاجرين وان الائمة المتأخرين قد ادعوا ان لهم الفضل على المتقدمين وهيئات مازال الفضل للمتقدم معروفاً ومابرح السابق بالترفضيل موصوفاً :

ولو قبل بكها بكيت صباية بسعدى شفيت النفس بعدالتندم

ولكن بكت قبل فهيجلى البكا بكها فقلت الفضل للمتقدم

ثم اعلم ان هنا زيادة افادة لطالب الرشاد الحقنها بارشاد النقاد وهو انه قد ظهر لك بما قررناه سهولة الاجتهاد وتيسره لاهل الهمة الامجاد فلنذكر شرائطه وكيفية تحصيله لاهل الدكاء من العباد فنقول قال الامام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير صاحب كتاب العوامم والقوامم في الطب عن سنة ابي القاسم

في كتاب القواعد ما لفظه اعلم انه قد كثر استعظام الناس في هذا الزمان الاجتهاد واستبعادهم له حتى صار كالمستحيل فيما بينهم وما كان السلف يشدون هذا التشديد العظيم وليس هو بالهين ولكنه قريب مع الاجتهاد أي في تحصيله وصحة الدوق والسلامة من آفة البلادة ثم ذكر خمسة شروط بعد ان ابطال شرطية معرفته علم الكلام وانه علم مبتدع لم يعد في عصر النبوة ولا عهد الصحابة ثم عد خمسة ولم يرتبها كما نسوقه

الاول معرفة علم العربية قال ويكفي فيه قراءة كتاب مثل مقدمة الشيخ ابن الحاجب قراءة فهم واقتان وهذا على الاحتياط لاعلى الايجاب وذلك لان في العربية مالا بد من معرفته وفيها مالا يحتاج الى معرفته مثال مالا يحتاج الى معرفته كلامهم في عامل المستثنى ما هو ولم ارتفع الفاعل وانتصب المفعول ونحو ذلك مما لم يعرفه العرب بل قد نقل عن ابي الحسين البصري انه قال ليس الشرط بعد معرفة الكتاب والسنة الا اصول الفقه وان اهل اصول الفقه قد نقلوا عن العربية والمعاني والبيان ما يحتاج اليه المجتهد انتهى كلام ابي الحسين

الشرط الثاني معرفة اصول الفقه وهو رأسها وعمودها بل اصلها واساسها بل سمعت عن ابي الحسين البصري صاحب كتاب المعتمد في اصول الفقه انه لا يشترط سواه بعد معرفة الكتاب والسنة

الشرط الثالث معرفة علم المعاني والبيان وقد اختلف فيه هل هو شرط أم لا قال السيد محمد والحق ان فيه ما هو شرط في بعض المسائل كالعربية وفيه ما ليس بشرط البتة وقد نقل اهل الاصول اكثر ما يحتاج اليه وقد تختلف عبارتهم والمعنى واحد

الشرط الرابع معرفة الآيات القرآنية الشرعية وقد قيل انها خمسمائة آية وما صح ذلك وانما هي مائتا آية أو قريب من ذلك ولا اعرف احداً من العلماء أوجب حفظها غيباً بل شرطوا ان يعرف مواضعها حتى يتمكن عند الحاجة من الرجوع اليها فمن نقلها الى كراسته وافردها كفاه ذلك

الخامس معرفه جملة من الاخبار النبوية ويكفي فيها معرفة كتاب جامع مثل الترمذى وسنن ابى داود والبخارى ومسلم وفيها ما لا يجب معرفته على مجتهد لانها جامعة لاجبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وبعوثة ولما ورد من تفسير القرآن الكريم من كلامه ولذكر الرقائق والجنة والنار واحوال القيامة والفن والاداب والفضائل وقصص الانبياء المتقدمين وغير ذلك مما لا يحتاج اليه المجتهد: والذي يدل على ان جملة من الاخبار تكفيه ولا يجب الاحاطة بها ان الصحابة قد صح اجتهادهم في احكامهم ولم يحيطوا بها علما وكذلك التابعون وائمة الاسلام ولم يعلم ان احدا احاط بها ولذا قال الشافعى رضى الله عنه علما لا يحيط بهما احد الحديث والفة وهذا صحيح وهو قول الجماهير والخلاف فيه شاذ قال والاولى من مرید الاجتهاد ان يعرف كتابا من كتب الاحكام التى اقتصر اهلها على ذكر احاديث التحليل والتحريم وجمعوا جميع ما فى الكتب الصحاح من ذلك وينبوا الصحيح من السقيم وعد كتباً من ذلك ثم قال وانفعا كتاب تلخيص المختصر للحافظ ابن حجر فلا شك في كفايته للمجتهد وزيادة الكفاية انتهى كلامه رحمه الله: ويأتيك قريبا من اقوال الائمة الاربعين وغيرهم ما ينادى على انهم لم يحيطوا بالاحاديث النبوية وانهم صرحوا بان قولهم اذا خالف الحديث ردنا قولهم وعلمنا بالحديث قلت وقد منع ائمة الدين معارضة سنة سيد المرسلين باقوال غيره من الائمة المجتهدين اولهم خير الامة وبمرم الكتاب والسنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه فانه روى الامش عن فضل ابن عمرو عن سعيد بن جبير قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى ابو بكر وعمر عن التمة قال ابن عباس ارام سيملكون: اقول قل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال ابو بكر وعمر رضى الله عنهما: وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ايوب قال عروة لابن عباس رضى الله عنهما الا تتق الله ترخص في التمة فقال ابن عباس سئل أمك يا عروة فقال عروة أما ابو بكر وعمر فلم يفعلوا قال ابن عباس رضى الله عنه ما والله لراكم متبين حتى

يعذبكم الله أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن أبي بكر وعمر: وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة أن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالعمرة في هؤلاء الأشهر وليس فيها عمرة فقال لا نسأل أمك عن ذلك فقال عروة أن أبا بكر وعمر لم يفعل ذلك قال الرجل من هنا هلككم ما أرى الله إلا يعذبكم أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبروني بأبي بكر وعمر: ومراد ابن عباس أن عروة بن الزبير يسأل أمه أسماء بنت أبي بكر فإنها شهدت حجة الوداع وولدت في سفرها محل الاستدلال قول ابن عباس لا تقدم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام أحد من الناس كالتنا من كان وناهيك بالشيخين رضى الله عنهما فإنه لو جاز تقدم كلام أحد على سنته صلى الله عليه وسلم لكان أحق الناس بذلك كلام صاحبه رضى الله عنهما وليس كلامنا في المتعة اثباتاً ولا نفياً فالكلام على ذلك في غير هذا الموضع إنما مرادنا ما ذكرنا وأخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سألهما عن متعة الحج هل حلال فقال له الرجل إن أباك قد نهى عنها فقال أرايت أن كان أبى نهى عنها صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبى أتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي صحيح مسلم أن ابن عمر لما حدث أنه صلى الله عليه وسلم أمرنا بالأذن للنساء في الخروج إلى المساجد قال بعض أولاده والله لا نأذن لمن وعلل كلامه بما يخشى من النساء إذا خرجن فاقسم ابن عمر أن لا يكلمه: ولما روى أبو هريرة حديث أنه لا يدخل أحدكم يده في الأناء إذا استيقظ حتى يفسلها ثلاثاً قال له قائل فكيف تصنع بالمهراس فقال لا تضربوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال: وأخرج الترمذى أنه قال أبو السائب كنا عند وكيع فقال رجل قد رى وعن إبراهيم النخعي أن الأشعار مثله قال فرأيت وكيعاً غضباً شديداً وقال أقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول قال إبراهيم ما أحقك بأن تحبس نم لا تخرج حتى تنزع عن قوئك: هذا ولو تتبعنا أقوال الصحابة والتابعين

لطال المقال واتسع نطاق الاقوال على انه معلوم من آرائهم انهم لا يقدمون على سنته صلى الله عليه وسلم قول احد من الرجال كيف وهذا عمر رضى الله عنه لما اراد ابو بكر رضى الله عنه قتال مانعي الزكاة لم يساعده اولا على ذلك واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاستدل عليه ابو بكر بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحقها يريد والزكاة من حقها فانشرح صدر عمر لما أمر به ابو بكر من قتال مانعي الزكاة فلم يقبل عمر قول ابي بكر حتى أقام الدليل من السنة

وأما الائمة الاربعة فان كلا منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم * أما أبو حنيفة رحمه الله فانه قال الشيخ العلامة محمد حياة السندي نزيل طيبة رحمه الله في رسالته المسماة تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام مالفظة في روضة العلماء في فضل الصحابة : سئل أبو حنيفة اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال أتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقليل له اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة رضى الله عنهم وقال انه روى له البيهقي في المدخل باسناد صحيح الى عبد الله بن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس واذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمتهم انتهى

وأما الشافعي رحمه الله فقال الشيخ محمد بن حياة روى البيهقي في السنن عند الكلام على القراءة بسنده قال الشافعي اذا قلت قولاً وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدوني ونقل امام الحرمين في نهايته عن الشافعي اذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا انه مذهبي وقال مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كشل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهولا يدري ذكره البيهقي أيضاً

وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فقال أبو دارود قلت لأحمد الأوزاعي هو أتبع أم مالك كأنه يريد أكثر أتباعاً من مالك فقال لا تقلدني دينك أحد أمن هؤلاء. ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخبر وقال أحمد أيضاً لا تقلدني ولا تقلد مالك ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث احدثوا وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال (١) * وقال الشافعي أجمع الناس على ان من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وقال اذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا قولي بالمخاطب واعملوا بحديث الضابط نقل هذا الشيخ محمد بن حياء في رسالته التي تقدم ذكرها وعند ما صح لنا هذا عن هؤلاء الائمة جزاهم الله أفضل الجزاء عن الائمة قلنا في آيات

علام جعلتم ايها الناس ديننا
 هم علماء الدين شرقاً ومغرباً ونور عيون الفضل والحق والزهد
 ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلاً ولا تقليد في غد يجدي
 ولا زعموا حاشام أن قولهم دليل فيستهدى به كل من يهدي
 بلى صرحوا انا نقابل قولهم اذا خالف المنصوص بالقدح والرد
 وهذه نصوصهم رضى الله عنهم كما سمعته وأقوال ائمة العلم في هذه كثيرة
 جدا على انه معلوم من صفات العالم انه لا يرتضي ان يقدم على قول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بعد صحته أو حسنة قول نفسه ولا قول غيره والا لم يكن
 عالماً متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت واذا عرفت تصريح الائمة بانه
 اذا صح الحديث بخلاف ما قاله فانه لا يقلد أحد في قولهم المخالف للحديث
 عرفت ان الأخذ بقولهم مع مخالفة الحديث غير مقلد لهم لان التقليد حقيقة هو
 الأخذ بقول الغير من غير حجة وهذا القول الذي خالف الحديث ليس قولاً

(١) قال ابن القيم ولاجل هذا لم يؤلف الامام أحمد كتاباً في الفقه وانما دون اصحابه
 مذهبه من اقواله وافعاله وأجوبته وغير ذلك

لهم لانهم صرحوا بانهم لا يتبعون فيما خالف الحديث وان قولهم هو الحديث
وقد كثرت جنائات المقلدين على انتمهم في تعصبهم لهم فن تبين له شئ من
ذلك أى من الاحاديث النبوية فلا يعذر في التقليد فان ابا حنيفة و ابا يوسف
قالا لا يحمل لاحد من أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه وان كان الرجل
متبعاً لاحد الائمة الاربعة ورأى في بعض المسائل أن قول غيره أقوى منه
فاتبعه كان قد احسن في ذلك ولا يقدح ذلك في عدالته ولا دينه بلا نزاع
وهذا اولى بالحق واحب الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فن تعصب لواحد
معين غير الرسول صلى الله عليه وسلم ويرى ان قوله هو الصواب الذي يجب
اتباعه دون الائمة الآخرين فهو ضال جاهل بل قد يكون كافراً يستتاب فان
تاب والا قتل فانه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع واحد معين من هؤلاء
الائمة رضى الله عنهم دون الآخرين قد جعله بمنزلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك كفر انتهى نقله الشيخ محمد حياة رحمه الله قلت وقوله من هؤلاء
الاربعة بيان لواقع اذم في نظره المتبعون والا قال بالاطلاق من غير تقييد
بالاربعة ثم من هنا يعرف بطلان قولهم وبعد الالتزام يحرم الانتقال الا الى
ترجيح نفسه قانا نقول بل يحرم الالتزام اذ معناه تقليد معين من العلماء وعدم
الرجوع الى تقليد غيره قانا نقول هذا الالتزام للمعين هل كان ايثار التزام
للقلة لمذهب من بين مذاهب العلماء عن نظر واجتهاد قضى له ارجحية مذهبه
على غيره التزاماً أو كان عن غير نظر بل تقليداً في تعين التزام مذهبه ان كان
لاول فدل على انه مجتهد عارف بالنظر في الادلة راجحها و مرجوحها وهذا
لا يحمل له التقليد فضلاً عن الالتزام وان كان الثاني وان تبعه سهواً وخطأ فلا
اعتبار بالتزامه فان شهرته ليس بدليل وما احسن قول ابن الجوزي في تليس
ابليس اعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلده وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه
خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن اعطى شمعة ان يطفئها ويمشى في الظلمة انتهى

فان قلت القائلون بجواز التقليد طائفة من العلماء ولهم أدلة على جوازه قلت القائلون بتحريمه طائفة أيضاً من الامة ولهم أدلة على ذلك ولا يهولك القائلون وكثرهم من الفريقين بل ارجع الى الأدلة فهي معيار الحق من الباطل وبها تبين الحال جيه من العاقل واقدم لك مقدمة نافعة قبل سرد الأدلة من الجانبين وهو ان لا شك ان لنا اصلاً متفقاً عليه وهو انه لا يثبت حكم من الاحكام الا بدليل يشرع علماء أو امارة تشرعنا وهذا امر متفق عليه بين العلماء قاطبة بل بين كافة العقلاء من أهل الايمان ومن أهل سائر الملل والاديان وان هذا عام لاحكام الدنيا والدين شامل للموحدين والملحدين فانه مغرور في العقول انه لا يقدم أحد على فعل من الافعال أو ترك من التروك الا بعد اعتقاده عن علم أو ظن ان هذا الفعل ترك أو فعل لما يترتب عليه فائدة دينية أو دنيوية من جلب نفع أو دفع ضرر وهذا الاعتقاد ملزوم بعلم أو ظن عن دليل وامارة: وقال ملا على قاري رحمه الله تعالى وان اشتهر بين الخنفية ان الخنفي اذا انتقل الى مذهب الشافعي يعزز واذا كان بالعكس فانه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع وقال ملا على قاري في رسالته في اشارة المسبحة وقد اغرب الكيداني حيث قال والعاشر من الحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث أي مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا منه خطأ عظيم وجرم جسيم منشؤه الجهل بقواعد الاصول ومراتب الفروع من المنقول ولولا حسن الظن به وتأويل كلامه حينئذ لكان كفره صريحاً وارتياده صحيحاً فهل لمؤمن أن يحرم ما ثبت فعله عنه صلى الله عليه وسلم مما كاد نقله أن يكون متواتراً ويمنع ما عليه عامة العلماء كائناً عن كابر مكابر^(١) فكل عاقل لا يقدم على فعل أو

(١) الى هنا هو من كلام ملا على القاري وتمامه كما هو في غير موضع : والحال ان الامام الاعظم والهام قال لايجل لاحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلي في المسألة فاذا عرفت هذا فاعلم انه لو لم يكن نص للامام على المرام لكان من المتعين على أتباعه من العلماء الكرام فضلاً عن العوام أن يعملوا بما صح عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وكذا لو صح عن الامام قرصاً بقي الاشارة وصح اتباعها عن

يُحْجَم عنه الا لا اعتقاده نفعاً أو دفعاً والاعتقاد لا يكون الا عن علم أو ظن والعلم لا يكون الا عن دليل والظن لا يكون الا عن أمانة ثم ان العقول مجبولة على أن لا تقبل قولاً من الاقوال الا لظن صدقه أو العلم به ولا ترده الا لظن كذبه أو العلم بكذبه وظنها صدق القول أو كذبه أو علمها بهما يتوقفان على الدليل والامارة واذا تقرر هذا فالعقلاء قاطبة وأهل الملل والنحل المختلفة متفقون على انه لا يجب تصديق أحد واتباع قوله حتى يأتي يبرهان على ما قاله من دعواه أو اخباره عن أي أمر * ألا ترى ان موسى عليه السلام لما قال لفرعون (اني رسول من رب العالمين) ^(١) الى قوله (قد جاءتكم بيينة) ^(٢) الى قول فرعون (فأنت بها ان كنت من الصادقين) ^(٣) وفي سياق قصصه في القرآن كلها نحو هذا وقال صالح (قد جئكم بيينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) بعد قولهم (فأنت بآية إن كنت من الصادقين) ^(٤) وسائر قصص الانبياء كذلك * وأما قوم هود (ما جئتنا بيينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) ^(٥) فمن تمنعهم في كفرهم وجعلهم البيئة غير بيينة واذا عرفت هذا عرفت ان كل عاقل لا يقبل قول قائل مدعياً ومخبراً ولا يصدقه حتى يقيم البيئة على ما قاله فان هذا فرعون مع غلوه في كفره وكبريائه طلب من موسى البيئة على دعواه انه رسول من رب العالمين ولم يقابله بالرد لدعواه بصد واعراض عن ما قاله وادعاه ولم يقل له صدقت ولا كذبت بل طلب

١ - الاعراف ١٠٤ - ١٠٦

٢ - الاعراف ٧٣

٣ - الشعراء ١٥٤

٤ - هود ٥٣

صاحب البشارة فلا شك في ترجيح التثبت المستند اليه صلى الله عليه وآله وسلم وكيف وقد وجد قوله المريح عما ثبت بالاستناد الصحيح فمن أنصف ولم يتصف عرف ان هذا سبيل اهل التدين من السلف والخلف ومن عدل عن ذلك فهو هالك يوصف بالجاهل المماند المكابر ولو كان عند الناس من الاكابر : انه أقول وردت الاشارة بلباية في الصلاة من حديث واثل بن حجر عند أبي داود والنسائي والامام احمد بن حنبل وابن خزيمة والبيهقي : قال اصحاب الشافعي تكون الاشارة بلاصبع عند قوله الا الله من الشهادة : قال النووي والسنة أن لا يجاوز بصره لشارته : وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود « ويشتر بها موجهة الى القبلة » ونووي بالاشارة التوحيد والاخلاص : قال ابن رسلان والحسكة في الاشارة بها الى ان المعبود سبحانه وتعالى واحد ليجمع في توحيد بين القول والفعل والاعتقاد : وروي عن ابن عباس في الاشارة انه قال هي الاخلاص : وقال مجاهد مقصدة للشيطان : والله أعلم .

منه البرهان كقوم صالح وكل أهل ملة من الملل الكفرية تطالب برسولها بالبيئة على دعواه النبوة والرسالة جميعاً لانتكراه عليهم طلبها بل منهم من يعرف دعواه بأن عنده البرهان عليها قبل أن يطالبوه به * ألا ترى أن موسى عليه السلام قال لفرعون في بعض محاورته (حقيق أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم بيينة من ربكم^(١)) الآية وإذا أقام النبي عليه السلام البيئة على دعوى النبوة فمن قومه من يصدقه وينقاد له كما كن من سحرة فرعون فلهم لما شاهدوا تلقف عصاه لما أتوا به من سحر عظيم كما وصفه الله (وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) ونعادي فرعون ومن تبعه على كفرهم وتكذيبهم بصدقه وعلم من بقي معه على كفره بصدق موسى كما قال تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) فأخبر الصادق في أخباره المطلق على إظهار القلب وأسراره بأنهم جحدوا بآياته المبصرة وأنفسهم بها متيقنة وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض^(٢)) واعلم أن سر هذه الأخبار منه تعالى بأنهم جحدوا بها عن يقين أن الله تعالى كما جبل العقول على أن لا تقبل دعوى ولا تصدق خبراً إلا عن بيئة تقام عليها كذلك جبلها على قبولها وانقيادها وإذاعتها لقبول القول إذا أقيمت البيئة عليه والبرهان وتصديقها للدعوى والخبر في أي شأن كما جعل الشيع عند الكل قن لم يقبل بعد أقامته فليس إلا مكابرة وظلماً وعلواً وعدواناً ولوبسطن الاستدلال لطال المقال إلا أن المسئلة معلومة بالضرورة عند العقلاء مبسوطة في دواوين الإسلام فلا حاجة إلى الإطالة ويدل لذلك (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا^(٣)) وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (إن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير^(٤)) ومعلوم أنه تعالى لم يبعث الرسل إلا لتقوم الحجة على العباد ولا تقوم إلا ببرهان ينقاد إليه عقول من أرسل إليهم والا لم يكن ذلك برهاناً في حقهم والمفروض أنه برهان فمن أنكره وجحد به فلا يجحد به إلا عناداً وجهلاً ومكابرة ولذلك أنه تعالى بعد إرساله وأنابهم

١ - الأعراف ١٠٥

٢ - الأعراف ١٢٠ - ١٢٢

٣ - النمل ١٤

٤ - الإسراء ١٠٢

٥ - الإسراء ١٥

٦ - النساء ١٦٥

٧ - الثلاثة ١٩

للألم بالبراهين على صدقهم وهي المعجزات يهلك من لم يتبعهم ويرسل عليهم
المصائب السماوية والارضية كما قال تعالى (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته
الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون)^(١) فصرح بأنه تعالى لم يظلمهم باهلاكم بأنواع العقوبات لانه
قد أقام عليهم براهين خفية رسله وعلموا صدقهم ولكنهم عاندوا وجحدوا بآياته
ورسله وقد كانت قريش تعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أتى به من البينات ولكنهم جحدوا بآياته وتعتوا في طلب معجزات اقترحوها
باهوائهم (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) فهذا تعت وتشد في
الكفر مع ان لو جاءهم بكتاب من السماء زادوا طغياناً كما قال تعالى (ولو
نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر
ميمين)^(٢) فاقترحوا ما تراه من أهواءهم وعنادهم وجهلهم ولا يجب على الرسل
الا الاتيان بالبرهان الدال على صدقهم من المعجزات التي يعجز عنها قدمهم
وقوامهم لانه يجب عليهم ان يأتوا بمعجزة يقترحونها بتعتهم ولو اتوا بها لتعتوا
ثانية وثالثة بل لو ادخلوا النار وردوا لعادوا لما نهوا عنه ولذا قال تعالى (ولو
اتبع الحق أهوائكم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)^(٣) بل حكى الله عن
عنادهم فقال (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما
سكّرت ابصارنا بل نحن مسحورون)^(٤) فليس على رسول الله بعد دعوائهم
الرسالة الا اقامة البرهان على صدقهم كما حكى الله تعالى في كتابه عن كل نبي
مع امة ورسوله مع قومه ولو تأمل الناظرون والمناظرون تأدييات القرآن وكيفية
اقامة البرهان الذي هو في غاية البيان لاستغنوا به عن تاليف اليونان وتعلم اداب
البحث لفلان ولفلان والمقصود ان من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اقامة

١ - العنكبوت ٤٠ .

٢ - الاسراء ٩٠ - ٩٣ .

٣ - الأنعام ٧ .

٤ - المؤمنون ٧١ .

٥ - الحجر ١٤ - ١٥ .

البرهان زادم هدى وآ تام تقوام ومن عانده وكابره وجحد ما انى الله به عاقبه الله بتقليب فؤاده وبصره كما قال تعالى (وتقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة)^(١) وكما قال تعالى (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت منة الاولين)^(٢) أي سلكتنا الذكر ادخلناه في قلوب المجرمين الذين قد اجرموا بتكذيب ما عملوه حقاً من النبوة والكتاب أي ادخلناه مكذباً به مستهزئاً به: وقوله لا يؤمنون به» بيان لذلك أو حال وهو اخبار انه عاقبهم بتكذيبهم الذكر فجعلهم مجرمين لانها قامت عليهم حجة الله ورسوله فكذبوها بغيا وحسداً وعدواناً فعاقبهم الله بأن لا يهتدوا للايمان بعد ذلك ولا يزيدم آياته الا طغياناً كبيراً — كما قال تعالى في القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي)^(٣) ومراده بالذين لا يؤمنون هم من أنكر وجحد وكابر الرسول صلى الله عليه فيما أتى به في أول دعواه من البرهان * فالغنى والذين لا يصدقون بما يجب عليهم تصديقه * وكما قال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً)^(٤) فالظالمون هم الذين ردوا آيات الرسل بعد علمهم بصدقها فعوقبوا بأن لا يهتدوا بكلام الله الذي هو شفاء ورحمة ولا يزدادون الا خساراً بخلاف من قبل ماجأت به الرسل أول مرة زادم الله هدى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً)^(٥) فهو لاء لما قابلو ابراهيم الرسل بالقبول والتصديق لهم والاذعان زادتهم آياته ايماناً وأولئك لما قابلوها بالجحود والتكذيب والكابرة والمصيان زادتهم آيات الله خساراً: هذا ومقصودنا انما هو بيان ان الاصل الاصيل والاساس الذى يبنى عليه التأصيل انه لا يقبل كلام أحد من دعوى يدعيها . أو قصة يرويها إلا بافاضة الدليل على دعواه والبرهان على صدق ما رواه فاذا قام البرهان وبينه بما تقبله العقول والاذهان وجب قبول قوله وتصديق منقوله

واذا عرفت هذا الاصل الجليل عرفت ان المقلد قبل قول من قلده من غير

١ - الأنعام ١١٠

٢ - الحجر ١١ - ١٣

٣ - فصلت ٤٤

٤ - الاسراء ٨٢

٥ - الأنفال ٢

أمانة ولا دليل فإن حقيقة التقليد قبول قول الغير من دون حجة: مثاله أن يقول لك العالم مثلاً المنى طاهر ويقول لك عالم آخر بل هو نجس فإن قبلت قوله فهذا قول صدر من العالم ولم يأت لك بدليل عليه • وما قبولك لقول من قال انه نجس بأولى من قبولك لمن قال انه طاهر لأن القائلين عالمان وكلاهما قال لك قولاً لازماً ما لم يتبين لك دليله وكون القائل بأنه طاهر من ديار الشافعية وعلماهم لا يصير أحد القولين أرجح من الآخر عقلاً وشرعاً فإن الديار والانتساب والاعتزاء إلى أي عالم من علماء الأمة لا يصير به أحد القائلين محققاً والآخر مبطلاً: ضرورة عقلية وشرعية أن المواطن لا اثر لها في ترجيح الدين وان الانتساب والاعتزاء إلى أي عالم من علماء الأمة لا يصير كلام من انتسب إليه حقاً وكلام من لم ينسب إليه باطلاً

فإن قلت العالم إنما روي له معنى الأحاديث النبوية فالقائل انه نجس روى لنا معنى الأحاديث الواردة بغسله والقائل بأنه طاهر روى لي معنى الأحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه • وقبول رواية الاخبار النبوية قد قام الدليل عليه واتفق الناس عليه وإن اختلفوا في قدر نصاب ما يجب قبوله من الواحد أو الاثنين أو الأربعة

قلت نعم نحن قائلون بقيام الدليل على قبول خبر الآحاد بشروطه وأنه تجوز الرواية بالمعنى ولكنك واهم في جعل قول العالم رواية لك بالمعنى فإن القائل لك انه نجس إنما أخبرك بالذي رجح عنده والقائل انه طاهر إنما أخبرك بالذي رجح عنده إذ كل من العالمين قد عرف تعارض الأدلة في المسألة ورجح عنده نظره أحد الحكمين والآخر رجح عنده خلافه فهما يخبرانك عن رأيهما إذ الترجيح رأي محض يحصل لكل واحد من تعارض الأدلة وكل منهما يجب عليه اتباع ما رجح له ولا يجب على غيره أن يتبعه في رأيه لا المجتهد ولا المقلد • أما الأول فبالاجماع وأما الثاني فمحل النزاع فإنا الآن في البحث في جواز التقليد للعالم في قوله من غير ذكره لدليله

فان قلت قد قام الدليل على جواز التقليد قلت لمن قام هل للمقلد فالفرض انه مقلد لا يعرف الادلة ولا كيفية تطبيقها على المدعى ولا شرائط الاستنباط اذ لو كان كذلك لما كان مقلداً وهو خلاف المفروض أو قام دليل جواز التقليد للمجتهد فلا ينفع المقلد قيامه لغيره

فان قلت قام للمجتهد وقلة فيه المقلد قلت يمنع ذلك اتفاقهم ان مسألة جواز التقليد من مسائل الاصول ولا يجوز التقليد فيها وذلك لان المطلوب فيها العلم ولا يحصل الا بالدليل ولا يعرف الدليل الا المجتهد فان قلت لانسلم انه لا بد في مسائل الاصول من أن يكون عن علم ولا يجوز أن يكون عن ظن قلت ان سلم هذا فالظن بالحكم الشرعي لا يكون الا عن أمانة شرعية ولا يعرفها الا المجتهد

فان قلت اذا أمليت أدلة جواز الاجتهاد على المقلد فهم المراد منها وعرفه واستند اليها وكان من املاها راوياً له قلت فانك اذا أمليت عليه قوله تعالى (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون)^(١) فهم ان هذا أمر منه تعالى بسؤال أهل العلم عما لا يعلمه واخذ هذا الحكم من الآية فان هذا القدر يفهمه منها كل من له أهلية الفهم ولا يحتاج الى نحو ولا أصول ولا معاني ولا بيان ولا غيرها وصار مجتهداً في وجوب سؤال أهل العلم عما لا يعلم لان المفهوم عرفاً من الاوامر هو الوجوب * ومعلوم عقلاً ان الله تعالى اذا أمر بسؤالهم انه قد أخذ بقبول قولهم والا لم يكن الامر بسؤالهم فائدة قلت اذا قلتم تكلفه هذا في الاجتهاد فما أحسن هذا المراد وهذا هو ما اراده من يقول بوجوب الاجتهاد على جميع الافراد مما له أهلية في فهم ما يراد وأحد الوجوه في الآية ان المراد فاستردوهم الآيات والاحاديث ان كنتم لاتعلمون فالآية أمر سؤلهم عن الآيات والاحاديث والآية الى هذا المعنى اقرب لانه تعالى علق عدم علمهم بالبينات والزبر فالأظهر اسألهم عن البينات والزبر التي لاتعلمونها لاتسألهم عن آرائهم وما ترجح لهم حتى تكون الآية دليلاً على جواز التقليد * واذا فهم المقلد من

هذه الآية هذا المعنى فأى مانع ان يفهم من غيرها ما يعمل به في غيرها من الاحكام ويجتهد

واعلم انه ليس مع المانعين لذلك الا مجرد الاستبعاد واستعظام من وارته اللعود من العلماء الامجاد وانه لا يكون الا لهم الاجتهاد وليس للمتأخرين الا جعل أقوال القداما لادهانهم كالاصفاد لا يخرجون عنها وان ناطحت علومهم الافلاك وجاوزت معارفهم أهل الكمال والادراك وما أرى هذا والله الا من كفران النعمة وجحود المنة فان الله سبحانه كمل عقول العباد ورزقهم فهم كلامه وما اراد * وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ تعالى كتابه وسنة رسوله الى يوم التناد بأن كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لا يحتاج في معناها الى علم النحو والى علم الاصول بل في الافهام والطباع والعقول ماسارع به الى معرفة المراد منها عند قرعها الاسماع من دون نظر الى شيء من تلك القواعد الاصولية والاصول النحوية فان من قرع سمعه قوله تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله)^(١) يفهم معناه من دون أن يعرف ان ما كلمة شرط وتقدموا مجزوم بها لانه شرطها وتجدوه مجزوم بها لانه جزاؤه ومثلها (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً)^(٢) ومثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)^(٣) يفهم من الكل ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية ودقائق القواعد الاصولية ولذا ترى العامة يستفتون العالم ويفهمون كلامه وجوابه وهو كلام غير معرب في الاغلب بل تراهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويكون لقوارعه وما حواه ولا يعرفون اعراباً ولا غيره مما سقناه بل ربما كان موقع ما يسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد وهؤلاء العامة يحضرون الخطب في الجمع والاعياد ويدوقون الوعظ ويفهمونه ويفتت منهم الاكباد وتدفع منهم العيون ويدركون من ذلك ما لا يدركه العلماء المحققون ويسمعون احاديث

١ - البقرة ١١٠

للزمل ٢٠

٢ - آل عمران ٣٠

٣ - النحل ٩٠

الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب وأنت تراه يقرؤون كتباً مؤلفة من الفروع الفقهية كالازهار للهدوية والمنهاج للشافعية والكبير للخفعية ومختصر خليل للمالكية ويفهمون مافيا ويعرفون معانيها ويعتمدون عليها ويرجعون في الفتوى والخصومات اليها فليت شعري ما الذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها والاعراض عن استخراج مافيا حتى جعلت معانيها كالمقصورات في الخيام قد ضربت دونها السجوف ولم يبق لتسا اليها الا ترديد الفاظها والحروف وان استنباط معانيها قد صار حجباً محجوراً وحرماً محرمّاً محصوراً

وقال بعض العلماء المتأخرين في شرح بلوغ المرام في شرح حديث « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ما قلته : انه اشتغل بالحديث عن اشتراط أن يكون الحاكم مجتهداً قال وهو المتمكن من أخذ الاحكام من الادلة الشرعية قال ولكنه يعز وجوده بل كاد يعدم بالكلية ومع تعذره فمن شرطه أى الحاكم أن يكون مقلداً مجتهداً في مذهب إمامه ومن شرطه أن يحقق أصول إمامه وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لا يجده منصوصاً في مذهب إمامه انتهى

وقد نقلناه في شرحنا سبل السلام وتعقبناه بقولنا : قلت ولا يخفى ما في هذا الكلام من البطالان وان تتابع عليه الاعيان وما أرى هذه الدعوى التي تطابق عليها الانظار الا من كفران نعمة الله عليهم قاتهم أغنى المدعين لهذه الدعوى وهي دعوى عزة وجود المجتهدين في الاحكام بالكلية : أو كيدودة عدمه مجتهدون يعرف أحدهم من القواعد التي يمكن بها الاستنباط واستخراج الاحكام الشرعية من الادلة النبوية ما لم يكن قد عرفه عتاب بن أسيد قاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ولا ابو موسى الاشعري قاضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن ولا معاذ بن جبل قاضيه فيها وعامله عليها ولا شريح قاضي عمر وعلى رضي الله عنهم في الكوفة شيئاً من هذه الشرائط التي أقادها قول ذلك الشارح

ومن المعلوم يقيناً ان كلام الله وكلام رسوله أقرب الى الافهام وأدنى الى
اصابة بلوغ المرام فانه أبلغ الكلام بالاجماع وأعذب في الافواء والاسماع وأقربه
الى الفهم والانتفاع ولا ينكر هذا الا جلود الطباع ومن لاحظ له في النفع
والانتفاع * والافهام التي فهم بها الصحابة الكلام الالهي والخطاب النبوي هي
كافهاًنا واحلامهم كاحلامنا اذ لو كانت الافهام متفاوتة متفاوتاً يسقط معه فهم
العبارات الالهية والا حاديث النبوية لما كنا مكلفين ولا مأمورين ولا متتهين
لا اجتهداً ولا تقليداً * أما الاول فلا حاته * وأما الثاني فلا لنا لا نقلد حتى نفهم
جوازه وأدله ولا يفهم ذلك الا من ادلة الكتاب والسنة وقد تعذر ذلك كما
قنم وقد سبق بسط هذا * على انا لا نلشرط في هذا ماسلف من الشرائط في
المجتهد التي ذكرناها عن مؤلف العواصم والقواصم انما نقول انه يستروى عن
المالم الآية والحديث في الحكم الذي يتعلق به في الحالة الراهنة ثم يعمل به بعد
فهمه انما يشترط ان تؤخذ الرواية عن من يوثق بصدقه ودينه وورعه وشهرته
بالعلم النافع من الكتاب والسنة وألا يسأله عن مذهب فلان ولا فلان * كيف
وفي كتب الاصول نقل الاجماع على تحريم تقليد الاموات ولقد عظمت جنايات

المقلدين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أئمة مذاهبيهم الذين تبرؤا عن إثبات مقال لهم يخالف نصاً نبوياً فإنها إذا وردت بخلاف ما قرره من قلده حرفوها عن مواضعها وحلوا على غير ما اراده صلى الله عليه وسلم كما قال بعض المعتزلة في حديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمي» وقد اعتقد ذلك المعتزلي انه لا شفاعاة للعصاة فقال مراده صلى الله عليه وسلم بأهل الكبائر المؤمنون أهل الصلاة لان الصلاة كبيرة قال الله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) فانظر رأى تحريف أعجب من هذا الذي قاده اليه مذهبه واعتقاده ان لا شفاعاة لأهل الكبائر وكونه تحريفا لا يحتاج الى دليل: ومثل قول بعض من اعتقد ندب صوم يوم الشك لانه مذهب امامه في حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » انه مراده بابي القاسم عمار نفسه قال قد عصاني وانما وضع الظاهر موضع المضمحل ولا يخفى ما في هذا الحل من تحريف مع اتفاق الناس على كنية عمار أبو اليقظان: ومثله قول ابن القيم في المهدي النبوي أن مراد عمار بيوم الشك آخر يوم من شعبان ولفظه والمنقول عن عمر وعلى وعمار النهي عن صوم آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا هو الذي قال فيه «عمار من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم»

قلت وهذا من التحريف رعاية المذهب لان احمد بن حنبل قاتل بصوم يوم الشك لحمله رعاية المذهب على حمل حديث عمار على آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا اليوم لا شك فيه قطعاً بل هو يوم يقين من شعبان: وكقدح بعض الحنفية في أبي هريرة رضى الله عنه كما ذكره الحافظ في فتح الباري لما روى حديث المصراة على خلاف ما يمتقدونه مذهباً

والحاصل ان من اعتقد مذهباً من المذاهب فانه يؤدي ذلك الى الحمالة عليه والى اخراج الآيات والاحاديث عن معانيها التي أرادها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فان من قال بتحريم أكل طعام أهل الذمة وتحريم ذبائحهم حل

قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) ^(١) على حل أخذ الحبوب منهم كالحنطة والشعير فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق عن هذه الاعتقادات ورد الاحاديث والآيات الى مثل تأويل الفرقة الباطنية وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية وانى لاخاف ممن حرف الآيات والاحاديث ليوافق اعتقاده أن يقلب فؤاده وقلبه فلا يوفق لمعرفة الحق عقوبة كما فعله الله فيمن رد براهين النبوة وكذب بها كأسلفناه في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم) ^(٢) الآية ولو تتبعنا ما وقع لأهل التقليد من التحريف لجاء منه مجلد وسيع لكن مرادنا النصيحة لا التشنيع وهى نحصل بأقل مما سقناه وأيسر مما رفقناه

فان قلت قد ذكر العلماء أدلة لجواز التقليد واسعة وطرائق نافعة قلت نعم وقد ردها أئمة الاعتقاد وأوضحوا ما فيها من الفساد ولنذكر خلاصة كلام الفريقين فالدليل الاول قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) ^(٣) قالوا فأمر سبحانه من لا يعلم أن يسأل من هو أعلم منه فالجواب انا نقول أولا ان التزام مذهب امام معين في جميع أقواله بحيث أن لا يحل الخروج عنه بحال بدعة وكل بدعة ضلالة فما معنى الاستدلال على البدعة

أما كونه بدعة فلانكم يا أسراء التقليد وغيركم لا يمكنكم أن تدعوا أنه كان في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا من الصحابة يقلده في كل أقواله ولم يترك منها شيئا وأسقط أقوال غيره البتة فلم يأخذ منها شيئا ويتأول ما ورد من الآيات والاحاديث ليوافق مذهب من قلده هذا معلوم بالضرورة انه لم يكن في الصحابة ولا في تابعيهم ولا تابع السابعين وهذه هي القرون الثلاثة التى خیرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « خير القرن قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » الحديث وما حدثت بدعة التقليد الا في القرن الرابع الذى ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

١ - اللائدة ٥

٢ - الأنعام ١١٠

٣ - النحل ٤٢

الأنبياء ٧

وأما الآية التي ذكرت فان الله تعالى أمر فيها من لا يعلم أن يسأل أهل الذكر والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطباً لنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » وآياته القرآن والحكمة السنة وكما قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته) الى قوله (والحكمة) فالامر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنها ليخبروه فاذا أخبروه وجب عليه اتباع ما أخبروه به وهنا على أظهر الوجوه في تفسير الآية لمن له أدنى المام بالتفسير فكيف يستدل على أعظم قواعد الاصول بوجه مجروح : ويؤيد هذا الوجه الراجح معنا أن هذا كان شأن أهل العلم في الصحابة والتابعين يسأل الجاهل العالم أي عالم عن الآيات والسنة وليس لهم مقلد معين يتبعونه في أقواله فكان ابن عباس رضي الله عنه يسأل الصحابة عن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله لا يسأله عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون نساءه صلى الله عليه وسلم عن ما يخفى عليهم من سنته سيما عائشة رضي الله عنها : وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وسنته وكذلك أئمة الفتى قال الشافعي رضي الله عنه لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث مني فاذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب اليه شامياً كان أو كوفياً أو بصرياً ولم يكن أحد قط من أهل العلم يسأل الرجل عن رأى رجل بعينه فيأخذ به ويطرح ما سواه

الثاني من أدلة جواز التقليد أنه صلى الله عليه وسلم قال في قصة صاحب الشجة « الا تسألوا اذا لم تعلموا انما شفاء العي السؤال » فارشدهم الى السؤال والجواب انه صلى الله عليه وسلم انما أرشد المفتين لصاحب الشجة الى السؤال عن حكمه صلى الله عليه وسلم وسنته فقال قتلوه قتلهم الله يدعو عليهم لما أفتوا بغير علم وفي هذا تحريم الافتاء بالتقليد فان الافتاء به ليس علماً باتفاق الامة وما دعا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على فاعله فانه حرام وهو أحد أدلة التحريم فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه

الثالث من أدلتهم قالوا قال أبو العفيف الذي زنى بامرأة مستأجرة « واني سألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم » أخرجه البخاري قالوا فلم ينكر صلى الله عليه وسلم تقليد من هو أعلم منه والجواب أن هذا سأل أهل العلم فأفتوه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها سأل فهو يصلح عاضداً للآية وان المراد سؤال أهل الذكر عن الكتاب والسنة لا عن رأيهم

الرابع من أدلتهم قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقدم تابع لهم فهو ممن رضى الله عنه : والجواب صدق المقدمة الاولى وكذب الثانية فان الاولى ضرورية الصدق وأما كذب الثانية فان تفسير اتباعهم بالتقليد من تحريف الكلم عن مواضعه كيف وهذا التقليد الذي يريدونه بدعة حادثة لا يفسر بها كلام الله: واتباعهم انما هو سلوك طريقهم ومنهجهم وقد نهوا عن التقليد فلم يكن في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار مقلد بالاتفاق فكيف يقال من اتباعهم تقليد بل التابعون لهم باحسان هم أهل العلم أئمة الكتاب والسنة الذين لا يقدمون على كتاب الله رأياً ولا قياساً ولا يحملون كلام أحد عياراً على القرآن والسنة فالذي اتبعهم هو من تبع الحجة وانقاد بالدليل ولم يتخذ رجلاً بعينه اماماً يقتدى باقواله وسننه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فامر تعالى باتباع المنزل خاصة والمنزل هو الكتاب والسنة قال الله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فالتقليد لا يكون اتباعاً فان الاتباع سلوك طريقة المتبع والآيتان

١ - التوبة ١٠٠

٢ - الأعراف ٢

٣ - الحشر ٧

بمثل ما أتى به : وقد عقد أبو عمر بن عبد البر باباً في الفرق بين الاتباع والتقليد وقال قال عبد الله بن خويزمنداد البصرى المالكي التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع عنه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة

والخامس من ادلة المقلدين الحديث المشهور « أصحابي كالنجوم فأبهم اقتديتم » والجواب ان الحديث قد روى عن عمر من طرق لا يصح منها شيء . قل البزار واما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وان صح فالإقتداء غير التقليد فان الاقتداء فعلك مثل فعل الغير على الوجه الذى فعله بال دليل الذى فعله فلذلك قلنا من آيات

وشتان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدى فالضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان أصبح شارباً نبذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى أضحى امام معارف وكان أويساً في العبادة والزهد
فمقتدياً في الحق كن لا مقلداً وخل أخا التقليد في الاسر باتهد

فالقلد لا ي حنيفة وهو المراد بالنعمان يجوز عنده شرب النبيذ و ابو حنيفة لن يشربه فالإقتداء به ان لا يشربه بل المقتدى به يكون اماماً في العلم والزهد كانى حنيفة ومثله قول الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير مؤلف العواصم والقواصم في الذب عن ابي القاسم من آيات :

هم قلدوم فاقديت بهم وم بين المقلد في الهدى والمقتدى
من قلد النعمان أصبح شارباً لثلث رجس خبيث مزبد
ولو اقتدى بابي حنيفة لم يكن الا اماماً راکماً في المسجد
وقال الله تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ان عد من الانبياء

عليهم السلام يحوا من بضعة عشر نبيا (فبهدهم اقتده) قال في الكشف المراد بهدهم طريقهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين انتهى . ومعلوم يقينا ان الله تعالى لم يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتقليد رسله في اديانهم فعرفت أن الاقتداء والاتباع ليسا من التقليد في ورود ولا صدر

السادس من ادلة المقلدين قالوا حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ابو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن ام عبد: والجواب ان الاهتداء بهم اتباع السنة والكتاب والقبول لما فيهما والثناء اليهما وتحريم التقليد اذ لم يؤثر عنهم وقد صح عن ابن مسعود وهو ابن ام عبد النبي عن التقليد وقال لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له ثم من المعلوم ان احدا منهما لم يكن يدع السنة بقول اي قائل ثم ان سنة الخلفاء الراشدين وطريقهم اتباع السنة والكتاب فالأخذ بسنتهما اتباع السنة النبوية والقرآن ثم يقال لكم أيها المقلدون انكم لا تقلدون ابا بكر وعمر ولا تجعلون قولهما حجة بل قلدهم أئمة من اتباع الأئمة وحرمت تقليد غيرهم فأين انتم من العمل بهذا الحديث لو كان مسوقا للتقليد فاتم اول تارك له

السابع من ادلة التقليد ان في كتاب عمر رضي الله عنه الى شريح انه يقضي بما قضى به الصالحون ان لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به: والجواب ان كتاب عمر رضي الله فيه دليل على عدم التقليد بل امره باتباع الكتاب والسنة والمقلدون لا يقولون بذلك بل لا ينظرون في كتاب الله ولا سنة انما ينظرون في كتب شيوخهم واقوالهم ثم انه قال اذا لم يجد فيها قضاء بما قضى به الصالحون فاباح له عند تمذر وجد ان الدليل من الامرين الرجوع الى ما قضى به الصالحون الذين لا يقضون الا عن دليل من كتاب او سنة او قياس جلي فاجاز له هنا الاخذ في القضاء برأي الصالحين في الحالة الراعية لا انه يجعل رأيهم مقدما على الكتاب والسنة كما جعل المقلدون ثم هذا كلام عمر رضي الله عنه وليس بحجة

الثامن قالوا كان الصحابة يفتون في عصره صلى الله عليه وسلم باطلاعه وهذا تقليد للمفتين • والجواب ان فتواهم كان تبليفاً عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن افتاءً بآرائهم ولذلك لما أفتوا صاحب الشجة بخلاف سنته قال قتلهم الله كما عرفت

التاسع من أدلتهم قالوا قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فأوجب قبول انذارهم وذلك تقليد لهم • والجواب ان هذا جهل للفظ الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد أنذر كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بالحجة لم يكن نذيراً وحينئذ فالمراد لينذروا قومهم باخبارهم أيام بالحجج والبراهين على ما يفقهونهم به من الاحكام ألا ترى ان خزنة النار من الملائكة يقولون لمن فيها (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) الى قوله (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) قال الله تعالى (فاعترفوا بذنوبهم) فلهم أقروا انه أتاهم النذير ولا يكون الا حجة فكذبوا ضللاً وعناداً وقالوا متأسفين (لو كنا نسمع) أي نعمل بما سمعناه (أو نعقل) أي نعمل بما عقلناه والا فمن المعلوم انهم سمعوا وعقلوا لكن ماعملوا فكأنهم لاسمع لهم ولا عقل فهم الذين يقولون سمعنا وعصينا ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم فعرفت انه لا دليل في الآية للمقلدين

العاشر من أدلتهم قالوا قد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له • والجواب ان هذا من أبطل الأدلة فانا ما قبلنا قولهم الا بنص ربنا وقول نبينا واجماع أمة فلم يقبل قول الشاهد بمجرد كونه شهد به بل قبلناه لان الله أمرنا بقبول شهادته كما أمرنا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فان سميت ذلك تقليداً فلا يضرنا وأما أنتم فقبلتم قول من قلدهموه وتركتم قول من عداه ولو كان آية من الله وحديثاً نبوياً لتأولتموها وأرجعتموها ناكسين على أعقابكم الى قول امامكم وكذلك قبولنا اقرار من أقر على نفسه بشيء وحكمتنا به عليه لا يسمى تقليداً

١ - التوبة ١٢٢

٢ - الملك ٨ - ٩

٣ - الملك ١٠

بل اتباعاً لقول الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) واجماع الامة وعمله صلى الله عليه وسلم في قبول اقرار ماعز والعامدية ورجعهما باقرارهما ولا يقول أحد انه صلى الله عليه وسلم قلدهما

الحادي عشر من أدلتهم قالوا قد جعل الله في فطر العباد تقليد المتعلمين للعالمين والاستاذين في العلوم والصنائع ولا تقوم مصالح الخلق الا بهذا وذلك عام في كل علم وصناعة وقد فاوت الله بين الازهان كما فاوت بين القوى في الابدان فلا يحسن في حكمته وعدله ورحمته ان يفرض على جميع خلقه معرفة الحق بدليله * والجواب ان هذا حق لا ينكر ولا ينكر أخذ العلم عن العلماء وينكر أخذه من الصحف والقراطيس بغير تعلم ولكننا تقتدى بالعالم ونهتدي بتعليمه ونستعين بفهمه ونستضيء بانوار علومه وفرق بين تقليد العالم في جميع ما قاله وبين الاستعانة بفهمه فان الاول بأخذ بقوله من غير نظر في دليل من كتاب ولا سنة والاستعانة بفهمه وهو الثاني بمنزلة الدليل في الطريق والخرير الماهر لابن السبيل فهو دليل الى دليل فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره ونظيره من استدل بالنجم على القبلة فاذا شاهد القبلة لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى وأما قوله تعالى انه فاوت بين الازهان فهذا مسلم وكلامنا فيمن له أهلية الخطاب وفهم ادلة ما يحتاجه من أدلة السنة والكتاب وهو بحمد الله الواحد الوهاب أمر ليس بالخفي ولا بالالغاز الذي لا يعرفه الا الذكي بل قدمنا لك ان الفاظها أقرب تناولا وأسهل أخذاً وأوضح معنى ولا بد للمكلف من تفهم معاني ما كلف به اما من كلام شيوخه أو من كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم ضرورة انه لا يتم له التكليف الا بالفهم والا كان معذوراً غير مخاطب بشيء من الشرعيات فالفهم الذي يصرفه في حل عبارات شيوخه ويبان معانيها يصرفه في تفهم كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم والقدر الذي كلف

الله به عبادته وقد سهله وما جعل في الدين من حرج لافي فهم المراد ولا في الافعال التي خاطب العباد : وقد قدمنا ان الواجب على كل عبد ما يخصه من الاحكام وما يدعو اليه حاجة وهو امر سهل يسير فان أكثر العلوم فضول كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه العلم نقطة كثيرها الجهال

فهذه زبدة أدلة مجوزى التقليد وأجوبتها ومن له فهم أولقى السمع وهو شهيد لا يخفاه بعد ذلك اذا كان له مطلباً وإياه يريد وقد ذكرنا أدلة سماعها شغل الاسماع بغير فائدة تعود على سامعها ولا انتفاع تركناها لا نشغل بها الاوقات ويستغنى بها عن ما هو أولى بالنظر بالاتفاق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وعليه تعالى في كل فعل التمويل ومنه نستمد الهداية في البكرة والاصيل الى ما يقربنا الى جانبه وينزلنا في ظل رحمته الظليل وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل وصحابه خير صحاب وقبيل

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

رفع الريبة

﴿ عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة ﴾

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكاني البجاني »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وآله فانه قد اتفق أهل العلم
جمع على تحريم الغيبة للمسلم وذلك لنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة أما
الكتاب فقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً) يجب احكام أن يأكل لحم أخيه
ميتاً فكرهتموه) فهذا نهى قرأنى عن الغيبة مع ايراد مثل بذلك يزيده شدة
وتفليظاً ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقدر قدره
قلن أكل لحم الانسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعاً ولو كان
كفراً أو عدواً مكلفاً فكيف اذا كان أخاً في النسب أو في الدين قلن الكراهة
تضاعف بذلك ويزداد الاستقذار فكيف اذا كان ميتاً قلن لحم ما يستطاب
وبحل أكله يصير مستقذراً بالموت لا يشتهي الطبع ولا تقبله النفس : وبهذا
يعرف ما في هذه الآية من اللباغة في تحريم الغيبة بعد النهى الصريح عن ذلك
وأما السنة فأحاديث النهى عن الغيبة وهي ثابتة في الصحيحين وفي غيرها
من دواوين الاسلام وما يلحق بها مع اشتغالها على بيان ماهية الغيبة وايضاح

فانه لما سأله صلى الله عليه وسلم سائل عن الغيبة فقال «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت اذا كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته» وهذا ثابت في الصحيح فعرفت تحريم الغيبة كتاباً وسنة واجماعاً ولكنه قد وقع في كلام جماعة من العلماء الاستثناء لصور صرحوا بأنه يجوز فيها الغيبة وكلماتهم في ذلك متفاوتة وما ذكروه من الاعداد المستثناة مختلف فلنقتصر هنا على ذكر ما أورده النووي في شرح مسلم له ثم نذكر بعد ذلك تصحيح ما هو صحيح من كلامه وتنقيب ما هو محل التعقيب ونستدل على ما لم يذكر الدليل عليه حتى يكون هذا البحث تاماً شاملاً كاملاً فانه من المهمات الدينية لعظم خطر الوقوع فيه مع تساهل كثير من الناس في شأنه ووقوعهم في خطره الا من عصمه الله من عباده

قال النووي في شرح مسلم عند ذكر ما ورد في تحريم الغيبة ما لفظه تباح الغيبة لفرض شرعي وذلك استة أسباب : أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية وقدرة على انصافه من ظالمه ويقول ظلمي فلان أو فعل بي فلان كذا : الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره أو نحو ذلك : الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمي فلان أو أبي أو أخي أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقي في الخلاص منه ورفع ظله عني ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول في رجل أو زوج أو ولد أو والد كان من أمره كذا ولا يعين ذلك والتعيين جائز لحديث هند وقولها ان أبا سفيان رجل شحيح : الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجرحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشرعة : ومنها الاخبار بغيبة عند المشاورة في مواصلة : ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً أو شارباً أو زانياً أو نحو ذلك تذكر للمشتري اذا لم يعلم نصيحة لا قصد الايذاء أو الافساد : ومنها اذا رأيت

متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصداً للنصيحة : ومنها ان يكون له ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله ولا يضر به أو يلزمه الاستقامة : الخامس أن يكون مجاهرا بنفسه أو بدعته كالخمر والمصادرة للناس وجباية المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما مجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر : السادس التعريف فان كان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير والاعمى والاقطع ونحوها جاز تعريفه ويحرم ذكره بها منتقاصاً ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى انتهى كلامه بحروفه

وأقول مستعينا بالله ومتوكلاً عليه قبل التكلم على هذه الصور اعلم انا قد قدمنا أن تحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والنصيحة الواردة في الكتاب والثابتة في السنة عامة عموماً شمولياً يقتضى تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين لكل فرد من أفرادهم فلا يجوز القول بتحليل ذلك في موضع من المواضع لفرد أو أفراد الا بدليل يخص هذا العموم فان قام الدليل على ذلك فيها ونعمت وان لم يقم فهو من القول على الله بما لم يقل ومن تحليل ما حرم الله بغير برهان من الله عز وجل : اذا عرفت هذا فاعلم أن الصورة الاولى من الصور التي ذكرها وهي جواز اغتياب المظلوم لظلمه قد دل على جوازها قول الله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) فهذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التي يجتمع الناس بها أما اذا كان يرجو منهم نصرته ودفع ظلامته ورفع ما نزل به من ذلك الظالم كمن له منهم قدرة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والقضاة وغيرهم فالامر ظاهر وأما اذا كان لا يرجو منهم ذلك وانما أراد كشف مظلمته واستتهارها في الناس فظاهر الآية الكريمة يدل على جوازه لانه لم يقيد بقيد يدل على أنه لا يجوز الجهر بالسوء من القول الا لمن يرجو منه النصرة ودفع المظلمة وان كان ما قدمنا

من كلام النووي يفيد قصر الجواز على من يقدر على دفع الظالم لكن الآية لا تدل على ذلك ولا تمنع مما عده

وهاهنا بحثان الأول لا يخفاك ان الأدلة الدالة على تحريم الغيبة تشمل المظلوم وغيره والآية الدالة على جواز الجهر بالسوء لمن ظلم تفيد جواز ذلك في وجه الظالم وفي غيبته فأدلة تحريم الغيبة أعم من وجه وهو شمولها لغير المظلوم وأخص من وجه وهو عدم تناولها لما يقال في وجه من يراد ذكره بشيء من قبيح فعله وآية جواز ذكر المظلوم للظالم أعم من وجه وهو جواز ذكر ذلك في وجه الظالم وفي غيبته وأخص من وجه وهو عدم تناولها لغير المظلوم وظالمه ولا تعارض في مادتين وهما دلالة أدلة تحريم الغيبة على عدم جوازها لغائب غير ظالم ودلالة آية جواز الجهر بالسوء على انه يجوز للمظلوم في وجه الظالم وانما التعارض في مادة واحدة وهو ذكر المظلوم للظالم بظلمه له في غيبته فأدلة تحريم الغيبة قاضية بالمنع من ذلك والآية قاضية بالجواز للمظلوم ولا يخفاك ان أدلة تحريم الغيبة أقوى لصراحة دلالة الآية على تحريمها مع اعتضادها بالأدلة من السنة واشتداد عضدها بوقوع الإجماع عليها: وآية ذكر المظلوم للظالم وان كانت قطعية المتن فهي ظنية الدلالة وقد عارضها ما هو مثلها من الكتاب العزيز في قطعية متنه وظنية دلالاته وانضم الى ذلك المعارض ما شد عضده وشال بصيغة من السنة والإجماع فتصير دلالة آية جواز ذكر المظلوم للظالم على ذكره بالسوء الذي فعله من الظلم الذي اوقعه على المظلوم في وجهه ولا يجوز له ذكره في غيبته ترجيحاً للدليل القوي ومشياً على الطريق السوي فلا تكون هذه الصورة التي جعلها النووي عنواناً للصورة المستثناة صحيحة لعدم قيام مخصص صحيح صالح للتخصيص يخرجها من ذلك العموم

البحث الثاني هل جهر المظلوم بالسوء الذي اصابه من ظالمه جائز فقط أم له رتبة أرفع من رتبة الجواز لان الاستثناء من قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء) يدل على ان جهر المظلوم بالسوء الذي وقع عليه محبوب لله تعالى وإذا كان محبوباً لله تعالى كان فعله من فاعله يزيد تحريقه رائدة على الجواز ورتبة أرفع منه وهنا على تقدير ان الاستثناء متصل حتى

يثبت للمستثنى ما نفى عن المستثنى منه أما اذا كان منقطعا فلا دلالة في الآية على انه مما يحبه الله بل لا يدل على سوى جوازه لكن على تقدير الاتصال ههنا مانع من ان يكون لذكر المظلوم لظلمه بالسوء رتبة زائدة على رتبة الجواز وهو ان الله سبحانه قدر غيب عباده بالعفو وندبهم الى ترك الانتصاف والتجاوز عن المسئى حتى ورد الارشاد للمظلوم الى ترك الدعاء على ظلمه وانه اذا فعل ذلك انحط عليه من اجر ظلامته ما هو مذكور في الاحاديث : وقد صرح الكتاب في غير موضع بالامر بالعفو والترغيب فيه وعظم اجر العافين عن الناس وهكذا وقع من السنة المطهرة ما هو الكثير الطيب من ذلك : ومجموع هذا يفيد ان الانتصاف وترك العفو غايته ان يكون جائزا وهكذا ما في الآية من جواز ذكر المظلوم للظالم بالسوء الذى ناله منه للقطع بان الله يحب العفو عن الناس وذلك معلوم بالكتاب والسنة والاجماع والادلة عليه من كليات الشريعة وجزئياتها تحتاج الى طول وبسط

وأما الصورة الثانية التي ذكرها النووي فيما قدمنا وهي الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فاعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من اعظم عمد الدين لان بهما حصول مصالح الاولى والاخرى فان كانا قائمين قام بقيامهما سائر الاعمدة الدينية والمصالح الدنيوية وان كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الامور الدينية والدنيوية: ويبان ذلك ان اهل الاسلام اذا كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ثابت الاساس والقيام به هو شأن الكل أو الاكثر من الناس والمعروف بينهم معروفهم يد واحدة على اقامة من زاغ عنه ورد غواية من فارقه والمنكر لديهم منكر وجماعتهم متعاضدة عليه متداعية اليه متاصرة على الاخذ بيد فاعله وارجاعه الى الحق والحيلولة بينه وبين ما فارقه من الامر المنكر فعند ذلك لا يبقى احد من العباد في ظاهر الامر تاركا لما هو معروف ولا فاعلا لما هو منكرا في عبادة ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع وتستطلع شمس العدل وتهب رياح الدين وتستعلن كلمة الله في

عباده وترتفع أوامره ونواهيه وتقوم دواعي الحق وتسقط دواعي الباطل وتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المرجوع اليه المعول عليه وكتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هما المعيار الذي توزن به اعمال العباد وترجع اليهما في دقيق الامور وجليلها وبذلك تنجلي ظلمات البدع وتنقسم ظهور أهل الظلم وتنكسر نفوس أهل معاصي الله وتخفق رايات الشرع في اقطار الارض ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل

واما اذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين او كانا قائمين قياما صوريا لا حقيقيا فيالك من بدع تظهر ومن منكرات تستبين ومن معروفات تستخفي ومن جولان العصاة وأهل البدع تقوى وترتفع ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس ومن هرج تمرج في العباد ويبرز للعيان وتقر به عين الشيطان وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة والعاصي كالذئب المفترس وهذا بلا شك ولا ريب بمحور سوم هذا الدين وذهاب نور الهدى وانطلاس معالم الحق وعلى تقدير وجود افراد من العباد يقومون بفرائض الله ويدعون مناهيه ولا يقدرّون على امر بمعروف ولا نهى عن منكر فما أقل النفع بهم واحقر الفائدة العائدة على الدين منهم فانهم وان كانوا ناجين باعمالهم فائزين بتمسكهم بعروة الحق الوثقى لسنهم في زمان غربة الدين وانطلاس معالمه وظهور المنكر وذهاب المعروف بين أهل السواد الاعظم وفيما يتظاهر به الناس وحينئذ يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا ويعود الدين غريبا كما بدا

واذا تقرر لك هذا وعرفت ما في قيام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الناس من مصالح المعاش والمعاد وفوائد الدنيا والدين فاعلم ان هذا الذي رأى منكرا ان كان قادرا على تغييره بنفسه او بالاستنصار بمن يمكن الاستنصار به بان يقول لجماعة من المسلمين في المكان الفلاني من يرتكب المنكر فهلوا الي وقوموا معي حتى ننكره ونغيره فليس به الا الغيبة التي هي جهد من لا له جهد حاجة الآن وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان موجودا في عباد

الله فلا يحتاجون الى تعيين فاعل المنكر ويان انه فلان ابن فلان وان لم يكن فيهم ذلك الوازع الديني والغيرة الاسلامية فهم لا ينشطون الى اجابته بمجرد التسمية والتعيين اذ لا فرق في مثل هذا بين الاجمال اللهم الا ان يكون سيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كليلا وعضده ضعيفا عليلا ضئيلا فانهم قد ينظرون مع التسمية والتعيين في فاعل المنكر فان كان قويا جليلا يتركونه وان كان ضعيفا حقيرا قاموا اليه وغيروا ما هو عليه وهذا هو غربة الدين العظيمة ولكن في الشر خيار وبعضه أهون من بعض فاذا كانوا بمنزلة من ضعف العزيمة بحيث لا يقدر على الانكار على المستضعفين المستذلين فذلك فرضهم وليس عليهم سوء وحينئذ لا بأس بالتغيير والغيبة التي هي غاية ما يقدر عليه المستضعفون ونهاية ما يتمكن منه العاجزون والله ناصر دينه ولو بعد حين : وجواز الغيبة في مثل هذا المقام هو بأدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التي لا يقوم بمجنبها دليل لا صحيح ولا عليل

فان قلت ههنا دليلان بينهما عموم وخصوص من وجه هما أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدلة تحريم الغيبة فكيف لم تعمل ههنا كما عملت في الصورة الاولى ؟ قلت قد عملت ههنا كما عملت في الصورة الاولى فرجحت العمل بالراجح كما رجحت في الصورة الاولى العمل بالراجح وان اختلف موضعا الترجيح ففي الصورة الاولى رجحت أدلة الغيبة لما تقرر من ان العمومين الواردين على هذه الصورة ان رجح أحدهما على الآخر باعتبار ذاته وجب المصير اليه وان لم يرجح باعتبار ذلك وأمكن الترجيح باعتبار أمر خارج وجب الرجوع اليه وقد وجد المرجح هنالك باعتبار الامر الخارجي وهو أدلة السنة والاجماع فانها أوجبت ترجيح أدلة تحريم الغيبة في تلك الصورة التي وقع فيها التعارض على أدلة جواز الجهر بالسوء للمظلوم على طريقة الاعتبار وههنا كان الترجيح في صورة التعارض بكون أحد الدليلين ثابتا بالضرورة الدينية دون الآخر ولهذا قدمنا لك ما قدمنا في فوائد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وعرفناك انه لاشئ من الامور الدينية يقوم مقامها ولا يفي غناها

وأما الصورة الثالثة وهي جواز الغيبة للمستفتي فأقول لا يخفك ان أدلة تحريم الغيبة ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع كما قدمنا فصار تحريمها من هذه الحيثية من قطعيات الشريعة وليس في تسويةها للمستفتي الا سكوته صلى الله عليه وسلم عن الانكار على هند لما قالت له ان أباسفيان رجل شحيح وهذا السكوت منه صلى الله عليه وآله وسلم عند سماع الغيبة من امرأة حديث عهد بجاهلية لرجل حديث عهد بجاهلية مع كونه في تلك الحال لم يكن قد ظهر منه ما يدل على خلوص اسلامه واستقامته طريقه وانما ظهر منه ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فهذا التقرير بالسكوت الكائن على هذه الصفة في مثل هذه الحالة بعد ثبوت تحريم الغيبة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وعلم الصحابة واجماعهم عليه لا ينبغي التمسك بمثله ولا يحمل القول بصلاحيته للتخصيص لان السامعين من المسلمين في تلك الحالة قد علموا تحريم الغيبة وتقرر عندهم حكمها فلم يكن السكوت الا ليكون حكم الغيبة قد صار معلوماً واضحاً مشتهراً عندهم لكان ذلك بمجرد قادحا في الاستدلال به وتخصيص الادلة القطعية بمثله وهذا على تقدير أن أباسفيان لم يكن حاضراً في ذلك الموقف فان كان حاضراً كما قيل اندفع التعلق بسكوته صلى الله عليه وآله وسلم من الاصل ومع هذا فلا ضرورة ملجئة للمستفتي الى التعيين حتى يقال انه لا يتم مطلوبه من الاستفتاء الا بالتعيين فانه يحصل مطلوبه بالاجمال لان المقصود استفتاء الحكم الشرعي وهي حاصلة بمعرفة ما يقوله المفتي مع الاجمال كما يحصل معرفته بما يقول مع التفصيل والتعيين وهذا مما لا شك فيه ولا شبهة : وبهذا تعرف ان هذه الصورة ليست من صور تخصيص تحريم الغيبة لعدم انتهاض دليلها يعرف ذلك كل عارف بكيفية الاستدلال

وأما الصورة الرابعة قد جعلها النووي رحمه الله في كلامه السابق على اقسام خمسة : القسم الاول الجرح والتعديل للرواة والمصنفين والشهود واستدل على جواز ذلك بل على وجوبه بالاجماع وكلامه صحيح واستدلاله بالاجماع

واضح فانه مازال سلف هذه الامة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة ومن الشهود على دماء العباد وأموالهم وأعراضهم ويعدلون من يستحق التعديل ولولا هذا التلاعب بـ 'سنة المطهرة' لكثير الكذابين واختلط المعروف بالمنكرو لم يتبين ماهو صحيح مما هو باطل وماهو ثابت مما هو موضوع وماهو قوى مما هو ضيف للقطع بأنه مازال الكذابين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال « انه سيكون على فن كذب على متصداً فليقبوا مقعده من النار » وثبت عنه في الصحيح أيضاً انه قال « ان كذباً على ليس ككذب على احدم » الحديث: وثبت عنه في الصحيح انه قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم » ففيه دليل على ان الكذب قد كان قبل انقراض القرن الثالث ولكن من غير فشو ثم فشا بعده وبهذا يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بانه سيكون عليه خصوصاً ويفشو الكذب عموماً ثم وقع في الخارج ما اخبر به الصادق المصدوق فانه لم يزل في كل قرن من القرون كذابين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون الاكاذيب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثون بها فلولاً تعرض جماعة من حملة الحجة لجرح المجرحين وتعديل العدول وخبهم عن السنة المطهرة وتنبههم لكذب الكذابين لبقيت تلك الاحاديث المكذوبة من جملة الشريعة وعمت بها البلوى فكان قيام الائمة بهذه العهدة من اعظم ما أوجه الله على العباد ومن أم واجبات الدين ومن الحماية لسنة المطهرة فجزاهم الله خيراً وضاعف لهم المثوبة فلقد قاموا قياماً مرضياً وخلصوا عباد الله من التكاليف بالكذب وصفوا الشريعة المطهرة وأماطوا عنها الكدر والقنر وأخرسوا الكذابين وقطعوا ألسنتهم وغلضوا رقابهم والحمد لله على ذلك * وهكذا جرح الشهود وتعديلهم فانه لو لم يقع ذلك لارتقت السماء وهتكت الحرم واستبيحت الاموال بشهادات الزور التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكبر الكبائر وحذر عنها *

والحاصل ان كليات الشريعة وجزئياتها وقواعدها واجماع أهلها تدل أوضح دلالة على ان هذا القسم لاشك ولا ريب في جوازه بل في وجوب بعض صورته صوتاً للشريعة وذباً عنها ودفعاً لما ليس منها وحفظاً لاموال العباد ودمائهم واعراضهم وهذا كله داخل في الضروريات الخمس المذكورة في علم الاصول * ومما يدل على ذلك دلالة بينة ماورد في النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم فان بيان كذب الكذابين من اعظم النصيحة الواجبة لله ورسوله ولجميع المسلمين وأدلة وجوب النصيحة متواترة وكذلك جرح من شهد في مال أو دم أو عرض بشهادة زور فانها من النصيحة التي أوجبها الله على عباده واخدم بتأديتها وأوجب عليهم القيام بها

القسم الثاني الاخبار بالغيبة عند المشاورة ثم مشروعية المناصحة الثابتة بالتواتر وهو من جملة حقوق المسلم على المسلم كما ثبت في الصحيح وفيه « واذا استنصحتك فانصحه » ولكن ليس في هذا القسم من الضرورة الملجئة الى التعيين ما في القسم الاول فانه يمكن القيام بواجب النصيحة بأن يقول الناصح لأشير عليك بهذا أو لا تفعل كذا أو نحو ذلك وليس عليه من النصيحة زيادة على هذا فالتعيين والدخول فيما هو من الغيبة فضول من الناصح لم يوجب الله عليه ولا تعبد به ولا ضرورة تلجئه اليه كما في القسم الاول فليس هذا القسم من الاقسام المستثناة من أدلة تحريم الغيبة وبهذا تستريح عن الكلام في تعارض الدليلين الذين بينهما عموم وخصوص من وجه

القسم الثالث قوله ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيياً أو عبداً سارقاً الخ * أقول هذا القسم أيضاً كالقسم الذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بمجرد قوله لأشير عليك بشراء هذا أو نحو هذه العبارة فله عن الدخول في خطر الغيبة منه وجه وعن الوقوع في مضيقها سعة

القسم الرابع قوله ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق الخ * أقول وهذا

القسم أيضا كالذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بالاجمال ولم يتعد الله بالتفصيل وذكر المعائب والمثالب بل يكفيه أن يقول لا أشير عليك بمواصلة هذا أو لأرى لك الاخذ عنه أو نحو هذه العبارة فالتصريح بما هو غيبة فضول لم يوجب الله عليه ولا طلبه منه

القسم الخامس قوله ومنها أن يكون له ولاية الخ * وهذا القسم أيضا كالأقسام التي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لانه اذا قال له لا تستعمل هذا أو لأرى لك الركوب عليه فقد فعل ما أوجبه الله عليه من النصيحة والزيادة على هذا المقدار فضول ليس لله فيه حاجة ولا للمنصوح ولا للناصح

وأما الصورة الخامسة وهي ذكر المجاهر بالفسق بما جاهر به * فأقول ان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به هو التحذير للناس فقد دخل ذلك في الصورة الرابعة وقد اوضحنا ما فيها فلانعيده ومع هذا فحصول المطلوب من التحذير يمكن من دون ذكر ما جاهر به بان يقول لمن ينصحه لاتعاشر فلانا أو لاتدأخله أو لاتذهب اليه فان هذا الناصح المشير يقوم بواجب النصيحة بهذا المقدار من دون أن يذكر نفس المعصية التي صار العاصي يجاهر بها وما أقل فائدة التعرض بذلك وأحصره فانه لم يأت داليل يدل على جواز ذكره بما جاهر به بل ذلك غيبة محضة وأما ما يروى من حديث « اذكروا الفاسق بما فيه كيما يحذره الناس » فلم يصبح ذلك بوجه من الوجوه على انه انما يسمى بمجاهراً بمجاهرته بتلك المعصية والاستظهار بها بين الناس وإيقاعها علانية وعند ذلك يعلم الناس منه ذلك ويعرفونه بمشاهدته فلا يبقى لذكره به كثير فائدة وان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به استغانة الذاكر على الانكار عليه لمن يذكر له ذلك الذنب : فهذه الصورة داخلة في الصورة الثانية التي قدم النووي ذكرها وقدما الكلام عليها فلا فائدة لجعلها صورة مستقلة فان استدلل المستدل على

جواز مثل هذا بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من قوله « بنس أخو العشرة » فيقال له أولاً ان هذا القول الواقع منه صلى الله عليه وسلم لا يجوز لنا الاقتداء به فيه لان الله سبحانه قد حرم عليه الغيبة في كتابه العزيز وحرما رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا بما تقدم ذكره من قوله الصحيح وابعام المسلمين فعلى تقدير ان هذا القول مما يصدق عليه اسم الغيبة يكون وقوعه منه صلى الله عليه وسلم في حكم المحصص له من ذلك العموم لكن على هذه الصورة الاجالية وبهذه الصفة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما لم نعلم ويأتيه الوحي بما لم يأتنا ويبين الله له ما لم يبين لنا فلا يجوز لنا أن نقتدى به في قول صدر منه على هذه الصفة لجهلنا بالحقائق وعدم اطلاعنا على ما في باطن الامر ولهذا رد صلى الله عليه وسلم على من وصف رجلاً في مقامه بأنه مؤمن فقال أو مسلم هو ورد على آخرين بما وصفوا رجلاً بالتفاق فقال أشهد أن لا إله إلا الله وهذا كله ثابت في الصحيح وأيضاً فذلك الرجل الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم بنس أخو العشرة لم يكن اذ ذاك قد صلح اسلامه بل هو من جملة من كان يتبع الاسلام ظاهراً مع اضطراب حاله وبقي أثر الجاهلية عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم يتألف أمثال هذا ويعاملهم معاملة المسلمين الخالصين الاسلام مع علمه وعلم أصحابه بما هم عليه وكان يقول لمن يأتيه منهم هذا سيد بنى فلان هذا سيد قومه وهذا سيد الوبر ونحو ذلك بل كان يتألفهم بالكثير من المال والنصيب الوافر من المغنم ويكل خالص المؤمنين من المهاجرين والانصار الى ايمانهم ويقيهم: هذا معلوم لا يشك فيه عارف ولا يخالف فيه مخالف ولا يحل لاحدنا أن يعمد الى ما يعلم انه خالف (١) الاسلام صحيح النية فيه مؤمن بالله ورسوله وبلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فيغتابه بمعصية فعلها أو خطيئة جاهر بها مستدلاً على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « بنس أخو العشرة » لما أوضحنا لك وليس الخطر ههنا ييسر ولا الخطب بقليل فان الاقدام على الغيبة

المحرمة بالكتاب والسنة والاجماع اذا لم يكن فيه برهان من الله سبحانه كان الوقوع فيه وقوعاً فيما حرمه الله ونهى عنه والقول بجوازه بدون برهان من التقول على الله بما لم يقل وهو أشد من ذلك وأعظم وأخطر والمداية بيد الله عز وجل وأما الصورة السادسة وهي التعريف بالالقب فأقول قد نهى عن ذلك القرآن الكريم قال الله عز وجل (ولا تنابدوا بالالقاب) هذا النهي يدل على تحريم التلقب ولا يجوز شيء منه الا بدليل يخص هذا المصوم فقد اجتمع على المنع عن هذا دليلان قويان أحدهما أدلة تحريم الغيبة والثاني دليل تحريم التلقب فان كان ذكر ذى القربى بلقبه في غيبته كان الذاكراً جامعاً بين تحريم الغيبة وتحريم التلقب وان كان ذكر ذى القربى في وجهه كان الذاكراً واقعاً في التلقب المحرم فان قلت اذا علمنا ان المذكور بلقبه لا يكره ذكره به قلت اذا علمنا ذلك لم يكن غيبة محرمة لان الغيبة هو ذكرك أخاك بما يكره ولكن الذاكراً له بذلك القربى واقع في مخالفة النهي القرآني المصريح بالنهي عن التنابد بالالقاب كما لا يخفى فان قلت ان ذكره باللقب أقرب الى تعريفه لمن يشتهر بالأعرج والاعمش والاعور ونحو ذلك قلت هذه الاقربى لا تحلل ما حرم الله فينبغي ذكره بالأوصاف التي لا تلقب فيها وان طالت المسافة وبعدت وانظر ما في مثل هذا من الخطر العظيم وهذا الوقوع في النهي القرآني وما يزيدك على هذا وأمثاله بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سمعها فذكرت امرأة اخرى انها قصيرة فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » والحديث صحيح فان قلت هذه دواوين الاسلام ومسايندها ومعاجمها وسائر المصنفات في السنة مشحونة بذكر الالقاب كالاعمش والأعرج والاعور ونحوها قلت لا يصح ايراد مثل هذا في مقابلة النهي القرآني المصريح بتحريم التنابد بالالقاب وإنما يقتدى الناس باهل العلم في الخير فاذا جاؤا بما يخالف الكتاب والسنة فالقدوة الكتاب والسنة مع احسان الظن بهم وحلهم على محامل حسنة مقبولة فان قلت فان كان صاحب القربى لا يعرف إلا به ولا يعرف بغيره اصلاً قلت

إذا بلغ الامر الى هذه النهاية ووصل البحث الى هذه الغاية لم يكن ذلك القالب لقباً بل هو الاسم الذي يعرف به صاحبه اذ لا يعرف باسم سواه قط والتسمية للانسان باسم يعرف به لا سيما من كان من رواة العلم الحاملين له المبلغين ما عندهم منه الى الناس أمر تدعو اليه الحاجة والأبطل ما يرويه من العلم خصوصاً ما كان قد تفرد به ولم يشاركه فيه غيره وعلى هذا يحمل ما وقع في المصنفات من ذكر الالقاب فان أهلها وان كانت لهم أسماء ولا بأثم ولا جدام فغيرهم يشاركون فيها فقد يتفق اسم الرجل واسم أبيه مع أبيه واسم جده مع جده فلا يمتاز أحدهما عن الآخر في كثير من الحالات الا بذكر الالقاب ونحوها وحينئذ لم يبق لتلك الأسماء فائدة لان المقصود منها ان يتميز بها صاحبها عن غيره ولم يحصل هذا الذي هو المقصود بها بل انما حصل من القالب فكان هو الاسم للمميز في الحقيقة فلم يكن ذلك من التنايد بالالقاب فاعرف هذا وتدبره فانه نفيس وبه ينفع ما تقدم من ايراد ما جرى عليه عمل ائمة الرواية وهكذا يرتفع الاشكال عن القاري. لتلك الكتب فلا يقال له انه يروي بالالقاب ويقتاب أهلها بقراءتها في كتب السنة وفي هذا المقدار كفاية والله ولي التوفيق والحمد لله على ذلك

تمت الرسالة والحمد لله

شرح الصدور

في تحريم رفع القبور

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكاني البياضى »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين وصحبه المكرمين : وبعد فاعلم اذا وقع الخلاف بين المسلمين في ان هذا الشئ بدعة او غير بدعة او مكروه او غير مكروه او محرم او غير محرم او غير ذلك فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية ان الواجب عند الاختلاف فى أى أمر من أمور الدين بين الائمة المجتهدين هو الرد الى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الناطق بذلك الكتاب العزيز (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) ومعنى الرد الى الله سبحانه وتعالى الى كتابه ومعنى الرد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرد الى سنته بعد وفاته وهذا في الاختلاف بين جميع المسلمين

فانما قال مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال الآخر هذا حرام فليس احدهما أولى بالحق من الآخر ان كلنا أكثر منه علماً أو أكبر منه سناً أو أقدم منه

عصرا لان كل واحد منهما فرد من أفراد عباد الله متعبد بما في الشريعة الطاهرة وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومطلوب منه ما طلب الله من غيره من العباد وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد او مجاوزته لما لا يسقط عنه شيئا من الشرائع التي شرعها لعباده ولا يخرجها من جملة المكلفين من العباد بل العالم كلما ازداد علما كان تكليفه زائداً على تكاليف غيره ولو لم يكن من ذلك الا ما اوجبه الله عليه في البيان للناس كما كلفه به من الصدع وايضاح ما شرعه الله لعباده (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ان الذين يكتبون ما انزلنا من اليناث والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فلم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم الا كونه مكلفاً بالبيان للناس لكان كلفاً فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف بل يزدون بما علموه تكليفاً واذا اذنبوا كان ذنبهم اشد من ذنب الجاهل واكثر عقاباً كما حكاه الله سبحانه عن من عمل سوءاً بجهالة ومن علمه بعلم وكما حكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود حيث أقدموا على مخالفة ما شرعه الله لهم مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسونه ونفى ذلك عليهم في مواضع متعددة ويكنهم اشد تبيكاً وكما ورد في الحديث الصحيح « ان اولما تسعربه جهنم العالم الذي يأمر الناس ولا يأمر وينهاهم ولا ينتهي » وبالجملة فهذا أمر معلوم ان العلم وكثرته وبلوغ حاله الى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا من التكاليف الشرعية بل يزيدها عليه شدة ويخاطب بأمر لا يخاطب بها الجاهل ويكلف بتكاليف غير تكاليف الجاهل ويكون ذنبه اشد وعقوبته أعظم وهذا لا ينكره أحد ممن له أدنى تمييز بعلم الشريعة والآيات : والا حاديث الواردة في هذا المعنى لو جمعت لكانت مؤلفاً مستقيماً ومصنفاً حافلاً وليس ذلك من غرضنا في هذا البحث بل غاية الغرض من هذا ونهاية القصد هو بيان أن العالم كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة مع ما أوضحناه لك من التفاوت بين الرتبين رتبة العالم ورتبة الجاهل في كثير من التكاليف

واختصاص العالم منهما مالا يجب على الجاهل وبهذا يتقرر لك ان ليس لاحد من العلماء المختلفين أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول الحق ما قاله فلان دون فلان أو فلان أولى بالحق من فلان بل الواجب عليه ان كان ممن له فهم وعلم وتميز أن يرد ما اختلفوا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو الحق وهو الاولى بالحق ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لاله كان هو المخطئ. ولا ذنب عليه في هذا الخطأ ان كان قد وفي الاجتهاد حقه بل هو معذور بل مأجور كما ثبت في الحديث الصحيح انه « اذا اجتهد فأصاب فله أجران وان اجتهد فأخطأ فله أجر » فناهيك بخطأ يؤثر عليه فاعله ولكن هذا انما هو المجتهد نفسه اذا أخطأ ولا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه ولا يعذر كعذره ولا يؤثر كاجره بل واجب على من عدها من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع الى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة

واذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم الى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق وواقفه وان كان واحدا والذي لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذي لم يصب الحق بل أخطأه وان كان عدداً كثيراً فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم وان كان مقصراً أن يقول ان الحق بيد من يقتدى به من العلماء ان كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره فان ذلك جهل عظيم وتعصب شديد وخروج من دائرة الانصاف بالمرّة لان الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق وليس أحد من العلماء المجتهدين والائمة المحققين بمعصوم ومن لم يكن معصوما فهو يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب فيصيب تارة ويخطئ أخرى ولا يتبين صوابه من خطئه الا بالرجوع الى دليل الكتاب والسنة فان وافقهما فهو مصيب وان خالفهما فهو مخطئ ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم سابقهم ولاحقهم كبيرهم وصغيرهم

وهذا يعرفه كل من له أدنى حظ من العلم وأحق نصيب من العرفان ومن لم يفهم هذا ويعترف به فليتهم نفسه ويعلم أنه قد جنى على نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه والسخول فيما لا تبلغ إليه قدرته ولا ينفذ فيه فهمه وعليه أن يمسك قلبه ولسانه ويشغل بطلب العلم ويفرغ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التي يتوصل بها الى معرفة الكتاب والسنة وفهم معانيها والتمييز بين دلائلها وبجتهدها عن البحث في السنة وعلومها حتى يتميز عنده صحيحها من سقيمها ومقبولها من مردودها وينظر في كلام الائمة الكبار من سلف هذه الامة وخلفها حتى يهتدى بكلامهم الى الوصول الى مطلوبه فانه ان فعل هذا وتقدم الاشتغال بما قدمنا ندم على ما فرط منه قبل أن يتعلم هذه العلوم غاية الندم وتمنى أنه أمسك عن التكلم بما لا يعنيه وسكت عن الخوض فيما لا يدريه

وما أحسن ما أدبنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في قوله « رحم الله امرأه أقال خيراً أو صمت » (١) وهذا في الذي تكلم في العلم قبل أن يفتح الله عليه بما لا بد منه وشغل نفسه بالتعصب للعلماء وتصدر للتصويب والتخطئة في شيء لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه ولم يقل خيراً ولا صمت فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ قد تقرر لك من مجموع ما ذكرناه وجوب الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العزيز واجماع المسلمين أجمعين عرفت أن من زعم من الناس انه يمكن معرفة المحطى من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسأله من المسائل فهو مخالف لما في كتاب الله ومخالف لاجماع المسلمين أجمعين فانظر أرشدك الله الى أى جناية جنى على نفسه بهذا الزعم الباطل وأى مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش وأى بلية جلبها عليه القصور وأى محنة شديدة ساقها اليه التكلم فيما ليس من شأنه

(١) الذي في الجامع الصغير رحم الله امرأه تكلم فتم أوسكت فلم اه عن أنس وعن الحسن مرسل

وها أنا أوضح لك مثال ما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم ومن كيفية الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليتبين المصيب من الخطي. ومن يده الحق ومن ييده غيره حتى يعرف لك حق معرفته ويتضح لك غاية الاتضاح فان الشئ اذا ضربت له الامثلة وصورت له الصور بلغ من الوضوح والجلال الى غاية لا تخفى على من له فهم صحيح وعقل رجيح فضلا عن من لم يكن له في العلم نصيب وفي العرفان حظ ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثالا لما ذكرناه وأيضا لما أمليناه هي المسئلة التي لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا خصوصا في هذه الايام لاسباب لا تخفى وهي مسئلة رفع القبور والبناء عليها كما يفعله الناس من بناء المساجد والقباب على القبور فنقول

اعلم أن قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لئن الصحابة رضى الله عنهم الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعليها كما يأتي بيانه ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روى عن أحد سواه: ومن ذكر من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جرى على قوله واقتدوا به ولم نجد القول بذلك لا حد ممن عاصره أو تقدم عصره عليه لا من أهل البيت ولا من غيرهم وهكذا اقتصر صاحب البحر الذي هو مدرس كبار الزيدية ومرجع مذاهبيهم ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم وللخلاف بينهم وبين غيرهم بل اشتمل على غالب أقوال المجتهدين وخلافهم في المسائل الفقهية وصار هو المرجوع اليه في هذه الاعصار وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل وأقوال القائلين باثباتها أو نفيها من المجتهدين فان صاحب هذا الكتاب الجليل ما نسب هذه المقالة أعنى جواز رفع القباب والمشاهد على قبور الفضلاء الا الى الامام يحيى وحده فقال مانعه : مسئلة قال الامام يحيى ولا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملك

لا استعمال المسلمين ولم ينكر انتهى : فقد عرفت من هذا انه لم يقل بذلك الا الامام يحيى وعرفت دليله الذى استدل به وهو استعمال المسلمين مع عدم التكثير ثم ذكر صاحب البحر هذا الدليل الذى استدل به الامام يحيى في الفيت واقصر عليه ولم يأت بغيره : فاذا عرفت هذا تقرر ان هذا خلاف واقع بين الامام يحيى وبين سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرها ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم ولا يعترض هذا بحكاية من حكى قول الامام يحيى في مؤلفه ممن جاء بعده من المؤلفين فان كان مجرد حكاية القول لا يدل على أن الحاكى يختاره ويذهب اليه فان وجدت قائلًا من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجعه فان كان مجتهداً كان قائلًا بما قاله الامام يحيى ذاهباً الى ما ذهب اليه بذلك الدليل الذى استدل به وان كان غير مجتهد فلا اعتبار بموافقه لانها انما تعتبر أقوال المجتهدين لا أقوال المقلدين فاذا أردت أن تعرف هل الحق ما قاله الامام يحيى أو ما قاله غيره من أهل العلم فالواجب عليك رد هذا الاختلاف الى ما أمرنا الله بالرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فان قلت بين لى العمل في هذا الرد حتى تتم الفائدة ويتضح الحق من غيره والمصيب من الخطى في هذه المسئلة * قلت افتح لملك وله سمعاً واتخذ له فهماً وأرهم له ذهنًا وها انا اوضح لك الكيفية المطلوبة وابين لك ما لا يبقى عندك بعده ريب ولا يصاحب ذهنك وفهمك عنده لبس فأقول

قال الله سبحانه (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)^١ فهذه الآية فيها الايجاب على العباد بالانقياد بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخذ به والالتزام عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه * وقال الله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)^٢ ففي هذه الآية تعليق محبة الله الواجبة على كل عبد من عباده باتباع رسوله صلى

١ - الحشر ٧

٢ - آل عمران ٣١

الله عليه وآله وسلم وان كان ذلك هو الميعار الذي يعرف به محبة العبد لربه على الوجه المعتبر: وانا أبنا السبب الذي يستحق به العبد أن يحبه الله: وقال الله سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ففى هذه الآية ان طاعة الرسول طاعة الله * وقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فواجب هذه السعادة لمن أطاع الله ورسوله وهي ان يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجة وأعلام منزلة * وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) * وقال سبحانه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقوه فأولئك هم الفائزون) وقال سبحانه (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) وانزل الله على رسوله ان يقول (فاتقوا اللهواطيعون): والآيات الدالة على هذا المعنى فى الجملة أكثر من ثلاثين آية

ومستفاد من جميع ما ذكرناه ان ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه كان الأخذ به واتباعه واجبا بأمر الله سبحانه وكان الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك طاعة لله وكان الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرأ من الله وسنوضح لك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير حديث من النهى عن رفع القبور والبناء عليها ووجوب تسويتها وهدم ما ارتفع منها ولكننا هنا نبتدىء بذكر اشياء فى حكم التوطئة والتحسيد لذلك ثم تنتهى الى ذكر ما هو المطلوب حتى يعلم من اطلع على هذا البحث انه اذا وقع الرد على ما قاله الامام يحىيى وما قاله غيره فى القباب والمشاهد الى ما أمر الله بالرد اليه وهو كتاب الله سبحانه وسنترسوله صلى الله عليه وسلم كان فى ذلك ما يشفى ويكفى ويقنع ويفنى ذكر بعضه فضلا عن ذكر جميعه وعند ذلك نبين لكل من له فهم ما فى رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة ومن المكيدة البالغة التى كادهم الشيطان بها وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السالفة كما حكى الله سبحانه

١ - النساء ٨٠

٢ - النساء ٦٩

٣ - النساء ١٣ - ١٤

٤ - النور ٥٢

٥ - المائدة ٩٢

٦ - آل عمران ٥٠

الشعراء ١٠٨

وتعالى ذلك في كتابه العزيز وكان أول ذلك من قوم نوح قال الله سبحانه (قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خساراً ومكرراً مبكاراً وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) كانوا قوماً صالحين من بنى آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لوصورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصورهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك: وقد حكى معنى هذا في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه: وقال قوم من السلف ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها ان ام سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بارض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله » وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى « افرايتم اللات والعزى » قال كان يلت لهم السويق فعكفوا على قبره: وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يقول « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فأنما أنها كم عن ذلك » وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وفي الصحيحين مثله أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنه . وفيهما أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لا برز قبره غير انه خشى أن يكون مسجداً . وأخرج الامام احمد في مسنده باسناد جيد من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من شرار الناس من تدر كم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وأخرج احمد وأهل السنن من حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته : وفي صحيح مسلم أيضاً عن ثمامة بن شفي نحو ذلك : وفي هذا أعظم دلالة على ان نسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجبة متحمة فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد فان ذلك من المذهي عنه بلا شك ولا شبهة . ولهذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين رضى الله عنه ثم ان أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته . وأخرج احمد ومسلم وابوداود والترمذي وصححه النسائي وابن حبان من حديث جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يوطأ » وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم « أن يكتب عليه » قل الحاكم النهى عن الكتابة على شرط مسلم وهي صحيحة غريبة وفي هذا التصريح بالنهي من البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوقه لانه لا يمكن أن يجعل نفس القبر مسجداً فذلك مما يدل على ان المراد بعض ما يقربه مما يتصل به . ويصدق على من بنى قريباً من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد

الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فان هذا بناء على القبر لا يخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا أو قرية كذا سوراً وكما يقال بنى فلان في المكان الفلاني مسجداً مع ان سمك البناء لم يباشر الا جوانب المدينة أو القرية أو المكان ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع وضع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ومن زعم ان في لغة العرب ما يمنع من هذا الاطلاق فهو لا يعرف لغة العرب ولا يفهم لسانها ولا يدري بما استعمله في كلامها وإذا تقرر لك هذا علمت ان رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد مثلها قد لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم وتارة قال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية وذلك ثابت في الصحيح وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى وتارة قال « لا تتخذوا قبري وثناً » وتارة قال « لا تتخذوا قبري عيداً » أى موسماً يجتمعون فيه كما صار يفعلونه كثير من عباد القبور يجتمعون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتاً معلومة يجتمعون عند قبورهم ويعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبداً من عباد الله صار تحت أطباق النرى لا يقدر على أن يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله أن يقول (قل لأملك نفسي ضرراً ولا نفعاً) فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه في انه لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً وكذلك قال فيما صح عنه « يا فاطمة بنت محمد لا أعني عنك من الله شيئاً » فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم اليه فما ظنك بسائر الاموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلاً مرسلين

بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية وواحد من أهل هذه
 الملة الإسلامية فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضرراً وكيف لا يعجز
 عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه
 وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه شيئاً من ضرر ولا نفع وأنه لا يغني عن
 أحص قرابته من الله شيئاً فيأعجباً كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم
 أو أقل حظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول
 عن نفسه هذه المقالة والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه فهل سمعت
 أذنك أرشدك الله بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع في أهل القبور
 أنا لله وأنا إليه راجعون: وقد أوضحنا هذا أبلغ إيضاح في رسالتنا التي سميناها
 السر النضيد في اخلاص التوحيد وهي موجودة بأيدي الناس فلا شك ولا ريب
 أن السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الاموات هو ملازمته الشيطان
 للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتخصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها
 بأكل تحسين فإن الجاهل اذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه
 قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والبرج المتلألئة وقد ضدعت
 حوله مجامير الطيب فلا شك ولا ريب أنه يمتلىء قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضييق
 ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في
 قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد
 وسائله الى اضلال العباد وما يزلله عن الاسلام قليلاً قليلاً حتى يطلب من صاحب
 ذلك القبر ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه فيصير في عداد المشركين وقد يحصل
 له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أول
 زورة له لان يخطر بباله ان هذه الغاية البالغة من الاحياء بمثل هذا الميت لا يكون
 الا لفائدة يرجوها منه إما دنيوية أو أخروية ويستصغر نفسه بالنسبة الى من يراه
 زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه ومتمسحاً بأركانه وقد يجعل الشيطان طائفة من
 اخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر يخادعون من يأتي اليه من الزائرين

يهولون عليهم الامر ويصنعون أموراً من أنفسهم وينسبونها الى الميت على وجه لا يظن له من كان من المغفلين وقد يصنعون أكاذيب مشتتة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويثبتونها في الناس ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات ويقبل عقله ما يروى عنهم من الاكاذيب فيرويهما كما سمعها ويتحدث بها في مجالسه فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد ويندرون على ذلك الميت بكرامتهم أموالهم ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو أحبها الى قلوبهم لاعتقادهم أنهم ينالون بذلك بجاء ذلك الميت خيراً عظيماً وأجراً بليغاً ويعتقدون ان ذلك قرينة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من اخوانه من بنى آدم على ذلك القبر فانهم انما فعلوا تلك الافاعيل وهولوا على الناس بتلك التهاويل وكذبوا بتلك الاكاذيب لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطفام الاعتام : وبهذه الطريقة الملعونة والوسيلة الابليسية تكاثرت الاوقاف على القبور وبلغت مبلغاً عظيماً حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء وكلها من النذر في معصية الله : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لأنذر في معصية الله » وهي أيضاً من النذر الذي لا ينتهي به وجه الله بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه لأنها تفضي بصاحبها في الغالب الى ما يفضي به الاعتقاد في الاموات من تزلزل قدم الدين اذ لا يسمح بأحب أمواله والصقها بقلبه الا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة ذلك القبر وصاحبه والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به الى الاسلام سالماً نعوذ بالله من الخذلان

ولا شك ان غالب هؤلاء المفرورين المحدثين لو طلب منهم طالب ان ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقرينة من

القربات لم يفعل ولا كاد فانظر الى اين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء. فكيف رمى بهم في هوة بعيدة القعر مظلمة الجوانب فهذه مفسدة من مفاصد رفع القبور وتشيدها وزخرفتها وتجسيصها

ومن المفاصد البالغة الى حد يرقى بصاحبه الى وراء حائط الاسلام ويلقيه على ام رأسه من اعلى مكان من الدين انه يأتي كثير منهم باحسن ما يملكه من الانعام ويحوزه من المواشي فينخره عند ذلك القبر متقربا به اليه راجيا ما يضر حصوله له منه فيهل به لغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان بانه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثنا وبين قبر لميت يسمونه قبرا مجرد الاختلاف في التسمية لا يفنى من الحق شيئا ولا يؤثر تحليلها وتحريمها فان من اطلق على الحجر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين اجمعين ولا شك ان النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها كالهدايا والفدايا والضحايا المتقرب بها الى القبر والتاحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه والتبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا عقر في الاسلام » قال عبد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعنى بقرة أو شيها رواه ابو داود باسناد صحيح عن انس بن مالك ومستدفع الشر به وهذه عبادة وكفاك من شر سماعه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانا لله وانا اليه راجعون : وبعد هذا كله تعلم ان ما سقناه من الدلالة وما هو كالتوطيد لها وما هو كالخاتمة نختم بها البحث بقضى ابلغ قضاء وينادى ارفع ندا ويبدل اوضح دلالة ويفيد اجلى مفاد ان مارواه صاحب البحر عن الامام يحيى غلط من اغايط العلماء وخطأ من جنس ما يقع للمجتهدين وهذا شأن البشر والمعصوم من عصمه الله وكل عالم يؤخذ من قوله ويترك مع كونه رحمه الله من أعظم الائمة انصافا وأكثرهم تحريا للحق وارشادا وتأثيرا ولكننا لما رأينا قد خالف من عداه بما قاله من جواز بناء القباب على القبور رددنا هذا الاختلاف الى ما اوجب الله الرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم فوجدنا في ذلك ما قبلنا ذكره من الأدلة الدالة أبلى دلالة
والمنادية بأعلى صوت بالمنع من ذلك والنهي عنه واللعن لفاعله والدعاء عليه
واشتداد غضب الله عليه مع ما في ذلك من كونه ذريعة إلى الشرك ووسيلة إلى
الخروج عن الملة كما أوضحناه فلو كان القائل بما قاله الإمام يحیی بعض الأئمة
أو أكثرها لكان قولهم رداً عليهم كما قدمناه في أول هذا البحث فكيف
والقائل به فرد من أفرادهم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
« كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد » ورفع القبور وبناء القباب عليها ليس عليه أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عرفناك بذلك فهو رد على قائله أي مردود
عليه والذي شرع للناس هذه الشريعة الإسلامية هو الرب سبحانه بما أنزله في
كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لعالم وإن بلغ من العلم
إلى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون بحيث يقتدي به فيما خالف الكتاب والسنة
أو أحدهما بل ما وقع منه الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجراً ولا
يجوز لغيره أن يتابعه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بزيد
(قائدة) وأما ما استدله الإمام يحيى حيث قال لاستعمال المسلمين ومدارسهم
ومجالس حفاظهم يرد بها الآخر عن الأول والصغير عن الكبير والمتعلم عن
العالم من لئن أيام الصحابة إلى هذه الغاية أوردوا المحدثون في كتبهم المشهورة
من الأمهات والمسنات والمصنفات وأوردوا المفسرون في تفسيرهم وأهل الفقه
في كتبهم الفقهية وأهل الأخبار والسير في كتب الأخبار والسير فكيف يقال
إن المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يروون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله
خلفاء عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الإسلام منكرين لذلك
مبالغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الإمام
الحفيظ بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي
عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح أصحاب أحمد ومالك والشافعي
بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم

احساناً لظن بهم وأن لا يظن بهم أن يجوزوا ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعن فاعله والنهي عنه انتهى
فانظر كيف حكى التصريح عن عامة الطوائف وذلك يدل على أنه اجماع من أهل العلم على اختلاف طوائفهم ثم بعد ذلك جعل أهل ثلاثة مذاهب مصرحين بالتحريم وجعل طائفة مصرحة بالكراهة وحملها على كراهة التحريم فكيف يقال أن بناء القباب والمشاهد لم ينكره أحد ثم انظر كيف يصح استثناء أهل الفضل برفع القباب على قبورهم وقد صرح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا أنه قال « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم لعنهم بهذا السبب فكيف يسوغ من مستثنى (١) أهل الفضل بفعل هذا المحرم الشديد على قبورهم مع أن أهل الكتاب الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر الناس ما صنعوا لم يعمرُوا المساجد الا على قبور صلحائهم ثم هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد البشر وخير الخليفة وخاتم الرسل وصفوة الله من خلقه ينهى أمته أن يجعلوا قبره مسجداً أو وثناً أو عيداً وهو القدوة لأئمة: ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر وهم أحق الأمة بذلك وأولام به وكيف يكون فعل بعض الأمة وصلاحه مسوغاً لفعل هذا المنكر على قبره وأصل الفضل ومرجه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأى فضل ينسب الى فضله أدنى نسبة أو يكون له مجنبه أقل اعتبار فان كان هذا محرماً منهيّاً عنه مملوئاً فاعله في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ظنك بقبر غيره من أمته وكيف يستقيم أن يكون لأفضل مدخل في تحليل المحرمات وفعل المنكرات اللهم اغفر •

« تمت والحمد لله »

(١) كذا الاصل وهو غير ظاهر المتن ولعل العبارة هكذا فكيف يسوغ من هذا استثناء أهل الفضل الخ

مسائل من الاصول^(١)

« للامام العلامة الاصولي المحدث الفقيه »

« ابي محمد علي بن حزم الاندلسي رحمه الله »

« المتوفى سنة ٤٥٦ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة

دين الاسلام للآزم لكل أحد لا يؤخذ الا من القرآن أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما برواية جميع علماء الامة عنه عليه الصلاة والسلام وهو الاجماع واما بنقل جماعة عنه عليه الصلاة والسلام وهو نقل الكلفة : واما برواية الثقات واحداً عن واحد حتى يبلغ اليه عليه السلام ولا مزيد : قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) وقال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) فان تعارض فيما يرى المرء آيتان أو حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالهما جميعاً لان طاعتها سواء في الوجوب

١ - النجم ٣ - ٤

٢ - الأعراف ٣

٣ - المائدة ٣

(١) ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه المهلى بالآثار في شرح المهلى بالاختصار بعد ان ذكر مسائل التوحيد وقد رغب بعض الاصدقاء في نشرها ضمن مجموعة الرسائل المنيرة فاحيب عليه ولما كان للسيد الامير الصنعاني تطبيق عليها احببنا نشره انما للفائدة مع بعض تعليقات للادارة المنيرة مع التصريح بذلك باسمها لئلا يفتبس على القاريء بالتطبيق الآخر

فلا يحل ترك أحدهما للآخر ما دمتا تقدر على ذلك وليس هذا إلا بان يستثنى الأقل معاني من الآخر فإن لم تقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكماً لأنه متيقن وجوبه ولا يحل ترك اليقين بالظنون ، ولا اشكال في الدين قد بين الله تعالى دينه قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) وقال تعالى (تبيناً لكل شيء)^١

مسألة

الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة ، وكذلك ما لم يروه إلا من لا يوثق بدينه وبحفظه ، ولا يحل ترك ما جاء في القرآن وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن ، والمرسل هو ما كان بين أحد روايته أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لا يعرف ، والموقوف هو ما يبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

- برهان بطلان الموقوف - قول الله عز وجل (لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه ظن وقد قال تعالى (ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) :

١ - المائدة ٣

٢ - النحل ٨٩

٣ - النساء ١٦٥

٤ - يونس ٣٦

٥ - الاسراء ٣٦

٦ - الحجرات ٦

وأما المرسل (١) ومن في روايته من لا يوثق بدينه وحفظه فلقول الله تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فوجب الله عز وجل قبول نذارة الناس للتفقه في الدين وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وليس في العالم إلا عدل أو فاسق فحرم الله

(١) أي وأما بطلان الاستدلال بحديث المرسل الغ أي والحديث الضعيف : الإدارة

تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل فصح انه هو المأمور بقبول نذارته

وأما المجهول - فلسنا على ثقة من انه على الصفة التي أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهي التفقه في الدين فلا يجعل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا نقبه في الدين وحفظه لما ضبط من ذلك وبرائه من الفسق : وبالله تعالى التوفيق ولم يختلف أحد من الأمم في ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى الملوك رسولا رسولا واحداً الى كل مملكة يدعوهم الى الاسلام واحداً واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة كصنعاء الجند وحضرموت وتيماء ولجرا والبحرين وعمان وغيرها يعلمهم أحكام الدين كلها : وافترض على اهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن ترك القرآن او ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان راوى ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه لقول من لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه وهذا خلاف لامر الله تعالى ،

وليس فضل صاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله لانه تعالى لم يأمر بذلك لكن موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي اوجب الله تعالى

مسألة

والقرآن ينسخ القرآن والسنة : والسنة تنسخ السنة والقرآن (١)

(١) ما ذهب اليه من نسخ القرآن بالسنة حكمي قولاً للشافعي وحكى كثيرون عنه انه لا ينسخ الكتاب بالسنة جزماً كما في المحلى على جميع الجوامع وقال ابن تيمية : يتوجه الاحتجاج بآية « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على انه لا ينسخ القرآن

قال الله تعالى عز وجل « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » وقال تعالى « لتبين للناس ما نزل إليهم » وقال تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وأمره تعالى ان يقول (ان اتبع الا ما يوحى الي) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لا أخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) فصيح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان وكل ذلك من عند الله تعالى

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقول في آية او في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب :

- ١ - البقرة ١٠٦
 - ٢ - النحل ٤٤
 - ٣ - النجم ٣ - ٤
 - ٤ - الأنعام ٥٠
 - ٥ - الحاقة ٤٤ - ٤٧
 - ٦ - النساء ٦٤
 - ٧ - ابراهيم ٤
 - ٨ - الشعراء ١٩٥
 - ٩ - البقرة ٧٥
 - ١٠ - النور ١٦
- برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أمر به : وقوله تعالى

الا قرآن كما هو مذهب الشافعي وهو اشتهر الروايتين عن الامام احمد وعليها عامة اصحابه ام ودليله جلي وهو ان الظني الدلالة لا يساوي قطعيها فلا يقوى على نسخه وقد نقل الرازي وغيره عن ابي مسلم الاصمهاني ان النسخ غير واقع في التنزيل ورد كل آية قيل بنسخها الى انها محكمة كما تراء مبسوطاً في مواضع من تفسيره والمسألة مبسطة في مواضع اخر

(أطيعوا الله) موجب طاعة القرآن ، ومن ادعى في آية أو خبر نسخا فقد أسقط وجوب طاعتها وهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية : فن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه وقال عليه عز وجل الباطل وخلاف قوله عز وجل ، ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص وأسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وهذا قول على الله تعالى بالباطل ، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه من سائر ما يقتضيه ، وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) موجب للوعيد على من قال : لا تجب علي موافقة أمره وموجب حمل جميع النصوص على الوجوب ، ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب طاعة الله ووجوب ما أوجب عز وجل من طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المدة وهنا خلاف لامر الله عز وجل ، فاذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن أو سنة ثابتة إما باجماع أو نقل صحيح فقد صح قوله ووجوب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهد له ضرورة الحس لأنها فعل الله تعالى في النفوس والا فعي أقوال مؤدية الى ابطال الاسلام وابطال جميع العلوم وابطال جميع اللغات كلها وكفى بهذا فساداً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والاجماع هو ماتيقن ان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرفوا به وقالوا به ولم يختلف منهم أحد كتيقنا انهم كلهم رضى الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها أو علموا انه صلاها مع الناس كذلك وانهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس

١ - ابراهيم

٢ - النور

رمضان في الحضر وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين وهذا مالا يختلف أحد في انه إجماع وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الارض غيرهم ومن ادعى ان غير هذا هو إجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له اليه

مسألة

وماصح فيه خلاف من واحد منهم رضى الله عنهم أو لم يتيقن ان كل واحد منهم رضى الله عنهم عرفه ودان به فليس إجماعاً لان من ادعى الاجماع هنا فقد كذب وقفاً ما لا علم له به والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)

مسألة

ولو جاز أن يتيقن إجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه بإجماع الصحابة رضى الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة وليس كان يكون إجماعاً :

أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا انه لا يجوز ألبتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ ولا بد من قائل بالحق فيهم : وأما انه ليس إجماعاً فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم ليس جميع المؤمنين وإنما هم بعض المؤمنين والاجماع إنما هو إجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم ولو جاز أن يسمى إجماعاً ما خرج عن الجملة واحد لا يعرف أبواً سائرهم أمثالهم لجاز أن يسمى إجماعاً ما خرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبداً الى أن يرجع الامر الى أن يسمى إجماعاً ما قاله واحد وهذا باطل ولكن لا سبيل الى

تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضى الله عنهم لكثرة أعداد الناس بعدهم ولأنهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم كذلك بلى كانوا عدداً ممكناً حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسئلة وبالله تعالى التوفيق . وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضا اصحاب مالك وأصحاب ابى حنيفة وأصحاب الشافعى بأقوال هؤلاء . « قال على » (١) وهنا خطأ لانه لا سبيل الى أن يكون مسائلة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء إلا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله

مسألة

والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا الى شىء غيرهما ولا يجوز الرجوع الى عمل اهل المدينة ولا غيرهم * برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فصح انه لا يحل الرد عند التنازع الى شىء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله لاسيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم ، وقد كان الخلفاء رضى الله عنهم كابى بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعماهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعماهم بالبصرة والكوفة ومصر والشام ومن الباطل المتيقن الممتنع الذى لا يمكن أن يكونوا رضى الله عنهم طووا

(١) وقوله قال على يعنى به المصنف رحمه الله لان اسمه ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي : أه ادارة الطباعة المنيرة

علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واختصوا به أهل المدينة فهذه صفة سوء. قد أعاذهم الله تعالى منها وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصح انه لاجبة في عمل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة

ولايجل القول بالقياس في الدين ولا بالرأى (١) لان أمر الله تعالى عند التنازع بالرد الى كتابه والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد صح فمن رد الى قياس والى تعليل يدعيه أو الى رأي فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالايمان ورد الى غير من أمر الله تعالى بالرد اليه وفي هذا ما فيه (قال على) وقول الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) : وقوله تعالى (تبياناً لكل شيء) : (تبين للناس ما نزل اليهم) وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) إبطال للقياس والرأى لانه لا يختلف أهل القياس والرأى في انه لا يجوز استعمالها مادام يوجد نص : وقد شهد الله تعالى بأن النص لم يفرط فيه شيئاً وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل ما نزل اليهم وان الدين قد كل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فاذا كان ذلك كذلك فلا حاجة بأحد الى قياس (٢) ولا الى غيره :

ونسأل من قال بالقياس هل كل قياس قامه قانس حق أم منه حق ومثله باطل قلن قال كل قياس حق أحال (٣) لان المقاييس تتعارض ويبطل بعضها بعضاً ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقاً معاً وليس

(١) قال السيد غير المصنف الرأي في بعض رسائله بأنه الحكم في الدين بنبر نص بل بما يراه المفتي أحوط وأعدل في التحليل والتحريم والايجاب (قال) ومن وقف على هذا الحد وعرف مامنى الرأي اكتفى في ايحاب النع من بنبر يرهان اذ هو قول بلا يرهان أه وكان حدوث الرأي في القرن الاول قرن الصعابة والقياس في القرن الثاني أه

(٢) في بعض النسخ ولالى رأي وهو غير ظاهر ولعل الاصل هكذا : ولالى رأي نفسه أه

(٣) أي أتى بالمحال الذي لا يقي

١ - الأنعام ٣٨

٢ - النحل ٨٩

٣ - النحل ٤٤

٤ - للثمة ٣

هذا مكان نسخ ولا تخصيص كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضاً ، وإن قال منها حق ومنها باطل قيل له فعرفنا بماذا نعرف القياس الصحيح من الفساد ولا سبيل لهم الى وجود ذلك أبداً واذا لم يوجد دليل على تصحيح الصحيح من القياس من الباطل منه فقد بطل كله وصار دعوى بلا برهان ، فان ادعوا ان القياس قد أمر الله تعالى به سئلوا أين وجدوا ذلك فان قالوا قال الله عز وجل (فاعتبروا يا أولي الابصار) قيل لهم ان الاعتبار ليس هو في كلام العرب الذي نزل به القرآن إلا التعجب قال الله تعالى عز وجل (وإن لكم في الانعام لعبرة) أي لعجباً وقال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) أي عجب : ومن العجب أن يكون معنى الاعتبار القياس ويقول الله تعالى لنا فاعتبروا قيسوا ثم لا يبين لنا ماذا نقيس ولا كيف نقيس ولا على ماذا نقيس هذا ما لا سبيل اليه لانه ليس في وسع أحد أن يعلم شيئاً من الدين إلا بتعليم الله تعالى له إياه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فان ذكروا أحاديث وآيات فيها تشبيه شيء بشيء وان الله تعالى قضى وحكم بأمر كذا من أجل أمر كذا قلنا لهم كل ما قاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك فهو حق لا يحل لاحد خلافه وهو نص به نقول وكل ما تردون أن تشبهوه في الدين وأن تعلوه مما لم ينص عليه الله تعالى ولا رسوله عليه الصلاة والسلام فهو باطل وإفك وشرع لم يأذن الله تعالى به وهذا يبطل عليهم تهويلهم بذكر آية جزاء الصيد ورايت لومضمت : و (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) وكل آية وحديث موهوا بايراده وهو مع ذلك حجة عليهم على ما قد بيناه في كتاب الاحكام لاصول الاحكام : وفي ; كتاب النكت : وفي كتاب الدرر : وفي كتاب النبذة

١ - الحشر

٢ - النحل ٦٦

٣ - يوسف ١١١

٤ - البقرة ٢٨٦

٥ - الثلاثة ٢٢

(قال علي) وقد عارضناهم في كل قياس قاسوه بقياس مثله او صح منه على اصولهم ليرهم فساد القياس جملة فهو منهم موهون بأن قالوا انتم إذا تطلعون القياس بالقياس وهذا منكم رجوع الى القياس واحتجاج به وانتم في

ذلك بمنزلة المحتج على غيره بحجة العقل ليبطل حجة العقل وبديل من النظر
ليبطل به النظر (قال علي) قلنا هذا شغب يسهل افساده والله الحد ونحن لم
نحتج بالقياس في ابطال القياس ومعاذ الله من هذا لكن ارينا كم ان اصلكم
الذي اثبتوه من تصحيح القياس يشهد بفساد جميع قياساتكم ولا أظهر باطلا
من قول أ كذب نفسه وقد نص تعالى على هذا فقال تعالى (وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فليس هذا تصحيحا
لقولهم انهم ابناؤه وأحباؤه ولكن الزاماً لهم ما يفسد به قولهم ولسنا في ذلك
كن ذكرتم من محتج في ابطال حجة العقل بحجة العقل لكن فاعل ذلك
مصحيح لقضيته العقلية التي محتج بها فظهر تناقضه من قريب ولا حجة له غيرها
فقد ظهر بطلان قوله ، واما نحن فلم نحتج قط في ابطال القياس بقياس نصحيحه
لكن نبطل القياس بالنصوص وبراهين العقل ثم نزيد يائناً في فساد منه
نفسه بان نروى تناقضه جملة فقط والقياس الذي يعارض به قياسكم تقرر بفساده
وفساد قياسكم الذي هو مثله او اضعف منه كما نحتج على اهل كل مقالة من
معتزلة ورافضة ومرجئة وخوارج ويهود ونصارى ودهرية من اقوالهم التي
يشهدون بصحتها فريهم تفاسدها وتناقضها وانتم تحتجون عليهم معنا كذلك
ولسنا نحن ولا انتم ممن يقر بتلك الاقوال التي تحتج عليهم بها بل هي عندنا
في غاية البطلان والفساد وكاحتجاجنا على اليهود والنصارى من كتبهم التي
بأيديهم ونحن لا نصحيحها بل نقول انها محرفة مبذلة لكن لنريهم تناقض
اقوالهم وفروعهم لا سيما وجميع أصحاب القياس مختلفون في قياساتهم لا تكاد
توجد مسألة الا وكل طائفة منهم تأتي بقياس تدعى صحته تعارض به قياس
الآخرى وهم كلهم مقرون مجمعون على انه ليس كل قياس صحيحا ولا كل رأى
حقا قلنا لهم فها تواتر حد القياس الصحيح والرأى الصحيح الذي نميز به من
القياس الفاسد والرأى الفاسد وها تواتر حد العلة الصحيحة التي تقيسون عليها من

العلة الفاسدة فلجلجوا (١)

قال علي — وهذا مكان أدرم عليهم فيه ظهر فساد قولهم جملة ولم يكن لهم الى جواب يفهم سبيل أبدأ وبالله تعالى التوفيق ، فلن أتوا في ذلك بنص قلنا النص ، والذي تريدون انتم إضافته الى النص بأرائكم باطل وفي هذا خولفتم وهكذا أبدأ ، فلن ادعوا ان الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على القول بالقياس قبل لهم كذبتهم بل الحق انهم كلهم أجمعوا على إبطاله .

برهان كذبهم انه لا سبيل لهم الى وجود حديث عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم انه أطلق الامر بالقول بالقياس إلا في الرسالة المكذوبة الموضوعة على عمر رضي الله عنه فان فيها : فاعرف الاشياء والأمثال وقس الامور ، وهذه رسالة لم يروها إلا عبد الملك بن الوليد بن معدان عن أبيه وهو ساقط بلا خلاف (٢) وأبوه أسقط منه ومن هو مثله في السقوط فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر رضي الله عنه منها قوله فيها : والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو ظليماً في ولا ، أو نسب ، وهم لا يقولون بهذا يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفية ومالكية وشافعية وإن كان قول عمر لو صح في تلك الرسالة في القياس حجة فقله في ان المسلمين عدول كلهم إلا مجلوداً في حد حجة وإن لم يكن قوله في ذلك حجة فليس قوله في القياس حجة لو صح فكيف ولم يصح

(١) قال الامير الصناني العلة الصحيحة مادل عليها التليل للحكم بها في نص الكتاب أو السنة بأي حروف التليل المروفة بالالة أو بتطبيق الحكم على الوصف المناسب للتليل . واللة الفاسدة مالم يأت تليل الحكم بها في كتاب ولا سنة كالشبه والدوران ونحوهما من مسالكها الباطلة اه وقوله ادرم عليهم اي خفي واشتب

(٢) في الميزان عبد الملك بن الوليد بن معدان عن عاصم بن ابي النجود قال يحيى بن معين صالح وقال ابو حاتم ضعيف وقال ابن حبان يقلب الاسانيد لاجل الاحتجاج به وقال البخاري فيه نظر اه منى حاشية الاصل وكتب فيها أيضاً : تأمل القول بأن كتاب عمر الى ابي موسى كتاب مكذوب وقد شرحه ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين اه ولا يلزم من شرعه صحته فان المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح

وأما برهان صحة قولنا في إجماع الصحابة رضى الله عنهم على إبطال القياس فإنه لا يختلف اثنان في ان جميع الصحابة مصدقون في القرآن وفيه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) وفيه (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فمن الباطل المحال أن يكون الصحابة رضى الله عنهم يعلمون هذا ويؤمنون به ثم يردون عند التنازع الى قياس أو رأى (١) هذا ما لا يظنه بهم ذو عقل فكيف وقد ثبت عن الصديق رضى الله عنه انه قال : أي أرض تقلى أو أي سماء تظلي إن قلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لأعلم (٢) وصح عن الفاروق رضى الله عنه انه قال : اتهموا الرأى على الدين وإن الرأى منا هو الظن والتكلف . وعن عثمان رضى الله عنه في فتيا أتى بها إنما كان رأياً فمن شاء أخذ ومن شاء تركه ، وعن علي رضى الله عنه : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه (٣)

١ - اللائدة ٣

٢ - النساء ٥٩

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه : أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم

(١) قال السيد يقال عليهم هم اذا ردوه الى قياس له علة منصوعة في كتاب أو سنة فقد ردوه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ان عمل الصحابة بالقياس والرأى متواتر تواتراً ممنوياً في عدة قضايا ذكر منها شطراً ولأساً أم

(٢) هذا أمر خاص بتفسير القرآن والتنازع في الاحكام أخرج ابو عبيد في فضائله وعبد ابن حميد ابراهيم التميمي قال سئل ابو بكر عن الاب ما هو فقال أي سماء تظلي وأي أرض تقلى اذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم : فكلاه في تفسير لفظة لنوبة جهل منهاها فليس من محل النزاع في الحاق فرع بأصل في حكمه لشاركته في علة منصوعة لا في تفسير لفظة لنوبة وقد اتفق لسركها اتفق لابي بكر في لاية فأخرج عبد بن حميد وابن النباري في المصاحف عن أنس قال قرأ عمر (وفاكة وأبأ) قال هذه الفاكة قد عرفناها فا الاب قال : قد نهيتم عن التكلف امعن الامير الصناني : اقول والقصة اتى بها الشاطبي في كتابه الاعتصام واصله (٣) قلله ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلاه فكأنه قال : لولا اني لسحت برأينا أسفل الخف فبه اثبات لرأى لولا اني لم امر

وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من جهنم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه : سأقول فيها بمجهود رأيي فان كان صواباً فمن الله
وحده وإن كان خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله بريء، وعن معاذ بن جبل
في حديث : فليدع كلاماً ليس من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قايماً وإياه فانه بدعة وضلالة : وعلى هذا النحو كل
رأى روى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم لا على انه إلهام ولا انه حق
لكنه إشارة بعفو أو صلح أو نوع (١) فقط لا على سبيل الإيجاب (٢) وحديث
معاذ الذي فيه أجتهد رأيي ولا آلو لا يصح لانه لم يروه أحد إلا الحرث بن عمر
وهو مجهول لا ندرى من هو عن رجال من أهل مصر (٣) لم يسمهم عن معاذ
وقد تصدينا أسانيد هذه الاحاديث كلها في كتابنا المذكور والله تعالى الخد ،

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا ابي قاسم بن محمد حدثنا جدى قاسم بن اصبح
اخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذي حدثنا نعيم بن حماد اخبرنا عبد الله بن المبارك
اخبرنا عيسى بن يونس بن أبي اسحق السبيعي عن جرير بن عثمان عن عبد
الرحمن بن جبير عن نعيم بن ابيه عن عوف بن مالك الاشجعي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم « تفرق امتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة
على امتي قوم يقدسون الامور بأرائهم (٤) فيحلون الحرام ويحرمون الحلال »
(قال على) والشريعة كلها اما فرض يعصى من تركه واما حرام يعصى من
فعله واما مباح لا يعصى من فعله ولا من تركه وهذا المباح ينقسم الى ثلاثة

(١) كذا في الاصل

(٢) يقال قد وقع للصحابة الخلاف في ميراث الجد والمكتم بالرأى لانهم لم يجدوا فيه نصاً
وغير ذلك من الادراء التي حكموا بها اه أمير (٣) في نسخة : خمس

(٤) هذا في قوم يخالفون صرائح النصوص بقياساتهم قال قولهم فيحلون الحرام ويحرمون
الحلال دال على انهم يفعلون ذلك فيما ثبت النص فيهما على خلاف ما قالوه لانه كان حلالاً وحراماً
ولا يتصف بذلك الا عن نص وكون الاصل الحل هو عن نص وهو ما ذكره المصنف عن قوله
تعالى « خلق لكم ما في الارض جميعاً » اه وقد حكم المصنف في الفصل بوضع هذا الحديث

أقسام اما مندوب اليه يؤجر من فعله ولا يعصى من تركه واما مكروه يؤجر من تركه ولا يعصى من فعله واما مطلق لا يؤجر من فعله ولا من تركه ولا يعصى من فعله ولا من تركه وقال عز وجل (خلق لكم ما في الارض جميعاً) وقد قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) فصيح ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد حدثنا احمد بن علي حدثنا مسلم بن الحجاج اخبرني زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام بارسول الله . فسكت حتى أعادها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوا »

(قال علي) فجمع هذا الحديث جميع أحكام الدين او لها عن آخرها ففيه ان ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يأمر به ولا نهى عنه فهو مباح وليس حراماً ولا فرضاً وان ما أمر به فهو فرض وما نهى عنه فهو حرام وان ما أمرنا به فانما يلزمنا منه ما نستطيع فقط وان نفعل مرة واحدة تؤدى ما لزمنا وما يلزمنا تكراره فاي حاجة بأحد الى قياس أو رأي مع هذا البيان الواضح (١)

١ - البقرة ٢٩

٢ - الأنعام ١١٩

(١) قال السيد الامير قلت اما مع النص على الحكم فلتأمل بالقياس ولكن من المعلوم يقيناً انه لم يأت في كل حادثة نص يحكمها فانه من المعلوم يقيناً انها اتفقت قضايا اختلف فيها الصحابة لعدم النص وهم اعرف الناس بالنصوص فانهم اختلفوا في مسائل من الموارث كبريات الجد ومسائل المول ومسألة بيع امهات الاولاد وعدة مسائل لا تنحصر في البيع والطلاق والامد وحكوا فيها تحليلاً وتحريماً بالأراء وقد صرح المصنف رحمه الله انه وقع الرأي في اقرن الاول وهو قرن الصحابة فكيف يقول فاي حاجة بأحد الى القياس على انا حققنا لك ان القياس على العلة المنصوبة هو من النص فالرجوع اليه عند التنازع رجوع الى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وليس هذا القياس من ضرب الامثال في الدين بل هو من الدين اه

ونحمد الله تعالى على عظم نعمه

فان قال قائل منهم لا يجوز ابطال القول بالقياس حتى توجدونا تحريم القول به نصاً في القرآن قلنا لهم قد اوجدناكم البرهان نصاً بذلك وبأن لا يرد التنازع الا الى القرآن والسنة فقط وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقال تعالى (فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) والقياس ضرب امثال في الدين لله تعالى . ثم يقال لهم ان عارضكم الروافض يمثّر هذا فقالوا لكم لا يجوز القول بابطال الالهام ولا بابطال اتباع الامام الا حتى توجدونا تحريم ذلك ايضاً أو قال لكم ذلك أهل كل مقالة في تقليد كل انسان بعينه بماذا تنفصلون بل الحق انه لا يحل ان يقال على الله تعالى انه حرم أو حلل أو اوجب الا بنص فقط وبالله تعالى التوفيق

مسألة

وافعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فرضاً الا ما كان منها بياناً لأمر فهو حينئذ امر لكن الا يتساء به عليه الصلاة والسلام فيها حسن برهان ذلك هذا الخبر الذي ذكرته آنفاً من انه لا يلزمنا شيء الا ما امرنا به او نهانا عنه وان ماسكت عنه فمفوض ساقط عنا وقال عز وجل « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »^٢

مسألة

ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال عز وجل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً)^١

١ - الأعراف ٣

٢ - النحل ٧٤

حدثنا احمد بن محمد حدثنا الحسور حدثنا وهب بن ميسرة حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا هشيم اخبرنا يسار عن يزيد الفقير

٣ - الأحزاب ٢١

٤ - للأنبياء ٤٨

اخبرنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اعطيت خمساً لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الثنائيم ولاتحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة فاذا صبح ان الانبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم الا الى قومه خاصة فقد صبح ان شرائعهم لم تلزم الا من بعثوا اليه فقط واذا لم يبعثوا اليها فلم يخاطبونا قط بشئ ولا أمرونا ولا نهونا ولو خاطبونا لما كان لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة عليهم في هذا الباب ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وابطل هذه الفضيلة التي خصه الله تعالى بها فاذا صبح انهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشئ فقد صبح يقيناً ان شرائعهم لا تلزمنا أصلاً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يحل لأحد ان يقلد احداً لاجباً ولا ميتاً وعلى كل احد من الاجتهاد حسب طاقته فمن يسأل عن دينه فانما يريد معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين ففرض عليه ان كان اجمل البرية ان يسأل عن اعلم اهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دل عليه سأل له فاذا اقتضاه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله فان قال نعم اخذ بذلك وعمل به ابدأ فان قال له هذا رأى أو هذا قياس أو هذا قول فلان وذكر له صاحباً أو تابعاً أو قفياً قديماً أو حديثاً أو سكت أو انتهره أو قال له لا أدري فلا يحل له ان يأخذ بقوله ولكن يسأل غيره

برهان ذلك قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض اولى الامر فمن قلنا عالمنا أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اولى الامر واذا لم يرد الى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض

اولي الامر دون بعض (آ)

فان قيل فان الله عز وجل قال (فاسألوا اهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) (ب)
وقال تعالى (ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم) قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل
ان يقبل من النافر لتفق في الدين رأيه ولا ان يطاع اهل الذکر في رأيهم ولا
في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل وانما أمر تعالى بان يسأل اهل الذکر
عما يعلمونه في الذکر الوارد من عند الله تعالى فقط لا عن من قاله من لاسمع
له ولا طاعة : وانما أمر الله تعالى بقبول نذارة النافر لتفق في الدين فيما تفقه
فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا في دين
لم يشرعه الله عز وجل ، ومن ادعى وجوب تقليد العامي لعمتي فقدا دعى الباطل
وقال قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا قياس وما كان هكذا
فهو باطل لانه قول بلا دليل بل البرهان قد جاء بابطاله داماً لقوم (انا أطلعنا
سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيل) والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين
الله عز وجل الذي اوجبه على عباده وبالضرورة يدري كل ذی حس سليم ان

١ - النحل ٤٣

٢ - التوبة ١٢٢

٣ - الأحزاب ٦٧

(آ) قال السيد محمد الامير كلام المصنف رحمه الله مبني على ان المراد بأولي الامر
العلماء وهو احد اقوال السلف في تفسير الآية ولكنه اخرج ابن ابي شيبة والبخاري ومسلم
وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من
اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى امري فقد عصاني » وفي الآية احاديث
مرفوعة بنحوه وآثار عن السلف مختلفة منهم من فسرهم بالعلماء ثم على كلام المصنف المراد
استروا العلماء عن احكام الكتاب والسنة وان اقتبا منها رواية الكتاب والسنة وقبول
رواية العالم ليس تقليداً له بل من العمل بخبر الاحاد الذي تجب الله بالعمل به العباد وهو العمل
بالظن المستفاد من اخبار الاحاد : وفي قوله لم يأمر الله بطاعة بعض اولي الامر دون بعض
ايهام أنه لا يقبل فتوى العالم الواحد حتى تكون اجماعاً وهو خلاف ما قرره كما لا يخفى اه
(ب) قال بعض المحققين واختار ان المراد بسؤال اهل الذکر السؤال عن الرسل هل كانوا بشر أم
لا لان ذلك هو المذكور في أول الآية والدرف المرئي يقضي بان ذلك هو المراد والقارئ تنوق
الفهم اليه بانه تعالى لما قال (وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم فاسألوا اهل الذکر) فان السابق
الى الاتهام فاسألوهم عن كوننا ما ارسلنا الا رجالاً : كما لو قال قائل واجبت اليوم الخليفة واسأل
وزراءه كان المفهوم واسألهم عن كونى واجته : وبهذا تعرف ان هذه الآية لا تصلح للاستدلال على
جواز التقليد كما ذهب اليه الاكثر من محبي التقليد اه الادارة

المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بان الله تعالى اله لا اله غيره وان محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدين اليه والى غيره فاذا لا شك في هذا فكل سائل في الارض عن نازلة في دينه فانما يسأل عما حكم الله تعالى به في هذه النازلة فاذا لا شك ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتياً أهذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يعجز عنه من يدري ما الاسلام ولو انه قد جلب من قوقو (١) وبالله تعالى التوفيق

مسألة

واذا قيل له اذا سأل عن أعلم اهل بلده بالدين هذا صاحب حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا صاحب رأى وقياس فليسأل صاحب الحديث ولا يحمل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً:

برهان ذلك قول الله عز وجل (اليوم اكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فهنا هو الدين لا دين سوى ذلك والرأى والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الحضور حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن أنى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال د اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث (حدثنا) يونس بن عبد الله حدثنا يحيى بن مالك بن عاتق اخبرنا ابو عبد الله ابن ابى حنيفة اخبرنا ابو جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي اخبرنا سعيد بن منصور اخبرنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال : السنة لم توضع بالمقاييس (حدثنا) محمد بن سعيد بن بيان اخبرنا اسمعيل بن اسحق البصرى اخبرنا احمد بن سعيد بن حزم اخبرنا محمد بن ابراهيم بن حيون المجازى اخبرنا عبد الله بن احمد بن

حنبل قال سمعت ابي يقول : الحديث الضعيف أحب الينا من الرأي (حدثنا) هام بن احمد اخبرنا عباس بن اصبح حدثنا محمد بن عبد الملك بن ايمن حدثنا عبد الله ابن احمد بن حنبل قال سألت أبي عن الرجل يكون يبلد لا يجد فيه الا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتزل به النازلة من يسأل فقال ابي يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي : ضعيف الحديث أقوم من رأي فلان

مسألة

ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن أو السنة لما حكم قل تعالى (ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا)

مسألة

وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه وان عجز عن جميعه سقط عنه وان قوى على بعضه وعجز عن بعضه سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء أقله أو أكثره :

برهان ذلك قول الله عز وجل (لا يكلف الله فسا الا وسعها) : وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل باسناده وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يجوز أن يعمل أحد شيئاً من الدين موقفاً بوقت قبل وقته فان كان الاول من وقته والآخر من وقته لم يجوز أن يعمل قبل وقته ولا بعد وقته لقول الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله

١ - الأحزاب ٥

٢ - البقرة ٢٨٦

٣ - الطلاق ١

فلا تعتدوها (والاوقات حدود فمن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له فقد تعدى حدود الله .

حدثنا عبدالله بن يوسف ثنا احمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد أخبرنا احمد بن علي أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا اسحق ابن ابراهيم هو ابن راهويه عن أبي عامر العقدي حدثنا عبدالله بن جعفر الزهري عن سعيد بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال أخبرني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » — قال على ومن أمره تعالى أن يعمل عملا في وقت سماء له فعله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت فقد عمل عملا ليس عليه أمر الله تعالى ولا أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود باطل غير مقبول وهو غير العمل الذي أمر به فان جاء نص بأنه يجزىء في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والمجتهد المحطى أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب هذا في أهل الاسلام خاصة وأما غير أهل الاسلام فلا عندهم اجتهد المستدل ولا للمقلد وكلاهما هالك برهان هذا ما ذكرناه آنفاً باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التلبد جملة فالمقلد عاص والمجتهد مأجور وليس من اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقلداً لانه فعل ما أمره الله تعالى به وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه فعل ما لم يأمره الله تعالى به ، وأما غير الاسلام فان الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)^٢

١ - البقرة ٢٢٩

٢ - آل عمران ٨٥

مسألة

والحق من الأقوال في واحد منها وسائرهما خطأ وبالله تعالى التوفيق: قال الله تعالى (فإذا بعد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وذم الله تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا) وقال تعالى (نبينا لكل شيء) فصح ان الحق من الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه وهو واحد لا يختلف وان الخطأ ما لم يكن من عند الله عز وجل ، ومن ادعى ان الأقوال كلها حق وان كل مجتهد مصيب فقد قال قولاً لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول وما كان هكذا فهو باطل ، ويطلبه أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه الصلاة والسلام ان المجتهد قد يخطئ ، ومن قال ان الناس لم يكلفوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله به قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إلينا وأن لا تتبع غيره وأن لا تتعدى حدوده وإنما أجر المجتهد المخطئ أجر واحد على نيته في طلب الحق فقط ولم يأنم اذا حرم الإصابة ، فلو أصاب الحق أجر أجراً آخر ثانياً (حدثنا) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد أخبرنا إبراهيم بن أحمد الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد الله بن زيد المقرئ حدثنا صوبة بن شريح حدثنا يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن إبراهيم بن الحرث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر »

١ - يونس ٣٢

٢ - النساء ٨٢

٣ - آل عمران ١٠٥

٤ - الأنفال ٤٦

٥ - النحل ٨٩

٦ - الأعراف ٣

ولا يحمل الحكم بالظن أصلاً (١) لقول الله تعالى (إن يتبعون إلا الظن

(١) قال السيد محمد الأمير أقول هذا النفي في أنه لا يحمل الحكم بالظن مشكل غاية الاشكال وقد آن أن نحقق البحث للناظرين دفعا للاغترار بكلام هذا المحقق رحمه الله فنقول الظن لفظ مشترك بين معان يطلق على الشك كما صرح أئمة اللغة قمي القاموس : الظن التردد والراجع بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم انتهى فهذان اطلاقان . ويطلق على اليقين « الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون » مع قوله في صفة المؤمنين « وهم بالآخرة هم يوقنون » لأنه لا بد من اليقين في الإيمان بالآخرة ويطلق على التهمة كما في قوله تعالى « وما هو على الغيب بضين » فيمن قرأ، بالظن المشالة أي بمتهم كما قال أئمة التفسير وإذا عرفت هذا عرفت أن المذموم من الظن هو ما كان بمعنى الشك وهو المتردد بين طرفي الأمر فطره مستويان لراجع فيهما فهذا يحرم العمل به اتفاقاً وهو الذي هو كذب الحديث وهو الذي لا يفي من الحق شيئاً وهو بمض الأثم الذي أراد تعالى « أن بمض الظن أثم » وذلك لما تقرر في الفطرة وقرره الشريعة أن لا عمل إلا برأى مستفاد من علم أو ظن . وأما الظن الذي بمعنى الطرف الراجع فهو متمب به قطعا بل أكثر الأحكام الشرعية دائرة عليه فهو البض الذي ليس فيه أثم المفهوم من قوله تعالى (أن بمض الظن أثم) — فان خبر الآحاد معمول به في الأحكام وهو لا يفيد بنفسه إلا الظن . والمصنف (ابن حزم) تقدم له أن الجاهل يسأل العالم عن الحكم فيما يرض له فإذا أفتاه وقال هذا حكم الله ورسوله عمل به أبداً ومعلوم أن هذه رواية آحادية من العالم بالمعنى ولا تهيد إلا الظن وقد أوجب قبولها وكذلك أمر الله بأشهاد ذوي عدل فان شهدا وجب على الحاكم الحكم بما شهدا به وشهادتهما لا تهيد إلا الظن بل كونهما ذوي عدل لا يكون إلا بالظن بل قال صلى الله عليه وآله وسلم : أنكم تختصمون إلى الله قوله فانما أقطع له قطعة من نار : وهذا صريح أنه صلى الله عليه وآله وسلم حكم بالظن الحاصل عن البيئة إذ لو كان بالملم لما كان المحكوم به قطعة من نار لأنه يجوز أن البيئة التي حكم بها باطلة في نفس الأمر وفي حديث ابن مسعود في سجود السهو إذا كنت في صلاة فشككت في ثلاث أو أربع وأكثر ظنك

١ - البقرة ٤٦

٢ - لقان ٤

٣ - التكوين ٢٤

٤ - الحجرات ١٢

« وإن الظن لا يثبت من الحق شيئاً » ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق
 هذا آخر مسائل الاصول للامام ابن حزم رحمه الله تعالى

على أربع الحديث فاعتبر الظن في أشرف العبادات وحديث الطبراني والحاكم :
 قال الله انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء : وحديث : لا يموتن أحدكم إلا
 وهو يحسن الظن بالله رواه احمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه فهذا كله عمل
 بالظن الراجح الصادر عن أماره صحيحة ، وأما ما صدر لاعتن أماره صحيحة
 نحو ظن الكفار انه لن يتقلب الرسول والمؤمنون الآية وظنتم ظن السوء
 وكنتم قوما بوراً . فهذا ظن باطل مستند الى أن الله تعالى لا ينصر رسوله صلى
 الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومثل ظنتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون الذي
 حكاه الله تعالى عنهم بقوله (ولكن ظنتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم
 ظنكم الذي ظنتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين) فظنهم هذا مستند الى
 الجهل بلم الله واحاطته ، ومنه في قصة الاحزاب في ظن المنافقين (واذا غارت
 الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنون بالله الظنونا) فانهم ظنوا غلبة
 الاحزاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولذا قالوا (ما وعدنا الله ورسوله الا
 غروراً) وعكسهم أهل الايمان فانهم قالوا (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
 ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) فهذا البحث بحمد الله تعالى لانجده في
 كتاب ، وانما هو من فتح الكرم الوهاب وبه يزول الاشكال والاضطراب ،
 وتعلم ان المصنف أوجز في عمل الاطناب ، فاخلع ما يذكره هو في هذا الكتاب ،
 فانه لا يزال يستدل فيه بأخبار الآحاد وبمجموع ألفاظها وألفاظ القرآن والكل
 لا يخرج عن الأدلة الظنية ، فاعرف قدر هذه الفائدة السنية اه

١ - النجم ٢٨

٢ - فصلت ٢٢ - ٢٣

٣ - الأحزاب ١٠

٤ - الأحزاب ١٢

٥ - الأحزاب ٢٢

﴿ تم الكتاب ﴾

مسألة القدر

سؤال أورده أحد علماء الذميين والجواب عليه

« للامام ابن تيمية »

« (سأل أحد علماء الذميين عن مسألة القدر قائلا :) »

أيا علماء الدين ذمي دينكم تخبر دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم ولم يرضه منى فما وجه حيلتى
دعائى وسد الباب عنى فهل الى دخولى سبيل بينوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا فما أنا راض بالذى فيه شقوتى
فان كنت بالمقضى "يا قوم راضياً" فربى لا يرضى بشؤم بليتى
فهل لى رضا ما ليس برضاه سيدي فقد حرت دلونى على كشف حيرتى
إذا شاء ربى الكفر منى مشيئة فهل أنا عاص باتبعاع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

﴿ فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ﴾

﴿ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلاً ﴾

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب الخلق بارى البرية
وهذا سؤال خاصم السلا العلا قديما به ابليس أصل البلية
ومن يك خصما للمبين يرجع على أم رأس هارياً في الحفيرة
وتدعى خصوم الله يوم معادم الى النار طراً فرقة القبرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الاله بطله
فان جميع الكون أوجب فعله مشيئة رب الخلق بارى الخليفة

وذات الله الخلق واجبة بما
 مشيئته مع علمه ثم قدرة
 فقولك لم قد شاء مثل سؤال من
 وذلك سؤال يبطل العقل وجهه
 وفي الكون تخصيص كثير يدل من
 واصداره عن واحد بعد واحد
 ولا في تعلق لكل مسبب
 بل الثاني في الاسباب اسباب ماترى
 وقولك لم شاء الله هو الذي
 فان المجوس القائلين بخالق
 سؤالهم عن علة الشر أوقعت
 وان ملائكة الفلاسفة الاولى
 بغوا علة للكون بعد انعدامه
 وان مبادئ الشر في كل أمة
 بخوضهم في ذاكم صار شرهم
 ويكفيك نقضاً ان ما قد سأله
 فانت تعيب الطائعين جميعهم
 وتنحل من والاك صفو مودة
 وحالمهم في كل قول وفعله
 وجهك كفت اللوم عن كل كافر
 فيلزمك الاعراض عن كل ظالم
 فلا تقضين يوماً على سافك دماً
 ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا
 ولا قاطع لناس نهج سبيلهم

لها من صفات واجبات قديمة
 لوازم ذات الله قاضي القضية
 يقول فلم قد كان في الازلية
 وتحريمه قد كان في كل شرعة
 له نوع عقل انه بارادة
 أو القول بالتجويز رمية حيرة
 بما قبله من علة كل خية
 ومصدرها عن حكم محض المشيئة
 أزل عقول الخلق في قعر حفرة
 لنفع ورب مبدع للمضرة
 رؤوسهم في شبة التنوية
 يقولون بالفعل القديم لعلة
 فلم يجدوا ذاكم فضلوها بضلة
 دوى من رضوخ لاتباع لشبهة
 وجاء دروس الينيات بفترة
 من العذر مردود لدى كل فطرة
 عليك وترميهم بكل منعة
 وتبغض من عاداك من كل فرقة
 كحالك يا هذا بأرجع حجة
 وكل غوى خارج عن محجة
 على الناس من نفس ومال وحرمة
 ولا سارق مالا لصاحب فاقة
 ولا فاكح فرجا على وجه غية
 ولا مفسد في الارض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور افكاً وفرية
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً
وكف لسان اللوم عن كل مفسد
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً
وإن قصدوا إضلال من يستجيهم
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى
وكل كفور مشرك بالله
كساد وغرود وقوم لصالح
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى
على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا
وإلا فكل الخلق في لفظة واحدة
وبطشة كف أو تخبطي قديمة
ثم تحت أقدار الآله وحكمه
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل
فهل يمكن رفع اللام جميعه
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا
فلا يضمن نفس ومال بمثله
وهل في عقول الناس أوفي طباعهم
ويكفيك نقضا ما يجسم ابن آدم
من الألم للمقضى من غير حيلة
إذا كان في هذا له حكمة فما
وكيف ومن هذا عذاب مولد
كأن كل لسم أوجب الموت أكله
فكفرك يا هذا كم أكلته

ولا قاذف للمحصنات برزنية
ولا حاكم للعالمين برشوة
ولا تأخذن ذا خربة بعقوبة
على ربه من كل جاء بفرية
بروم فساد النوع ثم الرياسة
فأهلك في اليم انتقاماً بفضية
وآخر طاغ كافر بالنبوة
وقوم لنوح ثم أصحاب ليكة
من الأنبياء محيياً للشرعية
ونالوا من العاصي ببلغ العقوبة
ظ عين وتحريك لشجرة
وكل حراك بل وكل سكينه
كما أنت فيما قد أتيت بحجة
فعال ردى طراً لهذا المقيسة
عن الناس طراً عند كل قبيحة
وترك الورى الانصاف بين الرعية
ولا يمتقن عاد بمثل الجرعة
قبول لقول النذل ما وجه حيلتي
صبي ومجنون وكل بهيمة
وفي ما يشاء الله أكل حكمة
يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
من الفعل فعل العبد عند الطبيعة
وكل بتقدير رب المنية
وتعذيب نار مثل جرعة عضة

ألت ترى في هذا المار من جنى
ولا عذر للجاني بتقدير خالق
وما كان من جنس المتاب لرفعه
كخبر به نعى الذنوب ودعوة
وتقديره للفعل يجلب تقمة
وقول حليف الشر اتي مقدر
فهل ينفعن عذر المعلوم لانه
أم الدم والتعذيب أوكد للذى
فان كنت ترجو أن تجاب بعسى
فدونك رب الخلق فاقصده خارعا
وما بان من حق فلا تتركه
وذلل قياد النفس للحق واسمعن
ومن ضل عن حق فلا تقفونه
هناك تبدو طالعات من الهدى
بلمة ابراهيم ذاك إماننا
فلا يقبل الرحمن دينا سوى الذى
فقد جاء هذا الخاتم الحاشى الذى
وأخبر عن رب العباد بأن من
فهذى دلالات العباد لخالق
وقد الهدى عند الورى لا يضيمن
وحجة محتج بتقدير ربه
وأما رضانا بالقضاء فانما
كسقم وذل ثم فقر وغربة
فأما الاقاعيل التى كرهت لنا

يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
كذلك فى الاخرى بلا مثوية
عواقب أفعال العباد الخبيثة
تجانب من الجاني ورب شفاعة
كتقديره الآثار طرأ بعلة
على كقول الذيب هذى طبيعى
كذا طبعه أم هل يقال لعنة
طبيعته فعل الشرور الشنيعة
ينجيك من نار الاله العظيمة
مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة
وعج عن سبيل الامة الفضيحة
ولا تعرض عن فكرة مستقيمة
وزن ماعليه الناس بالمعدلية
ببشير من قد جاءنا بالحنيفة
ودين رسول الله خير البرية
به جاءت الرسل الكرام السجدة
حوى كل خير فى عموم الرسالة
غدا عنه فى الاخرى بأقبح خيبة
وأما هداه فهو فصل الربوبية
عدا عنه بل يجري بلاوجه حجة
تزيد عذاباً كل احتجاج مريضة
أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
وما كان من مؤذ بلون جريمة
فلا نص يأتى فى رضاها بطاعة

وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى
فإن إله الخلق لم يرضها لنا
وقال فريق نرضى بقضائه
كما أنها للرب خلق وأنها
فرض من الوجه الذي هو خلقه
ومعصية العبد المكلف تركه
فإن إله الخلق حق مقال
كما أنهم في هذه الدار هكذا
وحكمت العليا اقتضت ما قضت من
يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي
ويهدى أولي التنعيم نحو نعمهم
وأمر إله الخلق بتبيين ما به
فن كان من أهل السعادة أترت
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل
ولا يخرج للعبد عما به قضى
فليس بمجبور عديم إرادة
ومن عجب الأشياء خلق مشيئة
وقولك هل أختار ترك الحكمة
وأختار أن لا أختار فعل ضلالة
وذا ممكن لكنه متوقف
فدونك فافهم ما به قد أجبت من
أشارت إلى أصل يشير إلى الهدى

بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
فلا نرضى مسخوطة بمشيئة
إليه وما فينا فيلقى بسخطة
لخلق كسب كفعل الغريزة
ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة
لما أمر المولى وإن بمشيئة
بأن العباد في نعيم وجنة
بل البهم في الآلام أيضاً ونعمة
فروق بعلم ثم أيد ورحمة
يقدره نحو العتاب بعزة
بأعمال صدق في خشوع وخشية
يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
أوامره فيه بتدبير صنعة
بأمر ولا نعي بتقدير شقوة
ولكنه مختار حسن وسوء
ولكنه شاء بخلق الإرادة
بها صار مختار الهدى والضلالة
كقولك هل أختار ترك المشيئة
ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
على ما يشاء الله من ذي المشيئة
معان إذا انحلت بفهم غريزة
ولله رب الخلق أدمل مدحتي

(تمت قصيدة الامام ابن تيمية)

عقيدة السلف واصحاب الحديث

« للامام المحدث القسري شيخ »

« الاسلام ابي عثمان »

« اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا قاضي القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الصالح الحنبلي اجازة مشافهة أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الشيخان جمال الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن عمر بن شكر وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسين : قال الاول أخبرنا اسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقي سماعاً أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقى اجازة وقال الثاني أخبرنا أحمد بن عبد الدائم رحمه الله وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن بردس البعلبي في كتابه أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل بن الخباز شفاها أخبرنا أحمد بن عبد الدائم اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي أخبرنا الخرقى سماعاً أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن اسماعيل الصابوني حدثنا والذي شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن فذكره (وأخبرنا) قاضي القضاة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفى اجازة مشافهة أخبرنا محمود

ابن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي اجازة اخبرنا الجلال عبد الرحمن بن احمد
ابن عمر بن شكر بنصه قال

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام
(أما بعد) فاني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها الى بيت الله
الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام سألتني
اخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين التي استمسك بها الذين
مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين وهدوا ودعوا الناس
اليها في كل حين ونهوا عما يصادها وينافيا جملة المؤمنين المصدقين المتقين ووالوا
في اتباعها وعادوا فيها وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها وأحرزوا لانفسهم
ولمن دعوم اليها بركتها وخيرها وافضوا الى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها
واستمسكهم بها وإرشاد العباد اليها وحملهم اياهم عليها فاستخرت الله تعالى
وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار رجاء ان ينفع به اولو
الالباب والابصار والله سبحانه بمحقق الظن ويميز علينا المن بالتوفيق والاستقامة
على سبيل الرشاد والحق بمنه وفضله: قلت وبالله التوفيق

أصحاب الحديث حفظ الله أحيائهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية
والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ويعرفون زبهم عز وجل بصفاته
التي نطق بها وحبه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ماوردت
الاخبار الصحاح به وتقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت
لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يستبدون تشبيها
لصفاته بصفات خلقه فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله
عز من قاتل قل (يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت يدي) ولا يحرفون
الكلام عن مواضعه بحمل البيدين على النعمتين او القوتين تحريف المعترلة
الجهمية أهلهم الله ولا يكيّفونها بكيف أو تشبيها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة
خلفهم الله وقد اعاد الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكليف ومن عليهم

بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)^١
وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الاخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والمظلة والارادة والانشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المحلوقين بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تفسير ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ومجروونه على الظاهر ويكلمون علمه الى الله تعالى ويقولون بان تأويله لا يعلمه الا الله كما اخبر الله عن الراسخين في العلم انهم يقولونه في قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب)^٢

ويشهد اصحاب الحديث ويعتقدون ان القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيهه غير مخلوق ومن قال بخلقها واعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا كما قال عز من قائل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وهو الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم امته كما أمر به في قوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) فكان الذي بلغهم بامر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال صلى الله عليه وسلم آمنتموني ان ابليكم كلام ربي وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الالسنه ويكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارى. ولفظ لا فظ وحفظ حافظ وحيث تلى وفي أى موضع قرئ. وكتب في مصاحف أهل الاسلام ألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق فمن زعم انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم . سمعت

- الثوري ١١

- آل عمران ٧

- الشرح ١٩٢-١٩٥

- للغة ٢٧

الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت
الامام أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق فمن
قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد ان مرض
ولا يصلى عليه ان مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب فان تاب والا
ضربت عنقه . فاما اللفظ بالقرآن فان الشيخ أبا بكر الاسماعيلي الجرجاني ذكر
في رسالته التي صنفها لاهل جيلان أن من زعم ان لفظه بالقرآن مخلوق يريد
به القرآن فقد قال بخلق القرآن وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد
الذي صنفه لاهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بان القرآن
كلام الله سبحانه ووجهه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو
كافر بالله العظيم وأن القرآن في صدورنا محفوظ وبالسنتنا مقروء وفي مصاحفنا
مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به ومن قال ان القرآن
بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم . وانما ذكرت
هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه فانه اتبع السلف أصحاب
الحديث فيما ذكره مع تبحره في الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه
وتبرزه عند أهله اه

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستعلى سمعت أبا
عثمان سعيد بن اشكاب يقول سألت اسحاق بن ابراهيم عن اللفظ بالقرآن
فقال لا ينبغي ان يناظر في هذا القرآن كلام الله غير مخلوق . وذكر محمد بن
جرير الطبري رحمه الله في كتابه الاعتقاد الذي صنفه في هذه وقال: أما القول في
الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي الا عن في قوله
الغنى والشفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الائمة الاولى ابي
عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله فان أبا اسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت أبا
عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله يقول اللفظية جهمية قال الله تعالى (فأجره حتى
يسمع كلام الله) فمن يسمع . قال سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم

يذكرون عنه رضى الله عنه انه كان يقول من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع: قال محمد بن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان نقوله غير قوله اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواء وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه . هذه الفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها الى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه . قلت وهو أعنى محمد بن جرير قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب اليه وقذف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل الى شيء من البدعة والذي حكاه عن احمد رضى الله عنه وارضاه ان اللفظية جهمية فصحيح عنه وانما قال ذلك لان جمعاً وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به الى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به ان القرآن بلفظنا مخلوق فلذلك سماهم احمد رحمه الله جهمية . وحكي عنه أيضاً انه قال اللفظية شر من الجهمية

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن احمد رحمه الله ان من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فانما أراد ان السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال اليه وانما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الاسلام فقال الامام احمد هذا القول في نفسه بدعة ومن حق المتدين ان يدعه ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الائمة المتبعة ان القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه الا تكفير من يقول بخلقه . اخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجي بمرور حدثنا يحيى بن سالوكه عن ابيه عبد الكريم السندی قال قال وهب بن زمعة اخبرني الباساني قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ومن قال لا أو من بهذا الكلام فقد كفر . ويعتقد أهل الحديث ويشهدون ان الله سبحانه وتعالى

فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله عز وجل في سورة الاعراف (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) وقوله في سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) وقوله في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) وقوله في سورة السجدة (ثم استوى على العرش) وقوله في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) .
يثبتون له من ذلك ما أثبتته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرون على ظاهره ويكلمون علمه الى الله ويقولون (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب) كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضيه منهم فائتني عاينهم به .

اخبرنا ابو الحسين عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيى الملقب حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد اخبرني علي بن محمد بن عبيد ابو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا ابو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الاشعث الوراق ابو كنانة حدثنا ابو المغيرة الحنفى حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن ابيه عن ام سلمة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر . وحدثنا ابو الحسن بن اسحق المدنى حدثنا احمد بن الخضر بو الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مغيرة بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال مثل مالك بن انس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعه وما اراك الا ضالا وأمر به ان يخرج من مجلسه . اخبرنا ابو محمد المجلدي العدل حدثنا ابو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملى عن جعفر بن

١ - يونس ٣

٢ - الرعد ٢

٣ - الفرقان ٥٩

٤ - السجدة ٤

٥ - طه ٥

٦ - آل عمران ٧

عبدالله قال جاء رجل الى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله (الرحمن على العرش استوى) قال فما رأيت وجد من شيء كوجده من مقالته وعلاه الرضاء وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الامر به فيه ثم سرى عن مالك فقال الكيف غير معلوم والاستواء غير مجهول والابمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأنا لاخاف أن تكون ضالا ثم أمر به فأخرج * أخبرنا به جدى أبو حامد احمد بن اسماعيل عن جد والدي الشهيد وأبو عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن احمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا جعفر بن عبدالله قال جاء رجل لمالك بن أنس فقال يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال فإريت مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته وذكر بنحوه * وسئل ابو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له كيف استوى على عرشه فقال أنا لا أعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا وقد أعلمنا جل ذكره انه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى * أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا ابو بكر محمد بن داود الزاهد أخبرنا محمد ابن عبد الرحمن السامي حدثني عبدالله بن احمد بن شبويه المروزي سمعت على بن الحسين بن شقيق يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى بائنا منه خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار الى الارض . وسمعت الحاكم أبا عبدالله في كتابه التاريخ الذي جمعه لاهل نيسابور وفي كتابه معرفة الحديث اللذين جمعهما ولم يسبق الى مثلها يقول سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه والقي على بعض المزابيل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته وكان ماله فيثا لا يرثه احد من المسلمين إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى

كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف بل يثبتون ما أثبتته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلمون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجي، والائتسان المذكورين في قوله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله عز اسمه (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الاسماعيلي الى أهل جيلان ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فصل قاتميننا الى ما أحكمه وكففتنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الالباب)^١

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني سمعت أبا حامد بن الشرقى يقول سمعت
أحمد السلمي وأبادود الخفاجي يقولان سمعنا اسحق بن إبراهيم الحنظلي يقول
قال لي الأمير عبدالله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول
الله صل الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا كيف ينزل قال قلت
أعز الله الأمير لا يقال لامر الرب كيف انما ينزل بلا كيف * حدثنا أبو يعقوب
اسحق بن إبراهيم العدل حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي حدثني أبو بكر
بن أحمد بن محبوب حدثنا أحمد بن حمويه حدثنا أبو عبد الرحمن العباسي حدثنا
محمد بن سلام سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان فقال
عبدالله يا ضعيف ليلة النصف ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الله كيف

١ - البقرة ٢١٠

٢ - الفجر ٢٢

٣ - آل عمران ٧

ينزل أليس يخلو ذلك المكان منه فقال عبد الله ينزل كيف شاء . وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل اذا جارك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصغ له . سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت ابراهيم بن ابي طالب يقول سمعت احمد بن سعيد بن ابراهيم بن عبد الله الرباطي يقول حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحق بن ابراهيم يعنى ابن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحح هو قال نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب اتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل فقال له اسحق أثبتة فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبتة فوق فقال اسحق قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) فقال الامير عبد الله يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحق أعز الله الامير ومن يحيى . يوم القيامة من نعم اليوم . وخبر نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا خبر متفق على صحته يخرج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة . أخبرنا ابو علي زاهر بن احمد حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد حدثنا ابو مصعب حدثنا مالك . وحدثنا ابو بكر بن زكريا حدثنا ابو حاتم على بن عبيدان حدثنا محمد بن يحيى قال ومما قرأت على ابن ناغ وحديثي مطرف عن مالك رحمه الله وحدثنا ابو بكر بن زكريا أخبرنا ابو القاسم عبد الله بن ابراهيم ابن باكويم حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبد الله الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له ومن يسألي فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له »

ولهذا الحديث طرق الى أبي هريرة رواه الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رحمه الله ورواه يزيد بن هرون وغيره من الأئمة

عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومالك عن الزهري عن الاعرج
عن أبي هريرة ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعبيد الله
ابن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة وعبد الأعلى بن أبي
المساور وبشير بن أبي سلمان عن أبي حازم عن أبي هريرة . ورواه نافع بن جبير
ابن مطعم عن أبيه وموسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى عن عبادة بن الصامت
وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله وعبيد الله بن أبي رافع
عن علي بن أبي طالب وشريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله
ابن مسعود ومحمد بن كعب بن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء وابو الزبير عن جابر
وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضى الله عنهم .

وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدھا في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار وفي
رواية الاوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مضى نصف الليل أو ثلثاء ينزل الله الى
السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من
مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح » . وفي رواية سعيد بن مرجانة عن
أبي هريرة زيادة في آخره وهي « ثم يبسط يديه فيقول من يقرض غير معدوم
ولا ظلم » . وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ان الله ينزل الى سماء الدنيا في ثلث الليل الاخير فينادى هل من سائل
فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له فلا يبقى شيء فيه الروح الا علم به الا الثقلان الجن
والانس » قال وذلك حين تصبح الديكة وتنطق الحير وتنبح الكلاب . وروى
هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار
عن رفاعة الجهني حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مضى ثلث
الليل أو شطر الليل أو ثلثاء ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لا أسأل من عبادي
غير من يستغفرني فأغفر له من يدعوني فأستجيب له من يسألني أعطيه حتى
ينفجر الصبح » * أخبرنا ابو محمد المجلدي أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا محمد

بن يحيى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي مسلم الاغر قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط الى السماء الدنيا فيقول هل من مذنب هل من مستغفر هل من سائل هل من داع حتى تطلع الشمس» * أخبرنا أبو محمد المجلدى حدثنا أبو العباس الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار عن يونس بن أبي اسحق عن أبي مسلم الاغر قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل هبط الى هذه السماء ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال هل من سائل فأعطيه هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من مضطراً كشف عنه ضره هل من مستغيث أغنيته فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من الدنيا» * أخبرنا أبو محمد المجلدى أنبأنا أبو العباس يعنى الثقفي حدثنا مجاهد بن موسى والفضل بن سهل قالوا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا سهل عن أبي اسحق عن الاغر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فقال ألا هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى سؤله ألا هل من تائب يتاب عليه» * حدثنا الاستاذ أبو منصور بن حماد حدثنا أبو اسماعيل بن أبي الظمأ ينفداد حدثنا أبو منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن ابى صالح عن ابيه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول انا الملك انا الملك ثلاثاً من يسألى فأعطيه من بدعوى فاستجيب له من يستغفرنى فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر» سمعت الاستاذ أبا منصور على أثر هذا الحديث الذي أملاه علينا يقول سئل أبو حنيفة عنه فقال ينزل بلا كيف وقال بعضهم ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بل بالتجلى

والتملى لانه جل جلاله منزّه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق فجيشه واتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته من غير تشبيه وكيف * وقال الامام أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذى صنّفه وسمعت من حامده ابى طاهر رحمه الله تعالى

باب

ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق فى نزول الرب الى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه متيقن بما فى هذه الاخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية لان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى السماء الدنيا وأعلنّا انه ينزل والله عز وجل ولى نبيه صلى الله عليه وسلم يسان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الاخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفه الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول * أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو محمد الصيدلاني حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن صالح المصري حدثنا ابن وهب أنبأنا مخزومة بن بكير عن ابيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الاصم واللفظ له حدثنا ابراهيم بن حنيفة حدثنا ابن وهب عن مخزومة ابن بكير عن ابيه قال سمعت محمد بن المنكدر يزعم انه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول « نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا قالوا وأى يوم قالت يوم عرفة » * وروى عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت « ينزل الله تعالى فى النصف من شعبان الى السماء الدنيا ليلا الى آخر النهار من الغد فيعتق من النار بعمد شعر معز بنى كلب ويكتب الحاج وينزل ارزاق السنة ولا يترك أحداً إلا غفر له إلا مشركاً او قاطع رحم او عاقاً او مشاحناً » * أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جليلى الامام حدثنا

الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا اسماعيل بن علي عن هشام الدستوائي (ح) قال الامام وحدثنا الزعفراني عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني ابن هرون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون بالاسكندرية حدثنا الوليد عن الازاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار حدثني رفاعه بن عرابة الجهني (ح) قال الامام وحدثنا ابو هشام بن زياد بن ايوب حدثنا بشر بن اسماعيل الحلبي عن الازاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعه بن عرابة الجهني قال صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فجمعوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يأذن لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي صلى الله عليه وسلم ابغض إليكم من الآخر فلا يرى من القوم إلا باكيًا قال يقول ابو بكر الصديق ان الذي يستأذنك بعدها لسفيه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واتى عليه وكان اذا حلف قال والذي نفسي بيده أشهد عند الله مامنكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد الاسك به في الجنة ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفًا نضر حساب ولا عذاب واني لأرجو أن لا يدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من ازواجهم وذرياتهم يسكنكم في الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاء ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يقول لا أسأل عن عبادي خيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يدعوني فأجيبه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يتفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد .

قال شيخ الاسلام قلت فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعلقة علواً كبيراً ولعنهم لعنا كثيراً . وقرأت لابن عبد الله

ابن ابي حفص البخاري وكان شيخ بخاري في عصره بلا مدافعة وابو حفص كان من كبار اصحاب محمد بن الحسن الشيباني قال ابو عبد الله أعني ابن أبي حفص هذا عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول قال حماد بن ابي حنيفة قلنا لهؤلاء أرايت قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفا صفا) قالوا أما اللاتكة فيجيثون صفا صفا وأما الرب تعالى فانا لا ندرى ما عني بذلك ولا ندرى كيفية مجيئه فقلت لهم انا لم نكلفكم أن تعلموا كيف جيئتمو لكننا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه أرايت من أنكر أن الملك لا يجي صفا صفا ما هو عندهم قالوا كافر مكذب قلت فكذلك ان أنكر أن الله سبحانه لا يجي فهو كافر مكذب * قال ابو عبد الله ابن أبي حفص البخاري أيضا في كتابه ذكر ابراهيم عن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا قال لك الجهمي انا لا تؤمن برب ينزل عن مكانه قتل أنت أنا أو من برب يفعل ما يشاء * وروى يزيد بن هرون في مجلسه حديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله في الرؤية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم تنظرون الى ربكم كما تنظرون الى القمر ليلة البدر » فقال له رجل في مجلسه يا أبا خالد ما معنى هذا الحديث فغضب وحرد وقال ما أشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل ما فعل به وبلك ومن يدرى كيف هذا ومن يجوز له أن يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث أو يتكلم فيه بشئ من تلقاء نفسه الا من سفه نفسه واستخف بدينه اذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ولا تبدعوا فيه فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وان لم تفعلوا هلكتم: وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هرون للسائل ما أشبهك بصبيغ وأحوجك الى مثل ما فعل به هي ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان صبيغا التميمي أتى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن (الذاريات ذروا) قال هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الحاملات وقرا) قال هي السحاب ولولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني

عن (المقسمات أمراً) قال الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الجاريات يسرا) قال هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال ثم أمر به فضرب مائة سوط ثم جعله في بيت حتى اذا برأ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى ثم حمله على قنبه كتب الى ابني موسى الاشعري أن حرم عليه مجالسة الناس فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري فحلف بالايمان المظلمة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً فكتب عمر اليه ما أخأله الا قد صدق خل بينه وبين مجالسة الناس * وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب سمعت رجلاً من بني عجل يقول له فلان خلت ابن زرة يحدث عن أبيه قال رأيت صبيغ بن عثل بالبصرة كأنه بعير أجرب يحجي الى الخلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الاخرى عزمة أمير المؤمنين * وروى حماد ابن زيد أيضاً عن يزيد بن أبي حازم عن سليمان بن يسار أن رجلاً من بني تميم يقال له صبيغ قدم المدينة فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث اليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم أهوى اليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجبه فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي * أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزي بها حدثنا محمد بن عمير الرازي حدثنا أبو زكريا يحيى بن ايوب العلاف التجيبي بمصر حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك ابن انس يقول إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون * أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله يقول لان القاء بكل ذنب ما خلا الشرك أحب الى من أن القاه

بشيء من الأهواء. أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا أبو عمرو الخيري حدثنا أبو الازهر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جعفر برقان قال سأل رجل عمر بن عبد العزيز عن شيء من الأهواء فقال الزم دين الصبي في الكتاب والاعرابي والله عما سوى ذلك. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيى القزاز يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه. أخبرنا أبو الحسين الحفاف حدثنا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا اسماعيل بن أبي الحرث حدثنا المهيم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم قال سألت الاوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الاحاديث في الصفات والرؤية قال اروها كما جاءت بلا كيف. قال الامام الزهري امام الائمة في عصره وعين علماء الامة في وقته على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. وعن بعض السلف قدم الاسلام لا يثبت الا على قنطرة التسليم. أخبرنا أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام احمد بن نصر حدثنا أبو يعقوب الحسن حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يحبون سني من بعدى ويعلمونها عباد الله». أخبرنا عبد الله الحافظ سمعت أبا الحسن العسكري يقول سمعت علي بن عبد العزيز يقول سمعت أبا القاسم بن سلام يقول المتبع لسنة كالتابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله. وروى عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين) أخبرنا عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقل حدثنا احمد بن عبد الجبار العطاردي حدثني أبي وعبد الرحمن الضبي عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظي

قال دخلت على عمر بن العزيز فجعلت أنظر اليه نظراً شديداً فقال انك لتنظر الى نظراً ما كنت تنظره الى وأنا بالمدينة فقال لتعجبني فقال ومم تعجب قال قلت وما حال من لونك ونحل من جسمك ونقي من شعرك قال كيف ولو رأيته بعد ثلاثة في قبوري وقد سالت حدثائي على وجنتي وسال منخرأي في في صديداً كنت لي أشد نكرة ، حدثني حديثاً كنت حدثني به عبد الله بن عباس قال قلت حدثني عبد الله بن عباس برفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة لا تصلوا خلف نائم ولا محدث واقتلوا الحية والعقرب وان كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر في كتاب أخيه بغير اذنه فانما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يجلد عبده ويمنع رفقده وينزل وحده أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذي ييغض الناس ويغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذي لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً أفلا أنبئكم بشر من ذلكم الذي لا يرجى خيره ولا يؤمن شره من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده الله أوثق منه بما في يد غيره ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق الله ان عيسى عليه السلام قام في قومه فقال يا بني اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم الامور ثلاثة أمر بين وشده فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلفتم فيه فكلوه لله عز وجل »

ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة وبكل ما أخبر الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هناك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالايان والشمالك والاجابة عن المسائل الى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها ما قيل للتر من الخير والشر وغيرها »

ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للمذنب أهل التوحيد

ومرتكبي الكباثر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا
ابو سعيد بن حمدون أنبأنا ابو حامد بن الشرقي حدثنا احمد بن يوسف السلمي
حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« شفاعتي لاهل الكباثر من أمتي » وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد أخبرنا محمد
ابن المسيب الاغياي حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي
عن زياد بن خيشة عن نعمان بن قراد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت
الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين
الخطائين » * أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا ابو العباس السراج حدثنا قتيبة
ابن سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو (ح)
وأخبرنا ابو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدى الامام محمد بن اسحق بن خزيمة
حدثنا على بن حجر بن اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي
سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك
يوم القيامة فقال « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت
من حرصك على الحديث ان أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا
الله خالصا من قبل نفسه »

ويؤمنون بالحوض والكوتر وادخال فريق من الموحدتين الجنة بغير حساب
ومحاسبة فريق منهم حسبا يسيرا وادخلهم الجنة بغير سوء بمسهم وعذاب
يلحقهم وادخال فريق من مذنبهم النار ثم اعتاقهم أو إخراجهم منها والحاقهم
باخوانهم الذين سبقهم اليها ولا يخلدون في النار فاما الكفار فانهم يخلدون
فيها ولا يخرجون منها أبدا ولا يترك الله فيها من عصاة اهل الايمان احدا *

ويشهد اهل السنة ان المؤمنين يروند بهم تبارك وتعالى بابصارهم وينظرون
اليه على ماورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انكم
تقرون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للرؤية

والاخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها
ويشهد اهل السنة ان الجنة والنار مخلوقتان وانها باقيتان لا يفنيان ابداً
وان اهل الجنة لا يخرجون منها ابداً وكذلك اهل النار الذين هم اهلها خلقوا لها
لا يخرجون ابداً وان المناادي ينادى يومئذ يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل
النار خلود ولا موت على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم *

ومن مذهب اهل الحديث ان الايمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سألت أبا عبد الله احمد
ابن حنبل رحمه الله عن الايمان في معنى الزيادة والنقصان فقال حدثنا الحسن بن
موسى الاشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن
حبيب قال الايمان يزيد وينقص فقليل وما زيادته وما نقصانه قال اذا ذكرنا الله
لحمدناه وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه: أخبرنا
ابو الحسن بن أبي اسحق المزكي حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الخيري حدثنا محمد بن
يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي واحمد بن شداد الترمذي قالوا حدثنا الحميدي
حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الايمان فقالوا قول وعمل * وسألت
هشام بن حسان فقال قول وعمل * وسألت ابن جرير فقال قول وعمل * وسألت
سفيان الثوري فقال قول وعمل * وسألت المثني بن الصباح فقال قول وعمل *
وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال قول وعمل * وسألت فضيل فقال قول
وعمل * وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال قول وعمل * وسألت سفيان بن
عيينة فقال قول وعمل * وأخبرنا أبو عمرو الخيري حدثنا محمد بن يحيى ومحمد
بن إدريس سمعت الحميدي يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول الايمان
قول وعمل يزيد وينقص فقال له أخوه ابراهيم بن عيينة يا أبا محمد تقول
ينقص فقال اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء * وقال الوليد بن
مسلم سمعت الازاعي ومالكاً وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول

إقرار بلا عمل ويقولون لا إيمان إلا بعمل قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فانه أكل إيماناً ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والاضاعة فإيمانه ناقص * (وسمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ) يقول سمعت أبا بكر محمد ابن أحمد بن باكويه الحلاب يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول قال لي عبد الله بن طاهر يا أحمد أنكم تفضون هؤلاء القوم جهلاً وأنا أبغضهم عن معرفة هؤلاء أنهم لا يرون لسلطان طاعة والثاني انه ليس للإيمان عندهم قدر والله لا أستجيز أن أقول إيماني كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان أحمد بن حنبل وهم يقولون إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل * وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هاني يقول سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول سمعت اسحق بن إبراهيم الحنظلي يقول قدم ابن المبارك الرى فقام اليه رجل من العباد الظن انه يذهب مذهب الخوارج فقال له يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا أخرجه من الإيمان فقال يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً فقال لا تقبلنى المرجئة للمرجئة تقول حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة ولو علمت انى قبلت منى حسنة لشهدت انى فى الجنة ثم ذكر عن أبى شاذب عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الارض لرجح * (سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله) بن محمد بن زكريا الشيباني يقول سمعت يحيى بن منصور القاضى يقول سمعت محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول سمعت الحسين بن حرب أخا أحمد بن حرب الزاهد يقول أشهد أن دين أحمد بن حرب الذى يدين الله به ان الإيمان قول وعمل يزيد وينقص *

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان اذنب ذنوباً كثيرة صفائر وكبائر فانه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والاخلاص فلن أمره الى الله عز وجل ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً

غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والاوزار وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار واذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقى فيها القاء الكفار ولا يبقى فيها بقاء الكفار ولا يشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك ان الكافر يسحب على وجهه الى النار ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والاغلال والانكال الثقيل والمؤمن المذنب اذا ابتلى بالنار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير القاء وتنكيس . ومعنى قوله لا يلقى في النار القاء الكفار ان الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلد آخر غيره لينوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله تعالى (ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها لينوقوا العذاب) : وأما المؤمنون فلا تفتح وجوههم النار ولا تحرق أعضاء السجود منهم إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله لا يبقى في النار بقاء الكفار ان الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً ولا يخلد الله من مذنب المؤمنين في النار أحداً . ومعنى قوله لا يشقى بالنار شقاء الكفار ان الكفار يأسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بحال وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة لأنهم خلقوا لها وخلق لهم فضلاً من الله ومنة

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمداً فكفروه بذلك احمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف وأخرجوه به من الاسلام للخبر الصحيح « بين العبد والشرك ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر » وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمه الله عليهم أجمعين الى انه لا يكفر مادام معتقداً لوجوبها وإنما يستوجب القتل كما يستوجب المرتد عن الاسلام وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام انه قال

(اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ولم يك تلبس بكفر قارقه ولكن نركه جاحداً له *

ومن قول أهل السنة والجماعة في اكساب العباد انها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ويشهدون ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء عنه لاجبة لمن أضله الله عليه ولا عنده له لديه : قال الله عز وجل (قل فله الحجة البالغة فلوشاهدناكم أجمعين) وقال (ولو شئنا لآتيننا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) الآية وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) الآية : سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة اليهم فجعلهم فرقتين فريقاً للنعيم وفريقاً للجهنم عدلاً وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقياً وسعيداً وقريباً من رحمة وبعيداً لا يستل عما يفعل وهم يستلون * أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكاً بأربع كلمات رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فوالذي نفسي بيده ان أحدكم لي عمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يلزكه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »

ويشهد أهل السنة ويعتقدون ان الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره لا مرد لها ولا محيص ولا محيد عنهما ولا يصيب للمرء إلا ما كتب له ربه ولو جهد الخلق أن ينفخوا للمرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه ولوجهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ماورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الله عز وجل (وإن يمسسك الله بضر فلا كشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الآية

١ - يوسف ٢٧

٢ - الأنعام ١٤٩

٣ - السجدة ١٣

٤ - الأعراف ١٧٦

٥ - يونس ١٠٧

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه لا يضاف الى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد فلا يقال يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجملان وان كان لا مخلوق الا والرب خالقه وفي ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح « تباركت وتعاليت والخير في يديك والشر ليس اليك » ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف اليك إفراداً وقصداً حتى يقال لك في المنادة يا خالق الشر او يا مقدر الشر وان كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً لذلك أضاف الخضر عليه السلام ارادة العيب الى نفسه فقال فيما أخبر الله عنه في قوله (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أغرقها) ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف ارادتها الى الله عز وجل فقال (فأراد ربك أن يبالغاً أشدهما ويستخرجاً كنزهما رحمة من ربك) ولذلك قال مخبراً عن ابراهيم عليه السلام انقال (واذا مرضت فهو يشفين) فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه وان كان الجميع منه *

ومن مذهب أهل السنة والجماعة ان الله عز وجل يريد لجميع أعمال العباد خيراً وشرها لم يؤمن أحد الا بمشيئته ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء أن لا يعصى ما خلق ابليس : فكفر الكافرين وایمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره و ارادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ويرضى الايمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية قال الله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفروا ان تشكروا يرضه لكم) ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث ان عواقب العباد مبهمة لا يدري أحد بم يختم له ولا يحكمون لواحد بعينه انه من أهل الجنة ولا يحكمون على أحد بعينه انه من أهل النار لان ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الانسان ولذلك يقولون انا مؤمنون ان شاء الله * ويشهدون لمن مات على الاسلام ان عاقبة الجنة فان الذين سبق القضاء عليهم من الله انهم يعذبون بالنار مدة لذنوبهم

١ - الكهف ٧٩

٢ - الكهف ٨٢

٣ - الشعراء ٨٠

٤ - الزمر ٧

التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها فانهم يردون أخيراً الى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلاً من الله ومنة ومن مات والعياذ بالله على الكفر فردّه الى النار لا ينجو منها ولا يكون لقامه فيها متعًى . فلما اُدين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من اهل الجنة قل أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً لرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعد لهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما شاء من غيبه وبيان ذلك في قوله عز وجل (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة وهم ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح وكذلك قال ثابت بن قيس بن شماس أنت من اهل الجنة قال أنس بن مالك فلقد كان يعشي بين أظهرنا ونحن نقول انه من اهل الجنة •

ويشهدون ويعتقدون ان افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وانهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نهران عن سفينة « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وبعد انقضاء أيامهم عاد الامر الى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم • وثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم قاطبة رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فرضينا له ديننا وقولهم قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخرك وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه فصلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إليك . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة انه أحق الناس بالخلافة بعده فلذلك اتفقوا عليه واجتمعا فاتفقوا بمكانه والله وارتفعوا به وارتقوا حتى قال ابو هريرة رضى الله عنه والله

الذي لا إله الا هو لولا ان أبا بكر استخلف لما عبد الله: ولما قيل له مه يا أبا هريرة قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به * ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه واتفاق الصحابة عليه بعدم إنجاز الله سبحانه بمكانه في اعلاء الاسلام واعظام شأنه وعده * ثم خلافة عثمان رضي الله عنه باجماع اهل الشورى واجماع الاصحاب كافة ورضام به حتى جعل الامر اليه * ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة إياه وعرفه ورآه كل منهم رضي الله عنه أحق الخلق وأولام في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه فكان هؤلاء الاربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم للملحدين وقوى بمكانهم الاسلام ورفع في أيامهم للحق الاعلام ونور بضيائهم ونورهم وبهائم الظلام وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية وفي قوله (أشداء على الكفار) فمن أحبهم وتولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم الى ما تنسبهم الروافض والخوارج لعنهم الله فقد هلك في الهالكين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتسبوا أصحابي فمن سبهم فلعنة الله » وقال « من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن سبهم فعليه لعنة الله »

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرها من الصلوات خلف كل امام مسلم برأ كلن أو فاجراً : ويرون جهاد الكفرة معهم وان كانوا جوراً فجراً ويرون القتلى لهم بالاصلاح والتوفيق والصلاح ولا يرون الخروج عليهم وان رأوا منهم العلل عن العدل الى الجور والحيث . ويرون قتال الفتنة الباغية حتى ترجع الى طاعة الامام العدل ويرون الكف عما شجر بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الالسنه عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم وتقصاً فيهم . ويرون الترحم على جميعهم والموالاته لكافهم . وكذلك يرون تعظيم قدر

(م-١٧)

أزواجه رضى الله عنهم والثناء لمن ومعرفة فضلهم والاقرار بأنهن أمهات المؤمنين * ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسناً وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله إذ عمل الخير الذى عمله لم ييسره له إلا بتيسير الله عز اسمه فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً قال الله عز وجل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزي من يشاء) في آيات سواها *

ويعتقدون ويشهدون أن الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلا وإن نفساً لن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت وليس له عنه فوت قال الله عز وجل (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً) * ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله قال الله عز وجل (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) * ويتيقنون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويعتدون استزلاهم ويرصدون لهم قال الله عز وجل (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم انكم لمشركون) ° . وإن الله يسلمهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء قال الله عز وجل (واستغفر من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدم وما يعدم الشيطان إلا غروراً أن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيل) وقال (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه) الآية

ويعتقدون أن في الدنيا سحراً وسحرة إلا أنهم لا يضررون أحداً إلا بأذن الله قال الله عز وجل (وما من بضارين به من أحد إلا بأذن الله) ومن سحرهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر . وإذا وصف ما يكفر به استتيب فإن تاب ولا ضربت عنقه وإن وصف ما ليس بكفر

١ - النور ٢١

٢ - الأعراف ٢٤

٣ - آل عمران ١٤٥

٤ - آل عمران ١٥٤

٥ - الأنعام ١٢١

٦ - الإسراء ٦٤ - ٦٥

٧ - النحل ٩٩ - ١٠٠

٨ - المجادلة ١٠

او تكلم بما لا يفهم نهي عنه فان عاد عزز . وان قال السحر ليس بحرام وانا اعتقد اباحته وجب قتله لانه استباح ما اجمع المسلمون على تحريمه .

ويحرم اصحاب الحديث المسكر من الاثر به المتخذة من العنب او الزبيب او التمر او العسل أو القرة او غير ذلك مما يسكر يحرمون قليله وكثيره ويحتنبونه ويوجبون به الحد * ويرون المسارعة الى اداء الصلوات واقامتها في اوائل الاوقات افضل من تأخيرها الى آخر الاوقات . ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الامام ويأمرون باتمام الركوع والسجود حتما واجبا ويعدون اتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيهما والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدين مطمئين فيه من اركان الصلاة التي لاتصح الا بها . ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الارحام وافشاء السلام واطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والايتام والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار الى فعل الخيرات اجمع * ويتحاربون في الدين ويتباغضون فيه ويتقون الجدال في الله والخصومات فيه ويتجانبون اهل البدع والضلالات ويعادون اصحاب الاهواء والجهالات . ويقتنون بالسلف الصالحين من ائمة الدين وعلماء المسلمين ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين . ويبغضون اهل البدع الذين احدثوا في الدين ما ليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع اباطيلهم التي اذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت وجرت اليها الوسواس والخطرات الفاسدة . وفيه انزل الله عز وجل قوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وعلامات البدع على اهلها بادية ظاهرة واظهرا باتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحجة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم وتسميتهم ايام حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم

في اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انها بمنزل عن العلم وان العلم ما يليق به
الشیطان اليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ووساوس صدورهم المظلمة وهو اجس
قلوبهم الخالية من الخير وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة . أو ائلك
الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم . ومن بين الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء * سمعت الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا علي الحسين
ابن علي الحافظ يقول سمعت جعفر بن احمد بن مناف الواسطي يقول سمعت
احمد بن سنان القطاف يقول ليس في الدنيا مبتدع الا وهو يفض اهل الحديث
فاذا ابتدع الرجل نزعته حلاوة الحديث من قلبه * وسمعت الحاكم يقول
سمعت ابا الحسن محمد بن احمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت محمد بن اسماعيل
الترمذي يقول كنت انا واحمد بن الحسن الترمذي عند امام الدين ابي عبد الله
احمد بن حنبل فقال له احمد بن الحسن يا ابا عبد الله ذكروا لابن ابي قتيلة بمكة
اصحاب الحديث فقال اصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد بن حنبل وهو
ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق حتى دخل البيت * وسمعت الحاكم
أبا عبد الله يقول سمعت ابا نصر احمد بن سهل الفقيه ببغداد يقول سمعت ابا نصر
ابن سلام الفقيه يقول ليس شيء اثقل على اهل الالحاد ولا انقض اليهم من سماع
الحديث وروايته باسناده وسمعت الحاكم يقول سمعت الشيخ ابا بكر احمد بن
اسحق بن ايوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ ابو بكر حدثنا فلان فقال
له الرجل دعنا من حدثنا الى متى حدثنا فقال الشيخ له قم يا كافر فلا يحمل لك
ان تدخل داري بعد هذا ابدا ثم التفت اليها وقال ما قلت لاحد ما تدخل داري
الا هذا * سمعت ابا منصور محمد بن عبد الله بن حماد العالم الزاهد يقول سمعت ابا
القاسم جعفر بن احمد المقرئ الرازي يقول قرأ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وانا
اسمع سمعت ابي يقول غني به الامام في بلده اباه ابا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي
الرازي يقول علامة أهل البدع الوقعة في اهل الاثر وعلامة الزنادقة تسميهم اهل
الاثر حشوية يريدون بذلك إبطال الاثر وعلامة القدريه تسميهم اهل السنة مجبرة

وعلمة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الاثر نابتة وناصبية قلت وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة الا اسم واحد وهو اصحاب الحديث . قلت انا رأيت أهل البدع في هذه الاسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اقتسموا القول فيه فسماء بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم شاعراً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفتر يا مختلفاً كذا باو كان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن الا رسولا مصطفى نبياً قال الله عز وجل (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلاً فلا يستطيعون سبيلاً) كذلك المتبدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حلة اخباره ونقله آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته فسمام بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة زكية نقية وليسوا الا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووجهه وخطابه والاعتداء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منها وأعانهم على التمسك بسيرته والاعتداء بملازمة سنته وشرح صدورهم لمحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء امته ومن احب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من احب » واحدى علامات أهل السنة حبهم لائمة السنة وعلمائهم وانصارها واوليائها وبغضهم لائمة البدع الذين يدعون الى النار ويدلون اصحابهم على دار البوار وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلائمه جل جلاله * أخبرنا الحاكم ابو عبد الله الحافظ اسكنه الله وايانا الجنة حدثنا محمد بن ابراهيم بن الفضل المزكي حدثنا احمد بن سلمة قرأ علينا أبو رجا قتيبة بن سعد كتاب الايمان له فكان في آخره فاذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الاحوص وشريكا ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي

فاعلم انه صاحب سنة قال احمد بن سلمة رحمه الله فالحقت بخطي تحته ويحيى
واحد بن حنبل واسحق بن راهويه فلما انتهينا الى هذا الموضع نظر الينا اهل
نيسابور وقال هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى فقلنا له يا أبا رجاء ما يحيى
بن يحيى قال رجل صالح امام المسلمين واسحق بن ابراهيم امام واحد بن حنبل
اكبر من سميتهم كلهم وانا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله ان من
أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة اهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهدمهم
يهتدون ومن جلتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة
آخرين منهم محمد بن ادريس الشافعي وسعيد بن جبير والزهرى والشعبي
والثيمى ومن بعدهم كالليث بن سعد والاوزاعي والثورى وسفيان بن عيينة
للهلالى وحاد بن سلمة وحاد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف
ونظرانهم : ومن بعدهم مثل يزيد بن هرون وعبد الرزاق وجريير بن عبد الحميد
ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلى ومحمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج
القشيري وأبى داود السجستانى وأبى زرعة الرازى وأبى حاتم وابنه ومحمد بن مسلم
ابن واره ومحمد بن أسلم الطوسى وعثمان بن سعيد الدارمى ومحمد بن اسحق بن
خزيمة الذى كان يدعى امام الاثمة والمقرئ كان امام الاثمة فى عصره ووقته وأبى
يعقوب اسحق بن اسماعيل البستي وجدى من قبل أبى أبوسعيد يحيى بن
منصور الزاهد الهروى وعدي بن حمدويه الصابونى وولديه سيفى السنة أبى
هداه الصابونى وأبى عبد الرحمن الصابونى وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين
بها ناصرين لها داعين اليها والبن عليها وهذه الجمل الذى أثبتنا فى هذا الجزء
كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا
مع ذلك على القول بقر أهل البدع واذلالهم واخراجهم وابعادهم واقصائهم
والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب الى الله عز وجل بمجانبتهم
ومهاجرتهم قال الاستاذ الامام رحمه الله وأنا بفضل الله عز وجل متبع لآثارهم
مستفىء بأنوارهم ناصح لآخوانى وأصحابى أن لا يزلقوا عن منارهم ولا يتبعوا
غير أنوارهم ولا يشتغلوا بهذه الهدئات من البدع التى اشتهرت فيما بين المسلمين

وظهرت وانتشرت ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك
 الائمة لهجروه وبدعوه ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه ولا يفرن اخواني
 حفظهم الله كثرة أهل البدع ووفور عددهم فان ذلك من أمارات اقتراب الساعة
 اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « ان من علامات الساعة واقترابها
 أن يقل العلم ويكثر الجهل » والعلم هو السنة والجهل هو البدعة ومن تمسك بسنة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ودعا اليها كان أجره أوفر
 وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملّة في أوائل الاسلام والملة اذ الرسول
 المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له « أجر خمسين فقيل خمسين منهم قال بل منكم » انما
 قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أئمة . وحدث في كتاب
 الشيخ الامام جدي أبي عبد الله محمد بن عدى بن حمدويه الصابوني رحمه الله
 أخبرنا ابو العباس الحسن بن سفيان الثوري ان العباس بن صبيح حدثهم حدثنا
 عبد الجبار بن طاهر حدثني معمر بن راشد سمعت ابن شهاب الزهري يقول
 تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة . أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن
 محمد بن زكريا الشيباني أخبرنا ابو العباس محمد بن عبد الرحمن اللغولي سمعت
 محمد بن حاتم المظفرى يقول كان أبو معاوية الطويرى يحدث هرون الرشيد فحدثه
 بحديث أبي هريرة « احتج آدم وموسى » فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين
 آدم وموسى ما بينهما قال فوثب به هرون وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه
 وسلم وتعارضه بكيف قال فما زال يقول حتى سكّت عنه هكذا ينبغي للمرء ان يعظم
 أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد
 الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذى سلكه هرون الرشيد رحمه الله
 مع من اعترض على الخبر الصحيح الذى سمعه بكيف على طريق الانكار له والابتعاد
 عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم .
 جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويتمسكون في دنياهم
 مدة حياتهم بالكتاب والسنة وجنبنا الالهواء المضلة والآراء المضمحلة والاسواء
 المائلة فضلا منه ومنه . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . (تمت الرسالة)

تحذير اهل الايمان عن الحكم بغير ما انزل الرحمن - تأليف -

الشيخ أبي هبة الله اسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسني
الاسعدي الأزهري السلفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه أستعين)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق المبين * والحبل
للمديد المتين * الذي من اعتمص به فقد تمسك بالعروة الوثقى . وكان من
الناجين * ومن أعرض عنه ولم يرفع له رأساً فقد خاب وخسر ذلك الأبعد
الاشقى . وكان من النادمين الندامة الكبرى . الداعين على أنفسهم بالويل
والثبور حيث لا ينفع ندم ولا أنين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
جاءنا من ربه بتلك الشريعة الوافية . الكافية الشافية . الناجمة النافعة .
الجامعة المانعة . المغنية الفنى التام عن جميع الشرائع والقوانين * وعلى آله
وأصحابه . وأحبابه . وأحزابه . الذين جاهدوا والذين مجاهدون في نصر دين الله .
وإعلاء كلمة الله . جميع المعارضين والمضادين * من المشركين والمارقين المنافقين
المعاندين المعادين * المحادين المشاقين * لله ولرسوله الصادق المصدق الأمين *

﴿ بيان أعظم أسباب التأخر والتقهقر ﴾

﴿ أما بعد ﴾ فاني ارى ان الجهل قد عم الحاضر والبادى . وخيم بأطنايه على القاصى والدانى . وعلم الكتاب والسنة . الذى هو من كل شر جنة . مع أن المنار الذى يهتدى به المجدون ويسترشده المسترشدون . ومن لا نصيب له وافر منه فهو راكب متن عياء . وخابط خبط عشواء . وهو الى الضلال أقرب منه الى الهدى . والى الردى أدنى منه الى السلامة والنجا . قد خبت ناره . وولت الادبار أنصاره . ورأوا شيئاً هيناً أو فرجاً . واتخذوه وراءهم ظهيراً . قد أهملوه وضيعوه وهجروه هجر القلى وقطعوه . وأولعوا بعلوم لا تسمن ولا تنفى من جوع ولا تنفع لقلآن لاه . وأكبوا عليها إكباب المقامر على ملهائه . ووقفوا أعمارهم العزيزة على نحو كتب الفلاسفة وكتب القيل والقال . وفضول العلوم التى لا تأنى بطائل ونوال . لا فى دين ولا فى دنيا أصلاً وقطعاً . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فهم ولا شك من الاخسرین أعمالاً . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا فلذلك أظلمت منهم القلوب والبصائر . وعيت منهم السرائر . فلا يتنبهون للخطوب التى تحل بهم . وإن تنبهوا فقلما نجد فيهم من يفتدى نفسه فى سبيل دفع ذلك الملم المدلهم . فكل يقول أنا مالي . حسبي مراقبة حالي . والدين له رب يحميه . يحوطه ويعليه . وهذه كلمة حق أريد بها باطل أفما قرأ عمره القرآن هذا القاتل . فيرى أمر ربه بالدفاع عن دينه وشرعته . وبذل الجهد المستطاع فى إعلاء كلمته . نعم قال عبد المطلب البيت له رب يحميه . لما لم يجد عنده من الاسباب الظاهرية ما يقاوم به أبرهة الفيل ويكفيه . فالتجأ فى المعنى الى ربه . وأظهر له عجزه عن ذبه . حتى كان ما كان . أما والانسان يتمكن من نصر الحق أدنى تمكن ولو بالبيان . بالقلم او اللسان . فلا يسوغ له التأخر عن ذلك كيف ما كان * لماذا اذا احتضم فى شئ . من حقوقه يسعى

أقصى جهده وينذل غاية وسعه في الحصول على مطلوبه . ويدأب الليل والنهار ويتوسل بكل الوسائل حتى البعيدة المتوهمه للوصول الى مرغوبه . ماذا الا لنقص وضعف في الايمان . وانحطاط في الهداية والعرفان . فلا يتألم أدنى تألم إذا أصيب بأكبر شئ . في دين الله . ويتألم أشد التألم إذا أصيب بأحق شئ . في دنياه . فهو لا . هم كما قال القائل لابنه كما انشده في المدخل *

أبني إن من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر
هذا حال أغلب خواصنا الا القليل الذي وفقه الله وقليل مام . فما بالك
بعوامنا فهم كما قال القائل *

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الوم إلا هذه الصور
وكما قال الثاني *

واعلم بأن عصبة الجهال * بهائم في صور الرجال
وكما قال الثالث

لا تخدعك الهوى ولا الصور * تسعة أعمار من ترى بقر
ترام كالسحاب منشراً * وليس فيه لطالب مطر
في شجر السرور منهم شبه * له رواء وما له نمر
وكما قال الرابع :

لأبأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير
وأحسن من هذا كله قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن
يقولوا تسمع قلوبهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
فاخذهم) فلذلك ترى غالب الناس اليوم الى اوضاع القوانين البشرية الشيطانية
أميل وأطوع منهم الى اوضاع القانون الالهى . والوحي السماوى . وترى
للتشدقين المتخذقين الذين يزعمون أنهم يريدون ترقية الامة ولم شملها . وضم
شملها . بأفكارهم الفاسدة . وآرائهم الكاسدة . وسياساتهم المخالفة للتأنيفة

لسياسات الشريعة الحققة الصادقة . لا يقومون مقاماً ولا يجلسون مجلساً الاخوانا
 فيه الناس اتباع كل صادق وناقد الذين يميلون مع كل ربح ولم يستضيئوا بنور العلم
 ولم يلجأوا إلى ركن وثيق على ما يتمكنون به من مقتضيات أهوائهم النفسانية .
 ومشتبهات أطباعهم البهيمية الشيطانية . من قوانين أهل الكفر والصليب والتشبه
 بهم في الافعال والاقوال . فترى لذلك قلوب الناس من قريب وبعيد حاضروا وباد
 إلا من عصمه الله من الافراد متاثرة على قبولها غير مكترئين بالقانون الذي نزل
 من عند الله . وبينه لنا رسول الله المعصوم الصادق المصدوق الذي ما ينطق عن
 هوى . ان هو إلا وحى يوحى صلى الله عليه وآله وسلم حتى جعلوا التحاكم اليها .
 والتحويل في الاحكام عليها . وجعلوا لهم محاكم سموها بأسماء ليست من حقيقتها
 في شيء بل هي معها على طرفي تقيض . فسموا شرعية وعدلية وحقوقية وغير ذلك
 من الاسماء . التي لا حقيقة لها بل هي الغول أو الضفاد . فالشرعية في الحقيقة هي
 الخدعية . والعادلة هي العدلية لكن عن نهج الشريعة المحمدية . والحقوقية هي
 الحقوقية لكن بمعنى كونها محل ضياع الحقوق الخالقية والمخلوقة . قد نسوا
 القرآن وأطرحوه خلف ظهورهم بالكلية . واعتاضوا عنه بقوانين الكفار وآراء
 ابتدعوها تقولوا على الشريعة الفراء الاحدية . ولم يرضوا بحكم الله ورسوله فيهم
 ورضوا باحكام الكفار وآرائهم . فتعسا لها من عقول . لا تشترى ولا
 باليقول . وهم مع هذا يزعمون أنهم من العقل على جانب عظيم . لا يلحظهم
 فيه الحديث ولا القديم . وليت شعري أى عقل يكون لمن لا يرضى بحكم أحكم
 الحاكمين . واعلم العالمين . وأعدل العادلين . ويرضى بحكم أجهل الجاهلين
 وأظلم الظالمين •

وما أرى مثل هؤلاء القوم من ذوى الابصار المطموسة . والبصائر المعكوسة .
 الا مثل البطل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح . ويحيا بالمنفرة والغائط
 في المستراح . فسحقا لامثال هذه العقول سحقا . ومحققا لمن الهم محققا . فلما
 تمادى بنا ذلك الحال . ومرت به علينا سنون وأحوال . حتى فتح الله تعالى لعباده

باب حرية المقال . بعد ما قد كانوا ألجهم الاستبداد المفرط بلبجوم السكوت على مر الاحوال . والقهم حجب الصمت على ماهو أعيان من الداء العضال . غير أنه وقع الناس في اضطراب وارتباك وجدال . وتفرق الناس فرقا مختلفة المسالك والمذاهب . ونحزبوا أحزابا غير مؤتلفة للشارب . وكان من تلك الفرق جمعية لاتحاد الحمدي . للجمعية لطلب العمل بالشرع الاحمدى . قوى الله عضدها . وأيد ساعدها . وأخذ بأيديها . وبدد شمل أعادها . ألهمنى الله تعالى ان اكتب نبذة شافية صدور الذين اتوا العلم والذين يريدون أنهم بهدى ربهم يهتدون على شريطة الاختصار في المقال حفرا من السامة والملال . وأبين اضطرار الناس الى الشريعة جدأ وأجمع بعض الآيات الدالة على اغناء القرآن بالسنة النبوية الميينة له عن جميع الشرائع السابقة . والقوانين البشرية الشيطانية اللاحقة . ليكونوا على بصيرة من أمرهم . ويحذروا من كيد عدوم ومكرهم

{ فأقول } واذا ابرأ الى الله من القوة والحول . وأستغفره من زلل العقل والقول . معلوم لكل من عنده أدنى مسكة من عقل ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى { أنحسبتم إنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون } وكما قال { أنحسب الانسان أن يترك سدى } أى مهلا مهلا لا يؤمر ولا ينهى كما قال الشافعى — أو لا يشاب ولا يعاقب كما قال غيره والقولان واحد لان الثواب والعقاب غاية الامر والنهى فهو سبحانه خلقهم للامر والنهى في الدنيا والثواب والعقاب في الآخرة — وكما قال تعالى { وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون } ولا فرق بين إبقاء العبادة على ظاهر معناها أو تفسيرها بالمعرفة كما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فانهما متلازمان فالمعرفة لا تكون بدون عبادة والعبادة لا تكون بدون معرفة * وأما ما يستدل به بعض من لا إلالم له بعلم الحديث مما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال «كنت كنزاً لا أعرف فأحييت أن أعرف فخلقت خلقاً فعرّفتهم بي فعرّفوني» فقد قال حفاظ الحديث وتقاده إنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف * إذا تمهد هذا فنقول ليعلم أن حاجة الناس

١ - للؤمنون ١١٥

٢ - القیامة ٣١

١ - النلریات ٥٦

إلى الشريعة ضرورية جداً فوق حاجتهم إلى كل شيء ، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب اليها . — ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بنى آدم فلا يحتاجون الى طبيب وهم أصبح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بنى آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في استئخراج ما يهجم عليهم من الادواء حتى ان كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم ونجارهم *

وأما الشريعة فبنيناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية . فبنيناها على الوحي المحض . بخلاف الطب فبناه على تعريف المنافع والمضار التي للبدن وعليه . مما قد لا تمس الحاجة اليه . وغاية ما يقدر في عدمه موت البدن وتعطل الروح عنه . — وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الابد * وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط الى شيء أحوج منهم الى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور إلى هذا الجسر * ثم لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فإن هذا الشرع ليس لاحد من الخلق كائناً من كان الخروج عنه ولا بخروج عنه إلا كافر وبين الشرع الذي هو اقوال أئمة الفقه وآراؤهم التي أدى اليها اجتهادهم ووصلت اليها أفهامهم كأبي حنيفة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة المجتهدين رضى الله عنهم أجمعين فهؤلاء أقوالهم تعرض على الكتاب والسنة ويحتج بها لما هو معلوم من حديث الحاكم والثابت من طرق في الصحيح أن المجتهد يصيب ويخطئ . فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده

والله يغفر له خطأه لكنه لا يتابع عليه . فما وافقها أو كان أشبه بهما فهو الصواب وما خالفها فهو خطأ لا يجوز لمن تبينه واطلع عليه متابعة من ذهب اليه . وإذا قلد المقلد أحدهم حيث يجوز له التقليد كان جائزاً وليس اتباع أحدهم بعينه واجبا على جميع الامة كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا يحرم تقليد أحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم * . وأما ان اضاف أحد الى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة أو تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل *

ولا تخفك هنا بقاعدة عظيمة - وفائدة جسيمة . تتعرف فيها حال كل قول يرد عليك ينسب الى الشرع وهي انه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون - والثاني إما أن يكون موافقا لشرع من قبله وإما ان لا يكون . وهذا الثالث إن كان لا عن شبهة دليل بل عن محض اتباع الهوى فهو المبدل كالاديان التي شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان ألقنهم انكم لمشركون) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) - وإن كان عن شبهة دليل فهو المؤول وفي هذا كان الصحابة رضي الله اذا قل أحدهم برأيه شيئا مما لم يجد فيه نص كتاب أو سنة عن النبي واضطر لمعرفة الحكم الذي يرضاه الله ورسوله يقول ان كان صوابا فن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان والله ورسوله يري . منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر * وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب (١) والكليتين فان اتخاذ السبت عبداً وتحريم هذه الطيات

١ - الشورى ٢١

٢ - الأنعام ١٢١

٣ - الأنعام ١١٢

قد كان شرعاً ثم نسخ . فالاقسام ثلاثة اجمالاً وأربعة تفصيلاً فاحتفظ كل الاحتفاظ على هذه القاعدة تنفعك *

ثم دين الانبياء كلهم الاسلام كما قد أخبر الله بذلك عنهم في غير موضع من القرآن - وكما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «انا معشر الانبياء ديننا واحد» . وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك فاستقبال الصخرة بيت المقدس مثلاً كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ *

وبالجملة فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) عام في كل زمان ومكان فنوح وابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له ظاهراً وباطناً وعدم الاستسلام لغيره . كما قد بين ذلك عنهم القرآن فدينهم كلهم واحد وان تنوعت شرائعهم كما قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)^٢

والله تبارك وتعالى قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة * ففي مسند احمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنقال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وفي البخاري ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الايمان والاسلام والاحسان فن لم يبق بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع ان يحصل له حقائق الايمان الباطنة ومن حصلت

١ - آل عمران ٨٥

٢ - للأنبياء ٤٨

٣ - المجادلة ١٨-١٩

له حقائق الايمان الباطنة فلا بد ان يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة قلن القلب ملك والاعضاء جنوده فتى استقام الملك وصلاح استقامت جنوده ووصلحت . كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب » فاذا كان في القلب حقائق الايمان الباطنة فقد صلح فلا بد أن يكون سائر جسده صالحاً فان لم يكن جسده صالحاً امتنع ان يكون في باطنه حقائق الايمان كاخلاص الدين لله وحبه وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه *

وأصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله . وجماع ذلك الايمان بخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالإيمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسله *

وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به فان هذا هو الكفر الذى يستحق صاحبه العذاب الاكبر في الآخرة فان الله تعالى أخبر فى كتابه انه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) وقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (وأنبياء الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتىكم العذاب بفتة وانتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كوة فأكون من الحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

١ - الاسراء ١٥

٢ - القصص ٥١

٣ - النساء ١٦٢-١٦٥

٤ - الزمر ٥٩

وقال تعالى في أهل النار (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) وقال تعالى فيهم (كلما اتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير) فأخبر انه كلما اتى في النار فوج وسئلوا عن النذير اقرؤا بأنه جاءهم فكذبوه فدل ذلك على انه لا يلقي فيها الا من كذب النذير وقال تعالى في خطابه لابليس (املأنا جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين) فأخبر انه يملأها بابليس ومن تبعه فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فلم انه لا يدخل النار الا من تبع الشيطان وهذا يدل على انه لا يدخلها من لا ذنب له فان من لا يتبع الشيطان لا يكون مذنباً وما تقدم يدل على انه لا يدخلها الا من قامت عليه الحجة بالرسول * وهذا المعنى في القرآن كثير *

واذا أحطت علماً بهذه المقدمات التي مهدناها لك علمت علم اليقين أن الاعتياض عن القانون السماوي الذي جاء به الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه وآله بالقانون الارضي الانساني الشيطاني الذي لا يخلو مهما توافقت عليه الآراء . وتطابقت عليه الأملاء . من غلط وخطأ . لا سيما اذا كان ممن لا علم عندهم بمعاني كتاب الله . وسنة نبيه الداعي على بصيرة الى الله . بل غاية احدهم أن يكون قد تعلم بعض العلوم الآلية . وفضول العلوم التي قد لا يحتاج اليها في الدين بالكلية . هو من أعظم أسباب المقت والحرمين . واكبر موجبات العقوبة والخذلان . كيف لا وهو اتخاذ لدين الله هزواً وهواً ولعباً وتبديل نعمة الله بالنقمة وللشكران بالكفران وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحاددة ومحاربة وخيانة لله ورسوله . وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض عنه — الى غير ذلك من اللغاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت الحساب . ولا تضبطها أقلام الكتاب * قال الله تعالى (ألم تر الى الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) وقال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار . جهنم يصلونها وبئس القرار)

١ - الزخرف ٧٦

٢ - الملك ١٨

٣ - ص ٨٥

٤ - الأنعام ٧٠

٥ - ليراعى ٢٧٢٨

وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسامت مصيراً) وقال تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) وقال تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الحزى العظيم) وقال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فإذا كان هذا حكم الباغين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كلفة عرباً وعجماً مؤمنهم وكفرهم الى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة رسوله وحاربها وحادها وشاقها بمخالفة أمرها أليس هو أولى بذلك . بلى وربك فانه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله الا العالمون . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا نخونوا الله والرسول ونخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) وقال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن قبيض له شيطاناً فهو له قرين وإنيهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وأضله به انما كان بسبب اعراضه وعشوه عن ذلك الذي أنزله على رسوله فكان عقوبة هذا الاعراض أن قبض له شيطاناً يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى اذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعان هلاكه وافلاسه قال (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة *

١ - الشورى ٢١

٢ - النساء ١١٥

٣ - الأنفال ١٣

٤ - المجادلة ٢٠

٥ - التوبة ٦٣

٦ - المائدة ٣٢

٧ - الأنفال ٢٧

٨ - الزخرف ٣٦-٣٧

٩ - الزخرف ٣٨

١٠ - الأعراف ٣٠

(فان قيل) فهل لهذا عنر في ضلاله اذا كان بحسب أنه على هدى كما قال تعالى (ويحسبون أنهم مهتدون) - (قيل) لا عنر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الاعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو ظن

انه مهتد فانه مفرط باعراضه عن اتباع داعي الهدى فاذا ضل آت من تفریطه واعراضه وهذا بخلاف من كان ضلاله لعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول اليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن انما يقتاول الاول المعرض. وأما الثاني فان الله لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه كما قدمنا *

وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) وقال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً) وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى) أى لم يتبع الذكر الذي أنزله وهو القرآن وليس المعنى ومن أعرض عن أن يذكرنى بل هذا لازم المعنى فالذكر هنا مضاف اضافة الاسماء لا اضافة المصادر الى معمولاتها (فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك آتينا آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فأخبر سبحانه أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى فان له معيشة ضنكاً عكس من حفظ عهده فانه قد تكفل له أن يحياه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة بقوله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) *

١ - طه ١١٩-١٠١

٢ - الجن ١٦-١٧

٣ - طه ١٢٤-١٣٧

٤ - النحل ٩٧

٥ - الطلاق ١

٦ - البقرة ٣٢٩

٧ - اللائدة ٤٤

٨ - اللائدة ٤٥

٩ - اللائدة ٤٧

١٠ - النساء ٦٠-٦١

وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وقال تعالى (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)

قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكون إلى غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعطون أنه طاعة لله *

قال الحق ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين بعد هذه العبارة فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله الى طاعة الطاغوت ومتابعتهم وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الامة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً اهـ ولقد صدق الله فيما نطق هذا حال جلنا ان لم يكن كلنا فلاحول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى من فساد قلوبنا ونياتنا وأحوالنا وأخلاقنا فقد بلغ الفساد بنا مبلغاً لا يمكن ان ينهض بنا ناهض لشيء من معالي الامور الا من ساعدته يد التوفيق وما أقلمهم بل ما أعزهم من الكبريت الاحمر *

ثم لو لم يكن في القرآن المجيد في الزجر عن اتباع القوانين البشرية يتخير هذه الآية السكرية لكفت العاقل اللبيب الذي أوتى رشده واهمه صلاح قلبه عن طلب غيرها فكيف والقرآن كله يدعو الى تحكيم ما أنزل الله . وعدم تحكيم ما عده . اما تصريحاً واما تلويحاً وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله للذين من لمن بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم تقوم الساعة . وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « لا تزال طائفتان من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتى أمر الله » - وانه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . فعلنا بذلك ان من المنتع بالسمع ان يتألا العالم كله شرقاً وغرباً من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على اتباع القوانين البشرية وعدم اللبالة بالقانون الالهي بل لا بد ان يكون فيهم ولو واحد ينكر على هؤلاء الكل إما بلسانه ان أمكن ذلك ولم يفتكروا

به وإما بقلبه ان لم يمكنه وظن الفتك به كما قد كان أيام الاستبداد *
والغرض بيان أن طائفة الحق لا تزال تقاتل وتجاهد على تحكيم ما أنزل
الله باللسان والبيان . والبدن والسنان . والمال وكل ممكن لنوع الانسان وان به
يتم نظام العدل والملك والدين والدنيا وبه يستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل
لهم الراحة والأمن والحرية التامة . والسياسة العامة لجميع الملل والراعايا المختلفة
الاصناف والالسنه والامزجة . ومن شك في هذا فلينظر الفرق بين حال الاسلام
في هذه القرون المتأخرة التي عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحالها في القرون
المتقدمة التي ما كانت على شيء أحفظ منها على أحكام الشريعة وارعى لها يجد
الفرق كما بين الثرى والثريا وكما بين الارض والسماء وكما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

ألا ترى ان الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله تعالى عليه
وأآله وسلم فتحوا ما فتحوا من الاقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان
والقرآن . في مدة نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعددهم . وضيق ذات يدهم .
ونحن مع كثرة عددنا . ووفرة عددنا . وهائل ثروتنا . وطائل قوتنا . لا نزداد
الاضحاً وتقهرأ الى وراء . وذلاً وحقارة في عيون الاعياء . وذلك لان من لا
ينصر دين الله لا ينصره قل تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت أقدامكم) فرتب نصره على نصره باقامة طاعته وطاعة رسوله
فأنهم أنه لا ينصر من لا ينصره وهو كذلك كما جرت به عادته وسنته في عبادته .
والمفهوم المخالف وان كان في حقيقته خلاف مبين في أصول الفقه ليس هذا موضع
بسطه فهذا المفهوم لا خلاف في صحته واعتماده لاعتماده بدلائل أخرى وشهادة
الواقع له * وهذا كما قال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)
فلخبر تعالى بانه ينصر من ينصر دينه - ثم بين تعالى الذين ينصرون دينه بقوله
(الذين ان مكنهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف
ونہوا عن المنکر) فمن لم يكن موصوفا بهذه الصفات الأربع ممن مكنته الله تعالى

في الارض فلا حظ له في نصره الله تعالى - وقال تعالى لا اهل بدر (بلى ان
تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسمومين) فعلق امداده لهم على شيتين هما عمادا النصر . الصبر وتقوى الله
عز وجل - وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد) فوعده ووعدته حق بنصره الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة
بالحجة والظفر والغلبة على مخالفينهم وأعاديتهم . - وهذا كقوله الآخر (ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) فوعده
بعلوم على عدوم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوم عليهم في
الآخرة كما قال (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) - وقال تعالى (كتب الله
لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) فأخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب وجعل
الغلبة له ورسله وأتباعهم - وقال تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا
يحب كل خوان كفور) فخص المؤمنين بدفاعه عنهم ونصره لهم وجعل العلة
في ذلك أنه لا يحب أضدادهم . فاذا كان قد كتبها له ورسله وأتباعهم وأوليائهم
وخصهم بالدفاع عنهم وعلل ذلك بأنه لا يحب الخوان والكفر . كان من الحال
ان تكون الغلبة لاعدائه واعداء رسله وهم الخونة الذين يخونون الله والرسول
ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله عليهم ويضطلونها *

ولا ينافي ذلك انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل في بعض
الغزاي فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبراً يعتبر بها * وعن
الحسن رضي الله عنه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولا ن قاعدة أمرهم واساسهم
والغالب منه هو الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء
والهنة لرفع درجاتهم . وزيادة اجورهم ومشواتهم والحكم للغالب *

وبالجملة فقد ضمن الله تبارك وتعالى لكل من نصر دينه المين . وأطاع
رسوله الامين . ان ينصره في الدنيا والآخرة . فن خذل دينه وخالف رسوله

١ - آل عمران ١٢٥

٢ - غافر ٥١

٣ - الصفات ١٧١-١٧٣

٤ - البقرة ٢١٢

٥ - المجادلة ٢١

٦ - الحج ٢٨

استحق أ كبر العذاب وأشد النكال في الدارين ولم يغن عنه لا مال ولا أحد من الله فتبلا . - ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبتوا في مكانهم عند الجبل ولا يزيأ يلوه سواء كانت الفتوة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعاً فلما فشلوا وتنازعوا اقتال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هنا وقال بعضهم لا نخاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في فردون العشرة ونفريهون أعقابهم كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صباحاً حتى هزموا وقتل من قتل . وذلك كله بشؤم مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانهم له . وذلك معنى قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبون بإذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) - - وألا ترى ان أهل المدينة كانوا في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل أهل الدنيا والآخرة لمتسكهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تغيروا بعض التغير فقتل عثمان . وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم - ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصائب ما لم يجر عليهم قبل ذلك *

والذى فعل بهم ذلك وان كان ظالماً متعدياً فليس هو أعظم من فعل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ما فعل وقد قال الله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وكذلك الشام كان أعلاه في أول الاسلام في سعادة الدنيا والدين ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم ثم سلط عليهم المناقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذى كان عليه وجعلوه كنيسة ثم صلح دينهم فأعزهم

الله ونصرهم على عدوم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم - وكذلك أهل الاندلس كانوا رقاداً في ظلال الأمن وخفض العيش والخدمة فعمطوا النعمة وقابلوها بالاشتر والبطر فاشتغلوا بمعاصي الله تعالى واكبوا على لهوم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم ما لا يحصره قلم كاتب . ولا يحصيه حساب حاسب . بتسليط عدوم عليهم حتى مزقهم الله كل ممزق وفرقهم أيادى سباً وارتد بعضهم على عقبه ركوناً الى الدنيا الفانية والحظوظ العاجلة . ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه . وما صاروا اليه . وفي التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر * دعك من هذا ولا أطول عليك المسافة ففي كتاب ربنا ما فيه غنية عن كل شيء . بهم لمن تدبره وعقله وصرف فيه شطراً من عمره كما صرف في تلك العلوم التي لا طائل تحتها ولا محصل لها ولا تقوم على ساق * وسيرد عليك ان شاء الله . في هذا المعنى الذي حنا حول جملة آيات متعددة فانتظر قليلاً * والقرض المقصود لنا الآن هنا بيان أن الصلاح والنجاح والفوز والفلاح وسعادة الدين والدنيا معاً منوط ومربوط بنصرة دين الله لا سبيل له غير ذلك أبداً ولذلك قال سيدنا مالك بن انس امام دار الهجرة رضي الله عنه لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها أو كما قال . والامر والله كما قال . وشاهد العيان . يغني من له عينان . عن البيان (هذا) *

ثم لنذكر بعض الآيات الصريحة لمن له نظر . وفهم وتدبر . في التحذير عن اتباع غير ما أنزل الله فنقول قال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) فجعل ما خالف حكم الكتاب ضلالة - وقال تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) - وقال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) - وقال تعالى (أفتغير الله ائتقى حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) - وقال تعالى (أفتن

١ - النساء ٥١

٢ - آل عمران ٢٣

٣ - النساء ٥١

٤ - الأنعام ١١٤

يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب) - وقال تعالى (ويرى الذين اوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) فجعل الله تعالى في الآيتين المنزل هو الحق واذا كان هو الحق لا غير كان ما عده هو الباطل بلا مرية - وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين)^١ فقسم الله تعالى الامر الى شيتين لا ثالث لهما. إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به وإما اتباع الهوى. فكل مالم يأت به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الهوى - وقال تعالى (ياد اود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس الى الحق وهو الوحي الذي أنزله على رسوله والى الهوى وهو ما خالفه - وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) قال الشافعي في الام : وأهواءهم يحتمل سبيلهم في أحكامهم ويحتمل ما يهوون. وأيهما كان فقد نهى عنه وأمر أن يحكم بينهم بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم اه ثم قال سبحانه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروا أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون . انحكم الجاهلية يغفون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكم بين أهل الكتاب بما أنزله الله عليه - ونهاه عن اتباع أهوائهم لما فيه من مخالفة المنزل اليه - وحذره أن يفتنوه فيحولوا بينه وبين بعض ما أنزله اليه وأعلمه أنهم ان تولوا عن الحكم الذي أنزله الله اليه قائماً يريد أن يصيبهم ويتلهم بسبب بعض ذنوبهم. فعلم منه أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى حكم الاهواء سبب لاهابة الله بالمصائب . - وهذا كقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس لينذقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) - وقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله

١ - الرعد ٩

٢ - سبأ ٦

٣ - القصص ٥٠

٤ - ص ٣٦

٥ - المائدة ٤٨

٦ - المائدة ٤٩-٥٠

٧ - الروم ٤١

٨ - الشورى ٣٠

تعالى (فأصابهم سيّات ما كسبوا . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيّات ما كسبوا) وقوله تعالى (وبدلهم سيّئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله تعالى (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً . ومنهم من أخذناه الصيحة . ومنهم من خسفنا به الأرض . ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقوله تعالى (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) وقوله تعالى (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) وقوله تعالى (بما خطيأهم أغرقوا فادخلوا ناراً) وقوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقوله تعالى (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)

وأخرج الامام احمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكي بعضهم الى بعض فرأيت أبا الرداء جالساً وحده يبكي فقلت يا أبا الرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل اذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى . وأخرج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينه (١) واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » : ورواه أبو داود باسناد حسن - وفي سنن ابن ماجه في باب العقوبات من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه فقال « يا معشر

١ - الزمر ٥١

٢ - الزمر ٤٨

٣ - التنبؤات ٤

٤ - الأنفال ٥٤

٥ - النساء ١٥٣

٦ - نوح ٢٥

٧ - القصص ٥٨-٥٩

٨ - النحل ١١٢-١١٣

(١) هي ان يبيع من رجل سلمة بضمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه قدراً باقل من الثمن الذي باعها به اه

المهاجرين خمس اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركونهن . لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله الا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم . وما لم نحكم أثمتهم بكتاب الله ويتخبروا مما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » - وفي شرح الموطأ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلب الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر . ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت . ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين . ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » (قال) رواه ابن ماجه والطبراني وله شاهد (١) عن ابن عمر مرفوعاً نحوه عند ابن اسحق اهـ

وفي نهج البلاغة من كلام سيدنا علي كرم الله وجهه لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو أضر منه - ومن كلام بعض السلف الصالح كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة - وفي المشهور على الالسة الجاري مجرى المثل السائر قولهم لو استقمنا ما انتقمنا وقال القائل

بذا قضى الله بين الخلق مذ خلقوا إن المخاوف والاجرام في قرن
ولهذا المعنى الذي ألمنا الآت بساحل بحره العميق شواهد من القرآن
والسنة وكلام السلف الصالح لا نحصى لو ذهبنا الى تتبعها واستقصائها لطال
بنا الكلام •

والقصد هنا بيان أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله من أكبر الذنوب
وانه سبب لانصباب المصائب . وتتابع النوائب فان الجزاء يكون من جنس العمل
فمن تولى عن حكم الله وحكم رسوله تولى الله ورسوله عنه . ومن تولى الله ورسوله

(١) أقول لله الذي هلتنا عن سنن ابن ماجه قبل اهـ مولفه

عنه فبهيات ان يفلح ويمز بل يتركه الله أذل وأحقر ما يكون قال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) وفي مسند احمد من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك ان تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكراهة الموت » فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه يوشك ان يتداعى عليكم من فرق الكفر وأمم الضلالة بعضهم بعضا ليقاتلوكم ويكسرون شوكتكم ويفلبوا على ما ملكتهم من الديار والاموال كما تتداعى الفئة الآكلة بعضهم بعضا على قصعتهم التي يتناولونها من غير بأس ولا مانع فيأكلونها عفوا صفوا فيستفرغون ما في صحتكم من غير تعب ينالهم او ضرر يلحقهم أو بأس يمنهم - ثم لما سأله عن سبب ذلك هل هو من قلة عددهم أخبر بأنهم كثير ولكنهم غثاء السيل الذي هو ما يجي فوق السيل مما يحتله من البزورات والارساخ لقلة نفهم وغنائهم ودنائة أقدارهم. وخفة أحلامهم - ثم أخبر بان الله ينزع المهابة من قلوب عدوهم ويجعل في قلوبهم الوهن وبين لهم سببه بانه حبهم البقاء في الدنيا وكراهتهم الموت - يدعوهم ذلك الى اعطاء الدنية في الدين واحتمال النذل عن المدون سأل الله العافية قد ابتلينا به وكنا نحن المعنيين بذلك *

﴿ حكاية لطيفة ﴾ ساقها الامام محمد بن قتيبة الدينوري في كتابه تاويل مختلف الحديث قال وحدثني رجل من اصحاب الاخبار ان المنصور سر ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أففى أمرهم الى أبنائهم المترفين فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإثارة الذات والسخول في معاصي الله عز وجل ومساخطه جهلامهم باستدراج الله تعالى وأمانا من مكروه تعالى فسلبهم الله تعالى الملك والعز ونقل عنهم النعمة

فقال له صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فممن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبيد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك فأمر المنصور باحضاره وسأله عن القصة فقال يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي ففترشته بها وأقت ثلاثا فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل على رجل طوال أقي حسن الوجه فقمعد على الأرض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا فقال اني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لمظلة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم أقبل علي فقال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم . فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال فلم تطؤون الزرع وبدوا بكم . والفساد محرم عليكم في كتابكم قلت يفعل ذلك جبالنا . قال فلم تلبسون اللدياج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا يقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت في الأرض ثم قال ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله تعالى العز والبسكم القل بذنوبكم والله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصينى معكم وإنما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدى ففعلت ذلك اه وفي هذه الحكاية مقنع وكفاية لمن رزقه الله الهداية وجنبه طريق الغواية . وفيما رأيتم وسمعتم به مما جرى بولئك الظالمين المستبدين . الخاسرين الابعدين . أكبر عبرة لمن اعتبر . وتبصرة لمن تبصر قال الشاعر :

ما رم يوم على حي ولا ابتكرا (١) * الا رأى عبرة فيه إن اعتبر

(١) في القاموس بكر عليه واليه وفيه بكورا وبكر واجكر وأبكر وبأكره
أتاه بكرة اه

ولنرجع الآن لذكر بقية الآيات التي نحن بصددناها فنقول : وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم لن يغفروا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) فقسم سبحانه الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها . وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون فأمر بالاول ونهى عن الثاني . وقال تعالى (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء . قليلا ما تدكرون) فأمر باتباع المنزل منه خاصة ونهى عن اتباع أولياء من دونه فدل على أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول يجب استقلالاً من غير حاجة إلى عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كل ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فانه أوتي الكتاب ومثله معه * وقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي رافع انه قال « لا أفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » — بخلاف أولى الأمر قهيم أيا كانوا العلماء والأمراء . أو العلماء فقط . أو الأمراء فقط لانجب طاعتهم الا تبعا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته — ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمح له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق — وقال أما الطاعة في المعروف . وهو ما وافق ما جاء به الرسول ولهذا لم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً

١ - المجادلة ١٦-١٩

٢ - الأعراف ١-٣

٣ - النساء ٥٩

٤ - الحشر ٧

٥ - النساء ٨٠

بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ايذاً بناهم انما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول . وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فأفاد ان آية محبة الله اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فمن لم يتحقق فيه هذه العلامة فهو ليس بمحب لله وهو كذلك فان دعوى المحبة مع المخالفة من الحماقات الظاهرة والا كاذيب التي لا تخفى على أحد . ولذلك يقول القائل وقد أجاد فيما أفاد *

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولا يزيغ عنه * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وللمواهل والناس اجمعين » * وفيها « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الله وأن يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » . وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة فخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) فالواجب على كل أحد آمن بالله واليوم الآخر محبة الله ورسوله المحبة الصحيحة الصادقة التي تقتضى التابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات

قال ابو يعقوب التهرجوري كل من ادعى محبته تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال يحيى بن معاذ الرازى ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدود الله . فمن ادعى انه يحب الله ورسوله فيفترض عليه أن يئذل وسعه ويسعى جهده في إقامة حدود الله ونصرة دينه بالقول والفعل وللحال وكل ممكن قلن علامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوبات محبوبه ويسئل

جهد وطاقته فيها والا فلو رأى محارم الله تنتهك وهو ساكت لا يفتار ولا يفضب كما لو تعدى على أدنى حقوقه فهو حينئذ كذاب كذاب لانصيب له من المحبة إلا مجرد الدعوى . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أفادت الآية بطريق عكس التقيض للموافق للمعلوم عند أرباب فن المنطق أن من لأسوة له حسنة في رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ليس ممن يرجو الله واليوم الآخر . وكفى بهذا التهديد العظيم في التحذير للعاقل

وقال تعالى (لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ولا فرق في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على ما نحن بصده بين رجوع الضمير الى الله والى الرسول . وقال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيموه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) . وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) فأقسم سبحانه نفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الحق والجليل . ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجردة حتى ينتهي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه . ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً لحكمه فبإلزامك بمن حكم بغير ما أنزل الله فانه أولى بسلب الايمان عنه . وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)^١ فأخبر سبحانه انه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله حياً او ميتاً ومن تخير فقد عصى الله ورسوله . ومن عصاها فقد ضلّ ضلالاً مبيناً وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقبلوا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها لا تقولوا

١ - الأحزاب ٢١

٢ - النور ٦٣

٣ - النور ٥٤

٤ - النساء ٦٥

٥ - الأحزاب ٣٦

٦ - الحجرات ١

خلاف الكتاب والسنة . وقال مجاهد لا تقدموا لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى الله على لسانه . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)

فلينظر قانه اذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقدم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عالمين على ما جاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم بلى وربك . قاله عز وجل لولا أنه علم أن نظام العالم في الدين والدنيا معاً لا يقوم إلا بهذه الشريعة الجامعة المانعة العادلة تمام العدل لبعث رسولا ينسخ منها ما لا يوافق هذا الزمان بزعم المارقين كما قد كان يفعل قبل فلما جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين فلم يرسل بعده من رسول كان ذلك دليلاً أي دليل على أن هذه الشريعة وافية كافية . كاملة شافية . كافلة بجميع المصالح ديناً ودنياً لا يحتاج معها إلى شيء من آراء الرجال وسياساتهم إلا فيما يكون استيضاحاً للحق الذي يرضاه الله ورسوله بعد معرفة مقاصد الشارع تمام المعرفة

ولذلك كان تقديم آراء الغير وعقولهم وأذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة المتباينة لسياسات الشريعة الحقة الصحيحة محبطاً للعمل ألبتة وربما كان ردة ومروقاً عن الأمة الإسلامية والملة الحنيفية أعاذنا الله تعالى .. قال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) فليحذر السياسيون أن يسوسوا الناس بغير ما أنزل الله فانهم مع أنه لا يتم لهم أمر ولا يستقيم لهم حال يخشى عليهم من الردة والمروق من الدين فيكونون ممن خسر الدنيا والآخرة .. وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) فجعل من لوازم الايمان أن لا يذهبوا مذهباً اذا كانوا

١ - الحجرات ٢

٢ - محمد ٩

٣ - محمد ٢٨

٤ - النور ٦٢

معه الا باستئذانه فما بالك بالذهاب في دين الله والحكم بين الناس فانه أولى أن يكون من لوازم الايمان ان لا يذهبوا ذلك المذهب إلا بعد استئذانه بدلالة ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم على انه أذن فيه .. وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) ثم قال تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فبين ان المؤمنين ليس لهم إلا السمع والطاعة لحكم الله ورسوله وانه ليس لهم الى المخالفة سبيل أبداً ..

وقال تعالى (وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)^١. أخرج ابن ماجه في سننه عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية « وقال تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بقية وأنتم لا تشعرون)^٢. فاذا كن قد أمرهم باتباع أحسن ما أنزل اليهم فيما يعرضهم فيه الأمران الوجوب والندب أو الندب والاباحة على ما قيل في التفسير وأنذرهم مفاجأتهم العذاب إن لم يفعلوا ذلك فما الشأن فيما سبيله المقطع فيه بالاقتراض والتحتيم قولاً واحداً كالحكم بين الناس بما أنزل الله. وقال تعالى (وهذا كتاب مبارك أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)^٣. وقال تعالى (وهذا كتاب مبارك أنزلناه أفأنتم لمتكبرون)^٤. وقال تعالى (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فإني فاعل ما أوعظ)^٥. وقال تعالى (فبئس ما وعد الكافرين)^٦ فنبه على ان التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى غيره كفر. وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً)^٧. وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالد فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)^٨ وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها

١ - النور ٤٧-٤٨

٢ - النور ٥١

٣ - الأنعام ١٥٣

٤ - الزمر ٥٥

٥ - الأنعام ٥٠

٦ - الأنبياء ١٥٥

٧ - آل عمران ٣٢

٨ - النساء ٨٠

٩ - النساء ١٤

الانهار ومن يتول يمدبه عذاباً أليماً) وقال تعالى (وأطيعوا الرسول فإن توليتهم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) ^١ وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حلالاً) وقال تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) وقال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي صد الناس وصرفهم عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ^٢ وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) ^٣ فأمر بالآثار والانتباه ثم حذر عن المخالفة

(هذا) وكم من أمثال هذه الآيات الجليلة المندرة عن مخالفة الكتاب والسنة وكفى بواحدة منها لمن أوتي رشده . ومن لا فلا تغنيه قراءة جميع الكتب الالهية عليه . ثم ليس العجب من قوم يدعون الاسلام يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . غلب عليهم هواهم . فأصمهم وأعماهم . حتى رفضوا العمل بقانون ربهم الذي أنزله على نبيه وعملوا بقوانين اهل الكفر والصليب إقامة لرياساتهم وقضاء لشهواتهم . غفلة منهم عن اليوم للموعود الذي تجدد فيه كل نفس ماعملت من خير أو شر محضراً بين يديها . وإنما العجب العجيب ممن ينزويون بزى أهل القرآن . وينسمون بأسماء اهل الايمان . يخلقون الافك والفشار . ولا ينجشون المسبة والمار . بلغوا من الجهل مبلغاً دونه جهل اليهود والنصارى فيزعمون ان الشريعة المحمدية مانعة لهم من ترقبهم . او معوقة عن مرامهم ومرامهم . فلا تصلح لاهل هذا الزمان . وانقطع حكمها ووقع في حيز خبر كان . فنسخوها بآرائهم الكاسدة . وأهوائهم الفاسدة . ومشتبهات اطباعهم الخبيثة العاطلة . ومقتضيات أميالهم الخسيسة الباطلة . مسخهم الله تعالى ظاهراً كما قد مسخهم باطناً ليكونوا عبرة للناظرين ومثلة في الحاضرين . فهو لا المردة للمارقون لادواء اتبع فيهم من تمكن الصوارم البوار من رقابهم وقطع دابرهم حتى لا يقوى حزيمهم . ولا يكثر جمعهم أبادهم الله ودمهم وشنت شملهم ومزقهم كل ممزق .

١ - الفتح ١٧

٢ - التباين ١٢

٣ - طه ١١-١٠

٤ - الكهف ٥٧

٥ - الأثنام ١٥٧

٦ - الأثنام ١٥٧

٧ - الحشر ٧

وهؤلاء الاوغاد لم يقدروا الشريعة حق قدرها ولم يملوا ان مبنائها على الحكم ومصالح العباد . في المعاش والمعاد . وانها عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه . وظله في ارضه وهي نوره الذي به أبصر المبصرون . وهداه الذي به اهتدى المهتدون . وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل . وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل . فهي قرة العيون وحياة القلوب ولة الارواح . فيها الحياة والغذاء والهواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود قائما هو مستفاد منها وحاصل بها . وكل نقص في الوجود فسيبه من اضعائها . ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والارض أن تزولا . فاذا أراد الله تبارك وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع اليه ما بقي من رسومها . فهي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والعجب ايضا من قوم لا يرون تمام الترقى إلا في التشبه بالكفار وعبدة الاصنام . لزعمهم انهم بلغوا من التمدن والترقي مبلغا لم يبلغه غيرهم من الانام فان هؤلاء ايضا قوم لا خلاق لهم قد قصروا نظرهم على النعيم الفاني العاجل . ونسوا النعيم للقيم الآجل . فهم أشبه بالانعام . بل هم أضل وان لبسوا ثياب الانام . دينهم ودينهم تقليد أولئك والنزى بزيمهم والاحتذاء بهم في أقوالهم وأفعالهم ومطامعهم ومشاربهم وملابسهم فلم في أولئك الاسوة التامة لاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فهم ليسوا بمن يرجو الله واليوم الآخر . وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم التابت من طرق في الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاختلموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن » فانا لله وانا اليه راجعون

فاياكم ياكم عباد الله ومخالفة الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه قيد شبر فان المخالفة والله الذي لا إله غيره عين الهلاك والعنى والحسران المبين • واياكم اياكم أن تنظنوا ان الكتاب والسنة الذين هما الشريعة

لم يفيا بجميع أحكام الحوادث فان هذا خطأ جسيم وبهتان عظيم فقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)^١ وقال تعالى (ما كن حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)^٢ وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)^٣ وقال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)^٤ وقال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^٥ وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض)^٦ وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)^٧ وقال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم)^٨ أى للحالة أو للاملة أو للطريقة التي هي اقوم الحالات أو الملل أو الطرق وقال تعالى (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً)^٩ وقال تعالى (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)^{١٠}

١ - المائدة ٣

٢ - يوسف ١١١

٣ - النحل ٨٩

٤ - العنكبوت ٥١

٥ - الأنعام ٣٨

٦ - الشورى ٥٢-٥٣

٧ - المائدة ١٥-١٦

٨ - الاسراء ٩

٩ - الأنعام ١١٤

١٠ - الأعراف ٥٢

١١ - الطلاق ١٠-١١

١٢ - النساء ١٧٤-١٧٥

إذا تأمل المتأمل قوله (فصلناه على علم) وعرف عظم موقعه وبلاغته وعلم ان علوم العالمين أجمعين كلها تتلاشى وتضمحل في جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح وما يضر ويفسد لم يشك ان القرآن قد تكفل ببيان مافيه صلاح للمعاش والمعاد ونظام الدين والدنيا مما على اكل وجه وأبلغه حيث تولى تفصيله العليم الخبير الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض مما كان أو يكون وقال تعالى (قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور)^{١١} وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً)^{١٢} وقال

تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب) وقال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فيبين سبحانه للعباد جميع ما يتقونه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

قال أهل التفسير عموما الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد الى ذاته في حياته والرد الى سنته وهي أقواله وأفعاله وتقريراته بعد وفاته . فأمر الله بالرد الى والى الرسول ليس الا لأن كتاب الله يبين الرسول فاصل للنزاع وقاطع للخلاف ولا بد . هذا فيما تنازع فيه المؤمنون . فما بالكم بما اتفقوا عليه فلا رد فيه أوجب وأوجب وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) فأنتم ترون انه سبحانه أخبر في هذه الآيات أنه أنزل الكتاب لبيان حكم ما يختلف فيه الناس وجعله هدى وجعله رحمة وجعله شفاء للقلوب والصدور من الظلمات وجعله مخرجاً من الظلمات الى النور وجعله نوراً وجعل اليه التنازع والتحاكم الى غير ذلك من أوصافه التي لا تحصى فكيف يكون بهذه الاوصاف التي وصفه الله سبحانه بها وبالناس حاجة الى قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم فما دام بالناس حاجة ما في آية جزئية الى أى قانون ورأى لم يكن بتلك الاوصاف والله أصدق القائلين . فتبين بذلك أنه ما غادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا وما يتعلق بصلاح المعاش والمعاد الا وتكفل بها واحدة واحدة عرف ذلك من عرفه وجهه من جهه قال الشرف البوصري في آيات القرآن

١ - البقرة ٢١٢

٢ - النحل ٦٤

٣ - الشورى ١٠

٤ - التوبة ١١٥

٥ - النساء ٥٩

٦ - يونس ٥٧

٧ - الاسراء ٨٢

لها معان كموج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
ولكن الافهام والعقول متفاوتة فمن يصادف فهمه المحرز يطبق المفصل فهذا
هو الذي له أجران — ومن يخطئه ولا يصيبه بعد بذل الوسع وهذا هو الذي
له أجر واحد كما ثبت ذلك في الصحيح — ومن قام ومستنبط من آية حكما ومن
قام ومستنبط حكيم ومن قام ومستنبط أكثر فضل الله تعالى ليس بمحظور
عن أحد يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي »

وبالجملة فالقرآن متكفل بنظام المعاد والمعاش في التفرق والاجتماع على أكل
وجه وأجله لمن كحل بنور التوفيق بصيرته . وطهر بقاء الايمان سريره . ووجه
اليه همة . وصرف فيه مدته * قال الامام الشافعي في سورة العصر لو فكر الناس
كلهم في هذه السورة لكفتمهم — وفي لفظ عنه لو لم ينزل الله على خلقه حجة
الا هذه السورة لكفتمهم . وقد بين معناه وأوضح مغزاه الامام ابن القيم في
مفتاح دار السعادة بأبلغ وجه وأعلاه فقال ما نصه : ويبان ذلك أن المراتب
أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق . الثانية عمله به
الثالثة تعليمه من لا يحسنه . الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فذكر
تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر
ان كل أحد في خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه
مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى .
وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعلما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة . وتواصوا
بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه
مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه
مكلا لغيره . وكلامه باصلاح قوته العلمية والعملية . فصلاح القوة العلمية بالايمان

وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكيله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بمذافيره . والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه شافيا من كل داء هاديا إلى كل خير اهـ

وأخرج الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستكون فنن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل . من تركه نجيها (وفي رواية من جبار) قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو جبل الله المتين . ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا تشعب منه العلماء ولا تمله الاتقياء . من علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم » . وفي مراسيل أبي داود السجستاني عن يحيى بن جعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بكتاب في كتف قال « كفى بقوم ضلالة أن يتغفروا كتابا غير كتابهم إلى نبي غير نبيهم فأنزل الله عز وجل أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » . وعن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل بعثي خاتما وأعطيته جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الحديث اختصارا فلا يلينكم للمهوكون » قلت لابي قلابة ما المهوكون قال المتحIRON اهـ

وأخرج البخاري في كتاب الاعتصام في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث (١) تفرؤنه محضاً لم يشب (٢) وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم *

وأخرج البخاري فيه ومسلم في الوصايا عنه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال وفيهم عمر بن الخطاب قال «علم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجد وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله تعالى واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً لن تضلوا بعده . ومنهم من يقول ما قال عمر فلما كثروا الفط والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني * قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وانقطاعهم *

فأمل هذه الأحاديث وأعطاها حقها من التأمل الصادق تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يحوجنا معشر أهل القرآن إلى كتاب آخر من الكتب السماوية بل اشتمل كتابنا على جميع ما فيها من الحسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد فيها فلها كان مصداقاً لما بين يديه من الكتب ومهيئاً عليها يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخ الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ منها *

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وانقطاعهم فقد قال المتكلمون في شرح هذا الحديث إن عمر رضي الله عنه كان أفقه من ابن عباس وأدق نظراً لاكتفائه بالقرآن وعلمه أن الله تعالى أكل دينه بقوله

(١) أي أقرب نزولاً إليكم من عند الله (٢) أي لم يخلط به غيره أهم

تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (اليوم اكملت لكم دينكم) وأمنه الضلال على الأمة . — ولا يقال ان عمر رضى الله عنه لم يرتض أمره صلى الله عليه وسلم بكتابة الكتاب فخالفه وعصاه لان عمر رضى الله عنه فهم أن هذا الكتاب الذى أراد ان يكتبه لا يخرج عن كتاب الله لعله أنه معصوم في تبليغه عن ربه وتثبيت الله له لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) وعلمه أنه لم يترك بيان شيء مما أنزل اليه به فخرج ذلك الامر منه في حال اشتداد الوجع به صلى الله عليه وسلم مخرج كلام النصوص الحريص على هداية شخص فهو لا يزال ينصحه بالعبارات المختلفة والاساليب المتعددة حتى يرسخ في فؤاده ما يريد منه فلذلك رأى عدم الثقل عليه صلى الله عليه وسلم في كتابة ذلك الكتاب مع الاستفتاء عنه بالقرآن فافهم هذا المعنى فعمله أحسن شيء يندفع به الاعتراض على سيدنا عمر فيما صورته صورة المخالفة •

وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دلالة على حسن فهم عمر وتيقظه لمزاده صلى الله عليه وسلم الذى هو الاخذ بكتاب الله بعمده حتى لا يضلوا والا فلو كان مراده صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم ما لا يستفنون عنه مما لم يبينه لهم من قبل لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه كما أمرهم في تلك الحال بثلاث كما أخرجه مسلم عن سعيد بن جبير أمرم باخراج المشركين من جزيرة العرب واجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة أو ذكرها ونسبها سعيد الراوي قالوا الثالثة هي تجهيز جيش اسامة رضى الله عنه ويحتمل أنها قوله « لا تتخفوا قبرى وثنا بعده » فانظر قانه لم يرجعه تنازعهم واختلافهم ولقطهم عنده عن بيان هذه الثلاث التي ما كان يبينها لهم قبل فلو كان مضمون الكتاب الذى أراد أن يكتبه لهم مما لم يسبق بيانه ما كان ليسكت عن بيانه بحال فرضى الله عن عمر ما أدق نظره وألطف فهمه وأصوب فكره •

١ - الأنعام ٢٨

٢ - للتائدة ٣

٣ - النجم ٤-٢

٤ - للتائدة ٦٧

والقصد هنا ان الله لم يحوجنا بمنه وكرمه الى شئ آخر من الكتب السالفة كما كان أحوج أهل الانجيل لفهم التوراة واتباعها ليكون المسيح عليه السلام كلن متبعاً في الاكثر لشريعة التوراة : ولذا قال (ولاحل لكم بعض القدي حرم عليكم) فكيف يحوجنا الى شئ من قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم حاشا لله ومعاذ الله * ومن ظن ذلك فان كان جاهلا بين له وفهم والا فهو كافر بحلال الدم والمال في جميع مذاهب علماء المسلمين قولوا واحدا فان من ظن ان هذه الشريعة الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكل منها ناقصة تحتاج الى سياسة خارجة عنها تكملها فهو كمن ظن أن بالناس حاجة الى رسول آخر غير رسولهم القدي يحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث — وكذلك من ظن أن شيئاً من أحكام الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة بخلاف السياسة والمصلحة التي يقتضيها نظام الدنيا فهو كافر قطعاً . ولا يظن ذلك الا من بلغ به الجهل بمرتبة الشريعة الغراء وأحكامها الحققة النقية البيضاء اى أسفل سافلين * واما فردظن ذلك أو تخالج الشك في صدره في حكم من أحكامها فيعرض ذلك على أهل العلم بالكتاب والسنة حقيقة دون أهل الفلسفة وفضول العلوم حتى تتبين له حقيقة الحلال . وتنقش عن سماء قلبه سحائب الاوهام والضلال *

قل الحافظ ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة مانعه: وتأمل حكمته تبارك وتعالى في ارسال الرسل في الامم واحدا بعد واحد كلما ملت واحد خلفه آخر لحاجتها الى اتباع الرسل والانبياء لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة الى سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه أرسله الى أكل الامم عقولا ومعارف وأصحاء أذهانا وأغزرها علوماً وبعثه بأكل شريعة ظهرت في الارض منذ قامت الدنيا الى حين مبعثه فأغنى الله الامة بكامل رسولها وكامل شريعته وكامل عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتي بعده أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته ووكلمهم بها حتى يؤدوها الى نظرائهم ويوزعوها في قلوب أشباههم فلم يحتاجوا معه الى رسول آخر ولا نبي ولا محدث

« أى ملهم » ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « انه قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر » فجزم بوجود المحدثين في الامم وعلق وجودهم في أمة بحرف الشرط وليس هذا بنقصان في الامة عن قبلهم بل هذا من كمال أمته على من قبلها فاتها لكمالها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج الى محدث بل ان وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لأنها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو الهام أو تحديث : وأما من قبلها فللحاجة الى ذلك جعل فيهم المحدثون اه *

واذا ثبت أن الله تعالى قد أغنانا أهل الايمان والقرآن . بكتابه وسنة نبيه عن جميع الشرائع وقوانين أهل الافك والبهتان . فما وافقها فهو العدل كما قال تعالى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) قال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) فأمره ان يحكم بينهم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ولذلك قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) . وما خالفها فهو عين الظلم والبغي والعدوان وإن ظن انه عدل ومصلحة قال الله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) * والله در البوصيرى حيث قال في آيات القرآن *

١ - المائة ٤٢

٢ - المائة ٤٨

٣ - الحديد ٢٥

٤ - البقرة ٢٢٩

٥ - الطلاق ١

٦ - المائة ٤٥

وكالاصراط وكالميزان . عدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يتم

نم الشرع الذي أنزل الله ويجب على حكام المسلمين العمل به كما انه عدل كله رحمة كله ومصلحة كله وحكمة كله فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشرع وان أدخلت فيه بشبهة * فليس في الشرع ظلم أو قسوة أو عبث أصلا بل

حكم الله أحسن الأحكام كما قال تعالى (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)
فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل وكل من حكم بغيره فقد ظلم :
ومن لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله واستحل أن يحكم بين
الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه لا عبرة بما يراه
عدلاً من غير أن يكون موافقاً لما أنزل الله إذ مامن أمة إلا وهي تأمر بالحكم
بالعدل لكن قد يكون العدل في دينها ماراًه أكبرهم بل كثير من المنسبين إلى
الاسلام يحكمون بعاداتهم الجارية بينهم التي لم ينزلها الله كسوالف الباديقو كاوامر
المطاعين فيهم ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا
هو الكفر . فهو لا إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل
استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفاروا لا كانوا جها لاضلالا يعطون *
والحاصل أن الحكم بالعدل واجب مطلقاً في كل زمان ومكان على كل
أحد ولكل أحد : والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو أكل
أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل
من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ومن اعتقد أن يحكم بين الناس
بقول أي أحد كان ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر وظالم لنفسه
وبغيره من المحكوم له وعليه والله حسن الختام *

وجملة القول أما معشر أهل الإيمان والقرآن لا يجوز لنا أن تتبع قانوناً سوى قانون
ربنا تبارك وتعالى ولا نرضاه ولا تقبله بل هو رد على ما جاء به بحكم الله ورسوله *
هذا ما واجب علينا كتابته شرعاً بحكم وجوب أداء الأمانة التي ائتمنا الله عليها
معشر أهل العلم وما علينا إلا البلاغ . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعنا وما توفيقى
إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب * وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
آمين والحمد لله رب العالمين *

رسالة

في اثبات الاستواء والفوقية

- ومسألة -

الحرف والصوت في القرآن المجيد

وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية

للشيخ العالم العلامة أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني

والد امام الحرمين توفي سنة ٤٣٨ هـ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

الحمد لله الذي كان . ولا مكن . ولا انس . ولا جان . ولا طائر . ولا
حيوان . المنفرد بوحدايته في قدم ازليته والقيام في فردانيته في قدس صمدانيته .

(١) اقول ترجمه العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته وأختصر منها ما بهم القراء فأقول
هو الشيخ ابو محمد الجويني والد امام الحرمين أوجد زمانه علماً وزهداً وتقشفاً زائداً ونحرياً
في العبادات كان يلقب بركن الاسلام له المعرفة التامة بالفقه والاصول والنحو والتفسير والادب
وكان لفرط الديانة لا يجري بين يديه الاجل والكلال اما في علم أو زهد ونحري على التحصيل :
قال الامام القشيري كان المتأخرون في عصره والمحققون من أصحابنا يعتقدون فيه من الكمال
والفضل والحاصل الحميدة انه لو جاز ان يميت الله نبياً في عصره لما كان الا هو من حسن طريقته
وزهده وكال فضله : وقال شيخ الاسلام الصايوني في حقه لو كان الجويني من بني اسرائيل
تقلل اليه شمله ولا فتخروا به : وقد شرع في كتاب سماه المحيط عزم فيه على عدم التقييد للذهب
وان يقف على مورد الاحاديث لا يتعداها وتجنب جانبا الصيغة للمذاهب : وقد صنف تفسيراً كبيراً
يشتمل على عشرة أنوع من العلوم في كل آية : وهذه النسخة وجدت في رواق الشام بدون تاريخ نسخها

ليس له سمي ولا وزير. ولا شبه ولا نظير. المتفرد بالخلق والتصوير. المتصرف بالمشيئة والتقدير. (ليس كمثل شئ. وهو السميع البصير) له الرفعة والعلاء. والحمد والثناء والعلو والاستواء. لا تحصره الاجسام. ولا تصوره الاوهام ولا تنقله الحوادث ولا الاجرام ولا تحيط به العقول ولا الافهام. له الاسماء الحسنى والشرف الائم الاسنى والقبول الذى لا يبيد ولا يفتى. نصفه بما وصف به نفسه من الصفات التى توجب عظمتة وقده. مما أنزله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه. ونؤمن بأنه الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير العظيم القدير الرحمن الرحيم الملك القدوس العظيم لطيف خبير قريب مجيب متكلم شاء مريد فعال لما يريد يقبض ويبدط ويرضى ويغضب ويحب ويغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والامتان لم يزل كذلك ولا يزال. استوى على عرشه فبان من خلقه لا يحفى عليه منهم خافية. علمهم محيط وبصرهم نافذ وهو في ذاته وصفاته لا يشبه شئ. من مخلوقاته ولا يمثل بشئ. من جوارح مبتدعاته. هي صفات لا تنفك بجلاله وعظمتة لا تتخيل كيفيتها الغزون ولا تراها في الدنيا العيون بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها وننفي عنها تأويل المتأولين وتعطيل الجاحدين وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته الى الله ليست له هذه الصفات فلما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك بآله فكفرانه لا يغفرانه. ونشهدان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله اصطفاه لرسالته واختاره لبريته وأنزل عليه كتابه للمبين القدى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد

وبعد فهذه نصيحة كتبها الى اخواني في الله أهل الصدق والصفاء والاخلاص الوفاء لمتبعين على من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل

فان المرء لا يكلل ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وعن نعيم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والدين النصيحة ثلاثا قال لمن قال لله ولكتابه ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم أعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده ووقفهم لطاعته ومزيده اتى كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيراً في الاقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو امرارها والوقوف فيها أو اثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبهة بمحاث هذه الصفات وكذلك في اثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزل الامر ويؤول اليدين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك ثم أجد مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم

ومن ذهب الى هذه الاقوال وبعضها قوم لهم في صدرى منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لاني على مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوعي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم اتى مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حرازات لا يطمئن قلبي اليها واجد الكبر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها فكنت كالتحير المضطرب في تحير ملتمس من قلبه في قلبه وتغيره

وكنت أخاف من اطلاق القول بآيات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها وأعلم بالاضطرار انه صلى الله عليه وسلم كان يحضر في مجلسه الشريف والعالم الجاهل والذكي والبليد والاعرابي والجاهلي ثم لا جد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لانصافاً ولا ظاهراً مما يعصرها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الامر للنزول وغير ذلك ولم اجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدى وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات معاني اخرباطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المربية (١) ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول (الرحمن على العرش استوى) (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أأنتم أن يرسل عليكم حصاباً) (قل نزله روح القدس من ربك) (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذباً) وهذا يدل على ان موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال وانى لأظنه كاذباً وقوله تعالى (ذي اللجارج تفرج للملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) الآية : ثم اجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخصه بقربه عرج به من سماء الى سماء حتى كان قلب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية « أين الله فقالت في السماء » فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلاً (٢) يتوهوا ان الامر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقل اعتقها فلها مؤمنة : وفي حديث جبير بن مطعم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله فوق عرشه فوق سمواته وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي صلى الله عليه

١ - طه ٥

٢ - الحديد ٤

٣ - النحل ٥٠

٤ - فلتر ١٠

٥ - الملك ١٦-١٧

٦ - النحل ١٠٢

٧ - غافر ٣٦-٣٧

٨ - اللجارج ٤٢

(١) لله القبرية (٢) علة لتقريبه

وسلم يده مثل القبة « وقوله صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن لرحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وعن معاوية بن الحكم السلى قلت يا رسول الله « أفلا أعتقها قال ادعها فدعوتها قال فقال لها ابن الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » (١) رواه مسلم ومالك في موطنه . وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخه لفيلق ربنا الله الذي في السماء قدس اسمك أمر لك في السماء والأرض كبار حمتك في السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيراً » أخرجه أبو داود : وعن أبي سعيد الخدري قال بعث على من اليمن بذهبية في اديم مقروظ (٢) لم تحصل من ترابها قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة زيد الخير والاقرع بن حابس . وعينة ابن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض اصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تأمنوني وانا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحا ومساء » أخرجه البخاري ومسلم وعن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان لليت تحضره للملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى

(١) ونظت الحديث هكذا « كانت لي غم بين احد والجوانية فيها جارية لي فأطعمتها ذات يوم فلما الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا رجل من بني آدم فأست فككتها فأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له فمظم ذلك علي فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال ادعها فدعوتها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اعتقها فانها مؤمنة » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي

(٢) قوله « بذهبية » تصغير ذهبية وفي رواية مسلم بذهبة بنير تصغير : وقوله مقروظ أي مدبوخ بالمقروظ : وقوله لم تحصل أي لم تخلص من تراب المدن فكانتها كانت تيراً وتخلصها باليسك .

تخرج ثم يمرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقولون
مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخل حبيدة وابشرى بروح وريحان
ورب غير غضبان فلا يزال يقال ذلك حتى تنتهي الى السماء التي فيها الله عز وجل
الحديث (١) :- وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي
نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كلن التي في السماء
ساخطة عليها حتى يرضى عنها» أخرجه البخاري ومسلم: ابو داود حدثنا محمد بن
الصباح حدثنا الوليد بن ابي نور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف
ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصاة فيهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه
قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون
ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندرى قال ان بعد ما بينهما إما واحدة وإما
اثنان أو ثلاثة وسبعون سنة ثم السماء فوق ذلك حتى عدة سبع سموات ثم
فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك
ثمانية أوعال بين اخطافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش
أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك (٢) قال الامام
الحافظ عبد الغنى في عقيدته لما ذكر حديث الاوعال قال رواه ابو داود
والترمذي وابن ماجه وقال حديث الروح رواه احمد والدارقطني: وعن ابي هريرة
قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب كتاباً قبل أن
يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش» أخرجه البخاري
ومسلم: محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في
قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت حكماً حكم الله به من فوق

(١) رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط
البخاري ومسلم: (٢) الحديث حسنه الترمذي وهو ضعيف واهل محبة لعبد الله بن عميرة

سبع أرقعة (١) « وحديث المراج عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليسة اسرى به وساق الحديث الى ان قال « ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فررت على موسى فقال بيم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك فرجعت الى ربى فوضع عنى عشراً خمس مرات في كلها يقول فرجعت الى موسى ثم رجعت الى ربى « أخرجه البخاري ومسلم: وحديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين بانوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى « متفق عليه : وعن ابن عمر قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فأكب عليه وقبل جبهته وقال بأبى أنت وأمى طبت حياً وميتاً وقل من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » (٢)

حسبنا وتسفلنا هو فوقنا فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به لا كما تنوهم في الفوقية المنسوبة الى الاجسام لكننا نعلمها من جهة الاجال والاثبات لا من جهة التمثيل والتكييف والله للوقوف للصواب ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وأنه ليس له الاجها العلوالسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفل الا للركز وهو الوسط

(١) قال الحافظ الذهبي في كتابه الطوبى ما اورد هذا الحديث هذا مرسل

(٢) هنا سقط في الاصل لم نهند اليه من نسخ أخرى فن عثر على نسخة

اخرى فيها النقص فليسته وله الفضل :

فصل

اذا علمنا ذلك واعتقدناه نخلصنا من شبه التأويل وعمادة التعطيل وحقاقة التشبيه والتثيل واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بمجلاه وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تشرح له فان التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جل وعي مع كون ان الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقونا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها الا لثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك وكذلك التشبيه والتثيل حقاقة وجهالة فمن وقفه الله تعالى للاثبات بلا تحريف ولا تكيف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى

فصل

والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الامر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علي باهم ما فهموا في صفات الرب تعالى الا ما يليق بالخلق فافهموا عن الله استواء يليق به ولا نزولا يليق به ولا يدين تليق بمظلمته ولا تكيف ولا تشبيه فذلك حرفو الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك ان شاء الله تعالى

لاريب انا نحن واياهم متفقون على اثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقسرة والارادة والكلام لله ونحن قطعاً لانقل من الحياة الا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لانقل من السمع والبصر الا أعراضا تقوم بمجوارحنا فكما انهم يقولون حياته ليست بعرض وعله كذلك وبصره

كذلك هي صفات كما يليق به لا كما يليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة وليست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس جميع ذلك اعراضا بل هو كما يليق به

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله ففوقيته معلومة اعنى ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فانهما معلومان ولايكيفان كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالخلق بل كما يليق بعظمته وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكيف والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه أعمى من وجه مبصراً من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكيف والتحديد وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين ففي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه به ونؤمن بحقائقها ونفني عنها التشبيه ولانعطلها بالتحريف والتأويل ولافرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر الكل ورد في النص

فان قالوا لنا في الاستواء شبههم نقول لهم في السمع شبههم ووصفهم ربكم بالعرض فان قالوا لا عرض بل كما يليق به قلنا في الاستواء والفوقية لا حصر بل كما يليق به فجميع ما يلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لا يجعلونها هم اعراضا كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق وليس من الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا الى التأويل والتحريف

فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الاعراض فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية نلزمهم به في هذه الصفات من العرضية وما يبرزها ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها الى

التشبيه سواء بسواء ومن انصف عرف ماقلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان الله
بإثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل
والوقوف وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لأن هذه الصفات وتلك جاءت في
موضع واحد وهو الكتاب والسنة فاذا اثبتنا تلك بلا تأويل وحرطنا هذه
وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاع وكفاية ان
شاء الله تعالى

فصل

واذا ظهر هذا وبأن انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهي مسألة الصفات من
النزول واليد والوجه وأمثالها ومسئلة العلو والاستواء ومسئلة الحرف والصوت :
أما مسألة العلو فقد قيل فيها مافتح الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق
مسألة العلو ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما
يليق بجلاله وعظمته فتزل كما يليق بجلاله وبعظمته ويدها كما يليق بجلاله وعظمته
ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف نكر الوجه الكريم ونحرف وقد
قال صلى الله عليه وسلم في دعائه « أسألك لذة النظر الى وجهك » وإذا ثبتت صفة
الوجه بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص فكذلك صفة اليدين
والضحك والتعجب ولا يفهم من جميع ذلك الا ما يليق بالله عز وجل وبعظمته
لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وإذا ثبت هذا الحكم في الوجه فكذلك في اليدين والقبضتين والتقدم
والضحك والتعجب كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيحصل بذلك
اثبات ما وصف الله تعالى نفسه به في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
ويحصل أيضاً نفى التشبيه والتكييف في صفاته ويحصل أيضاً ترك التأويل
والتحريف المؤدى الى التعطيل ويحصل أيضاً بذلك عدم الوقوف بإثبات الصفات

وحقائقها على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته لا على ما نعتقه نحن من صفات المخلوقين
وأما مسألة الحرف والصوت فنساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم
بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق) والقرآن
المجيد (وكذلك جاء في الحديث « فينادى يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما
يسمعه من قرب » وفي الحديث « لا أقول الم حرف ولكن الف حرف لا م حرف
ميم حرف » فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى الا ما فهموه من كلام المخلوقين فقالوا
ان قلنا بالحروف فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح والهبوات (١) وكذلك اذا
قلنا بالصوت أدى ذلك الى الخلق والخنجرة عملوا في هذا من التخطي كما عملوا
فيما تقدم من الصفات

والتحقيق هو ان الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه
قادر والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به
يسمع ولا يفتر ذلك الصوت المقدس الى الخلق والخنجرة كلام الله تعالى كما
يليق به وصوته كما يليق به ولا تنفى الحرف والصوت عن كلامه سبحانه
لافتقارهما منا الى الجوارح والهبوات فانهما من جناب الحق تعالى لا يفترقان
الى ذلك وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف
بقوله هنا عبارة عن ذلك

فلن قيل فهذا الذي يقرأه القارىء هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه
هو « قلنا لا بل القارىء يؤدي كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله
مبتدئاً لا الى من قاله مؤدياً مبلغاً ولفظ القارىء في غير القرآن مخلوق وفي القرآن
لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ولهذا منع السلف عن قول
لفظي بالقرآن مخلوق لانه لا يتميز كلمنوعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق فان لفظ
العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى
القول بمخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه والله الموفق
اللهوات جمع لهاته وهي اللمعة المترفة على الخلق في أقصى القم : ويجمع ايضا على الهى ولهات :

فصل

العبد اذا ايقن ان الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية
وانه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه
ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سمواته على عرشه فإنه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهه
معبوده لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف
من عرف ان إلهه الذي يعبد فوق الاشياء فاذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه
الى جهة العرش منزها ربه تعالى عن المحصر مفرداً له كما افرد في قدمه وأزليت
عالمًا ان هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ولا يمكننا الاشارة الى ربنا في قدمه
وأزليت الالهة لاننا محدثون والمحدث لا بد له في اشارته الى جهة فتقع تلك الاشارة
الى ربه كما يليق بعظمته لا كما يتوهمه هو من نفسه ويعتقد انه في علوه قريب من
خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته ومشيتته وذاته فوق الاشياء
فوق العرش ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار
وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه
فانشرح لذلك صدره وقوى ايمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من المحصر والحلول
وذاق حينذاك شيئاً من اذواق السابقين للقرين بخلاف من لا يعرف وجهه
معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فانها قالت في السماء عرفته بأنه
على السماء فان في تأتي بمعنى على كقوله تعالى (يتبينون في الارض) أي على
الارض : وقوله (لا صلبنكم في جنوع النخل) أي على جنوع النخل فن تكون
الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهه معبوده فإنه لا يزال مظلم القلب
لا يستنير بأنوار المعرفة والايمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به وليجرب ولينظر
الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجه اعمى من وجهه كما سبق مبصراً من
جهة الاثبات والوجود والتحقيق اعمى من جهة التحديد والمحصر والتكييف فإنه اذا
عمل ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ووجد نوره وبركته عاجلاً وآجلاً
(ولا ينبؤك مثل خبير) والله سبحانه الموفق والمعين

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الافهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه: لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح لانه يبرهان لا يكابر الحس فيه بأن الارض في جوف العالم العلوى وأن كرة الارض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة والسماء محيطة بها من جميع جوانبها وان سفلى العالم هو جوف كرة الارض وهو المركز ونحن نقول جوف الارض السابعة وهم لا يذكرون السابعة لان الله تعالى أخبرنا عن ذلك وهم لا يعرفون ذلك وهذه القاعدة عندهم هى ضرورة لا يكابر الحس فيها ان المركز هو جوف كرة الارض وهو منتهى السفلى والتحت وما دونه لا يسمى تحتاً بل لا يكون تحتاً ويكون فوقاً بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفلى العالم الى تلك الجهة لكان الخرق الى جهة فوق ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الاخرى لصعد الى جهة فوق

وبرهان ذلك انا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الارض من جهة المشرق الى جهة المغرب وامتد مسافر المشي على الكرة الى حيث ابتدأ بالصير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو في سفره هذا لم تبرح الارض تحتها والسماء فوقه فالسماء التى يشهدا الحس تحت الارض هى فوق الارض لا تحتها لان السماء فوق الارض بالذات فكيف كانت السماء كانت فوق الارض من أى جهة فرضتها ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الارض النصف الاعلا منها ثقله على المركز والنصف الاسفل منها ثقله على النصف الاعلا أيضاً الى جهة المركز والنصف الاسفل هو أيضاً فوق النصف الاعلا كما أن النصف الاعلا فوق النصف الاسفل ولفظ الاسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل للناظر وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الارض إلا سدسها والعمران على ذلك السدس والماء فوق الارض كيف كان وان كنا نرى الارض مدحبة على الماء فان الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهى فوقها واذا كان الامر كذلك فالسماء التى تحت النصف الاسفل

من كرة الارض هي فوقه لا تحته لان السماء على الارض كيف كانت فعلوها على الارض بالذات فقط لا تكون تحت الارض بوجه من الوجوه واذا كان هذا جسم وهو السماء علوها على الارض بالذات فكيف من ليس مثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلا) وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (وهو القاهر فوق عباده) لان فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفته اللاتفة به كما أن السفل والرسوب والانحطاط ذاتي الالكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفل حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه على بالذات وهو كما كان قبل خلق الكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدير الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الامر اليه فيجي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويمز هذا وينزل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله عبداً وصلت اليه هذه الرسالة ولم يماجلها بالانكار واقتقر الى ربه في كشف الحق آناه الليل والنهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب تعالى بها والتوجه اليه منها واثباتها له بمحققاتها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تمطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا جهود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن تدبر وكفاية لمن استبصر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم والله سبحانه أعلم

(تمت الرسالة)

رسالة
نور اللمعة
في خصائص الجمعة
تأليف

العلامة المحدث الشيخ جلال الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خص هذه الامة المحمدية بما ادخلها من الفضائل السنية والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية (وبعد) فقد ذكر الاستاذ شمس الدين ابن القيم في كتاب الهدى ليوم الجمعة خصوصيات بعضها وعشرين خصوصية وقانه اضعاف ما ذكر : وقد رأيت استيعابها في هذه الكراسة منبهاً على أدلتها على سبيل الاجاز وتبعتها فتحصلت منها على مائة خصوصية والله الموفق *

﴿ الخصوصية الأولى انه عيد هذه الأمة ﴾

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الى الجمعة فليغتسل وان كان عنده طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جمعة من الجمع « معاشر المسلمين ان هذا يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك »

﴿ الخصوصية الثانية انه يكره صومه منفرداً ﴾

لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصوم من أحدكم يوم الجمعة إلا ان يصوم قبله أو بعده» وأخرج جابر قال «نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة» وأخرج البخاري عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال اصمت أمس قالت لا قال آرين ان تصومي غداً قالت لا قال فافطري» وأخرج الحاكم عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الأزد يوم الجمعة فدعانا الى طعام بين يديه فقلنا إنا صيام قال اصمت أمس قلنا لا قال اتصومون غداً قلنا لا قال فافطروا لاتصوموا يوم الجمعة منفرداً» وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام إلا ان يكون في صوم يصومه أحدكم» قال النووي الصحيح من مذهبنا وبه قطع الجمهور كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً: وفي وجه انه لا يكره إلا لمن لو صامه منعه من العبادة وأضعفه لحديث احمد الترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قلما كان يفطر يوم الجمعة» وأجاب الاول عنه بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الخميس فوصل الجمعة به واختلف في الحكمة التي كره صومه لاجلها والصحيح كما قال النووي انه كره لانه يوم شرع فيه عبادات كثيرة من الذكر والسماء والقراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاستحب فطره ليكون اعون على أداء هذه الوظائف بنشاط من غير ملل ولا سآ متوهو نظير الحاج بعرقات فان الاولى له الفطر لهذه الحكمة: قال فان قيل لو كان كذلك لم تزل الكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى المذكور فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر به ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه: وقيل الحكمة خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتن به كما افتن قوم بالسبت. قال وهذا باطل منتقض بصلاة الجمعة وسائر ما شرع فيه من أنواع الشعائر والتعظيم مما ليس في غيره: وقيل الحكمة خوف

اعتقاد وجوبه قيل وهذا منتقض بغيره من الايام التي ندب صومها. وهذا ما ذكره
 النووي وجكي غيره قولاً آخر ان علته كونه عيداً والعيد لا يصام واختاره ابن حجر
 وأيده بحديث الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً «يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم
 يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده» وروى ابن أبي شيبة عن علي قال «من كان
 منكم متطوعاً من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصوم يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب
 وذكر» وقال آخرون بل الحكمة مخالفة اليهود فإنهم يصومون يوم عيدهم أي
 يفردونه بالصوم فنهي عن التشبه بهم كما خولفوا في يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو
 بعده وهذا القول هو المختار عندى لأنه لا ينتقض بشئ.

﴿الخصوصية الثالثة انه يكره تخصيص ليلته بالقيام﴾

للحديث السابق لكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك من طريق اسمعيل بن
 أبي أويس عن زوجته بنت مالك بن انس ان أباها مالكا كان يحكي ليلة الجمعة
 ﴿الخصوصية الرابعة قراءة الم تنزيل وهل أتى على الانسان في صباحها﴾
 أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة
 الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان في الباب عن ابن
 عباس وابن مسعود وعلي وغيرهم ولفظ ابن مسعود عند الطبراني يديم ذلك قيل
 والحكمة في قراءتها الاشارة الى ما فيها من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة
 لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية وقال غيره بل قصد السجود
 الزائد (١) وأخرج ابن أبي شيبة عن ابراهيم النخعي انه قال يستحب ان يقرأ في

(١) قال ابن القيم في الهدي ويظن كثير من لاعلم عنده ان المراد تخصيص هذه
 الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة واذا لم يقرأ احدهم هذه السورة استحب قراءة
 سورة اخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الاثمة للدوام على قراءة هذه السورة في فجر
 يوم الجمعة دفناً لتوهم الجاهلين: وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انما كان النبي صلى الله عليه وسلم
 وآله وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لانهما تضمنتا ما كان في يومها قلتما اشتملتا على خلق
 آدم وعلى ذكر المبدأ وحشر المباد وذلك يكون يوم الجمعة وكان في هذا اليوم تذكير للامة بما كان
 فيه ويكون والسجدة جاءت تيمناً ليست مقصودة حتى يقصد للمصلي قراحتها حيث اتفقت:

صبح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة» وأخرج أيضاً عنه انه قرأ سورة مريم» وأخرج ابن عون قال كانوا يقرؤون في الصبح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة»
 ﴿الخصوصية الخامسة ان صلاة صبحها أفضل الصلوات عند الله﴾

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عمر انه فقد جهان في صلاة الصبح فلما جاء قال ما شغلك عن هذه الصلاة أما علمت ان أوجه الصلاة عند الله غداة الجمعة من يوم الجمعة في جماعة المسلمين» وأخرجه البيهقي في الشعب مصر حكاه رفعه بلفظ «ان أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة» وأخرج البزار والطبراني عن أبي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما احسب من شهدا منكم الا مغفوراً له
 ﴿الخصوصية السادسة صلاة الجمعة﴾

واختصاصها بركعتين وهي في سائر الايام اربع

﴿الخصوصية السابعة انها تعدل حجة﴾

أخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال والحارث بن أبي أسامة في مستندة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج للمساكين»» وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال «الجمعة أحب الي من حجة تطوع»»
 ﴿الخصوصية الثامنة الجهر فيها: وصلوات النهار سرية﴾

﴿الخصوصية التاسعة قراءة الجمعة والمناقض فيها﴾

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة واذا جاءك المناقون» وأخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ «بالجمعة يحرض بها المؤمنين» وفي الثانية «بسورة المناقذين يفرع بها المناقذين»
 ﴿الخصوصية العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة﴾

اختصاصها بالجماعة وبأربعين وبمكان واحد من البلد وبأذن السلطان ندباً واشترطاً لما هو مقرر في كتب الفقه :

وأقوى ما رأيته للاختصاص بأربعين ما أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال «مضت السنة أن في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة»^(١) «الخصوصية الرابعة عشرة اختصاصها بإرادة تحريق من تخلف عنها»
أخرج الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على قوم يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»
«الخصوصية الخامسة عشرة الطبع على قلب من تركها»

أخرج مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لنيتين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»
وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي الجعد الضمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» وأخرج الحاكم وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طبع الله على قلبه» وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال «من ترك ثلاث جمع من غير غلة طبع الله على قلبه وهو منافق» وأخرج عن ابن عمر «قال من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق» وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجمعة من غير عذر لم يكن لها كفارة دون يوم القيامة» وأخرج عن سمرة «قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا الجمعة وادنوا من الامام فان الرجل يتخلف عن الجمعة فيتخلف عن الجنة وانه لمن أهلها»

(١) أقول أخرجه أيضاً البيهقي وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن قال الامام احمد اضرب على حديثه قلها كذب او موضوعة : وقال النسائي ليس بثقة وقال الدارقطني منكر الحديث : وقال ابن حبان لا يجوز ان يثبت به : وقال البيهقي هذا الحديث لا يثبت بمثله : واما ما ذكره من المسكان الواحد وأذن السلطان ندباً أو أشد اما طام يقيم عليه دليل من كتاب ولا سنة وانما هو اجتهاد الفقهاء في ذلك وليس هنا محل بسطه :

(الخصوصية السادسة عشرة مشروعية الكفارة لمن تركها)

أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن ماجه عن سيرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الجمعة من غير عذر فليصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار » وأخرج أبو داود عن قدامة بن وبرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته الجمعة من غير عذر فليصدق بدرهم أو نصف درهم أو صاع حنطة أو نصف صاع »

(الخصوصية السابعة عشرة الخطبة) (الخصوصية الثامنة عشرة الانصتات)

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت » وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته ان كان لها ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يبلغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينهما ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » وأخرج ابن ماجه وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة سورة برآة وهو قائم يذكر بأيام الله وأبو الفراء وأبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة اني لم أسمعها الا الآن فأشار اليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال أبي ليس من صلاتك اليوم الا ما لغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وأخبره بالذي قال أني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبي » وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال « لا تفل سبجان الله والامام يخطب يوم الجمعة » وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة»

﴿الخصوصية التاسعة عشرة تحريم الصلاة عند جلوس الامام على المنبر﴾

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * وأخرج عن ثعلبة بن ابي مالك قال كنا على عهد عمر بن الخطاب يوم الجمعة نصلي فاذا خرج عمر تحدثنا فاذا تكلم سكتنا * قال النووي في شرح المهذب فاذا جلس الامام على المنبر حرم ابتداء صلاة النافلة وان كان في صلاة خففها بالاجماع نقله الماوردي وغيره * قال بغوي سواء كان صلى السنة أم لا * قال النووي ويمتنع بمجرد جلوس الامام على المنبر ولا يتوقف على الاذان نص عليه الشافعي والاصحاب

﴿قائدة﴾ قال سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأني أبو معشر عن محمد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر سليكا أن يصلي ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ منها

﴿الخصوصية العشرون * النهي عن الاحتباء وقت الخطبة﴾

روى أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن معاذ ابن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب * وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر * وقال أبو داود كان ابن عمر يجتنب والامام يخطب وكذلك أنس وجل الصحابة والتابعين قالوا لا بأس بها ولم ييلفنى أن أحداً كرهه الا عبادة بن نسي * وقال الترمذي كره قوم الحبوة وقت الخطبة ورخص فيها آخرون وقال النووي في شرح المهذب لا تكره عند الشافعي ومالك واحمد والاوزاعي وأصحاب الرأي وغيرهم وكرهها بعض أهل الحديث للحديث المذكور وقال الخطابي والمغني أنها تجلب النوم فيعرض طهارته لنقض وتمنع من استماع الخطبة

﴿ الخصوصية الحادية والعشرون ﴾ بقي كراهة النافلة وقت الاستواء ﴿
أخرج أبو داود عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة
نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة
﴿ الخصوصية الثانية والعشرون ﴾ لا تسجر جهنم في يومها ﴿ للحديث المذكور
﴿ الخصوصية الثالثة والعشرون استحباب الفضل لها ﴾

روى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جاء
منكم الجمعة فليغتسل» وأخرجنا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» وأخرج الحاكم عن أبي قتادة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة
الى الجمعة الأخرى» وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه
وخطاياها فاذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف
من الصلاة أجيز بعمل مائتي سنة» وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الفضل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول
الشعر استللا»

﴿ الخصوصية الرابعة والعشرون ان للجماع فيه أجرين ﴾

أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «أبجز أحدكم ان يجامع أهله في كل جمعة فان له أجرين اثنين أجر غسله
وأجر غسل امرأته» وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مكحول انه سئل عن
الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران .

﴿ الخصوصية الخامسة والعشرون الى التاسعة والعشرين ﴾

(استحباب السواك والطيب والهن وازالة الظفر والشعر)

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال اشهد على رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان يستن وان يمس طيباً ان وجد * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن رجل من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ويمس من طيب ان كان » وأخرج البخاري عن سلمان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويتنهن من دهنه ويمس من طيب بينته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب لهم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له ما بيننا وبين الجمعة الاخرى » وأخرج الحاكم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة « أيها الناس اذا كن هذا اليوم فاغتسلوا ولبس أحدكم أطيب ما يجد من طيبه أو دهنه » وأخرج البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يخرج الى الصلاة » وأخرج في الاوسط عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلم أظفاره يوم الجمعة وقى من سوء الى مثله » وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن راشد ابن سعد قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من اغتسل يوم الجمعة واستاك وقلم أظفاره فقد اوجبوا وأخرج عن مكحول قال من قص أظفاره وشاربه يوم الجمعة لم يمت من الماء الاصفرة وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن حميد بن عبد الرحمن الحميدي قال كان يقال من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء

(الخصوصية الثلاثون استحباب لبس أحسن الثياب)

أخرج احمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يتخط رقاب الناس ثم ركب ما شاء الله ان يركب وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة لما بيننا وبين الجمعة التي قبلها » وأخرج احمد عن أبي أيوب الانصاري وأبي الفراء والحاكم نحوه عن

أبي ذر * وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال « كان لنبى صلى الله عليه وسلم برد يلبسه في العيدين والجمعة » وأخرج أبو داود عن ابن سلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما على أحدكم ان وجد ان يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » وأخرج ابن ماجه مثله من حديث عائشة والبيهقي في الشعب مثله من حديث أنس * وأخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما في جمعة فاذا انصرف طويتهما الى مثله » وأخرج في الكبير عن أبي الررداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العائم يوم الجمعة »

﴿ الخصوصية الحادية والثلاثون تبخير المسجد ﴾

أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة من مرسل حسن بن علي بن حسين ابن حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باجمار المسجد يوم الجمعة وأخرج ابن ماجه من مرسل مكحول عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراكم وبيعكم ورفع أصواتكم وسلاحكم وجروها في كل جمعة » وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن ابن عمر أن عمر كان يحجر المسجد في كل جمعة

﴿ الخصوصية الثانية والثلاثون التبكير ﴾

روى الشيخان عن أنس قال كنا نبكر بالجمعة وتقبل بعد الجمعة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من

أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الامام طواوا الصحف وجاموا يستمعون الذكر * وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود انه أتى الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة بعيد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم الى الجمعات الاول والثاني والثالث » قال البيهقي قوله من الله أى من عرشه وكرامته * وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال باكروا في الغداة بالدنيا الى الجمعات فان الله يبرز لاهل الجنة يوم الجمعة على كتيب من كافور أبيض فيكون الناس عنده في الدنيا كغدوم في الدنيا الى الجمعة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن القاسم بن مخمرة قال اذا راح الرجل الى المسجد كانت خطاه بخطوة درجة وبخطوة كفارة وكتب له بكل انسان جاء بعد قيراط قيراط

(الخصوصية الثالثة والثلاثون) الايستحب الابراد بها في شدة الحر
بمخلاف سائر الايام

أخرج البخارى عن أنس « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الحر ابرد بالصلاة بغير الجمعة »

(الخصوصية الرابعة والثلاثون تأخير الغداء والقبلولة عنها)

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة وأخرج البخارى عنه قال كنا نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم تكون القائلة * وأخرج سعيد بن منصور عن محمد بن سيرين قال كان يكره النوم قبل الجمعة ويقال فيه قولاً شديداً أو كانوا يقولون مثله مثل سرية اخفقوا وتدرى ما اخفقوا لم يصيبوا شيئاً

(الخصوصية الخامسة والثلاثون)

تضعيف أجر الذهاب إليها بكل خطوة أجر سنة

أخرج أحمد والأربعة والحاكم عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» وأخرج أحمد بسند صحيح نحوه عن ابن عمر وأخرج أحمد ابن زنجويه في فضائل الأعمال عن يحيى بن يحيى النساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مشيك إلى المسجد وانصرافك إلى أهلك في الأجر سواء» وأخرج سعيد ابن منصور نحوه من مرسل الزهري ومكحول والطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق في حديث «وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة» وسنده ضعيف

(الخصوصية السادسة والثلاثون)

لها أذانان وليس ذلك لصلاة غيرها إلا الصبح

أخرج البخاري عن السائب عن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء فثبت الأمر على ذلك (الخصوصية السابعة والثلاثون الاشتغال بالعبادة حتى يخرج الخطيب) تقدم فيه أثر ثعلبة بن مالك

(الخصوصية الثامنة والثلاثون قراءة الكف)

أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ سورة الكف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» وأخرجه سعيد بن منصور موقوفاً بلفظ «أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق»

وأخرج عن خالد بن معدان قال من قرأ سورة الكهف قبل ان يخرج الامام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة وبلغ نورها البيت العتيق * وأخرج مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين» وأخرج الضياء في المختارة عن علي قال قال رسول الله عليه وسلم «من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية أيام وان خرج الدجال عصم منه»

﴿الخصوصية التاسعة والثلاثون قراءة الكهف ليلتها﴾

أخرج الدارمي في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق»

﴿الخصوصية الاربعون قراءة الاخلاص والمودتين والفاطمه بعدها﴾
أخرج أبو عبيد وابن الضريس في فضائل القرآن عن أسماء بنت أبي بكر قالت «من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها قل هو الله أحد والمودتين والحمد سبعاً سبعاً حفظ من مجلسه ذلك الى مثله» وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال «من قرأ فاتحة الكتاب والمودتين وقل هو الله أحد سبع مرات يوم الجمعة قبل ان يتكلم كفر عنه ما بين الجمعتين وكان معصوماً» وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن ابن شهاب قال «من قرأ قل هو الله أحد والمودتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل أن يتكلم سبعاً سبعاً كان مضموناً هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة»

الخصوصية الحادية والاربعون قراءة الكافرين والاخلاص من مغرب ليلتها
أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمتافقين»

«الخصوصية الثانية والاربعون قراءة سورة الجمعة والمناقضين في عشاء ليلتها»

الحديث المذكور

«الخصوصية الثالثة والاربعون منع التحلق قبل الصلاة»

أخرج ابو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة قال البيهقي يكره التحلق في المسجد اذا كانت الجماعة كثيرة والمسجد صغيراً وكان فيه منع المصلين عن الصلاة. (١)

«الخصوصية الرابعة والاربعون تحريم السفر فيه قبل الصلاة»

أخرج ابن ابى شيبه عن حسان بن عطية قال من سافر يوم الجمعة دعى عليه ان لا يصاحب ولا يعان على سفره. وأخرج الخطيب في رواية مالك بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعاً «من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه ان لا يصاحب في سفره ولا تقضى له حاجة» وأخرج الدينوري في المجالسة عن سعيد بن المسيب ان رجلاً أتاه يوم الجمعة يودعه لسفر فقال له لا تعجل حتى تصلى فقال أخاف ان تفوتني أصحابي ثم عجل فكان سعيد يسأل عنه حتى قدم قوم فأخبروه ان رجلاً انكسرت فقال سعيد انى كنت أعلن ان سيبيئ ذلك * وأخرج عن الازاعي قال كان عندنا صياد فكان يخرج في الجمعة لا يمنعه اداء الجمعة من الخروج فحسف به ويغلته فخرج الناس وقد ذهب بغلته في الارض فلم يبق منها إلا اذناها وذنبها * وأخرج ابن ابى شيبه عن مجاهد ان قوماً خرجوا في سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خيامهم ناراً من غير نار برونها

(١) وقال العراقي رحمه الله اصحابنا والجمهور على بابه لانه ربما قطع الصفوف مع كونهم مأمورين يوم الجمعة بالتكبير والتراس في الصفوف الاول فالاول : وقد اختلف الائمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب والله اعلم

« الخصوصية الخامسة والاربعون فيه تكفير الآثام »

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر » وأخرج عن سلمان قال « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قال الله ورسوله اعلم قال هو اليوم الذي جمع الله فيه بين أبويكم لا يتوضأ عبد فيحسن الوضوء ثم يأتي المسجد لجمعة الا كانت كفارة لما بينهما وبين الجمعة الاخرى ، اجتنب الكبائر .

الخصوصية السادسة والاربعون الاما من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها أخرج ابو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة وفي عذاب القبر » • وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد المخزومي قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم له بخاتم الايمان وفي عذاب القبر •

(الخصوصية السابعة والاربعون)

(الامان من فتنة القبر لمن مات يومها او ليلتها فلا يسأل في قبره)

أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وابن أبي الدنيا وغيرهم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » وفي لفظ « إلا يرى . من فتنة القبر » وفي لفظ « إلا وفي الفتان » قال الحكميم الترمذي وحكته انه انكشف الغطاء عما له عند الله لان جهنم لا تسجر في هذا اليوم وتطلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل في سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبداً كن دليلاً لسعادته وحسن ما به وانه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لان سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن

(الخصوصية الثامنة والاربعون رفع العذاب عن أهل البرزخ فيه)

قال الياضي في روض الياحين بلغنا ان الموتى لم يعذبوا ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت قال ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المؤمنين دون الكفار

(الخصوصية التاسعة والاربعون اجتماع الارواح فيه)

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن رجل من آل عاصم الجحدري انه رأى عاصم الجحدري في النوم فقال له أنا في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله اللزني فتتلاقى أخباركم قلت هل تعلمون بزيارتنا قال نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال فضل يوم الجمعة وعظمه

«الخصوصية الخمسون انه سيد الايام»

روى مسلم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» وأخرجه الحاكم بلفظ «سيد الايام يوم الجمعة الى آخره» ولابي داود نحوه رزاد «وفيه تيب عليه وفيه مات وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شققاً من الساعة إلا الجن والانس» * وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي لابة بن عبد المنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشقن من يوم الجمعة»

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مجاهد قال اذا كان يوم الجمعة فزع البر والبحر وما خلق الله من شيء الا الانسان * وأخرج عبد الله بن احمد في فوائده الزهد عن أبي عمران الجوني قال بلغنا انه لم تأت ليلة الجمعة قط الا أحدثت لاهل السماء فزعة

﴿قائدة﴾ في بعض كتب الحنابلة: اختلف أصحابنا مل ليلة الجمعة أفضل أو ليلة القدر فاختار ابن بطه وجماعة ان ليلة الجمعة أفضل وقال به أبو الحسن النخعي فيما عدا الليلة التي أنزل فيها القرآن وأكثر العلماء على ان ليلة القدر أفضل واستدل الاولون بحديث الليلة الغراء والغرة من الشيء خياره وبأنه جاء في فضل يومها ما لم يجيء ليوم ليلة القدر وأجابوا عن قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فان التقدير خير من ألف شهر ليس فيها ليلة الجمعة كما ان تقديرها عند الاكثرين خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وأيضاً فان ليلة الجمعة باقية في الجنة لان في يومها تقع الزيارة الى الله تعالى وهي معلومة في الدنيا بعينها على القطع وليلة القدر مظنون عينها انتهى ملخصاً *

«الخصوصية الحادية والخمسون انه يوم المزيد»

أخرج الشافعي في الام عن أنس بن مالك قال «اني جبريل براءة يضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فان الناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد قال ان ربك انخذه في الفردوس واديا أفيحاً فيه كتب مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله فيه ناساً من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكسب فيقول الله أنار بكم قد صدقكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم

ولكم على ما نغتنم ولدى مزيد » فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير : وله طرق عن أنس وفي بعضها « انهم يمكثون في جلوسهم هذا الى مقدار منصرف الناس من الجمعة ثم يرجعون الى غرفهم » أخرجه الآجري في كتاب الرؤية * وأخرج الآجري في كتاب الرؤية عن أبي هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون فيبرز الله لهم عرشه ويتبدى لهم في رياضة من رياض الجنة وتوضع لهم مناير من نور ومناير من لؤلؤ ومناير من ياقوت ومناير من ذهب ومناير من فضة ويجلس أديانهم وما فيهم أدنى على كتيبان المسك والكافور وما يرون أصحاب الكرامى بأفضل منهم مجلسا الحديث وفيه الرؤية وسماع الكلام وذكر سوق الجنة * وأخرج أيضا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة يزورون ربهم عز وجل في كل يوم الجمعة في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً » وعن أبي هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما قالا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة ليقومون يوم الجمعة يكتبون الانسان الاول والثاني والثالث حتى اذا خرج الامام طويت الصحف »

(الخصوصية الثانية والخمسون * انه مذكور في القرآن دون سائر أيام الاسبوع)

قال تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة)

(الخصوصية الثالثة والخمسون * انه الشاهد والمشهد في الآية وقد أقسم الله به)

أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم للموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة * وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال

الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة * وأخرج عن ابن الزبير وابن عمر قالوا يوم الذبح ويوم الجمعة * وأخرج عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرنا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة»
(الخصوصية الرابعة والخمسون * انه المدخر لهذه الامة)

روى الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «نحن الآخرون الساهون يوم القيامة يبدأهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالتاس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد» * ولمسلم عن أبي هريرة وحذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة»
(الخصوصية الخامسة والخمسون * انه يوم المغفرة)

أخرج ابن عدي والطبراني في الأوسط بسند عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحداً من المسلمين يوم الجمعة الا غفر له» *

(الخصوصية السادسة والخمسون * أنه يوم العتق)

أخرج البخاري في تاريخه وأبو يعلى عن أنس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة الا والله فيها سمائة عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار» وأخرجه ابن عدي والبيهقي في الشعب بلفظ «ان لله في كل جمعة سمائة الف عتيق»

(الخصوصية السابعة والخمسون * فيه ساعة الاجابة)

روى الشيخان عن أبي هريرة «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً الا

أعطاه إياه وأشار بيده يقلها » ولمسلم عنه ان في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً الا أعطاه إياه هي ساعة خفية *

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً فقيس لها انها رفعت أخرج عبد الرزاق عن عبد الله مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة أنهم زعموا ان الساعة التي في يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء رفعت فقال كذب من قال ذلك * قلت فهي في كل جمعة قال نعم وقيل انها في جمعة واحدة من كل سنة قاله كعب الاحبار لأبي هريرة فرده عليه فرجع اليه أخرجه مالك وأصحاب السنن وقيل انها مخفية في جميع اليوم كما أخفيت ليلة القدر في العشر * أخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي سلمة قال سألت أبا سعيد الخدري عن ساعة الجمعة فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قد أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر » * وأخرج عبد الرزاق عن كعب قال لو أن انساناً قسم جمعة في جمع لآتى على تلك الساعة قال ابن المنذر معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من أول النهار الى وقت معلوم ثم في جمعة يتتدى من ذلك الوقت الى وقت آخر حتى يأتى على آخر النهار *

والحكمة في اخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة وقيل انها تنتقل في يوم الجمعة ولا تلزم ساعة بعينها ذكره بعضهم احتمالاً وجزم به ابن عساكر وغيره ورجحه الفزالي والمحجب الطبري وقيل هي عند أذان المؤذن لصلاة الغداة أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة : وقيل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس رواه ابن عساكر عن أبي هريرة : وقيل عند طلوع الشمس حكاه الفزالي وقيل أول ساعة بعد طلوع الشمس حكاه الجيلي والمحجب الطبري شارحاً التنبيه : وقيل في آخر الساعة الثالثة من النهار لحديث أبي هريرة مرفوعاً «وفي آخر ثلاث ساعات منه ساعة من دعا الله فيها استجيب له» أخرجه احمد وقيل اذا زالت الشمس حكاه ابن المنذر عن أبي العالية ورواه عبد الرزاق عن الحسن وروى ابن عساكر عن قتادة قال كانوا يرون الساعة المستجاب فيها

الغداء اذا زالت الشمس: قال ابن حجر وكان مأخذاً في ذلك أنها وقت اجتماع الملائكة وابتداء دخول الجمعة والأذان ونحو ذلك : وقيل اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة * أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت يوم الجمعة مثل يوم عرفة فيه تفتح أبواب السماء وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً الا أعطاه قيل أية ساعة قالت اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة : وقيل من الزوال الى مصير الظل ذراعاً أخرجه ابن المنذر عن أبي ذر : وقيل الى أن يخرج الامام حكاه القاضي ابو الطيب: وقيل الى ان يدخل في الصلاة حكاه ابن المنذر عن ابى السور العدوي: وقيل من الزوال الى غروب الشمس حكاه الدمارى في نكت التنبيه : وقيل عند خروج الامام رواه ابن زنجويه عن الحسن : وقيل ما بين خروج الامام الى أن تمام الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن والمروزي في كتاب الجمعة عن عوف بن حصرة : وقيل ما بين خروجه الى انقضاء الصلاة رواه ابن جرير عن موسى وابن عمر وقوفاً وعن الشعبي : وقيل ما بين أن يحرم البيع الى أن يحل رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن الشعبي : وقيل ما بين الاذان الى انقضاء الصلاة رواه ابن زنجويه عن ابن عباس : وقيل ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضي الصلاة روى مسلم وأبو داود من حديث أبي موسى الأشعري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضي الصلاة : قال ابن حجر وهذا القول يمكن ان يتخذ مع الذين قبله : وقيل من حين يفتح الخطبة حتى يفرغها رواه ابن عبد البر بسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعاً : وقيل عند الجلوس بين الخطبتين حكاه الطبري : وقيل عند نزول الامام من المنبر رواه ابن المنذر عن أبي بردة : وقيل عند اقامة الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن : وروى الطبراني بسند ضعيف عن ميمونة بنت سعد أنها قالت « يا رسول الله افتنا عن صلاة الجمعة قال فيها ساعة لا يدعو العبد فيها ربه إلا استجاب له قلت أية ساعة هي يا رسول الله قال ذلك حين يقوم الامام » وقيل من بين اقامة الصلاة الى تمام الصلاة لحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه عن عمرو بن عوف قالوا أية ساعة

يارسول الله قال حين تقوم الصلاة الى الانصراف منها « ورواه البيهقي في الشعب بلفظ « ما بين ان ينزل الامام من المنبر الى ان تنقضى الصلاة » وقيل هي الساعة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيها الجمعة رواه ابن عساکر عن ابن سيرين : وقيل من صلاة العصر الى غروب الشمس رواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفا والترمذي بسند ضعيف عن أنس بن مالك مرفوعا « التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر الى غيوبة الشمس » ولا بن منه عن أبي سعيد مرفوعا « فالتمسوها بعد العصر أغفل ما يكون الناس » وقيل في صلاة العصر رواه عبد الرزاق عن يحيى بن اسحاق بن ابي طلحة مرفوعا مرسلًا : وقيل بعد العصر الى اخر وقت الاختيار حكاها الغزالي : وقيل من حين تصفر الشمس الى ان تغيب رواه عبد الرزاق عن طاوس : وقيل آخر ساعة بعد العصر أخرجه ابو داود والحاكم عن جابر مرفوعاً ولفظه « فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » وأخرج اصحاب السنن عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً الا اعطاه اياه » فقال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته فقال قد علمت آية ساعة هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة فقلت بلى قال فهو ذاك وفي الترغيب للاصفهاني من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفل ما يكون عنه الناس » : وقيل اذا تدلى نصف الشمس للغروب أخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم « انها قالت لاني صلى الله عليه وسلم آية ساعة هي قال اذا تدلى نصف الشمس للغروب »

فهذه جملة الاقوال في ذلك قال المحب الطبري أصح الاحاديث فيها حديث أبي موسى في مسلم واشهر الاقوال فيها قول عبد الله بن سلام قال ابن حجر وماعداها اما موافق لها أو لاحدها أو ضعيف الاسناد أو موقوف استند قائله الى اجتهاد دون توقيف ثم اختلف السلف أي القولين للذكورين ارجح فرجح كلا مرجحون فرجح حديث أبي موسى البيهقي وابن العربي والقرطبي وقال النووي انه الصحيح أو الصواب ورجح قول ابن سلام احمد بن حنبل وابن راهويه وابن عبد البر وابن الزمكاني من الشافعية

قلت وههنا أمر وذلك ان ما اورده ابو هريرة على ابن سلام من انها ليست ساعة صلاة ولورد على حديث أبي موسى ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة صلاة ويتميز ما بعد العصر باتها ساعة دعاء وقد قال في الحديث يسأل الله شيئا وليس حال الخطبة ساعة دعاء لانه مأمور فيها بالانصات وكذلك غالب الصلاة ووقت الدعاء منها أما عند الاقامة أو في السجود أو التشهد فان حمل الحديث على هذه الاوقات اتضح ويحمل قوله وهو قائم يصلي على حقيقته في هذين الموضعين وعلى مجازه في الاقامة أي يريد الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله به وبه يظهر ترجيح رواية أبي موسى على قول ابن سلام لابقاء الحديث على ظاهره من قوله « يصلي ويسأل » فانه أولى من حمله على انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد وموهم ان انتظار الصلاة يشترط في الاجابة ولانه لا يقال في منتظر الصلاة قائم يصلي وان صدق انه في صلاة لان لفظ قائم يشعر بملابسة الفعل والذي استخير الله وأقول به من هذه الاقوال انها عند اقامة الصلاة وغالب الاحاديث للرفوعة تشهد له اما حديث مبمونة فصريح فيه وكذا حديث عمرو بن عوف ولا ينفيه حديث ابن موسى لانه ذكر انها فيما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضى الصلاة وذلك صادق بالاقامة بل منحصر فيها لان وقت الخطبة ليس وقت صلاة ولا دعاء ووقت الصلاة ليس وقت دعاء في غالبها ولا يظن انه أراد استراق هذا الوقت قطعا لانه خيفة بالنصوص والاجماع ووقت الخطبة

والصلاة متسع وغالب الاقوال المذكورة بعد الزوال أو عند الاذان تحمل على هذا فترجع اليه ولا تتنافى وقد أخرج الطبراني عن عوف بن مالك الصحابي قال اني لارجو ان تكون ساعة الاجابة في احدى الساعات الثلاث اذا اذن المؤذن وما دام الامام على المنبر وعند الاقامة وأقوى شاهد له حديث الصحيحين وهو قائم يصلي فاحل وهو قائم على القيام للصلاة عند الاقامة ويصلي على الحال للمقدرة وتكون هذه الجملة الحالية شرطاً في الاجابة فانها مختصة بمن شهد الجمعة ليخرج من تخلف عنها هذا ما ظهر لي في هذا المحل من التقدير والله أعلم بالصواب :

وقال ابن سعد في طبقاته أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد بن جدعان أن عبد الله بن نوفل والمغيرة بن نوفل كانوا من قرامقريش وكانوا ييرون الى الجمعة اذا طلعت الشمس يريدون بذلك الساعة التي ترجى فنام عبيد الله بن نوفل فدخل في ظهره دحة فقبل هذه الساعة التي تريد فرفع رأسه فاذا مثل غمامة تصعد الى السماء وذاك حين زالت الشمس (قائلة) احتج من قال بتفضيل الليل على النهار بأن في كل ليلة ساعة اجابة

كاثبت في الاحاديث الصحيحة وليس ذلك في النهار سوى في يوم الجمعة «الخصوصية الثامنة والخمسون الصدقة فيه تضاعف على غيرها من الايام» أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن كعب قال «الصدقة تضاعف يوم الجمعة» «الخصوصية التاسعة والخمسون الحسنة والسبئة فيه تضاعف»

أخرج ابن أبي شيبة عن كعب قال يوم الجمعة تضاعف فيه الحسنة والسبئة وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة مرفوعاً «تضاعف الحسنات يوم الجمعة» * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال من طريق الهيثم بن حميد قال أخبرني أبو سعيد قال بلغني ان الحسنة تضاعف يوم الجمعة والسبئة تضاعف يوم الجمعة * وأخرج عن المسيب بن رافع قال من عمل خيراً في يوم الجمعة ضف بمشرة أضاعفه في سائر الايام ومن عمل شراً فثقل ذلك *

« الخصوصية الستون قراءة حمّ السخان يومها وليلتها »

أخرج الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حمّ السخان في ليلة الجمعة غفر له » وأخرج الطبرانى والاصبهائى عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حمّ السخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة » • وأخرج الداريمى عن أبي رافع قال « من قرأ السخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين » •

﴿ الخصوصية الحادية والستون • قراءة يسّ ليلتها ﴾

أخرج البيهقى في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ليلة الجمعة حمّ السخان ويسّ أصبح مغفوراً له » وأخرجه الاصفهائى بلفظ « من قرأ يسّ في ليلة الجمعة غفر له »

﴿ الخصوصية الثانية والستون قراءة آل عمران فيه ﴾

أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تقيب الشمس »

﴿ الخصوصية الثالثة والستون • قراءة سورة هود فيه ﴾

أخرج الداريمى في مسنده والبيهقى في الشعب وأبو الشيخ وابن مردويه في تفسيرهما عن كعب بن النضر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أقرأوا سورة هود يوم الجمعة » •

« الخصوصية الرابعة والستون • قراءة البقرة وآل عمران ليلتها »

أخرج الاصفهائى في الرغبة بسنده عن عبد الواحد بن أيمن تاجي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البقرة وآل عمران في ليلة الجمعة كان له من الاجر ما بين ليلة وعروباء » فليبدأ الارض الساجدة وعروباء السماء السابعة • وأخرج حميد بن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة

الجمعة سورة البقرة و آكل عمران كان له نوراً ما بين عرياء وعجيباً مفرىء
العرش وعجيباً أسفل الارضين»

«الخصوصية الخامسة والستون» جلب الذاكر والمغفرة قبل صبح يومها
أخرج الطبراني في الاوسط عن أنس قال «قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال قبل صلاة الفسدة يوم الجمعة ثلاث مرات استغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو المحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من
زبد البحر» *

«الخصوصية السادسة والستون» ما يقال ليلة الجمعة

أخرج البزار عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل رجب
قال اللهم برك لنا في رجب وشعبان وبلغنا شهر رمضان واذا كان ليلة الجمعة
قال هذه ليلة غراء ويوم ازهر

﴿الخصوصية السابعة والستون﴾

الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها
أخرج ابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه عن اوس بن اوس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة على فيه قلن
صلاتكم معروضة على» * وأخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال
«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على في الليلة الزهراء واليوم
الازهر قلن صلاتكم تعرض على» * وأخرج البيهقي في الشعب عن ابي امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فمن
كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم من منزلة» * وأخرج عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة
فمن فعل ذلك كنت شهيداً او شافعاً له يوم القيامة» * وأخرج عن انس

مرفوعا « من صلى على في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا » • وأخرج عن علي « قال من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور » وأخرج الاصبهاني في ترغيبه عن انس قال « قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم الجمعة الف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة » • وأخرج ابو نعيم في الحلية عن زيد بن وهب قال « قال لي ابن مسعود لا تدع اذا كان يوم الجمعة ان تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي » •

﴿ الخصوصية الثامنة والتاسعة والستون والسبعون ﴾

(عيادة المريض وشهود الجنائز وشهود النكاح والعق فيه)

أخرج الطبراني عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى الجمعة وصام يومه وعاد مريضا وشهد جنازة وشهد نكاحا وجبت له الجنة » • وأخرجه ابو يعلى من حديث ابي سعيد وزاد « وتصدق واعتق » ولم يذكر شهود النكاح: وأخرج البيهقي في شعب الایمان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب » • وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة » قال البيهقي هذا يؤكد حديث ابي هريرة وكلاهما ضعيف •

﴿ الخصوصية الحادية والسبعون ﴾

أخرج البيهقي في الشعب عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال هذه الكلمات سبع مرات في ليلة الجمعة فمات في تلك الليلة دخل الجنة ومن قالها يوم الجمعة فمات في ذلك اليوم دخل الجنة من قال اللهم انت ربي

لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وابن امك وفي قبضتك وناصيتي بيدك
أسميت على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شرما صنعت ابوء بنعمتك
وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت «

« الخصوصية الثانية والسبعون »

اخرج ايضا عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ظهر في الصيف استحب أن يظهر ليلة الجمعة واذا دخل البيت في الشتاء استحب
أن يدخل البيت ليلة الجمعة » وأخرج مثله عن ابن عباس

« الخصوصية الثالثة والسبعون »

اخرج الطبراني عن عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم « انه كان اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد قليل
له لم تفعل هذا فقال رأيت سيد المرسلين يفعله « قلت كأن حكته امثال قوله
تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)

« الخصوصية الرابعة والسبعون انتظار العصر بعدها يعدل عمرة »

أخرج البيهقي في الشعب عن سهل بن سعد الساعدي قال « قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكم في كل جمعة حبة وعمرة فالحبة المهجيرة الى الجمعة
والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والسبعون صلاة حفظ القرآن في ليلتها »

أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي في المسوات عن ابن عباس ان علياً قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم « تغفلت هذا القرآن من صدري فما أجديني اقدر
عليه فقال الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته وثبت ما تعلمت
في صدرك اذا كان ليلة الجمعة قل استطعت ان تقوم في ثلث الليل الآخر قاتها
ساعة مشهورة والسعاء فيها مستجاب وقد قال أخي يعقوب لبيه سوف أستغفر
لكم ربي يقول حتى تأتي ليلة الجمعة فان لم تستطع قم في وسطها قل لم تستطع

فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحمل السنان وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزل السجدة وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان وقل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني وارحمني ان انكلف مالا يعينني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يا رَحْمَنُ بِجَلالِكَ ونور وجهك ان تلزم قلبي بحفظ كتابك كما علمتني وارزقني ان اتلوه على النحو الذي يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يا رَحْمَنُ بِجَلالِكَ ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وان تفرج به عن قلبي وتشرح به صدرى وان تعمل به بدنى فانه لا يعيننى على الحق إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً باذن الله تعالى والذي يعنى بالحق ما اخطأ مؤمن قط قال ابن عباس فوالله ما لبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله اني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فإذا قرأتها على نفسي تفلتن وأنا أتلم اليوم أربعين آية ونحوها فإذا قرأتها على نفسي فكأني كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم انس منها حرفاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة «

« الخصوصية السادسة والسبعون زيارة القبور يومها وليلتها »

أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برأ »

« الخصوصية السابعة والسبعون علم الموتى بزيارة الاحياء فيه »

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن محمد بن واسع قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده: وأخرجنا عن الضحاك قال من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قبل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

(الخصوصية الثامنة والسبعون عرض اعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى فيه)

أخرج الترمذى الحكيم فى نواذر الاصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرون بحسناتهم وتزداد وجوههم ياضاً واشراقاً» وأخرج احمد بسند جيد عن أبي هريرة قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن اعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»

« الخصوصية التاسعة والسبعون يقول الطير فيه سلام سلام يوم صالح »

أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي عن مطرف انه سمعه من الموتى يقولون ذلك كرامة له وهو بين النائم واليقظان * وأخرج الدينوري فى المجالسة عن بكر بن عبد الله المزنى قال ان الطير تلتقى الطير بعضها بعضاً ليلة الجمعة فتقول لها اشعرت ان الجمعة غداً

« الخصوصية الثمانون »

أخرج الطبرانى فى الاوسط عن انس قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا سبعون رجلاً الى الجمعة كانوا كسبعين موسى الذين وفوا الى ربهم او افضل»

« الخصوصية الحادية والثمانون »

أخرج الطبرانى والبيهقي فى الشعب والاصهبانى فى الترغيب عن ابن عمر قال

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صام يوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم تصدق يوم الجمعة بما قل من ماله او كثر غفر له كل عمله حتى يصير كيوم ولدته امه » وخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس انه كان يحب ان يصوم الاربعاء والخميس والجمعة ويخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بصومهم وان يتصدق بما قل او كثر فان فيه الفضل الكثير * وخرج البيهقي وضعفه عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس والجمعة بنى له قصرأ في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب الله له براءة من النار » وخرج البيهقي عن ابي قتادة العدوي قال ما من يوم اكره إلي ان اصومه من يوم الجمعة ولا احب ان اصومه من يوم الجمعة قيل وكيف ذلك قال يعجبني في ايام متابعات لما اعلم من فضيلته واکره ان اخسه من بين الايام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يخصه من بين الايام * وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم قال اخبرني رجل من جشم عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة ايام غرام من ايام الآخرة لا يشا كلها ايام الدنيا »

﴿ الخصوصية الثانية والتمانون ﴾

اخرج البزار اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان واذا كان ليلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم أزهر »

« الخصوصية الثالثة والتمانون »

اخرج الاصبهاني عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل واحدة منها بقائمة الكتاب مرة واذا زلزلت خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت واعاذه من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة »

« الخصوصية الرابعة والثمانون »

أخرج ابونعيم في الحلية عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلت يوم الجمعة سلت الايام » *

« الخصوصية السادسة والثمانون »

أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتي الباب ثم قال اللهم اجعلني أوجه من توجه اليك وأقرب من تقرب اليك وأفضل من سألك ورغب اليك » قال النووي في الاذكار يستحب لنا نحن أن نقول من أوجه ومن أقرب ومن أفضل بزيادة من *

« الخصوصية السادسة والثمانون كرامة الحجامة فيه »

أخرج ابو يعلى عن الحسين بن علي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الجمعة ساعة لا يفتح فيها أحد إلا مات » وقد ورد النهي عن الحجامة يوم الجمعة من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم وابن ماجه وفي نسخة نبيط بن شريط من حديثه مرفوعاً « لا يفتح أحدكم يوم الجمعة ففيها ساعة من احتجم فيها فأصابه وجع فلا يلومن إلا نفسه » *

« الخصوصية السابعة والثمانون حصول الشهادة لمن مات فيه »

أخرج حميد بن زنجويه من مرسل إياس بن بكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ودفن في فتنه القبر » * وأخرج من مرسل عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الا وفي عذاب القبر وفتنة القبر ولقي الله لاحتساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له »

« الخصوصية الثامنة والثمانون »

أخرج الاصبهاني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من صلى الضحى أربع ركعات في يوم الجمعة في دهره مرة واحدة يقرأ بفاتحة الكتاب عشر مرات وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وقل أعوذ برب الناس عشر مرات وقل هو الله أحد عشر مرات وقل يا أيها الكافرون عشر مرات واية الكرسي عشر مرات في كل ركعة فإذا تشهد وسلم واستغفر سبعين مرة وصبح سبعين مرة قائلاً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رفع الله عنه شر أهل السموات وأهل الأرض وشر الانس والجن »

« الخصوصية التاسعة والثمانون »

وقفة الجمعة تفضل غيرها من خسة أوجه فيما ذكره القاضى بدر الدين ابن جماعة (أحدها) موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فان وقفته كانت يوم الجمعة وانما يختار له الأفضل (الثانى) ان فيها ساعة إجابة (الثالث) ان الاعمال تشرف بشرف الازمنة كما تشرف بشرف الامكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع فوجب أن يكون العمل فيه أفضل (الرابع) ان في الحديث أفضل الايام يوم عرفة اذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة أخرجه رزين (الخامس) اذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف قيل له قد جاء ان الله يغفر لجميع أهل الموقف مطلقاً فما وجه تخصيص ذلك بيوم الجمعة في هذا الحديث فأجاب بأن الله يحتمل أن يغفر لهم فيه بغير واسطة وفي غيره يهب قوماً لقوم *

« الخصوصية التسعون »

أخرج الاصبهاني في الترهيب عن عبد الله بن عمرو رضى عنها قال من كانت له حاجة الى الله فليصم الاربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تظهر وراح الى الجمعة فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فاذا صلى الجمعة قال اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب

والشهادة الرحمن الرحيم واسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض الذي غنت له الوجوه وخشمت له الأصوات ووجلّت القلوب من خشيته ان تصلى على محمد وان تعطيني حاجتي وهي كذا وكذا فانه يستجاب له * واخرج ابن السني في عمل يوم وليلة عن عمرو بن قيس المزني قال بلغني ان من صام الاربعاء والجمعة ثم شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت بتسليم الامام وقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد عشر مرات ثم مد يده الى الله عز وجل ثم قال اللهم اني اسألك باسمك الملى الاعلى الاعلى الاعلى الاعز الاعز الاكرم الاكرم الاكرم لا إله إلا الله الاجل العظيم الاعظم لم يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه عاجلا وآجلا ولكنكم تعجلون

« الخصوصية الحادية والتسمون »

(لا تفتح فيه أبواب جهنم وهذه غير الخصلة السابقة انها لا تسجر فيه)

اخرج ابو نعيم عن ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان جهنم تسمر كل يوم وتفتح ابوابها الا يوم الجمعة فانها لا تفتح ابوابها ولا تسمر »
« الخصوصية الثانية والتسمون يستحب السفر ليلتها »

اخرج الطبراني عن ام سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يسافر يوم الخميس » * واخرج في الاوسط عن كعب بن سعد قال « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر ويبيت بعثا إلا يوم الخميس » وأصله في الصحيح ومن الاوسط أيضا عن بريدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا خرج يوم الخميس »

« الخصوصية الثالثة والتسمون »

أخرج عبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن ثابت البناني قال بلغنا أن الله ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يطوفون ويكتبون من صلى ليلة

الجمعة ويوم الجمعة في جماعة»

«الخصوصية الرابعة والتسعون»

أخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق محمد بن عكاشة عن محمود بن معاوية ابن حماد الكرماني عن الزهري قال «من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما قل هو الله أحد ألف مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه»

(الخصوصية الخامسة والتسعون زيارة الاخوان في الله)

أخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) الا يقول ليس لطلب دنيا ولكن لزيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

(الخصوصية السادسة والتسعون)

(لا تكره فيه الصلاة بعد الصبح ولا بعد العصر عند طائفة)

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن طاوس قال يوم الجمعة صلاة كله وان صح ذلك كمن فيه تأييد لكون ساعة الاجابة قبل الغروب ولا يرد انها ليست بساعة صلاة *

(الخصوصية السابعة والتسعون)

أخرج المارقل في الفرائد والخطيب في رواة مالك عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة فذلك مائتا مرة في أربع ركعات لم يبت حتى يرى منزله في الجنة أو يرى له» *

«الخصوصية الثامنة والتسعون»

أخرج الديلمي عن عائشة مرفوعاً «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يترك مجلس قومه عشية الجمعة» *

« الخصوصية التاسعة والتسعون »

أخرج ابن سعد في طبقاته عن الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة يقول عبادي جاؤني سعيًا يتعرضون لرحمتي فاشهدكم اني غفرت لمحسنهم وشغفت محسنهم في مسيئتهم واذا كان يوم الجمعة قتل ذلك »

« الخصوصية الموفية للمائة »

قال الخطيب في تاريخه أخبرني محمد بن احمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم الضبي حدثني ابو علي الحسين بن علي الحافظ حدثنا ابو جعفر احمد بن حمدان العابد حدثنا اسحاق بن ابراهيم القفصي حدثنا خالد بن يزيد العمري ابو الوليد حدثنا ابن ابي ذئب حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعي به على شيء من المشرق الى المغرب في ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا اله الا انت يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام

« الخصوصية الحادية بعد المائة »

أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الايام يوم القيامة على هبتها ويبعث الجمعة زهرة منيرة أهلها يحضون بها كالعروس تهدي الى كريمها تضيء لهم بمشون في ضوئها ألوانهم كالتلج يياضاً وريحهم يسطع كالسك يحضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد الا للؤذنون المحتسبون * هذا آخر خصائص الجمعة والله أعلم *

(تمت الرسالة)

تفسير

سورة الكوثر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

« المتوفى سنة ٧٢٨ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • إن شئت لك هو الأثر •

قال شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رحمه الله
سورة الكوثر ما أجلبها من سورة وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة
معناها تعلمها من آخرها فانه سبحانه تعالى يترشاقه رسوله من كل خير فيتر
ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ويتر حياته فلا ينتفع بها ولا ينزود
فيها صالحاً لمعاده فيتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤمله لمعرفته ومحبهه والايان برسله
ويتر أعماله فلا يستعمله في طاعة ويتره من الانصار فلا يجد له ناصرأ ولا عونأ
ويتر جميع القرب والاعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة وان
باشرها بظواهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء من شئنا بعض ما جاء به الرسول
ورده لاجل هواء أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره كمن شئنا آيات الصفات
وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله سفها وحملها على ما يوافق

مذهبه ومذهب طائفته أو تمنى أن لا تكون آيات الصفات أنزلت ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن أقوى علامات شنأته لها وكراهته لها انه اذا سمعها حين يستند بها أهل السنة على ما دلت عليه من الحق اشمأز من ذلك وحاد عن ذلك لما فى قلبه من البغض لها فأى شئ للرسول أعظم من هذا وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد والمدفوف والشابات واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ فى مجالسهم استطالوا ذلك واستنقلوه فأى شئ أعظم من هذا وقس على هذا سائر الطوائف فى هذا الباب

وكذا من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا انه شانىء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى أن بعضهم لينسى القرآن بعد ان حفظه ويشغل بقول فلان وفلان ولكن من أعظم شنأه ورده من كفره وجعده وجعله أساطير الاولين وسحراً يؤثر بهذا أعظم وألم ابتئاراً وكل من شنأه له نصيب من الابتئار على قدر شنيته له فهو لا شئ وعادوه جازاهم الله بأن يجعل الخير كله معادياً لهم فيترهم منه وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذى آتاه الله فى الدنيا والآخرة فما أعطاه فى الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرّة العين والنفس وانشرح الصدر ونعم قلبه بذكره وجبه بحيث لا يشبه نعيمه نعيم فى الدنيا البتة وأعطاه الآخرة الوسيلة والمقام المحمود وجعله أول من يفتح له ولايته باب الجنة وأعطاه فى الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم فى موقف القيامة الى غير ذلك وجعل للمؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم وهذا ضد حال الابتر الذى يشنأه ويشنأ ما جاء به .

وقوله (شانتك) أى مبغضك والابتر المقطوع النسل الذى لا يولد له خير ولا عمل صالح فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح * قيل لابی بكر بن عياش ان بالمسجد قوماً يجلسون ويجلس اليهم فقال من جلس للناس جلس الناس اليه ولكن (٢٩ - ٢٠)

أهل السنة يموتون ويحيى ذكركم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البدعة أماتوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكان لهم نصيب من قوله (إن شانتك هو الأبر) فالخذر الخذر أيها الرجل أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول أو ترده لاجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك أو لاجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والاختصاص بما جاء به بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله عن مخالفة أحداً ما فكان من أطيع أو يطاع تبعاً للرسول ولو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع

فأعلم ذلك واسمع وأطع واتبع ولا تتبدع تكن أبر مردوداً عماك بل لا خير في عمل أبر من الاتباع ولا خير في عمله : وقوله (إنا أعطيناك الكوثر) تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معط كبير غنى واسع وأنه تعالى وملائكته وجنده معه : صدر الآية بأن الدالة على التأكيد وتحقيق الخبر وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق وأنه أمر ثابت واقع ولا يدفعه ما فيه من الإيذان بأن إعطاء الكوثر سابق بالصدر الأول حين قدرت مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وحذف موصوف الكوثر ليكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعيين وأتى بالصفة أي أنه سبحانه وتعالى قال (إنا أعطيناك الكوثر) والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة كما قد وردت به الأحاديث الصحيحة الصحيحة وقال ابن عباس الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه وإذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات فما الظن بما للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما أعده الله له فيها فالكوثر علامة وإمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزادتها وسمو المنزلة وارتقاعها وإن ذلك النهر وهو الكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء وأعذبها وأعلىها

وكذلك أنه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى ونمامه كقوله زيد العالم زيد الشجاع أي لأعلم منه ولا أشجع وكذلك قوله (إنا أعطيناك الكوثر)

دل على انه أعطاه الخير كله كاملاً موفراً وان نال منه بعض أمته شيئاً كان ذلك ناله بركة اتباعه والاقتراء به مع ان له صلى الله عليه وآله وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء ففيه الإشارة الى ان الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينقص من أجورهم فانه هو السبب في هدايتهم ونجاتهم فينبغي بل يجب على العبد اتباعه والاقتراء به وأن يمثل ما أمره به ويكثر من العمل الصالح صوما وصلاة وصدقة وطهارة ليكون له مثل أجره فانه اذا فعل المحظور مع ترك المأمور قوى وزره وصعبت نجاته لارتكابه المحظور وتركه المأمور وان فعل المأمور وارتكب المحظور دخل فيمن يشفع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه ناله مثل أجر ما فعله من المأمور والى الله إياب الخلق وعليه حسابهم وهو أعلم بحالهم أي بأحوال عبادهم فان شفاعته لاهل الكبار من أمته والمحسن اتما أحسن بتوفيق الله له والمسيء لاجبة له ولا عنذر

والمقصود ان الكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة وهذا غير ما يعطيه الله من الاجر الذي هو مثل أجور أمته الى يوم القيامة فكل من قرأ أو علم أو عمل صالحاً أو علم غيره أو تصدق أو حج أو جاهد أو رابط أو تاب أو صبر أو توكل أو نال مقاماً من المقامات القلبية من خشية وخوف ومعرفة وغير ذلك فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجور ذلك العامل والله أعلم

وقوله (فصل لربك وانحر) أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك اللتان على القرب والتواضع وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب الى الله والى عدته وأمره وفضله وخلفه عكس حال أهل الكبر والتنفّر وأهل الفسنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم الى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر وتركاً لاعانة الفقراء واعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه والمقصود ان الصلاة والنسك وهو النحر هما أجل ما يتقرب به الى الله فانه أتى فيها بالقاء الدالة على السبب لان فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما اعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان بل الصلاة أفضل نهايات العبادة وغاية الغايات كأنه يقول (إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لاجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكرًا لأنعامنا عليك وهما السبب لأنعامنا عليك بذلك فقم لنا بهما فان الصلاة والنحر محفوظان بانعام قبلهما وانعام بعدهما وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنية الصلاة وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب المهمل العالية وما يجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والثوق بما في يده الله أمر عجب اذا قارن ذلك الايمان والاخلاص وقد امثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر يديه في حجة الوداع ثلاثًا وستين بدنة وكان ينحرف في الأعياد وغيرها وفي قوله (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) إشارة الى انك لا تنأسف على شيء من الدنيا كما ذكر ذلك في آخر طه والحجرات وغير ذلك وفيها الإشارة الى ترك الالتفات الى الناس وما ينالك منهم بل صل لربك وانحر: وفيها التعريض بحال الابتر الثاني الذي صلته ونسكه لغير الله

وفي قوله (ان شانتك هو الابتر) أنواع من التأكيد: أحدها تصدير الجملة بأن • الثاني الاتيان بضمير الفصل الدال على قوة الاسناد والاختصاص • الثالث محيى الخير على افعل التفضيل دون اسم المفعول • الرابع تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه وانه أحق به من غيره ونظير هذا في التأكيد قوله (لا تخف انك أنت الاعلى)^١

ومن فوائد الطيفة الالتفات في قوله (فصل لربك وانحر) الدالة على ان ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده وتنحرف له والله أعلم
(تمت الرسالة)

١ - الكوثر ١ - ٢

٢ - سورة طه ٦٨

رسالة

في علم الباطن والظاهر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مسألة) في طائفة من المتفكرة يدعون أن القرآن باطنًا وإن لذلك الباطن باطنًا إلى سبعة أبطن ويروون في ذلك حديثًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «القرآن باطن وللباطن باطن إلى سبعة أبطن» ويفسرون القرآن بغير المعروف عن الصحابة والتابعين والائمة من الفقهاء ويزعمون أن عليًا قال لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب كذا وكذا حمل جلل ويقولون إنما هو من علنا إذ هو الذي ويقولون كلامًا معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم فانه امر قوماً بالامساك وقوماً بالانفاق وقوماً بالكسب وقوماً بترك الكسب ويقولون ان هذا ذكرته أشياخنا في العوارف وغيره من كتب المحققين وربما ذكروا أن حذيفة كان يعلم أسماء المناققين خصه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحديث أبي هريرة «حفظت جرابين من علم» ويروون كلاماً عن أبي سعيد الخراز أنه قال : للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة يتكلمون فيها بلسان الابدية يخبرون عنها بلسان الازلية ويقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان من العلم كهية الحزون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل

الغرة بالله» فهل ما ادعوه صحيحاً أم لا . فسيدي يبين لنا مقالاتهم فان المملوك وقف على كلام لبعض العلماء ذكر فيه أن الواحدى قال : ألف أبو عبد الرحمن السلمى كتاباً سماه حقائق التفسير ان صح عنه فقد كفر ووقفت على هذا الكتاب فوجدت كلام هذه الطائفة منه وما شابهه فما رأى سيدي في ذلك وهل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «للقراآن باطن» الحديث يفسرونه على ما يرونه من أذواقهم ومواجيدهم المردودة شرعاً أفتونا مأجورين

أجاب الشيخ رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين . أما الحديث المذكور فمن الاحاديث المختلة التي لم يروها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفاً أو مرسلًا «أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً» وقد شاع في كلام كثير من الناس : علم الظاهر وعلم الباطن وأهل الظاهر وأهل الباطن ودخل في هذه العبارات حق وباطل وقد بسط هذا في غير هذا الموضع لكن نذكر هنا جملاً من ذلك فنقول : قول الرجل : الباطن اما أن يريد علم الامور الباطنة مثل العلم بما في القلوب من المعارف والاحوال والعلم بالغيب التي أخبرت بها الرسل واما أن يريد العلم بالباطن الذى يعطى عن فهم أكثر الناس أو عن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك فاما الاول فلا ريب ان العلم منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب ومنه ما هو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن احساسهم وأصل الايمان هو الايمان بالغيب كما قال تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) والغيب الذى يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الامور العامة ويدخل في ذلك الايمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار فالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر يتضمن الايمان بالغيب فان وصف الرسالة هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما ذكر الله تعالى في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) وقال

(ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) والعلم بأصول القلوب كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة والارادات الصحيحة والفاسدة والعلم بمعرفة الله ومحبته والاخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء له والحب فيه والبغض والرضا بحكمه والانابة اليه والعلم بما يحمد ويذم من أخلاق النفوس كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر والخيلاء وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمر باطلة في القلوب ونحوه قد يقال له علم الباطن أى علم بالأمر الباطن فالمعلوم هو الباطن وأما العلم الظاهر فهو ظاهر يتكلم به ويكتب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام السلف وأتباعهم بل غالبه أى القرآن هو من هذا العلم فان الله أنزل القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين بل هذا العلم هو العلم بأصول الدين فان اعتقاد القلب أصل لقول اللسان وعمل القلب أصل لعمل الجوارح والقلب هو ملك البدن كما قال ابو هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك حابيت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده * وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ألا وأن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالايمان ودفع النفاق كان منافقاً ان ظهر الاسلام فان الاسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية ولكن الايمان في القلب كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الاسلام علانية والايمان في القلب» وكلام الصحابة والتابعين والاحاديث والآثار في هذا أكثر منها في الاجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير كثير ولكن هذا العلم ظاهر موجود مقول باللسان مكتوب في الكتب ولكن من كان بأمر القلب اعلم كان أعلم به وأعلم بعماني القرآن والحديث وعامة الناس يجدون هذه الامور في أنفسهم ذوقاً ووجدأ فتكون محسوسة لهم بالחס الباطن لكن الناس في حقائق الايمان متفاضلون تفاضلاً عظيماً فأهل الطبقة العليا يطلون أهل السفلى من غير

عكس كما ان أهل الجنة في الجنة ينزل الاعلى الى الاسفل ولا يصعد الاسفل الى الاعلى والعالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً فلذلك كان في حقائق الايمان الباطنة وحقائق أبناء الغيب التي اخبرت بها الرسل مالا يعرفه الا خواص الناس فيكون هذا العلم باطناً من جهتين من جهة المعلوم باطناً ومن جهة كون العلم باطناً لا يعرفه أكثر الناس ثم ان هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل مالا يدخل في غيره فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة

فصل

وأما اذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر والثاني لا يخالف فأما الاول فباطل فمن ادعى علماً باطناً أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً أما ملحدنا زنديقاً وإما جاهلاً ضالاً وأما الثاني فهو بمنزلة العلم الظاهر قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً فإن الباطن اذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم فإن علم أنه حق قبل وان علم أنه باطل رد وإلا أمسك عنه وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيلية والنصيرية وأمثالهم وعن وافقهما من الفلاسفة وغلاة المنتصوفة والمتكلمين وشبه هؤلاء القرامطة فانهم يدعون ان القرآن والاسلام باطناً يخالف

فيقولون الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج السفر الى زيارة شيوخنا المقدسين ويقولون أن الجنة للخاصة هي التمتع في الدنيا بالذات والنار هي التزام الشرائع والسخول تحت ألقاها ويقولون ان الدابة التي يخرجها الله هي العالم الناطق بالعالم في كل وقت وان اسرافيل الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا وجبريل هو العقل الفعال

الذى تفيض منه الموجودات والقلم هو العقل الاول الذى تزعم الفلاسفة انه المبدع الاول وأن الكواكب والقمر والشمس التى رآها ابراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود وأن الانهار الاربعة التى رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الاربعة وأن الاشياء التى رآها في السماء هي الكواكب قادم هو القمر ويوسف هو الزهرة وادريس هو الشمس وامثال هذه الامور فقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين والمتصوفين لكن اولئك القرامطة ظاهروهم الرفض وباطنهم الكفر المحض وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفروهم ولكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون علياً على أبي بكر وفيهم من يفضل علياً في العلم الباطن كطريقة الحربي وأمثاله ويدعون أن علياً كان أعلم بالباطن وأن هذا العلم أفضل من جهة: وأبو بكر كان أعلم بالظاهر وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم فانهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ان أبا بكر أعلم الامة بالباطن والظاهر وحكى الاجماع على ذلك غير واحد وهؤلاء الباطنية قد يفسرون (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) أنه على ويفسرون قوله تعالى (ثبت يداي ابي لهب وتب) بأنهما ابوبكر وعمر وقوله (فقاتلوا أئمة الكفر) أنهم طلحة والزبير و(الشجرة الملعونة) في القرآن بأنها بنو أمية

وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى (اذهب الى فرعون) أنه القلب و (إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) أنها النفس ويقول (اولئك) هي عائشة ويفسرون هم والفلاسفة تكليم موسى بما يفيض عليه من العقل الفعال أو غيره ويجمعون (خلج النعلين) ترك الدنيا والآخرة ويفسرون الشجرة التى كلم منها موسى والوادي المقدس ونحو ذلك بأحوال تعرض للقلب عند حصول المعارف له ومن سلك ذلك صاحب مشكاة الانوار وأمثاله وهي مما أعظم المسلمون انكاره عليه وقالوا أمرضه الشقاء وقالوا دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر . ومن الناس من يطعن في هذه الكتب ويقول انها

١ - بس ١٢

٢ - للسد ١

٣ - التوبة ١٢

٤ - الاسراء ٦٠

٥ - طه ٢٤

٦ - البقرة ٦٧

مكتوبة عليه وآخرون يقولون بل رجع عنها وهذا أقرب الأقوال فانه قد صرح بكفر الفلاسفة في مسائل وتضليلهم في مسائل أكثر منها وصرح بأن طريقتهم لا توصل الى المطلوب

وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة أو الشياطين بقوى النفس وما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والالم لا بآيات حقائق منفصلة يتنعم بها ويتألم بها وقد وقع في هذا الباب من كلام كثير من متأخري الصوفية ما لم يوجد مثله من أئمتهم ومتقدميهم كما وقع في كلام كثير من متأخري أهل الكلام والنظر من ذلك ما لا يوجد من أئمتهم ومتقدميهم: وهؤلاء المتأخرون مع ضلالهم وجهلهم يدعون أنهم أعلم وأعرف من سلف الامة ومتقدميها حتى آكل الامر بهم الى أن جعلوا الوجود واحداً كما فعل ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله كأنهم دخلوا من هذا الباب حتى خرجوا من كل عقل ودين وهم يدعون مع ذلك ان الشيوخ المتقدمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم الخواص وغيرهم ماتوا وما عرفوا التوحيد وينكرون على الجنيد وأمثاله اذا ميزوا بين الرب والعبد كقوله التوحيد أفراد الحدوث عن القوم ولعمري ان توحيدهم القدي جعلوا فيه وجود المخلوق وجود الخالق هو من أعظم الالحاد الذي انكره المشايخ المهتدون وهم عرفوا أنه باطل وأنكروه وحذروا الناس منه وأمرهم بالتمييز بين الرب والعبد والخالق والمخلوق والقديم والمحدث وأن التوحيد ان يعلم مباينة الرب لمخلوقاته وامتيازه عنها وأنه ليس في مخلوقاته شئ من ذاته ولا في ذاته شئ من مخلوقاته ثم أنهم يدعون أنهم أعلم بالله من المرسلين وان الرسل انما تستفيد معرفة الله من مشكلاتهم ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل كقولهم (عما خطبتمهم) فهي التي خطت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وقولهم ان العذاب مشتق من العذوبة ويقولون ان كلام نوح في حق قومه ثناء عليهم بلسان القم ويفسرون قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) يعلم

الظاهر بل ختم الله على قلوبهم فلا يعلمون غيره وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره فانه لا غير له فلا يرون غيره أو يقولون في قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) أن معناه قدر ذلك أنه ليس موجود سواه فلا يتصور أن يعبد غيره فكل من عبد الاصنام والعجل ما عبد غيره لأنه ماتم غير وأمثال هذه التأويلات والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كوسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين : وجماع القول في ذلك أن هذا الباب نوعان أحدهما أن يكون المعنى المذكور باطلاً لكونه مخالفاً لما علم فهذا هو في نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق : والثاني ما كان في نفسه حقاً لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذي يسمونه اشارات : وحقائق التفسير لآبي عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير . وأما النوع الاول فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين في اصول دينهم فإن من علم أن السابقين الاولين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه علم أن كل ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل ومن أقر بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم أن من تأول نصاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد اقرى : ومن علم أن الحر والفواش محرمة على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم أن من تأول نصاً يقتضي تحليل ذلك لبعض الناس أنه مفتر : وأما النوع الثاني فهو الذي يشبه كثيراً على بعض الناس فإن المعنى يكون صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكرونه دل عليه وهذا قسمان أحدهما أن يقال أن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افتراء على الله فمن قال المراد بقوله (تذبحوا بقرة) هي النفس وبقوله (اذبحوا إلى فرعون) هو القلب (والذين معه) أبو بكر (أشداء على الكفار) عمر (رحماء بينهم) عثمان (ركعاً سجداً) على فقد كذب على الله أما متعمداً وأما مخطئاً

والقسم الثاني أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة

١ - الاسراء ٢٢

٢ - البقرة ٦٧

٣ - طه ٢٤

٤ - الفتح ٢٩

اللفظ فهو من نوع القياس فالذى نسميه الفقهاء قياساً هو الذى نسميه الصوفية إشارة وهذا ينقسم الى صحيح وباطل كاتقسام القياس الى ذلك فمن سمع قول الله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) وقال انه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذى كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فعانى القرآن لا يدبرها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً؛ ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف قال تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقال (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وقال (هدى به الله من اتبع رضوانه سلب السلام) وأمثال ذلك : وكذا من قال لا تدخل للملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينبجسه من الكبر والحسد فقد أصاب قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً) وأمثال ذلك

وكتاب حقائق التفسير لابي عبد الرحمن السلمي يتضمن ثلاثة أنواع :
أحدها نقول ضعيفة عن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق فان أكثره باطل عنه والائمة فيه من موقوف ابن عبد الرحمن وقد تكلم أهل المعرفة فى نفس رواية أبي عبد الرحمن حتى كان البيهقى اذا حدث عنه يقول حدثنا من أصل سماعه : والثاني أن يكون المنقول صحيحاً لكن لعل الناقل أخطأ فيما قال والثالث المنقول صحيح عن قائل مصيب فكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره اذا فسر به الخطاب فهو خطأ وان ذكر على سبيل الاشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً : وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مقرر على الله ما حذر فى آيات الله محرف فكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والاتحاد وهو معلوم

١ - الواقعة ٧٩

٢ - البقرة ٢-١

٣ - آل عمران ١٢٨

٤ - للائمة ١٦

٥ - للائمة ٤١

٦ - الأعراف ١٤٦

البطلان بالاضطرار من دين الاسلام

وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ فهذا اذا صح عن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن الخائف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً ولكن ينبغي أن يعرف أنه كذب على علي واهل بيته لا سيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة حتى ان الاسماعيلية والنصيرية يضيفون مذهبهم اليه وكذلك المعتزلة وكذلك خرقه التصوف يقولون ان الحسن البصري صحبه وانه دخل المسجد فرأى الحسن يقص مع القصاص فقال ما صلاح الدين قال الورع قال فما فسادك قال الطمع فأقره واخرج غيره: وقد اتفق اهل المعرفة بالمتنولات ان الحسن لم يصحب علياً ولم يأخذ عنه شيئاً وانما اخذ عن اصحابه كالأحنف بن قيس وقيس بن سعد ابن عباد واماها ولم يقص الحسن في زمن علي بل ولا في زمن معاوية وانما قص بعد ذلك وقد كان في زمن علي يكذبون عليه حتى كان الناس يسألونه كما ثبت في الصحيحين «انه قيل له هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يقرؤونه فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا هذه الصحيفة وفيها اسنان الابل وفكلك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر» وفي لفظ «هل عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يعهد الي الناس فقال لا» وفي لفظ «الا فها يؤتبه الله لعبدي كتابه»

واما العلم الذي فلا ريب ان الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم بما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي والا فها يؤتبه الله عبداً في كتابه: وفي الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كتقوله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تنبيهاً واذا لا تيناهم من لدنا

اجراً عظيماً ولهديناكم صراطاً مستقيماً^١ فقد اخبر انه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطاً مستقيماً وقال تعالى (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام)^٢ وقال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)^٣ وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)^٤ وقال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)^٥ وقال تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)^٦ وقال تعالى (هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)^٧ واخبر ان اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم)^٨ وقوله (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون)^٩ اى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وتقلب افئدتهم اى يتركون الايمان ونحن نقلب افئدتهم لكونهم لم يؤمنوا اول مرة اى ما يدريكم انه لا يكون هذا وهذا حينئذ

ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال ان بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ انها احسن من قراءة الكسر وهذا باب واسع والناس في هذا الباب على ثلاثة اقسام طرفان ووسط فقوم يزعمون ان مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر * وقوم يقولون لا اثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالادلة الشرعية او العقلية واما الوسط فهو ان ذلك من اعظم الاسباب معاونة على نيل العلم بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافياً بل لا بد من امر آخر اما العلم بالادلة فيما لا يعلم الا به واما التصور الصحيح لطرفي القضية بالعلوم الضرورية : واما العلم النافع الذى تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل الا باتباع الكتب التى جاءت بها الرسل قال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل

١ - النساء ٦٦-٦٨

٢ - المائدة ١٦

٣ - عم ١٧

٤ - الكهف ١٢

٥ - البقرة ٢

٦ - الحانية ٢٠

٧ - الأعراف ٢٠٣

٨ - الصف ٥

٩ - الأنعام ١٠٩-١١٠

ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن^١ الخ وقال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو له قرين)^٢ فمن ظن ان الهدى والايمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل : واضل منهما من سلك في العلم وللعرفة طريق اهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا العمل بموجب العلم أو سلك في العمل والزهد طريق اهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا اعتبار العمل بالعلم فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع وأعرض اولئك عن العمل والشرع فضل كل منهما من هذين الوجهين وتباينوا تبايناً عظيماً حتى اشته هؤلاء اليهود المغضوب عليهم واشبه هؤلاء النصارى الضالين بل صار كل منهما شراً من اليهود والنصارى كالقراطة والانحادية وامثالهم من الملاحدة الفلاسفة .

فصل

واما قول القائل ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم الخ فهذا الكلام له وجهان ان اراد به ان الاعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف احوالهم فهذا لا ريب فيه فانه ليس ما يؤمر به الفقير كما يؤمر به الغنى ولا ما يؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح ولا ما يؤمر به عند المصائب هو ما يؤمر به عند النعم ولا ما تؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة ولا ما تؤمر به الائمة كالذى تؤمر به الرعية فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع احوالهم كما قد يشتركون في اصل الايمان بالله وتوحيده والايمان بكتبه ورسوله : وان اراد به ان الشريعة في نفسها تختلف وان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب زيدا بخطاب يناقض ما خاطب به عمراً او اظهر لهذا شيئاً يناقض ما اظهره لهذا كما يرويه الكذابون ان عائشة

١ - طه ١٢٣-١٢٤

٢ - الزخرف ٣٦

سأله هل رأيت ربك فقال لا وسأله أبو بكر فقال نعم وأنه أجاب عن مسألة واحدة بجوابين متناقضين لاختلاف حال السائلين فهذا من كلام الكذابين المفترين بل من كلام الملاحدة النفاقين فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الاعين» والحديث في سنن أبي داود وغيره وكان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم ابن أبي سرح فجاء به عثمان ليبيع النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ثم قال أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أعرضت عن هذا فيقتله فقال بعضهم هلا أو مضت إلي يارسول الله فقال «ما ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الاعين» وهذا مثاله في استواء ظاهره وباطنه وسره وعلايته وأنه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكابرين النفاقين ولأرباب ان القرامطة وأمثالهم من الفلاسفة يقولون أنه أظهر خلاف ما أبطن وأنه خاطب العامة بأموار أراد بها خلاف ما أفهمهم لأجل مصلحتهم إذ كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق: وقد زعم ذلك ابن سينا وأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم من الفلاسفة والقرامطة الباطنية فإن ابن سينا كان هو وأهل بيته من أتباع الحاكم القرمطي العبيدي الذي كان بمصر * وقول هؤلاء كما أنه من أكره الأقوال فجعلهم من أعظم الجهل وذلك أنه إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يعلمه أهل العقل والدكاء من الناس وإذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمانهم كما يمتنع تواطؤهم على الكذب فإنه كما يمتنع في العادة تواطؤ الجميع على الكذب يمتنع تواطؤهم على كتمان ما تتوفر لهمم والتمواعي على بيانه ألا ترى الباطنية ونحوهم أبطنوا بخلاف ما أظهروه للناس وسعوا في ذلك بكل طريق وتواطؤوا عليه ما شاء الله حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميع إذ كيا الناس من موافقيهم ومخالفهم وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم ورفع أستارهم ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم ولا ثقة بما يخبرون به ولا التزام طاعة ما يأمرونه وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر

به وبما يأمر به وحينئذ فينتقض عليه جميع ماخاطب به الناس فانه مامن خطاب يخاطبهم به الا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلا يتقون بأخباره وأوامره فيختل عليه الامر كله فيكون مقصوده صلاحهم فيعود ذلك بالفساد العظيم بل كل من وافقه فلا بد أن يظهر خلاف ما بطن كاتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم لا تجدد أحداً من موافقيهم الا ولا بد أن يبين ان ظاهره خلاف باطنه ويحصل لهم بذلك من كشف الاسرار وهتك الاستار ما يصيرون به من شرار الكفار واذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر فاما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكناً لغيرهم واما أن لا يكون فان لم يكن ممكناً كان مدعي ذلك كذاباً مفترياً فبطل قول هؤلاء للملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم وان كان العلم بذلك ممكناً علم بعض الناس مخالفة الباطن لظاهره وليس لمن يعلم ذلك حد محدود بل اذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر . ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وامره لا يعتقدون باطن ما أخبر به ولا ما أمر بل يظهر عليه من مخالفة أمره والاعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد ولا تجد في أهل الايمان من يحسن بهم الظن بل يظهر فسقهم ونفاقهم لعوام المؤمنين فضلا عن خواصهم وأيضاً فمن كانت هذه حاله كل خواصه اعلم الناس بباطنه والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن ومن علم حال خاصة النبي صلى الله عليه وسلم كابي بكر وعمر وغيرهما من السابقين الاولين علم انهم كانوا اعظم الناس تصديقاً لباطن امر خبره وظاهره وطاعتهم له في سرهم وعلايتهم ولم يكن احد منهم يعتقد في خبره وامره ما يناقض ظاهر ما بينه لهم ودلهم عليه وارشدهم اليه ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف ما دل عليه لا فيما أخبر به الله عن اسمائه وصفاته ولا فيما أخبر به عما بعد الموت وان ما ظهر من هذا ما ظهر الا ممن هو عند الأمة من أهل النفاق والاتحاد كالقرامطة والفلاسفة والمجهمية نفقة حقائق الاسماء والصفات ومن تمام

هذا ان تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص احداً من اصحابه بخطاب في علم الدين قصد كتمانته عن غيره ولكن كان قد يسأل الرجل عن المسألة التي لا يمكن جوابها فيجيب بما ينفعه كالأعرابي الذي سأله عن الساعة والساعة لا يعلم متى هي فقال « ما اعدت لها ؟ فقال ما اعدت لها من كثير عمل ولكني أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب » فأجابه بالمقصود من علمه بالساعة ولم يكن يخاطب اصحابه بخطاب لا يفهمونه بل كان بعضهم اكل فهماً لكلامه من بعض كما في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله قال « ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختر ذلك العبد ما عند الله فبكي ابو بكر وقال بل تفديك بأنفسنا واموالنا يا رسول الله فجعل الناس يعجبون أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخبير وابو بكر أعلننا به » فالتبني صلى الله عليه وسلم ذكر عبداً مطلقاً لم يعينه ولا في لفظه ما يدل عليه لكن ابو بكر لكامل معرفته بمقاصد الرسول علم انه هو ذلك العبد فلم يخص عنهم بباطن يخالف الظاهر بل يوافقه ولا يخفي مفهوم لفظه ومضاه:

وأما ما يرويه بعض الكنايين عن عمر أنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كلزنجي بينهما » فهذا من أظهر الأكاذيب المتعلقة لم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من كتب أهل العلم وهو من أظهر الكذب فان عمر أفضل الأمة بعد أبي بكر وهو المحدث الملمم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو أفضل مخاطبين المحدثين من هذه الأمة فلماذا كان هو حاضراً يسمع الألفاظ ولم يفهم الكلام كلزنجي فهل يتصور ان يكون غيره افهم منه لذلك فكيف من لم يسمع ألفاظ الرسول بل يزعم ان ما يدعيه من المعاني هي تلك المعاني بمجرد الدعوى التي لو كانت مجردة لم تقبل فكيف اذا قامت اليقينة على كذب مدعيها

وأما حديث حذيفة فقد ثبت في الصحيح ان حذيفة كان يعلم السر الذي

لا يعلمه غيره وكان ذلك ما أسره اليه النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك من أعيان المنافقين فانه روى أن جماعة من المنافقين أرادوا أن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط عن بعيره فيموت وانه أوحى اليه بذلك وكان حذيفة قريباً منه فأسر اليه أسماء م : ويقال ان عمر لم يكن يصلي على أحد حتى يصلي عليه حذيفة وهذا ليس فيه شيء من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر فان الله قد ذكر في كتابه من صفات المنافقين وأخبارهم ما ذكره حتى ان سورة «براءة» سميت الفاضحة لكونها فضحت المنافقين وسميت المعتمرة وغير ذلك من الاسماء. لكن القرآن لم يذكر فلاناً وفلاناً فاذا عرف بعض الناس ان فلاناً وفلاناً من هؤلاء المنافقين الموصوفين كان ذلك بمنزلة تعريفه ان فلاناً وفلاناً من المؤمنين الموعودين بالجنة فاخبره صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة كاخباره ان أولئك منافقون وهذا اذا كان من العلم الباطن فهو من الباطن الموافق للظاهر المحقق له المطابق له ونظيره في الامر ما يسمى بتحقيق المناط وهو ان يكون الشارع قد علق الحكم بوصف فنعلم ثبوته في حق الممين كأمره باستشهاد ذوى عدل ولم يعين فلاناً وفلاناً فاذا علمنا ان هذا ذو عدل كنا قد علمنا ان هذا الممين موصوف بالعدل المذكور في القرآن وكذلك ما حرم الله الحمر والميسر فاذا علمنا ان هذا الشراب المصنوع من القرة والصل خمرأ علمنا انه داخل في هذا النص فعلمنا بأعيان المؤمنين وأعيان المنافقين هو من هنا الباب وهذا هو من تأويل القرآن وهذا على الإطلاق لا يعلمه إلا الله فان الله يعلم كل مؤمن وكل منافق ومقابر ايمانهم ونفاقهم وما ينجم لهم وأما الرسول فقد قال تعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) والله يطلع رسوله ومن شاء من عباده على ما يشاء من ذلك

وأما حديث أبي هريرة فهو صحيح قال «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين فأما أحدهما فنته فيكم وأما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا البلعوم»

ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخالف الظاهر شيء بل ولا فيه من حقائق الدين وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفن فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار والفن ما يكون بين المسلمين ولهذا قال عبد الله بن عمرو لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم وتفعلون كذا وكذا لقلتم كذب أبو هريرة وأظهار مثل هذا مما تسكره الملوك وأعوانهم لما فيه من الاخبار بتغير دولهم؛ وما يبين هذا أن أبا هريرة إنما أسلم عام خير فليس هو من السابقين الأولين ولا من أهل بيعة الرضوان وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحديثه وغيره بالحديث فيسـمونه كلهم ولكن أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ذات يوم حديثاً أبكم ييسر توبه فلا ينسى شيئاً سمعه ففعل ذلك أبو هريرة وقد روى أنه كان يجزى الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً يصلي وثلثاً ينام وثلثاً يدرس الحديث ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثاً يوافق الباطنية ولا حديثاً يخالف الظاهر المعلوم من الدين ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه أحد شيئاً منه بل النقول للتواتر عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين وقد روى من احاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق المبادات ما يوافق اصول أهل الايمان ويخالف قول أهل البهتان .

وأما ما يروى عن أبي سعيد الخراساني وأمثاله في هذا الباب ما يذكره أبو طالب في كتابه وغيره وكلام بعض المشايخ الذي يظن أنه يقول بباطن يخالف الظاهر وما يوجد من ذلك في كلام أبي حامد الغزالي أو غيره فالجواب عن هذا كله أن يقال ما علم من جهة الرسول فهو قتل مصدق عن قاتل معصوم وما عارض ذلك فاما أن يكون قتلًا عن غير صدق أو قولاً لغير معصوم فإن كثيراً ممن ينقل عن هؤلاء كذب عليهم والصدق من ذلك فيه ما أصابوا فيه تارة وأخطأوا فيه أخرى وأكثر عباراتهم الثابتة ألفاظ مجملة متشابهة كانت من ألفاظ المعصوم

لم تعارض الحكم المعلوم فكيف اذا كانت من قول غير المعصوم - وقد جمع أبو الفضل السهلي كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه النور من كلام طيفور فيه شيء لا ريب انه كذب على أبي يزيد البسطامي وفيه أشياء من غلط أبي يزيد رحمه الله عليه وفيه أشياء حسنة من كلام أبي يزيد وكل أحسن الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم أحداً من أمة محمد يدخل النار فانا منكم برى. فعارضه الآخر^(١) وقال قلت لريدى ان تركتم أحداً من أمة محمد يدخل النار فانا منكم برى، فصدق هذا النقل عنه ثم جمل هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه ان كان قد علم ما أخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبار وان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان تطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيمتنعون ويعتذرون ثم صدق ان مريدى أبي يزيد أو غيره يمتنعون أحداً من الأمة من دخول النار أو يخرجون هم كل من دخلها كان ذلك كفراً منه بما أخبر به الصادق المصدق بحكاية منقولة كذب ناقلها أو اخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لا يعلم ما أخبر به الرسول كان من أجهل الناس بأصول الإيمان - فعلى المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجتهد في ان يعرف ما أخبر به الرسول وامر به علماً يقيناً وحينئذ فلا يدع الحكم المعلوم للمشتبه المجهول فان مثال ذلك مثل من كان سائراً الى مكة في طريق معروفة لاشك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لا يعرفها ولا يعرف متنها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لا يدري هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك: واما من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق للمعرفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذا حال من ترك

(١) هكذا الاصل فليراجع فان المعارضة غير ظاهرة

المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمر وكائن من كان فان كل احد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في هذا الباب من عجائب الامور مالا يحصيه إلا العليم بذات الصدور

وأما الحديث المأثور «ان من العلم كهية المكنون لا يطلع إلا أهل العلم بالله فاذا ذكره لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» فهذا قد رواه أبو اسماعيل الانصاري شيخ الاسلام في كتابه الذي سماه الفاروق بين المثبتة والمعطلة وذكر فيه احاديث الصفات صحيحها وغلبيها ومسندها ومرسلها وموقوفها وذكره أيضاً أبو حامد الغزالي في كتبه: ثم هذا يفسره بما يناسب أقواله التي يميل فيها الى ما يشبه أقوال نقاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم

وذكر شيخ الاسلام عن شيخه يحيى بن عمار أنه كان يقول المراد بذلك احاديث الصفات فكان يفسر ذلك بما يناقض قول أبي حامد من اقوال اهل الاثبات: والحديث ليس اسناده ثابتاً باتفاق أهل المعرفة ولم يرو في أمهات كتب الحديث المعتمدة فلا يحتاج الى الكلام في تفسيره واذا قدر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كلام مجمل ليس فيه تعيين لقول معين فحينئذ فما من مدع يدعي ان المراد قوله الا كان لخصمه أن يقول نظير ذلك: ولا ريب ان قول يحيى ابن عمار وأبي اسماعيل الانصاري ونحوهما أقرب من قول النقاة ان هذا العلم هو من علم النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق وعام الصحابة: ومن المعلوم ان قول النقاة لا ينقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه لا باسناد صحيح ولا ضعيف بخلاف مذهب المثبتة فان القرآن والحديث والآثار عن الصحابة مملوءة به فكيف يحمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم على علم لم ينقله عنه احد ويترك حمله على العلم المنقول عنه وعن أصحابه وكذلك ما ذكره البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال «حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما يكرهون أتحبون أن يكذب الله ورسوله» قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيد الفيلسوف وأمثاله

على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات وهذا تحريف ظاهر فان قول علي
 آمجبون أن يكذب الله ورسوله دليل على ان ذلك ما اخبر به النبي صلى الله
 عليه وسلم وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها
 مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لاصحياً ولا ضعيفاً فكيف يكذب
 الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله بخلاف ما رواه أهل الاثبات
 من أحاديث صفات الرب وملائكته وجته وناره فان هذا كثير مشهور قد
 لا تحتمله عقول بعض الناس فاذا حدث به خيف أن يكذب الله ورسوله: ومن
 هذا الباب قول عبد الله بن مسعود «ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا يلفظه عقولهم
 الا كان فتنة لبعضهم» وابن مسعود فيما يقول ذا كراً أو أمراً من أعظم الناس اثباتاً
 للصفات وأرواهم لاحاديثها واصحابه من اجل التابعين والنفهم في هذا الباب
 وكذلك اصحاب ابن عباس فكل من كان من الصحابة اعلم كان اثباته واثبات
 اصحابه ابلغ: فعلم ان الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف ما يظهرون ولا يظهرون
 الاثبات ويبطنون النفي ولا يظهرون الامر ويبطنون امتناعه بل هم اقوم الناس
 في تصديق الرسول فيما اخبر وطاعته فيما امره وهذا باب واسع دخل فيه من
 الامور ما لا يتسع الموضع لتفصيله ولكن نعلم جماع الامران كل قول وعمل
 فلا بد له من ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من حقائقه
 ومعانيه بالجنان وظاهر العمل حر كالت ابدان وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه
 ومقاصد الانسان

فالمتفق لما اتى بظاهر الاسلام دون حقائق الايمان لم ينفعه ذلك وكان من اهل
 الخسران بل كان في الشرك الاسفل من النار قال تعالى (ومن الناس من يقول
 آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون
 إلا انفسهم وما يشعرون) الآيات فان الله انزل في اول سورة البقرة اربع آيات
 في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين
 وقال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك

لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقال تعالى (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) الآية : والملاحظة يظهر من موافقة المسلمين ويبطنون خلاف ذلك وهم شر من المنافقين فان المنافقين نوعان نوع يظهر الايمان ويبطن الكفر ولا يدعى ان الباطن الذي يبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان والملاحظة تدعى ان ما تبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان وان الانبياء والاولياء هم من جنسهم يبطنون ما يبطنون مما هو كفر وتعطيل فهم يجمعون بين ابطان الكفر وبين دعواهم ان ذلك الباطن هو الايمان عند اهل العرفان فلا يظهرون للمستجيب لهم ان باطنه طعن في الرسول والمؤمنين وتكذيب له بل يجعلون ذلك من كمال الرسول وتعام حاله وان الذي فعله هو الغاية في الكمال وانه لا يفعله إلا اكل الرجال من سياسته الناس على السيرة العادلة وعمارة العالم على الطريقة الفاضلة وهذا قد يظنه طوائف حقاً باطنا وظاهراً فيؤول امرهم الى ان يكون النفاق عندهم هو حقيقة الايمان: وقد علم بالاضطرار ان النفاق ضد الايمان ولهذا كان اعظم الابواب التي يدخلون منها بلب التشيع والرفض لان الرفض اجمل الطوائف واكذبها وابعدها عن معرفة المنقول والمعقول وهم يحملون التقية من اصول دينهم ويكذبون على اهل البيت كذباً لا يحصىه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق انه قال : التقية ديني ودين آبائي . والتقية هي شعار النفاق فان حقيقتها عندهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق ثم اذا كان هذا من اصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون عن علي أو غيره من اهل البيت مما فيه موافقة اهل السنة والجماعة يقولون هذا قالوه على سبيل التقية ثم فتحوا باب النفاق لقراءة الباطنية الفلاسفة من الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم فجعلوا ما يقوله الرسول هو من هذا الباب أظهر به خلاف ما أبطن وأسر به خلاف ما أعلن فكأن حقيقة قولهم ان الرسول هو امام للائقين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المبين للناس منزلة اليهم للمبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان

قومه ليعين لهم) وقال تعالى (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشربه المتقين وتنذر به قوماً لداً) وقال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال تعالى (إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الاباب) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقالت الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وماعلينا الا البلاغ المبين) وقال (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين)^١ وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) فهذا ونحوه مما يبين ان الرسل عليهم أن يبلغوا البلاغ المبين — يقال بان الشيء وأبان واستبان وتبين وبين كلها أفعال لازمة : وقد يقال أبان غيره وبينه وتبينه واستبانه —

١ - ابراهيم ٤

٢ - الزخرف ٣

٣ - القمر ١٧

٤ - مريم ٩٧

٥ - النحل ١٠٣

٦ - النحل ٤٤

٧ - القيامة ١٧ - ١١

٨ - من ٢٩

٩ - محمد ٢٤

١٠ - النحل ٢٥

١١ - يس ١٦ - ١٧

١٢ - النور ٥٤

١٣ - التباين ١٢

١٤ - الثلاثة ٦٧

١٥ - آل عمران ١٨٧

١٦ - البقرة ١٤٠

١٧ - البقرة ١٥٩

ومعلوم ان الرسل فعلوا ما عليهم بل أخذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتسوه وذم كاتميه فقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) وقال تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلمهم اللاعنون) فقد لعن كاتميه وأخبر انه بينه للناس في الكتاب فكيف يكون قد بينه للناس وهو قد كتم الحق وأخفاه وأظهر خلاف ما أبطن فلو سكت عن بيان الحق كان كاتمياً ومن نسب الانبياء الى الكذب والكتمان مع كونه يقول أنبياء فهو من أشر المنافقين وأخبثهم وأبينهم تناقضاً وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر

ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء. وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك
 مسلك الباطنية في بعض الأمور لاني جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة
 عن بعض الخواص أو حل الحر وغيرها من المحرمات لهم أو ان لبعضهم طريقاً
 الى الله عز وجل غير متابعة الرسول وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر
 ويظنون ان الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الاولياء ما جاز له من
 الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين : أحدهما ان الخضر لم يخرج
 عن الشريعة بل الذي فعله كان جائزاً في شريعة موسى ولهذا لما بين له الاسباب
 أقره على ذلك ولو لم يكن جائزاً لما أقره ولكن لم يكن موسى يعلم الاسباب التي
 بها أبيع تلك كالمالك الظالم فذكر ذلك له الخضر . والثاني ان الخضر لم يكن
 من أمة موسى ولا كان يحب متابعتها بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه
 الله لاتعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لأعلمه وذلك ان دعوة
 موسى لم تكن عامة فان النبي كان يبعث الى قومه خاصة ومحمد صلى الله عليه
 وسلم بعث الى الناس كافة بل بعث الى الانس والجن باطنياً وظاهراً فليس
 لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعتها لاني الباطن ولا في الظاهر لامن الخواص
 ولامن العوام ومن هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد يجعلون
 الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل الطريق المقتدى بهم دع عنك
 سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب ختم
 الاولياء بكلام ذكر انه يكون في آخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة
 وربما لوح بشيء من ذكر الانبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه
 من البلد بسبب ذلك ولا ريب انه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه
 ومن هناك ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعة يدعي كل واحد انه خاتم
 الاولياء كابن عربي صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما وصار
 بعض الناس يدعي ان في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر
 وعمر والمهاجرين والانصار الى امثال هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو

باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرون آل الامر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا ان من شهدا سقط عنه الامر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء) وهؤلاء شر من القدرية المعزلة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالتقدير فان اولئك يشبهون الجحوش وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالانبياء والشرائع فهم من شر الناس: وقد بسط الكلام على هذه الامور في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الظاهر لا بد له من باطن يحققة ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه ويوافق باطنه ويصدقه ويحققه فكما ان الانسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد لدين الانسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبو هريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وقد قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأمدهم بروح منه) وقال تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) وقال تعالى (فمن برد الله أن يهديه بشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء) وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن

١ - الأنعام ١٤٨

٢ - المجادلة ٢٢

٣ - الفتح ٤

٤ - الأنعام ١٢٥

٥ - الزمر ٢٣

٦ - الأنفال ٢

قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطهثن القلوب) وأمثال هذا كثير في القرآن
وقال في حق الكفار (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال (ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وأمثال : ذلك فنسأل الله
العظيم أن يصلح بواطننا وظواهرنا ويوقفنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا بمنه
وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسلياً كثيراً

﴿ ختم الرسالة ﴾



١ - الرعد ٢٨

٢ - للأنبياء ٤١

٣ - البقرة ٧

وقد طبعت هذه الرسالة على نسخة بخط الشيخ محمد بن عبد الرزاق حزة
بعد مراجعتها على نسخة موجودة في المكتبة الإلهية المصرية نمرها ٢٤٣٦
فن التصوف .

رسالة

في رفع اليدين في الصلاة

« للشيخ الامام »

تقي الدين السبكي • المتوفى سنة ٨٧٥ هـ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الاحاديث الواردة في رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ملخصة لخصها
الشيخ الامام العالم مفتي المسلمين قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن
عبد الكافي بن تمام السبكي الشافعي أحسن الله توفيقه آمين
عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع
يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع
رفعهما كذلك » رواه البخاري ومسلم • وفي رواية البيهقي « فما زالت تلك
صلاته حتى لقي الله تعالى » • عن أبي قلابة أنه رأى مالك بن الحويرث « إذا
صلى كبر ورفع يديه إذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا أراد رفع رأسه من الركوع
رفع يديه وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع هكذا » رواه البخاري
ومسلم • وفيه في سنن أبي داود عن مالك بن الحويرث قال « رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع » •
عن وائل بن حجر رضى الله عنه وهو من أولاد الملوك « أنه رأى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم رفع يديه حين دخل في الصلاة كبر وصفها حيال أذنيه ثم

(١) أ عده هذه الرسالة من مصنفات والده تاج الدين السبكي في طبقات النفعية

التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرجه يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه « رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري في كتاب رفع اليدين » وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم قتادة وأبو أسيد وسهل بن سعد ومحمد بن مسلمة « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه » رواه جماعة منهم أبو داود والبخاري في كتاب رفع اليدين وغيرهما بأسانيد صحيحة وأصله في البخاري « عن أنس رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا دخل في الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه مرفوعا والبخاري في كتاب رفع اليدين موقوفا والبيهقي مرفوعا بعضهم يزيد على بعض وسنده صحيح * عن أبي هريرة رضي الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الصلاة حذو منكبيه حين يفتتح الصلاة وحين يركع وإذا رفع للسجود » رواه أبو داود والبخاري في كتاب رفع اليدين * عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الظهر يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له * عن أبي موسى رضي الله عنه « قال هل أريكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ورفع يديه للركوع ثم قال سمع الله لمن حمده ورفع يديه ثم قال هكذا فاصنعوا » رواه الدارمي * عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما « أنه صلى بهم يشير بكفيه حين يقوم وحين يركع وحين يسجد وحين ينهض قال ميمون فأنطلقت إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال إن أحببت أن تنظر إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدوا بصلاة ابن الزبير » رواه أبو داود * عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يصلي هكذا « يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا رفع رأسه من الركوع وقال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان يفعل مثل ذلك »

رواه البيهقي وقال رواه ثقات عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع»
 رواه الدارقطني عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه «أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع ويصنعه إذا رفع من الركوع» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني والطحاوى والبخاري في كتاب رفع اليدين وقال الترمذي حسن صحيح *
 وسئل أحمد عنه فقال صحيح عن عمر الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة» رواه ابن ماجه * عن البراء بن عازب رضى الله عنه «قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه وإذا أراد أن يركع وإذا رفع رأسه من الركوع» رواه الحاكم ثم البيهقي * عن النضر بن كثير «قال صلى إلى جنبي ابن طاووس فكان إذا سجد السجدة الأولى فرفع رأسه منه رفع يديه تلقاء وجهه فقال ابن طاووس رأيت أبي يصنعه وقال اني رأيت ابن عباس رضى الله عنهما يصنعه ولا أعلم الا أنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يصنعه» رواه أبو داود والنسائي * عن حميد بن هلال قال حدثني من سمع العرابي يقول «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يصلي يرفع» رواه أبو نعيم الفضل بن دكين *
 حديث مرسل * عن قتادة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع» رواه عبد الرزاق في جامعه * حديث آخر مرسل عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يكبر رفع يديه لا يجاوز أذنيه وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه لا يجاوز أذنيه» رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة: حديث عن سليمان «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه في الصلاة» رواه مالك في الموطأ
 عدل الصحابة الذين نقل عنهم رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن

ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومالك بن الحويرث وريد بن ثابت وإبني بن كعب وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس والحسين بن علي والبراء بن عازب وزباد بن الحارث وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وأبو قتادة وسليمان وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر وبريرة وأبو هريرة وعمار بن ياسر وعدى ابن عجلان وعمر الليثي وأبو مسعود الانصاري وعائشة وأبو الدرداء وابن عمر وابن الزبير وأنس ووائل بن حجر وأبو حميد وأبو أسيد ومحمد بن سلمة وجابر وعبد الله بن جابر البياضي واعرابي صحابي ف هؤلاء، ثلثة وأربعون صحابيا رضى الله عنهم رواه منهم الخلفاء، الراشدون والعشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة: العلماء القائلون برفع اليدين الصحابة لم يستثن منهم واحد ولم يصح عن أحد منهم تركه: ومن التابعين فمن بعدهم علماء أهل مكة والمدينة والحجاز واليمن والشام وأكثر أهل العراق والبصرة وأكثر أهل خراسان منهم سعيد بن جبير وعطاء ابن رياح ومجاهد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد العزيز والنعمان بن أبي عباس والحسن البصري وابن سيرين وطاوس ومكحول وعبد الله بن دينار ونافع والحسن بن مسلم وقيس بن سعد وابن المبارك وعامة أصحابه: ومحدثو أهل بخارى منهم عيسى بن موسى وكعب بن سعيد ومحمد بن سلام وعبد الله ابن محمد المسندي والاوزاعي ومالك بن أنس في مشهور قوله والشافعي واحد واسحق ويعقوب والحليدي وابن المديني وابن معين وأهل الظاهر: وذهب الاوزاعي والحليدي وجماعة غيرها الى أنه واجب وأنه يفسد الصلاة بتركه ومن الدليل لوجوبه أن مالك بن الحويرث رضى الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفعل في الصلاة وقال له ولاصحابه «صلوا كما رأيتموني أصلي» والامر للوجوب وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا رأى رجلا لا يرفع يديه رماه بالحصى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

رسالة

في الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

تأليف

« شيخ الاسلام »

الحافظ ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني

المتوفى سنة ٨٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله غافر الذنوب وان عظمت كاشف الكرب ولو استحكمت احده
والحمد له من أوثق عرى الايمان واشكره واشكر له سبب مزيد الامتان وأشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله الى
الناس رحمة شاملة وبركة كاملة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هاجروا معه
والذين نصره والذين اتبعوا ما أنزل اليه من ربه فوازره ووافدوه وعلى
الذين اتبعوهم باحسان والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان صلاة وسلاماً دائماً ما تعاقب الملوان ونجدد الجديدان:

وبعد فهذه أحاديث نبوية تتبعها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة
تحت معنى واحد رائق وهو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ما تقدم من الذنوب
وما تأخر على لسان المصدوق الصادق وقد رتبها على الابواب ليسهل كشفها

على الطلاب وسميتها بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة: وقبل الشروع في ايراد الاحاديث فقد أردت ان أذكر شيئاً من كلام الأئمة هنالك في جواز وقوع ذلك فمن ذلك ان الأئمة رضى الله عنهم تكلموا على قوله صلى الله عليه وسلم في اهل بدر « ان الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » بالجزم والرواية الاخرى « لعل الله » وقوله اعملوا للتكريم والمراد ان كل عمل عمله البدرى لا يؤاخذ به وقيل ان افعالهم السيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع وقيل انهم حفظوا فلا تقع منهم سيئة : ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد في صوم يوم عرفة وانه يكفر ذنوب سنتين الماضية والمستقبلة وهو دال على وجود التكفير قبل وقوع الذنب

ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوماً طيب النفس فقلت يا رسول الله ادع الله لى فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت » الحديث « وقال لعمر رضى الله عنه « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما هو كائن الى يوم القيامة » فدعاء المعصوم بذلك لبعض امته دل على جواز وقوع ذلك واذا علم انه تعالى مالك كل شيء له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لم يمتنع ان يعطى من شاء ما شاء (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فلنشرع في ايراد ما وعدنا به والله سبحانه أسأل ان ينفع به انه قريب مجيب لا إله الا هو عليه توكلت واليه أنيب

(من كتاب الطهارة) قال ابو بكر بن ابى شيبة في مصنفه ومسنده معا من رواية حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان قال « دعا عثمان رضى الله عنه بوضوء في ليلة باردة وهو يريد الخروج الى الصلاة فبجته بماء فاكثر تردد الماء على وجهه ويديه فقلت له حسبك قد أسبغت الوضوء واليلة شديدة البرد فقال صب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ الوضوء عبد إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه ايضا ابو بكر احمد بن على

المروزي شيخ النسائي والبخاري في مسنده وأصل الحديث في الصحيحين لكن ليس فيهما « وما تأخر »

﴿ من كتاب الصلاة ﴾ قال أبو عوانة الاسفرائيني في مستخرجه الصحيح على مسلم من رواية سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال « وفي رواية محمد بن عامر » من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله الا الله قال أشهد أن لا إله الا الله رضى الله به ربا وبالإسلام ديناً ومحمد صلى الله عليه وسلم نبياً » وفي رواية محمد بن عامر « رسولاً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل يا سعد ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وليس عندهم « وما تأخر »

﴿ حديث صلاة التسبيح ﴾ قال أبو داود من رواية ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب يا عم ألا أعطيك الا امنحك الا احبوك الا افعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده صغيره وكبيره سره وعلايته ان تصلى اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركب فتقولها وانت راكع عشراً ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ثم تهوى ساجدا فتقولها وانت ساجد عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصلها في كل يوم مرة فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عرك » هكذا أورده أبو داود والترمذي وأورده ابن خزيمة وله شواهد أخر

(حديث في التأمين في الصلاة) قال ابن وهب في مصنفه ان أبا هريرة رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أمن الامام فأمنوا فان الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا روينا في المجلس الثاني من أمالي عبدالله الجرجاني وهذا الحديث أخرجه مسلم وابن ماجه وليس فيه « ماتأخر »

(حديث في فضل الضحى) قال آدم بن اياس في كتاب الثواب عن علي كرم الله وجهه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبعة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ورفع له مائتي درجة وغفر له ذنوبه كلها ماتقدم منها وماتأخر الا القصاص » لكن اسناده ضعيف جداً

(حديث في فضل القراءة بعد الجمعة) قال أبو عبدالرحمن السلمى عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا سلم الامام من صلاة الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعاً سبعاً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأعطى من الاجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر » هكذا رواه أبو الاسعد القشيري وفي اسناده ضعف شديد جداً وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما « من قرأ بعد صلاة الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الاخرى » وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر فاتحة الكتاب وقال « حفظ وكفي من مجله ذلك الى مثله »

(حديث في فضل الصيام) قال الامام احمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقيام رمضان من غير أن يأمرنا فيه بعزيمة ويقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا أخرجه الامام احمد في مسنده : ورواه مسلم وغيره من طرق كثيرة من غير « وماتأخر » : وقال النسائي في السنن الكبرى له عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية أبي قتيبة « غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي حديث قتيبة « وما تأخر » كذا رواه النسائي عن قتيبة وتابعه حامد بن يحيى رضي الله عنه

(حديث في فضل قيام ليلة القدر) قال الامام احمد في مسنده عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامين ابتغاء حسبتن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » هذا حديث رجاله ثقات : وفي طريق أخرى عن عبادة رضي الله عنه أيضاً « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في رمضان فالتسوها في العشر الأواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها إيماناً واحتساباً ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وذكر الطبراني في المعجم نحوه

(حديث في صيام يوم عرفة) قال ابو سعيد النقاش الحافظ في أماليه عن ابن عمر رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وقد ثبت في صحيح مسلم انه يكفر ذنوب السنة الماضية والمستقبله فلعل ذلك المراد من قوله « ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

(من كتاب الحج : حديث في فضل الالهلال من المسجد الأقصى) قال ابو داود في كتاب السنن له عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « أنهى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بمحجة أو عمرة للمسجد الأقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة » شك عبدالله ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال « فيه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة » هكذا نسخته بواو وليس قبلها الف : ورواه البخاري

في تاريخه الكبير ولم يذكر فيه « وما تأخر »

(حديث في فضل الحج الخالص) قال ابو نعيم في الحلية من رواية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في من دعا له » : (حديث في ذلك) قال ابو عبد الله بن مندة في أماليه عن عائشة رضي الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان في حوز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله وان بقى حتى يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق درهم في ذلك الوجه يعدل الف الف في ما سواه في سبيل الله » ورويناه في الجزء السابع من كتاب الترغيب لابن حفص عمر بن شاهين * (حديث آخر في ذلك) أخرجه احمد بن منيع في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير * كذلك حديث آخر ذكر القاضي عياض في الشفا « ان من صلى خلف مقام ابراهيم ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين »

(حديث في فضل قراءة آخر سورة الحشر) قال أبو اسحق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

(حديث في فضل تعليم الولد القرآن) قال أبو بكر بن لال في كتاب مكارم الاخلاق عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علم ابنه قرآناً فكلماً قرأ آية رفع الله بها للاب درجة حتى ينتهي الى آخر ما معه من القرآن »

(حديث في فضل التسبيح والتهليل والتكبير) قال أبو عبد الله محمد بن حيان في فوائد الاصفهانيين « عن أم هانئ رضي الله عنها وكانت تكثر الصيام

والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ضعفها فقال سأخبرك بما هو عوض عن ذلك تسبحين الله مائة مرة فتلك مائة رقبة تعتيقها متقبلة وتحمدين الله مائة مرة فذلك مائة بدنة تهدينها متقبلة وتكبرين الله مائة مرة وهناك يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» قال وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «من عد في البحر أربعين موجة وهو يكبر الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وان الامواج لتحت الذنوب حثا» (من كتاب الجهاد: حديث في فضل الرباط بمعكا) قال أبو الحسن الربيعي في كتاب فضائل الشام عن أنس رضي الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملاء الله بطنه نوراً ومن أفاض منها كان طاهراً الى يوم القيامة» اسناده مجهول

(حديث في فضل قود الاعمى) خرج أبو عبد الله بن مندة في أماليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» قال عبد الله هو غريب وقال الامام احمد وابن معين وأبو داود واثبتاه

(حديث في فضل السعي في حجة المسلم) أخرج أبو احمد عبد الله بن محمد والمفسر الناصح عن أنس رضي الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لآخيه المسلم في حاجته قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق»

(حديث في فضل المصافحة) قال الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «قال ما من عبيدين متحابين في الله» وفي رواية «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر» أخرجه ابن حبان

(حديث في فضل الحمد عقيب الاكل) قال أبو داود في السنن عن سهل ابن معاذ بن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » اسناده حسن وسهل بن معاذ بن أنس هو الجهني المصري تابعي مشهور بالصدق

(حديث في فضل التعمير في الاسلام) وقع لنا من حديث عبد الله بن أبي بكر الصديق ومن حديث عثمان بن عفان ومن حديث شداد بن أوس ومن حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عباس ومن حديث عبد الله بن عمر ومن حديث أنس رضي الله عنهم أجمعين أما حديث عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة عن عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه فإذا أبلغ سبعين سنة أحبه الملائكة » وفي رواية « أهل السماء فإذا بلغ ثمانين سنة أثبت حسناته ومحيت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته » وفي رواية غير البغوي « شفعه الله في أهل بيته يوم القيامة » وأما حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه فروى الترمذي عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله جل ذكره إذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلاء الثلاث من الجنون والجذام والبرص فإذا أبلغ خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً فإذا بلغ ستين سنة حبيت اليه الانابة فإذا بلغ سبعين سنة أحبه الملائكة فإذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته والقيت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة أسير الله في أرضه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهل بيته » وأما حديث شداد بن أوس رضي الله عنه فقد أخرجه ابن حبان من طريق زيد بن

الحباب فذكر نحو ما تقدم : وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فقال الترمذى الحكيم في نوادر الاصول عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا بلغ أربعين سنة وهو العبر منه الله من الخصال الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة وهو الدهر خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة وهو في ادبار من قوته رزقه الله الانابة اليه فيما يحبه فاذا بلغ سبعين سنة وهو الحقب أحبه أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة وهو الخرف أثبت حسناته ومحبت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة وهو القدر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهل بيته وسماه أهل السماء أسير الله فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض وحق على الله أن لا يعذب حبيبه » وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فقال الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال يشغر الغلام لتسع سنين ويحتلم في أربع عشرة سنة ويتم طوله لاحدى وعشرين سنة ويجمع له عقله لثمان وعشرين سنة ثم لا يزداد بعد ذلك عقلا إلا بالتجارب فاذا بلغ أربعين سنة عافاه الله من أنواع البلاء من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ ستين سنة حبه الله الى أهل سمائه وأهل أرضه فاذا بلغ سبعين سنة أثبت حسناته ومحبت سيئاته فاذا بلغ ثمانين سنة استحيى الله تعالى منه أن يعذبه فاذا بلغ تسعين سنة كان أسير الله في أرضه فلم يخط عليه القلم بحرف » وأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فله طرق كثيرة فمن أصحها ما ذكره البيهقي في كتاب الزهد له عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في الارض وشفع في أهل بيته »

وقال ابو يعلى في مسنده يرفع الحديث قال « المولود اذا لم يبلغ الحنث فما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر الملكان اللذان معه أن يحفظاه ويسداه. فاذا بلغ أربعين سنة فكما تقدم » ومن شواهد هذا ما أخرجه ابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من بلغ الثمانين من هذه الامة يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة » ومن شواهد أيضا ما أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (في أحسن تقويم) أي في أعدل خلق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى أرذل العمر (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن أرذل العمر وكان يعمل في شبابه عملا صالحا كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضره ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا واسناده صحيح : ومما يدل على شهرة هذا الحديث في المتقدمين ما قاله الحسن بن الضحاك في أبيات

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| أنا في الثمانين وفيتها | وعندي قبول ولم أعتذر |
| وقد رفع الله أعلامه | عن ابن ثمانين دون البشر |
| وانى لمن أسراء الله في الا | رض نصيب صروف القدر |
| فان يقض لي عملا صالحا | أثاب وان يقض شرأغفر |

وله أيضا

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| أصبحت من أسراء الله محتسبا | في الارض تحت قضاء الله والقدر |
| ان الثمانين إذ أوفيت عدتها | لم تبق باقية منى ولم تدر |

قال المصنف :

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| يارب أعضاء السجود عتقتها | من فضلك الوافي وأنت الواقى |
| والعتق يسرى بالغنى اذا الغنى | فامنن على الفاني بعق الباقى |

ونعمت الرسالة وتم بها المجلد الاول من المجموعة المنيرية والحمد لله أولا وآخرآ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى: (واما بعد)
فان ادارة الطباعة المنيرية لم تزل باذلة جهدها في نشر الكتب العلمية
النافعة التي هي علي طريق سلفنا الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم وقد
اختارت رسائل مختلفة في علوم شتى هي من خيرة تأليف علماء المسلمين
المتقدمين وقد جعلتها اجزاء متفرقة تظهر تدريجياً كل جزء منها مستقل
في ذاته لا تعلق له بما تقدم ولا بما تأخر: وقد تم منها الجزء الاول فتزفه
لطلاب العلوم النافعة ونبغاء النشئة الجديدة المتمسكة بدينها والعاملة بما
كان عليه سلفها وقتنا الله واياكم لتلك: وعن قريب سيظهر الجزء الثاني
ان شاء الله تعالى وبه تمى وعليه اعماضى :

مدير

إدارة الطباعة المنيرية

محمد منير الرمشي

من علماء الازهر الشريف

مجموعتنا الرسائل المنيرة

الجزء الثاني

(يشتمل على ١٠ رسائل)



- (١) النواء العاجل في دفع العدو الصائل (٢) العقل والروح (٣) قاعدة نافعة في صفة الكلام كلاهما لابن تيمية (٤) التحف في مذاهب السلف لشوكاني (٥) ايضاح الدلالة (٦) الانصاف لابن عبد البر (٧) الزهر النضر في نبأ الخضر (٨) ترجمة حياة الامام القيث بن سعد المجتهد المطلق كلاهما لابن حجر العسقلاني (٩) شرح الصدر بذكر ليلة القدر للعراقي (١٠) رسالة الامام البيهقي الى الامام الجويني

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

ادارة الطباعة المنيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد النبي الصادق الأمين،
وعلى آله وصحابه ومن ساز على هديه وإرشاده إلى يوم الدين . أما
بعد :

فقد كان لمجموعة الرسائل المنيرية من الأثر أبلغه في نشر ما كان عليه
السلف الصالح من صحيح العقيدة ، وقوة العزيمة ، وصدق الصلة بالله .
ونظراً لما لهذه الرسائل من المكانة عند المؤمنين المخلصين ، فقد رأينا أن
من الواجب علينا مراجعة الآيات القرآنية الكريمة ، وتخريجها ، لأن
منهج هؤلاء العلماء يقوم على الرجوع إلى كتاب الله أولاً ، وسنة نبيه
ثانياً . وقد تمكنا بفضل من الله من مراجعة الآيات آية آية ، فظهر لنا
وقوع الخطأ في أكثر من أربعين آية في المجلد الأول وحده ، فعمدنا إلى
تصحيحها وفقاً لكتاب الله سبحانه وتعالى ، كما أننا حاولنا تصحيح
بعض الكلمات والحروف التي جاءت غير صحيحة أو محرفة وذلك بالقدر
الذي تسمح به طبيعة النسخة التي بين أيدينا وبمقارنة هذه الطبعة
بالطبعة الأصلية أو ما صور عنها يتجلى الفرق واضحاً . والله نسأل أن
يسدد الخطأ لما يحبه ويرضاه . والحمد لله رب العالمين .

القاهرة

في ١١ رمضان ١٤٠٤هـ الموافق ١١ حزيران (يونيو) ١٩٨٤م

مروان كجك

الدواء العاجل

في دفع العدو الصائل

للامام المحقق شيخ الاسلام محمد بن علي الشوكاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك
نعبد وإياك نستعين * ونصلي على رسولك الأمين * وآله الطاهرين *
وصحبه الراشدين *

أما بعد فإنها قد دلت الأدلة القرآنية والأحاديث الصحيحة
النبوية ان العقوبة العامة لانكون إلا بأسباب أعظمها التهاون
بالمعروف والنهي عن المنكر من المكلفين به لاسيما أهل العلم والأمر
القادرين على إنفاذ الحق ودفع الباطل كانت العقوبة قريبة الحدوث ولا
حاجة بنا ههنا الى ايراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فهي
معروفة عند المقصر والكامل :

فاذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على كل فرد أن ينظر في أحوال
نفسه وما يصدر عنه من أفعال الخير والشر فان غلب شره على خيره
ومعاصيه على حسناته ولم يرجع الى ربه ويتخلص من ذنبه فليعلم أنه بين

مخالب العقوبة ونحت أنيابها: وأنها واردة عليه وواصلت عن قريب اليه : وهكذا من كان له متعاقب بأمر غيره من العباد اما عموما أو خصوصا فعليه أن يتفقد أحوالهم ويتأمل ما فيهم من خير وشر فان وجدتم منهم مكن في الشر واقعين في ظلمة المعاصي غير مستنيرين بنور الحق فقم واقموني في عقوبة الله لهم وتسليطه عليهم ولا سيما اذا كانوا لا يأترون لمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر هذا على فرض أن داعي الخير لم يزل يدعوهم اليه والناهي عن الشر لا يزال ينهاهم عنه وهم مصممون على غيهم سادرون^(١) في جهلهم: فان كان من يتأهل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معرضا عن ذلك غير قائم بحجة الله ولا مبلغ لها الى عباده فهو شريكهم في جميع ما اقترفوه من معاصي الله سبحانه مستحق للعقوبة للمعجلة والمؤجلة قبلهم كما صرح في قصة من تعدى السبت من أتباع موسى عليه السلام فان الله تعالى ضرب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسخط عذابه ومسخهم قردة وخنازير^(٢) مع أنهم لم

(١) اي مستترون في جهلهم هكذا في القاموس

(٢) وحاصل القصة على ما حكاه ابن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس ان الله تعالى نهي بني اسرائيل ان يصيدوا السمك يوم السبت فاحتالوا على صيدها سرا زمانا طويلا حتى سادوها علانية وصار القوم ثلاثة أصناف صنف منهم خالف الأثر وانتكح حرمة الله وصره على المعصية : وصنف من اهل التقية قال ويحكم الله ونهيه عما كانوا يصنعون : وصنف لم يأكل الحيتان ولم يته عما صنعوا وقال لم تظنون يوما الله مهلككم او منزهكم عذابا شديدا قالوا لا ، فمردوا الى ربكم لخطاياهم وللمهم يتقون فبينما هم على ذلك اصبغت تلك البقية الصالحة التي أسرت ونهت في أنديتهم ومساجدهم وقعدوا الناس فلا يرونهم فقال بعضهم لبعض ان للناس لنا غافظروا ما هو فذهبوا ينظرون في دورهم فوجدوها مملوكة عليهم قد دخلوا بلا غفلتها على انفسهم فاصبحوا فيها قردة وخنازير وانهم يعرفون الرجل بينه وا

يفعلوا ما فعله المعتدون من الذنب بل سكتوا عن ابلاغ حجته والقيام بما أمرهم به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

والحاصل أنه لا فرق بين من فعل المعصية وبين من رضى بها ولم يفعلها وبين من لم يرض بها لكن ترك النهى عنها مع عدم المسقط لذلك عنهم ومن كان أقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذنبه أشد وعقوبته أعظم ومعصيته أقطع بهذا جاءت حجج الله وقامت براهينه: ونطقت به كتبه: وأبلغته الى عبادته رسلة: ولما كان الأمر هكذا بلا شك ولا شبهة عند من له تعلق بالعلم وملابسة للشريعة المطهرة وكان ذلك من قطعيات الشريعة وضروريات الدين فكثرت في ليلة من الليالي في هذه الفتن التي قد نزلت بأطراف هذا القطر البيني وتأججت نارها وطار شررها حتى أصاب كل فرد من ساكنيه منها شواظ واقل ما قد نال من هو بعيد عنها ما صار مشاهداً معلوماً من ضيق المعاش وتقطع كثير من أسباب الرزق وعقر المكاسب حتى ضعفت أموال الناس ومجاراتهم ومكاسبهم وأففى الى ذهاب كثير من الأملاك وعدم نفاق نفايس الأموال: وحباثس الذخائر ومن شك في هذا فلينظر فيه بعين البصيرة حتى تدفع عنه ريب الشك بطامة يئنة اليقين هذا حال من هو بعيد عنها لم تطحنه بكلكلها ولا وطنته

لقرود والمرأة بعينها وأنها لقرودة والصبي بعينه وأنه لقرود فالشباب مسخو اقردة والشيخ خنازير نمود باقة من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يحصل للامة من التكتيل بها والقل لها بسبب ترك ذلك وهذا مشاهد لا يحتاج الى دليل :

بأخفافها * وأما من قد وفدت عليه وقدِمت اليه وخبطته بأشواطها
 وطوته بأنيابها واناخت وقرت بناحيته كالقطر اليماني وما جاوره فيا لله
 كم من بحار دم أرافت : ومن نفوس أزهقت ومن محارم هتكت
 ومن أموال أباحت : ومن قرى ومدائن طاحت بها الطوائع وصاحت
 عليها الصوائع : بعد أن تعطلت وناحت بعرضاتها المقفرات النوائع :
 فلما تصورت هذه الفتنة أكمل تصور وان كانت متفرقة عند كل
 أحد أكمل تقرر ضاق ذهني عن تصورها فانتقلت الى النظر في
 الأسباب الموجبة لتزول الحزن وحلول النقم من ساكني هذا القطر
 اليماني على العموم من دون نظر الى مكان خاص أو طائفة معينة فوجدت
 أهلها ما بين صعدة وعدن ينقسمون الى ثلاثة أقسام * القسم الأول
 رعايا يأتمرون بأمر الدولة وينتهون بهيها لا يقدرّون على الخروج عن
 كل ما يرد عليهم من أمر ونهى كأن ما كان * القسم الثاني طوائف
 خارجون عن أوامر الدولة متغلبون في بلادهم * الطائفة الثالثة أهل
 المدن كصنعا وذاروهم داخلون تحت أوامر الدولة : ومن جملة من يصدق
 على غالبهم اسم الرعية ولكنهم يتميزون عن سائر الرعايا بما سيأتى ذكره :
 فاما القسم الأول وهم الرعايا فأكثرهم بل كلهم إلا النادر الشاذ
 لا يحسنون الصلاة ولا يعرفون مالا تصلح الابه ولا تم بدونه من
 أذكارها وأركانها وشرائطها وفرائضها بل لا يوجد منهم من يتلو سورة
 الفاتحة تلاوة مجزئة إلا في أندر الأحوال ومع هذا فلا خلل بها
 والتساهل فيها قد صار دأبهم ودينتهم : فحصل من هذا أن غالبهم

لا يحسن الصلاة ولا يصلي : وطائفة منهم لا تحسن الصلاة وأنما تصلي صلاة غير مجزئة فلا فرق بينه وبين من تركها : وأما من يحسنها ويواظب عليها فهو أقل قليل بل هو الغراب الأبقع والكبريت الأحمر : وقد صح عن معلم الشرائع « أنه لم يكن بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة » فالتارك للصلاة من الرعايا كافر وفي حكمه من فعلها وهو لا يحسن من أذكارها وأركانها ما لا تتم الا به لأنه أدخل بفرض عليه من أهم الفروض وواجب من أكد الواجبات وهو لا يعلم ما لا تصلح الصلاة^(١) الا به مع امكانه ووجود من يعرفه بهذه الصلاة وهي أهم أركان الاسلام الخمسة وآكدها : وقد صار الأمر فيها عند الرعايا هكذا : ثم يتلوها الصيام وغالب الرعايا لا يصومون وان صاموا في النادر من الأوقات وفي بعض الأحوال فربما لا يكمل شهر رمضان صوما الا القليل ولا شك أن تارك الصيام على الوجه الذي يتركونه كافر : وكم يعد الماد من واجبات يخلون بها وفرائض لا يقيمونها ومنكرات لا يجتنبونها

(١) الحديث رواه مسلم والامام احمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بلفظ « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ورواه ابو داود والنسائي ايضا ولفظه « ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة » ورواه الترمذي ولفظه « قال بين الكفر والايمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « قال بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » وما يدل على ان ترك الصلاة كفر ما رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن بريدة رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ورواه ايضا ابن ماجه والامام احمد وابن حبان في صحيحه : والحاكم وقال صحيح لا نعرف له علة : والله اعلم :

وكثيرا ما يأتي هؤلاء الرعايا بالفاظ كفرية فيقول هو يهودى ليفعلن
كذا ليفعل كذا ومرتد تارة بالقول وتارة بالفعل وهو لا يشمر: ويطلق
امراته حتى تبين منه بالفاظ يديم التكلم بها: كقوله امرأته طالق ما فعل
كذا أو لقد فعل كذا: وكثير منهم يستغيث بغير الله تعالى من نبي أو
رجل من الأموات أو صحابي ونحو ذلك: ومع هذه البلايا التي تصدر
منهم والرزايا التي هم مصرون عليها لا يجدون من ينهاهم عن منكر
ولا يأمرهم بمعروف:

وقد صار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ولاية
متحصرا في ثلاثة أشخاص: عامل: وكاتب: وحاكم * فأما العامل فلا
عمل له الا في استخراج الأموال من أيدي الرعايا من حلها ومن غير
حلها وبالحق وبالباطل: وقد استعان على ذلك بالمشايخ الذين هم العرفاء
المنصوص عليهم من معلم الشريعة أنهم في النار فيتسلط كل واحد
منهم على من تحت يده من المستضعفين فيصنع به كما أراد وكيف أحب
وهو مفوض في أموالهم من طريق العامل فيأخذ ما يشاء ويدفع ما يشاء
وليس الأمر والنهي الا في هذه الخصلة على الخصوص ولم يسمع على
تطاول الأيام وتعاقب السنين أن فردا من أفراد المال أمر الرعايا بما
أوجب الله من الفرائض التي لا فسحة فيها كالصلاة والصيام أو نهاهم
عن شيء من المنكرات التي يرتكبونها بل قد جرت عادة كثير من
العمال أن يأخذ في مقابل الصلاة شيئا من السحت: وهكذا في الأشياء
التي هي منكرات يجمع على تحريمها كالزنا والسرقه وشرب المسكرات

إذا وقع بعض الرعية في شيء كان له العقوبة من العامل على ذلك أن يأخذ شيئاً من مال من فعل ذلك بل وقوع الرعايا في هذه للمعاصي أحب الأشياء إلى العامل لأنه يفتح له ذلك باب أخذ الأموال فيتكاثر عنده السحت ويتوفر له المقبوض فانظر أي فاقة في الدين كانت ولاية مثل هذا العامل وأي قاصم لظهور الصالحين وأي شر في العالم وأي بلاء صلب على دين الله تولية رجل لا يأمر بفعل ما أوجب الله ولا ينهى عن فعل ما حرم الله بل يَوَدُّ ذلك ويفرح به لينال حظاً من السحت ويصل إلى شيء من الحرام فهل أقلت الأرض مما اظلت السماء أفسد لدين الله وأجراً على معاصيه من هذا: وهل ممن مشى على رجلين أخسر صفقة منه واخبت سعيها: وناهيك برجل لو كفر من تحت ولايته من الرعايا كفر فرعون لكان يرضيه من ذلك نذر حقير من السحت بل ذلك أحب إليه من صلاح الرعايا وتمسكهم بدين الإسلام وقبولهم الشريعة لأنه لا ينفق سوق ظلمه ويدر عليه ثدى سحنه إلا بوقوع الرعايا في مخالفة الشرع وخروجهم عن سبيل الرشاد: وقد ينضم إلى هذه المخازي منه والفضائح له أن يرأى على رؤوس الأئمة ربا بمجما على تحريمه: ويصحب جماعة من العاملين بالربا فيأخذ منهم عند الحاجة بالزيادة من الربا ويضيفها على الرعية ويسلط هؤلاء العاملين بالربا على الضعفاء: وهل أقبح من هذا الذنب وأشد منه فإنه الذنب الذي توعده الله عليه بالحرب لفاعله كما هو بين في كتابه^(١) وليس الحرب من الله نزول الحجارة من السماء بل تسليط بعض عباده على بعض حتى يسحقهم

يعذابه : ويذل بهم غضبه ويسلط عليهم من يسفك دماءهم ويهتك محارمهم : وقد يضم عامل السوء الى هذه المخازى مخازى آخر فينظر منه الرعايا محرمات يرتكبها ومحارم ينتهكها جرأة على الله فيسن للرعايا سنن الشر ويفتح عليهم أبواب الفجور :

واما الكاتب فليس له من الأمر الا جمع ديوان يكتب فيه المظالم التى يأخذها العامل من الرعايا ولا تحقيق عايهم بل المقصود من وضعه أن لا يكتم العامل من تلك الأموال التى اجتاحتها : والمظالم التى اختطفها حتى لا يشاركه فيها غيره ويشاركه بذنبه من ينال منها نصيبا ممن يده فوق يده :

وأما ثالث الثلاثة وهو القاضى فهو عبارة عن رجل جاهل للشرع إما جهلا بسيطا أو جهلا مركبا وان يشتغل بشيء من الفقه فغاية ما يعرفه منه وكيل الخصومة وممارس الحضور فى مواقف الخصومات من مسائل تدور فى الدعوى والاجابة وطلب اليمين والبينة : وليس له فى العلم غير هذا لا يعرف حقا ولا باطلا ولا معقولا ولا منقولا ولا دليلا ولا مدلولا ولا يعقل شيئا من أمور الشرع فضلا عن غيرها من أمور العقل ولكنه اشتاق الى أن يدعى قاضيا ويشتهر اسمه فى الناس ويرتفع بين معارضيه وأهله فعمد الى الثياب الحميدة فلبسها وجعل على رأسه عمامة كالبرج وأطال ذيل كعبه حتى صار كالخرج ولزم السكينة

(١) وهذه العادة جارية فى القطر المصرى ايضا وقد علل بعضهم ذلك بأنه ينبغى للعالم ان يطول ثيابه ويظم عمامته ليعرف انه عالم فيسأل ويستفتى وهذا قول مزيف وتعليل فاسد فان معلم الشريعة نهى عن ذلك وتوعد فاعله والله اعلم :

والوقار: واستكثر من قول نعم ويعني: وجعل له سبعة طويلة يديرها في يده ثم جمع له من الحطام قدرا واسعا وذهب به يدور في الأبواب ويتردد في السكك واستعان بالشفعاء بعد أن أرشام ببعض من ذلك المال ليشتري له هذا المنصب الجليل الذي هو بعد النبوة في مكان يترجم عن كتاب الله وسنة رسوله الأمين ثم يذهب هذا الجاهل البائس الى قطر من الاقطار الوسيعة فيأتي اليه أهل الخصومات أفواجا فيحكم بينهم بحكم الطاغوت وهو في الصورة حكم الشرع: لأن هذا القاضي المخذول لا يعرف من الشرع الا اسمه ولا يدري من الشرع بشيء بل يجهل حده ورسمه فتنتشر عنه في ذلك القطر الواسع من الطواغيت ما تبكي عيون الاسلام: وتتصاعد عنده زفرات الأعلام: وكيف يهتدي الى فصل الحكومات بالحق جاهل اشترى هذا المنصب كما يشتري ما يباع في الأسواق من المتاع فولاية مثل هذا المخذول وتحكمه في الشريعة المطهرة هي خيانة على الله وعلى رسوله وعلى كتابه وعلى العلم وأهله وعلى الدين والدنيا: ولا فرق بين من بعث مثله ليحكم لجهله وبين من بعث رجلا من أهل الطاغوت العارفين بالمسالك الطاغوتية كابن فرج وفصيله والغزى ونحوهم من حكام الطاغوت بل بعث هذا أعظم عند الله ذنبا وأشد معصية لأنه كان في الصورة قاضيا من قضاء الشرع الشريف وحاكما من حكمه مولى بمن اليه الولاية العامة فكان في ذلك تعريرا على الناس ومخادعة لهم: فأنجذبوا اليه ليحكم بينهم بشرع الله فحكم بينهم بالطاغوت فقبلوه بناء منهم انه حكم الشرع بخلاف بعث

حاكم من حكام الطاغوت فانه وان كان من المعصية والجراءة على الله بالمكان الذي لا يخفى لكنه لا تغرر في بعثه على العباد ولا تخادعة لهم وربما يحتنبه من يحتسب اذا لم يحتنبوه كلهم جميعا وينفروا عنه ويأبوا عنه : وكفى بهذا عبرة وموعظة يقشعر منها من في قلبه ^(١) قوم يقتلون (وَذَكَرْ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهُ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْغَافِلِينَ) هذا حال هذا القاضى الذى هو من قضاة النار ومن عصاة الملك الجبار فيما يتولاه من الخصومات : وأما سائر ما هو موكول الى قضاة الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم وإرشاد الضالّ وتعليم الجاهل والدفع عن الرعية من ظلم من يظلمها والمكاتبة لامام المسلمين بما يحدث في القطر الذى هو فيه مما يخالف الشريعة المطهرة فلا يقدر هذا القاضى الشقى على شيء من هذه الأمور سواء أ كان حقيرا أم كبيرا : بل غاية أمره ونهاية حله أن يبقى في ذلك القطر يشاهد الظالم بعينه وقد ينفذها بقلبه ويعين عليها بفه وهو تارك لما أوجب الله عليه وعلى أمثاله من الأمر بالمعروف : والنهي عن المنكر : فهو في الحقيقة ضال مضل شيطان يريد بل أضر على عباد الله من الشيطان ومن أين للشيطان وانى له أن يظهر للناس في صورة قاض ثم يفوض في قطر من الأقطار فيه الوف مؤلفة من عباد الله فيحكم بينهم بالطاغوت بصورة الشرع ثم يكون شهيدا على ما يحدث بذلك القطر ومعينا عليه : وموسما لداثرته من دون أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر بل لايجرى

(١) لعل هنا سقطا تقديره متقال خردلة من إيمان وترجف منه قلوب قوم الخ :

قله قط فيما فيه جلب خير للرعية أو دفع شر عنهم : بل هو مادام في هذا المنصب لاهمة ولا مطلب له الا جمع الخطام من الخصوم تارة بالرشوة وتارة بالهدية وتارة بما هو شبيه بالتلصص : ثم يدافع عن المنصب الذي هو فيه ببعض من هذا السعت الذي يجمعه ويتوسع في دنياه ببعض الآخر فهذا أمر لا يقدر عليه الشيطان ولا يتمكن منه ولا يبلغ كيده لبني آدم اليه وهذا يكفى لمن كان له قلب أو الفى السمع وهو شهيد :

وإذا كان هذا حال حكام الشريعة * ومأم عليه هو ما قدمنا الاشارة اليه * وحال عاملهم وكاتبهم وقاضيه هذه الصفة فانظر بمقلك واعمل صافى فكرك هل مثل هؤلاء متعرضون لسخط الله وعقوبته وحلول نقمه أم مستحقون للطفه وتوقيه : وصرف العقوبة عنهم : ودفع الفتن الزاهية بالأموال والأنفس منهم (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) والله الحجة البالغة (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا أَتَاكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمِ مِن دَابَّةٍ) : وإذا قد تقرر لك أحوال هذا القسم الأول من الثلاثة الأقسام التي قدمنا لك ذكرها فلنبين لك حال القسم الثانى وهو حكم أهل البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها كبلاد القبلة والمشرق ونحو ذلك : اعلم رحمك الله أن جميع ما ذكرنا لك فى القسم الأول وم الرعايا من ترك الصلاة وسائر الفرائض الشرعية الا الشاذ النادر على تلك الصفة فهو أيضا كائن فى البلاد الخارجة عن أوامر الدولة ونواهيها بل الأمر فيهم أشد وأقطع فانهم جميعا لا يحسنون الصلاة ولا القراءة ومن كان

يقرأ فيهم فقراته غير صحيحة : ولسانه غير صالح : وبالجملة فالفرائض الشرعية بأسرها من غير فرق بين أركان الاسلام الخمسة وغيرها مهجورة عند من متروكة بل كلمة الشهادة التي هي مفتاح الاسلام لا ينطق بها الناطق منهم الا على عوج : ومع هذه ففهم من المصائب العظيمة والقبائح الوحشية : والبلايا الجسيمة أمور غير موجودة في القسم الأول :

منها أنهم يحكمون ويتحكمون الى من يعرف الأحكام الطاغوتية منهم في جميع الأمور التي تنوبهم وتعرض لهم من غير انكار ولا حياة من الله ولا من عباده : ولا يخافون من أحد بل قد يحكمون بذلك بين من يقدر على الوصول اليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم : وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على انكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم : ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشرعته التي أمر بها على لسان رسوله واختارها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله : بل كفروا بجميع الشرائع من عند آدم عليه السلام الى الآن : وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متميز حتى يقبلوا أحكام الاسلام ويدعوا لها ويحكموا بينهم بالشرعية المطهرة ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية : ومع هذا فهم مصرون على أمور غير الحكم بالطاغوت والتحكم اليه وكل واحد منها على انفراده بوجوب كفر فاعله وخروجه من الاسلام وذلك اطباقهم على قطع ميراث النساء^(١)

(١) وهذه المادة الفقيحة جارية ايضا في القطر المصري ففهم من بمنع الانثى المتزوجة خوفا من ان يسطر الزوج على نصيبها من الميراث : ويورث الانثى البكر : وبعضهم بمنع

واصرارهم عليه وتمازجهم على فعله : وقد تقرر في القواعد الاسلامية ان منكر القطعي واجده والعامل على خلافه تمردا أو عنادا أو استحلالا أو استخفافا كافر بالله : وبالشريعة المطهرة التي اختارها الله تعالى لعباده : ومع هذا فغالبيهم يستحل دماء المسلمين وأموالهم ولا يحترمها ولا يتورع عن شيء منها وهذا مشاهد معلوم لكل أحد لا ينكره جاهل ولا عاقل ولا مقصر ولا كامل : ففيهم من آثار الجاهلية الجهلاء أشياء كثيرة يعرفها من تتبعها :

فن ذلك اقسامهم بالأوثان كما يسمع كثير منهم يقول قائلهم أي وثن اذا أراد أن يحلف والمراد بهذا الوثن هو الوثن الذي كانت الجاهلية تعبده : وقد ثبت عن الشارع صلى الله عليه وآله وسلم « أن من حلف بئلة غير ملة الاسلام فهو كافر ^(١) »

وبالجملة فكم يمد العاد من فضائح هؤلاء الطاغوتية وبلاياهم وفي هذا المقدار كفاية ولا شك ولا ريب أن ارتكاب هؤلاء لمثل هذه الأمور الكبيرة من أعظم الأسباب الموجبة للكفر السالبة للإيمان التي

مطلقا ومنهم من يمتنها ميراث الارض دون المنقولات ولا غرابة من وقوع ذلك في القطر اليمني او غيره لان الجهل ضارب أطنابه لقلة العلماء العارفين وانما العجب من وقوع ذلك بين ظهري العلم : والعلماء ساكتون انا لله وانا اليه راجعون

(٢) رواء البخاري ومسلم بإفظ « من حلف بئلة غير الاسلام كاذبا فهو كما قال » الحديث مطولا ورواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه : وفي رواية لابن داود عن ابن عمر « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حلف بغير الله فقد أشرك » ورواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حلف بغير الله فقد كفر » واشرك » ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطها : وهو كبيرة من الكبائر :

يتمين على كل فرد من أفراد المسلمين انكارها ويجب على كل قادر أن يقاتل أهلها حتى يعودوا الى دين الاسلام : ومعلوم من قواعد الشريعة المطهرة ونصوصها أن من جرد نفسه لقتال هؤلاء واستعان بالله وأخلص له النية فهو منصور وله العاقبة فقد وعد الله بهذا في كتابه العزيز (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ﴿فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمَ الْغَالِبُونَ﴾ (وَجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الْمَنْصُورُونَ) (فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) ١

فان ترك من هو قادر على جهادهم فهو متعرض لنزول العقوبة مستحق لما أصابه فقد سلط الله على أهل الاسلام طوائف عقوبة لهم حيث لم ينتهوا عن المنكرات : ولم يحرصوا على العمل بالشرعية المطهرة كما وقع من تسليط الخوارج في أول الاسلام : ثم تسليط القرامطة والباطنية بعدهم : ثم تسليط الترك حتى كادوا يطمسون الاسلام : وكما يقع كثيرا من تسليط الفرنج ونحوهم فاعتبروا يا أولى الأبصار ان في هذا لعلبة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

والحاصل أنه لا خروج لمن كان قادرا على اصلاح هذا القسم والقسم الأول وهم الرعايا الا يبذل مال في اصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الاسلام والزمامم بها والأخذ على الولاية في الأقطار أن يكون معظم سعيهم وغاية همهم هو دعاء من يتولون عليه من الرعايا الى ما أوجبه الله عليهم ونهيهم عما نهاهم الله عنه : وانتخاب القضاة في كل قطر أولا

١ - الحج ٤٠

٢ - مد ٧

٣ - الأعراف ١٢٨

٤ - اللائدة ٥٦

٥ - اللائدة ٥٠

٦ - البقرة ١٩٣

من جمع الله لهم بين العلم والعمل : والزهد والورع : ويكونون ثانيا من الباذلين نفوسهم لاصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الله ودفع المظالم الواردة عليهم التي لا سبيل لها في الشريعة المطهرة ويقبضون ماوجب الله عليهم ويدفعونه الى امام المسلمين فان في ذلك ما هو انفع من الأشياء التي تؤخذ على وجه الظلم وعلى طريقة الجور : والخير كل الخير في موافقة الأمور الشرعية : والشرك كل الشر في مخالفتها

ومن جملة ما يأخذون عليهم اصلاح عقائدهم وأن يثبتهم أن الله هو الضار النافع القابض الباسط وأن لا ينفع ولا يضر غيره : ويخرجوهم عن الاعتقادات الباطلة ويجعلون في كل قرية معلما صالحا يعلم أهلها العلوم على الوجه الشرعي ويأمرهم بالمواظبة على الصلاة في أوقاتها ويدعو ذلك المعلم أن يعلمهم سائر الفرائض التي أوجبها الله عليهم ويلزمهم ويحبسون من لم يأت بما فرض الله عليه أو لم يحتب ما نهاه الله عنه ويكون ذلك عزيمة صحيحة مستمرة وأمرًا ضابطًا دائما : ولا يكون هذا مثل ما كان من الأمر لاهل ضلعاتهم بطل قبل مضي اسبوع فأن الأمور الشرعية والفرائض الدينية هي التي شرع الله نصب الأئمة والسلاطين والقضاة لها ولم يشرع نصب هؤلاء لجمع المال من غير وجهه ومصادرة الرعايا في أموالهم باضعاف ما اوجبه الله عليهم وترك الزامهم بفرائض الله تعالى التي من جملتها الصلاة والصوم والحج والزكاة واخلاص النية والتوحيد لله : وترك نهيبهم عما نهاهم الله عنه من المعاصي التي صاروا يفعلونها ويقرون عليها مما هو معلوم لكل أحد وليس على إمام المسلمين ووزرائه إلا

انتخاب المال والقضاة والزامهم بأن يكون معظم أشتغالهم بتدبير الرعايا بما شرعه الله في الأموال والأبدان وفي الدين والدنيا : ثم بعد الزامهم بذلك ينظرون من قام به من المال والقضاة فيحسنون الى من قام بهذا الأمر منهم : ويبذل فيه وسعه ويُقرُّونه على ولايته ويعزلون من لم يقم به ويبذل فيه وسعه : فبهذا يدفع الله الشرور عن البلاد والعباد ويحول بينهم وبين من قد صار في بعض اطراف من الطوائف التي تقاتل عباد الله مقاتلة أهل الشرك المحقق بل يتجاوزون ذلك الى مالا يبيحه الشرع كما بلغ أنهم يقتلون النساء الحوامل والصبيان ويشقون بطون الحوامل فان الشارع صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن مثل هذا وزجر عنه ^(١) ولم يحل للمسلمين أن يقتلوا صبيان المشركين ونساءهم : وأما المال والقضاة والذين صاروا يتولون البلاد في هذه الأعصار فهم من أعظم الأسباب الموجبة لنزول العقوبة وتسليط الأعداء وذهاب البلاد والعباد وسفك الدماء واستحلال الحرام : وكيف لا يقع هذا التسليط وعاملُ البلاد على هذه الصفة التي قدمنا ذكرها : ومن أول

« ١ » خرج أبو داود في سننه عن انس « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقتلوا شيئا فانبا ولا طفلا مضجعا ولا امرأة ولا تظفوا وضفوا غنائمكم واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين » وروى الامام احمد في مسنده عن الأسود بن سريع « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقتلوا الذرية في الحرب فقالوا يا رسول الله او ليس هم اولاد المشركين قال او ليس خياركم اولاد المشركين » وروى البخارى ومسلم واصحاب السنن الأربعة عن ابن عمر « قال وجدت امرأة مقتولة في بعض معازي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان » فانظر الى محاسن هذه الشريعة ومكارم اخلاق نبيها وافند بذلك :

معاصيه ومساويه ومعاندته لله: وتمرضه لغضبه وسخطه انه يطالب تلك الولاية بالأموال يقدمها من أموال الرايين فيقع في الربا الذي هو من أعظم المعاصي الموجبة للحرب من الله قبل أن يخرج من يته ويقبض مرسوم ولايته وقد يكون الذي ولاه عالما بأن ذلك المال هو عين الربا فيقعان جميعا في غضب الله ولعنته قبل المباشرة للولاية: وإذا كان هذا أول ما يفتتح به هذه الولاية للملومة فما ظنك بما يحدث بعد ذلك من الظلم والجور والفساد وإهمال ما أخذ الله على الولاية من ارشاد الضال من الرعايا وهداية الجاهل: وهكذا ولاية القاضي الشيطان في هذه الأزمان فانها تفتتح بشيء من السحت يدفعه هذا القاضي للملوم الذي هو من قضاة النار الى من ولاه بعد أن يستعين بالسفهاء فكيف يفلح هذا القاضي الجاهل للشرائع الذي اشترى هذا المنصب الديني بماله وقام في حصوله وقعد مع أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه نهى ان يتولى القضاء من طلبه^(١) فضلا عن اشتراء بماله

(١) الحديث أخرجه البخاري في غير موضع مطولا ومختصرا ولفظه «عن أبي موسى قال اقبلت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعي رجلان من الأشعرين قلت ما عدلت انهما يطلبان العمل فقال لن اولا نستعمل على عملتنا من اراده» ورواه ايضا مسلم وابو داود والنسائي: قال القرطبي رحمه الله هذا نهى وظاهره التحريم كما قال صلى الله عليه وآله وسلم «لا تسأل الامارة وانا والله لا نأول على عملتنا هذا احدا يسأله ويحرم عليه» فلما اعرض عنها ولم يولها لحرمها ولي ابا موسى الذي لا يحرم عليها: والسائل الحريم يوكل اليها ولا يمان عليها: قال العلامة العيني فلان الذي يطلب العمل انما يطلبه غالبالتحصيل الاجرة التي شرعت له وهذا كان في ذلك الزمان: واما الذي يطلب العمل في زماننا هذا فلا يطلبه الا لتحصيل الاموال سواء كان من الحلال او الحرام وللأسف والنهي بغير طريق شرعي بل غالب من يطلب العمل انما يطلبه بالبرطيل والرشوة ولا سيما في مصر فان الأسر قاسد جدا في المال فيها حتى ان اكبر القضاة يتولون بالرشوة وهذا غير خاف على أحد ففسأل الله العفو والعافية اه: فانظر

وكيف يصاح الرعايا كلا والله بل هو بلاء صبه الله على العباد صبا :
ومحنة امتحنهم الله بها : وسبب من أسباب تمجيل العقوبة لهم ولمن ولآه
عليهم من أهل الامر :

أما القسم الثالث من الاقسام الثلاثة التي ذكرناها وم الساكنون
في المدن فهم وان كانوا أبعد الناس من الشر وأقربهم الى الخير
لكن غالبهم وجمهورهم عامة جهال يهلون كثيرا بما أوجبه الله عليهم
من الفرائض جهلا وتساهلا :

فمن ذلك أنهم يصلون غالب الصلوات في غير اوقاتها فيأتون بصلاة
الفجر حال طلوع الشمس وبعدها وبصلاة العصر قرب الغروب : وبصلاة
المشائين اما جمعا في وقت الأولى أو في وقت الأخرى ومع هذا فهم
لا يحسنون أركان الصلاة ولا أذكارها الا الشاذل النادر منهم : ويتعاملون
في بيعهم وشراهم معاملات يخالفون فيها المسلك الشرعى وكثيرا
ما يقع منهم الربا ويتكلمون بالالفاظ الكفرية وينهمك كثير منهم في
معاصي صغيرة وكبيرة : وهم أقرب الناس الى الخير وأسرعهم قبولا
للتعظيم اذا وجدوا من يعزم عليهم عزيمة مستمرة دائمة غير منقوضة في

ايها القارىء الى كلام هذا الامام وقد كان في القرن التاسع وقد وجد في زمنه كثير من اهل
العلم والفضل العاملين كالحافظ العراقي وابن حجر العسقلاني وغيرهما من اهل الحل والقدر
ها بالاك هذا العصر عصر الانقلاب من الهدى الى الضلالة ومن الصلاح الى الفسق والفجور :
ومن الورع الى اكل اموال الناس بأنواع الخيل وجميع اصناف المكر والغداع : ومن اقامة
حوائر الله في المساجد الى ترك الصلاة جورا علنا . ومن لباس التقوى الى التزين بلباس
الافتخار والغنى المشكل من انواع المريب وضروب الذهب . وغير ذلك مما لا يحسن ذكره في
هذا المقام نسأل الله التوفيق لما جاء به الدين الحنيف والسلامة من مخالفته .

أقرب وقت كما يقع ذلك كثيرا : ومن عدا العامة فمن لم يكن منه اشتغال بالعلم ولا مجالسة لأهله حكمه حكم العامة في دينه بل هو واحد منهم وإن كان له نسب شريف وبيت رفيع : وربما هذا الذي كان يظن في نفسه أنه خارج عن العامة وداخل في الخاصة متعلق بشيء من الولايات الدينية والدنيوية وهو يخط خط عشواء : ويظلم البلاد والعباد جهلا منه أو تجاهلا وجزاؤه على الله والواجب على إمام المسلمين حَفَظَهُ اللهُ وعلى أعوانه افتقاد هؤلاء والبحث عن مباشراتهم : وعن كيفية معاملتهم ممن يتولون عليه أو يتوسطون له : ويكون بعض هؤلاء المتولين للأعمال أو المتوسطين على شيء من العلم لا يكون موجبا لترك البحث عن أحواله والتفتيش على معاملته بمن هو متول عليهم أو متوسط لهم فإن كونه عالما أو متعلما لا يوجب له العصمة ولا يسد عنه باب الاختبار والبحث فإن كثيرا من العلماء من يكون علمه حجة عليه ووبالا له والدنيا مؤثرة وحبا رأس كل خطيئة والله المسؤول أن يلهم إمام المسلمين أقام الله به أركان الدين إلى القيام بما أرشدناه إليه في هذه الرسالة وإبلاغ الجهد في أحوال هذه الأحكام التي ذكرناها فإنه إذا فعل ذلك صلحت له أحوال الدين والدنيا ودفع الله عن رعاياه كل محنة ولم يسلط عليهم غيره قط كائنا من كان وليس في هذا مشقة عليه ولا نقص في دينه بل هو الدواء المجرب لتوفر الخير : وتضاعف المدد : وصفو العيش وراحة القلب وطول العمر واتساع البلاد واذعان العباد : بهذا جاءت الشريعة المطهرة وقطعت كلياتها وجزئياتها : وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق

رسالة في العقل والروح

للملأمة تقى الدين ابن تيمية

المتوفى سنة ٧٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . سئل شيخ الاسلام الامام الملأمة تقى الدين
احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه عن العقل
الذى للانسان هل هو عرض ؛ وما هى الروح المدبرة لجسده ؛ هل هى
النفس وهل ها كيفية تعلم ؛ وهل هى عرض أو جوهر ، وهل يعلم
مسكنها من الجسد ، ومسكن العقل ، فأجاب :

الحمد لله رب العالمين . العقل فى كتاب الله وسنة رسوله وكلام
الصعابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين هو أمر يقوم بالعقل سواء سمي
عرضاً أو صفة ليس هو عيناً قائمة بنفسها سواء سمي جوهرأ أو جسماً أو
غير ذلك : وانما يوجد التعبير باسم العقل عن الذات العاقلة التى هى
جوهر قائم بنفسه فى كلام طائفة من المتفلسفة الذين يتكلمون فى العقل
والنفس ويدعون ثبوت عقول عشرة كما يذكر ذلك من يذكره من

أتباع ارسطو أو غيره من المتفلسفة المشائين : ومن تلقى ذلك عنهم من
للتنسبين الى الملل :

وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع وبين أن
ما يدكرونه من العقول والنفوس والمجردات والمفارقات والجواهر
العقلية لا يثبت لهم منه إلا نفس الانسان وما يقوم بها من العلوم
وتوابعها ، فإن أصل تسميتهم لهذه الأمور مفارقات هو مأخوذ من
مفارقة النفس البدن بالموت وهذا أمر صحيح فإن نفس الميت تفارق
بدنه بالموت وهذا مبني على أن النفس قائمة بنفسها تبقى بعد فراق البدن
بالموت منعمة أو معدبة وهذا مذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم وهو
قول الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين ، وإن كان كثير
من أهل الكلام يزعمون أن النفس هي الحياة القائمة بالبدن : ويقول
بعضهم هي جزء من أجزاء البدن كالريح المترددة في البدن أو البخار
الخارج من القلب :

ففي الجملة النفس المفارقة للبدن بالموت ليست جزءاً من أجزاء البدن
ولا صفة من صفات البدن عند سلف الأمة وأئمتها : وإنما يقول هذا
وهذا من يقوله من أهل الكلام الابتدع المحدث من أتباع الجهمية
والمعتزلة ونحوهم : والفلاسفة والمشاؤون يقولون بأن النفس تبقى إذا فارقت
البدن لكن يصفون النفس بصفات باطلة فيدعون أنها إذا فارقت
البدن كانت عقلاً والعقل عندهم هو المجرد عن المادة وعلائق المادة ،
والمادة عندهم هي الجسم ، وقد يقولون هو المجرد عن التعلق بالهيولى

والهيمولي في لغتهم هو بمعنى المحل : ويقولون المادة والصورة . والعقل
عندهم جوهر قائم بنفسه لا يوصف بحركة ولا سكون ولا تتجدد له
أحوال البتة :

لحقيق قولهم ان النفس اذا فارقت البدن لا يتجدد لها حال من
الأحوال لعلوم ولا تصورات : ولا سمع ولا بصر ولا ارادات : ولا
فرح و سرور ولا غير ذلك مما قد يتجدد ويحدث بل تبقى عندهم على
حال واحدة أزلاً وأبداً كما يزعمونه في العقل والنفس : ثم منهم من
يقول ان النفوس واحدة بالعين : ومنهم من يقول هي متعددة : وفي
كلامهم من الباطل ما ليس هذا موضع بسطه :

وانما المقصود التنبيه على ما يناسب هذا الموضع فهم يسمون ما اقترن
بالمادة التي هي الهيمولي وهي الجسم في هذا الموضع نفساً كنفس الانسان
المدبرة لبدنه : ويزعمون ان للفلك نفساً تحركه كما للناس نفوس لكن كان
قدماؤهم يقولون ان نفس الفلك عرض قائم بالفلك كنفس البهائم
وكما يقوم بالانسان الشهوة والغضب لكن طائفة منهم كابن سينا وغيره
زعموا أن النفس الفلكية جوهر قائم بنفسه كنفس الانسان وما دامت
نفس الانسان مدبرة لبدنه سموها نفساً فاذا فارقت سموها عقلاً لأن
العقل عندهم هو المجرد عن المادة وعن علائق المادة : وأما النفس فهي
المتعلقة بالبدن تعاق التدبير والتصرف :

وأصل تسميتهم هذه مجردات هو مأخوذ من كون الانسان
مجرد الأمور العقلية الكلية عن الأمور الحسية المعينة فانه اذا رأى

أفراداً للإنسان كزيد وعمر وعقل قدرّاً مشتركاً بين الإنسان وبين
الإنسانية الكلية المشتركة المعقولة في قلبه : وإذا رأى الخيل والبغال
والحمير وبهيمة الأنعام وغير ذلك من أفراد الحيوان عقل من ذلك قدرّاً
كليّاً مشتركاً بين الأفراد وهي الحيوانية الكلية المعقولة : وإذا رأى
مع ذلك الحيوان والشجر والنبات عقل من ذلك قدرّاً مشتركاً كليّاً
وهو الجسم النامي المفتدى وقد يسمون ذلك النفس النباتية : وإذا رأى
مع ذلك سائر الأجسام العلوية الفلكية والسفلية العنصرية عقل من
ذلك قدرّاً مشتركاً كليّاً هو الجسم العام المطلق : وإذا رأى ماسوى
ذلك من الموجودات عقل من ذلك قدرّاً مشتركاً كليّاً وهو الوجود
العام الكلى الذى ينقسم الى جوهر وعرض وهذا الوجود هو عند
موضوع العلم الأعلى الناظر فى الوجود ولواحقه وهي الفلسفة الأولى
والحكمة العليا عندم :

وهم يقسمون الوجود الى جوهر وعرض : والأعراض يعملونها
تسعة أنواع هذا هو الذى ذكره أرسطو : وأتباعه يعملون هذا من
جملة المنطق لأن فيه المفردات التى ينتهى اليها الحدود المؤلفة : وكذلك
من سلك سبيلهم ممن صنف فى هذا الباب كابن حزم وغيره * وأما ابن
سينا وأتباعه فقالوا « الكلام فى هذا لا يختص بالمنطق » فأخرجوها
منه وكذلك من سلك سبيل ابن سينا كابن حامد والسهروردي
المقتول والرازي والآمدى وغيرهم . وهذه هي المقولات العشر التى
يعبرون عنها بقولهم : الجوهر : والكيم : والكيف : والابن : ومتى

والإضافة : والوضع : والملك : وأن يفعل : وأن يفعل : وقد جمعت

في ييتين وهي

زيد الطويل الأسود بن مالك * في داره بالامس كان متكى

في يده سيف نضاه فانتضا * فهذه عشر مقولات سوا

وأكثر الناس من أتباعه وغير أتباعه أنكر واحصر الأعراض في تسعة

أجناس وقالوا إن هذا لا يقوم عليه دليل : ويثبتون إمكان ردها الى

ثلاثة والى غير ذلك من الأعداد ، وجعلوا الجواهر خمسة أنواع : الجسم

والعقل والنفس والمادة والصورة ، فالجسم جوهر حسي والباقية جواهر

عقلية ، لكن ما يدكرونه من الدليل على إثبات الجواهر العقلية انما

يدل على ثبوتها في الأذهان لا في الأعيان ،

وهذه التي يسمونها « المجردات العقلية » ويقولون : الجواهر

تنقسم الى ماديات ومجردات فالماديات القائمة بالمادة وهي الهيولى وهي

الجسم ، والمجردات هي المجردات عن المادة ، وهذه التي يسمونها المجردات

أصلها هي هذه الأمور الكلية المعقولة في نفس الانسان كما أن المفارقات

أصلها مفارقة النفس البدن ، وهذان أمران لا ينكران لكن ادعوا في

صفات النفس وأحوالها أموراً باطلة ، وأدعوا أيضاً ثبوت جواهر

عقلية قائمة بأنفسها ويقولون فيها : العاقل والمقول والعقل شيء واحد

كما يقولون مثل ذلك في رب العالمين فيقولون : هو عاقل ومقول

وعقل ، وعاشق وممشوق وعشق ، ولذيد وملتذ ولذة : ويمجلون

الصفة عين الموصوف ، ويمجلون كل صفة هي الأخرى فيجعلون نفس

العقل الذى هو العلم نفس العاقل العالم ، ونفس العشق الذى هو الحب نفس العاشق المحب ، ونفس اللذة هى نفس العلم ونفس الحب ، ويجعلون القدرة والارادة هى نفس العلم فيجعلون العلم هو قدره وهو الارادة وهو المحبة وهو اللذة ، ويجعلون العالم المرید المحب الملتذ هو نفس العلم الذى هو نفس الارادة وهو نفس المحبة وهو نفس اللذة ؛ فيجعلون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ويجعلون نفس الصفات المتنوعة هى نفس الذات الموصوفة ، ثم يتناقضون فيثبتون له علماً ليس هو نفس ذاته كما تناقض ابن سينا فى اشاراته : وغيره من محققهم ، وبسط الكلام فى الرد عليهم بموضع آخر :

والمقصود أنهم يعبرون بلفظ العقل عن جوهر قائم بنفسه ويثبتون جواهر عقلية يسمونها المجردات والمفارقات للمادة ، واذا حقق الأمر عليهم لم يكن عندهم غير نفس الانسان التى يسمونها الناطقة وغير ما يقوم بها من المعنى الذى يسمى عقلاً . وكان أرسطو واتباعه يسمون الرب عقلاً وجوهراً وهو عندهم لا يعلم شيئاً سوى نفسه ولا يريد شيئاً ولا يفعل شيئاً ويسمونه المبدأ والعلة الأولى لان الفلك عندهم متحرك للتشبه به أو متحرك الشبه بالعقل ، فحاجة الفلك عندهم الى العلة الأولى من جهة أنه متشبه بها كما يتشبه المؤمن بالامام والتلميذ بالاستاذ ، وقد يقول انه يحركه كما يحرك المعشوق عاشقه ليس عندهم أنه أبدع شيئاً ولا فعل شيئاً ، ولا كانوا يسمونه واجب الوجود ولا يقسمون الوجود الى واجب وممكن ويجعلون الممكن هو موجوداً قديماً أزلياً كالفلك عندهم

وانما هذا فعل ابن سينا وأتباعه وهم خالفوا في ذلك سلفهم وجميع العقلاء وخالفوا أنفسهم أيضا فتناقضوا فانهم صرحوا بما صرح به سلفهم وسائر العقلاء من أن الممكن الذي يمكن أن يكون موجودا وان يكون معدوماً، لا يكون الا محدثاً مسبوقاً بالعدم . وأما الأزلى الذي لم يزل ولا يزال فيمتنع عندهم وعند سائر العقلاء ان يكون ممكناً يقبل الوجود والعدم بل كل ما قبل الوجود والعدم لم يكن الا محدثاً وهذا مما يستدل به على ان كل ما سوى الله فهو محدث مسبوق بالعدم كائن بعد ان لم يكن كما بسط في موضعه : لكن ابن سينا ومتبعوه تناقضوا فذكروا في موضع آخر أن الوجود ينقسم الى واجب وممكن وان الممكن قد يكون قديماً أزلياً لم يزل ولا يزال يمتنع عدمه ويقولون هو واجب بغيره وجعلوا الفلك من هذا النوع فخرجوا عن إجماع العقلاء الذين وافقوهم في اثبات شيء ممكن يمكن ان يوجد وأن لا يوجد وانه مع هذا يكون قديماً أزلياً بدياً يمتنع عدمه واجب الوجود بغيره فان هذا ممتنع عند جميع العقلاء . وذلك بين في صريح العقل لمن تصور حقيقة الممكن الذي يقبل الوجود والعدم كما بسط في موضعه :

وهؤلاء المتفلسفة انما تسلطوا على المتكلمين الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم لأن هؤلاء لم يعرفوا حقيقة ما بعث الله به رسوله . ولم يحتجوا لما نصره بحجج صحيحة في المقول فقصر هؤلاء المتكلمون في معرفة السمع والعقل حتى قالوا إن الله لم يزل لا يفعل شيئاً ولا يتكلم بمشيئته ثم حدث ما حدث من غير تجديد سبب حادث : وزعموا دوام

امتناع كون الرب متكلاً بمشيئته ثم حدث ما حدث من غير تجديد سبب حادث وزعموا دوام امتناع كون الرب متكلاً بمشيئته فعلاً لما يشاء لزعمهم امتناع دوام الحوادث ثم صار أئمتهم كالجهنم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف الى امتناع دوامها في المستقبل والماضي : فقال الجهم بفناء الجنة والنار : وقال أبو الهذيل بفناء حرركاتها وانهم يقولون دائماً في سكون : ويزعم بعض من سلك هذه السبيل أن هذا هو مقتضى العقل وأن كل ماله ابتداء فيجب أن يكون له انتهاء . ولما رأوا الشرع قد جاء بدوام نعيم اهل الجنة كما قال تعالى (أَكُلُوا دَائِمًا وَظَلُّوا) وقال (إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ) ظنوا انه يجب تصديق الشرع فيما خالف فيه اهل العقل ولم يعلموا ان الحجة العقلية الصحيحة لاتناقض الحجة الشرعية الصحيحة بل يمتنع تعارض الحجج الصحيحة سواء كانت عقلية أو سمعية أو سمعية وعقلية . بل اذا تعارضت حجتان دل على فساد إحداها أو فسادها جميعاً :

وصار كثير منهم الى جواز دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي وذكروا فروعاً عرف حذاقهم ضعفها كما بسط في غير هذا الموضع : وهو لزومهم أن يكون الرب كان غير قادر ثم صار قادراً من غير تجديد سبب يوجب كونه قادراً وانه لم يكن يمكنه ان يفعل ولا يتكلم بمشيئته ثم صار الفعل ممكناً له بدون سبب يوجب تجديد الامكان . واذا ذكر لهم هذا قالوا كان في الأزل قادراً على ما لم يزل فقيل لهم القادر لا يكون قادراً مع كون المقدور ممتنعاً بل القدرة على الممتنع ممتنعة وانما يكون قادراً على ما يمكنه ان

يفعله فاذا كان لم يزل قادراً فلم يزل يمكنه أن يفعل :
ولما كان اصل هؤلاء هذا صاروا في كلام الله على ثلاثة أقوال :فرقة
قالت الكلام لا يقوم بذات الرب بل لا يكون كلامه الا مخلوقا لانه إما
قديم واما حادث ويمتنع أن يكون قديماً لانه متكلم بهشيئته وقدرته
والقديم لا يكون بالقدرة والمشيئة : واذا كان الكلام بالقدرة والمشيئة
كان مخلوقاً لا يقوم بذاته إذ لو قام بذاته كانت قد قامت به الحوادث
والحوادث لا تقوم به لانها لو قامت به لم يخل منها ومالم يخل من الحوادث
فهو حادث : قالوا اذ بهذا الأصل أثبتنا حدوث الأجسام : وبه ثبت
حدوث العالم (قالوا) ومعلوم ان مالم يسبق الحادث لم يكن قبله اما
معه واما بعده . وما كان مع الحادث او بعده فهو حادث :

وكثير منهم لم يتفطن للفرق بين نوع الحوادث وبين الحادث المعين
فان الحادث المعين والحوادث المحصورة يمتنع أن تكون أزلية دائمة :
ومالم يكن قبلها فهو إما معها وإما بعدها : وما كان كذلك فهو حادث
قطعاً . وهذا لا يخفى على أحد :

ولكن موضع النظر والنزاع نوع الحوادث . وهو أنه هل يمكن
أن يكون النوع دائماً فيكون الرب لا يزال يتكلم أو يفعل بمشيئته
وقدرته أم يمتنع ذلك ؟ فلما تفطن لهذا الفرق طائفة قالوا : وهذا أيضاً
ممتنع لامتناع حوادث لا أول لها : وذكروا على ذلك حججاً كعجبة
التطبيق وحجة امتناع انقضاء ما لا نهاية له وأمثال ذلك : وقد ذكر عامة

ما ذكر في هذا الباب وما يتعلق به في مواضع غير هذا الموضع ولكل مقام مقال .

وأولئك المتفلسفة لما رأوا أن هذا القول مما يعلم بطلانه بصرح العقل وأنه يمتنع حدوث الحوادث بدون سبب حادث ويمتنع كون الرب يصير فاعلاً بعد أن لم يكن وأن المؤثر التام يمتنع تخلف أثره عنه - ظنوا أنهم إذا أبطلوا هذا القول فقد سلم لهم ما ادعوه من قدم العالم كالأفلاك وجنس المولودات ومواد العناصر: وضلوا ضلالاً عظيماً خالفوا به صرائح العقول وكذبوا به كل رسول فإن الرسل مطبقون على أن كل ماسوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن . ليس مع الله شيء قديم بقدمه وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . والعقول العصرية تعلم أن الحوادث لا بد لها من محدث : فلو لم تكن إلا العلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها لم يكن في العالم شيء من الحوادث . فإن حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع : فانه إذا كان معلولها لازماً لها كان قديماً معها لم يتأخر عنها فلا يكون شيء من الحوادث سبب اقتضى حدوثه فتكون الحوادث كلها حدثت بلا محدث وهؤلاء فروا من أن يحدثها القادر بغير سبب حادث وذهبوا إلى أنها تحدث بغير محدث أصلاً لا قادر ولا غير قادر . فكان ما فروا إليه شراً مما فروا منه : وكانوا شراً من المستجير من الرمضاء بالنار :

واعتقد هؤلاء أن المفعول المصنوع المبتدع للمعين كالفلك يفارق فاعله أزلاً وأبداً لا يتقدم الفاعل عليه تقدماً زمانياً : وأولئك قالوا بل

للمؤثر التام يتراخى عنه أثره ثم يحدث الأثر من غير سبب اقتضى حدوثة
فأقام الأولون الأدلة العقلية الصريحة على بطلان هذا كما أقام هؤلاء
الأدلة العقلية الصريحة على بطلان قول الآخرين : ولا ريب أن قول
هؤلاء أهل المقارنة أشد فسادا ومناقضة لصريح المعقول وصحيح المنقول
من قول أولئك أهل التراخي * والقول الثالث الذى يدل عليه المعقول
الصريح ويقر به عامة العقلاء ودل عليه الكتاب والسنة وأقوال الساف
والأئمة لم يهتد له الفريقان : وهو أن المؤثر التام يستلزم وقوع أثره
عقب تأثره التام لا يقتزن به ولا يتراخى كما طلقت المرأة فطلقت .
وأعتقت العبد فعتق . وكسرت الأناة فانكسروقطعت الحبل فانقطع :
فوقوع العتق والطلاق ليس مقارنا لنفس التطليق والاءعتاق بحيث
يكون معه ولا هو أيضا متراخ عنه بل يكون عقبه متصلا به : وقد
يقال هو معه ومفارق له باعتبار أنه يكون عقبه متصلا به كما يقال هو
بعده متأخر عنه باعتبار أنه انما يكون عقب التأثير التام : ولهذا قال
تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فهو
سببانه يكون ما يشاء تكوينه فاذا كونه كان عقب تكوينه متصلا
به لا يكون مع تكوينه فى الزمان ولا يكون متراخيا عن تكوينه بينهما
فصل فى الزمان بل يكون متصلا بتكوينه كاتصال أجزاء الحركة
والزمان بعضها ببعض :

وهذا مما يستدل به على أن كل ماسوى الله حادث كائن بعد أن
لم يكن : وإن قيل مع ذلك بدوام فاعليته ومتكلميته : وهذه الأمور

مبسوطة في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن هذا هو أصل من قول القرآن محدث ومن قال ان الرب لم يقم به كلام ولا ارادة بل ولا علم بل ولا حياة ولا قدرة ولا شيء من الصفات : فلما ظهر فساد هذا القول شرعا وعقلا قالت طائفة ممن وافقهم على أصل مذهبهم هو لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل كلامه أمر لازم لذاته كما تلزم ذاته الحياة : ثم منهم من قال هو معنى واحد لا متنازع اجتماع معاني لانهاية لها في آن واحد وامتنازع تخصيصه بمدد دون عدد : وقالوا ذلك المعنى هو الأمر بكل ما مور والخبر عن كل مخبر عنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان تورا وإن عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : وقالوا : ان الأمر والنهي صفات للكلام لا أنواع له . فان معنى آية الكرسي آية الدين و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و(تَبَّتْ يَدَايِي لَهَبٍ) معنى واحد : فقال جمهور العقلاء لهم : تصور هذا القول بوجب العلم بفساده وقالوا لهم : موسى سمع كلام الله كله أو بعضه . إن قائم كله لزم أن يكون قد علم علم الله . وإن قائم بعضه فقد تبعض : وقالوا لهم : اذا جوزتم أن تكون حقيقة الخبر هي حقيقة الأمر وحقيقة النهى عن كل منهى عنه . والأمر بكل ما مور به هو حقيقة الخبر عن كل مخبر عنه : فجوزوا أن تكون حقيقة العلم هي حقيقة القدرة : وحقيقة القدرة هي حقيقة الارادة فاعترف حذاقهم بأن هذا لازم لهم لا محيد لهم عنه : ولزمهم امكان أن تكون حقيقة الذات هي حقيقة الصفات وحقيقة الوجود الواجب هي حقيقة الوجوب الممكن ، والتزم ذلك طائفة منهم فقالوا :

الوجود واحد ، وعين الوجود الواجب القديم الخالق هو عين الوجود الممكن المخلوق المحدث :

وهذا أصل قول القائلين بوحدة الوجود كابن عربي الطائفي وابن سبعين وأتباعهما كما بسط في مواضع : ومن هؤلاء القائلين بأنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته مع قيام الكلام به من قال : كلامه المعين حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال : وزعموا أن كلام القرآن والتوراة والانجيل حروف وأصوات قديمة أزلية لم تزل ولا تزال ، فقال لهم جمهور العقلاء : معلوم بالاضطرار أن الباء قبل السين والسين قبل الميم فكيف يكونان معاً أزلاً وأبداً : ومعلوم أن الصوت المعين لا يبقى زمانين فكيف يكون أزلياً لم يزل ولا يزال فقالت الطائفة الثالثة ممن سلك مسلك أولئك المتكلمين : بل نقول أنه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والأئمة وان لزم من ذلك قيام الحوادث به فلا محذور في ذلك لا شرعاً ولا عقلاً بل هذا لازم لجميع طوائف العقلاء وعليه دلت النصوص الكثيرة : وأقوال السلف والأئمة . ويقول انه يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف لكن يقول انه لم يكن في الازل متكلماً ويمتنع أن يكون لم يزل متكلماً بمشيئته وقدرته لان ذلك يستلزم حوادث لأول لها . وهو أصل هؤلاء . فقيل لهم معلوم ان الكلام صفة كمال لا صفة نقص وأن من يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون قادراً على الكلام بمشيئته وقدرته

وحيث أن فن لم يزل متكلماً بمشيئته أكمل ممن صار قادراً على الكلام بعد أن كان لا يمكنه أن يتكلم : وقالوا لهم إذا قلتم تكلم بعد أن كان الكلام ممتمناً من غير أن يكون هناك سبب أوجب مجرد قدرته وتجدد إمكان الكلام له قلتم أنه لم يزل غير قادر على الكلام ولم يزل الكلام غير ممكن له ثم صار قادراً يمكنه أن يتكلم بمشيئته من غير حدوث شيء : وهذا مخالفة لصريح العقل : وسلب لصفات الكمال عن البارئ وجعله مثل المخلوق الذي صار قادراً على الكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه :

والسلف والأئمة نصوا على أن الرب تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وكما شاء كما نص على ذلك عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة الدين وسلف المسلمين وهم الذين قالوا بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق . لم يقل أحد منهم أنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته . ولا قال أحد منهم أنه مخلوق بائن عنه . ولا قال أحد منهم أنه صار متكلماً أو قادراً على الكلام بعد أن لم يكن كذلك : وقد بسطت هذه الأمور في موضع آخر . والمقصود أن هذه الأقوال التي قالها هؤلاء المتكلمون من الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية والسالية : ومن وافقهم من المتأخرين الذين انتسبوا إلى بعض الأئمة الأربعة وخالفوا بها إجماع السلف والأئمة : وما جاء به الكتاب والسنة وخالفوا بها صريح المعقول الذي فطر الله عليه عباده هي التي سلطت أولئك المتفاسفة

الدهرية عليهم لكن قول الفلاسفة أعظم فساداً في المقول والمنقول:

فصل

والمقصود هنا أن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائم بالعقل: وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) * وقوله (أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) * وقوله (قَدْ يَبَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه: ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم: ولهذا قال أهل النار (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقال تعالى (أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) *. والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره: فالجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلس: ولا بين أيام الأسبوع: ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعقل: أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل:

١ - البقرة ٧٣

٢ - الحج ٤٦

٣ - البقرة ١١٨

٤ - الملك ١٠

ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية: ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم. والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان

التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر : وفي اللسان قوة بها يذوق : وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء :

ومن الناس من ينكر القوى والطبائع كما هو قول أبي الحسن ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم : وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع ينكرون الأسباب أيضا ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها فيقولون ان الله لا يشبع بالخبز ولا يروى بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل يفعل عنده لابه : وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة واجماع السلف مع مخالفة صريح العقل والحس فان الله قال في كتابه (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَنَاءٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لِمَعْلَمِكُمْ تَذَكَّرُونَ) فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج الثمر بالماء : وقال تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) وقال (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) وقال (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) وقال (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) وقال (يَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) ومثل هذا في القرآن

١ - الأعراف ٥٧

٢ - البقرة ١٧٤

٣ - ق ٩

٤ - التوبة ١٤

٥ - المائدة ١٥-١٦

٦ - البقرة ٢٦

كثير ، والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض كما يعلمون أن الشيع يحصل بالأكل لا بالعد : ويحصل بأكل الطعام لا بأكل الحصى : وأن الماء سبب لحياة النبات والحيوان كما قال (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) وأن الحيوان يروى بشرب الماء لا بالشيء ، ومثل ذلك كثير : ولبسط هذه المسائل موضع آخر :

فصل

والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه وهي النفس التي تفارقه بالموت ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نام عن الصلاة « إن الله قبض أرواحنا حيث شاء ووردها حيث شاء »^(١) وقال له بلال يارسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك : وقال تعالى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) *

قال ابن عباس وأكثر المفسرين : يقبضها قبضين قبض الموت وقبض النوم ثم في النوم يقبض التي تموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى حتى يأتى أجلها وقت الموت : وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا نام « باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه أن أمسكت نفسى فاغفر لها وأرحها وأن أرسلتها فاحفظها بما

١ - الأنبياء ٣٠

٢ - الزمر ٤٢

(٢) الحديث رواه البخارى مطولا ومسلم وغيرهما الا انه يلفظ « ان الله قبض ارواحكم » الخ

تحفظ به عبادك الصالحين» وقد ثبت في الصحيح «أن الشهداء جمل الله أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش» وثبت أيضا بأسانيد صحيحة «ان الانسان اذا قبضت روحه فتقول الملائكة اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجى راضية مرضيا عنك : ويقال اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجى ساخطة مسخوطة عليك* وفي الحديث الآخر « نسمة المؤمن طائر تعاق من ثمر الجنة ثم تأوى الى قناديل معلقة بالعرش» فهماها نسمة . وكذلك في الحديث الصحيح حديث المعراج « ان آدم عليه السلام قبل يمينه أسودة وقبل شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى » وان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم « هذه الاسودة نسمة بني . عن يمينه السعداء وعن يساره الأشقياء» وفي حديث على « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة » وفي الحديث الصحيح « إن الروح اذا قبض تبعه البصر »^(١) فقد سمي المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحا ونفسا . وسمى المعروج به الى السماء روحا ونفسا . لكن تسمى نفسا باعتبار تديره للبدن وتسمى روحا باعتبار لطفه فان لفظ « الروح » يقتضى اللطف ولهذا يسمى الريح روحا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « الريح من روح الله »^(٢) أى من الروح التى

(١) راوه مسلم وابن ماجه والامام احمد بن حنبل عن ام سلمة :

(٢) رواه البخارى في الادب وابو داود والحاكم عن ابى هريرة بلفظ « الريح من روح

الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتهاوها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعينوا بالله من شرها »

خلقها الله فاضافة الروح الى الله إضافة ملك لا إضافة وصف اذ كل ما يضاف الى الله ان كان عيناً قائمة بنفسها فهو ملك له وان كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله :

فالاول كقوله « نَافَقَ اللَّهُ وَسُقْيَاهَا » وقوله « فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا » وهو جبريل « فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا » وقال « وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا » وقال عن آدم « فَأَذَا سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » والثاني كقولنا : علم الله وكلام الله وقدره الله وحياة الله وأمر الله : لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علماً والمقدور قدرة والمأمور به أمراً والمخلوق بالكلمة كلمة فيكون ذلك مخلوقاً . كقوله « أَنِّي أَمَرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » وقوله « إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » وقوله « إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ » ومن هذا الباب قوله « إِنْ أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ الرَّحْمَةِ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ . أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً وَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُمِعَ هَذِهِ إِلَى تِلْكَ فَرَحِمَ بِهَا عِبَادَهُ » (١)

١ - الشمس ١٣

٢ - مريم ١٧-١٩

٣ - التحريم ١٢

٤ - الحجر ٢٩

٥ - النحل ١

٦ - آل عمران ٤٥

٧ - النساء ١٧١

(٢) الحديث في صحيح البخارى وغيره عن ابى هريرة بلفظ « قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلَّ رَحْمَةٍ وَاحِدَةً فَلَوْ يَلَمُّ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنْ

ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي » كما قال للنار « أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها »

فصل

ولكن لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معان ، فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداء الساري في المروق وهو الذي تسميه الأطباء الروح ويسمى الروح الحيواني ، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس ، ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه : وعينه : وقد قال تعالى « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » وقال « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » وقال تعالى « وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ » وفي الحديث الصحيح انه قال لأُمّ المؤمنين « لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن سبحانه الله عدد خلقه سبحانه الله زنة عرشه ، سبحانه الله رضا نفسه ، سبحانه الله مداد كلماته »^(١) وفي الحديث الصحيح الألهي عن النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه

١ - المائدة ١١٦

٢ - الأنعام ٥٤

٣ - آل عمران ٢٨

الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار» أقول الذي ينبغي للمائل ان يكون بين الخوف والرجاء فلا يكون مفرطاً في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الايمان شيء : ولا مفرطاً في الخوف كالغزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة في النار بل يكون وسطاً بينهما والله الموفق : (٦) الحديث في صحيح مسلم وغيره بالفاظ مختلفة :

ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم»^(١) فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته : ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات ، وطائفة من الناس يحملونها من باب الصفات كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات : وكلا القولين خطأ . وقد يراد بلفظ النفس الدم الذي يكون في الحيوان كقول الفقهاء « ماله نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة » ومنه يقال نَفِسَتِ المرأة إذا حاضت ، ونَفِسَتِ إذا نَفَسَهَا ولَدُها ، ومنه قيل النفساء ومنه قول الشاعر

نسيل على حدالظباة نفوسنا * وليست على غير الظباة نسيل

فهذان المعنيان بالنفس ليساهما معنى الروح : ويراد بالنفس عند كثير من المتأخرين صفاتها المذمومة فيقال فلان له نفس ويقال أترك نفسك ومنه قول أبي مرثد « رأيت رب العزة في المنام فقلت أي رب كيف الطريق اليك فقال أترك نفسك » ومعلوم أنه لا يترك ذاته وإنما يترك هواها وأفعالها المذمومة ، ومثل هذا كثير في الكلام ، يقال فلان له لسان ، فلان له يد طويلة ، فلان له قاب ، يراد بذلك لسان ناطق ويد عاملة صانعة وقاب حي عارف بالحق مريد له ، قال تعالى « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْبَنَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » كذلك النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صار لفظ « النفس » يعبر به عن

النفس المتبعة لهواها أو عن اتباعها الهوى بخلاف لفظ «الروح» فإنها لا يعبر عنها عن ذلك اذ كان لفظ «الروح» ليس هو باعتبار مدبرها للبدن : ويقال النفوس ثلاثة أنواع : وهى النفس الامارة بالسوء التى يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصى ، والنفس اللوامة وهى التى تذب وتغوب ففمنها خير وشر لكن اذا فعلت الشر تابت وأثبت فتسمى لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ولأنها تلوّم أى تتردد بين الخير والشر * والنفس المطمئنة وهى التى تحب الخير والحسنات وتريدته وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك وقد صار ذلك لها خلقا وعادة وملكة : فهذه صفات وأحوال لذات واحدة ، والا فالنفس التى لكل انسان هى نفس واحدة، وهذا أمر يحده الانسان من نفسه * وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء ان النفوس ثلاثة : نباتية محلها الكبد ، وحيوانية محلها القلب وناطقية محلها الدماغ : وهذا ان أرادوا به أنها ثلاثة قوى تتعلق بهذه الأعضاء فهذا مسلم، وان أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بأنفسها فهذا غلط بين :

فصل

وأما قول السائل « هل لها كيفية تعلم ؟ » فهذا سؤال مجمل ، « إن أراد أنه تعلم ما يعلم من صفاتها وأحوالها فهذا مما يعلم ، وإن أراد أنها هل لها مثل من جنس ما يشهده من الأجسام أو هل من جنس شيء من ذلك ؟ فان اراد ذلك فليست كذلك فإنها ليست من جنس العناصر الماء والهواء والنار والتراب ، ولا من جنس أبدان الحيوان والنبات والاعدن ، ولا

من جنس الأفلاك والكواكب، فليس لها نظير مشهود ولا جنس معهود، ولهذا يقال انه لا يُعلم كيفيتها، ويقال انه «من عرف نفسه عرف ربه» من جهة الاعتبار ومن جهة المقابلة ومن جهة الامتناع، فاما الاعتبار فانه يعلم الانسان انه حي عليم قدير سميع بصير متكلم فيتوصل بذلك الى ان يفهم ما اخبر الله به عن نفسه من انه حي عليم قدير سميع بصير فانه لو تصور لهذه المعاني من نفسه ونظر اليه لم يمكن ان يفهم ما غاب عنه كما انه لو لا تصوره لما في الدنيا من العسل والابن والماء والخمر: والحري: والذهب: والفضة لما امكنه ان يتصور ما اخبر به من ذلك من الغيب، لكن لا يلزم ان يكون الغيب مثل الشهادة فقد قال ابن عباس رضى الله عنه «ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء» فان هذه الحقائق التي اخبر بها انها في الجنة ليست مماثلة لهذه الموجودات في الدنيا بحيث يجوز على هذه ما يجوز على تلك ويجب لها ما يجب لها ويمتنع ما يمتنع عليها ويكون مادتها مادتها ويستحيل استحالتها فان علم أن ماء الجنة لا يفسد ويأسن: ولبنها لا يتغير طعمه، وحرها لا يصدع شاربها ولا ينزف عقله فان ماءها ليس نابعا من تراب ولا نازلا من سحب مثل ما في الدنيا، ولبنها ليس مخلوقا من أنعام كما في الدنيا وأمثال ذلك، فاذا كان ذلك المخلوق يوافق ذلك المخلوق في الاسم وبينهما قدر مشترك وتشابه فعلم به معنى ما خاطبنا به مع أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة: فالخالق جل جلاله أبعد عن مماثلة مخلوقاته مما في الجنة لما في الدنيا فإذا وصف نفسه بأنه حي عليم سميع

بصير قدیر لم یلزم أن یكون مماثلاً لخلقه اذ كان بعدھا عن مماثلة خلقه
 أعظم من بعد مماثلة كل مخلوق لكل مخلوق، وكل واحد من صفات الحيوان
 لها حياة وقوة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين فكيف یماثل
 ربّ العالمين شيئاً من المخلوقين والله سبحانه وتعالى سمي نفسه وصفاته
 بأسماء وسمى بها بعض المخلوقات فسمى نفسه حياً علياً سمياً بصيراً عزيزاً
 جباراً متكبراً ملكاً رؤوفاً رحيماً وسمى بعض عباده علياً : وبعضهم حليماً
 وبعضهم رؤوفاً رحيماً : وبعضهم سمياً بصيراً : وبعضهم ملكاً وبعضهم
 عزيزاً وبعضهم جباراً متكبراً ، ومعلوم أنه ليس العليم كالعليم ولا الحليم
 كالخليم ولا السميع كالسميع وهكذا في سائر الأسماء ، قال سبحانه
 وتعالى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً» وقال «وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» وقال
 «أَنَّهُ كَانَ حَكِيماً غَفُوراً» وقال «فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» وقال «إِنَّ اللَّهَ
 بِالنَّاسِ لَرَوِّفٌ رَحِيمٌ» وقال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» وقال «إِنَّ اللَّهَ
 كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً» وقال تعالى «أَمْشِجْ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً»
 وكذلك سائر ما ذكر لكن الانسان يعتبر بما عرفه مالم يعرفه ولولا ذلك
 لانسدت عليه طرق المعارف للأُمور الغائبة، وأما من جهة المفاصلة فيقال
 من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية : ومن عرف نفسه بالفقر
 عرف ربه بالثنى : ومن عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدره : ومن
 عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم : ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه
 بالعرز، وهكذا أمثال ذلك لأن العبد ليس له من نفسه إلا العدم، وصفات

١ - النساء ١١

٢ - الذاريات ٢٨

٣ - الاسراء ٤٤

٤ - الصافات ١٠١

٥ - الحج ٦٥

٦ - التوبة ١٢٨

٧ - النساك ٥٨

٨ - الإنسان ٢

النقص كلها ترجع الى العدم ، وأما الرب تعالى فله صفات الكمال وهي من لوازم ذاته يتمتع انفكاكه عن صفات الكمال أزلاً وأبداً ويتمتع عدمها لأنه واجب الوجود أزلاً وأبداً وصفات كماله من لوازم ذاته ويتمتع ارتفاع اللازم الآ بارتفاع المزوم فلا يعد شيء من صفات كماله إلا بعد ذاته وذاته يتمتع عليها العدم فيمتنع على شيء من صفات كماله العدم ، :

وأما من جهة المعجز والامتناع فانه يقال اذا كانت نفس الانسان التي هي أقرب الأشياء اليه بل هي هويته وهو لا يعرف كيفيتها ولا يحيط علماً بحقيقتها فالخالق جل جلاله أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علماً بحقيقته ولهذا قال أفضل الخلق وأعلمهم بربه « اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك » ^(١) وثبت في صحيح مسلم وغيره « أنه كان يقول هذا في سجوده » وقد روى الترمذي وغيره « أنه كان يقوله في قنوت الوتر وان كان في هذا الحديث نظر فالأول صحيح ثابت :

فصل

وأما سؤال السائل هل هو جوهر أو عرض فالجواب فيه اجمال ، ومعلوم أنه لم يرد بالسؤال الجوهر في اللغة مع أنه قد قيل إن لفظ « الجوهر » ليس من لغة العرب وانه معرب ، وانما أراد السائل الجوهر في الاصطلاح من تقسيم الموجودات الى جوهر وعرض .

(١) رواه مسلم وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه

وهؤلاء منهم من يريد بالجوهر التحيز فيكون الجسم التحيز عندهم
جوهراً ، وقد يريدون به الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ •
والعقلاء منازعون في اثبات هذا وهو أن الأجسام هل هي مركبة من
الجواهر المفردة أم من المادة والصورة أم ليست مركبة لا من هذا
ولا من هذا على ثلاثة أقوال أصحها الثالث أنها ليست مركبة لا من
الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة وهذا قول كثير من طوائف
أهل الكلام كالمشائية والضرارية والنجارية والكلائية وكثير من
الكرامية وهو قول جمهور الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم
بل هو قول أكثر العقلاء كما قد بسط في موضعه ،

والقائلون بأن لفظ « الجوهر » يقال على التحيز متنازعون هل
يمكن وجود جوهر ليس بمتحيز ، ثم هؤلاء منهم من يقول : كل موجود
فاما جوهر واما عرض ، ويدخل الموجود الواجب في مسمى الجوهر :
ومن هؤلاء من يقول كل موجود فاما جسم أو عرض ، ويدخل الموجود
الواجب في مسمى الجسم ، وقد قال بهذا وبهذا طائفة من نظائر المسلمين
وغيرهم ، ومن المتفلسفة والنصارى من يسميه جوهرًا ولا يسميه جسمًا ،
وحكى عن بعض نظائر المسلمين أنه يسميه جسمًا ولا يسميه جوهرًا إلا
أن الجسم عنده هو المشار إليه أو القائم بنفسه والجوهر عنده هو
الجوهر الفرد .

ولفظ العرض في اللغة له معنى وهو ما يعرض ويزول كما قال تعالى
« يَا خُذُوا عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى » وعند أهل الاصطلاح الكلامي

قد يراد بالعرض ما يقوم بغيره مطلقا وقد يراد به ما يقوم بالجسم من الصفات، ويراد به في غير هذا الاصطلاح أمور أخرى . ومعلوم أن مذهب السلف والائمة وعامة أهل السنة والجماعة اثبات صفات الله وأن له علما وقدره وحياة وكلاما ، ويسمون هذه صفات : ثم منهم من يقول هي صفات وليست أعراضا لأن العرض لا يبقى زمانين وهذه باقية ، ومنهم من يقول بل تسمى أعراضا لان العرض قد يبقى ، وقول من قال « ان كل عرض لا يبقى زمانين قول ضعيف : وإذا كانت الصفات الباقية تسمى اعراضا جاز أن يسمى هذه اعراضا : ومنهم من يقول « أنا لا أطلق ذلك بناء على أن الاطلاق مستنده الشرع »

والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد باطلافه نص ولا اجماع أم لا يطلق الا ما أطلق نص أو اجماع على قولين مشهورين ، وعامة النظار يطلقون ما لا نص في اطلاقه والاجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك ، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يُدعى بها وبين ما يخبر به عنه للحاجة فهو سبحانه انما يُدعى بالاسماء الحسنى كما قال « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا » وأما اذا احتيج الى الاخبار عنه مثل ان يقال : ليس هو قديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها : ونحو ذلك فقليل تحقيق الاسباب بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها ، وقيل ليس بشيء فقليل بل هو شيء فهذا سائق وان كان لا يُدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يبدل على المدح كقول القائل : يا شيء اذ كان هذا

لفظاً يعنى كل موجود وكذلك لفظ « ذات وموجود » ونحو ذلك الا اذا سمي بالموجود الذي يحده من طلبه كقوله « وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ » فهذا اخص من الموجود الذى يعنى الخالق والمخلوق . اذا تبين هذا فالنفس وهى الروح المدبرة لبدن الانسان - هى من باب ما يقوم بنفسه التى تسمى جوهرها وعينا قائمة بنفسها ليست من باب الأعراض التى هى صفات قائمة بغيرها ، واما التعبير عنها بلفظ « الجوهر » « والجسم » ففيه نزاع بعضه اصطلاحى وبعضه معنوى فنحن عني بالجوهر القائم بنفسه فهى جوهر ومن عني بالجسم ما يشار اليه وقال انه يشار اليها فهى عنده جسم ومن عني بالجسم المركب من الجواهر المفردة أو المادة والصورة فبعض هؤلاء قال انها جسم أيضاً ومن عني بالجوهر المتحيز القابل للقسمة ففهم من يقول انها جوهر ، والصواب أنها ليست مركبة من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة ، وليست من جنس الاجسام المتحيزات المشهودة المهودة ، وأما الإشارة اليها فانه يشار اليها وتصعد وتنزل وتخرج من البدن وتسل منه كما جاءت بذلك النصوص ودلت عليه الشواهد العقلية :

فصل

وأما قول القائل ، أين مسكنها من الجسد ؟ فلا اختصاص للروح بشيء من الجسد بل هى سارية فى الجسد كما تسرى الحياة التى هى عرض فى جميع الجسد فان الحياة مشروطة بالروح فاذا كانت الروح فى الجسد

كان فيه حياة واذا فارقت الروح فارقت الحياة :

فصل

وأما قوله : أين مسكن العقل فيه ؛ فالعقل قائم بنفس الانسان التي تعقل ، وأما من البدن فهو متعلق بقلبه كما قال تعالى « أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنُكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا » وقيل لابن عباس : بماذا نلت العلم : قال « بلسان سؤال وقلب عقول » لكن لفظ « القلب » قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن التي جوفها علة سوداء كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد » : وقد يراد بالقلب باطن الانسان مطلقا فان قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك ومنه سمي القلب قلبا لانه اخرج قلبه وهو باطنه ، وعلى هذا فاذا اريد بالقلب هذا فالعقل متعلق بدماغه أيضا ولهذا قيل : ان العقل في الدماغ : كما يقوله كثير من الاطباء ونقل ذلك عن الامام احمد ويقال طائفة من أصحابه : ان أصل العقل في القلب فاذا كمل انتهى الى الدماغ . والتحقيق أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا ، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ ومبدأ الارادة في القلب والعقل يراد به العلم ويراد به العمل فالعلم والعمل الاختياري أصله الارادة وأصل الارادة في القلب ، والمريد لا يكون مريدا الا بعد تصور المراد

فلا بد أن يكون القلب متصوراً فيكون منه هذا وهذا، وابتدىء ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة الى الدماغ فنه المبتدأ واليه الانتهاء، وكلا القولين له وجه صحيح؟ وهذا مقدار ما وسعته هذه الاوراق والله اعلم

تمت الرسالة والحمد لله اولا وآخراً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه ومن كان بشعره عاملاً :

نقلت هذه النسخة عن نسخة خطية مكتوب عليها هكذا : وقرئت على مصنفها شيخ الاسلام الامام العلامة تقي الدين أبي العباس احمد عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رضى الله عنه . قرأها مسطر هذه الاحرف محمد بن عبد الله بن احمد سبط مرشق المالكي عفا الله عنه



قاعدة نافعة

في صفة الكلام

لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامام العالم المتقن المحقق الزاهد الورع الحبر الكامل جامع الفضائل ومرجع الأفاضل معين السائل ومعين المسائل حجة الاسلام بركة الأنام ناصر السنة وقامع للبدعة تقي الدين ابو العباس احمد بن الشيخ الامام العالم نخر الدين عبد الحلیم بن الشيخ الامام العالم العامل القطب مجد الدين عبد السلام بن الشيخ ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني أسبغ الله عليه ملابس نعمه الفاخرة : ورزقه فعل سعادتي الدنيا والآخرة :

(قاعدة نافعة)

(فصل) في بيان ان القرآن كلام الله ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد وغيرهما قال الله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ
لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ فَأَمْرُهُ
أَنْ يَقُولَ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَاذِ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ
قُلْ نَزَّلَهُ عَائِدٌ عَلَى مَا فِي قَوْلِهِ بِمَا يُنْزِلُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْقُرْآنُ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ
سِيَاقُ الْقُرْآنِ : وَقَوْلُهُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ) فِيهِ إِخْبَارُ اللَّهِ بِأَنَّهُ أَنْزَلَهُ لَكِنْ
لَيْسَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ بَيَانٌ أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَزَلَ بِهِ وَلَا أَنَّهُ مَنَزَلٌ مِنْهُ
وَلَفْظُ الْأَنْزَالِ فِي الْقُرْآنِ قَدْ يَرُدُّ مَقِيدًا بِالْأَنْزَالِ مِنْهُ كَنَزُولِ الْقُرْآنِ وَقَدْ
يَرُدُّ مَقِيدًا بِالْأَنْزَالِ مِنَ السَّمَاءِ وَيَرَادُّ بِهِ الْعُلُوفُ فَيَتَنَاوَلُ نَزُولَ الْمَطَرِ مِنَ
السَّحَابِ وَنَزُولَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَقَدْ يَرُدُّ مطلقًا فَلَا
يَخْتَصُّ بِنَوْعٍ مِنَ الْأَنْزَالِ بَلْ رُبَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَنْزَالُ مِنْ رُؤُسِ الْجِبَالِ كَقَوْلِهِ
(وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) وَالْأَنْزَالُ مِنْ ظُهُورِ الْحَيَوَانَاتِ
كَأَنْزَالِ الْفَحْلِ الْمَاءَ وَغَيْرَ ذَلِكَ : فَقَوْلُهُ (نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)
بَيَانٌ لِنَزُولِ جِبْرِيلَ بِهِ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ هُنَا هُوَ جِبْرِيلُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ
(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ) وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ
فِي قَوْلِهِ (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى
قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) وَفِي قَوْلِهِ الْأَمِينُ
دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ مُؤْتَمَنٌ عَلَى مَا أُرْسِلَ بِهِ لَا يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ فَإِنَّ
الرَّسُولَ الْخَائِنَ قَدْ يَغْيِرُ الرِّسَالَهَ كَمَا قَالَ فِي صِفَتِهِ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى (إِنَّهُ

١ - النحل ٩٨-١٠٢

٢ - الحديد ٢٥

٣ - البقرة ٩٧

٤ - الشعراء ١٩٢-١٩٥

لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (وفي قوله (منزل من ربك) دلالة على أمور منها بطلان قول من يقول انه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهميين الذين قالوا بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة جهميا فان جهما اول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات وبالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة اليه وان كان جهم سبقه الى بعض ذلك فان الجعدي بن درهم اول من احدث ذلك في الإسلام فضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسطة يوم النحر وقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبجه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما على بعض ذلك فهم مخالفوه في مسائل غير ذلك : كمسائل القدر والايمان وبعض مسائل الصفات ايضا ولا يبالغون في النفي مبالغته :

وجههم يقول ان الله تعالى لا يتكلم او يقول انه يتكلم بطريق المجاز وأما المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجههم ينفي الأسماء أيضا كما نفى الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة واما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء والمقصود ان قوله (منزل من ربك)

فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قل السلف منه بدا اي هو الذي تكلم به لم يبتد من غيره كما قالت الخلقية * ومنها ان قوله (منزل من ربك) فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصائبة وهذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله * ومنها ان هذه الآية ايضا تبطل قول من يقول ان القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق اما في جبريل او محمد او جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلالية والأشعرية الذين يقولون ان القرآن العربي ليس هو كلام الله وانما كلامه للمعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الأجسام الهوائية او غيره او الهمة جبريل فمبعر عنه بالقرآن العربي او الهمة محمد فمبعر عنه بالقرآن العربي او يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ او غيره : فهذه الأقوال التي تقال تفريع على هذا القول فن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل ان يصل الينا وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوم في اثبات خلق القرآن العربي وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما ان اولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون انه كلام الله لكن يسمونه كلام الله مجازا وهذا قول أثبتهم وجهورهم : وقال طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة

بل يحملون القرآن العربي كلاما لغير الله وهو كلامه حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه : فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى يوافقون هؤلاء وانما ينازعونهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلالية خير من الخلقية في الظاهر : لكن جمهور الناس يقولون ان اصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الأمر والنهي والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرية كان تورا وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا : ومنهم من قال هو خمس معان :

وجهور المعتلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والمعتلاء الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطؤ واتفاق كما في مخبر الاخبار المتواترة : واما مع التواطؤ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو يفهم حقيقة القول الذي يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله : ولجه لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة :

وقال جمهور المعتلاء نحن اذا اعربنا التورية والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معانى هذا ليست معانى هذا وكذلك معنى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ليس هو معنى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) ولا معنى آية الكرسي هو

معنى آية الدين: وقال اذا جوزتم ان تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا ان يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاغترف أئمة لهذا القول بان هذا الالتزام ليس لهم عنه جواب عقلي : ثم منهم من قال الناس في الصفات اما مثبت لها قائل بالتعدد واما ناف لها واما اثباتها واتحادها بخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضي ابي بكر وابي المعالي وغيرهما : ومنهم من اعترف بانه ليس له عنه جواب كابى الحسن الآمدى وغيره : والمقصود هنا ان هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما نثبت بطلان غيره فان قوله (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ) يقتضى نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربى لفظه ومعناه بدليل قوله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) وانما يقرأ القرآن العربى لا يقرأ معانيه المجردة : وايضا فضمير المفعول فى قوله نزله عائد على ما فى قوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ) فالذى انزله الله هو الذى نزله روح القدس فاذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربى لزم ان يكون نزله من الله فلا يكون شئ منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وايضا فانه قال عقيب هذه الآية (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وهم كانوا يقولون انما يعلمه هذا القرآن العربى بشر لم يكونوا يقولون انما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) فانه تعالى أبطل قول الكفار بان

١ - النحل ١٠٢

٢ - النحل ٩٨

٣ - النحل ١٠١

٤ - النحل ١٠٣

لسان الذي الحدوا اليه بان اضافوا اليه هذا القرآن فجعلوه هو الذي يعلم محمدًا القرآن لسان أعجمي والقرآن لسان عربي مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ يلحدون لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم الى هذا الذي اضافوا اليه القرآن فان لفظ الاتحاد يقتضى ميلًا عن شيء الى شيء. يباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردًا لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الأعجمي شيئًا بلغة ذلك الأعجمي ويعبر عنه هو بمبارته وقد اشتهر في التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلمه من شخص كان بحكمة أعجمي قيل انه كان مولى لابن الحضر ممي وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله ابطل ذلك بان لسان ذلك أعجمي وهذا لسان عربي مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربي وان محمدًا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه لم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذي هو اللسان العربي سمعه روح القدس من الله ونزل به منه : ونظير هذه الآية قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) الى قوله (مُتَقَرِّفُونَ) وكذلك قوله (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق فان الكلامية او بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله فيقول كلامه هو

١ - الأنعام ١١٢-١١٣

٢ - الأنعام ١١٤

المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي

وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمي
نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى (أَلَمْ تَلِكْ
آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) وقال (طُسِ نِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ
مُبِينٍ) وقال (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ)
الى قوله تعالى (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ
مُوسَىٰ) فبين ان الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب : وقال (بَلْ هُوَ
قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) وقال (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ
مَّكْنُونٍ) وقال (يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ) وقال
(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي دَقِّ مَنشُورٍ) وقال (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ
عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) لكن لفظ الكتاب قد
يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال
تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ) وقال (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) والمقصود هنا ان قوله وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلا يتناول نزول القرآن العربي على كل قول : وقد
اخبر (ان الذين آتيناكم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) اخبار
مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه
او يقولونه والعلم لا يكون الا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن
الذي ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربي منزل من الله لا من
الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا

١ - الحجر ١

٢ - النحل ١

٣ - الأحقاف ٢٩

٤ - الأحقاف ٣٠

٥ - البروج ٢١-٢٢

٦ - الواقعة ٧٧-٧٨

٧ - البينة ٢-٣

٨ - الطور ١-٣

٩ - الأنعام ٧

١٠ - الإسراء ٢

غيرها واذا كان اهل الكتب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الامة
كان اهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا يتنافى
ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي**
لَيْلَةِ الْقَدْرِ (انزل الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجيا
مفرقا بحسب الحوادث ولا يتنافى انه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل
نزوله كما قال تعالى (**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**) وقال
تعالى (**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**)
وقال تعالى (**كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَنُشَاءُ ذِكْرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ**
مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) وقال تعالى (**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ**
لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) فان كونه مكتوبا في اللوح المحفوظ : وفي صحف
مطهرة بأيدي الملائكة لا يتنافى كون جبريل نزل به من الله سواء كتبه
الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى
بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى
يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون وهو
سبحانه قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل ان يعملوها كما
ثبت ذلك في الكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها
بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة التأخرة
عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف
وهو حق فاذا كان ما يخالفه باثنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف

١ - القدر ١

٢ - البروج ٢١-٢٢

٣ - الواقعة ٧٧-٧٦

٤ - عيس ١١-١٦

٥ - الزخرف ٤

نستبعد ان يكتب كلامه الذى يرسل به ملائكته قبل ان يرسلهم : ومن قال ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه : منها ان يقال فאלله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنو اسرائيل اخذوا كلام الله من الكتاب الذى كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فان كان محمد أخذ عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل اعلا من محمد بدرجة : وكذلك من قال انه اتى الى جبريل المعاني وان جبريل عبر عنها بالكلام العربى فقوله يستلزم ان يكون جبريل الهممه الهاما وهذا الالهام يكون لاحاد المؤمنين : وكما قال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) وقال (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ) وقد أوحى الى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذى يكون لاحاد الانبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن جبريل لان جبريل الذى علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء ولهذا زعم ابن عربى ان خاتم الاولياء افضل من خاتم الانبياء وقال لأنه يأخذ من المعدن الذى يوحى به الى الرسول فجعل أخذه واخذ الملك الذى جاء الى الرسول من معدن واحد وادعى ان أخذه عن الله أعلى من اخذ الرسول للقرآن : ومعلوم ان هذا من أعظم الكفر وان هذا القول من جنسه : وايضا فالله تعالى يقول (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) الى قوله (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليه وهذا يدل على أمور على

١ - المائدة ١١١

٢ - القصص ٧

٣ - النساء ١٦٣

٤ - النساء ١٦٤

ان الله يكلم عبده نكليما زائدا عن الوحي الذي هو قسم التكليم الخاص فان الخاص لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم الى عام وخاص فالتكليم العام هو المفسوم في قوله (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) والتكليم المطلق هو قسم الوحي الخاص ليس هو قسما منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى (فاسْمِعْ لِمَا يُوحَى) وقد يكون قسم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فانه حينئذ لا فرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحي العام الذى يكون لأحد العباد : ومثل هذا قوله فى الآية الأخرى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) فيُوحى بإذنه ما يشاء فانه فرق بين الإيحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال رسول يوحى بإذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الإيحاء : وأيضا فقوله « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » وقوله « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » وقوله « حم تنزيل من الرحمن الرحيم » وأمثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره : وكذلك قوله « بلغ ما أنزل إليك من ربك » فانه يدل على اثبات ان ما أنزل اليه من ربه وانه مبلغ ما مور بتبليغ ذلك : وأيضا فهم يقولون انه معنى واحد فان كان

١ - الشورى ٥١

٢ - طه ١٣

٣ - الزمر ١

٤ - غافر ٢

٥ - فصلت ٢

٦ - المائدة ٦٧

موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله وأنزل عليه شيئاً من كلامه عالمًا بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة: وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم: وأيضاً فقوله « وكلم الله موسى تكليماً » وقوله « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » وقوله « وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا » وقوله « فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » الآيات دليل على تكليم يسمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة: ومن قال انه يسمع فهو مكابر: ودليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتاً مسموعاً ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء لغير صوت مسموع لاحقيقة ولا مجازاً وأيضاً فقد قال تعالى « فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وقوله « فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » وقال « هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى » وقال « فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ » وفي

١ - النساء ١٦٤

٢ - الأعراف ١٤٣

٣ - مريم ٥٢

٤ - طه ١١-١٣

٥ - النمل ٨

٦ - القصص ٣٠

٧ - التازعات ١٥-١٦

٨ - طه ١١-١٢

هذا دليل على انه حينئذ نودى ولم يناد قبل ذلك : ولما فيها من معنى الظرف كما في قوله « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا » ومثل هذا قوله « ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين » (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) فإنه وقت النداء بظرف محدود فدل على ان النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف وجعل الظرف للنداء لا لسمع النداء : ومثل هذا قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » وقوله « وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ » وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين فاز الكلاية ومن وافقهم من أصحاب الأئمة الأربعة يقولون انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته بل الكلام للمعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته :

ثم من هؤلاء من يقول انه معنى واحد لان الحروف والأصوات متعاقبة يمتنع أن تكون قديمة : ومن قال بل الحروف والأصوات قديمة الأعيان وانها مترتبة في ذاتها متقاربة في وجودها لم تنزل ولا تزال قائمة بذاته والنداء الذي سمعه موسى قديم أزلي لم يزل ولا يزال : ومنهم من قال بل الحروف قديمة الأعيان بخلاف الأصوات وكل هؤلاء يقولون ان التكليم والنداء ليس الا مجرد خلق ادراك المخلوق بحيث يسمع ما لم يزل ولا يزال لأنه يكون هناك كلام بتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعاً لما كان موجوداً قبل سماعه

١ - الجن ١٩

٢ - القصص ٦٥

٣ - القصص ٦٢

٤ - البقرة ٣٠

٥ - البقرة ٣٤

بمنزلة ما جعل الأعمى بصيراً لما كان موجوداً قبل رؤيته من غير أحداث
 شيء منفصل عن الأعمى : فعندم لما جاء موسى لبيقات ربه سمع النداء القديم
 لانه حينئذ نودي : ولهذا يقولون انه يسمع كلامه خلقه بدل قول الناس انه
 يكلم خلقه وهو لا يردون على الخلقية الذين يقولون القرآن مخلوق ويقولون
 عن أنفسهم انهم أهل السنة الموافقون للسلف الذين قالوا ان القرآن كلام الله
 غير مخلوق وليس قولهم قول السلف لكن قولهم أقرب الى قول السلف
 من وجه وقول الخلقية أقرب الى قول السلف من وجه . أما كون
 قولهم أقرب فلأنهم يثبتون لله كلاماً قائماً بذاته بنفس الله وهذا قول
 السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه الا ما خلقه في غيره
 فان قول هؤلاء مخالف لقول السلف : وأما كون قول الخلقية أقرب
 فلأنهم يقولون ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته وهذا قول السلف وهؤلاء
 عندم لا يقدر الله على شيء من كلامه وليس كلامه بمشيئته واختياره
 بل كلامه عندم كحياته وهم يقولون الكلام عندنا صفة ذات لا صفة
 فعل : والخلقية يقولون صفة فعل لا صفة ذات : ومذهب السلف انه صفة
 ذات وفعل معا فكل منهما موافق للسلف من وجه دون وجه واختلافهم
 في كلام الله تعالى شبيه باختلافهم في رضاه وغصبه وارادته وكرهته
 وجه وبغضه وفرحه وسخطه ونحو ذلك : فان هؤلاء يقولون هذه
 كلها أمور مخلوقة بائنة عنه ترجع الى الثواب والعقاب : والآخرون
 يقولون بل هذه كلها أمور قديمة الأعيان قائمة بذاته ثم منهم من يجعلها
 كلها تعود الى ارادة واحدة العين متعلقة بجميع المخلوقات : ومنهم من

يقول بل هي صفات متعددة الأعيان لكن يقول كل واحدة واحدة
 العين قديمة قبل وجود مقتضياتها كما قالوا مثل ذلك في الكلام والله
 تعالى يقول «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ»
 فأخبر أن أفعالهم أسخطته : وقال تعالى « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ »
 أى أغضبونا : وقال تعالى « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » الى أمثال ذلك
 مما بين انه سخط على الكفار لما كفروا ورضى عن المؤمنين لما آمنوا :
 ونظير هذا اختلافهم في أفعاله ومسائل القدر فان المعتزلة يقولون انه
 يفعل لحكمة مقصودة وارادة الاحسان الى العباد لكن لا يثبتون فعله
 حكمة تعود اليه : وأولئك يقولون لا يفعل لحكمة ولا مقصود أصلا : فأولئك
 أثبتوا حكمة لكن لا تقوم به : وهؤلاء لا يثبتون له حكمة ولا مقصودا
 يتصف به والفريقان لا يثبتون له حكمة ولا مقصود ايعود اليه وكذلك
 في الكلام أولئك أثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به : وهؤلاء يقولون مالا
 يقوم به لا يعود حكمته اليه والفريقان يمنعون ان يقوم به حكمة مرادة
 له كما يمنع الفريقان ان يقوم به كلام وفعل يريد به : وقول أولئك أقرب
 الى قول السلف : والفقهاء اذا أثبتوا الحكمة والمصلحة في أحكامه وأفعاله
 أثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشيئته : وقول هؤلاء أقرب الى
 السلف اذا اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد المخلوق المنفصل عنه
 الذى لم يتم به اصلا ولا يعود اليه حكم من شيء لم يتم به فلا يكون متكلما
 بكلام لم يتم به ولا يكون حكيما كريما ورجيا بحكمة ورحمة لم يتم به كما

لا يكون عليا بعلم لم يقم به وقدير ابقدرة لم تقم به ولا يكون محبا راضيا غضبانا بحب ورضى وعضب لم يقم به فكل من المعتزلة والأشعرية في مسائل كلام الله وأفعال الله وافقوا السلف والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه وليس قول أحدهما هو قول السلف دون الآخر لسكن الأشعرية في جنس مسائل الصفات بل وسائر صفاته : والقدر أقرب الى قول السلف دون الآخر والأئمة من المعتزلة :

فان قيل فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) وهذا يدل على هذا ان الرسول أحدث الكلام العربي قيل هذا باطل وذلك لأن الله ذكره في القرآن في موضعين فالرسول في أحد الموضعين محمد والرسول في الآية الأخرى جبريل قال تعالى في سورة الحاقة (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال في سورة التكوير (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ) فالرسول هنا جبريل فلو كان أصنافه الى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين فانه ان كان أحدهما هو الذي أحدثها امتنع ان يكون الآخر هو الذي أحدثها وأيضا فانه قال لقول رسول كريم ولم يقل لقول ملك ولا نبي ولفظ الرسول يستلزم مرسلاته

١ - الحاقة ٤٠

٢ - الحاقة ٤٠-٤٣

٣ - التكوير ١٩-٢١

فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسله لانه أنشأ منه شيئا من جهة نفسه : وهذا يدل على انه أضافه الى الرسول لانه بلغه وأداه لا لانه أنشأ منه شيئا ولا ابتدأه وأيضا فان الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قُدِّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) ومحمد بشر فن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول هو قول بشر أو جنى أو ملك فن جعله قولاً لأحد من هؤلاء فقد كفر: ومع هذا فقد قال تعالى (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ) فجعله قول الرسول البشرى مع تكفير من يقول انه قول البشر فعلم ان المراد بذلك ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذى أرسله كما قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) فالذى بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالمواسم ويقول «الا رجل يحمانى الى قومه لأبلغ كلام ربي» رواه أبو داود وغيره والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله ميانا مؤديا وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس سماع مقيد بواسطة كما قال تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

١ - اللذر ١٨-٢٥

٢ - الحاقة ٤٠-٤٦

٣ - التوبة ٦

فَيُوحَى بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم الأنبياء بإرسال رسول اليهم والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم به بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يباغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه » فالمستمع منه يبلغ حديثه كما سمعه لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول فالكلام كلام الرسول تكلم به بصوته والمبلغ بلغ كلام الرسول بصوت نفسه واذا كان هذا معلوماً فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بذلك: ولهذا قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذي يقرأ به العبد صوت القارئ وأصوات العباد ليست هي عين الصوت الذي ينادى الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا قدرته مثل قدرتهم ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل نداءهم ولا صوته مثل أصواتهم فن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله أو هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال: ومن قال ان أصوات العباد والمداد الذي يكتب به القرآن قديم أزلي فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن وهو كلام الله وهو مثبت في

المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه والانسان يرى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة ويراها في ماء أو مرآة فهذه رؤية مفيدة بالواسطة وتلك رؤية مطلقة بطريق المباشرة وكذلك الكلام لم يسمع من المتكلم به بطريق المباشرة ويسمع المبلغ عنه بواسطة والمقصود بالسماع هو كلامه في الموضوعين كما ان المقصود في الرؤية هو المرئي في الموضوعين

فن عرف ما بين الحالين من الاجتماع والافتراق والاختلاف والاتفاق زالت عنه الشبهة التي نصيب كثيراً من الناس في هذا الباب فان طائفة قالت هذا المسموع كلام الله والمسموع صوت العبد وصوته مخلوق فكلام الله مخلوق وهذا جهل فانه مسموع من المبلغ ولا يلزم اذا كان صوت المبلغ مخلوقاً ان يكون نفس الكلام مخلوقاً * وقالت طائفة هذا المسموع صوت العبد وهو مخلوق والقرآن ليس بمخلوق فلا يكون هذا المسموع كلام الله وهذا جهل فان المخلوق هو الصوت لا نفس الكلام الذي يسمع من المتكلم به ومن المبلغ عنه * وطائفة قالت هذا كلام الله وكلام الله غير مخلوق فيكون هذا الصوت غير مخلوق وهذا جهل فانه اذا قيل هذا كلام الله فالشار الىه الكلام من حيث هو وهو الثابت اذا سمع من الله واذا سمع من المبلغ عنه واذا قيل المسموع انه كلام الله فهو كلام الله مسموعاً من المبلغ عنه لا مسموعاً منه فهو مسموع بواسطة صوت العبد وصوت العبد مخلوق: وأما كلام الله نفسه فهو غير مخلوق حيث ما تصرف وهذه نكت قد بسط الكلام فيها في غير هذا الموضع:

فصل

فان قيل ما منشأ هذا النزاع والاشتباه والتفرق والاختلاف •
 قيل منشأه هو الكلام الذى ذمه السلف وعابوه وهو الكلام المشبه
 المشتمل على حق وباطل فيه ما يوافق العقل والسمع وفيه ما يخالف العقل
 والسمع فيأخذ هؤلاء جانب النفي المشتمل على نفي الحق والباطل وهؤلاء
 جانب الاثبات المشتمل على اثبات حق وباطل وباطله هو المخالف للكتاب
 والسنة واجماع السلف فكل كلام خالف ذلك فهو باطل ولا يخالف
 ذلك الا كلام مخالف للعقل والسمع وذلك انه لما تناظروا فى مسألة
 حدوث العالم واثبات الصانع فاستدلّت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم
 من طوائف أهل الكلام على ذلك بأن ما لا يحلو عن الحوادث فهو حادث ثم
 ان المستدلين بذلك على حدوث الأجسام قالوا ان الأجسام لا تخلو عن
 الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ثم تنوعت طرقهم فى
 المقدمة الأولى فتارة يثبتونها بأن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون
 وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الأجسام لا تخلو عن الاجتماع والافتراق
 وهما حادثان وتارة يثبتونها بأن الأجسام لا تخلو عن الأكوان الأربعة
 الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وهى حادثة: وهذه طرق المعتزلة
 ومن وافقهم على ان الأجسام قد تخلو عن بعض أنواع الأعراض وتارة
 يثبتونها بأن الجسم لا يخلو من كل جنس من الأعراض عن عرض
 منه ويقولون القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده ويقولون ان الأعراض

يُمتنع بقاؤها لأن العرض لا يبقى زمانين وهذه الطريقة هي التي اختارها
الأمدي وزيف ما سواها وذكر أن جمهور أصحابه اعتمدوا عليها وقد
وافقهم عليها طائفة من الفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة كالقاضي أبي
يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وأمثالهم : وأما الهشامية
والكرامية وغيرهم من الطوائف الذين لا يقولون بحدوث كل جسم
ويقولون أن القديم تقوم به الحوادث فهو لاء إذا قالوا بأن ما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث كما هو قول الكرامية وغيرهم موافقة للمعتزلة
في هذا الأصل فاتهم يقولون الجسم القديم يخلو عن الحوادث بخلاف
الاجسام المحدثه فانها لا تخلو عن الحوادث والناس متنازعون في السكون
هل هو أمر وجودي أو عدمي فمن قال انه وجودي قال الجسم الذي
لا يخلو عن الحركة والسكون اذا انتفت عنه الحركة قام به السكون
الوجودي وهذا قول من يحتج بتعاقب الحركة والسكون على حدوث
المتصف بذلك ومن قال انه عدمي لم يلزم من عدم الحركة عن المحل
ثبوت سكون وجودي فمن قال انه تقوم به الحركة والحوادث بعد
ان لم يكن مع قوله بامتناع تعاقب الحوادث كما هو قول الكرامية
وغيرهم ويقولون اذا قامت به الحركة لم يعدم بفنائها سكون وجودي
بل ذلك عندهم بمنزلة قولهم مع المعتزلة والأشعرية وغيرهم انه يفعل بعد
ان لم يكن فاعلا ولا يقولون ان عدم الفعل أمر وجودي كذلك
الحركة عند هؤلاء وكان كثير من أهل الكلام يقولون ما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث بناء على أن

هذه مقدمة ظاهرة فان ما لا يسبق الحادث فلا بد ان يقارنه أو يكون بعده وما قارن الحادث فهو حادث وما كان بعده فهو حادث:

وهذا الكلام مجمل فاذا اريد ما لا يخلو عن الحادث المعين او ما لا يسبق الحادث المعين فهو حق بلا ديب ولا نزاع فيه وكذلك اذا اريد بالحادث جملة ماله اول او ما كان بعده العدم ونحو ذلك واما اذا اريد بالحوادث الأمور التي تكون شيئاً بعد شيء لا الى أول : وقيل انه لا يخلو عنها وما لم يخل عنها فهو حادث لم يكن ذلك ظاهراً ولا يتناول هذا مقام حار فيه كثير من الأفهام وكثر فيه النزاع والخصام ولهذا صار المستدلون بقولهم ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث يعلمون ان هذا الدليل لا يتم الا اذا اثبتوا امتناع حوادث لا أول لها فذكروا في ذلك طرقاً قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع:

وهذا الأصل تنازع الناس فيه على ثلاثة أقوال: فقيل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبامتناع حوادث لا أول لها مطلقاً وهذا قول المعزلة ومن اتبعهم من الكرامية والاشعرية ومن دخل في ذلك من الفقهاء وغيرهم * وقيل بل يجوز دوام الحوادث مطلقاً وليس كل ما قارن حادثاً بعد حادث لا الى أول يجب ان يكون حادثاً بل يجوز ان يكون قديماً سواء كان واجباً بنفسه او بغيره وربما عبر عنه بالعلة والمعلول والفاعل والمفعول ونحو ذلك وهذا قول الفلاسفة القائلين بقديم الأفلاك كارسطو واتباعه مثل ثامسطيوس : والاسكندر الافريديوسي : وبرقليس والفارابي وابن سينا وامثالهم :

واما جمهور الفلاسفة المتقدمين على ارسطو فلم يكونوا يقولون
 بقديم الافلاك: ثم الفلاسفة من هؤلاء وهؤلاء متنازعون في قيام
 الصفات والحوادث بواجب الوجود على قولين معروفين لهم واثبت
 ذلك قول كثير من الأساطين القدماء وبعض المتأخرين كابي البركات
 صاحب المعتبر وغيره كما بسطت اقوالهم في غير هذا الموضع وقيل بل
 ان كان المستلزم للحوادث ممكنا بنفسه وانه هو الذي يسمى مفعولا ومعلولا
 ومربوبا ونحو ذلك من العبارات وجب ان يكون حادثا وان كان واجبا
 بنفسه لم يجب ان يكون حادثا وهذا قول أئمة أهل الملل واساطين
 الفلاسفة وهو قول جماهير أهل الحديث وصاحب هذا القول يقول
 مالا يخلو عن الحوادث وهو ممكن بنفسه فهو حادث او مالا يخلو عن
 الحوادث وهو معلول او مفعول او مبتدع او مصنوع فهو حادث لانه
 اذا كان مفعولا مستلزما للحوادث امتنع ان يكون قديما فان القديم
 للمعلول لا يكون قديما الا اذا كان له موجب قديم بذاته يستلزم معلوله
 بحيث يكون معه ازليا لا يتأخر عنه وهذا ممتنع فان ما استلزم الحوادث
 يمتنع ان يكون فاعلا موجبا بذاته يستلزم معلوله في الازل فان الحوادث
 المتعاقبة شيئا بعد شيء لا يكون مجموعها في الازل ولا شيء منها ازليا
 بل الأزلي هو دوامها واحدا بعد واحد والموجب بذاته والمستلزم
 لمعلوله في الازل لا يكون معلوله شيئا بعد شيء سواء كان صادرا عنه
 بواسطة أو بغير واسطة فان ما كان واحدا بعد واحد يكون متعاقبا
 حادثا شيئا بعد شيء: فيمتنع ان يكون معلولا مقارنا لعلته في الازل

بمخلاف ما اذ قيل ان المقارن لذلك هو الواجب بذاته الذي يفعل شيئا بعد شيء فانه على هذا التقدير لا يكون في الأزل موجبا بذاته ولا علة تامة لشيء من العالم فلا يكون معه في الأزل من المخلوقات شيء لكن فاعليته للمفعولات تكون شيئا بعد شيء وكل مفعول يوجد عند وجود كمال فاعليته اذ المؤثر التام المستلزم لجميع شروط التأثير لا يتخلف عنه اثره اذ لو لم يكن مؤثرا تاما فوجود الاثر يستلزم وجود المؤثر التام ووجود المؤثر التام يستلزم وجود الاثر فليس في الأزل مؤثر تام فليس مع الله شيء من مخلوقاته قديم بقدمه والأزل ليس هو حدا محدودا ولا وقتا معيننا بل كل ما يقدره العقل من الغاية التي ينتهي اليها فالأزل قبل ذلك كما هو قبل ما قدره فالأزل لا اول له كما ان الأبد لا آخر له : وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « انت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء » فلو قيل انه مؤثر تام في الأزل لشيء من الأشياء لزم ان يكون مقارنا له دائما وذلك ينافي كونه مفعولا له وانما يصح مثل هذا في الصفة اللازمة للموصوف فانه اذا قيل الذات مقتضى تام للصفة كان المعنى ان الذات مستلزمة للصفة ليس المراد بذلك ان الذات مبتدعة للصفة فانه اذا تصور معنى المبتدع امتنع في المقارن بصريح المعقول سواء سمي علة فاعلة او خالفا او غير ذلك وامتنع ان يقوم بالأثر شيء من الحوادث لان كل حادث يحدث لا يحدث الا اذا وجد مؤثره التام عند حدوثه وان كانت ذات المؤثرة موجودة قبل ذلك لكن لا بد من كمال وجود

شروط التأثير عند وجود الأثر والالزام الترجيح بلا مرجح وتخلف
المعلول عن العلة التامة ووجود الممكن بدون المرجح التام: وكل هذا
ممتنع فامتنع ان يكون مؤثر الشيء من الحوادث في الأزل وامتنع ان
يكون مؤثرا في الأزل فيما يستلزم الحوادث لان وجود الملزوم بدون
اللازم محال فامتنع ان يكون المفعول المستلزم للحوادث قديما

واذا قيل ذاته مقتضية للحادث الثاني بشرط انقضاء الاول * قيل
فايس هو مقتضيا لشيء واحد دائما فلا يكون معه قديم من مفعولاته
* وقيل ايضا هذا انما يكون اذا كانت لذاته احوال متعاقبة تختلف
المفعولات لاجلها فاما اذا قدر ان لا يقوم بها شيء من الاحوال المتعاقبة بل
حالتها عند وجود الحادث كعالتها قبله كان امتناع فعله للحوادث المتعاقبة
البائنة أعظم من امتناع فعله لحادث معين فاذا كان الثاني ممتنعا عندهم
فالأول أولى بالامتناع ومتى كان للذات احوال متعاقبة تقوم بها بطلت
كل حجة لهم على قدم شيء من العالم وامتنع أيضا قدم شيء من العالم اذا
كان المفعول لا بد له من فعل حادث والفعل الحادث لا يكون مفعوله
الاحادثا وهذا مبسوط في غير هذا الموضع :

فصل

واذا عرف الأصل الذي منه تفرع نزاع الناس في مسألة كلام الله
فالذين قالوا مالا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا تنازعوا في كلام الله
تعالى: فقال كثير من هؤلاء الكلام لا يكون الا بمشيئة المتكلم وقدرته

فيكون حادثا كغيره من الحوادث ثم قالت طائفة والرّب لا يقوم به الحوادث
فيكون الكلام مخلوقا في غيره فجعلوا كلامه مخلوقا من المخلوقات ولم
يفرقوا بين قال وفعل : وقد علم ان المخلوقات لا يتصف بها خالق فلا
يتصف بما يخلقه في غيره . من الألوان والأصوات والروائح والحركة
والعلم والقدرة والسمع والبصر فكيف يتصف بما يخلقه في غيره من
الكلام ولو جاز ذلك لكان ما يخلقه من انطاق الجمادات كلامه ومن علم
انه خالق كلام العباد وافعالهم يازم ان يقول كل كلام في الوجود فهو
كلامه كما قال بعض الاتحادية :

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا ثره ونظامه
وهذا قول الجهمية والنجارية والضرارية وغيرهم فان هؤلاء يقولون
انه خالق افعال العباد وكلامهم مع قولهم ان كلامه مخلوق فيلزمهم هذا :
وأما المعتزلة فلا يقولون ان الله خالق افعال العباد لكن الحجة توجب
القول بذلك : وقالت طائفة بل الكلام لا بد ان يقوم بالمتكلم ويتمنع ان
يكون كلامه مخلوقا في غيره وهو متكلم بمشيئته وقدرته فيكون كلامه
حادثا بعد ان لم يكن لامتناع حوادث لا اول لها وهذا قول الكرامية
وغيرهم ثم من هؤلاء من يقول كلامه كاه حادث لا محدث : ومنهم من
يقول هو حادث ومحدث : وقال كثير من هؤلاء الذين يقولون بامتناع
حوادث لا أول لها مطلقا الكلام لازم لذات الرب كلزوم الحياة ليس هو
متملقا بمشيئته وقدرته بل هو قديم كقدم الحياة اذ لو قلنا انه بقدرته
ومشيئته لزم ان يكون حادثا وحينئذ فيلزم ان يكون مخلوقا او قائما

بذات الرب فيلزم قيام الحوادث به وذلك يستلزم تسلسل الحوادث لان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن صنده قالوا وتسلسل الحوادث ممتنع اذا التفريع على هذا الأصل : ثم ان هؤلاء لما قالوا بقديم عيز الكلام تنازعوا فقالت طائفة القديم لا يكون حروفا ولا أصواتا لان الصوت يستحيل بقاءه كما يستحيل بقاء الحركة وما امتنع بقاءه امتنع قدم عينه بطريق الأولى والأخرى فيمتنع قدم شيء من الأصوات المعينة كما يمتنع قدم شيء من الحركات المعينة لان تلك لا تكون كلاما الا اذا كانت متعاقبة والقديم لا يكون مسبوقا بغيره فلو كانت الميم من بسم الله قديمة مع كونها مسبوقة بغيرها لكان القديم مسبوقا بغيره وهذا ممتنع فيلزم ان يكون القديم هو المعنى فقط ولا يجوز تمده لانه لو تعدد لكان اختصاصه بقدر دون قدر ترجيحا بلا مرجح وان كان لا يتناهى لزم وجود اعداد لانهاية لها في آن واحد قالوا وهذا ممتنع فيلزم ان يكون معنى واحدا هو الأمر والخبر وهو معنى التوراة والانجيل والزبور والقرآن وهذا اصل قول الكلايسة والاشعرية : وقالت طائفة من اهل الكلام والحديث والفقهاء وغيرهم بل هو حروف قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال وهى مترتبة فى ذاتها لافى وجودها كالحروف الموجودة فى المصحف وليس باصوات قديمة : ومنهم من قال بل هو أيضا اصوات قديمة ولم يفرق هؤلاء بين الحروف المنطوقة التى لا توجد الا متعاقبة وبين الحروف المكتوبة التى توجد فى آن واحد كما يفرق بين الأصوات وللداد فان الأصوات لا تبقى بخلاف المداد فانه جسم يبقى واذا كان الصوت لا يبقى

امتنع ان يكون الصوت المدين قديماً لان ماوجب قدمه ازم بقاؤه
وامتنع عدمه والحروف المكتوبة قد يراد بها نفس الشكل القائم بالمداد
او ما يقدر بقدر المداد كالشكل المصنوع في حجر وورق بازالة بعض
اجزائه وقد يراد بالحروف نفس المداد : وأما الحروف المنطوقة فقد
يراد بها ايضا الأصوات المقطوعة المؤلفة وقد يراد بها حدود الاصوات
وأطرافها كما يراد بالحروف في الجسم حده ومنتهاه فيقال حرف الرغيف
وحرف الجبل ونحو ذلك : ومنه قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ
اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) وقد يراد بالحروف الحروف الخالية الباطنة وهو ما يتشكل
في باطن الانسان من الكلام المؤلف المنظوم قبل ان يتكلم به : وقد
تنازع الناس هل يمكن وجود حروف بدون أصوات في الحى الناطق
على قولين لهم وعلى هذا تنازعت هذه الطائفة القائلة بقدوم أعيان
الحروف هل تكون قديمة بدون أصوات قديمة أم لا بد من أصوات
قديمة لم تزل ولا تزال :

ثم القائلون بقدوم الأصوات المعينة تنازعوا في المسموع من
القارئ هل يسمع منه الصوت القديم ف قيل المسموع هو الصوت القديم
وقيل بل المسموع صوتان أحدهما القديم والآخر المحدث فلا بد منه
في وجود القرآن فهو القديم وما زاد على ذلك فهو المحدث : وقيل بل
الصوت القديم غير المسموع من العبد وتنازعوا في القرآن هل يقال
انه حال في المصحف والصدور أم لا يقال ذلك على قولين ف قيل هو
ظاهر في المحدث ليس بحال فيه وقيل بل القرآن حال في الصدور

والمصاحف فهؤلاء الخلقية والحادثية والاتحادية والاقترانية أصل قولهم ان ما لا يسبق الحوادث فهو حادث مطلقا : ومن قال بهذا الأصل فانه يلزم به بعض هذه الأقوال أو ما يشبه ذلك فان من الناس من يجعله حادثا يريد أن يكون بعد ان لم يكن ويجعل الحادثات ارادات وتصورات لاحروف وأصوات والداربي وغيره يميلون الى هذا القول فانه اما أن يحمل كلام الله حادثا أو قديما واذا كان حادثا فاما ان يكون حادثا في غيره واما أن يكون حادثا في ذاته واذا كان قديما فاما أن يكون القديم المعنى فقط أو اللفظ فقط أو كلاهما فاذا كان القديم هو المعنى فقط لزم أن لا يكون الكلام العربي كلام الله ثم الكلام في ذلك المعنى قد عرف : وأما قدم اللفظ فهذا لم يقل به أحد لكن من الناس من يقول ان الكلام القديم هو اللفظ : وأما في معناه فليس هو داخلا في مسمى الكلام بل هو العلم والارادة وهما قديمان لكن ليس ذلك داخلا في مسمى الكلام فهذا يقول الكلام القديم هو اللفظ فقط أما الحروف المؤلفة واما الحروف والأصوات لكنه يقول ان معناه قديم : وأما الفريق الثاني الذين قالوا يجواز حوادث لا أول لها مطلقا وان القديم الواجب بنفسه يجوز أن يتعقب عليه الحوادث مطلقا إن كان ممكنا لا واجبا بنفسه فهؤلاء القائلون بقدم العالم كما يقولون بقدم الأفلاك وانها لم تزل ولا تزال معلولة لعلة قديمة أزلية لكن المنتسبون الى الملل كابن سينا ونحوه منهم قالوا انها صادرة عن الواجب بنفسه الموجب لها بذاته وأما ارسطو وأتباعه فانهم قالوا ان لها علة

غائية تتحرك للتشبيه بها فهي تحركها كما يحرك المعشوق عاشقه ولم يثبتوا لها مبدعا ولا موجبا بذاته وانما أثبت واجب الوجود بطريقة الوجود ابن سينا وأمثاله

وحقيقة قول هؤلاء وجود الحوادث بلا محدث أصلا: أما على قول من جعل الاول علة غائية للحركة فظاهر فانه لا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعلا لها فقولهم في حركة الأفلاك نظير قول القدرية في حركة الحيوان وكل من الطائفتين قد تناقض قولهم فان هؤلاء يقولون بأن فعل الحيوان صادر عن غيره لكون القدرة والداعي مستازمين وجود الفعل والقدرة والداعي كلاهما من غير العبد:

فيقال لهم فقولوا هكذا في حركة الفلك وقدرته وداعيه فانه يجب أن يكونا صادرين عن غيره وحينئذ فيكون الواجب موجبا بنفسه هو المحدث لتلك الحوادث شيئا بعد شيء وان كان ذلك بواسطة العقول وهذا القول هو الذي يقوله ابن سينا وأتباعه وهو باطل أيضاً لان الموجب بذاته التقديم الذي يقارنه موجبه ومقتضاه يتمتع ان يصدر عنه حادث بواسطة أو بلا واسطة فان صدور الحوادث عن العلة التامة الأزلية ممتنع لذاته * واذا قالوا الحركة متوسطة أي حركة الفلك * قيل لهم فالكلام انما هو في حدوث الحركة الفلكية فان الحركة الحادثة شيئا بعد شيء يتمتع أن يكون المقتضى لها علة تامة أزلية مستازمة لمعلولها فان ذلك جمع بين النقيضين إذ القول بمقارنة المعلول لمولته في الأزلية ووجوده معها يناقض ان يتخالف المعلول أو شيء من المعلول عن الأزل

بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا بسيطة لا يقوم بها شيء من الصفات والا حوال المقتضية لحدوث الحوادث المتماثلة المختلفة بل يمتنع أن يكون المقتضى لها ذاتا موصوفة لا يقوم بها شيء من الأحوال الموجبة لحدوث الحوادث المذكورة فان التحدد والتعدد والموجود في العلولات لا يمتنع صدوره عن علة واحدة بسيطة من كل وجه فصار حقيقة قولهم ان الحوادث العلوية والسفلية لا يحدث لها وهؤلاء يقولون كلام الله ما يفيض على النفوس الصافية كما ان ملائكة الله عندهم ما يتشكل فيها من الصور النورانية فلا يثبتون له كلاما خارجا عما في نفوس البشر ولا ملائكة خارجة عما في نفوسهم غير العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة مع ان أكثرهم يقولون انها أعراض وقد بين في غير هذا الموضع ان ما يثبتونه من المجرّدات العقلية التي هي العقول والنفوس والمواد والصور انما وجوده في الاذهان لا في الأعيان :

وأما الصنف الثالث الذين فرقوا بين الواجب والممكن والمخلوق والمخلوق والغنى الذي لا يفتقر الى غيره والفقير الذي لا قوام له بالغنى فقالوا ان ما قارن الحوادث من الممكنات فهو محدث كائن بعد ان لم يكن وهو مخلوق مصنوع مربوب وانه يمتنع أن يكون فيما هو فقير ممكن مربوب شيء قديم فضلا ان يقارنه حوادث لا أول لها : ولهذا كانت حركات الفلك دليلا على حدوثه كما تقدم التنبيه على ذلك : وأما الرب تعالى اذا قيل لم يزل متكلا اذا شاء او لم يزل فاعلا لما يشاء لم يكن دوام كونه متكلا بمشيئته وقدرته ودوام كونه فاعلا بمشيئته وقدرته

ممتنعاً بل هذا هو الواجب لان الكلام صفة كمال لا نقص فيه فاقرب أحق أن يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام اذ كل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به لان القديم الواجب الخالق أحق بالكمال المطلق من المحدث الممكن المخلوق ولان كل كمال ثبت للمخلوق فأنما هو من الخالق وما جاز انصافه به من الكمال وجب له فانه لو لم يجب له لكان اما ممتنعاً وهو محال بخلاف الفرض وأما ممكننا فيتوقف ثبوته له على غيره والرب لا يحتاج في ثبوت كماله الى غيره فان معطى الكمال أحق بالكمال فيلزم أن يكون غيره أكل منه لو كان غيره معطياً له الكمال وهذا ممتنع بل هو بنفسه المقدسة مستحق لصفات الكمال فلا يتوقف ثبوت كونه متكلاً على غيره فيجب ثبوت كونه متكلاً وان ذلك لم يزل ولا يزال والمتكلم بمشيئته وقدرته أكل ممن يكون الكلام لازماً له بدون قدرته ومشيئته والذي لم يزل متكلاً اذا شاء أكل ممن صار الكلام يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكناً له : وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته وان قيل انه ينادى ويتكلم بصوت ولا يلزم من ذلك قسم صوت معين واذا كان قد تكلم بالتوراة والقرآن والانجيل بمشيئته وقدرته لم يمتنع ان يتكلم بالباء قبل السين وان كان نوع الباء والسين قديماً لم يستلزم ان يكون الباء المعينة والسين المعينة قديمة لما علم من الفرق بين النوع والعين وهذا الفرق ثابت في الارادة والكلام والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات وبه تنحل الاشكالات الواردة على وجدة هذه الصفات وتمدها وقدمها وحدثها وكذلك تزول به الاشكالات الواردة في أفعال الرب وقدمها وحدثها وحدث العالم

واذا قيل ان حروف المعجم قديمة بمعنى النوع كان ذلك ممكناً بخلاف ما اذا قيل ان عين اللفظ الذى نطق به زيد وعمر قديم فان هذا مكابرة للحس والمتكلم يعلم ان حروف المعجم كانت موجودة قبل وجوده بنوعها : وأما نفس الصوت

المعين الذى قام به أو التقطيع أو التأليف المعين لذلك الصوت فيعلم ان عينه لم يكن موجوداً قبله والمنقول عن الامام أحمد وغيره من أئمة السنة مطابق لهذا القول ولهذا أنكروا على من زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق وأنكروا على من قال لما خلق الله الحروف سجدت له الا الالف فقالت لا أسجد حتى أوامر مع ان هذه الحكاية نقلت لاحمد عن سرى السقطي وهو نقلها عن بكر بن خنيس العابد ولم يكن قصد أولئك الشيوخ بها الا بيان ان العبد الذى يتوقف فعله على الأمر والشرع هو أكمل من العبد الذى يعبد الله بغير شرع فان كثيراً من العباد يعبدون الله بما تحبه قلوبهم وان لم يكونوا مأمورين به فقصده أولئك الشيوخ ان من عبد الله بالأمر ولم يفعل شيئاً حتى يؤمر به فهو افضل ممن عبده بما لم يؤمر به وذكروا هذه الحكاية الاسرائيلية شاهداً لذلك مع ان هذه لا اسناد لها ولا يثبت بها حكم ولكن الاسرائيليات اذا ذكرت على طريق الاستشهاد بها لما عرف صحته لم يكن يذكرها بأس وقصدوا بذلك الحروف المكتوبة لان الالف منتصبة وغيرها ليس كذلك مع ان هذا أمر اصطلاحي وخط غير العربى لا يماثل خط العربى ولم يكن قصد أولئك الاشياخ ان نفس الحروف المنطوقة التى هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة بئس عن الله بل هذا شيء لعله لم يخطر بقلوبهم والحروف المنطوقة لا يقال فيها انها منتصبة ولا ساجدة فمن احتج بهذا من قولهم على انهم يقولون ان الله لم يتكلم بالقرآن العربى ولا بالتوراة العبرية فقد قال عنهم ما لم يقولوه : وأما الامام أحمد فانه أنكر اطلاق هذا القول وما يفهم منه عند الاطلاق وهو ان نفس حروف المعجم مخلوقة كما نقل عنه انه قال ومن زعم ان حرفاً من حروف المعجم مخلوق فقد سلك طريقاً الى البدعة فانه اذا قال ان ذلك مخلوق فقد قال ان القرآن مخلوق أو كما قال ولا ريب ان من جعل نوع الحروف بائناً عن الله كائناً بعد ان لم يكن لزم أن يكون كلام الله العربى والبرى ونحوهما مخلوقاً امتنع ان يكون الله تكلم به بكلامه الذى أنزله على عبده فلا يكون شيء من ذلك كلامه فطريقة الامام أحمد وغيره من السلف مطابقة للقول الثالث الموافق

لصريح العقول وصحيح المنقول (١)

وقال الشيخ الامام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الأصول سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسوعاً من الله والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن مقروءاً بالسنن وفيها بين الدفتين وما في صدورنا مسوعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومقروءاً وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين : والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع وذكر ما يتعلق بهذا الباب من سائر الصفات كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام في تعدد الصفة واتحادها وقدمها وحدوثها أوقدم النوع دون الأعيان أو اثبات صفة كلية عمومية متناولة الأعيان مع تحدد كل معين من الأعيان أو غير ذلك مما قيل في هذا الباب فان هذه مواضع مشكلة وهي من مجارات العقول ولهذا اضطرب فيها طوائف من أذكى الناس ونظارهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم : تمت الرسالة والحمد لله

~~~~~

وقد وجد بخط ناسخاتنا نسخها هكذا : وقد تمت بحمد الله وعونه وحسن

توقيعه في جمادى الآخرة الذي هو من شهور سنة ١١٦١

من الهجرة على صاحبها الصلاة والسلام

(١) المشهور ان الامام أحمد أنكر على من يقول لفظي بالقرآن مخلوق وبدعه وقال انه جهي خوفاً من التطرق الى أن يقول القرآن بلفظي مخلوق لا انه حكم بكفره فليجرح

# التحفة

## في مذاهب السلف

لشيخ الاسلام القاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني  
رحمه الله تعالى آمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام وآله الكرام ورضى  
الله عن صحبه الاعلام \* وبعد \* فانه وصل سؤال من بعض الاعلام الساكنين  
ببيلد الله الحرام وهذا لفظه

( بسم الله الرحمن الرحيم ) الحمد لله رب العالمين ما يقول فقهاء الدين وعلماء  
المحدثين وجماعة الموحدين في آيات الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها الكتاب  
العظيم وأفصحت عنها سنة الهادي الى صراط مستقيم هل اقرارها وامرارها  
واجراؤها على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة  
الموحدين وتصديق بالكتاب المدين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا مذهب  
المجسمين وما حكم من أول الصفات ونفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه  
وتأييد بالنصوص وانفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه في سمائه مستو على  
عرشه بأن من خلقه وعلمه في كل مكان والدليل آيات الاستواء والصعود والرفع  
وقوله تعالى ( أنتم من في السماء ) ومن السنة حديث الجارية والنزول وعمران بن  
حصين وقوله صلى الله عليه وسلم « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » وغير ذلك

من الآيات المتواترة والاحاديث المتكاثرة وأول الآيات وجعل الاستواء استيلاء  
وأول النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه مطردة في سائر نصوص الصفات  
وعاش في ظلام العقل في الجمل والشبهات واذا قيل له أين الله أجاب بأنه لا يقال  
أين الله الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريق المضلين فهل هذا جواب الجهميين  
والمريسين وأضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السنين أفيدونا بجواب رجاء  
الثواب يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت  
فيه الافهام وزلت الاقدام وكل يدعى الصواب بزخرف الجواب فأينوا المدعى  
بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الاجور ووقاكم  
الشروع والسلام عليكم ورحمة الله

(وأقول) اعلم ان الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات  
قد طالت ذبوله وتشعبت أطرائه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه  
الطرائق وتخالفت فيه النحل : وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم  
حيث أوقفهم الله ودخلهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم  
شئ استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا وكانوا في  
البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة مختلفي المقاصد متبايني  
المطالب : فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم مالم يكلفها الله سبحانه  
بعلمه أتما وأقلها عقوبة وجرمًا وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على  
الصواب لكن سلكت في طريقة متوعدة وصعدت في الكشف عنه الى عقبة  
كثود لا يرجع من سلكها سالما فضلا أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ومع هذا  
أصولا أغلظوها حقًا فدفنوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعتلوا  
في ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلة وهؤلاء طائفتان الطائفة الاولى هي  
الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب له  
القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة نبوتًا أوضح من شمس النهار  
وأظهر من فلق الصباح وغلظوا هذا من صنيعهم موافقا للحق مطابقا لما يريد الله

مبجانه فضلوا الطريق المستقيم وأصلوا من رام سلوكها والطائفة الأخرى هي غلت في انبات القدرة غلوًا بلغ الى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ولا يود ذلك على عباده بعائدة : وجاؤا بنأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكاثروا كالطائفة الاولى في الضلال والاضلال مع ان كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ما شانه من القلو القبيح وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت انها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ماذهبت اليه (وكل حزب بما لديهم فرحون) وعند الله تلتقى الخصوم ﴿ومع هذا﴾ فعم متفقون فيما بينهم على ان طريق السلف أسلم ولكن زعموا ان طريق الخلف أعلم فكان غاية ماظفروا به من هذه الاعلمية لطريق الخلف ان تمنى محققهم وأذ كياؤهم في آخر أمرهم دين المعاجز وقالوا هنيئًا للعامة فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهني من ظفر بها للجاهل لأهل الجهل البسيط ويتمنى انه في عدادهم ومن يدين بدينهم ويمشي على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على ان هذه الاعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه وينتهى عند البلوغ الى غايته والوصول الى نهايته أن يكون جاهلًا به عاطلاً عنه : ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادىً بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الامر يفضى الى آخر \* بصير آخره أولاً

وربحوا الخلو من هذا التمنى والسلاية من هذه التهنئة للعامة فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهني لمن هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل



البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدارا بالنسبة اليه وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو قتل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها وإذا كان حال هذه الطائفة التي قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكافا وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كبار الاسلام وأهله والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الامور المفضية الى القدح في الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم ان

خير الامور السالفات على المدى \* وشر الامور المحدثات البدائع  
وان الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا الى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يبرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكافون علم مالا يعلموا ولا يتأولون وهذا المعلوم من اقوالهم وأفهامهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وان نزغ بينهم نازغ او نجم في عصرهم نجم أو ضحوا للناس أمره وينبوا لهم انه على ضلالة وصرحوا بذلك في الجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهنى وأصحابه وقلوا ان الامر أنف وينبوا ضلالتهم وبطلان مقالته للناس فحذروه الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان اقوال اهل الضلال ويحذروهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بلجهد بن درهم ومن قال بقوله واتحل نحلته الباطلة ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات ان يتظاهر ببذعته بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكننا تقتصر ههنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها وهي مسألة الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلف علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه ويان ان امرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل من

أراد من نزاع المتكلمين وشذاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الاسلام وسائر المبتدعين في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور ولا ينخدع بزخارف أقوالهم الا مخدوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلاطين حتى نجم لنجم الحنة وبرق بارق الشر من جهة العباسية ومن لهم في الأمر والنهي والاصدار والايراد أعظم صولة وذلك في الدولة بسبب قاضيا أحمد بن أبي دواد فعند ذلك أطلع المنكسون في تلك الزوايا رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة ودعوا الناس اليها وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمشكر واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل بإظهار دينه على الدين كله وبمحفظة عن التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم والله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة في نصر الدين وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف ان مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي اليه كثير من التأويل وكثروا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقلوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فان اراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيها لا يمينه ونهوه عن طلب مالا يمكن الوصول الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما

حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين

وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة : وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله : واقام الصلاة : وايتاء الزكاة : والصيام : والحج : والجهاد : وانفاق الأموال في انواع البر : وطلب العلم النافع : وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه : والمحافظة على موجبات الفوز بلجنة : والنجاة من النار : والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع خالصا عن شوب قدر التمهيد فلي هذا النمط كان الصحابة رضی الله عنهم والتابعون وتابعوهم : وبهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتموا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال انهم تلبسوا بشئ من هذه المذاهب الناشئة في الصفات او في غيرها فقد أعظم عليهم الغيبة وليس بمقبول في ذلك فان اقوال الأئمة المطلعين على احوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقة الاثبات يرد عليه ويدفع في وجهه يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشدد بذلك على هذا واعلم انه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمهيدات في الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان واقفاها قد واقفا الأصول المتقررة في زعمهم وان خالفها فقد خالفنا الأصول المتقررة في زعمهم ويجعلون الموافق لها من قسم القبول والمحكم : والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى او ألف حديث مما ثبت في الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا عدوه شيئا ومن كان منكرا لهذا فليكتب هذه الطوائف المصنعة في علم الكلام فانه

سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها  
ومن المعجب العجيب والنبأ الغريب ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة  
من أهل الكلام التي جعلها من بعدهم أصولاً لا مستند لها الا مجرد الدعوى على  
العقل والفرية على المنطوية وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم ونخالفت  
عنده ادراكهم : فهذا يقول حكم العقل في هذا الكلام كذا : وهذا يقول حكم  
العقل في هذا كذا ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي بعقله من تقلده ويقتدى  
به أصلاً يرجع اليه ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل  
منهما ما وافقه ويرد ما خالفه فيأله للمسلمين وبالعلماء الذين من هذه الفواقر الموحشة  
التي لم يصب الاسلام وأهله بمنزلها

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع انهم بعد ان جعلوا هذه التعقيلات  
التي تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتها أصولاً ترد اليها أدلة  
الكتاب والسنة جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى فما تعقله هذا من صفات الله  
قال به جزماً وما تعقله خصمه منها قطع به فثبتوا لله تعالى الشيء وتقيضه استدلالاً  
بما حكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به  
نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل ان وجدوا ذلك موافقاً لما تعقلوه  
جعلوه مؤيداً له ومقوياً وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل وان وجدوه  
مخالفاً لما تعقلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل ومتشابهاً وغير معقول المعنى ولا  
ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم فافتري على عقله بأنه قد تعقل  
خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلاً يرد اليه أدلة الكتاب والسنة وجعل  
المتشابه عند أولئك محكماً عنده والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده :  
فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه وكفاك هذا وليس  
بعده شيء وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه وتعالى وربما استبعد هذا مستبعد  
واستنكره مستنكر وقال ان في كلامي هذا مبالغة وتهويلاً وتشنيعاً وتطويلاً وان  
الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل ونثرته مثل هذه الثمرة التي

أشرت اليها

فأقول خذ جملة البلوى ودع تفصيلها واسمع ما يصك سمعك ولولا هذا  
الالاح منك ما سمعته ولا جرى القلم بمثله هذا أبو على وهو رأس من رؤسهم  
وركن من أركانهم واسطوانة من اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى  
عنه ذلك صاحب شرح القلائد (والله لا يعلم من نفسه الا ما يعلم هو) فخذ هذا  
التصريح حيث لم تكنف بذلك التلويح وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى  
التي ليس بعدها جرأة فيالأم أبي على الويل أنهيق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه  
في هذا المضيق وهل سمع السامعون يمين أخر من هذه اليمين الملعونة أو تقل  
الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مفتخر الى ما بلغ هذا  
الختال الفخور أو وصل من يفجر في أيمانه الى ما تقارب هذا الفجور وكل عاقل  
يعلم ان أحدا لو حلف ان ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذباً  
في يمينه فلجراً فيها لان كل فرد من الناس ينطوى على صفات وغرائز لا يجب  
ان يطلع عليها غيره ويكره ان يقف على شيء منها سواه ومن ذا الذي يدري  
بما يجوز في خاطر غيره ويستكن في ضميره ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من  
غيره من بنى آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا  
ما يعلمه هذا المدعى فهو اما مصاب العقل يهذى بما لا يدري ويتكلم بما لا يفهم  
أو كاذب شديد الكذب عظيم الاقتراء فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه  
فهو الذي يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون  
وما يظهرون وما يكتبون كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع فقد  
خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما يعلمه الا الله من عباده فاطنك من جاوز  
هذا وتمدها واقسم بالله سبحانه ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو ولا يصح  
لنا ان نعمله على اختلال العقل فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدى بقوله جماعات  
من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر ويحكون عنه في مقامات  
الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدى بمذهبه لوقال لم قائل وأورد عليهم مورد

قول الله عز وجل ( ولا يحيطون به علماً ) وقوله ( ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء )<sup>١</sup> وقال لم هذا يرد ما قال صاحبكم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة لقوالها هذا ونحوه مما يدل دلالة ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالأصول المقررة :

وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام اضاعة للأوقات واشتغال بحكاية الخرافات المبنيات لا المضحكات وليس مقصودنا هنا الا ارشاد السائل الى ان المذهب الحق في الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم

( فان قلت ) وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررنا فان أهل المذاهب الاسلامية يتزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا نصدق معناه ولا يوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع \* ( قلت ) يا هذا ان كنت ممن له المام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ويدكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم ان الله سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه فانشدك الله أى عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي وأى مبانة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل

فكنت كالساعي الى منعيب \* موائلا من سبل الراعد

أو \* كالمستجير من الرمضاء بالنار \* والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ومن قرصة النملة الى قضمة الأسد

وقد يفنى هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلها على رسوله وهما ( ولا يحيطون به علماً ) \* ( ليس كمثل شيء )<sup>٢</sup> فان هاتين الكلمتين قد اشتملنا على فصل الخطاب وتضمنتا بما

١ - طه ١١٠

٢ - البقرة ٢٥٥

٣ - الشورى ١١

يبين أولى الألباب السالكين في تلك الشعاب فالكلمة منها دلت دلالة بينة على ان كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هي منافية للعلم ومبينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علماً فمن زعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علماً فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل إما من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة في الدين ما لم يكن في غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها الا المرون الصفات على ظاهرها المريحون أنفسهم من التكلفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله وقال الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بنير القيل والقال

العلم للرحمن جل جلاله \* وسواه في جهلته يتغمغم

ما للتراب والعلوم وانما \* يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلمين بانه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح الا مجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلمين فقال وسرحت طرفي بين تلك المعالم \* فلم أر الا واضما كف حائر \* على ذقن أو قارعا من نادم \*

وها أنا أخبرك عن نفسي وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسى فاني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك

من الاسباب التي حبيبت الى مذهب السلف على انى كنت قبل ذلك عليه  
ولكن أردت ان أزداد منه بصيرة وبه شغفا وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب  
وغاية ما حصلته من مباحثى \* ومن نظرى من بعد طول التدبر  
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة \* فاعلم من لم يلق غير التحير  
على اننى قد خضت منه غماره \* وما قنعت نفسى بغير التبحر  
﴿ وأما الكلمة ﴾ وهى ( ليس كمنه شئ ) فيها يستفاد نفى المائلة فى كل شئ  
فيدفع بهذه الآية فى وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع  
البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه  
الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المائلة والمشابهة  
للمخلوقات فيدفع به جانبي الافراط والتفريط وهما المبالغة فى الاثبات المفضية  
الى التجسيم والمبالغة فى النفى المفضية الى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو  
الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قولهم باثبات ما أثبتته لنفسه من الصفات  
على وجه لا يعلمه الا هو فانه القائل ( ليس كمنه شئ ) وهو السميع البصير  
( ومن جملة الصفات ) التى أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء  
به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التى ذكرها السائل  
يقولون نحن نثبت ما أثبتته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها  
الا هو وكيفية لا يدركها سواه ولا نكلف أنفسنا غير هذا فليس كمنه شئ  
لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا تحيط عبادته به علما وهكذا يقولون فى مسألة الجهة  
التي ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها والأدلة فى ذلك طويلة  
كثيرة فى الكتاب والسنة \* وقد جمع أهل العلم منها لاسيما أهل الحديث مباحث  
طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على مؤلف  
بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه  
دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب (١)

(١) هنا يبايض فى الاصل ولعله هكذا أو قول صاحب مذهب



والمسئلة أوضح من أن تلتبس على عارف وأمين من أن يحتاج فيها الى التطويل  
ولكنها لما وقت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف  
الاسلامية كثر الكلام فيها وفي مسئلة الاستواء وطال سبيل الحنابلة وغيرهم  
من أهل المذاهب فلم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكنا  
في عصر بعد عصر والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فلا استواء  
علي العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في موطن يكثر  
حصرها وبطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير  
حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس في نفسه : ونحسه في فطرته وتجذبه  
اليه طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ اليه ووجه  
أدعيته الى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمى الى السماء  
بطرفه ويستوى في ذلك عند عروض أسباب النقاء وحدث بواعث الاستغاثة  
وجود مقتضيات الازعاج وظهور دواعي الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والمأشى  
على طريقة السلف والمقتدى بأهل التأويل القائلين بان الاستواء هو الاستيلاء  
كما قال جمهور التأويلين والأقيال كما قاله أحمد بن يحيى نعلب والرجاج والفراء  
 وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة في امرار  
 ذلك على الظاهر والاذعان بان الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة  
 من دون تكليف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور في شئ من المقال فمن  
 جلوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق  
 النجاة ولا معتم على الخطأ ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما تقول  
 هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة فكذا تقول في مثل قوله سبحانه  
 ( وهو معكم أينما كنتم ) وقوله ( ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة  
 الا هو سادسهم ) وفي نحو ( ان الله مع الصابرين ) \* ( ان الله مع الذين اتقوا  
 والذين هم محسنون ) الى ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه فنقول في مثل  
 هذه الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا نتكلف تأويل ذلك

١ - الحديد ٤

٢ - المجادلة ٧

٣ - البقرة ١٥٢

٤ - النحل ١٢٨

كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فإن  
هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه  
الصحابة والتابعون وتابعوهم وإذا انتهيت الى السلامة في مداك فلا تجاوزه  
وهذا الحق ليس به خفاء \* فدعني من بنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش تجنى  
وفي هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغني من شح بدينه وتحرص عليه عن تطويل  
المقال وتكثير ذبوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم \*  
انتهت الرسالة المفيدة كما وجدت \* والله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وأصلى  
وأسلم على محمد النبي الأئمة وعلى آله وصحبه وسلم

تمت



# انضاج الدلالة

## في عموم الرسالة

للامام العلامة شيخ الاسلام الشيخ تقي الدين  
أبي العباس ابن تيمية المتوفى  
سنة ٧٢٨ هجرية

عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها  
للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرة

لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الله المشققي

بمصر بشارع الكحكيين رقم ١

\* حقوق الطبع بالتعليق محفوظة للإدارة المذكورة \*

مطبعة الشروق

لصاحبها: عبد الله بن فايز وأخيه

بحارة المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

الحمد لله الذي أمان علينا برسال الأنبياء والرسل لبيان طريق الرشاد  
والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث الى جميع الخلق عربها وعجمها : قاصيها  
ودانيها : حفرها والباد : وآله وصحبه السالكين منهج السداد  
(أما بعد) فيقول العاجز الى مولاه التقدير الغنى محمد منير بن عبده أغا  
النقل الدمشقي الأزهرى لما كنت كثير التشوف الى سماع الأخبار عن الكتب  
المؤلفة النافعة لا سيما ما كان على طريق السلف الصالح من تحقيق الحق بالأدلة  
الثابتة في القرآن الحكيم والسنة الفراء أسأل من أعرفه انه رحل الى بلد كذا  
وزار مكتبة كذا عن الكتب العلمية الخطية التي رآها في رحلته فيخبرني بها  
فلختار منها ما يناسب حالنا وزماننا فاستنسخه بواسطة طلاب العلم العاملين  
ليكون أخرى وأضبط للنقل ولا أتق بالنساخين الذين لا دراية لهم بالعلم لعدم  
أمن وقوع تحريف أو تصحيف كما هو الشأن في ذلك : وقد رحل بعض طلاب  
العلم الى البلاد الاسلامية الشاسعة البعيدة وزار كثيراً من المكاتب الأهلية  
والحلية فمر على كتب كثيرة خطية فأنبت اسم ما استحسنته واعتقد أن نفعه  
عظيم في مذكرة له وقد اجتمعت به أخيراً وطلبت منه الاعلام عما استحسنته  
من الكتب النافعة فاطلعني على المذكرة فلخترت منها أسماء عدة مؤلفات  
فارسلت استنسخها للاطلاع عليها فان كانت ملائمة للنشر فانشرها أولاً فاحفظها  
عندي في مكتبتى الخصوصية للافادة والاستفادة : وقد جاءني بعض الرسائل  
بعد النسخ والمقابلة على النسخة الأصلية فطالعتها فوجدت كثيراً منها يصلح  
للنشر : ولما كانت لا تغلو الرسالة عن ايضاح بعض الكلمات أو بيان بعض  
المجمل جعلت عليها تعليقا وقت مطالعتي اياها ليكون أنفع وأفيد للجهور : وقد  
آثرت بالنشر هذه الرسالة وهي للامام العلامة شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين  
ابن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ : لاتها أصغرها حجبا وأيسرها  
مطالعة وأهمها موضوعاً : وقد ذكر هذه الرسالة الامام علاء الدين أبو الحسن  
على بن الحسين بن عروة المشرقى في كتابه الكواكب الدراري في ترتيب

مسند الامام أحمد على أبواب البخارى ونسبها الى ابن تيمية : ولما لم يذكر لها اسما ولم أعر على اسم لها سميتها (ابضاح الدلالة في عموم الرسالة) والله أسأل حسن الختام

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الاسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه  
(فصل) يجب على الانسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً  
صلى الله عليه وسلم الى جميع الثقلين الانس والجن وأوجب عليهم الايمان  
به وبما جاء به وطاعته : وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله ويحرموا ما حرم  
الله ورسوله : وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله ويحجبوا ما أحبه الله  
ورسوله ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله : وأن كل من قامت عليه  
الحجة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الانس والجن فلم يؤمن به  
استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث  
اليهم الرسول : وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين اهتم باحسان  
وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم  
رضى الله عنهم أجمعين : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود  
الجن (١) ولا في أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم اليهم وجمهور

(١) قال ابن دريد الجن خلاف الانس يقال جنه الليل واجنه وجن عليه وغطاء في صفى  
واحد اذا ستره وكل شيء استتر عنك فقد جن عنك وبه سميت الجن : وكان اهل الجاهلية  
يسمون الملائكة جناً لاستتارهم عن البيوت والجن والجنة واحد : وقال ابن عقيل انما  
سمى الجن جناً لاجتنانهم واستتارهم عن البيوت ومنه سمي الجنين جنيناً والجنة للعرب جنة  
استرها : ولا ينتقض هذا بالملائكة لان الاسماء المشتقة لاتناقض : والشياطين المصاة من  
الجن وهم ولد ابليس والمردة اعتاهم واغواهم وهم اعوان ابليس : قال الجوهري كل عات

طوائف الكفار على اثبات الجن أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك وكما يوجد في المسلمين (١) من ينكر ذلك يوجد في طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك (٢) وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار : ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلمون بالإرادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة : فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسول أن تنكروا كما لم يمكن لطائفة كبيرة من الطوائف المؤمنين بالرسول انكار الملائكة ولا انكار معاد الأبدان ولا انكار عبادة الله وحده لا شريك له ولا انكار أن يرسل الله رسولا من

متردد من الجن والانس والدواب شيطان قال جرير

إمام يدعوني الشيطان من غزل      وهن يهوينني اذ كنت شيطانا

(١) هكذا في الاصل ولعله الكتايبين

(٢) وهاك نص كلام بعض الأئمة في ذلك قال امام الحرمين في الشامل ان كثير من الفلاسفة وجهابذة القدرية وكافة الزنادقة انكروا الشياطين والجن رأساً ولا يبعدوا نكر ذلك من لا يتدبر ولا يتثبت بالشريعة وأنا المعجب من انكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار : ثم ساق جملة من نصوص الكتاب والسنة تركناها للاكتفاء بما ذكره المصنف في هذه الرسالة : وقال القاضي أبو بكر الباقلاني وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديماً ويثبتون وجودهم الآن ومنهم من يقر بوجودهم ويؤمن أنهم لا يرون لركة اجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ومنهم من قال انما لا يرون لانهم لا الوان لهم : قال امام الحرمين والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف مناصح اجاع كلفة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متثبت بمسكة من الدين :

الانس الى خلقه ونحو ذلك مما تواترت به الأخبار عن الانبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة كما تواتر عند العامة والخاصة مجيء موسى الى فرعون وغرق فرعون ومجيء المسيح الى اليهود وعداوتهم له وظهور محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وهجرته الى المدينة ومجيئه بالقرآن والشرائع الظاهرة وجنس الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام والشراب والأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية التي لا يعلمها بشر الا باعلام الله وغير ذلك : ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب عما تواتر عندهم كقوله ( وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون ) فان من الكفار من أنكر أن يكون لله رسول بشر فأخبر الله أن الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا وأمر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك . وكذلك سؤلهم عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون قال تعالى ( قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ) وقال تعالى ( فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ) وقال تعالى ( قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ) وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها الا نبي أو من أخبره نبي وقد علموا أن محمداً لم يتعلم من أهل الكتاب شيئاً وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعمته في كتبهم كقوله تعالى ( أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل )

١ - الأنبياء ٧

٢ - الرعد ٤٣

٣ - يونس ٩٤

٤ - الأحقاف ١٠

٥ - الشعراء ١٩٧

وقوله تعالى ( والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق )  
وأمثال ذلك :

وهذا بخلاف ما تواتر عند الخاصة من أهل العلم كأحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته : وأحاديث الشفاعة والصراط والحوض فهذا قد ينكره بعض من لم يعرفه من أهل الجهل والضلال ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبي بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع ولم ينكروا وجود الجن اذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول كظهور هذا وان كانوا مخطئين في ذلك ولهذا ذكر الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون ان الجنى يدخل في بدن المصروع كما قال تعالى ( الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ) وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبى ان قوما يزعمون أن الجنى لا يدخل في بدن الانسى فقال يابى يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا ان جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركى العرب وغيرهم من أولاد سام والهند وغيرهم من أولاد حام وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث : فجامهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواء كان ذلك سائغاً عند أهل الايمان أو كان شركاً فان المشركين يقرأون من العزائم والطلاسم والرقى ما فيه عبادة للجن



وتعظيم لهم : وعامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرقى التي لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن :

ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التي لا يفقه معناها لأنها مظنة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شرك : وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي « قال كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاً لكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك » (١) وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر « قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وانك نهيت عن الرقى قال فعرضوها عليه فقال ما أرى بأساً من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه » وقد كان للعرب ولسان الأمم من ذلك أمور يطول وصفها وأخبار العرب في ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الأمم إذ كان خير القرون كانوا عرباً وكان قد عاينوا وسمعوا ما كانوا عليه في الجاهلية وكان ذلك من أسباب زول القرآن

(٢) قوله في الحديث الرقى هو جمع رقية مثل مدية ومدى العوذة والحديث يدل على أن الرقى الموصوفة بكونها شركاً هي التي يستعان فيها بغير الله وأما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله تعالى وصفاته وآياته والمآثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك حسن جائز أو مستحب وليس بشرك : قال الخطابي كان عليه السلام قد رقى ورقق وأمر بها وأجازها إذا كانت بالقرآن أو بسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها وإنما جاءت الكراهة والنهي فيما كان منها بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفراً أو توثلاً يدخله الشرك : وقال السيوطي قد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله أو بسمائه وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف معناه وإن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى :

فذكر في كتب التفسير والحديث والسير والمغازي والفقهاء فتواترت أيام جاهلية العرب في المسلمين والافسائر الأهم المشركين ثم من جنس العرب المشركين في هذا وبعضهم كان أشد كفراً وضلالاً من مشركي العرب وبعضهم أخف : والآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم فيها خطاب لجميع الخلق من الانس والجن اذ كانت رسالته عامة للثقلين وان كان من أسباب نزول الآيات ما كان موجوداً في العرب فليس شيء من الآيات مختصاً بالسبب المعين الذي نزل فيه باتفاق المسلمين وانما تنازعوا هل يختص بنوع السبب المسؤول عنه وأما بعين السبب فلم يقل أحد من المسلمين ان آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حد السرقة والمحاريق وغير ذلك يختص بالشخص المعين الذي كان سبب نزول الآية : وهذا الذي يسميه بعض الناس تنقيح المناط وهو أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم حكم في معين وقد علم ان الحكم لا يختص به فيريد أن ينقح لمناط الحكم ليعلم النوع الذي حكم فيه كما أنه لما أمر الأعرابي الذي واقع امرأته في رمضان بالكفارة وقد علم أن الحكم لا يختص به وعلم أن كونه أعرابياً أو عربياً أو الموطوءة زوجته لا أثر له فلو وطئ المسلم المعجمي سريره كان الحكم كذلك : ولكن هل الموثر في الكفارة كونه مجامعا في رمضان أو كونه مفطراً : فالأول مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه : والثاني مذهب مالك وأبي حنيفة وهو رواية منصوصة عن أحمد في الحجامة فغيرها أولى : ثم مالك يجعل للموثر جنس المفطر وأبو حنيفة يجعلها

المفطر كتنوع جنسه فلا يوجب في ابتلاع الحصة والنواة وتنازعوا هل يشترط أن يكون أفسد صوماً صحيحاً وأحد لا يشترط ذلك بل كل امساك وجب في شهر رمضان وجب فيه الكفارة كما يوجب الأربعة مثل ذلك في الاحرام الفاسد فالصيام الفاسد عنده كالاحرام الفاسد كلاهما يجب اتمامه والمضى فيه والشافعي وغيره لا يوجبونها الا في صوم صحيح والنزاع فيمن أكل ثم جامع أو لم ينو الصوم ثم جامع ومن جامع وكفر ثم جامع

ومثل قوله لمن أحرم بالعمرة في حجة متضمناً بالخلق « اترع عنك الحبة واغسل عنك أثر الصفرة » هل أمره بالفسل لكون المحرم لا يستديم الطيب كما يقوله مالك أو لكونه نهى أن يتزعر الرجل فلا يمنع من استدامة الطيب كقول الثلاثة وعلى الأول فهل هذا الحديث منسوخ بتطيب عائشة له في حجة الوداع :

ومثل قوله لما سئل عن فارة وقعت في سمن « القوها وما حولها وكلوا سمنكم » هل للؤثر عدم التغير بالنجاسة أو بكونه جامداً أو كونها فارة وقعت في سمن فلا يتعدى الى سائر المائعات : ومثل هذا كثير وهذا لا بد منه في الشرائع ولا يسمى قياساً عند كثير من العلماء كأبي حنيفة ونفاة القياس لاتفاق الناس على العمل به كما اتفقوا على تحقيق المناط وهو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلى فينظر في ثبوته في بعض الانواع أو بعض الاعيان : كأمره باستقبال الكعبة : وكأمره باستشهاد شهيدين من رجالنا ممن نرضى من الشهداء : وكتحريمه الخمر

والميسر: وكفرضه تحليل اليمين بالكفارة: وكتفريقه بين الفدية والطلاق وغير ذلك

فيبقى النظر في بعض الانواع هل هي خير ويمين وميسر وفدية أو طلاق: وفي بعض الأعيان هل هي من هذا النوع وهل هذا المصلي مستقبل القبلة وهذا الشخص عدل مرضى ونحو ذلك فان هذا النوع من الاجتهاد متفق عليه بين المسلمين بل بين العقلاء فيما يتبعونه من شرائع دينهم وطاعة ولاة أمورهم ومصالح دنياهم وآخرتهم: وحقيقة ذلك يرجع الى تمثيل الشيء بنظيره وادراج الجزئي تحت الكلي وذاك يسمى قياس التمثيل وهذا يسمى قياس الشمول وهما متلازمان فان القدر المشترك بين الافراد في قياس الشمول الذي يسميه المنطقيون الحد الأوسط هو القدر المشترك في قياس التمثيل الذي يسميه الأصوليون الجامع والمناط والملة والامارة والداعي والباعث والمقتضى والموجب والمشارك وغير ذلك من المبارات

وأما تخريج المناط وهو القياس المحض وهو أن ينص على حكم في أمور قد يظن انه يختص بالحكم بها فيستدل على ان غيرها مثلها إما لانتفاء الفارق أو للاشتراك في الوصف الذي قام الدليل على أن الشارع علق الحكم به في الاصل فهذا هو القياس الذي تقر به جماهير العلماء وينكره نفاة القياس وانما يكثر الغلط فيه لعدم العلم بالجامع المشترك الذي علق الشارع الحكم به وهو الذي يسمى سؤال المطالبة وهو مطالبة المعارض للمستدل بأن الوصف المشترك بين الاصل والفرع هو

علة الحكم أو دليل العلة : فأكثر غلط القائسين من ظنهم علة في الأصل ما ليس بعلة : ولهذا كثرت شناعاتهم على أهل القياس الفاسد \* فأما اذا قام دليل على الغاء الفارق وأنه ليس بين الأصل والفرع فرق يفرق الشارع لأجله بين الصورتين أو قام الدليل على أن المعنى الفلاني وهو الذى لأجله حكم الشارع بهذا الحكم فى الأصل وهو موجود فى صورة أخرى فهذا القياس لا ينازع فيه الا من لم يعرف هاتين المقدمتين وبسط هذا له موضع آخر :

والمقصود هنا ان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم شاملة للتقلين الانس والجن على اختلاف أجناسهم فلا يظن أنه خص العرب بحكم من الأحكام أصلاً بل انما علق الأحكام باسم مسلم وكافرو مؤمن ومنافق وبر وفاجر ومحسن وظالم وغير ذلك من الاسماء المذكورة فى القرآن والحديث : وليس فى القرآن ولا الحديث تخصيص العرب بحكم من أحكام الشريعة ولكن بعض العلماء ظن ذلك فى بعض الاحكام وخالفه الجمهور كما ظن طائفة منهم أبو يوسف انه خص العرب بأن لا يسترقوا وجهور المسلمين على أنهم يسترقون كما صحت بذلك الاحاديث الصحيحة حيث استرق بنى المصطلق وفيهم جوريرة بنت الحارث ثم أعتقها وتزوجها وأعتق بسببها من استرق من قومها : وقال فى حديث هو ازن « اختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال » وفى الصحيحين عن أبى أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ

قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل : وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة « أنه كانت سبية من سبي هوازن عند عائشة فقال أعتقها فانها من ولد اسماعيل » وعامة من استرقه الرسول صلى الله عليه وسلم من النساء والصبيان كانوا عربا وذكرا هذا يطول ولكن عمر بن الخطاب لما رأى كثرة السبي من العجم واستغناء الناس عن استرقاق العرب رأى أن يعتقوا العرب من باب مشورة الامام وأمره بالمصلحة لا من باب الحكم الشرعي الذي يلزم الخلق كلهم فأخذ من أخذ بما ظنه من قول عمر وكذلك ظن من ظن ان الجزية لا تؤخذ من مشركي العرب مع كونها تؤخذ من سائر المشركين

وجهور العلماء على انه لا يفرق بين العرب وغيرهم ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ومنهم من لا يأخذها الا من أهل الكتاب والمجوس وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ الجزية من مشركي العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب فن قال يؤخذ من كل كافر قال ان آية الجزية لما نزلت أسلم مشركو العرب فانها نزلت عام تبوك ولم يبق عربي مشرك محاربا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليفزو النصراني علم تبوك بجميع المسلمين الا من عذر الله ويدع الحجاز وفيه من يحاربه ويبعث أبا بكر عام تسع فنادى في الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ اليهود المطلقة وأبقى الموقته مادام أهلها موفين بالمهد كما أمر الله بذلك في أول سورة التوبة وأنذر الذين نبذ اليهم أربعة أشهر وأمر عند انسلاخها بنزول المشركين

كافة قالوا فدان المشركون كلهم كافة بالاسلام ولم يرض بذل أداء الجزية لانه لم يكن لمشركى العرب من الدين بعد ظهور دين الاسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون اذ كان عامة العرب قد أسلموا فلم يبق لمشركى العرب عز يعتزون به فدانوا بالاسلام حيث أظهره الله في العرب بالحجة والبيان والسيف والسنان : وقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » مراده قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم : وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول براءة بمعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يعطى الجزية عن يد فلما أنزل الله براءة وأمره بنبيذ اليهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدهم كما كان يعاهدهم بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال ( فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ) وكان دين أهل الكتاب خيراً من دين المشركين ومع هذا فأمروا بقتالهم حتى يهبطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فاذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك قالوا فكان في تخصيص أهل الكتاب بالذكر تنبيهاً بطريق الأولى على ترك معاهدة المشركين بدون الصغار والجزية كما كان يعاهدهم في مثل هدنة الحديبية

وغير ذلك من المعاهدات : قالوا وقد ثبت في الصحيح من حديث  
 بريدة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميراً على جيش  
 أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم  
 قال اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا  
 ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت عدوك من المشركين  
 فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال فأيتن ما أجابوك فاقبل منهم وكف  
 عنهم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم  
 الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك  
 فلهم مال المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها  
 فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي  
 يجرى على اللوئثيين ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء الا أن يجاهدوا  
 مع المسلمين فان هم أبوا فسلمهم الجزية فان هم أجابوك فاقبل منهم  
 وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن عليهم وقاتلهم واذا حاصرت أهل  
 حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله  
 ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ان تخفروا  
 ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله  
 واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم  
 على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أنصيب حكم  
 الله فيهم أم لا قالوا ففى الحديث أمره لمن أرسله أن يدعو الكفار الى  
 الاسلام ثم الى الهجرة الى الامصار والا فالى أداء الجزية وان لم يهاجروا



كانوا كأعراب المسلمين والاعراب عامتهم كانوا مشركين فدل على أنه دعا الى أداء الجزية من حاصره من المشركين وأهل الكتاب : والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية وأهل اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب وأمر معاذاً أن يأخذ من كل عالم دينارا أوعد له مغافر ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل البحرين وكانوا مجوساً وأسلمت عبد القيس وغيرهم من أهل البحرين طوعاً ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الجزية على أحد من اليهود بالمدينة ولا بخيبر بل حاربهم قبل نزول آية الجزية وأقر اليهود بخيبر فلاحين بلا جزية الى أن أجلاهم عمر لانهم كانوا مهادين له وكانوا فلاحين في الارض فأقرهم لحاجة المسلمين اليهم ثم أمر باجلائهم قبل موته وأمر باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب : فقل هذا الحكم مخصوص بجزيرة العرب : وقيل بل هو عام في جميع أهل الزمة اذا استغنى المسلمون عنهم أجلوم من ديار الاسلام وهذا قول ابن جرير وغيره : ومن قال ان الجزية لا تؤخذ من مشرك قال ان آية الجزية نزلت والمشركون موجودون فلم يأخذها منهم

والمقصود أنه لم يخص العرب بحكم وان قيل انه خص جزيرة العرب التي هي حول المسجد الحرام كما خص المسجد الحرام بقوله

« إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »  
وكذلك من قال من العلماء انه حرم على جميع المسلمين ما تستغيثه  
العرب وأحل لهم ما تستطيعه فجمهور العلماء على خلاف هذا القول  
كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم  
وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة  
لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحرير  
لا يتعلق باستطابة العرب ولا باستخباتهم بل كانوا يستطيعون أشياء  
حرما الله كالدم والميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكلة  
السبع : وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم  
يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه وقال  
« لم يكن بأرض قومي فأجدنى أعافه » وقال مع هذا انه ليس بمحرم  
وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه « لا آكله ولا أحرمه » وقال  
جمهور العلماء الطيبات التي أحلها الله ما كان نافعا لا كاه في دينه والخبيث  
ما كان ضارا له في دينه : وأصل الدين العدل الذي بعث الله الرسل  
بإقامته فآوثر الاكل بنيا وظلما حرمه كما حرم كل ذى ناب من  
السباع لانها باغية عادية والعادى شبيه بالمغتذى (١) فاذا تولد اللحم منها  
صار في الانسان خلق البنى والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس  
من الشهوة والغضب فاذا اغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدى  
ولهذا لم يحرم منه الا المسفوح بخلاف القليل فانه لا يضر ولحم الخنزير

يورث عامة الاخلاق الخبيثة اذ كان اعظم الحيوان في أكل كل شئ لا يعاف شيئا والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من الطيبات وانما حرم ذلك على أهل الكتاب كما قال تعالى ( فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ) وقال تعالى ( وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم بغيرهم وانا لصادقون )

وأما المسلمون فلا يحرم عليهم الا الخبائث كالدّم المسفوح فاما غير المسفوح كالذي يكون في العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يصنعون اللحم في القدر فيرون آثار الدّم في القدر ولهذا في جمهور الفقهاء عن الدّم اليسير في البدن والثياب اذا كان غير مسفوح واذا غفى عنه في الأكل ففي اللباس والحمل أولى أن يغفى عنه وكذلك ريق الكلب يغفى عنه عند جمهور العلماء في الصيد كما هو مذهب مالك وأبي حنيفة واحمد في أظهر القولين في مذهبه وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي وان وجب غسل الأثناء من ولوغه عند جمهورهم إذ كان الريق في الولوغ كثيراً ساريا في المائع لا يشق الاحتراز منه بخلاف ما يصيب الصيد فانه قليل ناشف في جامد يشق الاحتراز منه :

وكذلك التقديم في امامة الصلاة بالنسب لا يقول به أكثر العلماء وليس فيه نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الذي ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم القوم أقرؤم لكتاب الله قال فان كانوا

١ - النساء ١١٠

٢ - الأنعام ١٤٦

في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة  
فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا « فقدمه صلى الله عليه وسلم  
بالفضيلة العلمية ثم بالفضيلة العملية : وقدم العالم بالقرآن على العالم بالسنة  
ثم الأسبق الى الدين باختياره ثم الأسبق الى الدين بسنة ولم يذكر  
النسب وبهذا أخذ أحمد وغيره فرتب الأئمة كما رتبهم النبي صلى الله عليه  
وسلم ولم يذكر النسب وكذلك أكثر العلماء كمالك وأبي حنيفة لم  
يرجعوا بالنسب ولكن رجع به الشافعي وطائفة من أصحاب أحمد  
كالخرفي وابن حامد والقاضي وغيرهم واحتجوا بقول سلمان الفارسي  
ان لكم علينا معشر العرب الانوثةمكم في صلاتكم ولا تنكح نساءكم :

والاولون يقولون انما قال سلمان هذا تقدما منه للعرب على الفرس  
كما يقول الرجل لمن هو أشرف منه حقك على لذا وليس قول سلمان  
حكما شرعيا يلزم جميع الخلق أتباعه كما يجب عليهم اتباع أحكام الله  
ورسوله ولكن من نأس من الفرس بسلمان فله به أسوة حسنة فإن  
سلمان سابق الفرس وكذلك اعتبار النسب في أهل الكتاب ليس هو  
قول احد من الصحابة ولا يقول به جمهور العلماء كمالك وأبي حنيفة وأحمد  
ابن حنبل وقدماء أصحابه ولكن طائفة منهم ذكرت عنه روايتين واختار  
بعضهم اعتبار النسب موافقة للشافعي والشافعي اخذ ذلك عن عطاء  
وبسط هذا له موضع :

والمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم انما علق الاحكام بالصفات  
المؤثرة فيما يحبه الله وفيما يبغض فامر بما يحبه الله ودعا اليه بحسب الامكان

ونهى عما يبغيضه الله وحسم مادته بحسب الامكان لم يخص العرب بنوع من أنواع الاحكام الشرعية اذ كانت دعوته لجميع البرية لكن نزل القرآن بلسانهم بل نزل بلسان قريش كما ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود أقرى الناس بلغة قريش فان القرآن نزل بلسانهم وكما قال عثمان للذين يكتبون المصحف من قريش والانصار اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة هذا الحى من قريش فان القرآن نزل بلسانهم وهذا لاجل التبليغ لانه بلغ قومه أولاً ثم بواسطتهم بلغ سائر الأمم وأمره الله بتبليغ قومه أولاً ثم بتبليغ الاقرب فالاقرب اليه كما أمر يجاهد الاقرب فالاقرب : وما ذكره كثير من العلماء من أن غير العرب ليسوا أكفاء للعرب في النكاح فهذه مسألة نزاع بين العلماء فمنهم من لا يرى الكفاءة الا في الدين ومن رآها في النسب أيضاً فانه يحتج بقول عمر لا منعن ذوات الاحساب الامن الا كفاء لان النكاح مقصوده حسن الالفة فاذا كانت المرأة أعلى منصباً اشتغلت عن الرجل فلا يتم به المقصود : وهذه حجة من جعل ذلك حقاً لله حتى أبطل النكاح اذا زوجت المرأة بمن لا يكافئها في الدين أو المنصب ومن جعلها حقاً لادمي قال ان في ذلك غضاضة على أولياء المرأة وعليها والامر اليهم في ذلك :

ثم هؤلاء لا يخصون الكفاءة بالنسب بل يقولون هي من الصفات التي تتفاضل بها النفوس كالصناعة واليسار والحرية وغير ذلك وهذه مسائل اجتهادية ترد الى الله والرسول فان جاء عن الله ورسوله ما يوافق أحد القولين فما جاء عن الله لا يختلف والا فلا يكون قول أحد حجة على

الله ورسوله وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم نص صحيح صريح في هذه الامور بل قد قال صلى الله عليه وسلم « ان الله اذهب عنكم عيبة الجاهلية ونفخها بالآباء الناس رجالان مؤمن تقى وفاجر شقى » : وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها الفخر في الأُحساب والطعن في الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم » وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله اصطفى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفاني من بنى هاشم فأنا خيركم نفساً وخيركم نسباً » :

وجهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كما أن جنس قريش خير من غيرهم وجنس بنى هاشم خير من غيرهم وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الناس معادن كمدان الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد فان في غير العرب خلق كثير خير من أكثر العرب : وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش : وفي غير بنى هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بنى هاشم : كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفي القرون المتأخرة من هو خير من كثير من القرن الثاني والثالث ومع هذا فلم يخص النبي

صلى الله عليه وسلم القرن الثاني والثالث بحكم شرعى كذلك لم يخص العرب بحكم شرعى بل ولا خص بعض أصحابه بحكم دون سائر أمته ولكن الصحابة لما كان لهم من الفضل أخبر بفضلهم : وكذلك السابقون الأولون لم يخصهم بحكم ولكن أخبر بما لهم من الفضل لما اختصوا به من العمل وذلك لا يتعلق بالنسب :

والمقصود هنا أنه أرسل الى جميع الثقليين الانس والجن فلم يخص العرب دون غيرهم من الأُم بأحكام شرعية ولكن خص قريشاً بأن الامامة فيهم وخص بنى هاشم بتحريم الزكاة عليهم وذلك لان جنس قريش لما كانوا أفضل وجب أن تكون الامامة في أفضل الأجناس مع الامكان وليست الامامة أمراً شاملاً لكل أحد منهم وإنما يتولاها واحد من الناس \* وأما تحريم الصدقة فخرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلاً لتطهيرهم ودفعاً للتهمة عنه كما لم يورث فلا يأخذ ورثته درهما ولا ديناراً بل لا يكون له ولمن يمونه من مال الله الا نفقتهم وسائر مال الله يصرف فيما يحبه الله ورسوله : وذوو قرباه يعطون بمعروف من مال الخمس : والفى الذى يعطى منه فى سائر مصالح المسلمين لا يختص أصناف معينة كالصدقات : ثم ما جمل لذوى القربى قيل انه سقط بمونه كما يقوله أبو حنيفة وقيل هو لقربى من يلى الأمر بعده كما روى عنه « ما أطعم الله نبياً طعمة الا كانت لمن يلى الأمر بعده » وهذا قول أبى ثور وغيره : وقيل ان هذا كان مأخذ عثمان فى اعطاء بنى أمية : وقيل هو لذوى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم دائماً :

ثم من هؤلاء من يقول هو مقدر بالشرع وهو خمس الخمس كما يقوله الشافعي وأحمد في المشهور عنه : وقيل بل الخمس والنفي يصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الامام ولا يقسم على أجزاء مقدرة متساوية وهذا قول مالك وغيره وعن أحمد أنه جعل خمس الزكاة فيثا وعلى هذا القول يدل الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين وبسط هذه الأمور له موضع آخر:

والمقصود هنا أن بعض آيات القرآن وإن كان سببه أمورا كانت في العرب فحكم الآيات عام يتناول ما تقتضيه الآيات لفظا ومعنى في أى نوع كان ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث إلى الانس والجن: وجماهير الأمم يقر بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم وأما أكابر القوم فالماثور عنهم اما الاقرار بها واما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول : ومن المعروف عن أبقرط أنه قال في بعض المياه انه ينفع من الصرع است أعنى الذى يعالجه أصحاب الهياكل وانما أعنى الصرع الذى يعالجه الأطباء وأنه قال طبنا مع طب أهل الهياكل كطب المعجائز مع طبنا وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفي وانما معه عدم العلم اذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر في البدن من جهة صحته وممرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس في هذا تفرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وإن كان قد علم من غير طبعه أن للنفس تأثيراً عظيماً في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية وكذلك



للجن تأثير في ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وفي الدم الذى هو البخار الذى تسميه الأطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن كما قد بسط هذا فى موضع آخر :

والمراد هنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل الى الثقلين الانس والجن وقد أخبر الله فى القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال تعالى ( واذا صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ) الى قوله ( أولئك فى ضلال مبين ) ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى ( قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنًا عجيبًا ) الخ فأمره أن يقول ذلك ليعلم الانس بأحوال الجن وأنه مبعوث الى الانس والجن لما فى ذلك من هدى الانس والجن ما يجب عليهم من الايمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يجب من طاعة رسله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم كما قال فى السورة ( وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوم رهقًا ) كان الرجل من الانس ينزل بالوادى والأودية مظان الجن فانهم يكونون بالأودية أكثر مما يكونون بأعلى الأرض فكان الانسى يقول أعوذ بمظلم هذا الوادى من سفهائه فلما رأت الجن أن الانس تستعيز بها زاد طغيانهم وغيرهم : وبهذا يجيبون المعزم والراقى بأسمائهم وأسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرئاسة والشرف على الانس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم

١ - الأحقاف ٢٩

٢ - الأحقاف ٣٢

٣ - الجن ١

٤ - الجن ٦

لا سيما وهم يعلمون أن الانس أشرف منهم وأعظم قدراً فإذا خضعت  
الانس لهم واستعادت بهم كان بمنزلة أكبر الناس اذا خضع لأصاغرهم  
ليقضى له حاجته

ثم الشياطين منهم من يختارون الكفر والشرك ومعاصي الرب  
وابليس وجنوده من الشياطين يشتهون الشر ويلتذون به ويطلبونه  
ويحرصون عليه بمقتضى خبث أنفسهم وان كان موجبا لعذابهم وعذاب  
من يغفونه كما قال ابليس ( فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم  
الخلصين ) وقال تعالى ( قال أرايتك هذا الذي كرمت علىّ لئن أخرجتني  
الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا ) (١) وقال تعالى ( ولقد صدق  
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ) والانسان اذا فسدت  
نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ويلتذ به بل يعشق ذلك عشقا يفسد  
عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله والشيطان هو نفسه خبيث فإذا تقرب  
صاحب الغرائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك  
اليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبرطيل لهم

١ - ص ٨٢

٢ - الاسراء ٦٢

٣ - سبأ ٢٠

(٦) قوله «لاحتنكن» بمحتمل ان يكون مأخوذا من قولهم حنك الدابة واحتنكها اذا جعل  
في حنكها الأسفل حبلا يقودها به وعلى هذا فمعناه لاحتنكن ذريته ولاستولين عليهم استيلاء  
قويا واخراج هذا ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه : واليه ذهب الفراء : ومحتمل  
ان يكون مأخوذا من احتنك الجراد الارض اذا اهلك نباتها وجرد ما عليها واحتنك فلان  
مال فلان اذا اخذه واكله : وعلى ذلك قوله \* تشكو اليك سنة قد اجحفت \* جهدا الى جهد  
بقا فاضفت \* واحتنكت طوائنا واجلقت \* وعلى هذا فمعناه لاستأصلهم واهلكهم بالاغواء :  
واختار هذا الجبائي والطبري وجماعة : وكأنه مأخوذ من الحنك وهو باطن اعلى الفم من داخل  
فهو اشتقاق من اسم عين : والمراد بالقليل في الآية هم العلماء بالكتاب والسنة المأملون  
بهما المخلصون له فيها جعلنا الله وإياكم منهم آمين :

فيقضون بعض أغراضه ممن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة:

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل إما حروف الفاتحة واما حروف قل هو الله أحد واما غيرها بنجاسة اما دم واما غيره واما بغير نجاسة أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك فاذا قالوا أو كتبوا ما يرضاه الشياطين اعانهم على بعض أغراضهم اما تغوير ماء من المياه واما أن يحمل في الهواء الى بعض الأماكن واما أن يأتيه بمال من أموال بعض الناس كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين ومن لم يذكر اسم الله عليه وتأتى به : واما غير ذلك وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له بمن أعرفه ما يطول حكايته فانهم كثيرون جداً:

والمقصود أن محمداً صلى الله عليه وسلم بعث الى الثقلين واستمع الجن لقراءته وولوا الى قومهم منذرين كما أخبر الله عز وجل وهذا متفق عليه بين المسلمين ثم أكثر المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم يقولون انهم جاؤوه بعد هذا وانه قرأ عليهم القرآن وبايعوه وسألوه الزاد لهم ولدوا بهم فقال لهم « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه أوفر ما يكون لحماً ولكم كل بكرة علف لدوابكم » قال النبي صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن » وهذا ثابت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود : وقد ثبت في

صحيح البخارى وغيره من حديث أبى هريرة نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالمعظم والروث فى أحاديث متعددة \* وفى صحيح مسلم وغيره عن سلمان « قال قيل له قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراة قال فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن نستنجى بالمين وأن نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجى برجيع أو عظم » : وفى صحيح مسلم وغيره أيضاً عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمسح بعظم أو بعر » وكذلك النهى عن ذلك فى حديث خزيمة بن ثابت وغيره :

وقد بين علة ذلك فى حديث ابن مسعود : فى صحيح مسلم وغيره عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم لحماً وكل برة علف لدوابكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم » وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « أنه كان يحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم اداوة لوضوئه وحاجته فينما هو يتبعه بها قال من هذا قلت أباهريرة قال أتبعنى أحجاراً استنفض بها ولا تأتنى بعظم ولا برة فأتيت به بأحجار أحملها فى طرف ثوبى حتى وضعتها الى جنبه ثم انصرفت حتى اذا فرغ مشيت فقلت مابال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه أتانى وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يبروا بعظم ولا روثه الا وجدوا عليها طعاماً »

ولما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بما يفسد طعام الجن وطعام دوابهم كان هذا تنبيهاً على النهي عما يفسد طعام الانس وطعام دوابهم بطريق الأولى لكن كراهة هذا والنفور عنه ظاهر في فطر الناس بخلاف العظم والروثة فإنه لا يعرف نجاسة طعام الجن فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة المتعددة بالنهي عنه : وقد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة أنه خاطب الجن وخاطبوه وقرأ عليهم القرآن وأنهم سألوه الزاد \* وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أنه كان يقول « ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الجن ولا خاطبهم ولكن أخبره أنهم سمعوا القرآن » وابن عباس قد علم ما دل عليه القرآن من ذلك ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وأبو هريرة وغيرهما من إتيان الجن اليه ومخاطبته إياهم وأنه أخبره بذلك في القرآن وأمره أن يخبر به وكان ذلك في أول الأمر لما حرس السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء وملئت حرساً شديداً وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة كما قد بسط في موضع آخر: وبعد هذا أتوه وقرأ عليهم القرآن « وروى أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وصار كلما قال ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) قالوا ولا بشئ من الآلئك ربنا نكذب فلك الحمد »

وقد ذكر الله في القرآن من خطاب الثقلين ما يبين هذا الأصل كقوله تعالى ( يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ) وقد أخبر الله عن الجن أنهم قالوا ( وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا

طرائق قدا) أى مذاهب شتى مسلمون وكفار وأهل سنة وأهل بدعة : وقالوا (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) والقاسط الجائر يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل : وكافرهم معذب فى الآخرة باتفاق العلماء : وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه فى الجنة وقد روى « أنهم يكونون فى ربض الجنة (١) ترام الانس من حيث لا يرونهم » وهذا القول مأثور عن مالك والشافعى وأحمد وأبى يوسف ومحمد \* وقيل ان ثوابهم النجاة من النار وهو مأثور عن أبى حنيفة : وقد احتج الجمهور بقوله (لم يطمئن (٢) انس قبلهم ولا جان) قالوا فدل ذلك على تأنى الطمئ منهم لان طمئ الحور العين انما يكون فى الجنة .

## فصل

واذا كان الجن أحياء عقلاء مأمورين منهيين لهم ثواب وعقاب وقد أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فالواجب على المسلم أن يستعمل فيهم ما يستعمله فى الانس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعاملهم اذا اعتدوا بما يعامل به المعتدون فيدفع صولهم بما يدفع صول الانس .

١ - الجن ١١

٢ - الجن ١٤-١٥

٣ - الرحمن ٥٦

وصرهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق

(١) الربض بفتحين ماحول الجنة خارجاً عنها (٢) أى لم يدهن بالنكاح

للانس مع الانس وقد يتناكح الانس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف : وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه وكره أكثر العلماء منا كحة الجن \* وقد يكون وهو كثير أو الاكثر عن بنفص ومجازاة مثل أن يؤذيهم بعض الانس أو يظنوا أنهم يتعمدوا أذاهم إما يبول على بعضهم وإما بصب ماء حار وإما يقتل بعضهم وإن كان الانسى لا يعرف ذلك وفي الجن جهل وظلم فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه : وقد يكون عن عبث منهم وشر بمثل سفهاء الناس .

وحينئذ فما كان من الباب الأول فهو من الفواحش التي حرّمها الله تعالى كما حرم ذلك على الانس وإن كان برضى الآخر فكيف إذا كان مع كراهته فانه فاحشة وظلم فيخاطب الجن بذلك ويعرفون أن هذا فاحشة محرمة أو فاحشة وعدوان لتقوم الحجة عليهم بذلك ويعلموا أنه يحكم فيهم بحكم الله ورسوله الذي أرسله الى جميع التقاين الانس والجن \* وما كان من القسم الثاني فإن كان الانسى لم يعلم فيخاطبون بأن هذا لم يعلم ومن لم يتعمد الأذى لا يستحق العقوبة وإن كان قد فعل ذلك في داره وملكه عرفوا بأن الدار ملكه فله أن يتصرف فيها بما يجوز وأنتم ليس لكم أن تمكثوا في ملك الانس بغير اذنهم بل لكم ما ليس من مساكن الانس كالخراب والفلوات ولهذا يوجدون كثيرا في الخراب والفلوات : ويوجدون في مواضع النجاسات كالحمات والحشوش والمزابل والقمامين والمقابر : والشيوخ الذين تقترب بهم الشياطين وتكون أحوالهم شيطانية لا رحمانية يأوون كثيرا الى هذه

الأمّا كن التي هي مأوى الشياطين :

وقد جاءت الآثار بالنهي عن الصلاة فيها لأنها مأوى الشياطين :  
والفقهاء منهم من علل النهي بكونها مظنة النجاسات : ومنهم من قال  
انه تعبد لا يعقل معناه : والصحيح أن العلة في الحمام وأعطان الأبل  
ونحو ذلك أنها مأوى الشياطين : وفي المقبرة أن ذلك ذريعة الى الشرك  
مع أن المقابر تكون أيضاً مأوى الشياطين : والمقصود أن أهل الضلال  
والبدع الذين فيهم زهد وعبادة على غير الوجه الشرعى ولهم أحياناً  
مكاشفات ولهم تأثيرات يأوون كثيراً الى مواضع الشياطين التي نهى  
عن الصلاة فيها لأن الشياطين تستنزل عليهم بها وتخطبهم الشياطين  
ببعض الأمور كما تخطب الكهان : وكما كانت تدخل في الأصنام  
وتكلم عابدى الأصنام وتعينهم في بعض المطالب كما تعين السحرة وكما  
تعين عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب اذا عبدوها  
بالعبادات التي يظنون أنها تناسبها من تسبيح لها ولباس وبخور وغير  
ذلك فانه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكوكب وقد تقضى  
بعض حوائجهم اما قتل بعض أعدائهم أو امراضه واما جلب بعض  
من يهوونه واما احضار بعض المال ولكن الضرر الذي يحصل لهم  
بذلك أعظم من النفع بل يكون أضعاف أضعاف النفع :

والذين يستخدمون الجن بهذه الأمور يزعم كثير منهم أن سليمان  
كان يستخدم الجن بها (١) فانه قد ذكر غير واحد من علماء السلف

(١) قال ابن النديم في كتاب الفهرست في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب في الفن الثاني



أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر وجعلتها تحت كرسيه وقالوا كان سليمان يستخدم الجن بهذه فطعن طائفة من أهل الكتاب في سليمان بهذا السبب وآخرون قالوا لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان فضل الفريقان هؤلاء بقدرهم في سليمان : وهؤلاء باتباعهم السحر فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى ( ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ) الى قوله تعالى ( ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ) بين سبحانه أن هذا لا يضر ولا ينفع اذ كان النفع هو الخير الخالص أو الراجح والضرر هو الشر الخالص أو الراجح وشر هذا اما خالص واما راجح

والمقصود أن الجن اذا اعتدوا على الانس أخبروا بحكم الله ورسوله وأقيمت عليهم الحجة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كما

١ - البقرة ١٠١

٢ - البقرة ١٠٢

ماحاصله يقال والله اعلم ان سليمان بن داود صلوات الله عليهم اول من استعبد الجن والشياطين واستخدمها : وقيل اول من استعبدها على مذهب الفرس جشتيد بن اوبخهان : وكان يكتب لسليمان بن داود عليه الصلاة والسلام : ومن استعبدهم آصف بن برخيان ويوسف بن عيصو والمهرزبان بن الكرذول : والذي فتح هذا الامر في الاسلام ابو نصر احمد بن هلال البكيل وهلال بن وصيف وكان مخدوما ومناطقاه وله افعال عجيبة وخواتيم مجربة وله من الكتب كتاب الروح الثلاثية وكتاب المغاخرة في الاعمال وغير ذلك : ومن الذين يسمون باسماء الله تعالى رجل يعرف بابن الامام وكان في ايام المعتضد : ومنهم عبد الله بن هلال : وصالح المدرى : وعقبة الأدرعى : وأبو خالد الحراساني : ومن هؤلاء من كان يترك الصلاة تقربا الى ابليس وجنوده : ويجمع بين الرجال والنساء في الحرام : ولا شك ان من يستخدم الجن والشياطين يحصل له من المخالفات ضرورة لارضائهم والتقرب اليهم لاسيما في زماننا هذا زمان النذل والزندقة والاحاد حمانا الله وإياكم من ذلك والله اعلم

يفعل بالانس لان الله يقول ( وما كنا معـذيين حتى نبعث رسولا )  
وقال تعالى ( يا معشر الجن والانس أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسَلٌ مِنْكُمْ بِقُصُوفٍ عَلَيْكُمْ  
آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ) ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم  
عن قتل حيات البيوت حتى تؤذن ثلاثا كما في صحيح مسلم وغيره عن  
أبي سعيد الخدري « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة  
نفراً من الجن قد أسلموا فن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا  
فان بدا له بعد فليقتله فانه شيطان » وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي  
السائب مولى هشام بن زهرة « أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته  
قال فوجده يصلي فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته فسمعت تحريكاً  
في عراجين في ناحية البيت فالتفت فاذا حية فوثبت لأقتلها فأشار الى  
أن اجلس فجلست فلما انصرف أشار الى بيت في الدار فقال أترى هذا  
البيت فقات نعم فقال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس قال فخرجنا  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع الى أهله فاستأذنه  
يوماً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ عليك سلاحك فاني  
أخشى عليك قريظته فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع فاذا امرأته بين  
الباين قائمة فأهوى اليها بالرمح ليطمعنها به وأصابته غيرة فقالت أكفف  
عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني فدخل فاذا  
بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى اليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج  
فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسرع موتاً الحية

أم الفتى قال فجئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك وقلنا ادع الله يحييه لنا قال استغفروا لصاحبكم ثم قال إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئاً فاذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان « وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئاً منها فخرجوا عليه ثلاثاً فإن ذهب والا فاقتلوه فإنه كافر « وقال لهم اذهبوا فادفنوا صاحبكم

وذلك إن قتل الجن بغير حق لا يجوز كما لا يجوز قتل الأنس بلا حق والظلم محرم في كل حال فلا يحل لأحد أن يظلم أحداً ولو كان كافراً بل قال تعالى (ولا يجز منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) والجن يتصورون في صور الأنس والبهايم فيتصورون في صور الحيات والعقارب وغيرها : وفي صور الابل والبقر والغنم والخيول والبغال والحمير وفي صور الطير وفي صور بني آدم كما أتى الشيطان قريشاً في صورة سراقبة بن مالك بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم)<sup>١</sup> إلى قوله (والله شديد العقاب) وكما روى أنه تصور في صورة شيخ نجدى لما اجتمعوا بدار الندوة (١) هل

١ - المائدة ٨

٢ - الأنفال ٤٨

(١) وحاصله على ما حكاه أصحاب السير: إن قريشاً لما رأَت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعَةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدٍهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا سعة فخذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا أنه

قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه قال ابن اسحق لحدثني من لأنهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لأنهم عن ابن عباس قال لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل عليه بثلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا من الشيخ فقال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فخر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يمدكم منه رأياً ونصحاً قالوا أجل فادخل فدخل وقد اجتمع فيها أشرف قريش : من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب : ومن بني نوفل بن عبد مناف طمية بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عمرو بن نوفل : ومن بني عبد الدار بن قصى النضر بن الحارث بن كلفة : ومن بني أسد بن عبد الدى أبو البختري ابن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام : ومن بني مخزوم أبو جهل ابن هشام : ومن بني سهم نبيه ومنبه ابن الحجاج : ومن بني جحامية بن خلف ومن كان منهم ومن غيرهم من لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما ند رأيناه وانا والله لأنامن من الوتوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجموا فيه رأياً قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشره الذين كانوا قبله زهير والثابتة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى والله ان حبسته وكم تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى أصحابه فلا يوشك ان يذبحوا عليكم فينزلوه من ايديكم ثم يكفركم حتى يظفركم على أسركم ما هذا لكم برأى فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فواته ما نبالى اين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه أصلحنا أمرنا وآلهتنا كما كانت فقال الشيخ النجدى والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيقلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يبطأ بهم فيخرج اسركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما أراد فاروا فيه رأياً غير هذا قال فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى رأياً ما أراكم وقفتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتي شاباً جلدأ نسياً وسطاً ثم تعطى كل فتي منهم سيفاً صارماً ثم يمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالقل فمقتلناه لهم قال يقول الشيخ النجدى القول ما قال الرجل هذا الرأي لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبيت الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابهم يمدونه حتى ينام فينبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب ثم على فراتى وتوشح ببردى هذا الاخضر قم فيه فانه ان يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقتلوا الرسول أو يجبسوه أو يخرجوه كما قال تبارك وتعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير للماكرين) فإذا كان حيات البيوت قد تكون جنا فتؤذن ثلاثا فان ذهبت والا قتلت فانها ان كانت حية قتلت وان كانت جنية فقد أصرت على العدوان بظهورها للانسان في صورة حية نفرعهم بذلك والعادى هو الصائل الذى يجوز دفعه بما يدفع ضرره ولو كان قتلا وأما قتلهم بدون سبب يبيح ذلك فلا يجوز :

وأهل العزائم والأقسام يقسمون على بعضهم ليعينهم على بعض تارة يبرون قسمه وكثيراً لا يفعلون ذلك بان يكون ذلك الجنى معظما

١ - الأنفال ٣٠

ينام في برده ذلك اذا نام فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال لما أجمعوا له وفيهم أبو جهل ابن هشام فقال وهم على بابه ان محمداً يزعم انكم ان يامتوه على أسره كنتم ملوك العرب والمعجم ثم بتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنات كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم انا اقول ذلك أنت أأحدهم وأخذ الله ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات يس الى فهم لا يعرفون ولم يبق رجل الا وقد وضع على رأسه تراباً وانصرف الى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت من لم يكن معهم فقال وما تنظرون هبنا قالوا محمداً قال قد خبيكم الله قد والله خرج عليكم محمد وما ترك أحدا منكم الا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متشعاً ببرد النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائماً عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا فكان مما أنزل الله تعالى من القرآن في ذلك (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير للماكرين) وقول الله تعالى (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) وسبب اختيار ابليس للزى بشيخ نجدى هو ان قريشاً قالوا لا يدخل معكم في المشاورة احد من اهل تهامة لان هو اهم مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله اعلم

عندهم وليس للمعزم وعزيمته من الحرمة ما يقتضى اعانتهم على ذلك اذ كان المعزم قد يكون بمنزلة الذى يحلف غيره ويقسم عليه بمن يعظمه وهذا يختلف أحواله فمن أقسم على الناس ليؤذوا من هو عظيم عندهم لم يلتفتوا اليه وقد يكون ذلك منيعا فاحوالهم شبيهة بأحوال الانس لكن الانس أعقل وأصدق وأعدل وأوفى بالعهد : والجن أجهل وأكذب وأظلم وأعدر :

والمقصود أن أرباب العزائم مع كون عزائمهم تشتمل على شرك وكفر لا تجوز العزيمة والقسم به فهم كثيراً يعجزون عن دفع الجن وكثيراً ما تسخر منهم الجن اذا طلبوا منهم قتل الجنى الصارع للانس أو حبسه فيخلوا اليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخيلاً وكذباً هذا اذا كان الذى يرى ما يخيلونه صادقاً فى الرؤية فان عامة ما يعرفونه لمن يريدون تعريفه اما بالمشاهدة والمخاطبة ان كان من جنس عباد المشركين وأهل الكتاب ومبتدعة المسلمين الذين يضلهم الجن والشياطين : واما ما يظهرونه لأهل العزائم والأقسام أنهم يمثلون ما يريدون تعريفه فاذا رأى المثال أخبر عن ذلك وقد يعرف انه مثال وقد يوهونه أنه نفس المرئى واذا أرادوا سماع كلام من يناديه من مكان بعيد مثل من يشتغيث ببعض العباد الضالين من المشركين وأهل الكتاب وأهل الجهل من عباد المسلمين اذا استفاد به بعض محبيه فقال ياسيدى فلان فان الجنى يخاطبه بمثل صوت ذلك الانسى فاذا رد الشيخ عليه الخطاب اجاب ذلك الانسى بمثل ذلك الصوت وهذا وقع لعدد كثير أعرف منهم طائفة :

## فصل

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به اذا كان ميتا وكذلك قد يكون حيا ولا يشمر بالذى ناداه بل يتصور الشيطان بصورة فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وانما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بمرجس وغيره من قداديسهم ويقع لاهل الشرك والضلال من المنتسبين الى الاسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشمر: واعرف عددا كثيرا وقع لهم في عدة أشخاص يقول لى كل من الاشخاص انى لم أعرف ان هذا استغاث بى والمستغيث قد رأى ذلك الذى هو على صورة هذا وما اعتقد انه الا هذا: وذكر لى غير واحد انهم استغاثوا بى كل يذكرو قصة غير قصة صاحبه فاخبرت كلا منهم انى لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته فقليل هذا يكون ملكا فقلت الملك لا يغيث المشرك انما هو شيطان أراد ان يضلّه: وكذلك يتصور بصورة ويقف بعرفات فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وكثير منهم حمله الشيطان الى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا احرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة وفيهم من لا يمر مكة وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمى الجمار الى أمثال ذلك من الأمور التى يضلهم بها الشيطان

حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع اما محرم واما مكروه ليس بواجب ولا مستحب وقد زين لهم الشيطان ان هذا من كرامات الصالحين وهو من تليس الشيطان فان الله لا يعبد الا بما هو واجب او مستحب وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة او مستحبة فانما زين ذلك له الشيطان وان قدرانه عفى عنه لحسن قصده واجتهاده لكن ليس هذا مما يكرم الله به أوليائه المتقين اذ ليس في فعل المحرمات والمكروهات اكرام بل الاكرام حفظه من ذلك ومنعه منه فان ذلك ينقصه لا يزيده وان لم يعاقب عليه بالعذاب فلا بد ان يخفضه عما كان ويخفض اتباعه الذين يمدحون هذه الحال ويعظمون صاحبها فان مدح المحرمات والمكروهات وتعظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله وكما ازداد العبد في البدع اجتهادا ازداد من الله بعداً لانها تخرجه عن سبيل الله سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى بعض سبيل المغضوب عليهم والضالين

## فصل

اذا عرف الأصل في هذا الباب فنقول يجوز بل يستحب وقد يجب أن يذب عن المظلوم وأن ينصرفان نصر المظلوم مأثور به بحسب الامكان : وفي الصحيحين حديث البراء بن عازب قال « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعبادة المريض واتباع الجنائز وتسميت العاطس وابرار القمم أو المقسم ونصر المظلوم واجابة



الداعي وافشاء السلام ونهانا عن خواتيم أو تختم الذهب وعن شرب  
بالفضة وعن المياثر وعن القسي ولبس الحرير والاستبرق والديباج «  
وفي الصحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنصر  
أخاك ظالما أو مظلوما قلت يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره  
ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه » وأيضا ففيه تفريج كربة هذا  
المظلوم : وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة  
من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة  
ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان  
العبد في عون أخيه » : وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر « أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرقي قال من استطاع منكم أن ينفع أخاه  
فليفعل » لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله مثل الأدعية والاذكار  
الشرعية ومثل أمر الجنى ونهيه كما يؤثر الانسى وينعى ويجوز من ذلك  
ما يجوز مثله في حق الانسى مثل أن يحتاج الى انتهاز الجنى وتهديده  
ولعنه وسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي الدرداء « قال قام رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة  
الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شئنا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول  
الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك  
بسطت يدك قال ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في  
وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة

فلم يستأخر ثلاث مررات ثم أردت أخذه ووالله لو لادعوة أخينا سليمان لا أصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة « في هذا الحديث الاستعاذة منه ولعنته بلعنة الله ولم يستأخر بذلك فديده اليه . وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الشيطان عرض لي فشد على ليقطع الصلاة على فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه فذكرت قول أخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا » . فهذا الحديث يوافق الأول ويفسره : وقوله « ذعته » أى خنقته (١) فيبين ان مد اليد كان لخنقه وهذا دفع لعدوانه بالفعل وهو الخنق وبه اندفع عدوانه فرده الله خاسئا :

وأما الزيادة وهو ربطه الى السارية فهو من باب التصرف الملكي الذي تركه لسليمان فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يتصرف في الجن كتصرفه في الانس تصرف عبد رسول يأمرهم بعبادة الله وطاعته لا يتصرف لأمر يرجع اليه وهو التصرف الملكي فانه كان عبداً رسولاً وسليمان نبي ملك والعبد الرسول أفضل من النبي الملك كما ان السابقين المقربين أفضل من عموم الأبرار أصحاب اليمين : وقد روى النسائي على

(١) قوله « ذعته » الفاء للعطف وذعته بالذال المعجمة فعل ماضٍ للمتكلم وحده وهو الخنق كما فسره المصنف : وروى فدعته من الدع بالذال واليمين المهملتين وهو الدفع : ومنه قوله تعالى (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدعون والله أعلم

شرط البخارى عن عائشة «ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقا حتى يراه الناس» ورواه احمد وأبو داود من حديث أبي سعيد وفيه «فأهويت يدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لسانه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها» وهذا فعله في الصلاة وهذا مما احتج به العلماء على جواز مثل هذا في الصلاة وهو كدفع المار وقتل الأسودين والصلاة حال المسابقة : وقد تنازع العلماء في شيطان الجن اذا مر بين يدي المصلي هل يقطع على قولين هما قولان في مذهب احمد كما ذكرهما ابن حامد وغيره أحدهما يقطع لهذا الحديث ولقوله لما أخبر أن مرور الكلب الأسود فقال الكلب الأسود شيطان فعال بأنه شيطان : وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فان الكلب الاسود شيطان الكلاب » والجن تصور بصورته كثيرا وكذلك بصورة القط الأسود لان السواد أجمع للقول الشيطانية من غيره وفيه قوة الحرارة :

ومما يتقرب به الى الجن الذبائح فان من الناس من يذبح للجن وهو من الشرك الذي حرمه الله ورسوله وروى أنه نهى عن ذبائح الجن واذا برى المصاب بالدعاء والذكر وأمر الجن ونهيهم وانتهازم وسبهم ولعنهم ونحو ذلك من الكلام حصل المقصود وان كان ذلك يتضمن مرض طائفة من الجن أو موتهم فهم الظالمون لأنفسهم اذا كان الراقى الداعي المعالج لم يتعد عليهم كما يتعدى عليهم كثير من أهل العزائم

فيأمررون بقتل من لا يجوز قتله وقد يجلسون من لا يحتاج الى حبسه :  
ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك ففيهم من يقتله الجن أو يمرضه : وفيهم  
من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه :

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذي أمر الله به  
ورسوله فانه لم يظلمهم بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم واغاثة  
الملهوف والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعى التى ليس فيها شرك  
بالخالق ولا ظلم للمخلوق : ومثل هذا لا تؤذيه الجن اما لمعرفتهم بأنه  
عادل واما لعجزهم عنه : وان كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد  
تؤذيه فينبغى لمثل هذا أن يحترز بقراءة العوذ مثل آية الكرسي  
والمعوذات والصلاة والدعاء ونحو ذلك مما يقوى الايمان ويحجب الذنوب  
التى بها يسلطون عليه فانه مجاهد فى سبيل الله : وهذا من أعظم الجهاد  
فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه وان كان الامر فوق قدرته فلا  
يكلف الله نفساً الا وسمها فلا يتعرض من البلاء لما لا يطيق :

ومن أعظم ما ينتصر به عليهم آية الكرسي فقد ثبت فى صحيح  
البخارى حديث أبي هريرة قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بمحفظة زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت  
لا رفعتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى محتاج وعلى عيال (١)  
ولى حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله صلى الله

---

(١) قوله « وعلى عياله » أي نفقة عياله كما فى قوله تعالى ( واسأل القرية )  
وقيل على بمعنى لى :

عليه وسلم ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكى  
 حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله قال اما أنه قد كذبتك  
 وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته  
 فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال دعني فاني محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله  
 فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا هريرة ما فعل أسيرك  
 قلت يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما أنه  
 قد كذبتك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت  
 لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات انك  
 تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هن  
 قال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا اله الا هو الى القيوم  
 حتى تحتم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان  
 حتى تصبح فخليت سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات  
 ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي اذا أويت الى فراشك  
 فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تحتم الآية الله لا اله الا هو الى القيوم  
 وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح  
 وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما أنه قد  
 صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ياأبا هريرة قلت  
 لا قال ذاك شيطان .

ومع هذا فقد جرب الجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضبط من كثرته وقوته فان لها تأثيراً عظيماً في دفع الشيطان عن نفس الانسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب وأرباب السماع المسكاه والتصدية اذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخيلها الشيطان ويبطل ما عند اخوان الشياطين من مآشفة شيطانية وتصرف شيطاني اذ كانت الشياطين يوحون الى أوليائهم بأمور يظنون الجهال من كرامات أولياء الله المتقين وانما هي من تلبسات الشياطين على أوليائهم المغضوب عليهم والضالين والصائل المعتدى يستحق دفعه سواء كان مسلماً أو كافراً : وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد فاذا كان المظلوم له أن يدفع عن مال المظلوم ولو بقتل الصائل العادي فكيف لا يدفع عن عقله وبدنه وحرمة فان الشيطان يفسد عقله ويعاقبه في بدنه وقد يفعل معه فاحشة أنسى بأنسى وان لم يندفع الا بالقتل جاز قتله : وأما اسلام صاحبه والتخلي عنه فهو مثل اسلام أمثاله من المظلومين وهذا فرض على الكفاية مع القدرة : ففى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يظلمه» (١) فان كان عاجزاً عن

(١) وقوله «ولا يسله» بسين مهملة أى لا يتركه مع من يؤذيه ولا يهاؤذيه

بل ينصره ويدفع عنه :

ذلك أو هو مشغول بما هو أوجب منه أو قام به غيره لم يجب وإن كان قادرا وقد يمين عليه ولا يشغله عما هو أوجب منه وجب عليه وأما قول السائل هل هذا مشروع فهذا من أفضل الأعمال وهو من أعمال الأنبياء والصالحين فإنه مازال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بني آدم بما أمر الله به ورسوله كما كان المسيح يفعل ذلك وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقد روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه من حديث مطر بن عبد الرحمن الأعمق «قال حدثني أم أبان بنت الوازع بن زارع بن عامر العبدي عن أبيها أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معه بابن له مجنون أو ابن أخت قال جدى فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قامتان معي ابنا لى أو ابن أخت لى مجنون أتيتك به تدعو الله له قال أئتني به قال فانطلقت به إليه وهو في الركاب فاطلقت عنه والقيت عليه ثياب السفر والبسته ثوبين حسنين وأخذت بيده حتى انتهيت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادنه منى اجعل ظهره مما يليني قال بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطيه ويقول أخرج عدو الله أخرج عدو الله فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس ينظره الأول ثم أقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضل عليه» وقال أحمد في المسند ثنا عبد الله بن نعيم عن عثمان بن حكيم أنا عبد الرحمن بن عبد العزيز

عن يعلى بن مرة « قال لقد رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ما رأها أحد قبلي ولا يراها أحد بعدى لقد خرجت معه في سفر حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبي لها فقالت يا رسول الله هذا صبي أصابه بلاء وأصابنا منه بلاء يؤخذ في اليوم ما أدرى كم مرة قال ناولينيه فرقعته إليه فجعلته بينه وبين واسطة الرحل ثم ففر فراه فنفت فيه ثلاثاً وقال بسم الله أنا عبد الله أخساً عدو الله ثم ناولها إياه فقال القينا في الرجمة في هذا المكان فاخبرينا ما فعل قال فذهبنا ورجعنا فوجدناها في ذلك المكان معها شياه ثلاث فقال ما فعل صبيك فقالت والذي بعثك بالحق ما حسنا منه شيئاً حتى الساعة فاجتزرت هذه الغنم قال انزل خذ منها واحدة ورد البقية » وذكر الحديث بتمامه « ثنا وكيع قال ثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه قال وكيع مرة يعني الثقفى ولم يقل مرة عن أبيه « أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم معها صبي لها به لم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخرج عدو الله أنا رسول الله قال فبرأ قال فاهدت إليه كبشين وشيئاً من أقط وشيئاً من سمن قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين ورد عليها الآخر » ثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حفص عن يعلى بن مرة الثقفى قال « ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وذكر الحديث وفيه قال « ثم سرنا فررنا بماء فأنته امرأة بابن لها به جنة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره فقال أخرج اني محمد رسول الله قال ثم سرنا فلما



رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء فأنته المرأة يجزر ولبن فامرها ان ترد  
الجزر وأمر أصحابه فشربوا من اللبن فسألهما عن الصبي فقالت والذي  
بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك « ولو قدر انه لم ينقل ذلك لكون  
مثله لم يقع عند الانبياء لكون الشياطين لم تكن تقدر تفعل ذلك عند  
الانبياء وفعلت ذلك عندنا فقد أمرنا الله ورسوله من نصر المظلوم  
والتنفيس عن المكروب ونفع المسلم بما يتناول ذلك : وقد ثبت في  
الصحيحين حديث الذين رقوا بالفأخمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم  
« وما أدراك انها رقية » وأذن لهم في أخذ الجعل على شفاء اللديغ بالرقية  
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان الذى أراد قطع صلاته « أعوذ  
بالله منك ألعنك بلعنة الله الثامنة ثلاث مرات » وهذا كدفع ظالمى الانس  
من الكفار والفجار فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وان كانوا لم  
يقروا (١) الترك ولم يكونوا يرمون بالقسى الفارسية ونحوها مما يحتاج  
اليه في قتال فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتالهم وأخبر  
أن أمته ستقاتلهم ومعلوم أن قتالهم النافع انما هو بالقسى الفارسية ولكن  
قوتلوا بالقسى العربية التى تشبه قوس القطن لم تغن شيئا بل استطالوا  
على المسلمين بقوة رميهم فلا بد من قتالهم بما يهزمهم : وقد قال بعض  
المسلمين لعمر بن الخطاب ان العدو اذا رأيناهم قد لبسوا الحرير وجدنا  
في قلوبنا روعة فقال وأنتم فالبسوا كما لبسوا وقد أمر النبي صلى الله عليه  
وسلم أصحابه في عمرة القضية بالرمل والاضطباع ليرى المشركين قوتهم

(١) هكذا الاصل وهو غير ظاهر ولعله لم يروا الترك

وان لم يكن هذا مشروعا قبل هذا ففعل لاجل الجهاد مالم يكن مشروعا بدون ذلك ولهذا قد يحتاج في ابراء المصروع ودفع الجن عنه الى الضرب فيضرب ضربا كثيرا جداً والضرب انما يقع على الجنى ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبرانه لم يحس بشيء من ذلك ولا يؤثر في بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلثمائة واربعائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الانسى لقتله وانما هو على الجنى والجنى يصيح ويصرخ ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين (١)

(١) قال العلامة شمس الدين ابن القيم في الهدي النبوي: بعد ماورد الادلة مانصه وشاهدت شيخنا يرسل الى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول قال لك الشيخ اخرجي فان هذا لا يحل لك فيفوق المصروع وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفوق المصروع ولا يحس بألم وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارا وكان كثيرا ما يقرأ في اذن المصروع (الحسبتم انما خلقناكم عبداً وانكم الينا لا ترجعون) وحدثني انه قرأها مرة في اذن المصروع فقالت الروح نعم ومد بها صوته قال فاخذت له عصا وضربت بها في عروق عنقه حتى تخلت يداي من الضرب ولم يشك الحاضرون بانه يموت لذلك الضرب ففي اثناء الضرب قالت انا احبه فقلت لها هو لا يحبك قالت انا اريد ان احج به فقلت لها هو لا يريد ان يحج معك فقالت انا ادعه كرامة لك قال قلت لا ولكن طاعة لله ولرسوله قالت فاناً اخرج منه قال فقعد المصروع بلفتت يميناً وشمالاً وقال ماجا بي الى حضرة الشيخ قالوا له وهذا الضرب كله فقال وعلى اي شيء يضرني الشيخ ولم اذنب ولم يشعر بانه وقع به ضرب أبنة وكان يعالج بآية الكرسي وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه لها وبقراءة المعوذتين بالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره الا قليل الحظ من العلم والمقل

وأما الاستعانة عليهم بما يقال ويكتب مما لا يعرف معناه فلا يشرع  
 لاسيما ان كان فيه شرك فان ذلك محرم : وعامة ما يقوله أهل العزائم فيه  
 شرك وقد يقرؤن مع ذلك شيئا من القرآن ويظهرونه ويكتمون  
 ما يقولونه من الشرك وفي الاستشفاء بما شرعه الله ورسوله ما ينفي عن  
 الشرك وأهله والمسلمون وان تنازعوا في جواز التداوى بالمحرمات كالميتة  
 والخنزير (١) فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوى به

والعرفه واكثر تسلط الارواح الخبيثة على اهلها تكون من جهة قلة دينهم وخراب  
 قلوبهم والسنتهم من حقائق الذكر والتاويذ والتحصينات النبوية والايمانية  
 فتلقى الروح الخبيثة الرجل اعزل لاسلح معه وربما كان عريانا فيؤثر فيه هذا  
 ولو كشف الغطاء ارايت اكثر النفوس البشرية صرعى مع هذه الارواح الخبيثة  
 وهي في اسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت ولا يمكنها الامتناع عنها ولا تخالفها  
 وبها الصرع الاعظم الذي لا يفيق صاحبه الا عند المفارقة والماينة فهناك يتحقق  
 انه كان هو المصروع حقيقة وبالله المستعان : وعلاج هذا الصرع باقتران العقل  
 الصحيح الى الايمان بما جاءت به الرسل وان تكون الجنة والنار نصب عينيه  
 وقبلة قلبه ويستحضر اهل الدنيا وحلول المثولات والافات بهم ووقوعها خلال  
 ديارهم كواقع القطار وم صرعى لا يفيقون وما اشد اعداء هذا الصرع ولكن  
 لما عمت البليسة به بحيث لا يبري الامصروع لم يصبر مستغربا ولا مستنكرا بل  
 صار لكثرة المصروعين عين المستنكر المستغرب خلافة فاذا اراد الله بعبد خيرا  
 افاق من هذه الصرعة ونظر الى ابناء الدنيا مصروعين حوله يمينا وشمالا على  
 اختلاف طبقاتهم فمنهم من اطبق به الجنون ومنهم من يفيق احيانا قليلة ويمود  
 الى جنونه ومنهم من يفيق مرة ويحين اخرى فاذا افاق عمل عمل اهل الافاقة  
 والعقل ثم يعاوده الصرع فيقع في التخييط :

(١) وقد بسطنا الكلام عليه في تعليقاتنا على احكام الاحكام شرح عمدة

بحال لان ذلك محرم في كل حال وليس هذا كالتكلم به عند الاكراه فان ذلك انما يجوز اذا كان قلبه مطمئنا بالايان والتكلم به انما يؤثر اذا كان بقلب صاحبه ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالايان لم يؤثر : والشيطان اذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده : وايضا فان المكروه مضطر الى التكلم به ولا ضرورة الى ابراء المصاب به لوجهين أحدهما أنه قد لا يؤثر أكثر مما يؤثر من يعالج بالعزائم فلا يؤثر بل يزيده شرا والثاني أن في الحق ما يغني عن الباطل

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف قوم يكذبون بدخول الجنى في الانس وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يعصون بل يكفرون بالمعبود والأمة الوسط تصدق بالحق الموجود وتؤمن بالاله الواحد المعبود وبعبادته ودعائه وذكره وأسمائه وكلامه فتدفع شياطين الانس والجن

وأما سؤال الجن وسؤال من يسألهم فهذا ان كان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسؤل فهو حرام كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن معاوية بن الحكم السلمي قال « قلت يا رسول الله اموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان » وفي صحيح مسلم أيضا عن عبيد الله عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال

الاحكام للامامة ابن دقيق العيد في البيوع واوردنا اقوال العلماء في ذلك وراجحها من مرجوحها فارجع اليه : والله أعلم

من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»  
 وأما إن كان يسأل المستول ليمتحن حاله ويختبر باطن امره وعنده  
 ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز كما ثبت في الصحيحين «أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد فقال ما يأتيك فقال يأتيني صادق  
 وكاذب قال ماترى قال أرى عرشاً على الماء قال فاني قد خبأت لك خبيثاً  
 قال الدخ الدخ قال اخسأ فلن تعدو قدرك فانما أنت من اخوان الكهان» (١)  
 وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن كما يسمع  
 المسلمون ما يقول الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به وكما  
 يسمع خبر الفاسق ويتبين ويثبت فلا يجوز بصدقه ولا كذبه إلا بدينة  
 كما قال تعالى (إن جاءكم بنياً فتبينوا) وقد ثبت في صحيح  
 البخاري عن أبي هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرؤن التوراة ويفسرونها

١ - الحجرات ٦

(١) ابن صياد مشهور كان من اليهود وكان يدعي الكهانة في زمن النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم قبل البلوغ ويتماطى كلام الغيب فامتحنه النبي صلى  
 الله عليه وآله وسلم ليعلم حقيقة حاله ويظهر أمره الباطل للصحابة وأنه كاهن  
 ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين للكهنة : وقول النبي  
 صلى الله عليه وآله وسلم خبأت لك خبيثاً على وزن فعيل وبروي خبأت لك  
 خبأً على وزن فعل وكلاهما صحيح بمعنى الشيء الغائب المستور أي اضمرت لك  
 سورة الدخان : فقال ابن صياد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الدخ بضم الدال  
 فلم يستطع ابن صياد أن يتم الكلمة ولم يهتد من الآية الكريمة إلا لهذين الحرفين  
 على عادة الكهان من اختطاف بعض الكلمات من أولياتهم من الجن أو من  
 هواجس النفس ولهذا قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخسأ فلن تعدو  
 قدرك أي لست بنبي ولن تتجاوز قدرك وإنما انت كاهن : والله اعلم

بالعريية فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم والهنأ والهنأ واحد ونحن له مسلمون » فقد جاز للمسلمين سماع ما يقولونه ولم يصدقوه ولم يكذبوه

وقد روى عن ابى موسى الاشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره انه ترك عمر يسم ابل الصدقة وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص الى المدينة فأخبر انهم انتصروا على عدوم وشاع الخبر فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال هذا أبو الهيثم يريد المسلمين من الجن وسيأتى يريد الاس بعد ذلك فجاء بعد ذلك بعدة أيام :

## فصل

ويموز ان يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئا من كتاب الله وذكره بالمداد البياح ويفسل ويسقى كما نص على ذلك احمد وغيره قال عبد الله بن احمد قرأت على أبى ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن محمد ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب بسم الله لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار

بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون) \* قال أبي ثنا أسود بن عامر بإسناده  
 بمعناه وقال يكتب في اناء نظيف فيسقى قال أبي وزاد فيه وكيع فتسقى  
 وينضح مادون سرتها قال عبد الله رأيت أبي يكتب للمرأة في جام  
 أو شيء نظيف : وقال ابو عمر ومحمد بن احمد بن حمدان الحيرى انا  
 الحسن بن سفيان النسوى حدثنى عبد الله بن احمد بن شيوخه ثنا على  
 ابن الحسن بن شقيق ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن ابن أبي  
 ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا عسر على  
 المرأة ولادها فليكتب بسم الله لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله  
 الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم والحمد لله رب  
 العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون  
 ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون  
 قال على يكتب في كاغدة فيعلق على عضد المرأة قال على وقد جربناه  
 فلم نر شيئا أعجب منه فاذا وضعت تحمله سريعا ثم تجعله في خرقة  
 أو تحرقه . آخر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور  
 ضريحه رضى الله عنه :

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

## ﴿ فائدة ﴾

ذكر ابن القيم في الطب النبوي ان المرض الذي يمتري الانسان منه ما يمتري  
البدن ومنه ما يمتري القلوب قال . انصه

المرض نوعان مرض القلوب ومرض الأبدان وهما مذكوران في القرآن  
ومرض القلوب نوعان مرض شبهة وشك ومرض شهوة وغى وكلاهما في القرآن  
قال تعالى في مرض الشبهة (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال تعالى (وليقول  
الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا) وقال تعالى في حق من  
دعى الى تحكيم القرآن والسنة فابى وأعرض (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم  
اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفى قلوبهم مرض  
أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) فهذا  
مرض الشبهات والشكوك وأمراض الشهوات فقال تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد  
من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض) فهذا مرض  
شهوة الزنا والله اعلم

(فصل) وأما مرض الأبدان فقال تعالى (ليس على الاعمى حرج ولا على  
الاعرج حرج ولا على المريض حرج) وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء  
لسر بديع بين لك عظمة القرآن والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواء وذلك  
ان قواعد طب الأبدان ثلاثة حفظ الصحة والحماية عن المؤذى واستفراغ المواد  
الفاسدة فذكر سبحانه هذه الاصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة فقال في آية  
الصوم (فن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر) فأباح الفطر للمريض  
لمنر المرض وللمسافر طلبا لحفظ صحته وقوته لئلا يذهبها الصوم في السفر لاجتماع  
شدة الحركة وما يوجبه من التحليل وعدم الغذاء الذى يخلف ما تمحل فتخور  
القوة وتضدق فأباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها . وقال في آية  
الحج (فن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو

١ - البقرة ١٠

٢ - المائدة ٣١

٣ - النور ٤٨-٥٠

٤ - الأحزاب ٣٢

٥ - النور ٦١

٦ - البقرة ١٨٤



نسك) فاباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قل أو حكة أو غيرهما ان يخلق رأسه في الاحرام استفراغا لمادة الابخرة الرديئة التي اوجبت له الاذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر فاذا حلق رأسه فتفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤدي انحباسه : والاشياء التي يؤدي انحباسها ومدافعتها عشرة الدم اذا هاج والمني اذا سبغ والبول والغائط والريح والقيء والعطاس والنوم والجوع والعطش وكل واحد من هذه العشرة يوجب حبسه داء من الادواء بحبسه وقد نبه سبحانه باستفراغ أدناها وهو البخار المحتقن في الرأس على استفراغ ما هو أصعب منه كما هي طريقة القرآن التنبيه بالادنى على الاعلى : وأما الحمية فقل تعالى في آية الوضوء (و ان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهذا تنبيه على الحمية عن كل مؤذله من داخل او خارج فقد ارشد سبحانه عباده الى أصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده ونحن نذكر هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ونبين ان هديه فيه اكمل هدى: فاما طب القلوب فسلم الى الرسل صلوات الله عليهم وسلامه عليهم ولا سبيل الى حصوله الا من جهتهم وعلى ايديهم فان صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسماؤه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأن تكون مؤثرة لمرضاته ولحجابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة ألبتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقيه الا من جهة الرسل وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فتلط ممن يظن ذلك واتما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية وصحتها وقوتها وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل : ومن لم يميز بين هذا وهذا فليكن على حياة قلبه فانه من الاموات وعلى نوره فانه منغمس في بحار الظلمات اهـ والله اعلم

| صحيفة | صحيفة                              |
|-------|------------------------------------|
| ٢     | كلمة الناشر وسبب تسمية هذه         |
| ٤١    | الرسالة                            |
| ٤٢    | تفسير الجن لغة                     |
| ٤٥    | اختلاف الملل في ثبوت الجن          |
| ٤٨    | ما يجوز من الرقى                   |
| ٥١    | الكلام على تخريج للناط             |
| ٥٢    | الحرم ما كان خبيثا                 |
| ٥٣    | تعليل الاحكام بالصفات المؤثرة      |
| ٥٤    | فيما يحبه الله ويغضه               |
| ٥٥    | جنس العرب خير من غيرهم             |
| ٥٦    | تقسيم الشياطين                     |
| ٥٧    | طعام الجن                          |
| ٥٨    | صرع الجن للانس قد يكون عن شهوة الخ |
| ٥٩    | اول من استعبد الجن والشياطين       |
| ٦٠    | قتل الجن بدون حق لا يجوز           |
| ٦١    | نرى ابليس بشيخ نجدي                |
| ٦٢    | تصور الشياطين بصورة المستغاث       |
| ٦٣    | به الميت وما يترتب عليه من         |
| ٦٤    | الفساد                             |
| ٦٥    | الذبح للجن غير مشروع               |
| ٦٦    | اجتماع ابى هريرة بالجنى            |
| ٦٧    | علاج النبي عليه الصلاة والسلام     |
| ٦٨    | الصرعى                             |
| ٦٩    | علاج ابن تيمية الصرعى              |
| ٧٠    | اختبار النبي صلى الله عليه وآله    |
| ٧١    | وسلم ابن صياد                      |
| ٧٢    | جواز كتابة شيء من القرآن           |
| ٧٣    | للمصاب                             |
| ٧٤    | خاتمة الرسالة                      |
| ٧٥    | فائدة عن ابن القيم الجوزية ذكر     |
| ٧٦    | فيها اقسام الطب الى طب قلوب        |
| ٧٧    | وطب ابدان وفيه ما كان عليه         |
| ٧٨    | الرسول صلى الله عليه وآله وسلم     |
| ٧٩    | من العلم بالطب الذي يعجز           |
| ٨٠    | عنه اعظم علماء الطب الحديث         |
| ٨١    | وفلاسفته                           |

# الإِنْصَافُ

## فِيمَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأَخْتِلَافِ

---

للإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب  
(أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر بن عاصم)  
القمي القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

---

عنيت بنشره ونصحيته سنة ١٣٤٣ هـ

إِدَارَةُ الطَّبَاعَةِ الْمُنِيرَةِ  
لصاحبها ومديرها محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله  
بمصر بشارع الكهككين عمرة ١

---

حق الطبع محفوظ لها

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وما توفيتني الا بالله

اخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم العامل الصدر الكبير شيخ المسلمين  
قاضي القضاة شرف الدين ابو حفص عمر بن عبد الله بن صالح الحسني  
اطال الله بقاءه قراءة عليه ونحن نسمع باوان تدريسه بالصالحية اخبرنا  
الشيخ الامام العالم العامل الحافظ فخر الحفاظ مفتي الأمة قدوة الأئمة  
شرف الدين ابو الحسن علي بن ابي المكارم الفضل بن علي المقدسي قراءة  
عليه ونحن نسمع أنبأني الشيخ ابو الطيب عبد المنعم بن يحيى بن خلف الحميري  
بقراءته عليه بحق اجازته عن ابي الحسن علي بن عبد الله بن موهب  
الجدامي عن مصنفه الحافظ ابي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد  
البر النمرى

قال الحافظ ابو الحسن المقدسى وأنبأ به اجازة ابو بكر محمد بن  
عبد الله بن ميمون العبدي وآخرون عن ابي محمد عبد الرحمن بن محمد  
ابن عتاب الجدامي وغيره اجازة عن مصنفه الحافظ ابي عمر يوسف بن  
عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى المذكور رضى الله عنه \* قال الحمد  
لله رب العالمين الذى جعل العلم نوراً للمهتدين وشفاء لصدور المؤمنين  
وحجة على الجاهلين والمبطلين وصلى الله على محمد وعلى آله أجمعين

أما بعد فإن بعض اخواننا المعتنين بالعلم المقيدين له والحاملين لآثاره المتفقين فيه رغب أن اجمع له ما يقف به على ما كان عليه علماء السلف من الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب في الصلاة وهل كانوا يمدونها آية منها فيجهرون بها اذا قرؤوا فاتحة الكتاب او يحفونها عند قرائتهم لها او يسقطونها فلا يرونها آية منها ولا من أوائل سائر سور القرآن سواها وهل اختلفوا في ذلك او كانوا على وجه منه متفقين وما الذي اختاره أئمة الفقهاء الذين تدور علي مذاهبهم القتيا في امصار المسلمين من ذلك وما الآثار التي كانت سبب اختلافهم فيما اختلفوا فيه من اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم وفي اثباتها وفي الجهر بها واخفائها وما نزعته به كل فرقة لمذهبها من جهة الأثر واحتجت به من ذلك لاختيارها بما روته عن سلفها فاجبته بمون الله تعالى وفضله فيما رغب وسارعت الي ما طلب ابتغاء ثواب الله تعالى في نشر ما علمني الله وخوف الوعيد الوارد في كتمان ما انزل الله في كتابه أو بينه رسوله صلى الله عليه وسلم . والى الله عز وجل اضرع مبتهلا في ان يهب لنا وللناظرين فيه علما نافعا وعملا يقرب منه متقبلا وهو حسبي عليه توكلت فيما له قصدت وما توفيقي الا بالله فأول ما ابداً به الاخبار عن جملة اقوال العلماء في ذلك

## باب

ذكر اختلافهم في قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم» في الصلاة في اول فاتحة الكتاب وهل هي آية منها

اختلف علماء السلف والخلف في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب وهل هي آية منها فذهب مالك واصحابه الى انها لا تقرأ في اول فاتحة الكتاب في شيء من الصلوات المكتوبات سرا ولا جهرا وليست عندهم آية من أم القرآن ولا من غيرها من سور القرآن إلا في سورة النمل في قوله عز وجل (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) وان الله لم ينزلها في كتابه في غير هذا الموضع من سورة النمل : وروى مثل قول مالك في ذلك كله عن الاوزاعي وبذلك قال ابو جعفر محمد جرير بن يزيد الطبري : واجاز مالك واصحابه قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة النافلة في أول فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن للمتجدين ولئن عرض القرآن عرضا على المقرئين : وأم القرآن عندهم سبع آيات يعدون (انعمت عليهم) آية وهو عد أهل المدينة من القراء وأهل الشام وأهل البصرة :

وقال اهل العراق والمشرق وسفيان الثوري وابن ابى ليلى والحسن ابن حى وابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابو عبيد القاسم بن سلام يقرأ الامام في اول فاتحة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ويختفيها عن خلقه وروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

على اختلاف في ذلك عن عمرو وعلى ولم يختلف عن ابن مسعود في انه كان يحثيها وهو قول ابراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وحماد بن ابي سليمان وغيرهم : وهي آية من أول فاتحة الكتاب عند جماعة قراء الكوفيين وجمهور فقهاءهم الا ان السنة عندهم فيها اخفاؤها في صلاة الجهر تسليماً واتباعاً للآثار المرفوعة في ذلك : وقال الكرخي وغيره من أصحاب أبي حنيفة انه لا يحفظ عنه هل هي آية من فاتحة الكتاب أو لا قالوا ومذهبه يقتضي انها ليست آية من فاتحة الكتاب لانه يسربها في صلاة الجهر قال داود بن علي هي آية من القرآن منفردة في كل موضع كتبت فيه في المصحف في أول فاتحة الكتاب وفي أول كل سورة من القرآن وليست من شيء من السور الا في سورة النمل وانما هي آية مفردة غير لاحقة بالسورة وزعم الرازي ان مذهب أبي حنيفة يقتضي عنده ما قال داود

ومذهب الشافعي وأصحابه الى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب جهراً في صلاة الجهر وسراً في صلاة السر وقال هي آية من فاتحة الكتاب اول آياتها ولا تتم سبع آيات الا بها ولا تجزي صلاة لمن لم يقرأها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » وقوله عليه الصلاة والسلام « كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج » ومن لم يقرأها كلها فلم يقرأها : وقول أبي ثور في ذلك كله كقول الشافعي : وروى الجهر بها عن عمرو وعلى رضي الله عنهما على اختلاف عنهما وروى ذلك عن عمار وابي هريرة وابن عباس وابن الزبير فلم يختلف في الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم عن

ابن عمر وهو الصحيح عن ابن عباس أيضاً وعليه جماعة اصحابه سعيد ابن جبير وعطاء ومجاهد وطلوس وهو مذهب ابن شهاب الزهري وعمر بن دينار وابن جريج ومسلم بن خالد وسائر أهل مكة

واختلف قول الشافعي وكذلك اختلف أصحابه في بسم الله الرحمن الرحيم في غير فاتحة الكتاب هل هي من أوائل السور آية مضافة الى كل سورة أم لا : ومحصل مذهبه انها آية من أول كل سورة على قول ابن عباس « ما كنا نعلم انقضاء السورة إلا بنزول بسم الله الرحمن الرحيم في أول غيرها » وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وعطاء وطلوس ومكحول : واليه ذهب ابن المبارك وطائفة ووافق الشافعي على انها آية من فاتحة الكتاب احمد واسحق وابوعبيد وجماعة أهل الكوفة وأهل مكة وأكثر أهل العراق إلا أن احمد واسحق وأبا عبيد يخفونها في صلاة الجهر فذهب سفيان وابن أبي ليلى والحسن بن حي وابن شبرمة وجماعة أهل الكوفة على ما ذكرنا عنهم والحمد لله :

قال ابو عمر لكل فرقة من فرق الفقهاء المذكورين آثار رويها وصلوا اليها فيما ذهبوا اليه من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين نذكر منها ما حضرنا ذكره على حذف التكرار والايثار بما عليه المدار بمون الله وفضله ان شاء الله : —



## ذكر الآثار

( التي احتج بها من أسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب في الصلاة وكره قراءتها فيها ولم يعلها آية منها )

فمن ذلك حديث عبدالله بن مغفل المزني وهو حديث يدور على أبي مسعود سعيد بن أياس الجريري عن أبي نعامه قيس بن عباية الخنفي عن ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه وقد زعم قوم أن الجريري انفرد به وليس هو عندي كذلك لأنه قد رواه غيره عن قيس بن عباية وهو ثقة عند جميعهم وكذلك الجريري محدث أهل البصرة ثقة روى عنه الجلة من أئمة أهل الحديث منهم شعبة وسفيان وابن علية والحمادان إلا أنه اختلط في آخر عمره : وأما ابن عبدالله بن مغفل فلم يرو عنه أحد إلا أبو نعامه قيس بن عباية فيما علمت ولم يرو عنه إلا رجل واحد فهو مجهول عندهم والمجهول لا تقوم به حجة :

فمن طرق حديث عبدالله بن مغفل ما حدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالوا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن إبراهيم هو ابن علية عن الجريري عن قيس بن عباية حدثني ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه قال « وما رأيت رجلاً أشد عليه في الإسلام حدث منه فسمعتني وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال لي يا بني إياك والحدث فإني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأها فإذا

قرأت فقل الحمد لله رب العالمين»

ورواه معمر عن الجريري قال أخبرني من سمع ابن عبد الله بن مغفل عن أبيه فذكر معناه : ورواه خالد بن عبد الله الواسطي الطحان فاختلف عليه فيه : ورواه سعيد بن منصور ووهب بن بقية عنه عن الجريري عن قيس بن عباية قال أخبرني ابن عبد الله بن مغفل عن أبيه وساق الحديث مثل رواية ابن عليّ سواء ورواه اسماعيل بن مسعود عنه عن عثمان بن غياث عن أبي نعامة قيس ابن عباية لم يذكر الجريري فالحديث إنما يدور على ابن عبد الله بن مغفل وقد تقدم الخبر عنه : حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا احمد بن شعيب وأنبأنا اسماعيل بن مسعود أنبأنا خالد حدثنا عثمان بن غياث قال حدثني أبو نعامة الحنفى قال حدثني ابن عبد الله بن مغفل «قال كان عبد الله بن مغفل إذا سمع أحداً يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» قال أبو عمر فحديث عبد الله بن مغفل في اسناده ما وصفنا وقد ذهب اليه من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أصلاً سرّاً ولا جهرّاً وذهب اليه من رأى أنها تقرأ سرّاً وقالوا مضاه أنه لو صح أنهم كانوا يسرون بسم الله الرحمن الرحيم ويمجرون بالحمد لله رب العالمين واستدلوا على ذلك من الآثار بما يأتي ذكرها بمد في باب مفرد لها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

منها ما رواه سفيان الثوري وغيره عن خالد الخذاء عن أبي نعامة الحنفى

قيس بن عباية عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم » قال سفيان كانوا يسرون بها وهكذا رواية أبي قلابة والحسن وعائذ بن شريح عن أنس وكذلك رواه جماعة من أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس وسند ذكر ما حضرنا من الاسانيد بذلك إن شاء الله تعالى : وحديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث انفرد به بدیل بن میسرۃ عن أبي الجوزاء واسمه أوس ابن عبد الله الربيعي الأزدي هذا من ربيعة الأزدي بصري عن عائشة ليس له اسناد غيره وبدیل بن میسرۃ وأبو الجوزاء ثقتان رواه عن بدیل بن میسرۃ سعيد بن أبي عروبة وحسين المعلم وهذان ثقة من رواه عنه بدیل : حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أبو قلابة الرقاشي قراءة عليه حدثنا عبد الأعلى ومحمد بن حيان المعجلي قالا حدثنا حسين المعلم عن بدیل بن میسرۃ عن أبي الجوزاء عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين » \* وحدثنا أحمد بن قاسم ابن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا الحارث بن أبي أسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن أبي عروبة عن بدیل ابن میسرۃ عن أبي الجوزاء عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ويختمها بالتسليم : قال أبو عمر رجال اسناد هذا الحديث ثقات كلهم لا يختلف في ذلك الا أنهم يقولون أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة وحديثه عنها ارسال : وأما الفقهاء فيقولون أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن يرى

اسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من فاتحة الكتاب وإنما فيه الحجة على أن من رأى أن فاتحة الكتاب وغيرها سواء وأنه جائز قراءتها وقراءة غيرها دونها في الصلاة ويميز أن يفتح الصلاة بغيرها من القرآن فهذا الحديث حجة على من قال ذلك : وأما من قال إن الصلاة لا تجزىء إلا بأم القرآن وإنما التي يفتح بها القراءة في الصلوات دون ما سواها من سور القرآن وإن ما سواها من القرآن إنما يقرأ في الصلاة بعدها فلا حجة عليه بهذا الحديث ولا بما كان مثله قالوا وإنما قول عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين » يعنى دون غيرها من سور القرآن : والحمد لله رب العالمين اسم لسورة أم القرآن : وفاتحة الكتاب اسم أيضاً لها وإنما قالت عائشة يفتح بالحمد لله رب العالمين ولم تقل دون أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لم يفد<sup>(١)</sup> السامع فائدة لأن بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة مثبتة في المصحف وقد اختلفوا فيها هل هي آية من أول كل سورة أو آية مفردة في أوائل السور كالخلافهم هل هي آية من فاتحة الكتاب على ما تقدم ذكره والحمد لله : وإنما قصدت عائشة رحمها الله إلى الاعلام بالسورة التي يفتح بها الصلوات وأخبرت بأي السور يفتح قراءة الصلاة بكلام رفعت فيه الاشكال فقصدت إلى ما في فاتحة الكتاب مما ليس في غيرها لأن بسم الله الرحمن الرحيم في غيرها فكان قوله بالحمد لله رب العالمين كما لو قال قائل

(١) قوله لم يفد أى هكذا الاصل والكلام غير منتظم ولعل التعليل

حذوف تقديره لأنه لم يفد الخ والله اعلم

كان يفتح الصلاة ( براءة من الله ورسوله ) ولم يقل بسورة التوبة أو قال (بالم أحسب الناس) ولم يقل بالنعكوت أو بق أو ييس أو ص أو بق والقلم ومثل هذا كثير: فكذلك قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم يقل بأم القرآن ولا بفاتحة الكتاب لأنها قصدت الى اعلام السامع بالسورة التي يفتح بها قراءة الصلاة فسمتها بذلك وليس فيه ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم ولا ما يثبتها كما لو قالت كان يفتح بص والقرآن ذي الذكر أو ق والقرآن المجيد أو الحاقة ما الحاقة أو ن والقلم: وما كان مثل ذلك وهذا كله لا يدفع احتماله فبطل أن يكون في حديث عائشة هذا حجة لمن نزع به سقوط بسم الله الرحمن الرحيم \*

### وحديث أبي هريرة

أما أبو هريرة فتروى عنه في هذا الباب أحاديث متغايرة مختلفة ومتضادة تأتي في أبوابها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فاما ما احتج به منها من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب فن ذلك ما رواه بشر بن رافع أبو الاسباط الحارثي يماي قال حدثني ابن عم أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة يقول « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » وبشر بن رافع عندهم منكر الحديث قد اتفقوا على انكار حديثه وطرح ما رواه وترك الاحتجاج به ولا يختلف علماء أهل الحديث في ذلك والذين

يروون عن بشر بن رافع حاتم بن اسماعيل وعبد الرزاق وصفوان بن عيسى ولو صح حديثه احتمل من التأويل ما ذكرنا في حديث عائشة قبل هذا رواه عبد الواحد بن زيد عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نهض في الثانية استفتح بالحمد لله رب العالمين ولم يسكت» وهذه رواية ينفي ظاهرها عن الكلام فيها: وفيها دليل على أنه كان يسكت بعد التكبيرة في الأول على ما رواه سمرة

ومنها حديث العلاء بن عبد الرحمن: وهو أصح حديث روى في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب وأبينه وأبعده من احتمال التأويل رواه مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي السائب مولى هشام ابن زهرة أنه سمعه يقول سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج خير تمام» قال قلت يا أبا هريرة اني أحيانا أكون وراء الامام قال فغمز ذراعي ثم قال اقرأ بها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله عز وجل حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدني عبدي يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فيقول الله تعالى فهذه الآية بيني وبين عبدي

ولعبدى ما سأل ويقول العبد إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأل» أدخل مالك هذا الحديث في باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة لقول أبي هريرة فيه اقرأ بها في نفسك أى اقرأ بها سرّاً ولم يدخله في باب العمل في القراءة مع حديث حميد عن أنس « قال قلت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» وسيأتى هذا الحديث واختلاف الرواة في الفاظه ورفعه وتوقيفه في موضعه من هذا الكتاب بعد هذا إن شاء الله تعالى

وأما حديث العلاء بن عبد الرحمن هذا فرواه كبارواه مالك عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج ومحمد بن عجلان ومحمد بن اسحق والوليد بن كثير كلهم رووا عن العلاء بن عبد الرحمن ان أبا السائب مولى هشام ابن زهرة حدثه انه سمع ابا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا ان الليث بن سعد رواه عن ابن عجلان عن العلاء عن ابي السائب عن ابي هريرة بهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم « ايما رجل صلى صلاة لم يقرأ فيها بأمر القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت انى لا استطيع ان اقرأ مع الامام قال اقرأ بها في نفسك فان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قال العبد الحمد لله رب العالمين قلت حمدنى عبدى » ثم ذكر الحديث على هذا بمعنى ما تقدم فجعل قوله « قال الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » من قول أبي هريرة الى آخر الحديث لم يرفع منه الا قوله « خداج غير تمام » ومالك احتفظ

واثبت وزيادة مثله مقبولة وحجة على من قصر عنها : ورواية ابن جريج عن العلاء في هذا الحديث كرواية مالك سواء

وروى هذا الحديث شعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة فقالوا عن ابيه في موضع ابي السائب ولم يذكروا ابا السائب فمن اهل العلم بالحديث من جمل هذا اضطراباً يوجب التوقف عن العمل بحديث العلاء هذا ومنهم من قال ليس هذا باضطراب لان العلاء قد روى هذا الحديث عن ابيه وعن ابي السائب جميعاً عن ابي هريرة كذلك رواه ابو اويس عن العلاء عن ابيه وابي السائب جميعاً عن ابي هريرة وسأفه نحو سياقة مالك له : والقول عندي في ذلك ان مثل هذا الاختلاف لا يضر لان ابا السائب ثقة وعبد الرحمن ابا العلاء ثقة ايضاً فمن ايها كان فهو من اخبار العدول التي يجب الحكم بها و ابو اويس عندهم لا يحتجون به فيما انفرد به :

وحديثه حدثنا عبد الوارث بن سفيان وسعيد بن نصر قالوا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا اسماعيل بن اسحق واحمد بن زهير قالوا حدثنا اسماعيل بن ابي اويس قال حدثني ابي عن العلاء بن عبد الرحمن قال سمعت من ابي ومن ابي السائب جميعاً وكانا جليسين لابي هريرة قالوا قال ابو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفتح الكتاب فهي خداج هي خداج غير تمام » وذكر الحديث بتمامه كما رواه مالك قال اسماعيل بن اسحق قال علي بن المديني وكان هذا الحديث عن عباد بن صهيب عن الرجلين جميعاً يعني كما رواه ابو اويس :



قال ابو عمر لا أعلم حديثاً في سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب ايمن من حديث العلاء هذا لان فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » فبدأ بها دون بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آية ثم قال « يقول العبد مالك يوم الدين » فعدها آية ثم قال « يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين » فعدها آية فتحت اربع آيات ثم قرأ الى آخر السورة وقال « هؤلاء لعبيدي » ولم يقل هاتان لعبيدي وهؤلاء اشارة الى جماعة فلم انها ثلاث آيات وتقدمت اربع آيات تمتع سبع آيات : وأجمع علماء المسلمين انها سبع آيات فدل هذا الحديث على ان « أنعمت عليهم » آية وان « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من اول السورة وهذا عند اهل المدينة والشام والبصرة :

وأما أهل مكة وأهل الكوفة من العلماء والقراء فيعدون « بسم الله الرحمن الرحيم » أول آية من أم القرآن وليست « أنعمت عليهم » بآية عندهم فهذا حديث قد رفع الاشكال في سقوط « بسم الله الرحمن الرحيم » ورجاله ثقات « اما ابو السائب فقد روى عنه العلاء بن عبد الرحمن وشريك بن أبي نمر وبكير الأشجج وصيفي مولى ابن أفلح ومحمد بن عمرو بن عطاء وعبيد الله بن عمرو قيل انه روى عنه الزهري وصفوان ابن سليم والاسناد عن كل واحد من هذين عنه ليس بالقوى : وأصح ما قيل في أبي السائب هذا أنه مولى هشام بن زهرة كما قال مالك وما تابعه على ذلك وهو مولى الانصار وقيل مولى بني زهرة وقيل مولى

بني عبد الله بن هشام بن زهرة وقيل عبد الله بن هشام بن زهرة مولى  
 هشام بن زهرة هكذا قال الحفاظ من أصحاب العلاء وكان أبو السائب  
 هذا من جلساء أبي هريرة وروى عن أبي هريرة وعن المغيرة بن شعبة  
 وسعد بن أبي وقاص \* وأما عبد الرحمن بن يعقوب مولى جبينه والد العلاء  
 فروى عنه ابنه العلاء وروى عنه محمد بن إبراهيم التيمي والله أعلم ولا أعلم  
 أحدا ذكره بجرحة \* وأما العلاء فروى عنه جماعة من أئمة أهل الحديث  
 واحتملوه ووثقه أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فقال هو عندي فوق  
 سهيل بن أبي صالح ومحمد بن عمرو \* وأما ابن معين فقال العلاء بن عبد  
 الرحمن ليس حديثه بحجة وهو وسهيل قريب من السواء هذه حكاية  
 عباس عن ابن معين : وقال ابن أبي خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول  
 العلاء بن عبد الرحمن ليس بذلك لم يزل الناس يتقون حديثه : وقال أبو  
 حاتم الرازي روى عن العلاء الثقات وأنا أنكر من حديثه أشياء قال أبو  
 عمر العلاء ليس بالمتين عندهم وقد انفرد بهذا الحديث ليس يوجد إلا له  
 ولا تروى الفاظه عن أحد سواه والله أعلم :

وقد روى منصور بن أبي مزاحم وهو من أهل الصدق عندهم قال  
 حدثنا أبو أويس عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة « أن  
 النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم » قال أبو  
 عمر يعضد هذه الرواية رواية مالك وغيره من حديث العلاء هذا قول  
 أبي هريرة : اقرأ بها في نفسك يافارسي : ومعنى قوله في حديث العلاء  
 « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لعمدي ولعمدي ماسأل »

اي قسمت قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة بيني وبين عبدى نصفين هذا معناه عند من رأى سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من اول السورة: ودليلهم على ذلك قوله بأثر ذلك « اقرأوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين » الحديث قالوا وجائز ان يعبر عن القراءة بالصلاة كما يعبر عن الصلاة بالقراءة: قال الله عز وجل ( وقرآن الفجر ) اي صلاة الفجر ( ان قرآن الفجر كان مشهوداً ) اي صلاة الفجر

واما من رأى اثبات بسم الله الرحمن الرحيم في اول فاتحة الكتاب فقالوا لا يجوز ان يحال اسم الصلاة الى القراءة الا بما لا اشكال فيه من المجاز وبالدليل الذي لا يحتمل التأويل قالوا ومعنى قوله عليه السلام عن الله تبارك اسمه « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين » ان الصلاة دعاء وعبادة فمن العبد الدعاء ومن الله الاجابة: ومن العبد الطاعة بالركوع والسجود والقيام والقعود ومن الله تعالى الجزاء بالغفرة والمهدي قالوا فهذا معنى السورة لانها تقتضى الدعاء بالهدى بعد التحميد والثناء ومن الله الاجابة والجزاء فهذا معنى قسم الصلاة بين العبد وبين ربه على ظاهر الكلام دون إحالة لفظه والله أعلم

وعلى هذا التأويل يكون المعنى في ابتدائه القراءة بالحمد لله رب العالمين في هذا الحديث بمعنى ما تقدم ذكره في حديث عائشة وغيره من الابتداء بالحمد لله رب العالمين \* حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد أنبأنا أحمد بن شعيب أنبأنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن

موسى ح وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة كلاهما عن عبد الحميد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بن كعب قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل، هكذا قالاً جميعاً والمعنى من قوله أنها مقسومة بين العبد وبين ربه وللعبد ما سأل

ومثل هذا حديث مالك أيضاً عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبي سعيد مولى عامر بن كريز أخبره « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبى بن كعب وهو يصلى فلما فرغ من صلاته لحقه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على يده وهو يريد أن يخرج من باب المسجد فقال انى لارجو ان لا تخرج من باب المسجد حتى تعلم سورة ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قال أبى فجعلت أبطىء في المشى رجاء ذلك قلت يا رسول الله السورة التى وعدتنى فقال كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال قرأت عليه الحمد لله رب العالمين حتى اتيت على آخرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي هذه السورة وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اعطيت ، فقوله في هذا الحديث « قرأت عليه الحمد لله رب العالمين » يحتمل ان يكون كقوله لو قال قرأت عليه يس والقرآن الحكيم يريد السورة أو قرأت عليه ق والقرآن الحميد إذ ليس في ذلك ما يسقط بسم الله الرحمن الرحيم من أولها ولا

يثبتها والله أعلم : وقد مضى في ذلك ما يكفي فيما تقدم والآثار التي  
تعضد هذا التأويل في ثبوت بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب  
تأتي بعد في بابها إن شاء الله تعالى

### ﴿ حديث أنس بن مالك ﴾

وأما حديث أنس في هذا الباب فرواه مالك في موطنه عن حميد  
الطويل عن أنس بن مالك قال قلت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلمهم لا  
يقروُن بسم الله الرحمن الرحيم اذا افتتحوا الصلاة هكذا رواه مالك عن  
حميد الطويل عن أنس موقوفا لم يسنده لم يذكر فيه النبي صلى الله  
عليه وسلم لم يختلف في ذلك رواة الموطأ قديماً وحديثاً ابن وهب وغيره  
الا ما رواه ابن أخيه احمد بن عبد الرحمن بن وهب المعروف ببجشل  
فانه رواه عن عمه عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبي صلى الله  
عليه وسلم ولم يتابعه على ذلك أحد من رواة ابن وهب وابن أخي ابن  
وهب عندهم ليس بالقوى قد تكلموا فيه ولم يروه حجة فيما انفرد به  
ورواه الوليد بن مسلم عن مالك عن حميد عن أنس فذكر فيه النبي صلى  
الله عليه وسلم وهو عندهم خطأ والصحيح ما في الموطأ وقد ذكرنا  
الأسانيد بما ذكرنا من اختلاف على ابن وهب وغيره عن مالك في التمهيد  
وتابعه على ذلك هشيم وحماد بن سلمة : حديث هشيم ذكره أبو بكر بن  
أبي شيبه عن هشيم وذكره أيضاً سميد بن منصور عن هشيم هكذا موقوفاً  
على أبي بكر وعمر وعثمان لم يذكروا النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه

حماد بن سلمة في كتابه عن ثابت وقتادة وحميد عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين» قال حماد إلا أن حميداً لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبي عدي هذا الحديث عن حميد الطويل عن قتادة عن أنس ولست أعلم أحداً ذكره عن حميد عن قتادة عن أنس إلا ابن أبي عدي فيما علمت ويقولون إن أكثر رواية حميد عن أنس إنما سمعها من قتادة وثابت عن أنس ومنها ما سمع من أنس : وأما قتادة فلا أعلم أحداً رواه عنه موقوفاً بل جماعة أصحابه ذكروا فيه عنه عن أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر» اختلفوا عنه في ذكر عثمان فيه وكلهم رفعه فذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنهم اختلفوا في لفظه فمنهم من قال فيه كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ومنهم من قال فيه «كانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم» ومنهم من قال فيه «كانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم» ومنهم من قال «فلم اسمع أحداً منهم جهر بسم الله الرحمن الرحيم»

فمن أجل من رواه عن قتادة ايوب بن أبي تيمية السخيتاني \* حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد حدثنا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد بن أسد حدثنا حمزة بن محمد قال حدثنا احمد بن شعيب بن علي أنبأنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن حدثنا سفيان عن ايوب عن قتادة عن أنس «قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر ومع عمر فافتتحوا بالحمد»

حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن حدثنا محمد بن ابي بكر بن عبد الرزاق حدثنا ابو داود حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام يعني الدستوائي عن قتادة عن أنس « ان النبي صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر ابن حماد حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن هشام عن قتادة عن أنس « ان النبي صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا حماد بن غالب حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم و ابو بكر وعمر يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا احمد بن قاسم بن عبد الرحمن وعبد الوارث بن سفيان قالوا حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا الحارث بن ابي اسامة حدثنا سعيد بن عامر عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن أنس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن نصر نا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شعبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا سعيد حدثنا قتادة عن أنس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابا بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة

بالحمد لله رب العالمين » وبه عن أبي بكر حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن أنس مثله أخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة بن محمد حدثنا أحمد بن شعيب أنبأنا قتيبة بن سعيد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين »

فهؤلاء حفاظ اصحاب قتادة ليس في روايتهم لهذا الحديث ما يوجب سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب على ما قدمنا ذكره الا ان فيه متعلقا لمن ذهب الى انهم كانوا يخفونها ولا يجهرون بها\* وحدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد ابن عبد السلام حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر غندر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس « قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم »

وحدثنا احمد بن قاسم بن عيسى حدثنا عبيد الله بن محمد حدثنا البغوي حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة وشيبان عن قتادة قال سمعت انس ابن مالك يقول « صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وخلف عمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم » وحدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح أنبأنا ابو بكر بن ابي شيبه وموسى بن معاوية قالا حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن انس قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم



وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم»  
 اخبر عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد قالا  
 حدثنا ابن حمدان ينفذنا حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني ابي  
 حدثني وكيع فذكره باسناده \* ورواه عبيد الله بن موسى ان شعبة  
 قال قلت لقتادة انت سمعت أنس بن مالك يقول « صليت خلف رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمعهم يجهرون بيسم الله قال  
 نعم » وبهذا اللفظ ايضا رواه الاسود بن عامر وعبد الرحمن بن زياد  
 الرضاضي عن شعبة عن قتادة عن انس . وكذلك رواه حجاج بن ارطاة  
 عن قتادة عن انس

حدثنا عبد الله حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب ابنا عبيد الله  
 ابن سعيد قال حدثني عقبة قال حدثني شعبة وابن ابي عروبة عن قتادة عن  
 انس قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر  
 وعثمان فلم اسمع أحدا منهم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم »

حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد  
 ابن الهيثم ابو الاحوص حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن قتادة  
 عن أنس « قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان  
 يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » ورواه محمد بن شعيب بن شابور  
 عن الاوزاعي قال كتب الى قتادة قال حدثني انس بن مالك « ان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون القراءة بالحمد  
 لله رب العالمين لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا

في آخرها » \* ورواه اسحق بن أبي طلحة عن انس حدثنا عبد الوارث  
حدثنا قاسم حدثنا ابو الاحوص محمد بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير  
حدثنا الازاعي عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن انس بن مالك  
قال « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكلهم  
كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين » \* رواه الوليد بن مسلم  
حدثنا الازاعي قال حدثني اسحق بن عبد الله بن طلحة قال سمعت انس  
ابن مالك يقول ( صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف  
ابي بكر وعمر فكلهم كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين  
لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في اول السورة ولا في آخرها »  
رواه ثابت البناني عن انس وقد ذكرناه من رواية حماد بن سلمة  
عن ثابت وقتادة وحديد عن انس ورواه عمار بن رزيق عن  
الأعمش عن شعبة عن ثابت عن انس « ان النبي صلى الله عليه وسلم  
وابا بكر وعمر كانوا لا يمجرون بسم الله الرحمن الرحيم ، فأخطأ فيه ولا  
يصح لشعبة عن ثابت لانه لم يروه الا الأحوص بن جواب عن عمار  
ابن رزيق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن انس ولم يروه اصحاب شعبة  
الذين هم فيه حجة ولا يعرف للأعمش عن شعبة رواية محفوظة والحديث  
لشعبة صحيح عن قتادة لا عن ثابت \* ورواه ابو قلابة الجرمي عن انس  
من حديث الثوري عن خالد الحذاء عن ابي قلابة عن انس قال « كان  
النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر لا يمجرون بسم الله الرحمن  
الرحيم ، هكذا رواه يحيى بن ادم وعبيد الله الاشجعي عن الثوري ورواه

القرىابى عن الثورى عن خالد الحذاء عن ابى نعامه عن أنس قال « كان  
النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر لا يقرؤن بسم الله الرحمن الرحيم »  
قال سفيان يعنى لا يجهرون بها قال ابو عمر يمكن أن يكون هذا الحديث  
عن خالد الحذاء عن ابى نعامه الحنفى : وعن ابى قتادة فيكون عنده  
باسنادين ولا يكون اختلافا على خالد الحذاء : ورواه مالك بن دينار عن  
أنس بن مالك « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف  
ابى بكر وخلف عمر وخلف عثمان فكانوا يفتحون القراءة بالحمد لله رب  
العالمين وكانوا يقرؤن مالك يوم الدين » \* ورواه يزيد الرقائى عن أنس  
« أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر وعثمان  
فلم يسمع احدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم »

ورواه منصور بن زاذان عن انس بهذا المعنى ايضا \* أخبرنا محمد  
ابن ابراهيم حدثنا محمد بن معاوية رحمه الله وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا  
حمزة قال حدثنا احمد بن شعيب انبأنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق  
قال سمعت ابى يقول حدثنا أبو حمزة عن منصور بن زاذان عن انس  
ابن مالك « قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعنا قراءة  
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى بنا ابو بكر وعمر فلم نسمعها منهما » \*  
وروى هذا الحديث عن الحسن بن أنس فبعض رواة يقول فيه عن انس  
« صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ابى بكر وعمر فلم اسمعهم  
يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم » \* وبعضهم يقول فيه عن أنس « كان  
النبي صلى الله عليه وسلم يسر ببسم الله الرحمن الرحيم وابو بكر

وعمر» \* ورواه عائذ بن شريح عن انس بن مالك قال «صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا بيسم الله الرحمن الرحيم» \* من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم عن يوسف بن أسباط عن عائذ بن شريح

فهذا ما بلغنا من حديث انس بن مالك من اختلاف الفاظه وكلها قد نزع بما شاء منها من احتج لمذهبه من الفقهاء الذين ذكرنا مذاهبهم في صدر هذا الكتاب والتأويل سائغ فيه ولا حجة عندي في شيء منها لانه قال مرة «كانوا يفتحون بالحمد لله رب العالمين» ومرة قال «كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم» ومرة قال «كانوا لا يقرؤونها» ومرة قال لم أسمعهم يقرؤون بيسم الله الرحمن الرحيم» وقد قال مرة أو سئل عن ذلك «كبرت ونسيت» وقد روى شعبة وابن علية عن أبي سلمة سعيد بن يزيد قال «سألت انس بن مالك اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح القراءة في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله رب العالمين فقال لقد سألتني عن شيء مما سألتني عنه احد» \* قال ابو عمر الذي عندي انه من حفظه عنه حجة على من سأله في حين نسيانه وبالله التوفيق \*

فمن رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب سراً احتج بقول انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان «أنهم كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم» و «أنهم كانوا يسرون بيسم الله الرحمن الرحيم» وانه لم يسمعهم يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم يعني جهرًا عندهم : وروى منصور بن أبي مزاحم قال حدثنا ابو أويس

عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » وكذلك قول أبي هريرة في حديث مالك وغيره عن العلاء « اقرأ بها في نفسك » يريد لا يجهر بها وهذا مذهب سفيان وسائر الكوفيين وأهل الحديث أحمد وإسحاق وإبي عبيد ومن تابعهم : وقد روى هذا الحديث عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن إسناده ضعيف ولا حجة فيه لأنه انفرد به محمد بن عبد الملك الأنصاري المدني الضرير وهو منكر الحديث عديم متروك نزل بغداد فحدث بها بمناكير الإسناد ترك لذلك حديثه منها ما رواه عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله الأنصاري « قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وإبي بكر وعمر فلم اسمع أحدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لا يوجد عن جابر إلا بهذا الإسناد ومما احتج به من رأى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب ما حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن سمرة قال « كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكتان سكتة إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وسكتة إذا فرغ من القراءة » فأنكر ذلك عليه عمران بن الحصين فكتبوا إلى أبي فكتب إبي أن صدق سمرة • وبما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وكان المشركون يقولون زاه يدعو الله الإمامة يفتنون مسيلة وكانوا يسمونه الرحمن

وكانوا يهزؤون فنزلت ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فاجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسم الله الرحمن الرحيم بعده ، قال ابو عمر هذه الرواية ضعيفة في تأويل هذه الآية لم يتابع عليها الذي جاء بها وفي هذه الآية أقاويل قد ذكرتها في كتاب الاستذكار والحمد لله

وأما ما روى عن الصحابة والتابعين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم سرّاً في أول فاتحة الكتاب في الصلاة فمن ذلك ما ذكره وكيع فيما حدثناه عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا وكيع \* وما ذكره عبد الرزاق فيما حدثناه خلف بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن علي حدثنا احمد بن خالد حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق : وما ذكره ابو بكر بن أبي شيبة فيما حدثنا احمد بن عبد الله بن محمد بن دلي عن أبيه عن عبد الله ابن يونس عن بقى بن مخلد عن ابي بكر \* ومن غير كتب هؤلاء أيضا نذكر منها ما حضرنا ذكره \* منها ما روى عن عمر بن الخطاب من وجوه ليست بالقائمة انه قال « لا يخفي الامام اربعا التعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » \* وروى ابو حمزة عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال « ثلاث يخفيهن الامام الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين » \* وروى حصين وحماذ ومنيرة عن ابراهيم قال « يسر الامام اربعا الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا لك الحمد » \* وكذلك رواه ابو عوانة واسرائيل عن منصور عن ابراهيم \* وروى الثوري عن منصور عن ابراهيم قال خمس يجهر بها الامام سبعاً

اللهم وبحمدك والتعوذ وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين وربنا ولك الحمد ذكره وكيع وعبد الرزاق عن الثوري \* وروى وكيع عن أبيه عن منصور عن إبراهيم قال أما أنا فأخفي الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم : وذكر أبو بكر حدثنا اسحاق بن سليمان الرازي عن أبي سنان عن حماد عن إبراهيم عن الأسود قال صليت خلف عمر سبعين صلاة لم يجهر فيها يبسم الله الرحمن الرحيم قال أبو عمر هذا كله مذهب الكوفيين وأكثر العراقيين وكانوا يجمعون ما خالفه بدعة \* وذكر ابن أبي شيبة حدثنا هشيم أنبأنا مغيرة عن إبراهيم قال الجهر يبسم الله الرحمن الرحيم بدعة \* قال وحدثنا وكيع عن أبيه عن مغيرة عن إبراهيم مثله \* وأما أهل الحجاز فلي خلاف ذلك منهم من يرى السنة أن لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا ولا جهراً ومنهم من رأى السنة أن يجهر بها وآمين ويجهر بالاستعاذة والتوجيه

ومن رأى من السلف أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سرا ولا يجهر بها في أول فاتحة الكتاب في الصلاة عمر وعلي وعمار وقد اختلف عن بعضهم فروى عنهم الجهر بها ولم يختلف عن ابن مسعود فيما علمت أنه كان يسرها \* وبه قال أبو جعفر محمد بن علي بن حسين والحسن وابن سيرين وروى ذلك عن ابن عباس وروى عنه الجهر بها \* وذكر عبد الرزاق عن إسرائيل عن ثوبان بن أبي فاختة عن أبيه أن طلياً كرم الله وجهه كان لا يجهر يبسم الله الرحمن الرحيم وكان يجهر بالحمد لله رب العالمين : وروى الحارثي وغيره عن أبي سعيد مولى حذيفة عن أبي وائل

شقيق بن سلمة ان علياً وابن مسعود كانا لا يجهران بيسم الله الرحمن الرحيم \* وروى الثوري وشريك عن عبد الملك بن ابى بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قراءة الاعراب \* وروى حماد بن زيد عن كثير بن شظير ان الحسن سئل عن الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم فقال انما يفعل ذلك الاعراب \* وذكر ابو بكر حدثنا هشيم انبأنا ابن عون عن محمد بن سيرين انه كان يخفى بسم الله الرحمن الرحيم قال واخبرنا هشيم انبأنا حصين عن ابراهيم قال كانوا لا يجهرون بيسم الله الرحمن الرحيم \* وروى وكيع عن اسراييل عن جابر عن ابى جعفر محمد بن على قال لا يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم \* اخبرنا قاسم بن محمد قراءة منى عليه ان قاسم بن اصبغ حدثهم حدثنا ابن وضاح حدثنا موسى بن معاوية حدثنا عبيد الله بن موسى قال أُملى علينا سفيان الثوري قال فاذا قمت الى الصلاة المكتوبة فكبر وارفع يديك ثم قل سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في نفسك ثم اجهر بالحمد لله رب العالمين يعني في صلاة الجهر: قال ابو عمرو هذا قول سائر الكوفيين على ما قدمنا عنهم في صدر هذا الكتاب والله الموفق للصواب \*



ذكر ما احتج به من رأى الجهر بسم الله الرحمن الرحيم من الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف والصحابة والتابعين ومن قال انها الآية الاولى من فاتحة الكتاب وانها لا تقرأ سرّاً إلا في صلاة السر وقد ذكرنا القائل بذلك في صدر هذا الكتاب :

اخبرنا احمد بن عبد الله بن محمد بن علي حدثنا ابي حدثنا الحسن بن عبد الله الزيرى وحدثنا ح قال ثنا احمد بن سعيد حدثنا عبد الله بن محمد بن طفيل حدثنا عبد الله بن محمد بن الجارود النيسابورى بمكة أنبأنا محمد بن يحيى أنبأنا ابن أبي مريم قال اخبرني الليث بن سعد قال حدثني خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين وقال الناس آمين وكان يقول كلما ركع وسجد الله أكبر واذا قام من الجلوس قال الله أكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حديث محفوظ من حديث الليث عن خالد بن يزيد الاسكندراني عن سعيد بن أبي هلال وهما جيما من ثقات المصريين \* وأما الليث فامام أهل بلده وقد رواه غير الليث على ما تراه في هذا الباب \* وقال عمرو ابن هشام البيروني صليت خلف الليث بن سعد فكان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم وبآمين \* وذكر ابو يحيى الساجي عن جعفر بن محمد القرطبي عن ميمون بن أبي الاصبع عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال اخبرني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن نعيم المجمر

قال صليت وراء ابني هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أم الكتاب  
وقال اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم \* اخبرني  
عبد الرحمن بن يحيى أنبأنا احمد بن سعيد ح وحدثنا خلف بن  
احمد حدثنا احمد بن مطرف قال انبأنا عبيد الله بن يحيى قال حدثني  
ابي رحمه الله حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن  
ابي هلال عن نعيم المجر قال صلى بنا ابو هريرة فوق سطح فقرأ بسم الله  
الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين ثم  
كبر كلما خفض ورفع ثم قال والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول  
الله صلى الله عليه وسلم \*

وروى ابن وهب قال اخبرني حيوة بن شريح قال اخبرني خالد  
بن يزيد عن ابن ابي هلال عن نعيم المجر قال صليت وراء ابني هريرة  
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأمر القرآن حتى بلغ ولا الضالين قال  
آمين فقال الناس آمين فلما ركع قال الله اكبر وساق تمام الحديث قال  
فلما سلم قال والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله صلى الله  
عليه وسلم

ورواه يحيى بن ايوب عن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجر عن  
ابني هريرة مثله بمنه مختصراً: قال ابو عمر حديث نعيم المجر هذا يمارض  
حديث الملاة اقرأ بها في نفسك وابن ابي هلال الذي عليه يدور هذا  
الحديث ليس بدون الملاومما يشهد لصحة حديث ابن ابي هلال عن نعيم  
المجر عن ابني هريرة ما رواه سعيد المقبري وصالح مولى التوتة عن ابني

هريرة انه كان يفتح بسم الله الرحمن الرحيم : هذا لفظ رواية صالح عن أبي هريرة .

وذكر ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا هشيم انبأنا ابو معشر عن سعيد بن ابي سعيد عن أبي هريرة انه كان يجهر بسم الله الرحمن الرحيم وقد روي حديث ابي هريرة مرفوعا كما رواه سعيد بن ابي هلال عن نعيم الجهر عن أبي هريرة : العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة اخبرنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا أبو يحيى بن ابي ميسرة فقيه مكة حدثنا النضر بن سلمة حدثنا اسماعيل بن ابي أويس عن أبيه عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابي هريرة « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح الصلاة جهر بها بسم الله الرحمن الرحيم » قال ابو يحيى قال لي موسى بن هارون الجمال هذا الحديث قد رواه عن أبي أويس عبد الله كما رواه عنه ابنه

ومما يدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم آية من أول فاتحة الكتاب وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كذلك ويجهر بها ما وصفت أم سلمة في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم \* حدثنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبد العزيز حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا ابو عبيد القسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد الأموي حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا جريج عن عبد الله بن مليكة عن أم سلمة ام المؤمنين « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » \* حدثنا ( ٢ — ٢٤ مجموعة الرسائل المنيرة )

سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة قالت « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين »

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن ابيه عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عن ام سلمة « قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم مالك يوم الدين » \* وذكر الساجي حدثنا محمد بن موسى الخزشي حدثنا عمر بن محمد المقدي حدثنا نافع بن عمر الجمحي قال سمعت ابن ابي مليكة يحدث عن ام المؤمنين انها سئلت عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت او تقدرون على ذلك « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين يرتل آية آية » ذكر عبد الرزاق انبأنا ابن جريج قال اخبرني عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير أخبره « أن المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا ان السورة قد انقضت ونزلت الأخرى \* وروى هذا الحديث جماعة عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس \* اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ابو داود حدثنا قتيبة بن سعيد واحمد بن محمد بن شبويه واحمد بن عمرو بن السرح قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير

قال قتيبة (١) عن ابن عباس « قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم » وهذا لفظ ابن السرح \* اخبرنا عبد الله حدثنا محمد حدثنا أبو داود حدثنا هناد بن السرى حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل قال سمعت أنس بن مالك يقول « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر حتى ختمها ثم قال اتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي في الجنة » اخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا حمزة حدثنا احمد بن شعيب انبأنا علي بن حجر وحدثنا سعيد بن نصر وعبد الوارث بن سفيان قالا حدثنا قاسم بن اصبع حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن المختار بن فلفل عن أنس قال « بينا النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغضي اغضاه ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما يضحكك يا رسول الله قال نزلت على آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر فصل لربك وانحر ان شئت هو الا بتر ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي في الجنة آنيته اكثر من عدد الكواكب ترد على امتي فيختلج العبد منهم فأقول يارب انه من امتي فيقال انك لا تدري ما أحدث بعدك » واللفظ لحديث النسائي \*

اخبرنا قاسم بن محمد حدثنا خالد بن سـعد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثني محمد بن احمد بن عبد الله عن أبي عون النسائي قدم

علينا بغداد حاجاً سنة سبع وثمانين ومأتين حدثنا علي بن حجر حدثنا  
 عبيد الله بن عمرو الرقي عن عبد الكريم الجزري عن أبي الزبير عن عبد  
 الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام في الصلاة فأراد  
 أن يقرأ قال بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو عمر قد رفعه غيره أيضاً عن  
 ابن عمر ولا يثبت فيه : إلا أنه موقوف على ابن عمر من فعله والله  
 اعلم كذلك رواه سالم ونافع ويزيد الفقير عن ابن عمر وروى ابن شهاب  
 عن سالم عن ابن عمر أنه كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة  
 الكتاب ويقرأها كذلك في السورة التي يقرأ بعدها وكذلك رواه أيوب  
 وابن جريج وعبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فعله : وذكر أبو بكر حدثنا  
 أبو اسامة حدثنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا افتتح  
 الصلاة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وإذا فرغ من الحمد قرأ بسم الله  
 الرحمن الرحيم وروى ابن وهب حدثنا عبد الله بن عمر واسامة بن زيد  
 عن نافع عن ابن عمر أنه كان يفتح أم الكتاب بيسم الله الرحمن الرحيم  
 ثم يفتح السورة بعد بيسم الله الرحمن الرحيم : ذكر الساجي حدثنا جعفر  
 ابن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا سعدان بن يحيى الحلبي  
 حدثنا عمر بن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال صليت  
 خلف عمر بن الخطاب فسمعتة يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قال وحدثنا  
 جعفر بن محمد حدثنا أبو نعيم الحلبي عن أبي الزبير عن ابن عمر أنه كان  
 يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وإذا فرغ من السورة  
 ويجهر فيها قال وحدثنا ابن المنثي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا حميد حدثنا

بكر أن ابن الزبير كان يستفتح القراءة بسم الله الرحمن الرحيم قال حميد  
كان بكر يستفتح القراءة بالحمد لله رب العالمين وروى وكيع عن شعبة  
عن الأزرق عن قيس قال سمعت ابن الزبير قرأ بسم الله الرحمن الرحيم والحمد  
لله رب العالمين فلما ختمها قرأ بسم الله الرحمن الرحيم : وروى اسحاق  
ابن راهويه عن المعتمر بن سليمان قال سمعت اسماعيل بن حماد يذكر عن  
أبي خالد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر بيسم  
الله الرحمن الرحيم وذكره الساجي عن يحيى بن حبيب بن عربي عن  
معتمر بن سليمان بإسناده مثله إلا أنه قال أن نبي الله صلى الله عليه وسلم  
كان يفتح بسم الله الرحمن الرحيم : قال أبو عمر الصحيح في هذا الحديث  
أيضاً والله أعلم أنه روى عن ابن عباس فعله لا مرفوعاً إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم وروى وكيع عن سفیان عن عاصم بن أبي النجود عن سعيد  
ابن جبیر عن ابن عباس أنه كان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وذكره  
الساجي عن بشار عن ابن مهدي عن سفیان الثوري عن عاصم قال  
سمعت سعيد بن جبیر يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في كل ركعة : وروى  
عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج قال أخبرني أبي أن سعيد بن جبیر  
أخبره عن ابن عباس قال في قول الله تعالى ( ولقد آتيناك سبعاً من المثاني )  
قال هي أم القرآن قال عبد الرزاق قرأها على ابن جريج بسم الله الرحمن  
الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد  
وإياك نستعين اهتدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير  
المفضوب عليهم ولا الضالين آية آية وقال قرأها على أبي كما قرأتها عليك

وقال قرأها على ابن جبير كما قرأتها عليك وقال ابن عباس قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم يعني فاتحة الكتاب السبع المثاني قال عبدالرزاق وابن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه يفتتح بسم الله الرحمن الرحيم \*

أخبرنا إبراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر بن عبدالعزيز أنبأنا علي بن عبدالعزيز أنبأنا أبو عبيد القسم بن سلام أخبرنا حجاج عن ابن جريج عن أبيه عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس عن قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) قال هي أم القرآن استثنائها الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرها حتى أخرجها لهم ولم يعطها أحداً قبل أمة محمد قال سعيد ثم قرأها ابن عباس وقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن جريج قلت لابي أخبرك سعيد بن جبير عن ابن عباس قال له بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب قال نعم \* وروى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يمجهر بسم الله الرحمن الرحيم يقول هو شيء اختلسه الشيطان من عامة الناس \*

وقد روي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمار بن ياسر أنهم كانوا يمجرون بسم الله الرحمن الرحيم والطرق عنهم ليست بالقوية وقد قدمنا الاختلاف عنهم في ذلك \* روى عن عمر رحمه الله فيها ثلاث روايات أحدها أنه كان لا يقرؤها والثانية أنه كان يقرؤها سراً والثالثة أنه جهر بها \* وكذلك اختلف عن أبي هريرة من الجهر بها والاسرار ففي



حديث العلماء اقرأ بها في نفسك يا فارسي: وفي حديث نعيم الجهر انه كان يجهر بها ويقول أنا أشبهكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم \* وكذلك اختلف عن ابن عباس والأكثر عنه والاشهر الجهر بها وانها أول آية من فاتحة الكتاب وعليه جماعة اصحاب ابن عباس الفقهاء واهل العلم بتأويل القرآن ولا أعلم انه اختلف في الجهر بها في فاتحة الكتاب عن ابن عمر وشداد بن أويس وعبدالله بن الزبير وهو قول سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وطاوس وعكرمة ومكحول وعمر ابن عبدالعزيز وابن شهاب الزهري ومحمد بن كعب القرظي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك وروى معاذ بن معاذ عن حميد الطويل عن بكر بن عبدالله المزني قال كان ابن الزبير يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم \* أخبرنا ابراهيم بن شاكر حدثنا عبدالله بن عثمان حدثنا طاهر ابن عبدالعزيز حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو عبيد القسم بن سلام أخبرنا حسان بن عبدالله عن الفضل بن فضالة عن أبي صخر حميد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال فاتحة الكتاب سبع آيات بيسم الله الرحمن الرحيم قال الفضل وكان ابن شهاب يقول من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من فاتحة الكتاب أو قال من السورة \* وبه عن أبي عبيد أنبأنا ابن أبي مريم عن عبد الجبار بن عمر انه سمع كتاب عمر بن عبدالعزيز يقول أن استفتحوا بيسم الله الرحمن الرحيم: وروى المعتز بن سليمان أنبأنا أبو المقدم قال صليت خلف عمر بن عبدالعزيز فسمعتة يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وعن المعتز بن سليمان عن أبيه عن أبي قلابة انه كان

يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكان عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على عمل أهل المدينة

ومما يدل على انه كان من عمل أهل المدينة الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ما ذكره الشافعي قال حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز حدثنا ابن جريج اخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر بن سعد اخبره ان انس بن مالك اخبره قال صلى معاوية بالمدينة صلاة يمجهر فيها بالقراءة فلم يقل بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والأَنْصار يا معاوية نقصت الصلاة ابن بسم الله الرحمن الرحيم وابن التكيرة اذا خفضت ورفعت فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ ببسم الله الرحمن الرحيم وكبره وذكر هذا الخبر عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر قال الشافعي واخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج عن نافع عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القرآن والسورة التي بعدها : وذكر الساجي حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا حماد بن زيد انبأنا ايوب عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم يمجهر بها وكان يقول انما ذلك شيء سرقه الشيطان من الناس : وذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال لا ادع قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ابداً لام القرآن والسورة التي بعدها قال وانبأ معمر عن الزهري مثله قال وانبأ معمر عن الزهري في قول الله تبارك وتعالى ( والزمهم كلمة التقوى ) قال بسم الله الرحمن الرحيم حين لم يقرأ المشركون بسم الله الرحمن الرحيم : قال

ابو عمر حين لم يقرأ بها سهيل بن عمرو العامري واصحابه الذين عقدوا الصلح مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية في انصرافه عنهم الى العام القابل وابوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وفي ذلك ثلث سورة الفتح في قوله تعالى (والزمهم) يعني المؤمنين (كلمة التقوى) وكانوا أحق بها وأهلها (وقد قيل في قوله تعالى (والزمهم كلمة التقوى) لا اله الا الله : وقول ابن شهاب في ذلك يعضده الآثار في صلح الحديبية ونزول سورة الفتح والله اعلم :

وكان مكحول يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فكلم في ذلك فأبى الا ان يجهر بها : وروى الوليد بن مسلم عن الهيثم بن جميل عن النعمان بن المنذر عن مكحول قال لا يقرأ بفاتحة الكتاب حتى يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم : وقال عطاء الخراساني الجهر بها حسن جميل : قال عكرمة لا يصلى خلف من لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم : وكان طاوس يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ولا يقرأها في السورة التي بعدها وخالفه عطاء وأكثر اصحاب ابن عباس في ذلك فكانوا يقرؤونها في فاتحة الكتاب وفي السورة التي يقرؤون بعدها : وكان مالك بن انس يرى قراءتها في النوافل في فاتحة الكتاب وفي سائر سور القرآن وهو قول محمد بن الحسن : وكان الشافعي يرى قراءتها في الصلوات المكتوبات وفي النوافل فرضا لانها عنده آية من فاتحة الكتاب ولا صلاة عنده لمن لم يقرأها بتمامها في كل ركعة ومن اسقط عنده منها حرفا واحدا لم تجزئه صلاته ولم تصح له الركعة منها اذا لم يقرأ أم القرآن كلها فيها :

ومذهب احمد بن حنبل الاسرار ببسم الله الرحمن الرحيم كمذهب الكوفيين وقال لا يمحى بها أحد الا في قيام رمضان في غير فاتحة الكتاب بين السورتين فانه من فعل ذلك فلا شيء عليه قال عبدالله بن احمد بن حنبل سمعت أبي يقول يقرأ الرجل بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة في قيام رمضان والذي يحتم القرآن يقرأ كما في المصحف يعجبني ذلك :

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي ذليم حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى عن عبدالله بن نافع قال لا أرى لاحد أن يترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فريضة ولا نافلة . وروى أبو ثابت عن ابن نافع عن مالك قال لا بأس أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة والنافلة . ولا يصح هذا عندنا عن مالك والله أعلم وانما هو صحيح عن ابن نافع \* أخبرنا أبو محمد قاسم بن محمد حدثنا خالد ابن سعدح وأنبأنا عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عثمان الاعناق أنبأنا عبدالله بن محمد بن خالد أنبأنا أصبغ بن الفرج قال كان ابن وهب يذهب الى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ثم رجع الى الاسرار بها

﴿ آخر الكتاب والحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد واله وصحبه وسلامه . حسبي الله ونعم الوكيل ﴾

قوبلت هذه الرسالة على نسخة محفوظة بمكتبة رواق المغاربة وعليها اجازات من علماء القرن الثامن والله اعلم

# الزهر النضر

في نبأ الخضر

تأليف

الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنفرد بالبقاء والموام \* وعلى من خصه بمزيد التفضل والسيادة  
مزيد الصلاة والسلام \* وأنزل عليه في الكتاب المكنون ( وما جعلنا لبشر من  
قبلك الخلد أفان مت فهم الخالسون ) \* وعلى آله وصحبه الذين كانوا يأمرون  
بالخير ويأثمرون \* صلاة وسلاماً دائماً إلى يوم يبعثون .

( أما بعد ) فقد تكرر السؤال قديماً وحديثاً عن الخضر صاحب موسى هل  
هو نبي أو ولي وهل عمر إلى أن أدرك بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاش  
بعده أو مات قبل ذلك أو هو حي باق وعن كثير من أخباره وكنت جمعت  
في ذلك مما صنف فيه بخصوصه من القدماء أبو جعفر بن المنادي ومن المتأخرين  
أبو الفرج بن الجوزي وأضفت إليهما أشياء ظفرت بها بطول التتبع . ثم لما  
التزمت في كتابي الإصابة في تمييز الصحابة أن أذكر كل من جاء في خبر من

الاخبار أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم لزم ذكرى للخضر عليه السلام لأنه من شرط الإصابة وإن لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة وقد أفردته الآن ليقف كل سائل عنه على كل ما كنت قرأته وسمعته وجعلته أبو بابا والله أسأل النفع به أنه قريب محجب

### باب نسبه

قيل هو ابن آدم من صلبه . وهذا قول رواه الدارقطني في الأفراد من طريق رواد بن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما \* ورواد ضعيف ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ القول الثاني ﴾ أنه ابن قاييل بن آدم : ذكره أبو حاتم السجستاني في كتاب المعبرين قال حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة فذكره . وهذا معضل . وحكي صاحب هذه المقالة ان اسمه خضرون وهو الخضر \* ﴿ القول الثالث ﴾ جاء عن وهب بن منبه أنه بلياء بن ملكان بن قالم ابن شالح بن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح . وبهذا قال ابن قتيبة وحكاه النووي وزاد وقيل كان بدل ملكان \* ﴿ القول الرابع ﴾ جاء عن اسماعيل ابن أبي أويس أنه المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الازد . وقيل اسمه عامر حكاه أبو الخطاب بن دحية عن ابن حبيب البغدادي \* ﴿ القول الخامس ﴾ هو ابن عاتيل بن النور بن الميص بن اسحق حكاه ابن قتيبة أيضاً وكذا سمي أباه عاميل مقاتل ﴿ القول السادس ﴾ أنه من سبط هرون أخى موسى روى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو بعيد واعجب منه قول ابن اسحق انه ارميا بن خلقيا وقد رد ذلك ابو جعفر بن جرير \* ﴿ القول السابع ﴾ انه ابن بنت فرعون حكاه محمد بن ايوب عن ابن لميعة .

وقيل ابن فرعون لصلبه حكاه النقاش \* (القول الثامن) انه اليسع حكى عن مقاتل ايضاً وهو بعيد ايضاً \* (القول التاسع) انه من ولد فارس جاء ذلك عن ابن شاذب اخرجه الطبري بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شاذب \* (القول العاشر) انه من ولد بعض من كان آمن بابراهيم وهاجر معه من ارض بابل حكاه ابن جرير الطبري في تاريخه : وقيل كان ابوه فارسيا وامه رومية . وثبت في الصحيحين ان سبب تسميته الخضر انه جلس على فروة يضاء فاذا هي نهتز تحته خضراء . هذا لفظ احمد من رواية ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه والفروة الارض اليابسة : وقال احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه إنما سمي الخضر خضراً لانه جلس على فروة فاهتزت تحته خضراء والفروة الحشيش الابيض . قال عبد الله بن احمد أظنه تفسير عبد الرزاق : وفي الباب عن ابن عباس رضى عنهما من طريق قتادة عن عبد الله بن الحرث عنه ومن طريق منصور عن مجاهد . قال النووي كنيته أبو العباس . وهذا متفق عليه .

### ﴿ باب ما ورد في ذكر كونه نبياً ﴾

قال الله تعالى في خبره عن موسى حكاية عنه « وما فعلته عن أمري » وهذا ظاهره أنه فعله بأمر من الله والاصل عدم الوساطة ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره وهو بعيد ولا سبيل الى القول بأنه إلهام لان ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعرض الانفس للفرق : فان قلنا انه نبي فلا انكار في ذلك وأيضاً كيف يكون غير النبي أعلم من النبي وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن الله

تعالى قال لموسى « بلى عبدنا خضر » وأيضاً فكيف يكون النبي تابعا لغير نبي وقال الثعلبي هو نبي في جميع الأقوال : وكان بعض أكابر العلماء يقول . أول عقدة نحمل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لان الزنادقة يتدعون بكونه غير نبي الى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

وقال أبو جعفر بن جرير في تاريخه كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك في قول عامة أهل الكتاب الاول . وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وانه بلغ مع ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان ملتزماً نهر الحياة فشرّب من مائه وهو لا يعلم ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو عندهم حي الى الآن : قال ابن جرير وذكر ابن اسحق ان الله تعالى استخلف على بنى اسرائيل رجلاً منهم وبعث الخضر معه نبياً قال ابن جرير بين هذا الوقت وبين أفريدون أزيد من ألف عام قال وقول من قال انه كان في أيام أفريدون اشبه الا ان يحمل على انه لم يبعث نبياً الا في زمن ذلك الملك . قلت بل يحتمل أن يكون قوله وبعث معه الخضر نبياً أى أيده لان ذلك الوقت كان وقت انشاء نبوته فلا يمتنع ان يكون نبي قبل ذلك ثم أرسل مع هذا الملك : وإنما قلت ذلك لان غالب اخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال انه كان نبياً ثم اختلف من قال انه كان نبياً هل كان مرسلًا فجاء عن ابن عباس ووهب بن منبه انه كان نبياً غير مرسل وجاء عن اسماعيل بن أبي زياد ومحمد ابن إسحق وبعض أهل الكتاب انه ارسل الى قومه فاستجابوا له ونصره هذا القول ابو الحسن الرمانى ثم ابن الجوزى وقال الثعلبي هو نبي على جميع الأقوال مضمّن محبوب عن الابصار . وقال أبو حيان في تفسيره والجمهور على انه نبي وكان علمه معرفة بواطن أوحيت اليه وعلم موسى الحكم بالظاهر : وذهب الى انه كان



وليا جماعة من الصوفية وقال به أبو علي بن أبي موسى من الخنابلة وأبو بكر بن  
الانباري في كتابه الزاهر بعد أن حكى عن العلماء قولين هل كان نبياً أو ولياً:  
وقال أبو القاسم القشيري في رسالته لم يكن الخضر نبياً وإنما كان ولياً وحكى  
الماوردي قولاً ثالثاً أنه ملك من الملائكة يتصور في صور الآدميين مغيراً  
ذاتاً: وقال أبو الخطاب بن دحية لا ندرى هو ملك أو نبي أو عبد صالح .  
وجاء من طريق أبي صالح كاتب الليث عن يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد أن  
كعب الاحبار قال ان الخضر بن عاميل ركب في نفر من أصحابه حتى بلغ بحر  
الترك وهو بحر الصين فقال لأصحابه دلوني فدلوه في البحر أياماً وليالي ثم صعد  
فقالوا له يا خضر ما رأيت فلقد أكرمك الله وحفظ لك نفسك في لجة هذا البحر  
قال استقبلني ملك من الملائكة فقال لي فكيف وقد أهوى رجل من زمان داود  
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ ثلث قعره حتي الساعة وذلك منذ ثلثة سنة  
أخرجه أبو نعيم في ترجمة كعب من الحلية:

### (باب ما ورد في تكميره والسبب في ذلك)

روى الدارقطني بالاسناد الماضي (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال  
نسى الخضر في أجله حتى يكذب الدجال . وذكر ابن إسحق في المبتدأ قال  
حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت جمع بنيه وقال ان الله تعالى منزل على اهل  
الارض عذاباً فليكن جسدي معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام فلما وقع  
الطوفان قال نوح لبنيه ان آدم دعى الله ان يطيل عمر الذي يدفنه الى يوم القيامة  
فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه وأنجز الله له ما وعده فهو

(١) تقدم ان في سنده رواد بن الجراح وهو ضعيف عن مقاتل بن سليمان وهو متروك

عن الضحاك عن ابن عباس والضحاك لم يلق ابن عباس

يحيا الى ما شاء الله ان يحيا \* وروى ابن عساكر في ترجمة ذى القرنين من طريق خيشمة بن سليمان حدثنا أبو عبيدة بن أخى هناد حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابى قال حدثنا معتمر بن سليمان عن أبي جعفر عن ابيه انه سئل عن ذى القرنين فقال كان عبداً من عباد الله صالحاً وكان من الله بمنزل ضخيم وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة يقال له رفائيل وكان يزوره فينما يتحدثان إذ قال له حدثني كيف عبادتكم في السماء فبكي وقال وما عبادتكم عند عبادتنا . ان في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبداً يقولون رب ما عبدناك حق عبادتك فبكي ذو القرنين ثم قال يارفائيل اني أحب أن أمرح حتى أبلغ عبادة ربي حق طاعته قال وتجب ذلك قال نعم قال فان الله عينا تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يميت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت قال ذو القرنين فهل تعلم موضعها قال لا غير انا تتحدث في السماء ان الله ظلمة في الارض لم يطأها إنس ولا جن فنحن نظن أن العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء الارض فسألهم عن عين الحياة فقالوا لا نعرفها قال فهل وجدتم في علمكم ان الله ظلمة فقال عالم منهم لم تسأل عن هذا فاخبره فقال اني قرأت في وصية آدم ذكر هذا الظلمة وأنها عند قرن الشمس فتجهز ذو القرنين وسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي ليست بليل وهي تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال اني أريد ان أسلكها فنعموه فسأله العلماء الذين معه ان يكف عن ذلك لئلا يسخط الله عليهم فأبى فانتخب من عساكره ستة الاف رجل على ستة الاف فرس أتى بكر وعقد للخضر على مقدمته في الف رجل فسار الخضرين يديه وقد عرف ما يطلب او كان ذو القرنين يكتبه ذلك فينا هو يسير إذ عارضه واد فظن ان العين في ذلك الوادي فلما أتى شفير الوادي استوقف أصحابه وتوجه فاذا هو على حافة عين من ماء فتزع ثيابه فاذا ماء أشد بياضاً من اللبن واحلى

من الشهد فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج ولبس ثيابه وتوجه ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة . وذكر بقية الحديث

ويروى عن سليمان الاشج صاحب كعب الاحبار عن كعب ان الخضر كان وزير ذى القرنين وانه وقف معه على جبل الهند فرأى ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من آدم أبى البشر الى ذريته اوصيكم بتقوى الله واحذركم كيد عدوي وعدوكم ابليس فانه انزلنى هنا قال فنزل ذو القرنين ففسح جلوس آدم فكانت مائة وثلاثين ميلا \*

ويروى عن الحسن البصرى قال وكَلَّ الياس بالفيافي ووَكَلَّ الخضر بالبحور وقد أعطيا الخلد في الدنيا الى الصبيحة الاولى وانهما يجتمعان في موسم كل عام . وقال الحارث بن أبى أسامة في مسنده حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثني محمد بن بهرام أخبرنا أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الخضر في البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومججان ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى قابل » \* قلت وعبد الرحيم وأبان متروكان \* وقال عبد الله بن المغيرة عن ثور عن خالد بن معدان عن كعب قال الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع وتعرض عليه الارواح غدوة وعشية . ذكره العقيلي : وقال عبد الله بن المغيرة يحدث بما لا أصل له وقال ابن يونس أنه منكر الحديث \* وروى ابن شاهين بسند ضعيف الى خصيف قال أربعة من الانبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وادريس واثنان في الارض الخضر والياس فأما الخضر فانه في البحر وأما صاحبه فانه في البر : وسيأتى في الباب الاخير أشياء من هذا الجنس كثيرة وقال الثعلبي يقال أن الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن : قال ( ٢٦ — مجموعة الرسائل المنيرة )

النوى في تهذيبه قال الاكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة أو مواطن الخير أكثر من أن نحصى وأشهر من أن نذكر : قال وقال ابن الصلاح في فتاواه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم قال وإنما شذ بانكاره بعض المحدثين .

قال السبيلي في كتاب التعريف والاعلام اسم الخضر مختلف فيه فذكر بعض ما تقدم وذكر في قول من قال أنه ابن عاميل بن سباطين بن أرميا بن خافا بن عيصو بن إسحق وأن أباه كان ملكا وأن أمه فارسية اسمها ألهاء وانها ولدت في مغارة وانه وجد هناك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل ورباه فلما شب طلب الملك كاتباً يكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم فجمع أهل المعرفة والنبالة فكان فيمن أقدم عليه ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره حتى عرف أنه ابنه فضمه الى نفسه وولاه أمر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي الى أن يخرج الدجال فهو الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحياه قال وقيل إنه لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح قال وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث مات الخضر قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة قال ونصر شيخنا أبو بكر بن العربي هذا لقوله صلى الله عليه وسلم « على رأس مائة سنة لا يبقى على الارض ممن هو عليها أحد » يريد ممن كان حياً حين هذه المقالة قال وأما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم وتزيته لاهل بيته وهم مجتمعون بغسله عليه الصلاة والسلام فروى من طرق صحاح منها ما ذكره ابن عبد البر في التمهيد وكان امام أهل الحديث في وقته

فذكر الحديث في تعزية الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم يسمعون القول ولا يرون القائل فقال لهم علي رضي الله عنه هو الخضر قال وقد ذكر ابن أبي الدنيا من طريق مكحول عن أنس رضي الله عنه اجتماع الياس بالنبي صلى الله عليه وسلم وإذا جاز بقاء الياس الى العهد النبوي جاز بقاء الخضر انتهى ملخصاً وتعقبه عليه فيه أبو الخطاب بن دحية بأن الطرق التي أشار إليها لم يصح منها شيء، ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الانبياء الا مع موسى كما قص الله تعالى من خبرهما قال وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل وإنما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته اما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث قال وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لما قل أن يلقى شخصاً لا يعرفه فيقول له أنا فلان فيصدق به . قال وأما حديث التعزية الذي ذكره أبو عمر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرز عن يزيد بن الاصم عن علي رضي الله عنه وابن محرز متروك وهو الذي قال ابن مبارك في حقه كما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه لما رأيته كانت بعرة أحب الى من فضل رؤية النجاسة على رؤيته: قلت فقد جاء ذكر التعزية المذكورة من غير رواية عبد الله بن محرز كما سأذكره بعد قال وأما حديث مكحول عن أنس رضي الله عنه فهو موضوع ثم نقل تكذيبه عن احمد وبجي وإسحق وأبي زرعة قال وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من الخرافات انتهى كلامه ماخصاً . وسأذكر حديث أنس رضي الله عنه بطوله وإن له طريقاً غير التي أشار إليها السبيلي

( ذكر شيء من أخبار الخضر قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم )

قد قص الله تعالى في كتابه ما جرى لموسى عليه السلام معه وأخرجه الصحيحان من طرق عن أبي بن كعب وفي سياق القصة زيادات في غير الصحيح قد نبهت عليها في فتح الباري بشرح البخاري وثبت في الصحيحين ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال «وددت أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما» وهذا مما استدل به من زعم أنه لم يكن حالة هذه المقالة موجوداً إذ لو كان موجوداً لا يمكن أن يصحبه بعض أكابر الصحابة رضى الله عنهم فيرى منه نحواً مما رأى موسى وقد أجاب عن هذا من ادعى بقاءه بأن التمني إنما كان لما يقع بينه وبين موسى عليهما السلام وغير موسى لا يقوم مقامه

(ومن أخباره مع غير موسى)

ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من وجهين عن بقية بن الوليد عن محمد بن زياد الالهماني عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الا أخبركم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا هو ذات يوم يمشى في سوق بنى اسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال له تصدق عليّ بارك الله فيك فقال الخضر آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكون . ما عندي من شيء أعطيك فقال المسكين أسألك بوجهه لما تصدقت عليّ فاني نظرت السماحة في وجهك ورجوت البركة فقال الخضر آمنت بالله ما عندي شيء أعطيك الا أن تأخذني وتبيعني فقال المسكين وهل يستقيم هذا قال نعم الحق أقول لقد سألتني بأمر عظيم أما انى لا أخيك بوجه ربى بنى قال فقدمه الى السوق فباعه بأربعمائة درهم فكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء فقال له إنك إنما اشتريتني التماس خير عندي فاوصنى بعمل قال أكره أن أشق عليك أنك شيخ كبير ضعيف قال ليس يشق عليّ قال فقم فاتقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة فقال أحسنت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال ثم عرض للرجل سفر فقال انى أحسبك أميناً فآخفتني في أهلي خلافة حسنة قال نعم وأوصنى بعمل قال انى

أكره ان أشق عليك قال ليس يشق علي قال فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك قال وممر الرجل لسفوه ثم رجع وقد شيد بناءه فقال أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك قال سألتني بوجه الله ووجه الله أوقعني في العبودية فقال الخضر سأخبرك أنا الخضر الذي سمعت به سأتي مسكين صدقة فلم يكن عندي ما أعطيه له فسألتني بوجه الله ومن سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة وليس على وجهه جلد ولا لحم الا عظم تققع فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم قال لا بأس أحسنت وأيقنت فقال الرجل بأبي أنت وأمي يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك قال أحب ان نخلى سبيلي فاعبد ربى قال فخلى سبيله فقال الخضر الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاهني منها» قلت وسند هذا الحديث حسن لولا عنعنة بقية ولو ثبت لكان نصا ان الخضر نبي لحكاية النبي صلى الله عليه وسلم قول الرجل يا نبي الله وتقريره على ذلك

( ذكر من ذهب الى ان الخضر مات )

نقل أبو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضى وعن محمد بن اسماعيل البخارى ان الخضر مات وان البخاري سئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستدل بالحديث «ان على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها أحد» وهذا أخرجه هو في الصحيح عن ابن عمر وهو عدة من تمسك بانه مات وانكر ان يكون باقياً : وقال أبو حيان في تفسيره الجمهور على انه مات ونقل عن أبي الفضل المرسى ان الخضر صاحب موسى مات لانه لو كان حياً لومه الحجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم والايمان به واتباعه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي » وأشار الى أن الخضر هو غير صاحب موسى وقال غيره لكل زمان خضر وهي دعوى لا دليل

عليها : ونقل أبو الحسن بن المنادى في كتابه الذي جمعه في ترجمة الخضر عن ابراهيم الحربي ان الخضر مات وبذلك جزم ابن المناوي المذكور : وذكر ابن الجوزي في جزئه الذي جمعه في ذلك عن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي قال سئل بعض اصحابنا عن الخضر هل مات فقال نعم وبلغني مثل هذا عن ابي طاهر ابن العبادي وكان يحتج بانه لو كان حيا لجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم : واستدل ابن الجوزي بانه لو كان حيا مع ما ثبت أنه كان في زمن موسى وقبل ذلك لكان جسده مناسباً لاجساد أولئك ثم ساق بسنده الى أبي عمر ان الجوني قال قال كان أنف دانيال ذراعاً ولما كشف عنه في زمن أبي موسى قام رجل جنبه فكانت ركة دانيال محاذية لرأسه والذين يدعون رؤية الخضر في سائر أخبارهم ما يدل على أن جسده نظير أجسادهم ثم استدلل بما أخرجه احمد بن طريق مجاهد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني » قال فاذا كان هذا في حق موسى فكيف لم يتبعه الخضر لو كان حيا فيصلي معه الجمعة والجماعة ويجاهد تحت رايته كما ثبت ان عيسى يصلي خلف امام هذه الامة : واستدل أيضا بقوله تعالى ( واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ) الآية قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا وقد أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

وقال ابو الحسن بن المنادى بحثت عن تعبير الخضر وهل هو باق أم لا فاذا أكثر المغفلين مفترون بأنه باق من أجل ما روى في ذلك قال والاحاديث المرفوعة في ذلك واهية والسند الى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم وخبر مسلمة ابن مصقلة كالخرافة : وخبر رياح كالرياح قال وما عدا ذلك كله من الاخبار كلها واهية الصدور والاعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين اما ان تكون ادخلت



على الثقات استغفالا أو يكون بعضهم تعمد : وقد قال الله تعالى ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) قال وأهل الحديث متفقون على أن حديث أنس منكر السند غير مستقيم المثنى وإن الخضر لو كان حيا لما وسعه التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجرة اليه قال وقد أخبرني بعض اصحابنا ان ابراهيم سئل عن تعبير الخضر فانكر ذلك وقال هو متقادم الموت قال وروجع غيره فقال من احوال على غائب حي او مفقود ميت لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس الا الشيطان اتعنى

وقد ذكرت الاخبار التي أشار اليها وأضفت اليها أشياء كثيرة من جنسها وغالبها لا يخلو طريقه من علة . وبالله المستعان : واحتج ابن الجوزي ايضا بما ثبت في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض »

( ذكر الاخبار التي وردت ان الخضر كان في زمن النبي )

( صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعده الى الآن )

روى ابن عدي في الكامل من طريق عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المسجد فسمع كلاما من ورائه فاذا هو يقول اللهم اغني على ما ينجلي مما خوفتني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع ذلك الا يضم اليها اختها فقال الرجل اللهم ارزقني شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك اذهب يا انس فقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لي فجاءه انس قبله فقال الرجل يا انس انت رسول الله صلى الله عليه وسلم الي فارجع فاستثبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل له نعم فقال له اذهب فقل له ان الله فضلك على الانبياء مثل ما فضل به

رمضان على الشهور وفضل امتك على الامم مثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فذهب ينظر اليه فاذا هو الخضر » : كثير بن عبد الله ضعفه الاثمة لكن جاء من غير روايته \*

قال ابو الحسين بن المنادى اخبرني ابو جعفر احمد بن النضر العسكري ان محمد بن سلام المنيحي حدثهم \* واخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن الفضل بن جابر عن محمد بن سلام المنيحي حدثنا وضاح بن عباد الكوفي حدثنا عاصم بن سليمان الاحول حدثني انس بن مالك رضى الله عنه قال « خرجت ليلة من الليالي أحمل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطهور فسمع مناديا ينادى فقال لي يا انس صه فسكت فاستمع فاذا هو يقول اللهم اغنى على ما ينجيني مما خوفتني منه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال اختها معها فكان الرجل لقن ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم فقال وارزقني شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لي يا انس ضع لي الطهور وأئت هذا المنادي فقل له ادع الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتغته به وادع لامته ان يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق قال فأتيته فقلت رحك الله ادع الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعينه على ما ابتغته به وادع لامته أن يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق فقال لي ومن أرسلك فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له رحك الله ما يضرك من أرسلني ادع الله بما قلت لك فقال لا أو تخبرني من أرسلك قال فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله أبي أن يدعو لك بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلني فقال ارجع اليه فقل له أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت اليه فقلت له فقال لي مرحبا برسول رسول الله أنا كنت أحق ان آتية اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له يا رسول الله الخضر يقرأ لك السلام ورحمة

الله ويقول لك يا رسول الله ان الله فضلك على الانبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المرشدة المتوبة عليها \* \*

وأخرجه الطبراني في الاوسط عن بشر بن علي بن بشر العمى عن محمد بن سلام وقال لم يروه عن أنس الاعاصم ولا عنه الاوضح تفرد به محمد بن سلام قلت وقد جاء من وجهين آخرين عن أنس رضى الله عنه : وقال أبو الحسين بن المنادى هذا حديث واه بالوضح وغيره وهو منكر الاسناد سقيم المتن ولم يرسل الخضر نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه : واستبعده ابن الجوزى من جهة امكان لقيه النبي صلى الله عليه وسلم واجتماعه معه ثم لا يجىء اليه \* وأخرج ابن عساكر من طريق أبي خاله مؤذن مسجد منسوبة حدثنا أبو داود عن أنس فذكر نحوه \* \*

وقال ابن شاهين حدثنا موسى بن أنس بن خاله بن عبد الله بن طلحة ابن موسى بن أنس بن مالك حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى حدثنا حاتم بن أبي رواد عن معاذ بن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أنس رضى الله عنه قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة لحاجة فخرجت خلفه فسمعتنا قائلا يقول اللهم انى أسألك شوق الصالحين الى ما شوقتهم اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أضاف اليها أختها فسمعتنا القائل وهو يقول اللهم انى أسألك أن تعيننى بما ينجينى مما خوفتنى منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت ورب الكعبة يا أنس أنت الرجل فأسأله أن يدعو لرسول الله أن يرزقه الله القبول من أمته والعون على ما جاء به من الحق والتصديق قال أنس رضى الله عنه فأتيت الرجل فقلت يا أبا عبد الله أدع لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال لي ومن أنت فكرهت أن أخبره ولم أستاذن وأبى أن يدعوني أخبره فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أخبره فرجعت فقلت له أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك فقال مرحباً برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعني له وقال أقرئه مني السلام وقل له أنا أخوك الخضر أنا كنت أحق أن آتيك قال فلما وليت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المتاب عليها •

وقال الدارقطني في الافراد حدثنا احمد بن العباس البغوي حدثنا أنس بن خالد حدثني محمد بن عبد الله به نحوه . ومحمد بن عبد الله هذا هو ابو سلمة الانصارى وهو واهي الحديث جداً وليس هو شيخ البخارى قاضي البصرة ذاك ثقة وهو أقدم من ابي سلمة • وروينا في فوائد ابى اسحق براهيم بن محمد المزني تخريج الدارقطني حدثنا محمد بن اسحق بن خزيمة حدثنا محمد بن احمد بن زيد أنا عمر بن عامر حدثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس لا اعلم الا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم بحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله . بسم الله ما شاء الله لا يصرف سوء إلا الله بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله » . قال الدارقطني في الافراد لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن ابن رزين ؛ وقال ابو جعفر العقيلي لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ : وقال ابو الحسين بن المنادى هو حديث واه بالحسن المذكور انتهى

وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً أخرجه ابن الجوزي من طريق احمد بن عمار حدثنا محمد بن مهدي حدثنا مهدي بن هلال حدثني ابن جريج فذكره بلفظ « يجتمع البرى والبحرى الياس والخضر كل عام بمكة قال

ابن عباس بلغنا انه يحلق احدهما رأس صاحبه ويقول احدهما الآخر قل بسم الله الى آخره » وزاد قال ابن عباس « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد قالها في كل يوم إلا أمن من الحرق والفرق والسرقة وكل شيء يكرهه حتى يمسي وكذلك حتى يصبح » قال ابن الجوزي : احمد بن عمار متروك عند الدارقطني . ومهدى بن هلال مثله . وقال ابن حبان مهدى بن هلال يروى الموضوعات \* ومن طريق عبيد بن إسحق العطار حدثنا محمد بن ميسر عن عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده عن علي رضي الله عنه « قال يجتمع في كل يوم عرفة جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر فيقول جبريل ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرد عليه ميكائيل ما شاء الله كل نعمة فمن الله فيرد عليهما اسرافيل ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر فيقول ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله ثم يفرقون فلا يجتمعون إلا الى قابل في مثل هذا اليوم » وعبيد بن إسحق متروك الحديث .

وأخرج عبد الله بن احمد في زوائد كتاب الزهد لابييه عن الحسن بن عبد العزيز عن السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال يجتمع الخضر والياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله الى آخره ويفطران على الكرفس وامثال الموسم كل عام — وهذا معضل \* وروينا في فوائد أبي علي أحمد بن محمد بن علي الباشاني حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الداريازي حدثنا صالح عن أسد بن سعيد عن جعفر بن محمد عن لبائه عن علي رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عنده الادهان فقال فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلنا أهل البيت على سائر الخلق قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدهن به ويستعط \* فذكر حديثا طويلا فيه الكراث والبازروج والجرجير والمندباء والكأمة والكرفس واللحم والحيتان —

وفيه — الكأه من الجنة ماؤها شفاء العين وفيها شفاء من السم وهي طعام الياس واليسع يجتمعان كل عام بالموسم يشربان شربة من ماء زمزم يكتفيان بها الى قابل فيرد الله شباهما في كل مائة عام مرة وطعامهما الكأه والكرفس » قال ابن الجوزي لا يشك حديثي في ان هذا الحديث موضوع والمتهم به عبد الرحيم بن حبيب فقد قال ابن حبان انه كان يضع الحديث : وقد تقدم عن مقاتل ان اليسع هو الخضر » وقال ابن شاهين حدثنا محمد بن احمد بن عبدالعزيز الحراني حدثنا ابو طاهر خير بن عرفة حدثنا هاني بن المتوكل حدثنا بقية عن الازاعي عن مكحول سمعت واثلة بن الاسقع « قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك حتى اذا كنا بأرض جذام وقد كان أصابنا عطش فاذا بين أيدينا غيث فصرنا ميلا فاذا بغدير حتى اذا ذهب ثلث الليل اذا نحن بمنادى ينادى بصوت حزين اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها والمبارك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حذيفة يا أنس ادخلا الى هذا الشعب فانظرا ما هذا الصوت قال فدخلنا فاذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضا من الثلج واذا وجهه ولحيته كذلك واذا هو أعلى جمعا منا بذراعين أو ثلاثة فسلمنا عليه فرد علينا السلام ثم قال مرحبا أنما رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا نعم من أنت رحمك الله قال أنا الياس النبي خرجت أريد مكة فرأيت عسكركم فقال لي جند من الملائكة على مقدمهم جبريل وعلى ساقهم ميكائيل هذا أخوك رسول الله فسلم عليه والقه . ارجعا اليه فاقرئاه مني السلام وقولاه لم يمنعني من الدخول الى عسكركم إلا أني تخوفت أن يذعرا لابل ويفزع المسلمون من طولي فان خلقي ايس كخلقكم قولاه صلى الله عليه وسلم يأتيني قال حذيفة وأنس فصاغناه فقال لأنس يا خادم رسول الله من هذا قال هذا حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحب به ثم قال والله انه لفي السماء أشهر

منه في الارض تشبه أهل السموات صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حذيفة هل تلقى الملائكة قال مامن يوم الا وأنا القام يسلمون علىّ وأسلم عليهم قال فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فخرج معنا حتى أتينا الشعب فاذا ضوء وجه الياس وثيابه كالشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكم فتقدمنا قدام خمسين ذراعاً فعاثقه ملياً ثم قعدا فرأينا شيئاً شبه الطير العظام قد أهدقت بهما وهي بيض قد نشرت أجنحتها فحالت بيننا وبينهما ثم صرخ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ويا أنس تقدمنا فاذا بين أيديهما مائدة خضراء لم أر شيئاً قط أحسن منها قد غلبت خضرتها ياضنا فصارت وجوهنا خضراء وإذا عليها جبن ونمر ورمان وموز وعنب ورطب وبصل ما خلا الكراث فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلوا بسم الله فقلنا يا رسول الله أمن طعام الدنيا هذا قال لا قال لنا هذا رزق ولى في كل اربعين يوماً وليلة أكلة يأتيها الملائكة فكان هذا تمام الاربعين وهو شئ يقول الله له كن فيكون فقلنا من أين وجهك قال خلف رومية كنت في جيش من الملائكة مع جيش من مسلمي الجن غزونا أمة من الكفار قلنا فكم مسافة ذلك الموضع الذي كنت فيه قال أربعة اشهر وفارقه أنا منذ عشرة أيام وأنا أريد مكة أشرب منها في كل سنة شربة وهي ربي وعصمتي الى تمام الموسم من قابل قلنا وإي المواطن أكثر مثواك قال الشام وبيت المقدس والمغرب واليمن وليس من مسجد من مساجد محمد صلى الله عليه وسلم إلا وأنا ادخله كبيراً وصغيراً فقلنا متى عهدك بالخضر؟ قال منذ سنة كنت قد التقيت انا وهو بالموسم وأنا القاء بالموسم وقد كان قال انك ستلقى محمداً قبلى فافتره منى السلام وعانقه وبكى وعانقنا وبكى وبكىنا فنظرنا اليه حين هوى في السماء وكأنه حمل حملاً فقلنا يا رسول الله لقد رأينا عجبا اذ هوى الى السماء قال يكون بين جناحي ملك حتى ينتهي به حيث اراد \* قال ابن الجوزي

لعل بقية سمع هذا من كذاب فدلّسه عن الاوزاعي قال وخير بن عرفة لا يدرى من هو قلت هو محدث مشهور مصري واسم جده عبد الله بن كامل يكنى أبا الطاهر روى عنه أبو طالب الحافظ شيخ الدارقطني وغيره ومات سنة ٢٨٣ وقد رواه غير بقية عن الاوزاعي على صفة اخرى قال ابن أبي الدنيا حدثني ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يزيد بن يزيد الموصلي التيمي مولى لهم حدثنا ابو اسحق الحرشي عن الاوزاعي عن مكحول عن أنس رضي الله عنه قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا ببلخ الناقية بهذا الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة المغفور لها المتاب عليها المستجاب منها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس انظر ما هذا الصوت قال فدخلت الجبل فاذا رجل أبيض الرأس والاحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر إلى قال أنت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد يلتاقك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى اذا كنت قريباً منه تقدم وتأخرت فتحدثنا طويلاً فنزل عليهما شيء من السماء شبيه السفرة فدعواني فأكلت معهما فاذا فيها كآة ورماني وكرفس فلما أكلت قت فتتحيت وجاءت سحابة فاحتملته فجعلت أنظر الى يياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذي أكلنا من السماء نزل عليك قال سألته عنه فقال أتاني به جبريل ولي كل أربعين يوماً أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيت على الجب يمكك الفلوفيشرب وربما سقاني ». قال ابن الجوزي يزيد وأبو اسحق لا يعرفان وقد خالف هذا الذي قبله في طول الياس \* وأخرج ابن عساكر من طريق علي ابن الحسين بن ثابت الثوري عن هشام بن خالد عن الحسين بن يحيى الحسنی



عن ابن أبي رواد « قال الخضر والياس يعصومان بييت المقدس ويحجان في كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى مثلها من قابل » \* ثم وجدت في زيادات الزهد لعبد الله بن احمد بن حنبل قال وجدت في كتاب أبي بخطه حدثنا مهدي بن جعفر حدثني ضمرة عن السري بن يحيى عن ابن أبي رواد قال « الياس والخضر يعصومان شهر رمضان بييت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام » قال عبد الله وحدثني الحسن هو ابن رافع عن ضمرة عن المعري عن عبد العزيز بن أبي رواد مثله \* وقال ابن جرير في تاريخه حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحكم المصري حدثنا محمد بن المتوكل حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام بالموسم

وقال الفاكهي في كتاب مكة حدثنا الزبير بن بكار حدثني حمزة بن عتبة حدثني محمد بن عمران عن جعفر بن محمد بن علي قال كنت مع أبي بمكة في ليالي العشر وأبي قائم يصلي في الحجر فدخل عليه رجل أبيض الرأس واللحية من الاعراب فجلس الى جنب أبي فخفف فقال اني جئتك برحمة الله تخبرني عن أول خلق هذا البيت قال ومن أنت قال أنا رجل من أهل المغرب قال إن أول خلق هذا البيت ان الله لما رد عليه الملائكة حيث قالوا ( أتجعل فيها من يفسد فيها ) غضب فطافوا بهرشه فاعتذروا فرضى عنهم وقال اجعلوا لي في الارض بيتا يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم فقال له الرجل أي برحمتك ما بقي من أهل زمانك أعلم منك ثم ولى فقال لي أبي أدرك الرجل فرده علي فخرجت وأنا أنظر اليه فلما بلغ باب الصفا مثل فكأنه لم يكن شيئاً فأخبرت أبي فقال تدري من هذا قال قلت لا . قال هذا الخضر

(باب ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي «ص» ومن نقل عنه أنه رآه وكله)

قال ابن أبي حاتم في التفسير حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز الاويسى حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه أن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه قال « لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فذقوا وإياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب » قال جعفر أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه « قال تدرون من هذا . هذا الخضر » \*

ورواه محمد بن منصور الجزار عن محمد بن جعفر وعبدالله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين سمعت أبي يقول « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فذقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب فقال علي رضى الله عنه تدرون من هذا هذا الخضر » \* قال ابن الجوزى تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر ومحمد بن صالح ضعيف \* ورواه الواقدي وهو كذاب ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر وابن أبي عمر مجهول قلت هذا إطلاق ضعيف فابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا ، هو شيخ مسلم وغيره من الائمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور به مروي وهذا الحديث فيه أخبرنا به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال أخبرني أبو محمد بن القيم أنا أبو الحسن بن البخاري عن محمد بن معمر أنا سمعت

ابن أبي الرجا أنا أحمد بن محمد بن النعمان أنا أبو بكر بن المقرئ أنا اسحق بن أحمد الخزاعي حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني حدثنا محمد بن جعفر قال كان أبي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه « انه دخل عليه نفر من قريش فقال ألا أحدثكم عن أبي القاسم قالوا بلى » فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخره « فقال جبريل يا أحمد عليكم السلام هذا آخر وطني في الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فان المحروم من حرم الثواب وان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي هل تدرون من هذا هذا الخضر » انتهى ومحمد بن جعفر هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعى لنفسه بالمدينة وبمكة وحج بالناس سنة ٢٠٠ وبابيعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمل إلى أخيه المأمون بخراسان فأت بجرجان سنة ٢٠٣ وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال أيها الناس اني كنت قد حدثتكم بأحاديث زورتها فشق الناس الكتب التي سمعوا منه وعاش سبعين سنة : قال البخاري أخوه اسحق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثاً - قال الذهبي انه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليه السلام \*

وقال سيف بن عمرو التميمي في كتاب الردة له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر حتى دخل عليه فلما رآه قال انا لله وانا اليه راجعون وصلى عليه فرفع أهل البيت عجباً سمعه أهل المصلى فلما سكن ما بهم (٢٨- مجموعة الرسائل النبوية )

سمعوا تسليم رجل على الباب صيت جلد يقول السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة الا وان في الله خلفا من كل احد ونجاة من كل مخافة والله فارجوا وبه فتقوا فان المصاب من حرم الثواب فاستمعوا له وقطعوا البكا. ثم طلعوا فلم يرو أحدا فعادوا لبيكاهم فناداهم مناد آخر يا أهل البيت أذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل هلكة فبالله فتقوا واياه فاطيعوا فان المصاب من حرم الثواب فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا الخضر والياس قد حضرا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف »

وقال ابن ابى الدنيا حدثنا كامل بن طلحة اخبرنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله ليكون فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين في ازار ورداء. يتخطى أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكي ثم أقبل على الصحابة فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فأنيبوا وبنظرة اليكم في السلاء فانظروا فان المصاب من لم يجز بالثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر رضى الله عنه علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضى الله عنه لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه صلى الله عليه وسلم . عباد ضعفه البخارى والعقيلي : وقد أخرجه الطبراني في الاوسط عن موسى بن هرون عن كامل وقال تفرد به عباد عن أنس رضى الله عنه

وقال ابن شاهين في كتاب الجنائز له حدثنا ابن ابى داود ثنا احمد بن عمرو بن السراج ثنا ابن وهب عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر

قال بينما عمر بن الخطاب يصلى على جنازة اذا هاتف يهتف من خلفه الا لا تسبقنا لصلاة رحمتك الله فانظره حتى لحق بالصف فكبر فقال ان تعذبه فقد عصاك وان تغفر له فانه فقير الى رحمتك فنظر عمر وأصحابه الى الرجل فلما دفن الميت سوى الرجل عليه من تراب القبر ثم قال : طوبى لك يا صاحب القبر ان لم تكن عريفاً أو جابياً أو خازناً أو كاتباً أو شرطياً فقال عمر رضى الله عنه خذوا الى هذا الرجل نسأله عن صلاته وعن كلامه فتولى الرجل عنهم فاذا أثر قدمه ذراع فقال عمر رضى الله عنه هذا والله الخصر الذى حدثنا عنه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن الجوزى فيه مجهول وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر

وقال ابن ابى الدنيا ثنا ابى ثناء علي بن شقيق ثنا ابن المبارك انبأنا عمر بن محمد بن المنكدر قال بينما رجل يمشى يبيع ويحلف قام عليه شيخ فقال يا هذا بع ولا تحلف فعاد فحلف فقال بع ولا تحلف قال أقبل على ما يعينك قال هذا ما يعينى ثم قال آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فاذا انقطع علمك فاسكت وأتهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك قال اكتب لي هذا الكلام فقال ان يقدر شىء يكن ثم لم يره فكانوا يرون انه الخصر : قال ابن الجوزى كان هذا أصل الحديث

وقد رواه ابو عمر بن السمك في فوائده عن يحيى بن ابى طالب عن علي بن عاصم عن عبد الله بن عبد الله قال كان ابن عمر قاعداً ورجل قد أقام سلعته يريد بيعها فجعل يكرر الايمان اذ مر به رجل فقال اتق الله ولا تحلف به كاذباً عليك بالصدق فيما يضرك وإياك والكذب فيما ينفعك ولا تزيدن فى حديث غيرك فقال ابن عمر لرجل : اتبعه فقل له اكتب هذه الكلمات فتبعه فقال ما يقضى من شىء يكن ثم فقد فرجع فاخبر ابن عمر فقال ابن عمر رضى الله عنه ذاك الخصر : قال ابن الجوزى على بن عاصم ضعيف سىء الحفظ ولعله اراد ان

يقول عمر بن محمد بن المنكدر فقال ابن عمر

وقد رواه احمد بن محمد بن مصعب أحد الرضاعين عن جماعة مجاهيل عن  
عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما - قلت وجدت طريقا جيدة غير هذا عن ابن  
عمر رضي الله عنه قال البيهقي في دلائل النبوة أنا أبو زكريا بن أبي اسحق ثنا  
احمد بن سليمان الفقيه ثنا الحجاج بن قراقصة أن رجلا كان يتبايعان عند عبد الله  
ابن عمر رضي الله عنهما فكان أحدهما يكثر الحلف فبينما هما كذلك اذ مر بهما  
رجل فقام عليهما فقال للذي يكثر الحلف يا عبد الله اتق الله ولا تكثر الحلف  
فانه لا يزيد في رزقك ان حلفت ولا ينقص من رزقك ان لم تحلف قال امض  
لما يعينك قال ان هذا مما يعنيني قالها ثلاث مرات ورد عليه قوله فلما أراد أن  
ينصرف عنهما قال اعلم أن من الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب  
حيث ينفعك ولا يكن في قولك فضل على فعلك ثم انصرف فقال عبد الله بن  
عمر الحق فاستكتبه هؤلاء الكلمات فقال يا عبد الله اكتبني هذه الكلمات يرحمك  
الله فقال الرجل ما يقدر الله يكن وأعادها عليه حتى حفظهن ثم مشى حتى وضع  
إحدى رجليه في المسجد فما أدري أرض تحته أم سماء قال فكانوا يرون أنه  
الخضر أو الياس

وقال ابن أبي الدنيا ثنا يعقوب بن يوسف ثنا مالك بن اسماعيل ثنا صالح  
ابن أبي الاسود عن محفوظ بن عبد الله عن شيخ من حضرموت عن محمد بن  
يحيى قال « قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بينما أنا أطوف البيت اذا أنا برجل  
معلق بالاستار وهو يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يغلطه السائلون  
يا من لا يتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك قال قلت دعاؤك  
هذا عافاك الله أعده قال وقد سمعته ؟ قلت نعم قال قاعد به في دبر كل صلاة  
فوالذي نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحمى

الارض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين » \* وأخرجه الدينوري في المجالسة من هذا الوجه

وقد روى احمد بن حرب النيسابوري عن محمد بن معاذ الهروي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محرز عن يزيد الاصم عن علي ابن ابي طالب فذكر نحوه ولكن قال « فقلت يا عبد الله أعد الكلام قال وسمعتة قلت نعم قال والذي نفس الخضر بيده وكان الخضر يقولن عند دبر الصلاة المكتوبة لا يقولها أحد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر ورواه محمد بن معاذ الهروي عن ابي عبيد الخزومي عن عبد الله بن الوليد عن محمد بن حميد عن سفيان الثوري نحوه .

وأخرج البيهقي في الدلائل قال ثنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو جعفر البغدادي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الصنعاني ثنا أبو الوليد الخزومي ثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عزهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » :

وقال البيهقي ايضاً أنا أبو شعبة احمد بن محمد بن عمرو الاحمسي حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع النخعي ثنا عبد الله بن أبي زياد ثنا شيبان ابن حاتم ثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي ثنا الحسن بن علي عن محمد بن علي هو ابن الحسين بن علي قال « لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط اليه جبرائيل » فذكر قصة الوفاة مطولة وفيه « فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية »

وروى سيف في الفتوح ان جماعة كانوا مع سعد بن أبي وقاص فرأوا أبا محجن وهو يقاتل فذكر قصة أبي محجن بطولها وانهم قالوا وهم لا يعرفونه ماهو إلا الخضر : وهذا يقتضى أنهم كانوا جازمين بوجود الخضر في ذلك الوقت. وقال ابو عبدالله بن بطة العكبري الحنبلي ثنا شعيب بن احمد بن أبي العوام ثنا أبي ثنا إبراهيم بن عبد الحميد الواسطي ثنا أيمن بن سفيان عن غالب بن عبدالله العقيلي عن الحسن البصري قال « اختلف رجل من أهل السنة وغيلان القدري في شئ من القدر فتراضيا بينهما على أول رجل يطلع عليهما من ناحية ذكراهما فطلع عليهما أعرابي فطوى عباءة فجعلها على كتفه فقال له رضىناك حكما فيما بيننا فطوى كساءه ثم جلس عليه ثم قال اجلسا فجلستا بين يديه فحكم على غيلان قال الحسن ذاك الخضر » \* في اسناده أيمن بن سفيان وهو متروك

وروى حماد بن عمر النصيبى أحد المتروكين ثنا السرى بن خالد عن جعفر ابن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين ان مولى لهم ركب البحر فكسر به فيبنا هو يسير على ساحله إذ نظر الى رجل على شاطئ البحر ونظر الى مائدة نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منها ثم رفعت فقال له بالذى وفقك بما أرى أي عباد الله أنت قال الخضر الذي تسمع به فقال بماذا جاءك هذا الطعام والشراب قال بأسماء الله العظام »

وأخرج احمد في كتاب الزهد له عن حماد بن أسامة ثنا مسعر عن معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال بينما رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مهموماً مكتئباً ينكت في الأرض بشئ اذ رفع رأسه فإذا بفتى صاحب مسحاة قد سنج له قائماً بين يديه فرفع رأسه فكأنه ازدراه فقال له مالي أراك مهموماً قال لاشئ قال أما الدنيا فان الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر حتى



ذكر ان لها مفصلاً كفاصل اللحم من أخطأ شيئاً أخطأ الحق قال فلما سمع ذلك منه اعجبه فقال اهتامي بما فيه المسلمون قال فان الله سينجيك بشفتك على المسلمين وسل من ذا الذي سأل الله فلم يعطه او دعاه فلم يجبه أو توكل عليه فلم يكفه أو وثق به فلم ينجه قال فطفقت أقول اللهم سلمني وسلم مني قال فتجلت ولم يصب فيها بشيء قال مسعر يرون انه الخضر

وأخرجه ابو نعيم في الحلية في ترجمة عون بن عبدالله من طريق ابى اسامة وهو حماد بن اسامة وقال بعده : ورواه ابن عيينة عن مسعر وقال ابراهيم بن محمد بن سفيان الراوى عن مسلم عقب روايته عن مسلم لحديث ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال يقال ان هذا الرجل الخضر : وقال عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابى سعيد في قصة الذى يقتله الدجال وفي آخره قال معمر بلغنى انه يجعل على حلقة صفيحة من نحاس وبلغنى انه الخضر وهذا عزاه النوى لمسند معمر فأروهم ان له فيه سنداً وانما هو قول معمر : وقال ابو نعيم في الحلية ثنا عبيد الله بن محمد هو أبو الشيخ ثنا محمد بن يحيى هو ابن منده ثنا احمد بن منصور المروزي ثنا احمد بن جميل قال قال سفيان ابن عيينة بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا برجل مشرف على الناس حسن الشبه فقلنا بعضنا لبعض ما أشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم قال فاتبعناه حتى قضى طوافه فسار الى المقام فصلى ركعتين فلما سلم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا وماذا ؟ قال قال ربكم أنا الملك أَدْعُوكُم الى أن تكونوا ملوكاً ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا ؟ قال قال ربكم أنا الحي الذى لا يموت أَدْعُوكُم الى أن تكونوا أحياء لا تموتون ثم أقبل على القبلة فدعى بدعوات ثم التفت الينا فقال تدرون ماذا قال ربكم ؟ قلنا ماذا قال ربنا حدثنا يرحمك قال قال ربكم

أنا الذي إذا أردت شيئاً كان أدعوكم الى أن تكونوا بحال إذا أردتم شيئاً كان لكم . قال ابن عيينة ثم ذهب فلم يره قال فلقيت سفيان الثوري فأخبر بعد ذلك فقال ما أشبه أن يكون هذا الخضر أو بعض هؤلاء الابدال : تابعه محرز بن أبي جدعة عن سفيان ورواها زياد بن أبي الاصبع عن سفيان أيضاً . وروى محمد بن الحسن بن أبي الازهر عن العباس بن يزيد عن سفيان نحوها . وأخرج أبو سعيد في شرف المصطفى من طريق احمد بن أبي ترة ثنا محمد بن الفرات عن ميسر بن سعيد ( بن أبي عروبة ) عن أبيه بينما الحسن في مجلسه والناس حوله إذا قبل رجل مخضرة عيناه فقال له الحسن : أهكذا ولدتك أمك أم هي بينة قال أو ما تعرفني يا أباسعيد قال من أنت فانتسب له فلم يبق في المجلس أحد إلا عرفه فقال يا هذا ما قصتك فقال يا أباسعيد عمدت الى جميع مالي فألقيته في مركب فخرجت أريد الصين فعصفت علينا ريح ففرقت فخرجت الى بعض السواحل على لوح فأقت أردد نحواً من أربعة اشهر آكل ما أصيب من الشجر والعشب وأشرب من ماء العيون ثم قلت لأمضين على وجهي فاما ان اهلك واما ان انجو فسرت فرفع لي قصر كأن سناء فضة فرفعت مصرعه فاذا داخله أروقة في كل طاق منها صندوق من لؤلؤ وعليها أقفال مفاتيحها رأى العين ففتحت بعضها فخرجت من جوفه رائحة طيبة واذا فيه رجال مدرجون في ألوان الحرير فخرت بعضهم فاذا هو ميت في صفة حي فأطبقت الصندوق وخرجت واغلت باب القصر ومضيت فاذا أنا بفارسين لم أر مثلها جمالا على فرسين أغرين محجلين فسألاني عن قصتي فأخبرتهما فقالا تقدم امامك فانك تصير الى شجرة نحتها روضة هناك شيخ حسن الهيئة على دكان يصلي فأخبره خبرك فانه يرشدك الى الطريق فضيت فاذا أنا بالشيخ فسدت فرد على وسألتني عن قصتي ثم قال ما صنعت قلت اطبقت الصناديق واغلت الابواب فسكن وقال اجلس فمرت به صحابة فقالت السلام عليك يا ولي

الله فقال اين تريدین قالت ارید بلد كذا وكذا فلم تنزل تمر به سحابة بعد سحابة حتى اقبلت سحابة فقال اين تريدین قالت البصرة قال انزلى فنزلت فصارت بين يديه فقال احملی هذا حتى تودیه الى منزله سالما فلما صرت على متن السحابة قلت اسألك بالذي اكرمك إلا اخبرتنی عن القصر وعن الفارسين وعنك قال اما القصر فقد اكرم الله به شهداء البحر ووكل بهم ملائكة يلقطونهم من البحر فيصيرونهم في تلك الصناديق مدرجين في الكفان الحرير . والفارسان ملكان يغدون ويروحان عليهم بالسلام من امر الله واما انا فالحضر وقد سألت ربي ان يحشرني مع امة نبيكم قال الرجل فلما صرت على السحابة اسأبتى الفزع من هول عظيم حتى صرت الى ماترى فقال الحسن لقد عاينت عظيماً

وروى الطبراني في كتاب الدعاء قال ثنا يحيى بن محمد الخثاعي ثنا المعلى بن حرمي عن محمد بن مهاجر البصري ثنا ابو عبد الله بن التوم الرقاشي ان سليمان ابن عبد الملك اخاف رجلا وطلبه ليقتله فهرب الرجل فجعلت رسله تبحث الى منزل ذلك الرجل يطلبونه فلم يظفر به فجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له قد كنت تطلب هنا فلما طال عليه الامر عزم على ان يأتي بلدة لاحكم لسليمان عايبها فذكر قصة فيها فيينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء اذا هو برجل يصلي قال فخفته ثم رجعت الى نفسي فقلت والله مامعه راحلة ولادابة قال فقصدت نحوه فركم وسجد ثم التفت إلي فقال لعل هذا الطاغى اخافك قلت اجل قال فما بمنعك من السبع قلت يرحمك الله وما السبع قال : قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله . سبحان القديم الذي لا باري له . سبحان الدائم الذي لا انقاد له . سبحان الذي هو كل يوم في شأن . سبحان الذي يحيي ويميت . سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى . سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم . ثم قال قلها فقاتها وحفظتها والتفت فلم أر الرجل قال والقي الله في قلبي الأمن ورجعت

راجعاً من طريق اريد اهل فقلت لا تبين باب سليمان بن عبد الملك فأتيت بابه فاذا هو يوم اذنه وهو يأذن للناس فدخلت وانه لعل فراشه فما غدا ان رآني فاستوى على فراشه ثم أوماً إلى فما زال بدني حتى قمعت معه على الفراش قال سحرتي او ساحرانت مع ما بلغني عنك فقلت يا امير المؤمنين ما انا بساحر ولا اعرف السحر ولا سحرتك قال فكيف فما ظننت انه يتم ملكي الا بقتلك فلما رأيتك لم استقر حتى دعوتك فأقمدتك معي على فراشي ثم قال اصدقني امرك فأخبرته قال يقول سليمان : الخضر - والله الذي لا اله الا هو - علمكها . اكتبوا له اماناً واحسنوا جائزته واحملوه الى اهله .

وأخرج ابو نعيم في الحلية في ترجمة رجاء بن حيوة من تاريخ السراج ثم من رواية محمد بن ذكوان عن رجاء بن حيوة قال اني لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لي منه منزلة إذ جاء رجل ذكر رجاء من حسن هيئته قال فسلم فقال يا رجاء انك قد ابتليت بهذا الرجل وفي قربه الزينج يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف واعلم يا رجاء انه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة انسان ضعيف لا يستطيع رفعها لقي الله يوم القيامة وقد ثبت قدميه للحساب واعلم يا رجاء انه من كان في حاجة اخيه المسلم كان الله في حاجته واعلم يا رجاء ان من احب الاعمال الى الله فرجا أدخلته على مسلم : ثم فقده وكان يرى أنه الخضر عليه السلام

وذكر الزبير بن بكار في الموفقيات قال اخبرني السري بن الحرث الانصاري من ولد الحرث بن الصمة عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وكان يصلي في اليوم واليلة الف ركعة ويصوم الدهر قال بت ليلة في المسجد فلما خرج الناس إذا رجل قد جاء الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسند ظهره الى الجدار ثم قال اللهم انك تعلم اني كنت أمس صائماً ثم أمسيت فلم افطر على شيء وظلت

اليوم صائماً ثم امسيت ولم افطر على شيء اللهم واني امسيت واشتهي التريد فاطعمنيها من عندك قال فنظرت الى وصيف داخل من خوذة المنارة ليس في خلقة الناس معه قصعة فاهوى بها الى الرجل فوضعها بين يديه وجلس الرجل يأكل وحصبنى فقال هلم فحبثت وظننت انها من الجنة فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة فاذا طعام لا يشبه طعام الدنيا ثم احتشمت فقامت فرجعت مكاني فلما فرغ من اكله اخذ الوصيف القصعة ثم اهوى راجعاً من حيث جاء ثم قام الرجل منصرفاً فاتبعته لأعرفه فمثل فلا أدري أين سار فظننته الخضر: واخرج ابن عساكر من طريق ابراهيم بن عبد الله بن المغيرة عن عبد الله حدثني ابي ان قوام المسجد قالوا للوليد بن عبد الملك ان الخضر يصلي كل ليلة في المسجد

وقال اسحاق بن ابراهيم الحنبلي في كتاب الرماح له ثنا عثمان بن سعيد الانطاعي ثنا علي بن العثم المصيصي عن عبد الحميد بن بحر عن سلام الطويل عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوى عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبمسقلان قال بينا أنا اسير في وادي الاردن اذا انا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي فاذا بسحابة تظله من الشمس فوقه في قلبي انه الياس النبي فأتيته فسلمت عليه فانفلت من صلاته فرد السلام فقلت له من انت يرحمك الله فلم يرد علي شيئاً فأعدت عليه القول مرتين فقال انا الياس النبي فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي ان يذهب فقلت له انت رأيت رحمك الله أن تدعو لى ان يذهب الله عني ما اجد حتى افهم حديثك قال فدعالي ثمان دعوات فقال يا برحيم يا حي يا قيوم يا حنان يا منان يا هيا شراً هيا فذهب عني ما كنت أجد فقلت الى من بعثت قال الى اهل بعلبك قلت فهل يوحى اليك اليوم فقال اما من بعث محمد خاتم النبيين فلا قلت فكم من الانبياء في الحياة قال اربعة انا

والخضر في الارض وادريس وعيسى في السماء قلت فهل تلتقي انت والخضر  
قال نعم في كل عام بعرفت قلت فما حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ شعره  
قلت فكم الابدال قال هم ستون رجلا خمسون ما بين عريش مصر الى شاطئ  
الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بانطاكية وسبعة في سائر الامصار بهم يسقون  
الغيث وبهم ينصرون على العدو وبهم يقيم الله امر الدنيا حتى اذا اراد ان يهلك  
الدنيا اماتهم جميعا : في اسناده جهالة ومتروكون

وقال ابو الحسن ابن المنادي في الجزء المذكور ثنى احمد بن ملاعب ثنا  
يحيى بن سعيد السعدي في ابو جعفر الكوفي ثنى ابو عمر النصيبي قال خرجت  
اطلب مسلمة بن مصقلة بالشام وكان يقال انه من الابدال فلقيته بوادي الاردن  
فقال لي اخبرك بشيء رأيت اليوم في هذا الوادي قال قلت بلى قال دخلت اليوم  
هذا الوادي فاذا انا بشيخ يصلي الى شجرة فألقي في روعي انه الياس  
النبي فدنوت منه فسلمت عليه فركع فلما جلس سلم عن يمينه  
وعن شماله ثم أقبل عليّ فقال وعليك السلام فقلت من أنت برحك الله قال  
أنا الياس النبي قال فأخذتني رعدة شديدة حتى خررت على قفاي قال فدنا مني  
فوضع يده بين ثديي فوجدت بردها بين كتفي فقلت يا نبي الله ادع الله أن يذهب  
عني ما أجد حتى أفهم كلامك عنك فدعا له بثمانية أسماء خمسة منها بالعريسة  
وثلاثة بالسريانية فقال يا واحد يا أحد يا صمد يا فرد يا وتر ودعا بالثلاثة الاسماء  
الاخر فلم أعرفها ثم أخذ يدي فأجاسني فذهب عني ما كنت أجد فقلت يا نبي  
الله ألم تر هذا الرجل ما يصنع ؟ - أعنى مروان بن محمد - وهو يومئذ يحاصر  
أهل حمص فقال لي مالك وماله جبار عات على الله فقلت يا نبي الله أما اني قد  
مررت به فاعرض عني فقلت يا نبي الله أما اني وان كنت قد مررت بهم فاني  
لم أهو أحد الفريقين وأنا أستغفر الله وأتوب اليه قال فأقبل على بوجهه ثم قال لي

قد أحسنت هكذا فقل ثم لا تعد قلت يا نبي الله هل في الأرض اليوم من  
الاببدال أحد قال نعم هم ستون رجلا منهم خمسون فيما بين العرش إلى الفرات  
ومنهم ثلاثة بالمصيصة وواحد بانطاكية وسائر العشرة في سائر أمصار العرب  
فقلت يا نبي الله هل تلتقي أنت والخضر قال نعم نلتقي في كل موسم بمنى قلت  
فما يكون من حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قلت يا نبي الله  
أني رجل خلو ليست لي زوجة ولا ولد فإن رأيت أن تأذن لي فأصحبك وأكون  
معك قال إنك إن تستطيع ذلك فإنك لا تقدر على ذلك قال فبينما هو يتحدثني  
إذ رأيت مائدة قد خرجت من أصل الشجرة فوضعت بين يديه ولم أر من  
وضعها وعليها ثلاثة أرغفة فديده لبا كل وقال كل رسم وكل مما يليك فمددت  
يدي فأكلت أنا وهو رغيفا ونصف ثم إن المائدة رفعت ولم أر أحدا رفعها وأتى  
بأناء فيه شراب فوضع في يده ولم أر أحدا وضعه فشرب ثم ناولني فقال اشرب  
فشربت أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن ثم وضعت الأناء فرفع الأناء فلم  
أر أحدا رفعه ثم نظر إلى أسفل الوادي فإذا دابة قد أقبلت فوق الحمار ودون  
البغل وعليه رحالة فلما انتهى إليه نزل فقام ليركب ودرت لآخذ بغرز الدابة  
فركب ثم سار ومشيت إلى جنبه وأنا أقول يا نبي الله إن رأيت أن تأذن فأصحبك  
وأكون معك فقال ألم أقل إنك لن تستطيع ذلك فقلت فكيف لي بلقائك قال  
إنك إذا رأيتك رأيتني قلت على ذلك قال لعلك تلتقاني في رمضان معتكفا ببيت  
المقدس واستقبلته شجرة فأخذ من ناحية ودرت من الجانب الآخر استقبله فلم  
أر شيئا : قال ابن الجوزي مسلمة والراوي عنه وأبو جعفر والكوفي لا يعرفون  
وروى داود بن مهران ثني شيخ عن حبيب أبي محمد أنه رأى رجلا فقال  
له من أنت قال أنا الخضر \* وعن محمد بن عمران عن جعفر الصادق أنه كان مع  
إيه فجاءه رجل فسأله عن مسائل قال فأمرني أن أردد الرجل فلم أجده فقال

ذاك الخضر \* وعن ابي جعفر المنصور انه سمع رجلا يقول في الطواف اشكو اليك ظهور البغي والفساد فدعاه فوعظه وبالع ثم خرج فقال اطلبوه فلم يجدوه فقال ذاك الخضر

وأخرج ابن عساكر من طريق عمر بن فروخ عن عبد الرحمن بن حبيب عن سعد بن سعيد عن ابي طيبة عن كثير بن وبرة قال اتاني اخ لي من الشام فاهدى الي هدية فقلت من اهداها اليك قال ابراهيم التيمي قلت ومن اهداها الي ابراهيم التيمي قال قال كنت جالسا في فناء السكبة فأتاني رجل فقال انا الخضر واهداها الي و ذكر لي تسبيحات ودعوات

وذكر ابو الحسين بن المنادي من طريق مسلمة بن عبد الملك عن عمر بن عبد العزيز انه لقي الخضر (ح) وفي المجالسة لابن بكر الدينوري من طريق ابراهيم بن خالد عن عمر بن عبد العزيز قال رأيت الخضر وهو يمشي مشياً سريعاً وهو يقول صبراً يا نفس صبراً لا يام تفقد لتلك ايام الابد صبراً لا يام قصار لتلك الايام الطوال

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه ثنا محمد بن عبد العزيز الرملي قال ثنا ضمرة هو ابن ربيعة عن السري بن يحيى عن رياح بن عبدة قال رأيت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده فقلت في نفسي ان هذا الرجل جاف فلما صلى قلت يا ابا حفص من الرجل الذي كان معك معتمداً على يدك آنفاً قال وقد رأيته يارياح قلت نعم قال اني لاراك رجلاً صالحاً ذاك اخي الخضر بشرني اني سألي واعدل . قلت هذا اصلح اسناد وقفت عليه في هذا الباب ايضاً وقد اخرج ابو عروبة الحراني في تاريخه عن ايوب بن محمد الوراق عن ضمرة ايضاً \* واخرجه ابو نعيم في الحلية عن ابن المقرئ عن ابن عروبة في ترجمة عمر بن عبد العزيز : وروينا في الجزء الاول من فوائد الحافظ ابى عبد الله محمد بن مسلم بن



زرارة الرازي ثنى الليث بن خالد ابو بكر عمرو وكان ثقة قال ثنا المسيب ابو يحيى وكان من اصحاب مقاتل بن حيان قال وفدت على عمر بن عبد العزيز فاذا انا برجل او شيخ يحدثه او قال يتكىء عليه قال ثم لم اره فقلت يا امير المؤمنين رأيت رجلا يحدثك قال ورايته قلت نعم قال ذاك اخي الخضر يأتيني فيوقفني ويسددني

وقال ابو عبد الرحمن السلمى في تصنيفه سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت بلالا الخواصى يقول كنت في تيه بنى اسرائيل فاذا رجل يماشينى فتعجبت ثم ألهمت أنه الخضر فقلت بحق الحق من أنت قال أنا أخوك الخضر فقلت ما تقول في الشافعى قال من الاوتاد (الابدال) قلت فاحمد بن حنبل قال صديق قلت فبشر بن الحارث قال لم يخلف بعده مثله قلت بأى وسيلة رأيتك قال ببرك لأمك وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا ظفر بن محمد حدثنا عبد الله بن ابراهيم الحريرى قال قال أبو جعفر محمد بن صالح بن دريج قال بلال الخواص رأيت الخضر في النوم فقلت له ما تقول في بشر قال لم يخلف بعده مثله قلت ما تقول في احمد قال صديق

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا محمد بن داود قال حدثنا محمد بن الصلت عن بشر (ابن الحارث) الحافي قال كانت لى حجرة وكنت أغلقها اذا خرجت ومعى المفتاح فجئت ذات يوم وفتحت الباب ودخلت فاذا شخص قائم يصلى فراغنى فقال يا بشر لا تنزع أنا أخوك أبو العباس الخضر قال بشر قلت له علمنى شيئاً قال قل : أستغفر الله من كل سبب تبت منه ثم عدت اليه وأسأله التوبة وأستغفر الله من كل عقد عقده على نفسى ففسخته ولم أف به

وذكر عبد المغيث من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يمنعكم ان تكفروا ذنوبكم بكلمات أخى الخضر فذكر نحو

الكلمات المذكورة في حكاية بشر. وروى أبو نعيم عن أبي الحسن بن مقسم عن أبي محمد الحريري سمعت أبا إسحق المرستاني يقول رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده اللهم اني أسألك الاقبال عليك والاصفاء اليك والفهم عنك والبصيرة في أمرك والنفاذ في طاعتك والمواظبة على ارادتك والمبادرة الى خدمتك وحسن الادب في معاملتك والتسليم والتفويض اليك

وقال أبو الحسن بن جهضم حدثنا الخلدی حدثنا ابن مسروق حدثنا أبو عمران الخياط قال: قال لي الخضر ما كنت أظن أن الله ولياً إلا وقد عرفته فكنت بصنعاء البين في المسجد والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث وشاب جالس ناحية المسجد فقال لي ما شأن هؤلاء قلت يسمعون من عبد الرزاق قال عمن قلت عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلا تسمعون عن الله عز وجل قلت فأنت تسمع عن الله عز وجل قال نعم قلت من أنت قال الخضر فعلت ان الله أوليا. ما عرفتهم

وابن جهضم معروف بالكذب : وعن الحسن بن غالب قال حججت فسبقت الناس وانقطع بي فلقيني شاب فأخذ يدي فالحقني بهم فلما قدمت قال لي أهلي انا سمعنا انك هلكت فرحنا الى أبي الحسن القزويني فذكرنا له ذلك وقلنا أدع الله له فقال ما هلاك وقد رأى الخضر قال فلما قدمت جئت اليه فقال لي ما فعل صاحبك قال الحسن بن غالب وكنت في مسجدى فدخل على رجل فقال غداً تأتيك هدية فلا تقبلها وبمدها بأيام تأتيك هدية فاقبلها قال فبلغني ان أبا الحسن القزويني قال غنى قد رأى الخضر مرتين : قال ابن الجوزي الحسن ابن غالب كذوبه .

وأخرج ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح الى أبي زرعة أنه لما كان شاباً لقي رجلاً مخضوباً بالحناء فقال له لا تقش أبواب الامراء قال

ثم لقيته بعد أن كبرت وهو على حالته فقال لي ألم أنهك عن غشيان أبواب  
الامراء قال ثم التفت فلم أره فكان الأرض انشقت فدخل فيها قال فخيّل أنه  
الخضر فرجعت فلم أزر أميراً ولا غشيت بابه ولا سأله حاجة \* وذكر ابن أبي  
حاتم في الجرح والتعديل : عبد الله بن بحر قال وروى كلاماً في الزهد عن رجل  
ترأى له ثم غاب عنه فلا يدري كيف ذهب فكان يرى أنه الخضر : روى نعيم  
ابن مسرة عن رجل من محصب عنه :

وروي في اخبار آبراهيم بن آدم قال آبراهيم بن بشار خادم آبراهيم بن  
آدم صحبته بالشام فقلت يا آبا اسحق أخبرني عن بدء امرئ قال كنت شاباً قد  
حبب إلي الصيد فخرجت يوماً فأنرت أرناباً أو ثعلباً فبينما أنا أطرده إذ هتف بي  
هاتف لا أراه : يا آبراهيم هذا خلقت أبهذا امرئ ففرغت ووقفت ثم تعوذت  
وركضت الدابة ففعل ذلك مراراً ثم هتف بي هاتف من قربوس السرج والله  
ما لهذا خلقت ولا بهذا امرئ قال فنزلت فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم فأخذت  
جيتة الصوف فلبستها ودفعت إليه الفرس وما كان معي وتوجهت إلى مكة فبينما  
أنا في البادية إذ أنا برجل يسير ليس معه إناء ولا زاد فلما أمسى وصلى المغرب  
حرك شفتيه بكلام لم أفهمه فإذا بإناء فيه طعام وإناء فيه شراب فأكلت معه  
وشربت وكنت على هذا أياماً وعلفني اسم الله الأعظم ثم غاب عني وبقيت  
وحدي فبينما أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة دعوت الله فإذا شخص أخذ  
بمحزني فقال لي سل تعطه فراغني قوله فقال لا روع عليك أنا أخوك الخضر

وذكر عبد المغيث بن زهير الحربي في جزء جمعه في اخبار الخضر عن أحمد  
ابن حنبل قال كنت ببيت المقدس فرأيت الخضر والياس : وعن أحمد قال  
كنت نائماً فجاءني الخضر فقال قل لا أحمد إن ساكن السماء والملائكة راضون  
عنك . وعن أحمد بن حنبل أنه خرج إلى مكة فصحب رجلاً قال فوقع في نفسي  
أنه الخضر قال ابن الجوزي في مناقضه ما جمعه عبد المغيث لا يثبت هذا عن أحمد  
قال وذكر فيه عن معروف الكرخي أنه قال حدثني الخضر ومن أين يصح هذا  
(م — ٣٠ مجموعة الرسائل المنبرية)

عن معروف . وقال ابو حيان في تفسيره اولع كثير ممن ينتمي الى الصلاح ان بعضهم يرى الخضر : وكان الامام ابو الفتح القشيري يذكر عن شيخ له انه رأى الخضر وحده فقليل له من اعلمه انه الخضر ام كيف عرف ذلك فسكت قال ويرزعم بعضهم ان الخضر يقرتبه يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر ومنه قول بعضهم لكل زمان خضر . قلت وهو حيث سلم يدل على ان الخضر المشهور مات : قال ابو حيان وكان بعض شيوخنا في الحديث وهو عبد الواحد العباسي الحنبلي يعتقد اصحابه فيه انه يجتمع بالخضر . قلت وذكري الحافظ ابو الفضل العراقي شيخنا ان الشيخ عبدالله بن اسعد اليافعي كان يعتقد ان الخضر حي قال فذكرت له ما نقل عن البخاري والحربي وغيرهما من انكار ذلك فغضب وقال من قال انه مات غضبت عليه قال فقلنا له رجمننا عن اعتقاد موته : وأدر كننا من كان يدعى انه يجتمع بالخضر منهم القاضي علم الدين البساطي الذي ولي قضاء المالكية زمن الظاهر برقوق وكان كثير من أهل العلم ينكرون عليه ذلك

والذي تميل اليه النفس من حيث الادلة القوية خلاف ما يمتقده العوام من استمرار حياته لكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للاخبار الدالة على استمراره فيقال هب ان اسانيدها واهية اذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها فاذا يصنع في المجموع فانه على هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بوجود حاتم فمن هنا مع احتمال التأويل في ادلة القائلين بعدم بقاءه كاية ( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) وكحديث « رأس مائة سنة » وغير ذلك مما تقدم بيانه . واقوى الادلة على عدم بقاءه عدم مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفراده بالتعمير من بين أهل الاعصار المتقدمة بغير دليل شرعي . والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته . ولو ثبت انه ملك من الملائكة لارتفع الاشكال كما تقدم والله أعلم \* اه تم كتاب الزهر النضر في نبأ الخضر للحافظ شهاب لدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر الكنانى المسقلانى

فرغ منه يوم الجمعة عشرين شوال سنة ٨٦٧ سبعم وستين وثمانمائة هجرية اه ١ - الانبياء ٣٤

# الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية

✽ للامام العلامة الحافظ ✽

(أبي الفضل شهاب الدين أحمد الشيربازي حजर المسقلاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض درجات \* والصلاة والسلام  
على محمد المبعوث بالآيات البينات \* وعلى آله وصحبه الذين فازوا بنصرة دينه  
حتى حازوا الصفات المعلومات \* وعلى التابعين لهم باحسان صلاة وسلاما  
دائمين الى يوم بعث الاموات \*

﴿ أما بعد ﴾ فان جماعة من الاخوان التمسوا افراد مختصر من أخبار فقيه  
الديار المصرية أبي الحرث الليث بن سعد أبي المكارم وشيئا من عوالى حديثه  
تذكرة لهده : وتبصرة لمن يخفى عليه حال من قبله اذا أتى من بعده : فأجبت  
طلبهم . وصوبت رغبتهم . وجمعت في هذه الاوراق ما تيسر من ذلك لما فيه  
من نشر السنة وربتها على ثمانية أبواب على عدد أبواب الجنة ( الباب الاول )  
في ذكر نسبه ونسبته ومولده وبلدته ( الباب الثاني ) في ذكر طلبه العلم ورحلته  
وأسماء بعض شيوخه وصفة مبدأ أمره وأنشأته ( الباب الثالث ) في مهارته في شبايه  
ونحريه أسباب المروءة ومكارم الاخلاق في جميع أسبابه ( الباب الرابع ) في ثناء  
الائمة عليه بالصفات الجيلة وبيان سعة حفظه وكثرة علومه الجزيلة ( الباب الخامس )

في عظيم مقداره عند الخلفاء وغيرهم من الاحرار والخلفاء ( الباب السادس )  
 في معرفة بعض الاخذين للحديث عنه والاشارة الى بعض المقتبسین للفقہ منه  
 ( الباب السابع ) في بيان وقت وفاته . ومقدار عمره عند مماته . ( الباب الثامن )  
 في سياق عوالی حديثه : الدال على رفيع قدره في قديم أمره وحديثه : والله أسأل  
 أن لا يجعل ما علمنا علينا وبالا وأن يسبل علينا ستر حلمه وكرمه سبحانه وتعالى

## الباب الاول

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي بكر العز الحنبلي في كتابه اليانا من دمشق  
 غير مرة أخبرنا التقي أبو الفضل بن أبي طاهر الحاكم مشافهة عن أبي الحسن بن  
 المقير أخبرنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ في كتابه اليانا أخبرنا أبو القاسم  
 عبد الرحمن بن الحافظ أبي عبد الله بن منده اذنا أخبرنا أبي أخبرنا أبو سعيد  
 عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى في تاريخ مصر قال الليث بن  
 سعد بن عبد الرحمن الفقيه يكنى أبا الحرث يقال انه مولى بني فهم ثم لآل خالد  
 ابن ناشر بن ظاعن الفهمي ثم من بني كنانة بن عمرو بن القيس وكان اسمه في  
 ديوان مصر في موالى بني كنانة من فهم وأهل بيته يقولون نحن من الفرس من  
 أهل اصبهان قال ابن يونس وليس لما قالوه من ذلك عندنا صحة يعني كونهم  
 من الفرس : فاما ان اصلهم من اصبهان فجاء عن الليث نفسه ذلك قرأت على  
 أبي الحسن بن أبي المجد عن أبي بكر الدمشقي ان يوسف بن خليل الحافظ  
 أخبرهم أخبرنا أبو الحسن الجمال أخبرنا أبو علي الحداد أخبرنا أبو نعيم حدثنا عبد  
 الله بن محمد بن جعفر سمعت أبا الحسن الطحان يقول سمعت عيسى بن حماد يقول  
 سمعت الليث يقول نحن من أهل اصبهان فاستوصوا بهم خيراً وقال يعقوب  
 ابن سفيان في تاريخه كان الليث يقول اصلنا من اصبهان وقال أبو أحمد الحاكم في

الكنى ابو الحرث الليث بن سعد مولى بنى فهم من قيس : وقال ابن يونس فيما اخرج من طريق عمرو بن ابى الطاهر بن السرح سمعت يحيى بن بكير يقول سعد والد الليث كان من موالى قريش ثم اقترض في بنى فهم فنسب اليهم وتبعه الليث بعده : وقال البخارى الليث مولى بنى فهم : وقال خليفة بن خياط الليث مولى بني قيس وظن ابو نصر الكلاباذى اختلاف النسبين فجعلها قولين وليس كذلك بل فهم من قيس والله اعلم

( ذكر مولده ) قال يعقوب بن سفيان في تاريخه قال يحيى بن بكير سمعت ابن الليث يقول كان الليث يقول لنا قال لى بعض أهلي اني ولدت سنة اثنتين وتسعين والذي أوقن اني ولدت سنة اربع وتسعين وقال ابو صالح كاتب الليث سمعت الليث يقول مات عمر بن عبد العزيز ولى سبع سنين ( قلت ) وكانت وفاة عمر سنة احدى ومائة فيكون مولده سنة اربع وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابيه ولد سنة اربع وقال بعضهم سنة ثلاث وكذا قال ابن سعد ولد الليث سنة ثلاث أو اربع وتسعين وقال البخارى في تاريخه قال يحيى بن بكير ولد الليث لاربعة عشرة خلت من شعبان سنة اربع وتسعين وكذا قال ابن حبان وزاد يوم الجمعة

( قلت ) ومولده بقرقشندة على نحو اربع فراسخ من الفسطاط فيكون له منذ ولد سبع مائة سنة واربعون سنة لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً والله أعلم

## الباب الثاني

قال أبو نعيم في الحلية أدرك الليث نيفاً وخمسين رجلاً من التابعين : وقال البخارى قال يحيى بن بكير قال سمعت من ابن شهاب الزهري بمكة سنة ثلاث عشرة وهي أول سنة حج : وروى ابن يونس من طريق ابن وهب عن الليث قال

خسفت الشمس ونحن بمكة سنة ثلاث عشرة: وسمع ببلده من يزيد بن أبي حبيب  
وجعفر بن ربيعة والحارث بن يعقوب وعبيد الله بن أبي جعفر وخالد بن يزيد  
وخير بن نعيم وسعيد بن يزيد بالحجاز من عطاء بن أبي رباح ونافع مولى ابن  
عمر وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد الانصارى وابى الزبير محمد بن مسلم المكي  
وأيوب بن موسى الاموى وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة وعمرو بن شعيب  
وعمر بن دينار وقتادة وسمع في رحلته الى العراق وهو كبير من هشيم وهو أصغر  
منه: قال ابو صالح خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين فشهدنا الاضحى  
بيغداد فقال لى الليث سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له أخوك الليث المصرى  
يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث اليه شيئاً من كتبك فذهبت اليه ففعل  
فكتبت الليث منها وسمعتها من هشيم مع الليث: وروى غير واحد عن الليث  
قال دخلت على نافع مولى ابن عمر فقال من أين قلت من أهل مصر قال ممن  
قلت من قيس قال ابن كم قلت ابن عشرين قال أما لحبتك فلحبة ابن أربعين: وروى  
الخطيب من طريق الخضر بن عبيد حدثنا عيسى بن حماد سمعت الليث يقول  
حجبت أنا وابن لهيعة فرأيت نافعاً مولى ابن عمر فدخلت معه الى دكان علاف  
فحدثنى فر بنا ابن لهيعة فقال من هذا قلت مولى لنا فلما رجعنا إلى مصر جعلت  
أحدث عن نافع فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال أين لقيته قلت أمارأيت العبد الذى  
في دكان العلاف هو ذاك

( قلت ) وقعت لى نسخة الليث عن نافع فيها من الاحاديث المرفوعة  
والموقوفة نحو المائة ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة  
بالواسطة وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد فانه روى عن هقل بن زياد  
عن الازاعي عن داود بن عطاء عن موسى بن عقبة عن نافع وقد سمع من ابن  
شهاب الزهري كثيراً ويبلخل بينه وبين الزهري الواسطة بواحد كعقيل ويونس



وغيرهما وذلك في الصحيحين وبأثنين كما روى عن إبراهيم بن سعد عن صالح  
ابن كيسان عن ابن شهاب وبثلاثة كما روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي  
هلال عن يزيد بن الهاد عن ابن شهاب وبخمسة كما روى عن خالد بن يزيد عن  
سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن الهاد عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان  
عن الزهري وسمع من أبي الزبير وحديثه عنه من اصح الحديث فانه لم يسمع منه  
شيئاً دلس فيه : وقد روى عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن محمد  
ابن عجلان عن أبي الزبير ومامن هؤلاء الوسائط الا من سمع منه الكتب ولكنه  
كان لا يحب التدليس فكان لا يبالى اذا نزل في الرواية اذا لم يسمع فقد حدث  
عن هشام بن عروة وسمع من ربيعة وحدث عن يحيى بن أيوب عن أيوب بن  
موسى عنه وسمع من سعيد المصري وحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الحميد  
ابن جعفر عنه : وكان من سعة علمه يحدث من لسانه بما عنده قال ابن يونس ان فرد  
الغراء عن الليث باحاديث لم يسمعها منه أهل مصر : وقد حدث عنه من شيوخه  
محمد بن عجلان وهشام بن سعد ومن أقرانه ابن لهيعة وقيس بن الربيع وهشيم  
ابن سعد وعبد الله بن المبارك وغيرهم وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن  
بكير أخبرني من سمع الليث يقول كتبت من علم الزهري كثيراً يعني عن غيره قال  
فأردت أن أركب البريد اليه الى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله فتركت ذلك  
يعنى فصار يروى عنه بالواسطة لذلك :

### الباب الثالث

قال يعقوب بن سفيان في تاريخه سمعت يحيى بن بكير يقول قال عبد العزيز  
ابن محمد هو الراوردي رأيت الليث بن سعد عند ربيعة يناظرهم في المسائل وقد فاق  
أهل الحلقة : وقال ابن يونس بالسند الماضي اليه حدثنا علي بن قديد سمعت

يحيى بن عثمان بن صالح يذكر أن يحيى بن بكير حدثه قال سمعت شرحبيل بن يزيد يقول أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر وجمفر بن ربيعة والحريث بن يزيد وابن هبيرة ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط والليث يومئذ حدث شاب وأنهم ليعرفون فضله ويقدمونه ويشار إليه : وقال يعقوب بن سفيان سمعت يحيى بن بكير يقول سمعت الليث يقول رأيت يحيى بن سعيد الأنصاري وقد فعلت شيئاً من المباحات فقال لا تفعل فانك امام منظور اليك

( قلت ) ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث وقال يحيى بن عمر بن صالح السهمي حدثنا عمر بن خالد قال قلت لليث بلغني انك أخذت بركاب بن شهاب الزهري قال نعم للعالم فاما لغير ذلك فلا والله ما فعلته بأحد قط . أخبرنا أبو محمد إبراهيم بن داود العابد اذنا مشافهة أخبرنا إبراهيم بن علي بن سنان أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم عن احمد بن محمد التيمي أخبرنا الحسن بن احمد المقرئ أخبرنا ابو نعيم حدثنا محمد بن إبراهيم بن علي حدثني الحضرمي حدثنا علان بن المغيرة سمعت أبا صالح كاتب الليث يقول كنا على باب مالك ابن أنس فامتنع علينا أي احتجب قفلنا ليس يشبه هذا صاحبنا قال فسمع مالك كلامنا فامر بادخالنا عليه فقال لنا من صاحبكم قلنا الليث بن سعد قال تشبهوني برجل كتبت اليه في قليل عصفور نصبغ به ثياب صبياننا فانفذ الينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا و ثياب جيرانا وبعنا الفضل بالف دينار . وبه الى أبي نعيم حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى حدثنا محمد بن اسحق هو السراج سمعت قتيبة بن سعيد يقول قفلنا مع الليث من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله وسفينة فيها أضيافه : وبه الى أبي نعيم حدثنا عبد الله بن جمفر حدثنا اسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الله بن صالح قال صحبت الليث

عشرين سنة فكان لا يتغدى وحده ولا يتعشى وحده الامع الناس وبه الى ابي  
نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا احمد بن ابي يحيى حدثنا عبد الملك بن شعيب  
ابن الليث سمعت أسد بن موسى يقول كان عبدالله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم  
فرحلت الى مصر فدخلتها في هيئة رثة فدخلت على الليث فلما فرغ المجلس خرجت  
فتبعني خادم فقال اجلس حتى أخرج اليك فجلست حتى خرج وأنا وحدي فدفع  
لي صرة فيها مائة دينار وقال يقول لك الليث اصلح بهذه النفقة أمرك ولم شئت  
وكان معي في حجزني الف دينار فأخرجتها له وقلت له استأذن لي على الشيخ  
فدخلت فأخبرته بنسبي فقال أنها صلة وليست صدقة واعتذرت اليه عن قبول  
صلته وقلت أكره أن أعود نفسي عادة وأنا عنها غنى قال فادفعها الى بعض  
أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة  
ومن طريق منصور بن عمار قال كنت عند الليث جالسا فأتته امرأة ومعها قدح  
فقلت يا أبا الحرث ان زوجي يشتكي وقد نعت لنا العسل فقال اذهبي الى الوكيل  
فقولي له يعطيك مطراً<sup>(١)</sup> فجاء الوكيل يساره بشيء فقال له الليث اذهب فاعطها مطراً  
انها سألت بقدرها فاعطيناها بقدرنا قال والمطر عشرون ومائة رطل: وعن منصور  
قال دخلت على الليث وعلى رأسه خادم فغمزه فخرج فضرب يده الى مصلاه  
فاستخرج منه كيسا فرمى به الى وقال يا ابا السري لا تعلم به ابني فتهون عليه  
فاذا فيه الف دينار: وقال ابو حاتم بن حبان كان الليث لا يتردد اليه أحد الا  
أدخله في جملة عياله ما دام يتردد اليه ثم ان أراد الخروج زوده بالباقة الى وطنه  
وقال عباس بن محمد الدوري سمعت يحيى بن معين يقول كان الليث يصلي  
في المسجد كل صلاة يجي على فرسه فكان له مجلس يجلس فيه فمر به يحيى بن  
أيوب فغمزه فقام معه فسأله عن مسألة فأجابها فبعث اليه بمائة دينار وقال الترمذي  
(١) قوله مطراً هو واه معروف عند بعض أهل مصر يسع نحو مائة رطل معري تقريباً اهـ

سمعت قتبية يقول كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلثمائة مسكين \* وقال أشهب كان الليث لا يرد سائلا وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر: وبالسند الماضي قريبا إلى أبي نعيم حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا إسحاق بن إسماعيل سمعت محمد بن ربيع يقول كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط يزكاة: وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث سمعت أبي يقول قال الليث ما وجبت على زكاة قط منذ بلغت: وقال حرملة بن يحيى سمعت ابن وهب يقول كان الليث يحصل مالكا كل سنة بمائة دينار وكتب إليه مرة أن على ديننا فبعث إليه بخمسة دنانير وبه إلى أبي نعيم حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا عبد الملك بن يحيى بن بكير سمعت أبي يقول وصل الليث ابن لهيعة لما احترقت داره بالف دينار وحج فأهدى إليه مالك طبقا فيه رطب فرد إليه علي الطبق ألف دينار ووصل منصور بن عمار القاضي بالف دينار: وقال الحرث بن مسكين اشترى قوم من الليث ثمرة بمال ثم أنهم ندموا فاستقالوه فاقالهم ثم استدعاهم فاعطاهم خمسين دينارا وقال أنهم كانوا أملا فأحببت أن اعوضهم \*

## الباب الرابع

قال أبو بكر بن الأثرم سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث لاعمرو بن الحرث ولا غيره ما أصبح حديثه وجعل يثنى عليه: وقال يعقوب بن سفيان قال الفضل بن زياد قال أحمد بن حنبل الليث كثير العلم صحيح الحديث وقال حنبل بن إسحاق سئل أحمد فقيل له محمد بن عجلان وابن أبي ذئب والليث عن المقبري أيهم أحب إليك قال الليث \* وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين الليث في يزيد بن أبي حبيب أثبت من محمد بن

اسحق وقال محمد بن احمد بن عياض حدثنا هرون بن يزيد سمعت ابن وهب يقول كل ما كان في كتب مالك وأخبرني من أَرْضِي من أهل العلم فهو الليث بن سعد وقال شعيب بن الليث قيل لأبي إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك قال لو كتبت ما في صدرى في كتبي ما وسعته هذا المركب وقال يحيى بن بكير ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث وما رأيت أكمل منه كان فقيه البلدة عربي اللسان يحسن القرآن والنحو والحديث والشعر والمذاكرة إلى أن عد خمس عشرة خصلة ما رأيت مثله ﴿ ذكر ثنائهم عليه بالفقه ﴾ وبالسند الماضي إلى أبي نعيم حدثنا محمد بن

عبد الرحمن بن سهل حدثنا احمد بن اسماعيل الصدفي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا حرملة بن يحيى سمعت الشافعي يقول الليث أنفع للأثر من مالك: وقال أبو احمد ابن عدى حدثنا ابراهيم بن اسحق سمعت احمد بن عبد الرحمن بن وهب يقول سمعت الشافعي يقول الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به : وفي رواية عن الشافعي ضيعه قومه وفي أخرى ضيعه أصحابه وقال أبو محمد بن أبي حاتم سمعت أبا زرعة يقول سمعت يحيى بن بكير يقول الليث أفقه من مالك ولكن كانت الخطوة للمالك : وقال أبو عبد الله البوشنجي سمعت يحيى بن بكير يقول أخبرت عن سعيد بن أبي أيوب انه كان يقول لو أن مالكا والليث اجتمعا كان مالكا عند الليث أبكم ولباع الليث مالكا فيمن يريد \*

( قلت ) ثناؤهم عليه يحفظ الحديث وضبطه قال ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة الليث يحتاج بحديثه قال أي لعمري وقال يحيى بن معين ثبت وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخر ثقة وقال ابن أبي مريم ما رأيت أحداً من خلق الله أفضل من ليث وما كانت خصلة يتقرب بها إلى الله الا كانت تلك الخصلة في الليث : وقال أبو يعلى الخليلي كان امام وقته بلامدافعة وقال ابن حبان كان من سادات أهل زمانه فقهاً وعلماً وحفظاً وفضلاً وكرماً: وقال النووي في تهذيبه أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث

## الباب الخامس

وبالسند الماضى أول الجزء الى أبى سعيد بن يونس حدثنا محمد بن الحرث حدثنا محمد بن عبد الملك بن شعيب بن الليث حدثنا أبى عن أبيه قال قال الليث قال لى أبو جعفر المنصور حين أردت أن أودعه قد رأيت ماسرنى من سداد عقلك فاتق الله في الرعية أمثالك وقال يعقوب بن سفيان حدثنا يحيى بن بكير قال قال الليث قال لى أبو جعفر المنصور تلى لى قلت انى أضعف عن ذلك انى رجل من الموالي قال ما بك ضعف معى الا ضعف بدنك أتريد قوة أقوى منى فأما اذا أبيت فدلنى على رجل قالوا وكان الامراء بمصر لا يقطعون أمراً دون الليث \* وقال أبو عبد الله البوشنجي سمعت يحيى بن بكير يحدث عن يعقوب ابن داود الوزير قال قال لى أمير المؤمنين لما قدم الليث العراق ازم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين انه ما بقى أحد أعلم بما كان منه \* وقال أشهب بن عبدالعزيز كان لىث أربع مجالس كل يوم مجلس لحوائج السلطان ومجلس لاصحاب الحديث ومجلس لاصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد فيرده صغرت حاجته أو كبرت وقال منصور بن عمار كان الليث اذا تكلم رجل فى المسجد الجامع أخرجه قال فلما دخلت مصر تكلمت فى الجامع فاذا رجلاً قد دخلاً فأخذا بى فقالا أجب أبا الحرث قال فذهبت وأنا أقول واسوأناه أخرج من البلد هكذا قال فلما دخلت على الليث سلمت فقال أنت المتكلم فى المسجد قلت نعم قال أعد على ما قلت قال فأعدته فزق الشيخ وبكى فقال ما اسمك قلت منصور بن عمار قال أبو السرى قلت نعم قال فدفع إليّ كيساً وقال صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ولا تمدحن أحداً من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين ولك على فى كل سنة مثلاً: وبالسند الماضى الى أبى نعيم حدثنا محمد بن

احمد الجرجاني حدثنا أبو علي الطرائفي حدثنا لؤي خادم الرشيد قال جرى بين هرون الرشيد وبنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقي شيخ لم يتكلم وكان في آخر المجلس وهو الليث بن سعد قال فسأله قال اذا خلى أمير المؤمنين مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدينني أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الامان قال نعم فأمر باحضار مصحف فأحضر فقال تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال أمسك يا أمير المؤمنين قل والله قال فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل اني اخاف مقام ربي فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين فهي جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال له الرشيد احسنت وامر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع الجيزة ولا يتصرف أحد بمصر الا بأمره وصرفه مكرما : وقال يحيى بن بكير كتب الوليد بن رقاعة وهو أمير مصري وصيته قد أسندت وصيتي لعبد الرحمن ابن خالد بن مسافر والى الليث بن سعد وليس لعبد الرحمن أن يفتات على الليث فان له نصحا ورأيا وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة : وقال سعيد بن أبي مريم كان اسمعيل بن اليسع الكندي من خير قضاتنا غير انه كان يذهب مذهب أبي حنيفة في ابطال الحبس فأبغضوه فكتب الليث في أمره فعزل : وقال يحيى بن عثمان بن صالح عن أبيه جاء الليث الى اسمعيل فجلس بين يديه فرفع اسمعيل مجلسه فقال انما جئت اليك مخاصما قال فيماذا قال في أحباس المسلمين قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فمن بقي بعد هؤلاء وقام فكتب الى المهدي فورد الكتاب بعزله فأناه الليث

فجلس الى جنبه وقال للقارىء اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقال له اسمعيل يا أبا الحرث وما كنت تصنع بهذا والله لو أمرتني بالخروج لخرجت فقال له الليث والله انك لعفيف عن أموال الناس قال يونس بن عبد الأعلى كان في كتاب الليث الى الخليفة انا لم ننكر عليه شيئاً غير انه أحدث أحكاماً لا نعرفها: وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبيه قال كتب فيه يا أمير المؤمنين انك وليت علينا رجلاً ما نطمئن عليه في الدينار والدرهم الا خيراً الا انه يكيد السنة فعمله: وبالسند الماضي الى أبي نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا مطلب بن شعيب سمعت عبد الله بن صالح يقول سمعت الليث بن سعد يقول لما قدمت على هرون الرشيد قال لي يا ليث ما صلاح بلدكم قلت يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ومن رأس العين يأتي الكدر فاذا صفا رأس العين صفت العين قال صدقت يا أبا الحرث \*

## الباب السادس

تقدم انه روى عنه بعض شيوخه وأقرانه وأن قول مالك حدثني من أرضي من أهل العلم يريد به الليث ومن روى عنه من أقرانه فمن دونهم عطف بن خالد وعبد الله بن المبارك والوليد بن مسلم وأبو النضر هاشم بن القاسم ويونس بن محمد المؤدب وعبد الله بن وهب ويعقوب بن ابراهيم بن سعد ويحيى بن اسحق السيلحيني وعلي بن نصر الجهضمي وابو سلمة الخزازي والحسن بن سواده وحجين ابن المثني وأبو نوح المعروف بقرادة وعبد الله بن الحكم وبشر بن السري وشبابة بن سواده وحجاج بن محمد وأشهب بن عبد العزيز: واكثر هؤلاء من شيوخ الامام احمد بن حنبل وسعيد بن سليمان وسعيد بن أبي مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح وعبد الله بن يزيد



المقرى وعمرو بن خالد الحراني وعمرو بن الربيع بن طارق وعلى بن عياش  
 الحمصي وعبد الله بن يوسف التنيسي : وغالب هؤلاء من شيوخ البخاري : وأبو  
 الوليد الطيالسي واحمد بن يونس ويحيى بن يحيى التميمي : وهؤلاء من شيوخ مسلم  
 وأبي داود واكثر عنه قتيبة بن سعيد وهو من شيوخ الائمة الخمسة ومحمد بن  
 رمع ومحمد بن الحرث وعيسى بن حماد وهو آخر من حدث عنه من الثقات وبين  
 وفاته و وفاة محمد بن عجلان مائة سنة سواء فان ابن عجلان مات سنة ثمان  
 وأربعين ومائة ومات عيسى سنة ثمان وأربعين ومائتين وقيل سنة تسع وأربعين  
 وقال ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري سمعت محمد بن المسيب يقول سمعت  
 يونس بن عبد الأعلى يقول سمعت الشافعي يقول ما فاتني أحد فأسفت عليه  
 ما أسفت على الليث بن سعد وابن أبي ذئب : وقال الحسن بن يوسف سمعت  
 الربيع بن سليمان يقول قال عبد الله بن وهب لولا مالك والليث لضلنا  
 (قلت) وأخذ عنه الفقه أيضاً مع ابن وهب عبد الرحمن بن القاسم وأشهب  
 ويحيى بن بكير وأبو صالح وغيرهم لكنه ما صنف شيئاً من الكتب ولا دون  
 أصحابه المسائل عنه ولذلك قال الشافعي ضيعه أصحابه يعني لم يدونوا فقهه كما  
 دونوا فقه مالك وغيره وان كان بعضهم قد جمع منها شيئاً وقد ذكر الشيخ أبو اسحق  
 في الطبقات ان علم التابعين من أهل مصر تناعى الى الليث بن سعد قال وقال ابن  
 وهب ومسائل الليث تقرأ عليه فمرت به مسألة فاستحسنوها فقال رجل ما أحسن ما  
 قال الليث كأنه كان يسمع مالكاً فيجيب فقال ابن وهب بل لعل مالكاً كان يسمع  
 الليث يجيب فيجيب والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحد أقط أفقه من الليث .  
 (قلت) ولقد تبعت كتب الخلاف كثيراً فلم أقف فيها على مسألة واحدة  
 انفرد بها الليث عن الائمة من الصحابة والتابعين الا في مسألة واحدة وهي أنه  
 كان يرى تحريم أكل الجراد الميت وقد نقل ذلك أيضاً عن بعض المالكية والله  
 سبحانه وتعالى أعلم .

## الباب السابع

قال خالد بن عبد السلام الصدفي جالست الليث بن سعد وشهدت جنازته مع أبي فزاريت جنازة قط بعدها أعظم منها ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن ويعزى بعضهم بعضا فقلت لأبي يا أبت كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة فقال لي يا بني كان عالما كريما حسن العقل كثير الفضال يا بني لا ترى مثله أبداً : وقال خليفة بن خياط ومحمد بن سعد والبخاري وغير واحد مات الليث بن سعد سنة خمس وسبعين ومائة زاد ابن سعد يوم الجمعة لاربع عشرة بقيت من شعبان وقال ابن حبان مات في النصف من شعبان ( قلت ) فيكون له منذ مات الى الآن سمائة سنة وستون سنة لم تنقص سنة واحدة وقد وقعت لنا من عوالي حديثه اليه جملة يفي وبينه فيها ثمانية أنفس أكثرها بالسماع المتصل اليه وفي بعضها الاجازة وقد انتقيت منها أربعين حديثا تكلمت على حالها ومن أخرجها من الائمة واذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة كان قسط كل واحد منهم ثمانين سنة وزيادة وقد عاش هو احدى وثمانين سنة على ما بينت من مولده ووفاته فتناسب الامر ببعضه من بعض والله سبحانه وتعالى المستعان .

## الباب الثامن

والحديث الاول ( قرأت على الشيخ أبي اسحق ابراهيم بن احمد بن عبد الواحد التنوخي البعلبيكي ثم الدمشقي ثم القاهري بمنزله بالجامع الاقر غير مرة ان أحمد ابن أبي طالب بن أبي النعمان الصالحني اخبرهم سماعا عليه قال اخبرنا ابو المنجا عبد الله بن عمر ابن علي بن يزيد البغدادي قرأت عليه ونحن نسمع بدمشق اخبرنا أبو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب المروزي قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد اخبرنا ابو عبد الله

محمد بن ابي مسعود عبد العزيز الفارسي اخبرنا ابو محمد عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن ابي شريح الانصاري اخبرنا ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسي بن عطية الباهلي املاء حدثنا الليث بن سعد المصري عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤية الصالحة قال نافع حسبت ابن عمر قال جزء من سبعين جزءا من النبوة هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن أبي النضر هاشم ابن القاسم وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمع ثلاثهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين على طريقى المسند والصحيح \*

(الحديث الثانى) وبهذا الاسناد الى ابي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى اذا كان ثلاثة نفر ان يتناجى اثنان دون واحد» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد المؤدب ومسلم عن قتيبة ومحمد بن رمع ثلاثهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين ايضا واخرجه عوانة عن ابي الاحوص عن قتيبة فوقع لنا بدلا عاليا على طريقه بدرجتين ايضا

(الحديث الثالث) وبه الى ابي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «لا يقيم احكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه» هذا حديث صحيح أخرجه احمد بن ابي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمع ثلاثهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا

(الحديث الرابع) وبه الى ابي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «انه قام فقال لا يجلبن أحد ماشية أحد بغير اذنه أوجب أحدكم أن تؤتي مشربته فيكسر باب خزانته فينتقل

( ٣٢ - مجموعة الرسائل المنيرة )

طعامه وإنما يخزن لهم ضرور مواشيهم أطعمتهم فلا يحلبن ماشية امرى، بغير اذنه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه عن محمد بن ربح وأخرجه مسلم أيضاً عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلاً عالياً\*

﴿الحديث الخامس﴾ قرأت على أبي الحسن على بن محمد بن محمد الخطيب الدمشقي قدم علينا القاهرة وكتب إلينا أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد المقدسي غير مرة كلاهما عن أبي الفضل سليمان بن أبي طاهر المقدسي قال الأول كتابة والثاني سماعاً قالاً أخبرنا عبدالله بن عمر البغدادي أخبرنا أبو القاسم سعيد ابن أحمد البناء أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزيني أخبرنا أبو بكر محمد ابن عمر بن دينور حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير هو يزيد بن عبدالله عن عقبة هو ابن عامر الجهني رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً يصلي على أهل أحد صلواته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال اني فرط لكم وأنا شهيد عليكم واني والله لا أنظر إلى حوضي الآن واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض واني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجاج بن محمد وإبي النصر هاشم بن القاسم وأخرجه البخاري عن عبدالله بن يوسف وسعيد بن شرحبيل وعمر بن خالد وأخرجه هو ومسلم وأبو داود والنسائي كلهم عن قتيبة الستة عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلاً عالياً\*

﴿الحديث السادس﴾ قرأت على زينب بنت العلاء أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن جعوان الدمشقي بصاحبة دمشق وعلي بن إبراهيم بن أحمد القاري، بالقاهرة كلاهما عن ابن العباس الصالح سماعاً أخبرنا أبو المنجاء بن الليثي

أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو عبد الله بن أبي سعيد أخبرنا أبو محمد بن أبي شريح حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال إن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والعبيان: هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعلى بن عباس الحمصي ويونس بن محمد المؤدب فرتبهم وأخرجه البخاري عن أحمد بن يونس ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبوداود عن يزيد بن خالد بن موهب وأخرجه مسلم وأبوداود أيضا والترمذي والنسائي عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا: وأخرجه أبو عوانة عن محمد بن اسحاق الصنعاني عن أبي النضر وعن أبي أمية الطرسوسي عن أحمد بن يونس به \*

﴿ الحديث السابع ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد وفيهم عبد الله بن عمرو وأن سهمانهم بلغت اثني عشر بعيرا ونقلوا سوى ذلك بعيرا بعيرا فلم يغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ذلك » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه أبو داود عن يزيد بن خالد بن موهب والقعني اربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث الثامن ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا كلّم راع وكلّم مسؤل عن رعيته فالامير الذي على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤل عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت بعلمها وولده وهي مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا فكلّم راع وكلّم مسؤل عن رعيته » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم

عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه الترمذي عن قتيبة كلاهما عن الليث فوق  
لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث التاسع ﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن  
عبد الله بن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المنبر يقول  
« ألا ان الفتنة ههنا مرتين من حيث يطلع قرن الشيطان » هذا حديث صحيح أخرجه  
أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة  
وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن ربح ثلاثهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا  
وأخرجه أبو عوانة عن الحرث ابن أبي أسامة عن أبي النضر به \*

﴿ الحديث العاشر ﴾ وبه الى الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن  
عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخليل معقود في نواصبيها الخير الى  
يوم القيامة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة ومسلم أيضا وابن  
ماجه عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث الحادي عشر ﴾ أنبأنا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ أبي  
عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي اجازة أذن في كتابتها لنا غير مرة عن  
القاسم بن مظفر بن عساكر وأبي نصر بن الشيرازي سمعا عليهما قرأت علي  
أم الحسن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عثمان بدمشق عن أبي الفضل بن قدامة  
قالوا أخبرنا محمد بن عبد الواحد المدني اجازة مكتوبة أخبرنا إسماعيل بن علي  
الحامي أخبرنا أبو مسلم محمد بن علي النحوي حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن  
علي بن عاصم المقرئ أخبرنا أبو هريرة بن الذهبي اجازة من دمشق قرأت علي  
أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الجعد بالقاهرة أن أبا القاسم بن مظفر بن عساكر  
أخبرهم قال الاول سمعا عليه وأنا أسمع في الرابعة واجازة أخبرنا أبو بكر محمد  
ابن عبيد الله بن الزغواني في كتابه أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد البصري أخبرنا

أبو طاهر محمد بن عبدالعزيز البخوي حدثنا كامل بن طلحة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقال بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا أنا بامرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرتك فوليت مدبراً قال أبو هريرة فبكى عمر وقال بأبي وأمي عليك أغار» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن سعيد بن أبي مریم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبدالله بن بكير وأخرجه ابن ماجه عن محمد ابن الحرث البصرى كلهم عن الليث فوق لنا بدلا عالیا \*

﴿الحديث الثاني عشر﴾ قرأت على أبي عبدالله محمد بن بهادر المسعودى عن احمد بن أبي طالب بن الشحنة سمعا أن عبدا لله بن عمر بن على أخبرهم أخبرنا عبد الاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبد الرحمن بن احمد أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبدالله الانصارى قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ممن بايع تحت الشجرة النار» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه ابوداود والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأبوداود أيضا عن يزيد بن خالد بن موهب كلهم عن الليث فوق لنا بدلا عالیا \*

﴿الحديث الثالث عشر﴾ وبه الى الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لا يمر بها الا وهو آخذ بنصولها» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمع كلهم عن الليث فوق لنا بدلا عالیا \*

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ وبه الى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «خير ما ركبت اليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه النسائي عن قتيبة ثلاثتهم عن الليث وأخرجه الطبراني في الاوسط عن أحمد بن علي الأبار عن أبي الجهم العلاء بن موسى فوقع لنا بدلا عاليا قال الطبراني لم يروه عن الليث الا العلاء بن موسى \*

( قلت ) ورواية أحمد والنسائي واردة عليه وقد رواه أيضا عبد الله بن يزيد المقرئ عن الليث روينا في الجزء الاول من فوائد أبي يحيى بن أبي مصرعة فهو لا الاربعة رووه عن الليث غير أبي الجهم :

﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ وبه الى الليث عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقع قبل أن يصل «فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاركهما» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمع كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث السادس عشر ﴾ أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن عبد الهادي وأبو هريرة الذهبي اجازة مكاتبة قالا أخبرنا عيسى بن عبد الرحمن المطعم ح وأخبرنا علي بن محمد الخطيب فيما قرأت عليه عن التقي سليمان بن حمزة بن أي عمر قالا أخبرنا أبو المنجا بن الليثي أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البناء أخبرنا أبو نصر الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الوراق حدثنا أبو بكر بن داود حدثنا عيسى حدثنا الليث عن سعيد المقبري يعني أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال في الجنة شجرة يسير الراكب في



ظلمها مائة سنة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي والنسائي كلهم عن قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري عن أبيه عن أبي هريرة فوق لنا بدلا عاليا وسقط من أصل سماعنا قوله في السند عن أبيه ولا بد منه والله اعلم ﴿الحديث السابع عشر﴾ وبالسند الماضي الى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر الانصاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رآني في المنام فقد رآني فانه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي» هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وحجين بن المتني وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن ربح كلهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا \*

﴿الحديث الثامن عشر﴾ وبه الى أبي الجهم أخبرنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احلم أحدكم فلا يخبر الناس بتلاعب الشيطان به في المنام» وبه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عرابي جاءه اني حلمت ان رأسي قطع وأنا أتبعه فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا \*

﴿الحديث التاسع عشر﴾ وبه الى أبي الجهم حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله الانصاري رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اذا رأى أحدكم الرؤيا يكرها فليصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والنسائي عن قتيبة وابو داود أيضا عن يزيد بن خالد ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن ربح خمسهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث العشرون ﴾ وبه الى أبي الجهم قال حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر «ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ام مبشر الانصارية في نخل لها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم من غرس هذا النخل أمسلم ام كافر فقالت بل مسلم فقال لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعاً فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شئ الا كان له صدقة» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عالياً \*

﴿ الحديث الحادى والعشرون ﴾ قرأت على فاطمة بنت محمد بن عبدالمهادى المقدسية بصاحية دمشق عن أبي نصر محمد بن العباد محمد بن محمد الشيرازى أن محمود بن ابراهيم كتب اليهم أخبرنا مسعود بن الحسن الثقفي أخبرنا أبو عمر عبد الوهاب بن ابى عبد الله بن منده سماعا عليه أخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عمر الخفاف اجازة حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر وعن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابوداود والترمذى والنسائى جميعاً عن قتيبة واخرجه ابن ماجه عن بن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عالياً \*

﴿ الحديث الثانى والعشرون ﴾ وبهذا الاسناد الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة أنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل صلى صلاة بغير قراءة فهي خداج فهي خداج غير تمام قال قلت اني

لأستطيع أن أقرأ مع الامام قال أقرأ في نفسك فان الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدي فأولها لى وأوسطها بينى وبين عبدي وآخرها لعبدي وله ما سأل قال الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدي قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي قال اياك نعبد و اياك نستعين قال اخلص العباد لى واستعانتى عليها فهذا بينى وبين عبدي ولعبدي ما سأل قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذا له وله ما سأل» هذا حديث صحيح أخرجه احمد ومسلم واصحاب السنن الثلاثة من طرق العلاء بن عبد الرحمن ابن يعقوب مولى الحرقة عن ابى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة ومبهم من قال عن ابيه وأبى السائب به \*

﴿الحديث الثالث والعشرون﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس «قال خر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرس فبحش فصلى بنا قاعداً فصلينا معه قعوداً ثم انصرف فقال انما جمل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا واذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعون» هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والترمذي عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿الحديث الرابع والعشرون﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابى الزبير عن جابر انه قال «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وابو بكر يكبر يسمع الناس تكبيره قال فالتفت الينا فرأنا قياما فأشار الينا فقعنا فصلينا بصلاته قعوداً فلما سلم قال ان كدتم آتينا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا انتموا بأئمتكم ان صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعداً فصلوا قعوداً» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وابو داود والنسائي عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿الحديث الخامس والعشرون﴾ أخبرني الشيخ أبو اسحاق التنوخي أخبرنا أبو العباس الصالحی أخبرنا أبو المنجا الليثی أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو عبد الله الفارسی أخبرنا أبو محمد الشریجی أخبرنا أبو القاسم البغوي حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول «من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وتراً فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد ابن ربح كلاهما من الليث فوق لنا بدلاً عالياً \*

﴿الحديث السادس والعشرون﴾ وبه إلى العلاء بن موسى حدثنا الليث ابن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء «فقال صلى الله عليه وسلم كان يوماً تصومه أهل الجاهلية فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه ومن كرهه فليدعه» هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً وابن ماجه عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلاً عالياً \*

﴿الحديث السابع والعشرون﴾ وبه إلى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فتأداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حائفاً فليحلف بالله والافليصمت» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلاً عالياً \*

﴿الحديث الثامن والعشرون﴾ وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أبامملوك كان بين شركاء فأعتق أحدهم نصيبه فانه يقوم في مال الذي يعتق قيمة عدل فيعتق ان بلغ ذلك ماله» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم والنسائي عن

قتيبة زاد مسلم ومحمد بن ربح ثلاثهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وعلقه البخارى الليث \*

( الحديث التاسع والعشرون ) وبه الى الليث عن نافع عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فنذرت أن شفاني الله لا أخرجن ولا صلين في بيت المقدس فبرئت وصحت وتجهزت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرتها بذلك فقالت انطلقى وكلى ما صنعت وصلى في مسجد الرسول فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الكعبة » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وأخرجه الطحاوي من طريق ابن وهب عن الليث وأخرجه النسائي من رواية ابن جريج فأدخل بين ابراهيم وميمونة رجلا قال سمعت نافعا يحدث عن ابراهيم بن عبد الله بن معبد أنه حدثه ان ابن عباس حدثه ان ميمونة قالت هكذا أخرجه النسائي من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج وأخرجه احمد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج كما قال الليث والله أعلم \*

( الحديث الثلاثون ) قرأت على فاطمة بنت المنجا عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عمار كتب اليهم أخبرنا القاسم بن أبي شريك إذنا وهو آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن المنقور حدثنا أبو القاسم عيسى بن الجراح قال قرئ. على أبي بكر بن أبي داود وسليمان بن الأشعث السجستاني وأنا أسمع في سنة ٣١٢ اثنتي عشرة وثلاثمائة قيل له حدثكم عيسى ابن حماد قال أخبرنا الليث عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبيه عن عائشة قالت « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه وحله » هذا حديث صحيح أخرجه باللفظ الاول النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن

محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً وأخرجه أحمد باللفظ الاول بمعناه من طريق الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم بسنده باللفظ الثاني ﴿ الحديث الحادي والثلاثون ﴾ أخبرني ابن بهادر المسعودي وزينب بنت العماد بن جعوان وابراهيم بن أحمد القاري بقرائني عليهم متفرقين كلهم عن أحمد بن الشحنة ميماء أخبرنا أبو المنجا بن الليث أخبرنا عبد الاول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهي حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ثم بمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يملأها حتى تطهر من حيضها فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن ذلك قال أما أنت إن طلقت امرأتك تطليقة أو تطليقتين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بهذا فإن كنت طلقته ثلاثاً فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك وعصيت الله تعالى فبأمرك من طلاق امرأتك هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن قتيبة زاد مسلم ويحيى بن يحيى ومحمد بن رمح إربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً وزاد مسلم في رواية عن محمد بن رمح القصة الأخيرة وعلقها البخاري فقال وقال الليث وأخرجه الدارقطني بإمامه عن البغوي فوقع لنا موافقة عالية \*

﴿ الحديث الثاني والثلاثون ﴾ وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيرقد أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عالياً

﴿ الحديث الثالث والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال « سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل الضب فقال لا آكله ولا احرمه » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد ابن رمع كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث الرابع والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبيع بعضكم على بيع بعض » وبه قال « رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه » هذا حديث صحيح أخرجه احمد عن يونس بن محمد وأخرجه مسلم والترمذى والنسائي عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث جمعهما مسلم والترمذى وفرقهما النسائي واقتصر احمد على الاول فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث الخامس والثلاثون ﴾ وبه الى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع جبل الحبلية » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا \*

﴿ الحديث السادس والثلاثون ﴾ قرأت على أم الحسن التنوخية عن أبي الفضل بن أبي الطاهر وهي آخر من حدث عنه مطلقاً أخبرنا محمد بن عماد الحراني في كتابه وهو آخر من حدث عنه عن أبي القاسم هبة الله بن الحسين الحاسب وهو آخر من حدث عنه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن المنقور البزار وهو آخر من حدث عنه بالسماع حدثنا أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود حدثنا عبد الله بن سليمان املاء حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه ان أباه ريرة قال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة الا ومعها رجل ذو محرمة منها » هذا حديث صحيح

أخرجه مسلم وأبوداود عن قتيبة عن الليث وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد الهمداني عن عيسى بن حماد فوقع لنا بدلا عاليا : وأخرجه البخاري من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبيه كذلك واختلف على مالك فيه فأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عنه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة لم يقل عن أبيه وفي بعض النسخ عن أبيه وحكى أبوداود الاختلاف فيه والاكثر لم يقولوا عن أبيه ﴿ الحديث السابع والثلاثون ﴾ قرأت على أبي محمد عمر بن محمد بن أحمد ابن سليمان البلسي ثم الصالحى بها عن زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية سمعا عن عبد الحاق بن الأنجب الماردني أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامى ح وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد الفارقى اجازة عن أحمد بن نعمة سمعا أخبرنا داود بن معمر بن الفاخر عموما قال قرىء على فاطمة بنت محمد البغدادية ونحن نسمع كلامها عن أبي عثمان سعيد العيار سمعا أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المجلدى حدثنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عقيل عن الزهرى عن سالم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم وأبوداود والترمذي والنسائي أربعتهم عن قتيبة عن الليث فوقع لنا موافقة عالية للجميع \*

﴿ الحديث الثامن والثلاثون ﴾ وبه الى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح من البيت الا الركبتين اليمنيتين : هذا حديث صحيح أخرجه البخاري وأبوداود جميعا عن أبي الوليد الطيالسي ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن الليث فوقع



لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم أيضاً والنسائي عن قتيبة فوافقناهما فيه بعلو وهذا من الأمثلة التي قدمت الإشارة اليه في آخر الترجمة أن الليث كان يحدث عن بعض شيوخه ثم يحدث عنه بواسطة فقد حدث في هذا عن ابن شهاب وحدث في الذي قبله عن عقيل عن الزهري وهو ابن شهاب وكلا الحديثين صحيحان والله تعالى أعلم

﴿ الحديث التاسع والثلاثون ﴾ وبه الي السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث وبكر بن مضمر كلاهما عن ابن الهاد هو يزيد بن عبد الله بن أسامة عن محمد ابن ابراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن أبي هريرة رضى الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيتم لو أن نهراً بياض أحدم يكفئ كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي عن قتيبة بن سعيد فوقع لنا موافقة عالية •

﴿ الحديث الأربعون ﴾ قرأت على الشيخ أبي إسحق التنوخي أن أحمد ابن أبي طالب أخبرهم سماعاً أخبرنا عبد الله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا عبد الله الفارسي أخبرنا أبو محمد الشريحي أخبرنا أبو القاسم البغوي حدثنا أبو الجهم الباهلي حدثنا الليث عن هشام بن عروة عن عروة عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حبلى فلم تلبث إلا ليالى حتى وضعت فلما حلت خطبت فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النكاح حين وضعت فأذن لها فنكحت: هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم من طريق مطولا ومختصراً من حديث سبيعة الأسلمية وأخرجه النسائي عن محمد بن وهب الخرائي عن محمد ابن سلمة الخرائي عن أبي عبد الرحمن خالد بن يزيد الخرائي عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عبيد عن زفر بن

أوس بن الحدثان عن أبي السنابل عن سبيعة وباعتبار العدد كأن شيخاً سمعه  
من الذسائي وصاحفه وبين وفاتيهما أربعائة سنة الا يسيراً وهذا في غاية العلو  
أنشدنا العلامة أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد فيما قرىء  
عليه ونحن نسمع عن الشهاب أبي الثناء محمود بن سليمان قال أنشدنا العلامة مجد  
الدين محمد بن أحمد بن الظهير لنفسه

أهل الحديث فلذ بهم أعلا الورى قدراً وأغلا  
نقلوا لنا سنن الرسو ل وأحسنوا عدلا فعدلا  
جابوا لسعيهم لذا لك حبة حزناً وسهلا  
وسروا كما تسري النجو م فأرشدوا من كان ضلا  
آيات فضلهم المبين بالسن الحساد تتلا  
أنشدنا الشيخ أبو إسحق التنوخي أنشدنا يحيى بن فضل الله العدوي  
أنشدنا القاضي أبو الفضل يحيى بن محمد القرشي لنفسه اجازة

ألهى ان عفوت ففضل جود وان عاقبت قد أوسعت فضلا  
فقد خولتني نعماً جساما ولم أك ما علمت لذاك أهلا  
ولم يمنك تقصيري وجهلى وشر صناعي قولاً وفعلاً  
من الاحسان بدأت عوداً مع الانفاس اسعافاً وفضلاً  
فتممها بمغفرة بفضو ذنوباً جتتها خطأ وجهلاً  
وأنشد الشيخ أبو إسحق قال أنشدنا يحيى بن فضل الله قال أنشدنا أبو  
محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الانصارى شيخ الشيوخ بحماه اجازة  
وكتبها عنه الحافظ الدمياطى رحمهم الله تعالى فقال

لا تغفلن أحاديث الرسول ولا تهمل تتبعها معنى وألفاظا  
وعد عن تعداها وضيعها واجمل صحابك طلاباً وحفاظا

ولا تفيض في علم يخالفها      فهي النجاة لراويها اذا فاظا  
 انتهى ما جمعه الامام الحافظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني  
 رحمه الله تعالى وقال في آخره ما صورته: علقه أحمد بن علي بن حجر  
 في يومين آخرهما الثالث عشر من شعبان سنة أربع  
 وثلاثين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل  
 وصلى الله على سيدنا محمد  
 وآله وصحبه  
 وسلم

مما أنشده الامام العلامة الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني  
 في مرضه الذي توفي فيه هذه الايات  
 قرب الرحيل الى ديار الآخرة      فاجعل إلهي خير عمري آخره  
 وارحم مبيتى في القبور ووحدي      وارحم عظامي حين تبقى ناخره  
 فأنا المسكين الذي أيامه      جاءت بأوزار غدت متواتره  
 فلئن رحمت فأنت أكرم راحم      وبحار جودك يا إلهي زاخره



# كتاب شرح الصدر

## بذكر ليلة القدر

✽ تأليف الشيخ الامام العالم العلامة ✽

✽ ولي الدين بن الحافظ الزين العراقي عليه الرحمة ✽



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نطقت بشكره الالسنه \* وجل عن أن يأخذه نوم أو سنة \*  
وفضل أزمته كما فضل أمكنة \* فجعل ليله القدر خيراً من ثلاث وثمانين سنة \*  
فقال تعالى ( إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير  
من الف شهر \* نزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر \* سلام هي  
حتى مطلع الفجر ) \*

قال المفسرون ان الضمير في أنزلناه عائد على القرآن الكريم (١) وان لم  
يتقدم ذكره لدلالة المعنى عليه كما قال تعالى ( حتى توارت بالحجاب ) ولم يتقدم  
لشمس ذكر ثم اختلفوا فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وجماعة آخرون  
أنزل الله تعالى القرآن ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة واحدة ثم نجمه على محمد  
عليه الصلاة والسلام في عشرين سنة فذاك قوله تعالى ( فلا أقسم بمواقع النجوم )

١ - سورة القدر

٢ - ص ٣٢

٣ - الواقعة ٧٥

(٣) هذا قول الجمهور وادعى الامام الرازى في تفسيره انه اجماع المفسرين : ولله لم  
يستد بقول من قال منهم ان الضمير راجع لجبريل عليه السلام وغيره لضعفه : والله اعلم

وقال الشعبي وجماعة انا ابتدأنا إنزال هذا القرآن اليك ليلة القدر ويؤيده ما ذكره جماعة أن ابتداء مجي جبريل الى النبي عليه الصلاة والسلام كان في رمضان قيل في سابعه وقيل في سابع عشره \* ومنهم من قال ابتداء مجيئه اليه في شهر رجب \* ومنهم من قال في ربيع الاول : وقيل في هذه الآية إنما جعل الانزال من رمضان لان جبريل كان يعارض النبي عليها الصلاة والسلام بالقرآن فيمحو الله ما يشاء ويثبت \* وقال جماعة المعنى انزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها فجعلوا في السببية كقول عمر رضي الله عنه ليلة نزول سورة الفتح لقد خشيت ان ينزل في قرآن \* وقول عائشة رضي الله عنها في قصة الافك لانا احقر في نفسى من ان ينزل في قرآن : قالوا ولما كانت سورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تغنياً وتجنباً كقوله تعالى ( وما أدراك ما ليلة القدر ) عبارة تغنيها كقوله تعالى ( الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة ) وقوله ( القارعة ما القارعة ) ثم ادراه تعالى بعد بقوله تعالى ( ليلة القدر خير من الف شهر ) \* وقد ذكر البخاري في صحيحه عن سفيان بن عيينة انه قال ما كان في القرآن ما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه <sup>(١)</sup> \*

وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها ليلة القدر على اقوال أحدها أنها سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها الارزاق والآجال وحوادث العالم كلها ويدفع ذلك الى الملائكة لتمثله كما قال تعالى ( فيها يفرق كل امر حكيم ) روى ذلك عن ابن عباس وقتادة وغيرهما وعزاه النووي للعلماء : ومعناه انه يظهر للملائكة والا فتقدير الله تعالى قديم \* ثانيها ان هذا من عظم القدر والشرف والشأن كما تقول فلان له قدر : روى عن الزهري \* ثالثها سميت بذلك لانها تكسب من أحيائها قدراً عظيماً لم يكن له قبل ذلك وتزيده شرفاً عند الله تعالى \* رابعها

١ - الحاقة ٣-١

٢ - القارعة ٢-١

٣ - الدخان ٤

(١) قال الحافظ في الفتح ومقصود ابن عيينة انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرف تعيين ليلة القدر : وقد تم هذا المحضر بقوله تعالى ( لله يزكي ) فانها تزكى في ابن أم مكتوم وقد علم صلى الله عليه وآله وسلم بحاله وانه ممن تزكى وتقمته الذكرى :

لان العمل فيها له قدر عظيم : وقد خص الله تعالى هذه الامة بهذه الليلة  
واختلف في سبب ذلك فروى مالك في الموطأ عن يثيق بقوله من أهل العلم  
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله <sup>(١)</sup> أو ما شاء الله من  
ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يباغوا من العمل مثل الذى بلغ غيرهم في  
طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر» وروى الترمذى في جامعه  
عن يوسف بن سعد قال « قام رجل الى الحسن بن على بعد ما بايع معاوية فقال  
سودت وجوه المؤمنين أو يأسود وجوه المؤمنين فقال لا تؤذنى رحمك الله  
فان النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساء ذلك فنزات ( انا  
أعطيتك السكوتر ) يعنى نهراً فى الجنة ونزلت ( انا انزلناه فى ليلة القدر وما أدراك  
ماليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر ) يملكها بعدك بنو أمية يا محمد قال القاسم  
بن الفضل أحد رواته فمددناها فإذا هي الف شهر لا تنقص يوماً ولا تزيد يوماً <sup>(٢)</sup>  
قلت نعم كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بنى أمية هذا  
القدر أعنى الف شهر وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلاث عام» وقال الترمذي  
هذا حديث غريب <sup>(٣)</sup>

١ - سورة الكوثر ١

٢ - سورة القدر ١ - ٢

قوله ( تنزل الملائكة والروح ) فليل هو جبريل عليه السلام وقيل هم صنف من

(١) قال الباجي فى شرح هذا الحديث: يحتمل ان يريدانه رأى اعمار سائر الامم أطول  
تخاف ان لا تبلغ امته من العمل فى قصر اعمارها ما بلغه غيرها من الامم فى طول اعمارها  
فتفضل الله تبارك وتعالى على هذه الامة بليلة القدر وهى تقتضى اختصاص هذه الامة بهذه  
الليلة : والله اعلم

(٢) فى الاصل المنقول منه ما نصه قائمة نقل عن الخليل بن احمد انه قال القدر هو الضيق لانها

ليلة تضيق فيها الارض عن الملائكة الذين ينزلون وهذا قول خامس كذا بالهامش  
(٣) وطعن القاضى عبد الجبار فى كون الاية اشارة لما ذكر بان أيام بنى أمية كانت مذمومة

اى باعتبار القالب فيبعد ان يقال فى شأن تلك الليلة انها خير من الف شهر مذمومة  
الم تر ان السيف ينقص قدره • اذا قيل ان السيف خير من المعصاة

اجيب بان تلك الايام كانت عظيمة بحسب السعادات الدنيوية :

الملائكة وعلى كلا القولين هو عطف خاص على عام وقيل هم صنف من الخلق سماوى حفظه على الملائكة كما ان الملائكة حفظه على بنى آدم وهم على صفة بنى آدم ولا ترام الملائكة

وقوله « باذن ربهم » الى آخره من قال ان الارزاق تقدر في هذه الليلة جعل نزول الملائكة بسبب ذلك وجعل من سببية التقدير تنزل الملائكة بسبب كل أمر وجعل سلام هي ابتداء كلام اى هي سلام الى طلوع فجر يومها: ومن لم يقل بتقدير الارزاق في هذه الليلة جعل قوله (من كل امر) متعلقاً بقوله سلام اى انها سلام أى سلامة من كل امر \* قال مجاهد لا يصيب احدأها داء: وقال الشعبي ومنصور هي سلام بمعنى التحية اى تسلم فيها الملائكة على المؤمنين: وهذه الآيات مصرحة بشرفها ومنوثة باسمها وذكرها وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي سنن النسائي الكبرى (وما تأخر) وكذا في مسند احمد ومعجم الطبرانى من حديث عبادة « وما تأخر » وسيأتى ذكره وهذه فضيلة عظيمة حاضرة على طلبها \*

وقد أجمع من يعتمد به من العلماء على بقائها وانها لم ترفع بل هي باقية الى آخر الدهر قال القاضى عياض رحمه الله وشك قوم فقالوا رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاهى الرجلان « فرفعت » وهذا غلط من هؤلاء الشاكين لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال « فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في السبع والنسع » هكذا هو في اول صحيح البخارى (١) وفيه تصريح المراد برفعها رفع بيان علم عينها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتمسها \* قلت وحكاها ابن عطية عن ابى حنيفة وقوم اعنى القول برفعها قال وهذا قول مردود وانما رفع تعيينها انتهى

(١) هكذا الاصل وليس كذلك ولعله في أول باب ليلة القدر في صحيح البخارى

وقد اختلف العلماء في محلها فذهب جمع من العلماء الى انها تلزم ليلة بعينها واختلف هؤلاء في تعيين تلك الليلة على اقوال احدها انها في جميع السنة وهو المشهور عن ابي حنيفة رضى الله عنه ويشهد له قول عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ومن يقيم الحول يصيبها لكن في صحيح مسلم عن زر ابن حبيش قال سألت ابي بن كعب فقلت ان أخاك ابن مسعود يقول من يقيم الحول يصيب ليلة القدر فقال رحمه الله أراد أن لا يغفل الناس أما انه قد علم انها في رمضان وانها في العشر الاواخر وانها ليلة سبع وعشرين فبهذا فهم ابي من كلام عبدالله « ويشهد له ما في مسند احمد عن ابي عقرب قال «غدت الى ابن مسعود ذات غداة في رمضان فوجدته فوق بيت جالساً فسمعنا صوته وهو يقول صدق الله وبلغ رسوله فقلنا سمعناك تقول صدق الله وبلغ رسوله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في السبع الاواخر تطلع الشمس غداة غدا صافية ليس لها شعاع فنظرت فوجدتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ورواه البزار في مسنده بنحوه : وفي معجم الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال ابيكم يذكر ليلة القدر الصباوات فقال عبدالله أنا بأني أنت وأمي يا رسول الله حين طلع الفجر وذلك ليلة سبع وعشرين » والحديث في عدة كتب لكن لم أر التصريح بليلة سبع وعشرين الا في معجم الطبراني الكبير فلذلك اقتصر على عزوه اليه :

الثاني انها في شهر رمضان كله وهو قول ابن عمر رضى الله عنهما وجماعة من الصحابة : وفي سنن أبي داود عن ابن عمر قال «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع قال هي في كل رمضان » قال قال أبو داود وروي موقوفاً عليه قلت الحديث محتمل للتأويل بأن يكون المعنى بأنها تتكرر وتوجد في كل سنة في رمضان لانها وجدت مرة في الدهر فلا يكون له دليل لهذا القول :



الثالث انها أول ليلة من شهر رمضان قاله ابو رزين العقيلي الصحابي رضى الله عنه

الرابع انها في العشر الاوسط والاواخر ويرده ما في الصحيح عن أبي سعيد من قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لما أن اعتكف العشر الاوسط « ان الذي تطلب أمامك »

الخامس انها في العشر الاواخر فقط ويدل له قول النبي صلى الله عليه وسلم « التمسوها في العشر الاواخر » وقوله صلى الله عليه وسلم « انى أعتكف العشر الاول أتمس هذه الليلة ثم أتمس العشر الاوسط ثم أتيت قيل لى انها في العشر الاواخر » السادس انها تختص بأوتار العشر الاواخر لقوله صلى الله عليه وسلم « التمسوها في العشر الاواخر في وتر » وفي مسند احمد ومعجم الطبرانى الكبير عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر في إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها ابتغاءها إيماناً واحتساباً ثم وفقت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » فيه عبد الله بن محمد بن عقيل وحديثه حسن يرويه عمر بن عبد الرحمن وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ليس بابن عوف: وقال الطبرانى أظنه ابن الحارث بن هشام \* وفي هذا الحديث فائدتان حسنتان احدهما قوله وما تأخر وقد تقدم التنبيه عليها \* الثانية انه انما يترتب الثواب على قيامها بقصد ابتغائها لا على مطلق القيام : وفيه اشكال لقوله « أو آخر ليلة » لانه قال أولا فانها في وتر وآخر ليلة ليست وترأ ان كان الشهر كاملا وان كان ناقصا فهي ليلة تسع وعشرين فلا معنى لعطفها عليها لأن العطف يقتضى المغايرة \* ويجاب عنه بأن قوله أو في آخر ليلة معطوف

على قوله فانها في وتر لا على قوله أو تسع وعشرين فليس تفسيراً للوتر بل معطوف عليه

السابع انها تختص باشفاعه لقول أبي سعيد الخدري «وقد قيل له ما التاسعة والسابعة والخامسة اما<sup>(١)</sup> واحد وعشرون فالتى تليها ثنتان وعشرون وهي التاسعة فاذا مضت ثلاث وعشرون فالتى تليها السابعة فاذا مضت خمس وعشرون فالتى تليها الخامسة

الثامن انها ليلة سبع عشرة وهو مروي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً \* ففى معجم الطبراني عن زيد بن أرقم قال ما أشك وما اتمرى انها ليلة سبع عشرة ليلة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان<sup>(٢)</sup> \* وعن زيد بن ثابت انه كان يحكى ليلة سبع عشرة فقيل له نحكى ليلة سبع عشرة قال ان فيها نزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان يصبح فيها مبتهج الوجه قلت : وحكى أيضاً عن الحسن البصري

التاسع انها ليلة تسع عشرة وهو يحكى عن علي بن أبي طالب وابن مسعود أيضاً<sup>(٣)</sup>

العاشر انها تطلب ليلة سبع عشرة بتقديم السين أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين حكى عن علي وابن مسعود أيضاً ويشهد له ما في سنن أبي داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت » والله أعلم

(١) أقول رواية أبي سعيد فى صحيح مسلم ليس فيها أما ونصها هكذا قال قلت ما التاسعة والسابعة والخامسة قال اذا مضت واحدة وعشرون فالتى تليها الخ ما ذكر هنا : تنبيه (٢) ورواه ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم : وأخرجه أبو داود أيضاً عن ابن مسعود : (٣) قال الحافظ فى الفتح ورواه عبد الرزاق عن علي وعزاء الطبرى لزيد بن ثابت

وابن مسعود ووصله الطحاوى عن ابن مسعود :

الحادى عشر أنها ليلة احدى وعشرين يدل له حديث أبى سعيد الثابت في الصحيح الذي فيه وانى رأيتها ليلة وترو انى أسجد فى صبيحتها في ماء وطين فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام الى الصبح فطمرت السماء فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاته وجبينه وأنفه فيهما الماء والطين واذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر»

الثاني عشر انها ليلة ثلاث وعشرين وهو قول جمع كثير من الصحابة وغيرهم ويدل لها ما في صحيح مسلم عن عبد الله بن انيس « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها واذا في صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فطمرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه » وفي صحيح مسلم ايضا عن أبى هريرة « قال تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أياكم يذكر ليلة طلع القمر وهو مثل شق جفنة<sup>(١)</sup> » وفي مسند احمد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم « قال نظرت الى القمر صبيحة ليلة القدر فرأيتها كأنه فلق جفنة » قال ابو اسحق السبيعي انما يكون القمر كذلك صبيحة ثلاث وعشرين: ورواه عبد الله بن احمد في زياداته عن على قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت ليلة حين بزغ القمر كأنه فلق جفنة فقال الليلة ليلة القدر » وكذا رواه ابو يعلى الموصلى في مسنده مرفوعا : وفيه ان الصحابي هو على رضى الله عنه \* وفي سنن أبى داود عن عبد الله بن انيس قال قلت « يا رسول الله ان لى بادية أكون فيها وأصلى فيها بمحمد الله فمرنى بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين » وروى الطبرانى في معجمه الكبير مثله عن عبد الله بن جحش

(١) الشق بكسر الشين النصف والجفنة بفتح الجيم وسكون الفاء اناه معروف كالقصعة وهو اشارة الى أنها موجودة متعققة الرؤية :

عن ابيه مرفوعا : وفي مسند احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتيت وانا نائم في رمضان فقبل لى ان الليلة ليلة القدر قال فقامت وانا ناعس فتعلقت ببعض أطناب النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يصلي فنظرت في تلك الليلة فاذا هى ليلة ثلاث وعشرين « ورجاله رجال الصحيح » ورواه الطبرانى في معجمه الكبير ايضا

الثالث عشر انها ليلة اربع وعشرين وهو مروي عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة : وفي صحيح البخارى عن ابن عباس موقوفا عليه « التمسوها ليلة القدر في اربع وعشرين » ذكره عقب حديثه الآتى « هي في العشر في سبع يمضين أو في سبع بقين » : وظاهره انه تفسير للحديث فيكون عمدة \* وفي مسند احمد عن بلال « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة اربع وعشرين » الرابع عشر انها تكون في ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين وهو محكي عن ابن عباس رضى الله عنه ويدل له ما في صحيح البخارى عن ابن عباس « قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع يمضين أو سبع بقين يعنى ليلة القدر » \* وما في مسند البزار باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال كنت أعلمتها ثم انفلتت منى اطلبوها في سبع بقين أو ثلاث بقين »

الخامس عشر انها ليلة سبع وعشرين وهذا عليه جمع كثيرون من الصحابة وغيرهم فكان أبى بن كعب رضى الله عنه يحلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين كما هو ثابت في الصحيح فقبل له بأي شئ . تقول ذلك يا أبا المنذر فقال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها \* وفي سنن أبى داود عن معاوية رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر « قال ليلة سبع وعشرين » \* وفي مسند احمد باسناد

على شرط الشيخين عن ابن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان متحرّجاً فليتحراها ليلة سبع وعشرين وقال تحروها ليلة سبع وعشرين يعني القدر » ورواه الطبراني في معجمه الكبير : وفي معجم الطبراني الاوسط باسناد لا بأس به عن جابر بن سمرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » • واستدل ابن عباس على ذلك بأن الانسان خلق من سبع وجعل رزقه في سبع واستحسن ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه : واستدل بعضهم على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر ليلة القدر في السورة المتقدم ذكرها ثلاث مرات وعدد حروف ليلة القدر تسعة أحرف والمرتفع من ضرب ثلاثة في تسعة سبع وعشرون فتكريرها ثلاثاً دون غيره اشارة الى ذلك : واستدل أيضاً بأن عدد كلمات السورة الى قوله هي سبع وعشرون كلمة : وفيه اشارة الى ذلك •

ونقل أبو محمد بن عطية في تفسيره نظير ذلك في قول بعضهم ان ملائكة النار الذين قال فيهم الله (عليها تسعة عشر) عددهم كهده حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل أفعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فيها قوتهم واستغاثتهم: وفي قول بعضهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه انها بضعة وثلاثون حرفاً فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها » قال ابن عطية وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم

السادس عشر انها في آخر ليلة من الشهر : وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن أنيس قال « كنت في مجلس نبي سلمة وأنا أصغرم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب وقت يباب

بيته فمر بي فقال ادخل فدخلت فأني بعشائه فلقد كنت أ كف يدي عنه من قلته فلما فرغ قال ناوتني نعلي فقام وقت معه فلما خرجنا قال كانت لك حاجة فقلت أجل أرسلني اليك رهط من بني سلمة يستلونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة قلت اثنتان وعشرون قال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ليلة ثلاث وعشرين \* وفي جامع الترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه « قال ما أنا ملتصقها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها لتسع بقين أو لسبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث أو اواخر ليلة » قال ت حسن صحيح \* وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت « قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة . » وفي سنن أبي داود عن ابن عباس « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى » \* وفي مسند احمد عن معاذ بن جبل « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ليلة القدر فقال هي في العشر الاواخر قم في الثالثة أو الخامسة » \* وفي مسند احمد أيضاً باسناد جيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة أو تاسعة عشرين ان الملائكة تلك الليلة في الارض اكثر من عدد النجوم » \* وفي معجم الطبراني الاوسط عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوا ليلة القدر في سبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين » وفيه أبو المهزم ضعيف

وقد تضمنت هذه الاحاديث اقوالاً في ليلة القدر لم أر أحداً من العلماء

صرح بالقول فيها فإن عددناها فيكون في المسئلة اثنان وعشرون قولاً تقدم بيان ستة عشر منها

السابع عشر ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين<sup>(١)</sup>

الثامن عشر ليلة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع وعشرين أو آخر ليلة:

التاسع عشر ليلة احدى أو ثلاث أو خمس وعشرين دليله حديث عبادة

المتقدم فإن الظاهر أن المراد بالتاسعة تبقى لتقدمه التاسعة على السابعة وهي الخامسة.

العشرون ليلة ثلاث أو خمس وعشرين دليله حديث معاذ المتقدم إذا الظاهر

أن المراد قم في الثالثة بمعنى لتقدمه على الخامسة

الحادي والعشرون ليلة السابع أو التاسع والعشرين

الثاني والعشرون أنها في أوتار العشر الاخير أو في ليلة سبع عشرة أو

تسع عشرة هذا كله تفريع على القول بأنها تلزم ليلة بعينها كما هو مذهب الشافعي

والصحيح من مذهبه أنها تختص بالعشر الاخير وأنها في الاوتار أرجاها في

الاشفاق وأرجاها ليلة الحادي والعشرين والثالث والعشرين وهذا أيضاً يحسن

أن يكون قولاً في المسئلة فيكمل به الاقوال ثلاثة وعشرين قولاً وتقدم قول من

يرى أنها رفعت فيكون أربعة وعشرين قولاً

وذهب جماعة من العلماء الى أنها تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى

وهكذا : وهذا قول مالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه

وابن ثور وغيرهم وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا نعرفه عنه ولكن

قال به من أصحابه المزي وأبن خزيمة وهو المختار عند النووي وغيره للجمع

بين الاحاديث الواردة في ذلك فاتها اختلفت اختلافا لا يمكن معه الجمع بينها

الا بما ذكرناه وبه يصير في المسئلة خمسة وعشرون قولاً

(١) لحديث عبد الله بن أنيس عند أحمد .

وذهب ابن حزم الظاهري الى انحصارها في اوتار العشر الاخير لكن  
 أول العشرين ليلة العشرين ان كان ناقصاً وليلة الحادي والعشرين ان كان  
 تاماً فهي مترددة بين ليلة الحادي والعشرين وما بعدها من الاوتار ان تم الشهر وبين  
 ليلة العشرين وما بعدها من الأشفاق ان نقص الشهر وهذا قول سادس وعشرون  
 واعلم ان ليلة القدر موجودة ويربها الله تعالى لمن شاء من بني آدم بحيث  
 يتحققها: واخبار الصالحين برؤيتهم لها كثيرة ولا يلتفت الى قول المهلكة (٢) أى  
 صغيرة لا يمكن رؤيتها حقيقة فانه غلط فاحش كما قال النووي رحمه الله \* وقال بعض  
 العلماء اخفى الله هذه الليلة عن عباده كيلا يتكلموا على فضلها ويقصروا في غيرها  
 فأراد منهم الجدي العمل ابدأ فانهم لذلك خلقوا كما قال الله تعالى ( وما خلقت  
 الجن والانس الا ليعبدون ) وبهذا يعبر في المسئلة سبعة وعشرين قولاً \*

ويدل لهذا القول مافي معجم الطبراني الكبير باسناد حسن عن عبد الله بن  
 انيس انه قال « يارسول الله اخبرني أى ليلة تنبغى فيها ليلة القدر فقال لو لا أن  
 يترك الناس الصلاة الا تلك الليلة لاخبرتك \* » وفي مسند البزار عن الاوزاعي  
 حدثني مرثد او ابو مرثد عن ابيه « قال لقيت أبا ذر عند الجرة الوسطى  
 فسأته عن ليلة القدر فقال ما كان احد بأسأل لهذا مني قلت يارسول الله انزلت  
 علي الانبياء بوحي اليهم ثم رفع قال بل هي الى يوم القيامة قلت يارسول الله  
 اينها هي قال لو أذن لي لأبأتك بها ولكن التمسها في التسعين او السبعين ولا  
 نسألي بعدها قال نعم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يحدث قلت  
 يارسول الله أي السبعين فغضب علي غضبة لم يغضب علي قبلها ولا بعدها مثلها ثم  
 قال ألم أنك عنها لو أذن لي لأبأتك بها وذكر كلمة ان تكون في السبع الاوخر \* »

### فصل

قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر علامات ليلة القدر تقدم ذكر  
 واحدة منها وهي كون الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها وهي اصبح العلامات \*



وفي مسند احمد باسناد جيد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امارات ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قرأ ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا محل للكب يرى بها حتى يصبح وان من اماراتها ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ»

وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله قولين في كونها تطلع لاشعاع لها احدها انها علامة جعلها الله تعالى ثانيهما ان ذلك لكثرة اختلاف الملائكة في ليلتها ونزولها الى الارض وصعودها بما تنزل به سترت بأجنحتها وأجسامها اللطيفة ضوء الشمس وشعاعها : وفي معجم الطبراني الكبير عن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ليلة القدر بلجة لاحارة ولا باردة ولا سحب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرى فيها بنجم ومن علامة يومها تطلع الشمس ولا شعاع لها » فيه بشر بن عون وبكار بن نعيم وهما ضعيفان \* وفي مسند البزار عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة القدر طلقة لاحارة ولا باردة » فيه مسلمة بن حبان وغيره وتكلم فيه \* فان قلت فقد روى الطبراني في معجمه الكبير من رواية شريك عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة يرفع الحديث « قال قال رأيت ليلة القدر فأنسيتها فاطلوا بها في العشر الاواخر وهي ليلة ريح ومطر ورعد » ورواه البزار بنحوه ويوافق حديث أبي سعيد الذي فيه « فوكف المسجد فأبصرت عيناى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه أثر الماء والطين » قلت هذا تقرر عندك وما اخترناه من انها لا تلزم ليلة بعينها بل تنتقل فلعلها كانت في سنة ساكنة ليس فيها ريح ولا مطر والله أعلم ثم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه \* وحسبنا الله ونعم الوكيل \* ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم \* وكان الفراغ من ذلك في يوم الاحد المبارك ثاني عشرين من شهر رمضان المعظم من شهور سنة الف ومائة وسبع وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده

# رسالة الحافظ البيهقي

❖ الى ❖

أبي محمد الجويني والد امام الحرمين <sup>(١)</sup>



## بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الى أبو عبد الله الحافظ وخلق من مشايخنا عن أبي الفضل بن عساكر  
عن أبي روح الهروي عن أبي المظفر السمعاني عن أبيه الحافظ أبي سعد قال أنا  
أبو نصر علي بن مسعود محمد الشجاعى اذنا قال حدثنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد  
ابن الحسين البيهقي قال سلام الله ورحمته على الشيخ الامام واني أحمد اليه  
الله الذى لا اله الا هو وحده لا شريك له وأصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم :  
أما بعد عصمنا الله بطاعته وأكرمنا بالاعتصام بسنة خيرته من بريته صلى الله  
عليه وسلم وأعاننا على الاقتداء بالسلف الصالحين من أمته وعاقبنا فى ديننا ودنيانا  
وكفانا كل هول دون الجنة بفضلته ورحمته انه واسع المغفرة والرحمة وبه التوفيق :

---

(١) المقصود من ادراج هذه الرسالة ضمن الجزء الثاني من مجموعة الرسائل المنيرة بيان  
ما كان عليه الاوائل من الاخلاص والرجوع الى الحق بعد ظهوره والاقترار بالصواب : وأرجو  
الله أن يوفق علماءنا الى ذلك : ولنظر القارئ الى كيفية الرد واستعمال الادب مع الاكابر  
ولين الجانب لهم : والحجة انما تكون بالدلائل الثقلية والبراهين العقلية لا كما يفعله أهل هذا  
الزمان من السباب والشتائم وغير ذلك من أنواع الفسوق نسأل الله التوفيق

والعصمة فقلبي للشيخ أدام الله عصمته وأيد أيامه مقتد ولساني له بالخبر ذاكر  
 والله تعالى على حسن توفيقه إياه شاكر والله جل ثناؤه بزيده توفيقاً وتأيداً  
 وتسديداً وقد علم الشيخ أدام الله توفيقه اشتغالي بالحديث واجتهادي في طلبه  
 ومعظم مقصودي منه في الابتداء التمييز بين ما يصح الاحتجاج به من الاخبار  
 وبين ما لا يصح حتى رأيت المحدثين من أصحابنا يرسلونها في المسائل على ما يحضرم  
 من ألفاظها من غير تمييز منهم بين صحيحها وسقيمها ثم اذا احتج عليهم بعض  
 مخالفينهم بحديث شق عليهم تأويله أخذوا في تعليقه بما وجدوه في كتب المتقدمين  
 من أصحابنا تقليداً ولو عرفوه معرفتهم لميزوا بين صحيح ما يوافق أحوالهم من  
 سقيمهم ولا مسكوا عن كثير مما يحتجون به وان كان يطابق آراءهم ولاقتدوا في  
 ترك الاحتجاج برواية الضعفاء والمجهولين بامامهم فشرطه فيمن يقبل خبره عند  
 من يعتنى بمعرفته مشهور وهو بشرحه في كتاب الرسالة مسطور وماورد من  
 الاخبار بضعف روايته أو انقطاع اسناده كثير والعلم به على من جاهد فيه سهل  
 يسير وقد احتج في ترك الاحتجاج بالمجهولين بما أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله  
 الحافظ قال حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال حدثنا الربيع بن سليمان قال  
 حدثنا الشافعي حدثنا سفيان عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وحدثوا  
 عني ولا تكذبوا علي»

قال الشافعي أحاط العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر أحداً بحال  
 أن يكذب على بني اسرائيل ولا على غيرهم فاذا أباح الحديث على بني  
 اسرائيل فليس أن يقبلوا الحديث الكذب على بني اسرائيل لانه يروى عنه  
 صلى الله عليه وسلم انه قال «من حدث بحديث وهو يراه كذبا فهو أحد الكذابين»  
 وانما أباح قبول ذلك عن حدث به ممن يحتمل صدقه وكذبه قال واذا فرق بين

الحديث عنه والحديث عن بنى اسرائيل فقال حدثوا عنى ولا تكذبوا على قال علم ان شاء الله يحيط ان الكذب الذي نهام عنه هو الكذب الخفى وذلك الحديث عن لا يعرف صدقه ثم حكى الشافعى في رد حديث الضعفاء عن ابن عمر وعن عروة بن الزبير وسعد بن ابراهيم وحكاه في كتاب العمري عن عطاء بن أبى رباح وطاووس وابن سيرين وابراهيم النخعى ثم قال ولا اقيمت ولا علمت أحداً من أهل العلم بالحديث يخالف هذا المذهب قال الشيخ الفقيه احمد وانما يخالفه بعض من لا يعد من أهل الحديث فيرى قبول رواية الجهولين ما لم يعلم ما يوجب رد خبرهم وقد قال الشافعى رضى الله عنه في أول كتاب الطهارة حين ذكر ما تكون به الطهارة من الماء واعتمد فيه على ظاهر القرآن وقد روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً يوافق ظاهر القرآن في اسناده من لا اعرفه ثم ذكر حديثه عن مالك عن صفوان بن سليم عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبى بردة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في البحر وعسى لم يخطر ببال فقيه من فقهاء عصرنا ريب في صحة هذا الحديث وامامه يقول في اسناده من لا اعرفه وانما قال ذلك لاختلاف وقع في اسم المغيرة بن أبى بردة ثم في وصلة بذكر أبى هريرة مع ابداع مالك بن انس اياه كتابه الموطأ ومشهور فيما بين الحفاظ انه لم يودعه رواية من يرغب عنه الا رواية عبد الكريم بن أمية وعطاء الخراسانى فقد رغب عنهما غير مرة

وتوقف الشافعى في ايجاب الغسل من غسل الميت واعتذر بان بعض الحفاظ أدخل بين أبى صالح وأبى هريرة اسحق مولى زائدة وانه لا يعرفه ولعله ان يكون ثقة وتوقف في اثبات الوقت الثانى لصلاة المغرب مع احاديث صحاح رويت فيه بعد امامة جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يثبت عنده من عدالة روايتها من قبول خبرهم وكانه وقع لمحمد بن اسماعيل

البخاري رحمه الله بعده ما وقع له حتى لم يخرج شيئا من تلك الاحاديث في كتابه ووقف مسلم بن الحجاج على ما يوجب قبول خبرهم ووثق بمفظم من رفع المختلف في رفعه منها فقبله وأخرجه في الصحيح وهو في حديث أبي موسى وبريرة وعبد الله بن أبي عمر واحتج الشافعي في كتاب احكام القرآن برواية عائشة في ان زوج بريرة كان عبدا وأن بعض من تكلم فيه قال له هل يروون عن غير عائشة انه عبد قال الشافعي في المعتقدة وهي أعلم به من غيرها وقد روي من وجبين قد أثبت أنت ما هو أضعف منهما ونحن إنما ثبت ما هو أقوى منهما فذكر حديث عكرمة عن ابن عباس وحديث القاسم العمري عن عبد الله بن دينار عن أبي عمرو ان زوج بريرة كان عبدا وحديث عكرمة عن ابن عباس قد أخرجه البخاري في الصحيح الا ان عكرمة مختلف في عدالته كان أنس بن مالك رحمه الله تعالى وأبان لا يرضاه وتكلم فيه سعيد بن المسيب وعطاء وجماعة من أهل العلم بالحديث ولذلك ترك مسلم بن الحجاج الاحتجاج بروايته في كتابه والقاسم العمري ضعيف عندهم قال الشافعي لخصمه نحن إنما ثبت ما هو أقوى منهما وقال في أثرين ذكرهما في كتاب الحدود وهاتان الروايتان وان لم يخالفانا غير معروفين ونحن نرجو ان لا نكون ممن تدعوه الحجة على من خالفه الى قبول خبر من لا يثبت خبره بمعرفته عنده

وله من هذا أشياء كثيرة يكتفي باقل من هذا من سلك سبيل النصفة فهذا مذهبه في قبول الاخبار وهو مذهب القديما من أهل الآثار؛ قال البيهقي رضى الله عنه وكنت اسمع رغبة الشيخ رضى الله عنه في سماع الحديث والنظر في كتب أهله فاشكر اليه واشكر الله تعالى عليه وأقول في نفسي ثم فيما بين الناس قد جاء الله عز وجل بمن يرغب في الحديث ويرغب فيه من بين الفقهاء ويميز فيما يرويه ويحتج به الصحيح من السقيم من جملة العلماء وأرجو من الله ان

يجي سنة إمامنا المطلي في قبول الآثار حيث أمانها أكثر فقهاء الامصار بعد من  
مضى من الائمة الكبار الذين جمعوا بين نوعي العلم والاخبار ثم لم يرض بعضهم  
بالجهل به حتى رأته حل العامل به في الوقوع فيه والازدراء به والضحك منه وهو  
مع هذا يعظم صاحب مذهبه ويحمله ويزعم انه لا يفارق في منصوصاته قوله ثم  
بدع في كيفية قبول الحديث ورد طريقته ولا يسلك فيها سيرته لقلة معرفته بما  
عرف وكثرة غفلة عما عليه وقف هلا نظر في كتبه ثم اعتبر باحتياطه في انتقاده  
لرواة خبره واعتماده فيمن اشبه عليه حاله على رواية غيره فترى سلوك مذهبه مع  
دلالة العقل والسمع واجبا على كل من انتصب للفن يا فاما ان يجتهد في تعلمه أو  
يسكت عن الوقوع فيمن يعلمه ولا يجتمع عليه ووزان حيث فاته الاجران والله  
المستعان وعليه التكلان

ثم ان بعض اصحاب الشيخ أدام الله عزه وقع الى هذه الناحية  
فعرض علي أجزاء ثلاثة مما أملاه من كتابه المسمى بالحيط فسمرت به  
ورجوت ان يكون الامر فيما يورده من الاخبار على طريقة من مضى من الائمة  
الكبار لا ثقا بما خص به من علم الاصل والفرع موافقا لما ميز به من فضل العلم  
والورع فاذا أول حديث وقع عليه بصرى الحديث المرفوع في النهي عن الاعتسال  
بالماء الشمس فقلت في نفسي يورده ثم يضعفه ويضعف القول فيه فرأيت قد أملى  
والخبر فيه ما روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فقلت هلا قال  
روى عن عائشة أو روى عن ابن وهب عن مالك أو روى عن مالك أو روى  
عن اسماعيل بن عمرو الكوفي عن ابن وهب عن مالك أو روى خالد بن اسماعيل  
أو وهب بن وهب ابو البحتري عن هشام بن عروة أو روى عمرو بن محمد  
الاعسم عن فليح عن الزهري عن عروة ليكون الحديث مضافا الى ما يليق به مثل  
هذه الرواية ولا يكون في مثل هذا على مالك بن انس ما أظنه يبرأ الى الله تعالى

من روايته ظنا مقرونا بعلم

ثم اني رأيته أدام الله عصمته أول حديث التسمية وضعف ما روى عن ربيعة بن ابى عبد الرحمن في تأويله بحديث شهد به على الاعمش انه رواه عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن توشأ وسعى وفيمن توشأ ولم يسم وهذا حديث تفرد به يحيى بن هاشم السمسار عن الاعمش ولا يشك أحد في ضعفه ورواه أيضاً عبد الله بن حكيم عن ابى بكر الزاهري عن عامر بن محمد عن نافع بن عمر فروعا وابو بكر الزاهري ضعيف لا يحتاج بخبره وروى من وجه آخر مجهول عن ابى هريرة ولا يثبت وحديث التسمية قد روى من أوجه ما وجه من وجوها الا وهو مثل اسناد من اسانيد ما روى في مقالته ومع ذلك فاحمد بن حنبل يقول لا أعلم فيه حديثاً ثابتاً فقلت في نفسى قد ترك الشيخ حرس الله مهجته القوم فيما أحدثوا من المساهلة في رواية الاحاديث وأحسبه سلك هذه الطريقة فيما حكى له عند مسح وجهه يديه في قنوت صلاة الصبح واحسن الظن برواية من روى مسح الوجه باليدين بعد الدعاء مع ما اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال اخبرنا ابو بكر الخراجى قال حدثنا سارية حدثنا عبد الكريم السكري قال حدثنا وهب بن زمعة اخبرنا على النسائي قال سألت عبد الله بن المبارك عن الذى إذا دعا مسح وجهه فلم يحبب قال على ولم اره يفعل ذلك قال وكان عبد الله يقنت بعد الركوع في الوتر وكان يرفع يديه في القنوت واخبرنا ابو على الرويزبادي حدثنا ابو بكر بن داسة قال قال ابو داود السجستاني روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب وهذا الطريق امثلها وهو ضعيف ايضا يريد به حديث عبد الله بن يعقوب عن حدثه عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم «سلوا الله يبطون اكنفكم ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» وروى ذلك من أوجه اخر

كلها اضعف من رواية من رواها عن ابن عباس وقال احمد بن حنبل ينكرها وحكى عنه انه قال في الصلاة ولا بأس به في غير الصلاة وقال هذا لما في استعماله في الصلاة من ادخال عمل عليها لم يثبت به اثر وقد يدعو في آخر تشهده ثم لا يرفع يديه ولا يمسحهما بوجهه اذ لم يرد بهما اثر فكذا في دعاء القنوت يرفع يديه لورود الاثر به ولا يمسح بهما وجهه اذ لم يثبت فيه اثر وبالله التوفيق

وعندي ان من سلك من الفقهاء هذه الطريقة في المساهلة أنكر عليه قوله مع كثير ممن روى هذه الاحاديث في خلافه واذا كان هذا اختياره فسيبيله أدام الله توفيقه على في مثل هذه الاحاديث روى عن فلان ولا يقول روى فلان لثلاث يكون شاهدا على فلان بروايته من غير ثبت وهو ان فعل ذلك وجد فعله متبعا فقد أخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال سمعت ابا الوليد الفقيه يقول لما سمع ابو عثمان الحيرى من ابى حنيفة ان كتابه المخرج على كتاب مسلم كان يديم النظر فيه فكان اذا جلس للذكر يقول في بعض ما يذكّر من الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول في بعضه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظرتا فاذا به قد حفظ ما في الكتاب حتى ميز بين صحيح الاخبار وسقيمها وأبو عثمان الحيرى محتاط في هذا النوع من الاحتياط فيما يورد من الاخبار في المواعظ وفي فضائل الاعمال فالذي يوردها في الفرض والنفل ويحتج بها في الحلال والحرام أولى بالاحتياط وأحوج اليه وبالله التوفيق قال الفقيه قد رأيت بعضا مما أوردت عليه شيئا من هذه الطريقة فزع في ردها الى اختلاف الحفاظ في تصحيح الاخبار وتضعيفها ولو عرف اختلافهم لعرف انه لا فرج له في الاحتجاج به كما لا فرج لمن خالفنا في أصول الديانات في الاحتجاج علينا باختلافنا في المجتهديات واختلاف الحفاظ في ذلك لا يوجب رد الجميع ولا قبول الجميع وكان من سبيله ان يعلم ان الاحاديث المروية على ثلاثة أنواع نوع اتفق أهل العلم



به على صحته ونوع اتفقوا على ضعفه ونوع اختلف في ثبوته فبعضهم يضعف بعض رواته بمرح ظهر له وخفى على غيره أو لم يظهر له من عدالته ما يوجب قبول خبره وقد ظهر لغيره أو عرف منه معنى يوجب عنده رد خبره وذلك المعنى لا يوجبه عند غيره أو عرف أحدهما علة حديث ظهر بها انقطاعه أو انقطاع بعض الفاظه أو ادراج لفظ من الفاظ من رواه في متنه أو دخول اسناد حديث في اسناد غيره خفيت تلك العلة على غيره فاذا عرف هذا وعرف بمعنى رد منهم خبراً أو قبول من قبله منهم هذا الوقوف عليه والمعرفة به الى اختيار أصح القولين قال الفقيه وكنت أدام الله عز الشيخ أنظر في كتب بعض أصحابنا وحكايات من حكى منهم عن الشافعي رضى الله عنه نصاً فانظر اختلافهم في بعضها فيضيق قلبي بالاختلاف مع كراهية الحكاية من غير ثبت فحملني ذلك على نقل مبسوط ما اختصره المزني على ترتيب المختصر ثم نظرت في كتاب التقريب وكتاب جمع الجوامع وعبون المسائل وغيرها فلم أر أحداً منهم فيما حكاه أوثق من صاحب التقريب وهو في النصف الاول من كتابه أكثر حكاية لالفاظ الشافعي منه في النصف الاخير وقد غفل في النصفين جميعاً مع اجتماع الكتب له أو أكثرها وذهاب بعضها في عصرنا عن حكاية ألفاظ لا بد لنا من معرفتها لئلا نجرى على نمطه المزني في بعض ما يخطئه فيه وهو يرى ولنتخلص بهذا عن كثير من مخربجات أصحابنا

ومثال ذلك من الاجزاء التي رأيتها من كتاب المحيط من أوله الى مسألة التفريق ان أكثر أصحابنا والشيخ أدام الله عزه معهم يوردون العنب في تسمية البحر بالمالح الى ابني ابراهيم المزني ويزعمون انها لم توجد لشافعي رحمه الله تعالى: قد سمي الشافعي البحر مالحة في كتابين قال الشافعي في اماني الحج في مسألة كون المحرم في صيد البحر كالخلال والبحر اما العنب واما المالح

قال الله تعالى ( هذا عذب فرات سائح شرابه وهذا ملح أجاج ) وقال في كتاب

المناسك الكبير في الآية دليل ان البحر العذب والمالح

وذكر الشيخ ابقاء الله حدثنا الشيخ الامام ابو بكر رحمه الله قول الشافعي

في اكل الجلد المدبوغ على ما بنى عليه ثم ذكر الشيخ حفظه الله تصحيح القول

بمنع الاكل عند نفسه بايراد حجته وقد نص الشافعي في القديم وفي رواية

حرمة على ما هداه اليه خاطره المتين قال الزعفراني قال ابو عبد الله

الشافعي في كلام ذكره يحل ان تتوضأ في جلدها اذا دبغ وذلك

الذي أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فابحناه كما أباحه ونهينا عن اكله بحمله

انه ميتة ولم يرخص في غير ما رخص فيه خاصة ثم قل وليس ماحل لنا الاستمتاع

ببعضه بخبر بالذي يبيح لنا ما نهينا عنه من ذلك الشيء بعينه بخبر الا تري انا

لا نعلم اختلافا في انه يحل شراء الحر والهرة والاستمتاع بها ولا يبيح اكلها وانما

نبيح ما يبيح ونحظر ما حظر وقال في رواية حرمة يحل الاستمتاع به بالحديث

ولا يحل أكله باصل انه من ميتة ورأيت ادام الله عصمته اختار في تحلية الدابة

بالفضة جوازها وأظنه علم كلام الشافعي في كتاب مختصر البويطي والربيع ورواية

موسى بن ابي الجارود حيث يقول وان اتخذ رجل أو امرأة آنية من فضة أو من

ذهب أو ضربا بهما آنية أو ركبا على مشجب أو سرج فعليهما الزكاة وكذلك

اللبجم والركب هذا مع قوله في روايتهم لا زكاة في الحلبي المباح وحيث لم يخص

به الذهب بعينه فالظاهر انه اراد به كليهما جميعا وان كانت الكناية بالتذكير

يحتمل ان تكون راجعة الى الذهب دون الفضة كما قال الله عز وجل (والذين يكنزون

الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) فالظاهر عند اكثر أهل العلم انه اراد

به كليهما معا وان كانت الكناية بالتأنيث يحتمل أن تكون راجعة الى الفضة

دون الذهب

وقد علم الشيخ أبقاء الله ورود التحريم في الاواني المتخذة من الذهب والفضة عامة ثم وردت الاباحة في تحلية النساء بهما وتخنم الرجال بالفضة خاصة ووقف على اختلاف الصدر الاول رضي الله عنهم في حلية السيوف واحتجاج كل فريق منهم لقوله بخبر فنحن وان رجحنا قول من قال باباحتها بنوع من وجوه الترجيحات ثم حظرنّا تحلية السيف والسرير وسائر الآلات ولم نقسها على التحريم بالفضة ولا على حلية السيوف فتصحيح اباحة تحلية الدابة بالفضة من غير ورود أثر صحيح مما يشق ويتعذر وهو أدام الله توفيقه أهل ان يجتهد ويتخير وما استدلل به من الخبر بان ابا سفيان أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا برته من فضة فقير مشتهر وهو ان كان فلا دلالة له في فعل ابي سفيان اذ لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تركه ثم ركه أو أركبه غيره وانما الحديث المشهور عندنا ما رواه محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدية جمل لاني جهل في أنفه برة من فضة ليغيب به المشركين أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا ابن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن ابي اسحاق الحديث وكان على بن المديني يقول كنت أرى هذا من صحيح حديث بن اسحاق فاذا هو قد دله حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن اسحق قال حدثني من لا آثم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فاذا الحديث مضطرب أخبرنا بهذه الحكاية محمد ابن عبد الله الحافظ أخبرني محمد بن صالح الهاشمي حدثنا ابو جعفر السبيعي حدثنا عبد الله بن علي المديني قال حدثني أبي فذكرها وقد روى الحديث عن جرير بن حازم عن ابن ابي نجيح ورواه محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وليس بالقوى وقد أخبرنا محمد بن موسى بن الفضل

أخبرنا أبو عبد الله الصفار حدثنا أحمد بن محمد المزني القاضي حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى جملاً لابي جهل يوم الحديبية كان استلبه يوم بدر وفي انفه برة من ذهب وكذلك رواه ابو داود السجستاني في كتاب السنن عن محمد بن المنهال برة من ذهب أخبرنا ابو علي الروذبادي أخبرنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود فذكره وقال عام الحديبية ولم يذكر قصة بدر وقد أجمعنا على منع تحلية الدابة بالذهب ولم ندع فيه ظاهر الكتاب بإيجاب الزكاة فيه وعده اذا لم يخرجها من السكنوز بهذا الخبر وكذلك لاندعه في الفضة وليس في الحديث ان ثبت في الفضة صريح دلالة في المسألة وبالله التوفيق والعصمة وقد حكى لي عن الشيخ أدام الله عزه انه اختار جواز المكتوبة على الراحلة الواقفة اذا تمسكن من الاتيان بشرائطها مع ما في النزول للمكتوبة في غير شدة الخوف من الاخبار والآثار الثابتة وعدم ثبوت ما روي في مقابلتها دون الشرائط التي اعتبرها وقد قال الشافعي رضى الله تعالى عنه في الاملاء ولا يصلى المسافر المكتوبة بحال أبداً الا حالاً واحداً الا نازلاً في الارض أو على ما هو ثابت على الارض لا يزول بنفسه مثل البساط والسريير والسفينة في البحر :

﴿ نمت الرسالة وبها تم المجلد الثاني من المجموعة المنبرية ﴾

﴿ والحمد لله أولاً وآخراً ﴾



# مجموعتنا الرسائل المنيرية

## الجزء الثالث يشتمل على ١٠ رسائل

(١) شرح حديث « ماذنبان جائعان أرسلنا في غم » الخ للحافظ ابن رجب (٢) المؤمل للرد إلى الأمر الأول للعلامة ابن أبي شامة . (٣) استخراج الجدل من القرآن الكريم لابن الحنبلي . (٤) كفاية التعبد وتحفة الزهد للحافظ المنذري . (٥) ارشاد السائل إلى دلائل المسائل للعلامة الشوكاني . (٦) معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي للسبكي . (٧) خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة . (٨) في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها . (٩) رسالة في السماع والرقص والكلام على حديث يولد المولود على الفطرة . (١٠) شرح حديث أبي ذر الأربعة للإمام ابن تيمية .

( عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ )

إدارة الطباعة المنيرية

توزيع

دار الكلمة الطيبة

القاهرة

مكتبة طيبة

الرياض

# إِحْكَامُ الْأَحْكَامِ

شَيْخ

## عَمْدَةُ الْأَحْكَامِ

﴿ للعالم العلامة الاصولي المجتهد أبي الفتح الشيرازي دقيق العيد ﴾

المتوفي سنة ٧٠٢

عمدة الاحكام من تصانيف الامام الحافظ الفقيه الشيخ عبدالغنى المقدسى الجماعلى المتوفي سنة ٥٠٠ هـ ، وهذا الكتاب من أجل كتب الحديث نفعا وأصحا سنداً ومتناً وهو من تخرىج الامامين الجليلين أغنى البخارى ومسلماً ابن الحجاج رتبة على حسب أبواب الفقه . وقد شرحه الامام المجتهد الحافظ علامة المعقول والمنقول شيخ الاسلام تقي الدين ابوالفتح الشيرازي دقيق العيد وهو شرح لم يؤلف مثله ولم تر العيون أحسن منه بين فيه كيفية استنباط الاحكام من الاحاديث وأورد اشكالات عجيبة للعلماء ورد ما صح رده واعتمد من الاحكام ما شهد له الادلة الصحيحة وتصحبه الحكم العقائدية وبين ما أخذ أئمة المذاهب فيها وراجعها من مرجوحها غير متعصب ولا متعسف بل سلك طريق السلف الصالح في ذلك . وفي الجلة هو خير مؤلف ظهر للناس وفضل مؤلفه شهير وقد كتبها بحواشى نفيسة ادارة الطباعة المنيرية وعرضها للاشتراك وجعلت قيمة الاشتراك فيه أربعين قرشاً صاغاً من الورق الكتان العال وقد ظهر منه جزآن وعن قريب سيظهر الجزء الثالث والباقي تحت الطبع فنحث طلاب العلم والعلماء على اقتنائه والمبادرة الى الاشتراك فيه قبل نفاذ نسخته

﴿ كلمة الناشئ ﴾



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله \* والصلاة والسلام  
على نبيه ورسوله ومصطفاه \* وعلى آله وصحبه ومن عمل لسعادته في دنياه وآخره \*  
اما بعد فهذا ما وعدت به ادارة الطباعة المنيرية من تتبع نشر اجزاء مجموعة  
الرسائل المنيرية : وقد تم والحمد لله الجزء الثانى منها واشتمل على ١٠ رسائل  
نزفه الى قرائها للافادة والاستفادة ونسأل الله التوفيق لاتمام نشر باقى الاجزاء  
وهو حسبنا ونعم المعين :

مدير

إدارة الطباعة المنيرية

محمد منبر الرمسفى

من علماء الازهر الشريف



# الرسالة الاولى

شرح حديث «ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم» النخ

لحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ﷺ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين قال الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام بقية السلف الكرام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الامام شهاب الدين احمد ابن الشيخ الامام ابن رجب البغدادي الحنبلي رحمه الله تعالى أخرجه الامام احمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الانصاري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسدها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قال الترمذي حسن صحيح وروى من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة واسامة بن زيد وجابر وابي سعيد الخدري وعاصم بن عدي الانصاري رضى الله عنهم أجمعين وقد ذكرناها كلها والكلام عليها في كتاب شرح الترمذي ولفظ حديث جابر رضى الله عنه « ما ذئبان ضاريان باتتا في غنم غلب رعاؤها بأفسد للناس من حب الشرف والمال لدين المؤمن » وفي حديث ابن عباس رضى الله عنه حب المال والشرف بدل الحرص فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا وان فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتتا في الغنم قد غلب عنها رعاؤها ليلا فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها ومعلوم انه لا ينجو من الغنم من افساد الذئبين المذكورين والحالة هذه الاقليل فآخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان حرص المرء على المال والشرف افساد لدينه ليس بأقل من افساد الذئبين لهذه الغنم بل إيمان أن يكون مساويا واما أكثر يشير



الى انه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا الا القليل كما انه لا يسلم من الغنم مع افساد الذئبين المذكورين فيها الا القليل فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا (فاما الحرص) على المال فهو على نوعين أحدهما شدة حبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة وقد ورد ان سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع كما أخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عدي رضى الله عنه قال اشترت مائة سهم من سهام خير فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال «ما ذئبان ضاربان ضلا في غنم أضاعها ربهما بأفسد من طلب المسلم المال والشرف لدينه» قلت ولولم يكن في الحرص على المال الا تضيق العمر الشريف الذي لا قيمة له وقد كان يمكن صاحبه فيها اكتساب الدرجات العلى والتعميق المقيم فضيعه بالحرص في طلب رزق مضمون مفسوم لا يأتي منه الا ما قدر وقسم ثم لا ينتفع به بل يتركه لغيره ويرتحل عنه فيبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا يحمدّه ويقدم على من لا يعذرّه لكفاه بذلك ذمّا للحرص فالحرص يضعف زمانه الشريف ويحاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الاسفار وركوب الاخطار لجمع مال ينتفع به غيره كما قيل

ومن ينفق الايام في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قيل لبعض الحكماء ان فلانا جمع ما لا يقال فهل جمع اياما ينفقه فيها قيل لا قال ما جمع شيئا وفي بعض الآثار الاسرائيلية الرزق مقسوم والحرص محروم ابن آدم اذا أفنت عمره في طلب الدنيا فتي تطلب الآخرة

اذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزا فما أنت في يوم القيامة صانع؟

قال ابن مسعود رضى الله عنه اليقين أن لا ترضى الناس به خط الله ولا تحسد أحدا على رزق الله ولا تلوم أحدا على ما لم يؤت الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره فان الله بقسطه جمل الروح والفرح في اليقين والرضى. وجعل الهم والحزن في الشك والسخط. وقال بعض السلف اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان القدر في الناس طبعا فالتقة بكل أحد عجز واذا كان الموت لكل أحد راصدا فالطمأنينة الى الدنيا حق. كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله لحرص المرء على الدنيا أخوف عليه عندى من أعدى أعدائه وكان يقول يا أخوتاه لا تنبطوا حريصا على ثروته وسعته في مكسب ولا مال وانظروا له بعين المقت له في اشتغاله اليوم بما يرديه عبدا في المعاد ثم يتكبر. وكان يقول للحرص حرصان حرص فاجع وحرص نافع فاما النافع فحرص المرء على طاعة

الله وأما الحرص الفاجع فحرص المرء على الدنيا فالحرص على الدنيا معذب صاحبه مشغول  
لا يسر ولا يلد بجمعه لشغله فلا يفرغ من محبة الدنيا لاخرته لا لتفاته لما يقف وغفلته عما  
يدوم ويبقى ولبعضهم في هذا المعنى

لا تقبطن أحارص على سعة وانظر اليه بين الماقت القالى  
ان الحريص لمشغول بثروته عن السرور بما يحوى من المال  
ولا آخر في هذا المعنى

يا جامعا مانعا والنهر يرمقه مفكرا أى باب منه يفلقه  
جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أيا ما تفرقه  
المال عندك مخزون لو ارثه ما المال مالك الا يوم تنفقه

ان القناعة من يحل بساحتها لم يلق في ظلها هاهما يؤرقه

وكتب بعض الحكماء الى أخ له كان حريصا على الدنيا أما بعد فانك أصبحت حريصا على  
الدنيا تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالاعراض والامراض والآفات والعلل كأنك لم تر  
حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا ولا ميتا عن كثير ولا متبليا من الدنيا باليسير عاتب اعرابي  
أخاه على الحرص فقال له يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تقوته وتطلب ما قد  
كفيتك كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما ولا زاهدا مرزوقا فهو قال بعض الحكماء أطول الناس  
هما الحسود وأنهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص وأخفهم عيشا أرفضهم  
للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط ولبعضهم في هذا المعنى

الحرص داء قد أضمر بمن ترى الا قليلا

كم من حريص طامع والحرص صيره ذليلا

غيره

كم أنت لاهجر ص والامانى عبد

ليس يجديك الحرص والسعى اذا لم يكن جد

مالا قدره الله من الامر بد

ولابى الغاية يخاطب سلما الحاسر

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحرص اعتاق الرجال

ومن كلام المأمون الحرص مفسدة للدين والمروءة وانشد بعضهم

حرص الحرص جنون والصبر حصن حصين

ان قدر الله شيئا فانه سيكون

ونازح النار لا ينفك مقرباً عن الاحبة لا يدرون بالحال  
بمشرق الارض طوراً ثم مغرباً لا يخطر الموت من حرص على مال  
ولو قنعت اناك الرزق في دعة ان القنوع النقي لا كثرة المال  
ولمحمود الوراق

ايها المتعب جهداً نفسه يطلب الدنيا حريصاً جاهداً  
لألك الدنيا ولا أنت لها فاجعل الهمين هماً واحداً

( النوع الثاني ) من الحرص على المال ان يزيد على ماسبق ذكره في النوع الاول حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة وينزع الحقوق الواجبة فهذا من الشح المذموم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » قال طائفة من العلماء الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الاشياء من غير حلها وينزع حقوقها. وحقيقته ان تشوف النفس الى ما حرم الله ومنع منه وان لا يقنع الانسان بما احله الله له من مال او فرج أو غيرهما فان الله تعالى احل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم تناول هذه الاشياء من غير وجوه حلها وابعاد لنا دماء الكفار والمحاربين واموالهم وحرم علينا ما عدا ذلك من الجبانث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم علينا اخذ الاموال وسفك الدماء بغير حقها فمن اقتصر على ما أبيض له فهو مؤمن ومن تعدى ذلك الى ما منع منه فهو الشح المذموم وهو مناف للايمان ولهذا اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الشح يأمر بالقطيعة والفجور والبخل والبخل هو امساك الانسان ما في يده والشح تناول ما ليس له ظلماً وعدواناً من مال أو غيره حتى قيل انه رأس المعاصي كلها وبهذا فسر ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف الشح والبخل ومن هنا يعلم معنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا يجتمع الشح والايمان في قلب مؤمن » والحديث الآخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « افضل الايمان الصبر والسماحة » وفسر الصبر بالصبر عن المحارم والسماحة باداء الواجبات وقد يستعمل

الشع بمعنى البخل وبالعكس ولكن الأصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه ومتى وصل الحرس على المال الى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والايمان نقصا بينا فان منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بهما الدين والايمان بلا ريب حتى لا يبقى منه الا القليل ☆

(فصل) وأما حرس المرء على الشرف فهو شدة إهلاكا من الحرس على المال فان طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الارض اضر على العبد من طلب المال وضرره اعظم والزهد فيه أصعب فان المال يبذل في طلب الرياسة والشرف فهو الحرس على الشرف على قسمين احدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال وهذا خطر جدا وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها قال الله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) وقل من يحرس على رياسة الدنيا يطلب الولايات فيوفق بل يوكل الى نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه «يا عبد الرحمن لاتسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة أغنت عليها» قال بعض السلف ما حرس أحد على ولاية فمدل فيها . وكان يزيد بن عبد الله بن موهب من قضاة العدل والصالحين وكان يقول من احب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها . وفي صحيح البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فتمت المرضة وبئست الفاطمة» وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله أمرنا قال «انا لانولى أمرنا هذا من سألته ولا من حرص عليه» واعلم ان الحرس على الشرف يستلزم ضررا عظيما قبل وقوعه في السعى في اسبابه وبعد وقوعه بالحرس العظيم الذى يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد . وقد صنف ابو بكر الاثرى وكان من العلماء الربانيين في اوائل المائة الرابعة مصنف في اخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ما صنف في ذلك (١) ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء والطرائق التى حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة . منها انه قال قد فته حب الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا يتجمل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسنة للدنيا ولا يحمل علمه بالعمل به وذكر كلاما طويلا الى أن قال فهذه الاخلاق وما يشبهها تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم فيناه ومقارب لهذه الاخلاق

اذ ذهب نفسه في حب الشرف والمنزلة فأحب مجالسة الملوك وابناء الدنيا وأحب ان يشاركونهم فيام فيه من رخاء عيشهم من منظر بهي ومركب هي وخادم سرى ولباس لين وفراش ناعم وطعام شهى وأحب أن يفتى بابه وان يسمع قوله ويطاع أمره فلم يقدر عليه الامن حبة القضاء فطلبه فلم يمكنه الا بئذ دينه فتذل للملوك وأتباعهم فخدمهم بنفسه واكرمهم بماله وسكت عن قبيح ما ظهر له من الدخول في ايواناتهم وفي منازلهم من افعالهم ثم قدزين لهم كثيرا من قبيح فعلهم بتأوله الخطأ ليحسن موقفه عندهم فلما فعل هذا مدة طويلة واستحكم فيه الفساد ولوه القضاء فذبح بغير سكين فصارت لهم عليه منة عظيمة ووجب عليه شكرهم فألم نفسه لثلاثين مضيقهم عليه فيعزلوه عن القضاء ولم يلتفت الى غضب مولاه فاقطع اموال اليتامى والارامل والفقراء والمساكين وأموال الوقف على المجاهدين وأهل الشرف بالحرمين واما الا يعود نفعها على جميع المسلمين فارضى بها الكاتب والحاجب والحادم فأكل الحرام واطعم الحرام وكثر الداعي عليه فالويل لمن اورثه علمه هذه الاخلاق وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر أن يستعاذ منه وهذا العالم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم «ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» وكان صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن علم لا ينجع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع» وكان عليه السلام يقول «اللهم انى أسئلك علما نافعا وأعوذ بك من علم لا ينفع» هذا كله كلام الامام أبى بكر الا أجرى رحمه الله تعالى وكان في أواخر الثلاثمائة ولم يزل الفساد بعده متزايدا على ما ذكرناه اضعافا مضاعفة فلاحول ولا قوة الا بالله عز وجل ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها وهو باب غامض لا يعرفه الا العلماء بالله العارفون به المحبون له الذين يعادون له من جهال خلقه المزاحمين لربوبيته وإلهيته مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن رحمه الله فيهم انهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فان ذل المعصية في رقابهم أبى الله الا أن يذل من عصاه : واعلم ان حب الشرف بالحرص على نفوذ الامر والنهى وتدمير أمر الناس اذا قصد بذلك مجرد علو المنزلة على الخلق والتعظيم عليهم واظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس واقتدارهم اليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلهيته وربما تسبب بعض هؤلاء الى ايقاع الناس في أمر يحتاجون فيه اليه ليضطروهم بذلك الى رفع حاجاتهم اليه وظهور اقتدارهم واحتياجهم اليه ويتعاضم بذلك

ويتكبر به وهذا لا يصلح الا لله وحده لا شريك له كما قال تعالى ( ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فاخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون ) وقال ( وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالأساء والضراء لعلمهم يضرعون ) وفي بعض الآثار ان الله تعالى يبتلى عبده بالبلاء ليسمع تضرعه . وفي الآثار أيضا ان العبد اذا دعا الله تعالى وهو محبة قال الله تعالى يا جبريل لا تمجل بقضاء حاجته فاني أحب أن أسمع تضرع عبدي في الأمور أصعب وأخطر من مجرد الظلم وأدهى وأمر من الشرك والشرك أعظم الظلم عند الله. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعنى فيها عذبتى » . كان بعض المتقدمين قاضيا فرأى في منامه كأن قائل يقول له أنت قاض والله قاض فاستيقظ منزعا وخرج عن القضاء وتركه. وكان طائفة من القضاة الورعين يمنعون الناس أن يدعواهم بقاضى القضاء فان هذا الاسم يشبه ملك الملوك الذى ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم التسمية به وقال « لا مالك الا الله » وحاكم الحكام مثله أو أشد منه. ومن هذا الباب أيضا ان يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها ويطلب من الناس ذلك ويتسبب في أذى من لا يحبه اليه وربما كان ذلك الفعل الى الذم أقرب منه الى المدح وربما أظهر أمرا حسنا في الظاهر وأحب المدح عليه وقصده به في الباطن شرا وفرح بتمويه ذلك وترويعه على الخلق وهذا يدخل في قوله تعالى ( لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ) الاية فان هذه الآية انما نزلت فيمن هذه صفاته وهذا الوصف أعنى طلب المدح من الخلق ومحبة والعقوبة على تركه لا يصلح الا لله وحده لا شريك له ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الاحسان الى الخلق ويأمرون باضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له فان النعم كلها منه . وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله شديد العناية بذلك وكتب مرة الى أهل الموسم كتابا يقرأ عليهم وفيه الامر بالاحسان اليهم وازالة المظالم التى كانت عليهم وفي الكتاب ولا تحمدوا على ذلك كله الا الله فانه لو وكلنى الى نفسى كنت كغيرى وحكايتي مع المرأة التى طلبت منه أن يفرض لبناتها اليتامى مشهورة فانها كانت لها أربع بنات ففرض لاثنتين منهن وهى محمد الله ثم فرض للثالثة فشكرته فقال انما كنا نفرض لهن: حيث كنت تولين الحمد أهله فرى هذه الثلاث يواسين الرابعة أو كما قال رضى الله عنه أراد ان يعرف ان ذا الولاية انما هو متعصب لتنفيذ أمر الله وأمر العباد بطاعته تعالى وناء

لهم عن محارم الله مناصح لعباد الله بدعائهم الى الله فهو يقصد ان يكون الدين كله لله وان تكون العزة لله وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله تعالى أيضا فالجهد لله غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا الله ويطيعوه ويفردوه بالعبودية والالهية فكيف من يزاحم في شيء من ذلك فهو لا يريد من الخلق جزاء ولا شكورا وإنما يرجو ثواب عمله من الله كما قال الله تعالى ( ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي أمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدا لله ورسوله » وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشكر على من لا يتأدب معه في الخطاب بهذا الادب كما قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد » وقال لمن قال ما شاء الله وشئت « أجعلني لله ندا بل ما شاء الله وحده » فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم لا يدعون الى تعظيم نفوسهم البتة بل الى تعظيم الله وحده وافراده بالعبودية والالهية ومنهم من كان لا يريد الولاية الا للاستعانة بها على الدعوة الى الله وحده وكان بعض الصالحين يتولى القضاء ويقول الا أتولاه لاستعين به على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ ولهذا كانت الرسل وأتباعهم يعبرون على الاذى في الدعوة الى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك فان المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الاذى في رضى محبوه كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لايه في خلافته اذا حرص على تنفيذ الحق واقامة العدل يا أبت لو ددت أني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل \* وقال بعض الصالحين وددت ان جسمي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق كلهم أطاعوا الله عز وجل فعرض قوله على بعض العارفين فقال ان كان اراد بذلك النصيحة للخلق والا فلا ادري ثم غشى عليه ثم ومعنى هذا ان صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصيح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله وأحب ان يفهم من عذاب الله بأذى نفسه وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الاجلال والاکرام والطاعة والمحبة فود أن الخلق قاموا بذلك وان حصل له في نفسه غاية الضرر وهذا هو مشهد خواص المحبين العارفين بملاحظته ففتنى على هذا الرجل العارف وقد وصف الله تعالى في كتابه ان المحبين له يجاهدون في سبيله ولا يخافون لومة لائم. وفي ذلك يقول بعضهم

أجد الملامة في هوائك لذينة حبا لذكرك فيليني اللوم

( القسم الثاني ) طلب الشرف والعلو على الناس بالامور الدينية كالعلم والعمل والزهد فهذا اخش من الاول واقبح وأشد فساداً وخطراً فان العلم والعمل والزهد انما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والتعظيم المقيم والقرب منه والزلفى لديه . قال الثوري انما فضل العلم لانه يتقى به الله والا كان كسائر الاشياء فاذا طلب بشئ من هذا عرض الدنيا الفاني فهو ايضا نوعان \* احدهما ان يطلب به المال فهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالاسباب المحرمة وفي هذا جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من تعلم علما مما يتبني به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا في الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعني ربحها خرجه الامام احمد وابو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبب هذا والله اعلم ان في الدنيا جنة معجلة وهى معرفة الله ومحبهه والانس به والشوق الى لقائه وخشيته وطاعته والعلم النافع يدل على ذلك فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة ولهذا كان اشد الناس عذابا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه وهو من اشد الناس حسرة يوم القيامة حيث كان معه آله يتوصل بها الى أعلى الدرجات وارفع المقامات فلم يستعملها إلا في التوصل الى اخس الامور وادناها واحقرها فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة فباعها بعمرة او شئ مستقذر لا ينتفع به فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه بل أقبح واقبح من ذلك من يطلبها بانظار الزهد فيها فان ذلك خداع قبيح جدا . وكان ابو سليمان الداراني يعيب على من لبس عباءة وفي قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوى اكثر من قيمة العباءة يشير الى ان اظهار الزهد في الدنيا باللباس الدينى انما يصلح لمن فرغ قلبه من التعلق بها بحيث لا يتعلق قلبه بها باكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر حتى يستوى ظاهره وباطنه في الفراغ من الدنيا وما أحسن قول بعض العارفين وقد سئل عن الصوفي فقال الصوفي من لبس الصوف على الصفا \* وسلك طريق المصطفى \* وذاق الهوى بعد العجا \* وكانت الدنيا منه خلف القفا \* ( النوع الثاني ) من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعظيم عليهم وان يتقاد الخلق ويخضعون له ويصرفون وجوههم اليه وان يظهر للناس زيادة علمه على العلماء



ليعلو به عليهم ونحو ذلك فهذا موعده النار لان قصد التكبر على الخلق محرم في نفسه  
 فاذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأخش من ان يستعمل فيه آلات الدنيا من المال  
 والسلطان. وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «من طاب العلم ليمارى به السفهاء  
 أو يجارى به العلماء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار» خرجه الامام أحمد  
 والترمذي من حديث كعب بن مالك. وخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضى الله  
 عنه وحذيفة رضى الله عنه وعنده «فهو في النار» وخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه من  
 حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «لا تعلموا العلم لتباهوا به  
 العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا لتحيزوا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» وخرجه ابن  
 عدى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنحوه  
 وزاد فيه «ولكن تعلموه لوجه الله والدار الآخرة» وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال «لا تعلموا  
 العلم لثلاث تماروا به السفهاء أو لتجادلوا به الفقهاء أو لتصرفوا به وجوه الناس اليكم وابتغوا  
 بقولكم وفعلكم ما عند الله فانه يبقى ويفى ما سواه» وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبى  
 هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أول الخلق تسعير بهم  
 النار يوم القيامة ثلاثة منهم العالم الذى قرأ القرآن ليقال قارىء وتعلم العلم ليقال عالم وانه  
 يقال له قد قيل ذلك وامر به فستحب على وجهه حتى اتى في النار» وذكر مثل ذلك فى  
 المصدق ليقال انه جواد وفي المجاهد ليقال انه شجاع \* وعن على رضى الله عنه قال يا حلة  
 العلم اعملوا به فانما العالم من عمل بما علم فوافق عمله علمه وسيكون اقوام يحملون العلم  
 لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم ويخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقة حلقة فيباهى  
 بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه اذا جلس إلى غيره ويدعه او ائلك لا تصعد أعمالهم  
 في مجالسهم تلك الى الله عز وجل \* وقال الحسن لا يكون حظ احدكم من علمه ان يقول له الناس  
 عالم. وفي بعض الآثار ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال كيف يكون من أهل العلم من  
 يطلب العلم ليحدث به ولا يطلبه ليعمل به : وقال بعض السلف بانما أن الذى يطلب الاحاديث  
 ليحدث بها لا يجدر ربح الجنة يعنى من ليس له غرض في طلبها الا ان يحدث بهادون العمل  
 بها. ومن هذا القيل كراهة السلف الصالح الجرة على الفتيا والحرس عليها والمساورة اليها  
 والاكتثار منها. وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن جعفر مرسل عن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم قال «اجروكم على الفتيا اجروكم على النار» وقال علقمة كانوا يقولون اجروكم على الفتيا اقلكم علما. وعن آبراء قال أدركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسئل أحدهم عن المسئلة مامنهم من رجل الاودأن اخاه كفاه . وفي رواية فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى يرجع الى الاول . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الذى يقى الناس في كل ما يستفتونه به لمجنون . وسئل عمر بن عبدالعزيز عن مسألة فقال ماأنا على الفتيا بجري وكتب الى بعض عماله انى والله ماانا بجريص على الفتيا ما وجدت منها بدا وقال ابن عينة ليس هذا الامر لمن ودأن الناس احتاجوا اليه انما هذا الامر لمن ودأنه وجد من يكفيه . وعنه انه قال اعلم الناس بالفتاوى اسكتهم وأجهلهم بها انطقهم . وقال سفيان الثورى ادركنا الفقهاء وهم يكرهون ان يجيوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدا من ان يفتوا واذا اعفوا منها كان احب اليهم . وقال الامام احمد من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لامر عظيم الا انه قد تلجىء اليه الضرورة قيل له فايما افضل الكلام ام السكوت قال الامساك احب الى قيل له فاذا كانت الضرورة فجعل يقول الضرورة الضرورة وقال الامساك اسلم له ولعلم المفتى انه يوقع عن الله امره ونهيه وانه موقوف ومسئول عن ذلك . قال الربيع بن خيثم أيها المفتون انظروا كيف تفتون . وقال عمرو بن دينار لقادة لما جلس للفتيا تدرى في أى عمل وقعت وقعت بين الله وبين عبادہ وقلت هذا يصلح وهذا لا يصلح . وعن ابن المنكدر قال ان العالم داخل بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم . وكان ابن سيرين اذا سئل عن الشيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذى كان . وكان النخعي يسأل فتظهر عليه الكراهة ويقول ما وجدت احدا تسأله غيرى وقال قد تكلمت ولو وجدت بداما تكلمت وان زمانا اكون فيه فقيه اهل الكوفة لزمان سوء . وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال انكم لتستفتونا استفاء نود كأننا لانسئل عما نفتيكم به . وعن محمد بن واسع قال اول من يدعى الى الحساب الفقهاء وعى مالك رضى الله عنه انه كان اذا سئل عن المسئلة كأنه واقف بين الجنة والنار . وقال بعض العلماء لبعض المفتين اذا سئلت عن مسألة فلا يكن همك تحليل المسائل ولكن تحليل نفسك أولا . وقال لا آخرا اذا سئلت عن مسألة فتفكر فان وجدت لنفسك مخرجا فتكلم والافاسكت . وكلام السلف في هذا المعنى كثير جدا يطول ذكره واستقصاؤه .

ومن هذا الباب أيضا كراهة الدخول على الملوك والدنومهم وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا الى نيل الشرف والرياسات فيها . وخرج الامام احمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلاطين افتتن » وخرج أحمد وأبو داود نحوه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي حديثه « وما زاد أحد من السلاطين دنوا الا ازداد من الله بعدا » وخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان أناسا من أمتي سيتفقهون في الدين ويقروون القرآن ويقولون نأتى الامراء فنصيب من دنياهم ونعترلهم ديننا ولا يكون ذلك كالا يحتجى من القتاد الا الشوك كذلك لا يحتجى من قريهم الا الخطايا » وخرجه الطبراني ولفظه « ان أناسا من أمتي يقرؤون القرآن ويتعمقون في الدين يأتيهم الشيطان يقول لو أنتم الملوك فاصبتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم الا ولا يكون ذلك كالا يحتجى من القتاد الا الشوك كذلك لا يحتجى من قريهم الا الخطايا » وخرج الترمذي من حديث ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرءون بأعمالهم » وخرج ابن ماجه نحوه وزاد فيه « وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة » . ويروى من حديث على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه . ومن أعظم ما يخشى على من يدخل على الملوك الظلمة أن يصدقهم بكذبهم ويعيهم على ظلمهم ولو بالسكوت عن الانكار عليهم فان من يريد بدخوله عليهم الشرف والرياسة وهو حريص عليهما لا يقدم على الانكار عليهم بل ربما حسن لهم بعض أفعالهم القبيحة تقربا اليهم ليحسن موقفه عندهم ويساعده على غرضه . وقد خرج الامام احمد والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن عجرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم قال « سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس يوارى على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارء على الحوض » وخرج الامام احمد معنى هذا الحديث من حديث حذيفة رضى الله عنه وابن عمر رضى الله عنه وخباب بن الارت وأبى سعيد الخدرى والنعمان بن بشير رضى الله عنهم . وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على

الملك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أيضاً. وعن نهى عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثوري وغيرهم من الأئمة. وقال ابن المبارك ليس الأمر التامى عندنا من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم إنما الأمر التامى من اعتزلهم وسبب هذا ما يحثى من فتنة الدخول عليهم فإن النفس قد تخيل للإنسان إذا كان بعيداً عنهم أنه يأمرهم وينهاهم ويحفظ عليهم فإذا شاهدتهم قرياً مالت النفس اليهم لأن محبة الشرف كامنة في النفس له ولذلك يداهم ويلاطفهم وورعاً مال اليهم وأحبهم ولا سيما أن لا يفوه وأكرموه وقبل ذلك منهم. وقد جرى ذلك لعبد الله بن طاوس مع بعض الأمراء بحضرة أبيه طاوس فوبخه طاوس على فعله ذلك. وكتب سفیان الثوري إلى عباد بن عباد وكان في كتابه إياك والأمراء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء وإياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدر عن مظلوم أو ترد مظلة فإن ذلك خديعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سلماً وما كفت عن المسئلة والفتيا فاغتم ذلك ولا تنافسهم وإياك أن تكون ممن يحب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع قوله فإذا ترك ذلك منه عرف فيه وإياك وحب الرياسة فإن الرجل يكون حب الرياسة أحب إليه من النهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السامرة فتفقد بقلب واعمل بنية واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت والسلام. ومن هذا الباب أيضاً كراهة أن يشهر الإنسان نفسه للناس بالعلم والزهد والدين أو باظهار الأعمال والأقوال والكرامات ليزار وتلتبس بركنه ودعاؤه وتقبل يده وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى في أسبابه ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة منهم أيوب والنخعي وسفيان وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر. دخل رجل على داود الطائي فسأله ما جاء بك فقال جئت لازورك فقال أما أنت فقد أصبت خيراً حيث زرت في الله ولكن أنا انظر ماذا لقيت غدا إذا قيل لي من أنت حتى تزار من الزهاد أنت لا والله من العباد أنت لا والله من الصالحين أنت لا والله وعد خصال الخير على هذا الوجه ثم جعل يوبخ نفسه ويقول يا داود كنت في الشبهة فاسقاً فلما شئت صرت مرأياً والمرأى شر من الفاسق. وكان محمد بن واسع يقول لو أن للذنوب رائحة ما استطاع أحد أن يجالسني. وكان إبراهيم النخعي إذا دخل عليه أحدهم يقرأ في المصحف غطاء. وكان أويس وغيره من الزهاد إذا عرفوا في مكان ارتحلوا عنه. وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء ويقول لمن يسأله الدعاء

أى شئ. أنا. ومن روى عنه ذلك عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وكذلك مالك بن دينار. وكان التخمي يكره أن يسأل الدعاء وكتب رجل الى أحمد يسأله الدعاء فقال أحمد اذا دعونا نحن لهذا فمن يدعو لنا. ووصف بعض الصالحين اجتهاده في العبادة لبعض الملوك فزعم على زيارته فبلغه ذلك فجلس على قارعة الطريق يأكل فوافاه الملك وهو على تلك الحالة فسلم عليه فرد عليه السلام وجعل يأكل أكلا كثيرا ولا يلتفت الى الملك فقال الملك ما في هذا خير ورجع فقال الرجل الحمد لله الذي رد هذا عني وهو لائم. وهذا باب واسع جدا ومنها نكتة دقيقة وهي ان الانسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى الناس انه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به وهذا من دقائق أبواب الرياء وقد نبه عليه السلف الصالح قال مطرف بن عبدالله بن الشخير كفى بالنفس اطراء أن تدمها على الملا<sup>١</sup> لأنك تريد بذمها زيتها وذلك عند الله سفة<sup>٢</sup>

(فصل) وقد تبين بما ذكرنا ان حب المال والرياسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه الا ما شاء الله كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وأصل حبة المال والشرف حب الدنيا وأصل حب الدنيا اتباع الهوى. قال وهب بن منبه من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ومن حب المال والشرف استحلال المحارم وهذا كلام حسن فانه حب يحمل المال والشرف على الرغبة في الدنيا وانما تحصل الرغبة في الدنيا من اتباع الهوى لان الهوى داع الى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها والتقوى يمنع من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا. قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)<sup>١</sup> وقد وصف الله تعالى أهل النار بالمال والسلطان في مواضع من كتابه فقال تعالى (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حساياه يا ليتني كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)<sup>٢</sup> واعلم ان النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها ومن هنا نشأ الكبر والحسد ولكن العاقل يتنافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعد

١ - النزاعات ٢٧

٢ - ٤٠

٢ - الحاقة ٢٥ - ٩

٣ - الطغفين ٢٦

عن الله وطرده عنه فهذا العلو الثاني الذي يذم وهو العلو والتكبر في الارض بغير الحق. واما العلو الاول والحرص عليه فهو محمود قال الله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وقال<sup>٣</sup>

الحسن اذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة . وقال وهيب بن الوردان استطعت أن لا يسبقك لي الله أحد فافعل . وقال محمد بن يوسف الاصماني العابد لو أن رجلاً سمع برجل أو عرف رجلاً أطوع لله منه كان ينبغي له أن يعزّنه ذلك وقال غيره لو أن رجلاً سمع برجل أو عرف رجلاً أطوع لله منه فأنصدع قلبه لم يكن ذلك بمعجب . وقال رجل لمالك بن دينار رأيت في المنام منادياً نادى أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحداً ارتحل الا محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه فني درجات الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك بالسمي في أسبابه وان لا يقع الانسان منها بالدون مع قدرته على العلو وأما العلو الفاني المتقطع الذي يعقب صاحبه غداً حسرة وندامة وذلة وهو انا وصغاراً فهو الذي يشرع الزهد فيه والاعراض عنه وللزهد فيه أسباب عديدة . فمنها نظر العبد الى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والامارة لمن لا يؤدى حقها في الآخرة . ومنها نظر العبد الى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن ينازع الله رداء الكبرياء . وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يشتم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس (١) يطوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الحبال » وخرجه الترمذي وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي رواية لغيره من وجه آخر في هذا الحديث « يطوهم الناس بأقدامهم » وفي رواية أخرى من وجه آخر « يطوهم الجن والانس والدواب بأرجلهم حتى يقضى الله بين عباده » واستأذن رجل عمر رضي الله عنه في القصص على الناس فقال له انى أخاف ان تقص عليهم فتترفع عليهم في نفسك حتى يضللك الله تحت أرجلهم يوم القيامة ومنها نظر العبد الى ثواب المتواضعين لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة فان من تواضع لله رفعه ومنها وليس هو في قدرة العبد ولكن من فضل الله ورحمته ما يموض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يقنى من المال والشرف مما يجعله الله لهم في الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ومن حلاوة المعرفة والايمان والطاعة في الباطن وهى الحياة الطيبة التى وعد الله لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوكة في الدنيا

(١) بضم الباء وفتح اللام كذا ضبطه صاحب القاموس

ولأهل الرياسات والحرص على الشرف كما قال إبراهيم بن آدم رحمه الله لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجادلونا عليه بالسيوف. ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية. قال الله تعالى (ولباس التقوى ذلك خير) وقال (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل « أنا العزيز فمن أراد العزة فليطع العز يزومن أراد عز الدنيا والآخرة وشرهما فعليه بالتقوى » وكان حجاج بن ارطاة يقول قتلتني حب الشرف فقال له سوار لو اتقيت الله شرفت. وفي هذا المعنى شعر

أنا إنما التقوى هي العز والكرم      وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تنقيصة      إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

وقال صالح الباجي الطاعة امرة والمطيع لله أمير مؤمر على الامراء ألا ترى هيئته في صدورهم ان قال قبلوا وان أمر أطاعوا ثم يقول يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك ان تذلل له الحيازة حتى يهابوه لهيئته في صدورهم من هيئتك في قلبه وكل الخير من عندك بأوليائك. وقال بعض السلف الصالح من أسعد بالطاعة من مطيع الا وكل الخير في الطاعة الا وان المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة. وقال ذو النون من أكرم وأعز بمن انقطع الى من ملك الاشياء بيده. دخل محمد بن سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال له يا أبا سلمة مالي كلما نظرت اليك ارتعدت فرقا منك قال لان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء وان أراد ان يكثر به الكنوز خاف من كل شيء. ومن هذا قول بعضهم على قدر هيئتك لله يخافك الخلق وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق وعلى قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق باشغالك. وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوما يمشى ووراءه قوم من كبار المهاجرين فالتفت فرآهم يغفروا على ركبهم هيئته فبكى عمر رضى الله عنه وقال اللهم انك تعلم انى اخوف لك منهم فاغفر لى. وكان العمرى الزاهد قد خرج الى الكوفة الى الرشيد ليعظه وينهاه فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله حتى لو تزل بهم عدو مائة الف نفس لما زادوا على ذلك وكان الحسن لا يستطيع أحد أن يسأله هيئته له وكان خواص أصحابه يجتمعون ويطلب بعضهم من بعض أن يسألوه عن المسئلة فاذا حضروا مجلسه لم يجسر وا على سؤاله حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيئته له. وكذلك كان مالك بن أنس يهاب أن يسأل حتى قال فيه القائل

يدع الجواب ولا يراجع هيئة      والسائلون نوا كس الاذقان

نور الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

وكان بديل العقيلي يقول من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله عليه  
بوجهه وأقبل بقلوب العباد عليه ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه وصرف قلوب  
العباد عنه \* وقال محمد بن واسع اذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله  
عليه بقلوب المؤمنين \* وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله طلقت الدنيا ثلاثا  
بتأ لا رجعة لي فيها وصرت الى ربي وحدي وناديت بالاستعانة الهى ادعوك دعاء من لم  
يبق له غيرك فلما عرف صدق الدعاء من قلبي والياس من نفسي كان اول ما ورد على من اجابة  
هذا الدعاء أن انسانى نفسى بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع اعراضى عنهم وكان  
يزار من البلدان فلما رأى ازدحام الناس عليه قال

وليتى صرت شيئا من غير شيء اعد

اصبحت للكل مولى لاني لك عبد

وفي الفؤاد امور ماتستطاع تعد

لكن كتاب حالى احق بى واسد

كتب وهب بن منبه الى مكحول اما بعد فانك اصبت بظاهر علمك عند الناس شرفا ومنزلة  
فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلنى واعلم ان احدى المنزلتين تمنع من الاخرى. ومعنى  
هذا ان العلم الظاهر من تعلم الشرائع والاحكام والفناوى والقصص والوعظ ونحو ذلك مما  
يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلة وشرفا والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة  
الله وخشيته ومحبه ومراقبته والانس به والشوق الى لقائه والتوكل عليه والرضى بقضائه  
والاعراض عن عرض الدنيا الفانى والاقبال على جوهر الآخرة الباقي كل هذا يوجب لصاحبه  
عند الله منزلة وزلنى واحدى المنزلتين تمنع من الاخرى فمن وقف مع منزلته عند الخلق  
واشتغل بما حصل له عندهم بالعلم الظاهر من شرف الدنيا. وكان همه حفظ هذه المنزلة عند  
الخلق وملازمتها وتربيتها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله تعالى وانقطع به عنه  
فهو كما قال بعضهم ويل لمن كان حظه من الله الدنيا. وكان السرى السقطى يعجبه ما يرى من



علم الجنيد وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال له يوما وقد سأله عن مسألة فاجاب وأصاب أخشى ان يكون حظك من الدنيا لسانك فكان الجنيد لا يزال يبكي من هذه الكلمة. ومن اشتغل بتربية منزله عند الله تعالى بما ذكرن من العلم الباطن وصل الى الله فاشتغل به عما سواه وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق ومع هذا فان الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم وان كان لا يريد ذلك ولا يقف معه بل يهرب منه أشد الهرب ويفرشد الفرار خشية ان يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى في قلوب عباده. وفي حديث «ان الله اذا احب عبدا نادى يا جبريل انى أحب فلانا فيحبه جبريل ثم يحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض» والحديث معروف وهو مخرج في الصحيح وبكل حال فطلب شرف الآخرة يحصل معه شرف في الدنيا وان لم يردده صاحبه ولم يطلبه وطلب شرف الدنيا لا يجتمع شرف الآخرة ولا يجتمع معه والسعيد من آثار الباقي على الفاني كما في حديث ابى موسى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «من أحب دنياه أضربا آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثر ما يبقى على ما يفنى» خزجه الامام أحمد وغيره وهو ما أحسن ما قال ابو الفتح البستي

امران مفترقان لست تراهما يتشوفان خلطة وتلاق

طلب المعاد مع الرياسة والعلی فدع الذى يفنى لما هو باقى

الى هنا تم كلام الحافظ زين الدين ابن رجب عن حديث ماذنبان جائعان ارسلنا الخ

والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه والعاملين بشرعه الى يوم الدين \* ١ - مريم ٦٩

تمت الرسالة الاولى والحمد لله أولا وآخرا



# الرسالة الثانية

﴿ مختصر كتاب المؤمل للرد الى الامر الاول ﴾

تصنيف الامام العلامة محيي السنة ناصر الحق شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن

ابن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بابي شامة الشافعي قدس الله روحه

المولود سنة ٥٩٦ المتوفى سنة ٦٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين \* والعاقبة للمتقين \* ولا عدوان الا على الظالمين \*  
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين \* سيدنا محمد النبي الامين \* وعلى آله  
الطيبين الطاهرين \* وأصحابه نجوم الدين \*

( وبعد ) فهذا مختصر من كتاب ﴿ المؤمل للرد الى الامر الاول ﴾ تصنيف  
الامام العلامة محيي السنة شهاب الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن  
ابراهيم المعروف بابي شامة الشافعي قدس الله روحه قال ( أما بعد ) فان العلم  
قد درست أعلامه \* وقل في هذه الازمان اتقانه وإحكامه \* وأدّى به الاهمال  
الى أن عدم احترامه \* وقل لإجلاله وإعظامه \* وكاد يجهل حلاله وحرامه \* هذا  
مع حث الشارع عليه ووصف العلماء القائمين بخشيتهم اياه \* ورفع درجاتهم وضمه  
لهم مع الملائكة في شهادتهم \* قال الله تعالى ( انما يخشى الله من عباده العلماء )  
وقال تعالى ( شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم ) وقل تعالى ( يرفع الله  
الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة \*  
والاحاديث المستنيرة \* وقد كان من مضى من الأئمة المجتهدين قائلين بنشر علوم  
الاجتهاد في جميع الآفاق وهم في ذلك متفاضلون فمنهم المحكم لمعلم الكتاب \*  
ومنهم القائم بامر السنة \* ومنهم المبرز في العربية \* ومنهم الممنع في استنباط

الاحكام وقل من اجتمع فيه القيام بجميع ذلك وكان من اجمعهم واقومهم به امامنا  
أبو عبدالله القرشى المطالبى الشافعى رضى الله عنه جمع النسب الطاهر \* والعلم  
الباهر \* وكثرة المآثر \* وجل المفاخر \* فكان فيه من المناقب والفضائل \* ما فرق في  
كثير من الائمة الافاضل \* وشهد له بذلك من كل فن سادة افاضل \* قال المزنى  
سمعت الشافعى يقول ، حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا  
ابن عشر \* وقال يونس بن عبد الاعلى كان الشافعى اذا أخذ في التفسير كأنه  
شهد التنزيل \* وقال أحمد بن محمد بن بنت الشافعى سمعت أبى وعمى يقولان  
كان سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير والفتيا يستل عنها التفت الى الشافعى  
وقال يقول ملوا هذا \* وقال له شيخه مسلم بن خالد وهو مفتى مكة يا أبا عبد الله  
أفت فقد آن لك أن تقتي وهو ابن خمس عشرة سنة \* وقال الربيع كان الشافعى  
يقتي وهو ابن خمس عشر سنة \* وكان يمحي الليل الى أن مات \* وقال أبو نعيم  
الحافظ سمعت سليمان بن احمد يقول سمعت أحمد بن محمد بن بنت الشافعى يقول  
كانت الحلقة فى القنبا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس وبعده لمطاء ابن أبى رباح  
وبعده لعبد الملك بن جريج وبعده لمسلم بن خالد وبعده لسعيد بن سالم \* وبعده  
لمحمد بن ادريس الشافعى وهو شاب \* قال ابن مهدي سمعت مالكا يقول  
ما يأتينى قرشى أفهم من هذا الفتى يعنى الشافعى \* قال أبو عبيد بن سلام ما رأيت  
قط أعقل ولا أورع ولا أفصح من الشافعى \* قال هلال بن العلاء الرقى أصحاب  
الحديث عيال على الشافعى فتح لهم الاقفال \* قال اسحق بن راهويه لقينى أحمد  
ابن حنبل بمكة فقال تعال أريك رجلا لم تر عينك مثله فارانى الشافعى قال فنناظرنا  
فى الحديث فلم أر أعلم منه \* ثم تناظرنا فى الفقه فلم أر أفقه منه \* ثم تناظرنا فى  
القرآن فلم أر أقرأ منه \* ثم تناظرنا فى اللغة فوجدته بيت اللغة \* وما رأيت عيناى مثله  
قط \* قال فلما فارقناه أخبرنى جماعة من أهل الفهم بالقرآن انه كان أعلم الناس فى  
زمانه بمعاني القرآن وانه قد كان أوتي فهما فى القرآن \* قال أحمد بن حنبل كان  
الفقهاء والمحدثون صيادلة فجاء الشافعى طبيبيا صيدلا يا ما رأيت العيون مثاله \* وقال  
ان الله يقبض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفى عن رسول الله

الكذب \* فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي وقال اذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبراً قلت فيها بقول الشافعي لانه امام عالم من قريش \* وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( عالم قريش يملأ الارض علماً ) وقال كلام الشافعي في اللغة حجة \* وقال أبو عثمان المازني الشافعي عندنا حجة في النحو \* وقال أبو نور ابراهيم بن خالد كان الشافعي من معادن الفقه وجهابذة الالفاظ وتقاد المعاني \* قال الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعي فائقظهم فتيقظوا \* ومناقبه كثيرة قد الفت فيها المؤلفات العديدة \*

### ﴿ فصل في صفة أهل العلم ﴾

قال عبد الله بن مسعود ليس العلم بكثرة الحديث ولكن العلم الخشية \* وقال مالك بن أنس ليس العلم بكثرة الرواية ولكنه نور يجعله الله في قلب من يشاء من خلقه \* وفي رواية العلم والحكمة نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل \* وقال الازاعي كان هذا العلم كريماً يتلقاه الرجال بينهم فلما كتب ذهب نوره وصار الى غير اهله \* وفي رواية كان هذا العلم سنيا شريفاً اذ كان الناس يتلقونه بينهم الخ \* وقال اذا أراد الله بقوم شراً ففتح عليهم الجدل ومنعهم العمل \* وقال مالك ليس الجدل من الدين في شئ \* وقال أيضاً المراء في العلم يقسى القلوب ويورث الضغائن \* وفي جامع الترمذي عن أبي أمامة عنه صلى الله عليه وسلم قال « ماض قوم بعد هدي كانوا عليه الا أوتوا الجدل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ماض بوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون ) قال حديث حسن صحيح قال بل كان العلماء من السلف الصالح أهل نك وعبادة وورع وزهادة \* أرضوا الله تعالى بعلومهم \* وصانوا العلم فصانهم \* وتدرعوا من الاعمال الصالحة بما زانهم \* ولم يشنهم الحرص على الدنيا وخدمة أهلها بل أقبلوا على طاعة الله التي خلقوا لاجلها فأؤلتك هم الدين عنهم الشافعي بقوله ما أحد أولى بخلقهم من الفقهاء وفي رواية ٥٨ - الزعفراني ان لم يكن الفقهاء أولياء الله فما لله ولي \* قال ابن عباس لو أن

المعلماء أخذوا العلم بحقه لأحبيهم الله والملائكة والصالحون من عباده ولها بهم الناس لفضل العلم وشرفه \* قال وهب بن منبه إن الفقهاء فيما خلا حملوا العلم فأحسنوا حمله فأحتاج إليهم الملوك وأهل الدنيا ورغبوا في علمهم فلما كان بأجرة فشت علماء فحملوا العلم فلم يحسنوا حمله فطرحوا علمهم على الملوك وأهل الدنيا فاهتضوهم واحتقروهم \* وقال أيضاً كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم فأصبح أهل العلم منا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم (اللهم) فجنبنا طريقة قوم لم يقوموا بحق العلم وأرادوا به الدنيا وأعرضوا عما لهم به في الآخرة من الدرجة العليا فلم يهنؤا بجلالته \* ولم يتمتعوا بنضارته \* بل خلقت عندهم ديباجته \* ورنث حاله \* وعرف مقداره جماعة من السادة فعظموه وبجلوه ووقروه واستغنوا به ورأوه بعد المعرفة أفضل ما أعطي البشر \* واحتقروا في جنبه كل مفتخر \* وتولوا (فما آتاني الله خير مما آتاكم) وكيف لا يكون الأمر كذلك والعلم حياة والجهل موت فبينهما كما بين الحياة والموت \* ولقد أحسن من قال

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله وأجسامهم قبل القبور قبور  
وان أمراء لم يحى بالعلم ميت وليس له حتى التشور نشور  
وقال اسماعيل بن عبد الله عن عبد الله بن عمر من قرأ القرآن فكأنما أدرجت  
النوبة بين جنبه إلا أنه لا يوحى إليه ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من الخلق  
أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله \*

(فصل) وصح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس  
ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهلاً  
فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » <sup>(١)</sup> وما أعظم حظ من بذل نفسه وجهدها في  
تحصيل العلم حفظاً على الناس لما بقي في أيديهم منه فإن في هذه الآزمة قد غلب

على أهلها الكسل والملل وحب الدنيا وقد قنع الحريص منهم من علوم القرآن بحفظ سورة وتقل بعض قراءاته وغفل عن علم تفسيره ومعانيه واستنباط أحكامه الشريفة من مبانيه \* واقتصر من علم الحديث على سماع بعض الكتب على شيوخ أكثرهم أجهل منه بعلم الرواية فضلا عن الدراية \* ومنهم من قنع بزيادة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم وبالنقل عن أهل مذهبه وقد سئل بعض العارفين عن معنى المذهب فاجاب ان معناه : دين مبدل : قال تعالى \* (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) ألا ومع هذا يخيل اليه انه من رؤوس العلماء وهو عند الله وعند علماء الدين من أجهل الجهل بل بمنزلة قسيس النصراني أو جبر اليهود لان اليهود والنصارى ما كفروا الا بأبداعهم في الاصول والفروع \* وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم « لتركبن سنن من كان قبلكم » <sup>(١)</sup> الحديث

﴿ فصل ﴾ والعلم بالأحكام واستنباطها كان أولا حاصلا للصحابة رضى الله عنهم فمن بعدهم فكانوا اذا نزلت بهم النازلة يجثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله وسنة نبيه وكانوا يتدافعون الفتوى ويود كل منهم لو كفاه اياها غيره \* وكان جماعة منهم يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها أكان ذلك فان قال لا قالوا دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه \* كل ذلك يفعلونه خوفاً من الهجوم على مالا علم لهم به واشتغالا بما هو الاعم من العبادة والجهاد فاذا وقعت المسألة لم يكن بد من النظر فيها \* قال الحافظ البيهقي وقد ذكره بعض الساف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يعض به كتاب ولا سنة \* وكرهوا للمسئول الاجتهاد فيه قبل أن يقع لان الاجتهاد انما أبيض للضرورة ولا ضرورة قبل الواقعة فلا يفنيهم ما مضى من الاجتهاد واحتج في ذلك بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » <sup>(٢)</sup> وعن طاوس قال قال عمر بن الخطاب رضى الله

١ - الروم ٣١ - ٣٢

(١) وتماه « شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه » رواه الحاكم عن ابن عباس

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه قال ابن عبد البر هذا الحديث محفوظ عن الزهرى بهذا الاسناد من رواية الثقات

عنه وهو على المنبر اخرج الله على كل امرئ مسلم سأل عن شيء لم يكن فانه قد بين ماهو كائن . وفي رواية لا يحل لكم أن تسألوا عما لم يكن فانه قد قضى فيما هو كائن **قلت** وهذا معنى قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ) الخ وعن عبد الرحمن بن شريح ان عمر بن الخطاب كان يقول اياكم وهذه العضل فانها اذا نزلت بعث الله لها من يقيمها ويفسرها **قلت** إنما يضطر الى الاجتهاد في الاحكام الحكام ولم يأت الاجتهاد لغير الحكام لحديث معاذ ان لم أجد في كتاب الله تعالى فبسنة رسول الله وان لم أجد في سنة رسول الله اجتهد برأيي لانه كان حاكما وقوله عليه السلام « أقضى بينكم برأيي فيما لم ينزل على فيه شيء » وهو حاكم وكذلك قوله تعالى ( وداود وسليمان اذ يحكما في الحرب ) كانا حاكمين فالاجتهاد بمنزلة الميتة قال الثعلبي والشافعي ولا يحل تناولها الا عند المحمصة والذي ليس بحاكم ويجتهد برأيه فثله كمثل رجل قعد في بيته ويقول انما جاز أكل الميتة لفلان ويجوز أكلها لي أيضا فكذلك لا يجوز لاحد أن يحنج بقول المجتهد لان المجتهد يخطئ . ويصيب فاذا كان شيء يحتمل أن يكون صوابا وخطأ فتركه أولى مثل الشبهات من الطعام تركها لها أولى من تناولها ( وعن ) الصلت بن رشد قال سألت طاووسا عن شيء فقال أكان هذا قلت نعم قال الله الذي لا اله الا هو قلت الله الذي لا اله الا هو قال ان أصحابنا حدثونا عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال يا أيها الناس لا تمجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم ههنا وههنا وان لم تمجلوا قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من اذا سئل سدد \* وعن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تستمعجلا بالبلية قبل نزولها فانكم اذا فعلتم ذلك لا يزال منكم من يوفق ويسدد وانكم ان استمعجلتهم بها قبل نزولها تفرقهم » وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه اشارة الى أن الفتوى والقضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ( قلت ) بهذا السبب أخذوا سنن اليهود والنصارى وزادوا عليهم حتى صاروا اثنتين وسبعين فرقة وحكم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم من أصحاب النار كما شهد للعشرة بانهم من أصحاب الجنة . وقال مسروق سألت أبي بن كعب

عن شيء قال أ كان بعد قلت لا قال فاصبر حتى يكون فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.  
وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى أدركت مائة وعشرين من الانصار من أصحاب  
محمد صلى الله عليه وسلم ما منهم أحد يتحدث بمحدث الاود أن أخاه كفاه اياه ولا  
يستقي عن شيء الاود أن أخاه كفاه اياه. وفي رواية يسأل أحدهم المسألة فيردها  
هذا الى هذا حتى ترجع الى الاول \* ثم بعد الصحابة أراد الله أن يصدق نبيه في  
قوله «تفرق أمتي على بضعة وسبعين فرقة أعظمها فرقة على أمتي قوم يقيسون  
الامور برأيهم فيحللون الحرام ويحرمون الحلال» رواه البزار في مسنده عن جبير  
ابن نفير عن عوف بن مالك الاشجعي عنه صلى الله عليه وسلم فكثرت الوقائع  
والنوازل في التابعين ومن بعدهم واجتهدوا بأرائهم لمن اضطر ومن لم يضطر  
ووصلت الى من بعدهم من الفقهاء ففرعوا عليها وقاسوا واجتهدوا في الحاق غيرها  
بها فتضاعفت مسائل الفقه وشككهم ابليس ووسوس في صدورهم \* واختلفوا  
اختلافا كثيرا من غير تقليد \* فقد نهى امامنا الشافعي عن تقليده وتقليد غيره  
كما سنذكره في فصل وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على ما رأى  
وتمقب بعضهم بمضا مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وتوجيه الراجح  
من أقوال السلف المختلفة بغير هوى ولم يزل الامر على ما وصفت الى أن استقرت  
المذاهب المدونة \* ثم اشتهرت المذاهب الاربعة وهجر غيرهما قصرت هم أتباعهم  
الا قليلا منهم قلدوا بعد ما كان التقليد لغیر الرسل حراما بل صارت أقوال  
أئمتهم عندهم بمنزلة الاصلين وذلك معنى قوله تعالى (اتخذوا أجباهم ورهبانهم  
أرباباً من دون الله) فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا  
بالرسول حيث قال «يبعث الله في كل مائة سنة من ينفي تحريف الغالين  
واتتحال المبطلين» <sup>(١)</sup> وحجروا على رب العالمين مثل اليهود أن لا يبعث بعد

١ - التوبة ٣١

(١) قال المؤلف في كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث ما نصه : روى عن

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل ومرفوعاً من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما رضى الله عنهم «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين واتتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» ولعله هنا نقله بمناه دون لفظه



أعنتهم وليا يجتهدا حتى آل بهم التعصب الى أن أحدهم اذا أورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه يجتهد في دفعه بكل سبيل من التأويل البعيدة نصرة لمذهبه ولقوله ولو وصل ذلك الى امامه الذي يقلده لقابله ذلك الامام بالتعظيم وصار اليه وتبرأ من رأيه مستعيناً بالله من الشيطان الرجيم وحمد الله على ذلك \* ثم نقام الامر حتى صار كثير منهم لا يرون الاشتغال بعلوم القرآن والحديث ويرون أن ما هم عليه هو الذي ينبغي المواظبة عليه فبدلوا بالطبيب خبيثاً وبالحق باطلا واشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين \* ثم نبغ قوم آخرون صارت عقيدتهم في الاشتغال بعلوم الاصلين يرون ان الاولى منه الاقتصار على نكت خلافية وضعوها وأشكال منطقية الفوها وقد قال عمر بن الخطاب اتهموا الرأي على الدين \* وقال سهل بن حنيف اتقوا الرأي في دينكم \* وقال عبد الله بن مسعود \* يحدث قوم يقيسون الامور برأيهم فيهدم الاسلام ( قلت ) ما عبت الشمس والقمر الا بالرأي ولا قالت النصارى ثالث ثلاثة ولا أن الله هو المسيح ابن مريم ولا اتخذ الله ولدا الا بالرأي \* وكذلك كل من عبد شيئا من دون الله انما عبده برأيه فانظر الى قول السامري ( وكذلك سولت لى نفسى ) وقال عبد الله بن عمر لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الاثر \* وروى الشعبي عن عبد الله ابن عمر إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعينهم الاحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوها وأضلوها : وقال الازاعى عليك بأثر من سلف وان رفضك الناس وإياك ورأى الرجال وان زخرفوه لك بالقول وقال أيضا اذا بلغك عن رسول الله حديثا فإياك أن تقول بغيره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبلغا عن الله تبارك وتعالى \* وقال أيضا العلم ما جاء عن أصحاب محمد ومالم يجي عن أصحاب محمد فليس بعلم يعنى مالم يجي أصله منهم \* وقال الشعبي اذا جاءك الخبر عن أصحاب محمد فضمه على رأسك \* واذا جاءك عن التابعين فاضرب به أقتينهم وقال سفيان الثوري العلم كله بالآثار \* وقال ابن المبارك ليكن الذي تعتمد عليه الاثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث \* وقال أحمد بن حنبل سألت الشافعي عن القياس فقال عند الضرورات فكان أحسن أمر الشافعي عدي انه اذا سمع

الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله \* وقال الشعبي القياس كالمينة اذا احتجت اليها  
فشأنك بها \* قلت ما أحسن قول القائل

تجنب ركوب الرأي فالرأي ريبة عليك بآثار النبي محمد  
فمن يركب الآراء يعم عن الهدى ومن يتبع الآثار يهدي ويحمد  
﴿وقول بعض المغاربة﴾

لا ترغبين عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار  
﴿وقول القائل﴾

انظر بعين الهدى ان كنت ذا نظر فانما العلم مبنى على الاثر  
لاترض غير رسول الله متبعاً مادمت تقدر في حكم على خبر  
ولم يختلف المفسرون فيما وقف عليه من كتبهم في ان قوله تعالى (فان تنازعتم  
في شئ فردوه الى الله والرسول) تقديره الى قول الله وقول الرسول \* فيجبر  
جميع ما اختلف فيه الى ذلك فما كان أقرب اليه اعتمد صحته وأخذ به \* ولذلك  
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ردوا الجهالات الى السنة وفي رواية يرد الناس  
من الجهالات الى السنة . وهذه كانت طريقة العلماء الاعلام أئمة الدين وهى طريقة  
امامنا أبى عبد الله الشافعى ولهذا قال ابن حنبل مامن أحد وضع الكتب حتى  
ظهر خطؤه <sup>(١)</sup> اتبع للسنة من الشافعى \* ثم ان الشافعى رحمه الله احتاط لنفسه وعلم  
ان البشر لا يخلو من السهو والغفلة وعدم الاحاطة فصيح عنه من غير وجه انه أمر  
اذا وجد قوله على مخالفة الحديث الصحيح الذي يصح الاحتجاج به أن يترك قوله  
ويؤخذ بالحديث \* أنبأنا الفاضل أبو القاسم عن أخبره الحافظ أبو بكر احمد بن  
الحسين البیهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال  
سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف  
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسننه ودعوا ما قلت \* وقال صاحب  
الشافعى المزنى في أول مختصره \* اختصرت هذا من علم الشافعى ومن معنى قوله  
لا تقربه على من أراد مع اعلامى نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه

١ - النساء ٥٩

(١) كذا في الاصل ولعله ثم ظهر خلاف رأيه

ويحتاط فيه انفسه أى مع اعلامى من أراد علم الشافعى نهى الشافعى عن تقليده  
وتقليد غيره\* قال الماوردى صاحب الحاوى قوله ويحتاط لنفسه أى كطلب السلف  
الصالح يتبعون الصواب حيث كان ويجتهدون فى طلبه وينهون عن التقليد\*

﴿فصل﴾ ثم ان المصنفين من أصحابنا المتصنفين بالصفات المتقدمة من  
الاتكال على نصوص امامهم معتمدون عليها اعتماد الأئمة قبلهم على الاصلين  
الكتاب والسنة قد وقع فى مصنفاتهم خلل كثير من وجهين عظيمين (الاول)  
أنهم يختلفون كثيرا فيما يلقونه من نصوص الشافعى وفيما يصححونه منها وصارت  
لهم طرق مختلفة خراسانية وعراقية قترى هؤلاء ينقلون عن امامهم خلاف ماينقله  
هؤلاء والمرجع فى هذا كله الى امام واحد وكتبه مدونة مروية موجودة أفلا كانوا  
يرجعون اليها وينقون تصانيفهم من كثرة اختلافهم عليها وأجود تصانيف أصحابنا  
من الكتب فيما يتعلق بنصوص الشافعى كتاب التقریب<sup>(١)</sup> أتى عليه أخير  
المتأخرين بنصوص الشافعى وهو الامام الحافظ أبو بكر البيهقى ﴿الوجه الثانى﴾  
مايفعلونه فى الاحاديث النبوية والآثار المروية من كثرة استدلالهم بالاحاديث  
الضعيفة على مايزهبون اليه نصرة لقولهم وينتصون من الفاظ الحديث وتارة  
يزيدون فيه وما أكثره فى كتب أبى المعالى وصاحبه أبى حامد نحو اذا اختلف  
المتبايعان وترادا ومن العجيب ما ذكره صاحب المذهب فى أول باب ازالة النجاسة  
قال وأما الغائط فهو نجس لقوله صلى الله عليه وسلم لمارأمانتفسل ثوبك من الغائط  
والبول والمثى والدم والقيء ثم ذكر طهارة منى الآدمى ولم يتعرض للجواب عن  
هذا الحديث الذى هو حجة خصمه ولم يكن له حاجة الى ذكره أصلا فان الغائط  
لا ضرورة الى الاستدلال على نجاسته بهذا الحديث الضعيف المنتهض حجة عليه  
فى أمر آخر ومن قبيح ما يأتى به بعضهم أن يحتج بخبر ضعيف هو دليل خصمه  
عليه فيوردونه معرضين عما كانوا ضمهوه وفى كتاب الحاوي والشامل وغيرهما شئ  
كثير من هذا وهم مقلدون لامامهم الشافعى فهلا اتبعوا طريقته فى ترك الاحتجاج

(١) للشيخ الامام قاسم بن محمد القفال الشافعى قال ابن خلكان هو أجل كتب

الشافعية بحيث يستغنى من هو عنده عن غيره اهـ

بالضعيف وتمقبه على من احتج به وتبيين ضعفه \* ثم ان مذهبه ترك الاحتجاج بالمراسيل الا بشروط ولو ذكر سند الحديث وعرفت عدالة رجاله الى التابى وسقط من السند ذكر الصحابي كان مرسلًا ويورد هؤلاء المصنفون هذه الاحاديث محتجين بها بلا اسناد أصلاً فيقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويظنون ان ذلك حجة وأمامهم يري أنه لو سقط من السند الصحابي وحده لم يكن حجة وكذا لو سقط غير الصحابي من السند فليتهم اذ عجزوا عن أساسيد الاحاديث ومعرفة رجالها عزوها الى الكتب التي أخذوها منها ولكنهم لم يأخذوا تلك الاحاديث الا من كتب من سبقهم من مشايخهم ممن هو على مثل حالهم فبعضهم يأخذه من بعض فيقع التغيير والزيادة والنقصان فيما صح أصله ويختلط الصحيح بالسقيم وهذا كله غير مستقيم بل الواجب في الاستدلال على الاحكام وبيان الحلال والحرام ان من يستدل بحديث يذكر مستنده ويتكلم عليه بما يجوز الاستدلال به أو يعزوه الى كتاب مشهور من كتب أهل الحديث المعتبرة فيرجع من يطلب صحة الحديث وسقمه الى ذلك الكتاب وينظر في سنده ومقال ذلك المصنف أو غيره فيه \* وقد يسر الله تعالى وله الحمد الوقوف على ما يثبت من الاحاديث وتجنب ما ضعف منها بما جمعه علماء الحديث في كتبهم من الجوامع والمسانيد فالجوامع هي المرتبة على الابواب من الفقه والرقائق والمناقب وغير ذلك فمنها ما اشترط فيه الصحة اذ لا يذكر فيه الا حديث صحيح على ما شرطه مصنفه ككتابي البخاري ومسلم وما ألحق بهما واستدرك عليهما وكصحيح امام الائمة محمد بن اسحق بن خزيمة وكتاب أبي عيسى الترمذي وهو كتاب جليل مبين فيه الحديث الصحيح والحسن والغريب والضعيف وفيه عن الائمة فقه كثير \* ثم سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه ومن بعدهم سنن أبي الحسن الدارقطني والتماسيم لابي حاتم بن حبان وغيرهما \* ثم مارتبه وجمعه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه الكبير من الاوسط والصغير التي أتى بها على ترتيب مختصر المزني وقربها الى الفقهاء بمجده فلا عذر لهم ولا سيما الشافعية منهم في تجنب الاشتغال بهذه الكتب النفيسة المصنفة في شروحا وغريبها بل أفنوا زمانهم وعمرهم بالنظر في أقوال من سبقهم من المتأخرين

ونزكوا النظر في نصوص نبينهم المصوم من الخطأ وآثار أصحابه الذين شهدوا الوحي وعابنوا المصطفى صلى الله عليه وسلم وفهموا مراد النبي فيما خاطبهم بقرائن الاحوال اذ ليس الخبر كالمعاينة فلا جرم لو حرم هؤلاء رتبة الاجتهاد وبقوا مقلدين \* وقد كانت العلماء في الصدر الاول معذورين في ترك ما لم يقفوا عليه من الحديث لان الاحاديث لم تكن حينئذ فيما بينهم مدونة انما كانت تتلقى من أفواه الرجال وهم متفرقون في البلاد ولو كان الشافعي وجد في زمانه كتابا في أحكام السنن أكبر من الموطأ لحفظه مضافا الى ما تلقاه من أفواه مشايخه فلهذا كان الشافعي بالمرأى يقول لاحمد بن حنبل أعلموني بالحديث الصحيح أصر اليه \* وفي رواية اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا حتى اذهب اليه \* ثم جمع الحفاظ الاحاديث المخرج بها في الكتب ونوعوها وقسموها وسهلوا الطريق اليها فبوجوبها وترجموها وبنوا ضعف كثير منها وصحته وتكلموا في عدالة الرجال وجرح الجروح منهم وفي حال الاحاديث ولم يدعوا للمشتغل شيئا يتأمل به \* وفسروا القرآن والحديث وتكلموا على غريبها وقهها وكل ما يتعلق بهامن مصنفات عديدة جليلة فالآلات متبينة لطالب صادق ولذي همة وذكاء وفطنة \* وأئمة الحديث هم المعتبرون القدوة في قههم فوجب الرجوع اليهم في ذلك وعرض آراء الفقهاء على السنن والآثار الصحيحة فما ساعده الاثر فهو المعتبر والا فلا نبطل الخبر بالرأى ولا نضمفه ان كان على خلاف وجوه الضعف من علل الحديث المعروفة عند أهله أو باجماع الكافة على خلافه فقد يظهر ضعف الحديث وقد يخفى وأقرب ما يؤمر به في ذلك انك متى رأيت حديثا خارجا عن دواوين الاسلام كالموطأ ومسنده أحمد والصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي ونحوها مما تقدم ذكره ومما لم نذكره فانظر فيه فان كان له نظير في الصحاح والحسان قرب أمره \* وان رأيت به يابن الاصول وارتبت به فتأمل رجال اسناده واعتبر أحوالهم من الكتب المصنفة في ذلك وأصعب الاحوال أن يكون رجال الاسناد كلهم ثقات ويكون متن الحديث موضوعا عليهم أو مقلوبا أو قد جرى فيه تدليس ولا يعرف هذا الا النقاد من علماء الحديث فان كنت من أهله فيها والا فاسأل عنه أهله \* قال الاوزاعي كنا نسمع

الحديث فنعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه أخذناه وما أنكروا تركناه \* فالتوصل الى الاجتهاد بعد جمع السنن في الكتب المعتمدة اذا رزق الانسان الحفظ والفهم ومعرفة اللسان أسهل منه قبل ذلك لولا قلة فهم المتأخرين وعدم المتبرين ومن أكبر أسباب تعصبهم تقيدهم برفق الوقوف وجمود أكثر المتصدين منهم على ما هو المعروف الذي هو منكر مألوف \*

﴿ فصل ﴾ فاذا ظهر هذا وتقرر تبين ان التعصب المذهب الامام المقلد ليس هو باتباع أقواله كلها كيفما كانت بل الجمع بينهما وبين ما ثبت من الاخبار والآثار والامر عند المقلدين أو أكثرهم بخلاف هذا انما هم يؤولونه تنزيلا على نص امامهم ثم الشافعيون كانوا أولى بما ذكرناه لنص امامهم على ترك قوله اذا ظفر بحديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافه فالتعصب له على الحقيقة انما هو امتثال أمره في ذلك وسلوك طريقته في قبول الاخبار والبحث عنها والتفقه فيها وقد قلت ماروى عنه في ترجمته في تاريخ دمشق قال الربيع قال الشافعي قد أعطيتك جملة تغنيك ان شاء الله تعالى لاتدع لرسول الله حديثا أبدا الا أن يأتي عن رسول الله سنة صح الخبر فيها عند أهل النقل بخلاف ما قلت فتعمل بما قلت لك في الاحاديث اذا اختلفت \* وفي رواية اذا وجدتم عن رسول الله سنة خلاف قولي فخذوا السنة ودعوا قولي فاني أقول بها \* وفي رواية اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله دعوا ما قلت \* وفي رواية كل مسألة تسكمت فيها بخلاف السنة فانا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي \* قال وسمعت الشافعي يقول وروى حديثا قال له رجل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال ومتى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم ان عقلي قد ذهب وأشار بيده الى رأسه : وفي رواية روى حديثا فقال له قائل أتأخذ به فقال له أتراني مشركا أو ترى في وسطى زنارا أو تراني خارجا من كنيسة نعم آخذ به آخذ به آخذ به وذلك الفرض على كل مسلم \* وقال حرمة ( قال الشافعي ) كل ما قلت وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني \* وفي كتاب ابن أبي حاتم عن أبي ثور قال سمعت الشافعي

يقول \* كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعه مني \*  
وفيه عن الحسين الكرايسي قال قال لنا الشافعي ان أصبتم الحججة في الطريق  
مطروحة فاحكوها عنى فاني القائل بها <sup>(١)</sup> وقال الربيع سمعت الشافعي يقول  
ما من أحد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه  
فهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خلاف ما قلت فاقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي : قال وجعل  
يردد هذا الكلام قال وقال الشافعي من تبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
واقته ومن غلط قتر كما خالفته صاحبي اللزم الذي لا أفارقه الثابت عن رسول الله \*  
وقال الزعفراني كنا لو قيل لنا میان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا مأخوذ وهذا غير مأخوذ حتى قدم علينا  
الشافعي فقال ما هذا اذا صح الحديث عن رسول الله فهو مأخوذ به لا يترك لقول  
غيره قال فنبهنا لشيء لم نعرفه يعني نبهنا لهذا المعنى \* قال أبو بكر الا نرم كنا  
عند البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحنه من كتابه وجعله  
ضربة وقال هكذا أو صانا صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي <sup>(٢)</sup> قال المؤلف \*  
قلت هذا من البويطي فعل حسن موافق للسنة ولما أمر به امامه \* وأما الذين  
يظهرون التعصب لاقوال الشافعي كيف كانت وان جاءت سنة بخلافها فليسوا متعصبين  
في الحقيقة لانهم لم يمتثلوا ما أمر به امامهم بل دأبهم ودينهم اذا ورد عليهم الحديث  
الصحيح الذي هو مذهب امامهم والذي لو وقف عليه لقال به أن يحتالوا في دفعه  
بمالا ينفعهم لما قل لهم عن امامهم من قول قد أمر بتركه عند وجدان ما يخالفه  
من السنة هذا مع كونهم عاصين بذلك لمخالفتهم ظاهر كتاب الله وسنة رسوله \*  
والمعجب ان منهم من يستجيز مخالفة نص الشافعي لنص له آخر في مسألة أخرى  
بخلافه ثم لا يرون مخالفته لاجل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أذن  
لهم الشافعي في هذا \* قال البويطي سمعت الشافعي يقول لقد ألفت هذه الكتب  
ولم آل فيها جهداً ولا بد أن يوجد فيها الخطأ لان الله تعالى يقول ( ولو كان من

(١) يشير الى قول: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فما وجدتم في كتبني هذه مما يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه • وفي رواية اني ألقت هذه الكتب مجتهداً بنحو ما قبله وفي آخره فاشهدوا علي اني راجع عن قولي الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنت قد بليت في قبري • وقال ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز قال سمعت مالكا يقول انما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه • وذلك الظن بجميع الأئمة وقد كره الامام أحمد أن يكتب فتاويه وكان يقول لا تكتبوا عني شيئا ولا تقلدوني ولا تقلدوا فلانا وفلانا وخذوا من حيث أخذوا • وقال بعضهم لا تقلدوا دينكم الرجال ان آمنوا آمنتم وان كفروا كفرتم وكان أحمد لا يفتي في طلاق السكران شيئا ويقول ان أحلناه بقول هذا حرمناه بقول هذا • وقال نعيم بن حماد سمعت أبا عصمة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه اخترنا وما كان من غير ذلك فنحن رجال وهم رجال • وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة انه قال أقلد من كان من القضاة من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر وفي رواية أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر : أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب : فقيل له في ذلك فقال أما أنس فاختلف في آخر عمره وكان يفتي من عقله وأنا لأأقلد عقله • وأما أبو هريرة فكان يروى كل مسمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ (١)

(١) قال في مرآة الوصول وشرحها مرآة الاصول - من أصول الحنفية رحمهم الله في بحث حال الراوى . وهو ان عرف بالرواية فان كان فقيها تقبل منه الرواية مطلقا سواء وافق القياس أو خالفه وان لم يكن فقيها كابي هريرة وأنس رضى الله عنهما فتد روايته ان لم يوافق الحديث الذى رواه قياسا انتهى بحروفه • ولابن القيم في أعلام الموقعين بحث كبير في أنه ليس في الشريعة شيء على خلاف القياس فراجعهم • لم يذكّر السبب المانع من أخذه عن سمرة ابن جندب قال الامام تقي الدين ابن السبكي وزعمهم ان أبا هريرة ليس بفقير كلام تقشعر منه الجلود بل هو فقيه كبير



وقال ابن المبارك سمعت أبا حنيفة يقول إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس وإذا جاء عن أصحابه نختار من قولهم وإذا جاء عن التابعين زاحناهم • وفي رواية قال أخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله فان لم أجد في كتاب الله وسنة رسول الله أخذ بقول أصحابه ثم أخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فأما إذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب وعد رجالا من التابعين فقوم اجتهدوا وأنا أجتهد كما اجتهدوا • قال سفیان الثوري لما بلغه ذلك عن أبي حنيفة ثم رأينا لربهم وكان سوى بين الصحابة والتابعين في أنهم إذا أجمعوا في مسألة على قولين مثلا لم يميز احداث قول ثالث وجوز أبو حنيفة ذلك وأماما أجمع عليه الصحابة فلا كلام في انه لا يجوز مخالفته فقد وضع لك من أقوال الأئمة انه متى جاء حديث ثابت صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فواجب المصير الى ما دل عليه الظاهر ما لم يعارضه دليل آخر وهذا هو الذي لا يسمع أحداً غيره قال الله عز وجل ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) ففي سبحانه الايمان عن لم يحكم رسوله فيما وقع التنازع فيه ولم يستسلم لقضائه وقال عز وجل ( وان طيعوه تهتدوا ) فضمن الهداية سبحانه في طاعة رسوله ولم يضمنها في طاعة غيره وقال تعالى ( ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ) وأدع على مخالفته فقال تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) وقال تعالى ( وما كان يؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضللا ميئنا ) قال يونس بن عبد الاعلى حدثنا سفیان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد قال ليس من أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم • وروى أيضا عن مجاهد بإسناد آخر وروى منه عن الشعبي وكذلك روى شعبة عن الحكم بن عتيبة وروى عن مالك بن أنس انه قل الا صاحب هذا القبر وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم •

١ - النساء ٦٥

٢ - النور ٥٤

٣ - الأحزاب ٧١

٤ - الأحزاب ٣٦

﴿ فصل ﴾ كان العلماء من قدماء أصحابنا يفتنون بمختصر المزني وبسببه سهل تصحيح مذهب الشافعي على طلابه في ذلك الزمان وسمعه عن المزني خلق عظيم من الغرباء ورحل اليه بسببه وامتلات بنسخه البلدان حتى انه بلغني ان المرأة كانت اذا جهزت للدخول على زوجها حمل في جهازها مصحف ونسخة مختصر المزني \* ويروى عن المزني انه قال بقيت في تصنيف هذا المختصر ست عشرة سنة وما صليت لله فريضة ولا نافلة الا سألت الله البركة لمن تعلمه ونظر فيه \* وكان أبو العباس ابن سريج يقول في المختصر

لصيق فزادى مذ ثلاثين حجة وصيقل ذهني والمفرج عن همي

عزيز على مثلي اضاعة مثله لما فيه من نسج بديع ومن نظم

وعلى ترتيبه وضعت الكتب المطولة في مذهب الشافعي \* قال الحافظ البيهقي قايلت بتوفيق الله أقوال كل أحد من الأئمة بمبلغ على من كتاب الله ثم ما جمعت من السنن والآثار في الفرائض والنوافل والحلال والحرام والحدود والاحكام فوجعت الشافعي أكثرهم اتباعا وأقوامهم احتجاجا وأصحهم قياسا وأوضحهم ارشادا وذلك فيما صنف من الكتب القديمة والجديدة في الاصول والفروع بأبين بيان وأفصح لسان ( قلت ) ثم اشتهر في آخر الزمان على مذهب الشافعي تصانيف الشيخين أبي اسحق الشيرازي وأبي حامد الغزالي فأكب الناس على الاشتغال بها وكثر المنصبون لها حتى صار المتبحر المرفق عند نفسه يرى أن نصوصهما كنصوص الكتاب والسنة لا يرى الخروج عنها وان أخبر بنصوص غيرهما من أئمة مذهبه بخلاف ذلك لم يلتفت اليها وقد يقع في بعض مصنفاتهما ما قد خالف المؤلف فيه صريح حديث صحيح أو ساق حديثا على خلاف لفظه أو قتل اجماعا أو حكما عن مذهب بعض الأئمة وليس كذلك فان ذكر لذلك المنصب العيوب في مثل ذلك نادى وصاح وزجر وأخنى العداوة وكان سبيله أن يفرح بوصوله الى ما لم يكن يعرفه ولكن عى التقليد أصم عن سماع العلم المفيد يقول المتحدلق منهم المتصدر في منصب لا يستحقه أما كان هؤلاء الأئمة يعرفون هذا الحديث الصحيح الوارد على خلاف نصهم فيرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الهذيان

الذي لو فكر فيه أسكتته عنه لان خصمه في مثل هذا هو الله ورسوله لان الله تعالى افترض علينا طاعة رسوله فقد وصلنا الى حديثه فلا نرده بقول أحد \* ثم إن في ذلك إبطالا لمذهبه وهدما لاصله الذي مهده امامه وأسمه وذلك ان الشافعي إنما تعصب على من كان قبله من الأئمة بمثل ذلك من دلالات الكتاب والسنة مما ظنه خفي على من سبقه وكان من الممكن أن يقال له أما كان أولئك يعرفون هذا وأولئك المتقدمون أولى بذلك من المتأخرين فلو سمع مثل هذا الهذيان لبطلت المذاهب بل ينبغي للطالب أن يكون أبدا في طلب ازدياد علم ما لم يعلمه من أي شخص كان فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وعليه الانصاف وترك التقايد واتباع الدليل فكل أحد يخطئ ويصيب الا من شهد له الشريعة بالعصمة وهو النبي صلى الله عليه وسلم \* قال الشافعي في كتاب اختلاف الحديث حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله بن عمران عن عمر بن الخطاب نهى عن التطيب قبل زيارة البيت وبعد الجرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي هاتين لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول الله أحق قال الشافعي قترك سالم قول جده عمر في امامته وقبل قول عائشة وسنة رسول الله أحق وذلك الذي يجب عليه ( قلت ) وما زال أكابر الصحابة مثل أبي بكر الصديق ومن بعده يخفى عليهم شيء من السنة كبريات الجدة وتورث المرأة من دية زوجها ووضع اليدين على الركبتين في الصلاة خفي الاول على أبي بكر والثاني على عمر والثالث على ابن مسعود حتى نبههم على ذلك غيرهم ولذلك أمثلة كثيرة ( ومن العجب ) ان كثيرا منهم اذا ورد على مذهبه أثر عن بعض أكابر الصحابة يقول مبادرا بلا حياء ولا حشمة مذهب الشافعي الجديد ان قول الصحابي ليس بحجة ويرد قول أبي بكر وعمر ولا يرد قول أبي اسحق والغزالي ومع هذا يرون مصنفات أبي اسحق وغيره مشحونة بتخطئة المزني وغيره من الاكابر فيما خالفوا فيه مذهبهم فلا تراهم ينكرون شيئا من هذا فان اتفق أنهم سمعوا أحدا يقول أخطأ الشيخ أبو اسحق في كذا بدليل كذا وكذا انزعجوا وغضبوا ويرون أنه ارتكب كبيرا من الاثم فان كان الامر كما ذكره افا لامر الذي ارتكبه أبو اسحاق

أعظم فما بالهم لا ينكرون ذلك ولا يفضون منه لولا قلة معرفتهم وكثرة جهلهم  
بمرايب السلف

❦ فصل ❦ قد تقدم ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما وذلك أنه كان اعتمادا  
على كتاب الله وسنة رسوله والنظر الصحيح من الاجتهاد الراجع الى الكتاب  
والسنة وترجيح أشبه المذاهب بالكتاب والسنة وهذا هو الاصل الصحيح القوي  
الذي يتم البناء عليه الا أنه قد يعرض له ما يعرض لغيره من البشر من ليس بمعصوم من الغفلة  
والنسيان فحالنا تصریح قوله على أن ما يصح من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم  
فهو مذهبه فلم يترك لعائب عيبا ولا لمنتقد من حساده انتقادا فرضى الله عنه \*  
ولهذا قال بعض العلماء لولا الشافعي لغير أصحاب الرأي ما جاء به محمد صلى الله  
عليه وسلم \*

❦ فصل ❦ هذه الفصول التي ذكرناها حسنة كثيرة الفوائد مجموعة من  
عدة مصنفات ينبغي لكل من يعنى بالعلم النظر فيها والاطلاع عليها وقد رأيت  
ان أختما بفصل هو أهمها وأجلها وأعما نفعا وأولاها ذكرها وهو ما اعتنى ببيانه  
الامام أبو حامد رحمه الله في كتاب الاحياء من نصح أهل العلم وبيان العلوم النافعة  
والتحذير من العلوم البضارة حيث قال ( أدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة  
الانبياء وقد شغل عنهم الزمان ولم يبق الا المترسون وقد استحوذ عليهم الشيطان  
واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوبا فصار يري المرفوف  
منكرا والمنكرو مرفوفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار المهدي في أقطار الارض  
منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق انه لا علم الا فتوي حكومة يستعين بها القضاة على  
فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدفع به طالب المباهاة الى الغلبة  
والاغلام أو سجع مزخرف يتوصل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى  
هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشكة للحطام \* فاما علم طريق الآخرة وما درج  
عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه قهها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية  
ورشدا فقد أصبح بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ) ثم أتى على علم المعاملة  
وقال ( هو علم أحوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد

والتقوى والقناعة والسخاء وحسن الخلق والصدق والاخلاص وما يندم كالغلل  
والحقد والحسد والغش والكبر والرياء والبخل والتزين للخلق والمداينة والخيانة  
وطول الامل والقسوة وقلة الحياء وقلة الرحمة \* فهذه وأمثالها من صفات القلب  
مفارس الفواحش والاخلاق المحمودة منبع الطاعات ) الى أن قال ( ولا ينبغي أن  
يفتر الانسان بقول سفيان تعلمنا المعلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله وكان  
علمهم علم الكتاب والسنة وان القهاء يتعلمون لغير الله لان ما يشتغلون به غير  
• أمورين به • وانظر الى أعمار الاكثربن منهم واعتبرهم فانهم ماتوا وهم هلكي  
على طلب الدنيا وليس الخبر كالمأينة ) وقال أبو سليمان الخطابي دع الراغبين في  
صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال \* اخوان العلانية أعداء السر  
اذا لقوك تملقوا لك واذا غابت عنهم سلقوك \* من اتاك منهم كان عليك رقيباً واذا  
خرج كان عليك خطيباً • أهل نفاق ونميمة وغل وحقد وخديعة • ولا تفتر باجماعهم  
عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلماً الى أوطارهم وحماراً الى  
حاجاتهم ان قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد الأعداء عليك • ثم يمدون  
ترددهم اليك دالة عليك ويروونه حقاً واجبا عليك ويمرضونك أن تبذل عرضك  
ودينك وجاهك لهم فتعاديهم وتنصر قريبتهم وخادمهم ووليهم • وتنهض لهم  
سفياً وقد كنت قهياً وتكون لهم تابلاً خسيساً بعد أن كنت متبوعاً رئيساً •  
ولذلك قيل ( اهتزال العامة مروءة تامة ) •

( قال المصنف ) وقد رأيت أن أختمه من عبارات أهل المعرفة والتقوى  
العاملين بالعلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع والزهد في الدنيا • روي  
عن عبد الله بن حنيف الانطاكي وهو أحد السادة العباد • قال سألت يوسف  
ابن أسباط هل مع حذيفة المرعشي علم قال معه العلم الا كبر خوف الله • وذكر  
في مجلس أحمد بن حنبل معروف الكرخي وقال بعض من حضر هو قليل العلم  
قتال أحمد وهل يراد من العلم الا ما وصل اليه معروف • وقال عبد الله بن أحمد  
ابن حنبل ذهب أبي ويحيى بن معين الى معروف قتال ابن مصين أيش  
لمني في سجدتي السهو في الصلاة قتال معروف شرعنا عقوبه للقلب اذا صها

وهو بين يدي الله فقال له أبي يا أبا زكريا هذا من علمك هذا في كتبك أو كتب أصحابك \* وقال الجنيد بن محمد أتدرون ما فرض الصلاة قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله تعالى \* قيل له كيف تدخل في الصلاة قال بالتاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر في ترتيب \* وقال أبو حاتم محمد بن ادريس الرازي دخلت دمشق على كتبة الحديث فررت بحلقة قاسم الجرعي فرأيت نفرا جلوسا حوله وهو يتكلم عليهم فها لي منظر ثم فتقدمت اليهم فسمعتهم يقول \* اغتنموا من أهل زمانكم خمسا \* ان حضرتم لم تعرفوا وان غبتم لم تفقدوا وان شهدتم لم تشاوروا وان قلتم شيئا لم يقبل قولكم وان علمتم شيئا لم تعطوا به وأوصيكم بخمس أيضا ان ظلمتم لا تظلموا وان مدحتم لا تفرحوا وان ذمتم لا تجزعوا وان كذبتم فلا تنضبوا وان خانكم فلا تخونوا \* قال فجعلت هذا فائدتي من دمشق ثم قال المصنف رحمه الله تعالى \* فهذا وأمثاله هو ثمرة علم العلماء الذين يريدون الله تعالى بطلب العلم النافع جعلنا الله منهم بمنه وفضله وكرمه ووقفنا لسلوك في منهاجهم برحمته واحسانه والحمد لله رب العالمين \* وصلى الله على سيدنا وولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين \*

تمت الرسالة الثانية بحمد الله تعالى ويتلوها الثالثة بعون الله تعالى وتوفيقه



# الرسالة الثالثة

❦ استخراج الجدل من القرآن الكريم ❦

( تصنيف الشيخ الامام ناصح الدين أبي الفرج عبد الرحمن الانصارى )

المعروف بابن الحنبلى المتوفى سنة ٦٣٤ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهم يسروا عن يا كريم

قال الشيخ الامام ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب  
الانصارى بن الحنبلى \* الحمد لله الحاوى كتابه أنواع العلوم \* الدال أمره على  
الموجود والمعدوم \* المشرف خطابه لذوى العقول والحلوم \* الضارب الامثال لارباب  
الالباب والفهوم \* القاضى بالحق والفاصل بين الظالم والمظلوم يوم اجتمع الخصوم \*  
يبرم الامور بقضاء محتوم \* منزل الماء بقدر معلوم \* ومعلم الانسان البيان فى الامر  
المظنون والحكم المجزوم \* شارع السبيل المأمون من الكتاب المصون على لسان  
النبي المصوم \* أحمد محمد غير مبغوض ولا مهضوم \* وأؤمن به إيماناً غير مظنون ولا  
موهوم \* وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة تقي حر نار السموم \*  
وتقيء بتكفير ذنب المأثوم \* وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الحاكم بشرعه على  
كل حاكم من البرية ومحكوم \* المفضل جمسه على كل مفرد من الخلق وملهوم \*  
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لا تحصى فضائلهم بمنثور ولا منظوم \* ولا  
تجهل ما نرجم الى يوم الوقت المعلوم \*

❦ وبعد ❦ فان الفقهاء رضى الله عنهم أرباب النظر والمحريين أدلة العبر قد ألقوا  
فى مذاهب الجدل ما يتضمن تحرير الاستدلال وتقرير الجواب والسؤال الا أن

الأمر الاصطلاحي منقوض بمثله وربما نسخ اصطلاحاً اصطلاحاً بوعره عند قوم أو بسهله . والمذهب الذي يرسخ ولا ينسخ ويعلو فرعه ويشخ ما كان مجناه من حبات القلوب \* وسقياء من الشراب الطهور المتقى من العيوب \* الكاشف لاسرار الغيوب \* لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنزيل من حكيم حميد \* وقد استخرت الله تعالى في استنباط طريق من طريقه \* واسكان بعض القاصدين لهذا الفن غرفة من غرفه \* وهذا الكتاب يشتمل على ثمانية أبواب \* لكل باب فضل في فصل الخطاب \* ولكنه وقف على ذوى العلوم والالباب \* ومشارع هذه الابواب من الكتاب المعصوم من الزلل والارتياب \*

( الباب الاول ) في ذكر الجدل في الكتاب العزيز والممدوح منه والمنموم ( الباب الثانى ) أول من سن الجدل ( الباب الثالث ) جدال الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه للامم ( الباب الرابع ) ذكر الادلة وأنواعها على وجود الصانع سبحانه ( الباب الخامس ) ذكر الادلة على أنه واحد ( الباب السادس ) ذكر أدلة البعث ( الباب السابع ) ذكر الادلة على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن العزيز ( الباب الثامن ) في السؤال والجواب ونكت من الجدل فهذه ثمانية أبواب \* وعلى توفيق الله سبحانه وتعالى الاحالة بالصواب \*

### ﴿ الباب الاول في ذكر الجدل والحجة ﴾

لأعلم أن الله سبحانه ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً - ولفظة الحجة وما تصرف منها في سبعة وعشرين موضعاً ولفظة السلطان أيضاً في ثلاثة وثلاثين موضعاً الجميع المراد به الحجة سوى موضع واحد في الحاقة \* هلك عنى سلطانيه \* وقيل المراد به الحجة فأما الجدل فهو منموم في كل موضع ذكر الا في ثلاثة مواضع ( أحدها ) في النحل ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتوى أحسن ) ( الموضع الثانى ) في المنكبوت ( ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتوى أحسن ) ( الموضع الثالث ) في المجادلة

١ - النحل ١٢٥

٢ - المنكبوت ٤٦



( قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها )<sup>١</sup> وهذه المرأة هي خولة بنت ثعلبة الانصارية كانت تحت زوجها أوس بن الصامت والقصة مشهورة فيما قوله سبحانه ( وجادلهم بالتي هي أحسن )<sup>٢</sup> فيحتمل أن يكون المراد بالاحسن الاظهر من الأدلة . ويحتمل التعجيز عن الاتيان بمثل القرآن لأنه أحسن الأدلة نظاما وبيانا وأكملها حسنا واحسانا وأرجحها من الثواب ميزانا، وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفا وبرهانا \* ويحتمل الاصغاء إلى شبههم والرفق بهم في حلها ودحضا . ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون عليهم الحجة أظهر والجحد منهم أنكذ وهى سنة الأنبياء عليهم السلام مع الأئمة عند الدعوة والمجادلة . من ذلك لما قالوا لمحمد ﷺ مجنون قال ( وماسنى السوء )<sup>٣</sup> أي جنون من غير ان يقابلهم على ذلك بقول خشن من النخوة العريية والعزة الهاشمية وقالوا لنوح عليه السلام ( إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين . قال رب انصرني بما كذبون )<sup>٤</sup> وقالوا له ( إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين )<sup>٥</sup> وقالوا لصالح ( إن هو إلا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين . قال رب انصرني بما كذبون )<sup>٦</sup> وقالوا لهود ( إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول . من رب العالمين )<sup>٧</sup> فلوقابلهم الأنبياء بغلظة لنفرت طباعهم وانصرفت عقولهم عن التسديد لما قالوا والتدبر لما جاؤا به من البيّنات فلم تنضح لهم المحجة ولم تقم عليهم الحجة وشاهد هذه الحالة قوله تعالى ( وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم )<sup>٨</sup> \*

### الباب الثانى

أول من سن الجدل الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا ( أتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وتقديسك قال إني أعلم مالا تعلمون ) وهذا منهم استدلال بالترجيح والاولوية أى من سبى وتقديسك هو أولى بالايجاد والجمل فيه امن يفسد فيها ويسفك الدماء وكان جواب الله لهم بالترجيح أيضا من جهة أخرى ولهذا لم يرد عليهم قولهم اذ قد علم سبحانه أن الذى ظنوه

١ - المجادلة ١

٢ - النحل ١٢٥

٣ - الاعراف ١٨٨

٤ - المؤمنون ٢٥ - ٢٦

٥ - الاعراف ٦٠ - ٦١

٦ - المؤمنون ٢٨ - ٢٩

٧ - الاعراف ٦٦ - ٦٧

٨ - البقرة ٢٠٦

٩ - البقرة ٢٠

فيهم ووصفهم به كائن بل عدل الله سبحانه الى أمر مجمل فقال ( انى أعلم مالا نعلمون ) من ترتيب خلقى وتدبير صنعى المحوط بالحكمة الدال على القدرة فأنى خلقت الملائكة من نور لا ظلمة فيه فكان منهم الخير المحض بارادتي وخلقت الشياطين من ظلمة نار السموم وهو المارج فكان منهم الشر المحض بارادتي وخلقت آدم وذريته من نور وظلمة فكان منهم الخير والشر بارادتي ووضعت فيهم عقلا يرشد الى المصالح ونفسا ميالة الى الهوى المؤذى وأمددت الفريقين بمجندين يسوقان العقل والنفس الى ماسبق من التقدير الناشئ عن علم التدبير وكان حكى في هذين الفريقين أن من غلب عقله علي هواه فهو من الناجين ومن غلب هواه على عقله فهو من الهالكين وهذا ما اشتمل عليه قوله تعالى ( لاني أعلم مالا تعلمون ) ومما اشتمل عليه ( انى أعلم مالا تعلمون ) ان اختلاف الصنائع أول دليل على قدرة الصانع ومما اشتمل عليه ( انى أعلم مالا تعلمون ) أنى ركب فيهم من الشهوة مالمور كنهه فيكم لنعلم فعلهم أولم تطيقوا صبرهم على أنهم قد أحبوني بحبة بدلوا فيها أبدانهم للتمزيق ودماءهم للاراقة وأرواحهم للذهاب ومنهم الصابرون على أنواع المكاراه والصائمون في المواجر والمابدون على ضعف القوى . والناهون نفوسهم مع قوة الهوى ويرون ذلك المرحوا في رضاي وتسايما لقضائي وقدرى يسابق كل ولى منهم بالعبادة أجله يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة فظهرت حكمة الله عز وجل في خلقهم ورجحت حجة الله سبحانه على الملائكة في قدحهم \*

فأما ابليس فهو أول من أظهر الخلاف وركب المناد وسار به في البلاد . والفرق بينه وبين الملائكة أن الملائكة لم يظهر منهم خلاف ولا عصيان بل طلبوا بسؤالهم الايضاح والبيان . وابليس ألقى ودل في مسأله فاقطع في مجادله وخسر في كرهه وبيان فساد تعليله . وازاغته عن الصواب في تأويله . أنه قال ( خلقتني من نار وخلقته من طين ) ومعناه أن النار جوهر لطيف شفاف له قوة الاشرار وسلطان الاحراق . والطين جسم مظلم كثيف . ليس باللطيف ولا الخفيف . والسجود خدمة ينضمّن تعظيم المسجود له والاولى بها الاعلى منهما هذا منتهى كلامه ومضمون قوله وهو مردود عليه من وجوه \* منها أنه عارض النص بالقياس

وهو فساد في الاعتبار وعدم استبصار لان العمل بالنص مقدم على القياس لان سهام القياس تصيب مرة وتخطئ أخرى . وكلام المعصوم المنزه عن الغلط والزلل لا يخطئ \* ومنها أن الماء والتراب والهواء والنار أصول الاجسام ومواد المركبات فلا يقوم جسم الا باجتماعها واذا كانت متكافئة في التأثير فاختصاص أحدها بالافضلية لا دليل عليه \* ومنها أن الطين اشتمل على أصلين من الاصول الاربعة وهما الماء والتراب فكيف يكون أصل واحد خيرا من أصلين متكافئين . وعلى تقدير تسليم التفاضل فالله أفضل لان سلطانه يقهر سلطان النار اذا التقيا \* ومنها على تقدير صحة قياسه فالترجيح للسجود من وجهين ( أحدهما ) أن مصلحة امتثال الامر راجحة على الامتناع لان امتثال الامر أمن من العقاب المرتب على المخالفة ( الوجه الثاني ) أن الامتناع من السجود بهذا التعليل المذكور من جهته يلزم منه تخطئة الامر ونسبته الى وضع الشيء في غير موضعه وذلك في غاية الجناية على الآله الحكيم . وقد قال بعض المتكلمين ان كل شبهة وقعت في الملل فاصلها من شبهة ابليس \* قال المصنف بل هي شبهة واحدة مطردة في كل مذهب فاسد وقد ذكرنا ذلك في كتاب البروق \*

وأما الحجة فهي عبارة عن دليل الدعوي وقد تطلق على الشبهة أيضا لانها مستند المخالفة . قال الله تعالى ( حجبتهم داخضة عند ربهم ) وقال تعالى ( لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقوله تعالى ( فله الحجة البالغة ) أي الدليل القاطع الذي لا يعارضه معارض وذلك قوله تعالى ( وتلك حجبتنا آتيناه ابراهيم على قومه ) وقد قيل في قوله تعالى إخبارا عن ابليس ( وما كان لي عليكم من سلطان ) أي حجة وإنما غرهم بالشبهة فالحجة حقيقة في الدليل مجاز في الشبهة \*

### الباب الثالث

في جدال الانبياء عليهم الصلاة والسلام للامم أولهم جدال نوح عليه السلام قال ( استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم

١ - الشورى ١٦

٢ - النساء ١٦٥

٣ - الأنعام ١٤٩

٤ - الأنعام ٨٣

٥ - إبراهيم ٢٢

أطواراً ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم أخرجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ( وقال تعالى ) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أني لكم نذير مبين أن لا تعبدا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ( أجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمى فقال ( يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي ) الى هنا هي الحجة العظمى وهذه الحجة العظمى هي التي أضافها الله عز وجل الى نفسه في قوله ( وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ) وقد أشبعنا القول فيها في كتاب الحجة العظمى ( قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين )

جدال ابراهيم وحجابه وله ثلاث مقامات الاول مع نفسه . الثاني مع أبيه . الثالث مع نمرود وقومه ﴿ الاول ﴾ رأى كوكبا قال هذا ربي الى آخر القصة . وجه استدلاله أنه رأى انارة الكوكب وحسنه وعلومكانه ولم ير قبله مثله فقال هذا ربي بناء على أن الرب لا ينبغي أن يكون له مثل فلما أفل أدرك تقصه وعييه لان الاقول تغير والتغير حدوث والكمال لا يجوز عليه الحدوث لانه صانع الحدوث وطرذا القياس في الانبات والنفي على باقي الكواكب بالاعتبار الاول ومن حيث علم انها مكونة مصنوعة علم انها لا بد لها من صانع هو أكل منها فقال ( وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ) ليدخل في ذلك الكواكب التي اعترضته في طريق الاستدلال ﴿ المقام الثاني ﴾ مع أبيه ﴿ قال الله تعالى ﴾ واذا كرفي الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لايه يا أبت لم تعبد الا الله يسمع ولا يبصر ولا ينبغي عنك شيثا يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لارجنك واهجرني مليا ( فكان جواب أبيه جواب جاهل لانه قابله على نصحه له بالرجم والهجر أشبه جواب قومه ( وما كان جواب قومه الا أن قالوا حرّقه وانصروا آلهتكم ) ﴿ المقام الثالث ﴾ مع النمرود وقومه وهو

١ - نوح ١١ - ٢٠

٢ - هود ٢٥ - ٢٧

٣ - هود ٦٢

٤ - الأنعام ٨٣

٥ - هود ٢٢

٦ - الأنعام ٧٩

٧ - مريم ٤١ - ٤٦

٨ - الأنبياء ٦٨

قوله تعالى ( ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحبى وبميت قال أنا أحبى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ) فالصادر من خصمه معارضة الا أنها فاسدة لان حقيقة الاحياء والامانة التى فسر ها خصمه غير الذى قصده ابراهيم فلا يخلو حال نمرود اما أن يكون ما فهم حقيقة الاحياء والامانة أوفهم الا أنه قصد المصادمة والمباينة وكلاهما يوجب العدول الى دليل يفضح معارضته ويقطع حجابه ومنى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال الى دليل آخر أقرب الى الفهم وأفلج للحجة وسيأتى نظيره فى قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى ( وحاجه قومه قال أتحتاجونى فى الله وقد هدانى ) وذكر الحجة العظمى فقال وكيف أخاف الى قوله ( فأى الفريقين أحق بالامن ) وقد شرحنا هذا فى كتاب الحجة العظمى \* فان قيل ما الحكمة انه جادل الملك بالاحياء والامانة والاثنين بالشمس من المشرق وكل ذلك يمكن دعوى المعارضة له والكلام عليه ولم يدعه بالحجة العظمى وجادل قومه بالحجة العظمى فالجواب أن الملك كان يدهى الربوبية فلا يقال انه لا يخلو اما أن يكون لنا إله أو لا بخلاف حال قومه فاتهم لم يدعوا ربوبية \* جادل موسى عليه السلام \* قال الله سبحانه ( فأتيا فرعون ققولا إنا رسول رب العالمين ) الى أن قال سبحانه ( قال فرعون وما رب العالمين قل رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيري لأجملنك من المسجونين قال أولو جنتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فأتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ) والاشارة الى وجه الدلالة من ذلك ان فرعون لما قال ( وما رب العالمين ) علم موسى أنه سؤال عن ماهية رب العالمين ورب العالمين لا ماهية له لانه الاول فلا شيء قبله فيكون منه بل هو مكون ما تتكون الاشياء منه فلم يشتغل موسى برسؤاله ببيان فسادة وكان المقصود تعريف الرب جل وعلا بصفته فقال ( رب السموات والارض وما

١ - البقرة ٢٥٨

٢ - الأنعام ٨٠

٣ - الأنعام ٨١

٤ - الشعراء ١٦

٥ - الشعراء ٢٢

٢٣ -

بينهما) فحصر الكائنات في ثلاث كلمات فلما قال ( ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين ) ردا على فرعون قوله ( أنار بكم الاعلى ) فلما قال ( ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون ) أردف ماذكر بشاهدين آخرين فقال ( رب المشرق والمغرب وما بينهما ) لأن المشرق والمغرب آيتان عظيمتان لا يقدر فرعون على ادعائهما فلما اندحست حجته قال ( لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ) آيتان عظيمتان في انقلاب أعيانهما وإنما كانت الآية في الدعا لأنها أنزلت على آدم بسبب السكاب لما نبه عليه لما تعاظمت دعوى فرعون قوبل بها اهانة له واستحقاقا وكونها ظهرت في صورة ثعبان مناسب لحاله لأن مسها لين وفعلها قاتل وفرعون باظهار كرمه وعمله لين وفعله قاتل لنفسه وغيره فأما يده البيضاء فالإشارة فيها جنتك بالشرع المنير الأبيض الذى لا ظلمة فيه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتكم بها بيضاء نقية » ولما كانت آية موسى عليه السلام حسية ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمى لانه اعقلية ولما هموا بقتله ألهم الله سبحانه مؤمن آل فرعون الحجة العظمى فقال ( أقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ) وقد شرحن ذلك في كتاب الحجة العظمى \*

وأما جدال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفار قريش واليهود فسيأتى في ذكر الأدلة الدالة على صدق رسالته \*

### ❦ الباب الرابع في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه ❦

١ - النازعات ٢٤

٢ - غافر ٢٨

٣ - الاسراء ٤٤

اعلم انها لا تمحى لان كل موجود عن عدم فهو دليل على وجود موجد كما قال سبحانه ( وان من شيء الا يسبح بحمده ) وذلك التيسيح اذعان لموجده وعبادة لربه كما قيل

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فاما أدلة الكتاب العزيز فمنها قوله تعالى ( أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر  
 انما أنت مذكر ) وقال تعالى ( ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم  
 أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم  
 سبعيا شدادا وجعلنا مراكبا وهاجا وأنزلنا من الممصرات ماءً فجبالنا نخرج بهجبا  
 ونباتا وجنات ألفافاً ) وصرف سبحانه هذه الكلمات فى كتابه العزيز وصرف  
 هذه الادلة منها الدلالة على وجوده وقدرته وحكمته وانه لا مشارك له ولا معاضد  
 ولا مغالب فقال ( أنتم أشد خلقاأم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها  
 وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها  
 متاعا لكم ولانعامكم ) وقال تعالى ( وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى  
 وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك  
 لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع  
 ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل  
 ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ) وقال تعالى ( ان فى خلق السموات والارض  
 واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله  
 من السماء من ماء فأجبي به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف  
 الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ) وقال تعالى  
 ( هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين  
 والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ) وقال تعالى ( تولج  
 الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من  
 الحي وترزق من تشاء بغير حساب ) وقال تعالى ( ان الله فائق الحب والنوى يخرج  
 الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأتى تؤفكون فائق الاصباح  
 وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذى جعل  
 لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو  
 الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون )

١ - الغاشية ١٧ - ٢١

٢ - النبأ ٦ - ١٦

٣ - النازعات ٢٧ - ٣٣

٤ - الرعد ٤

٥ - البقرة ١٦٤

٦ - يونس ٥

٧ - آل عمران ٢٧

٨ - الأنعام ٩٥ - ٩٧

وقال تعالى ( وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموت من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين ) وقال تعالى ( واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا إياه ) وقال تعالى ( وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنت من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحانه الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وإن نشأ نفرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقدون إلا رحمة منا ومتاعا الى حين ) وقال تعالى ( أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ) وقال تعالى ( أفرايتم ما تمنون أفأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ) وقال تعالى ( أفرايتم الماء الذى تشربون أفأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ) وقال ( أفرايتم النار التى توردون أفأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ) وقال تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه ) الى قوله ( فتبارك الله أحسن الخالقين ) وقال تعالى ( فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ) الى قوله ( متاعا لكم ولا نعامكم ) فوجه الدلالة من هذه الآيات جلي لمن سبقت له السعادات • قال تعالى ( أنظر كيف نصرف الآيات ) وقدمدح الله تعالى فوما أدتهم الفكر الى معرفة العبر قال سبحانه وتعالى ( ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خافت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار )

﴿ فصل ﴾ وقد حصلت معرفة الله سبحانه لقوم مخصوصين من طريق اخر



مخصوص وهم الملائكة وما جرى لهم من سؤال وجواب \* وفي قصة إبليس كفاية له عن التنويع فيما يقبس والتجنيس وحصل العلم اليقيني لآدم فيما حدث من أمره وتقادم فاستسلم وسالم . فالأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي الكل عرفوا الصانع معرفة اليقين منهم المرسلون ثمانمائة وثلاثة عشر أغني عيان الآيات عندهم عن الخبير فني نوح ودعوته ونجاة أهل سفينته وفي إبراهيم وناره وحياة أطياره ويوسف وبرائه بشهادة غلامه واجابته في قضاء حاجاته واهلاك عدوه من جميع جهاته ويونس وحوته وزكريا وسكوته ومريم وابنها آيات بينات \* ويتبع هذا الجمع جموع لاتعد لهم كثرة كلهم أخبر عن وجود إله واحد قادر مريد عالم حي والأنبياء وأتباعهم هم حجج الخلق وعلمائهم وأعيان العلماء ونبلاؤهم ولو لم يكن هناك دلائل على وجود الآله سوى اتفاقهم على وجوده بالصفات المذكورة كن ذلك كافيا في حصول العلم واليقين بخبرهم اذ كانوا جميعا لا يتصور التواطؤ منهم على الكذب والله الهادي بفضله \*

### ﴿ الباب الخامس ﴾

ذكر الأدلة على أنه واحد سبحانه ومن حيث ثبت أنه موجود بصفة الوجوب ثبت أنه واحد لان الصنعة مفتقرة الى الصانع وليست مفتقرة الى ما زاد على الصانع فصار وجود ما زاد على الصنعة جائزا والجائز الوجود لا يجوز أن يكون إلها مبدا قديما وأما أدلة الكتاب العزيز فكثيرة من ذلك قوله تبارك وتعالى ( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ) وهذا الدليل معتمد أرباب الكلام من أهل الاسلام وقد نقل عن بعض علماء السلف أنه قال نظرت في سبعين كتابا من كتب التوحيد فوجدت مدارها على قوله تعالى ( لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ) دليل آخر ( في سورة المؤمنين قوله تعالى ) ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا ذهب كل إله بما خلق ولما ل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ) وفي الكلام حذف وتهديده ولو كان معه آلهة وانما حذف للإيجاز والايجاز مستحسن في كل مكان وههنا أكل حسنا ثلاثا يشكر ذكر الآله لانه ابطال على تقدير وانما

ذهب كل إله بما خلق لأجل طلب الاستعلاء بالعلو والقدرة وذلك منشأ الخالفة والمنافسة والتغالب والمغلوب لا يكون الها « دليل آخر » قوله في سبحان ( قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ) ومعناه أن الآلهة تطلب المنازعة والخالفة في المراد فحينئذ يقع الفساد إذ يريد أحدهما حياة شخص والآخر موته أو إسماعده والآخر إشقاه فان قيل الشبهة على هذه الأدلة من وجهين أحدهما يجوز أن يكون اثنان تنفق إرادتهما فلا يقع خلاف فلا يقع فساد \* الشبهة الثانية قالوا لما رأينا وجود الشيء وضده من الموت والحياة والنور والظلمة والخير والشر وما يقتضى الحكمة وينافيهما من الانقراض بعد البناء والعجز بعد القوة جاز أن ينسب إلى مدبرين اثنين والجواب عن الشبهة الأولى استحالة وجود اثنين لا تنفك إرادة أحدهما عن إرادة الآخر متكاملين في العلم والقدرة والإرادة والحكمة والتدبير على وجه لا تقدم صفة أحدهما على صفة الآخر في الأعيان والأذهان فاذا هما واحد سموه اثنين \* والجواب عن الشبهة الثانية أن صدور الشيء وضده أدل على قدرة الصانع وقد نبه سبحانه على ذلك في عدة مواضع من الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى ( تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ) \*

### ﴿ الباب السادس ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز ﴾

وهي كثيرة من ذلك قوله تعالى ( ويقول الإنسان إذا ما مات لسوف أخرج حيا أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ) ومثله ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ) المراد هاهنا أبي بن خلف . وقيل العاص بن وائل ثم ذكر سبحانه وتعالى شبهة فقال ( وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم ) فجاء الجواب من وجهين أحدهما جدلا يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد إعادة الحياة في عظام وحش وترك نفسه وذلك أهم من إحياء الحيوان البهيم لأن إيجاد الحيوان البهيم كان لأجل الإنسان \* الوجه الثاني ( قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ) إلى آخر السورة فان إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان إلى ما كان على ما لا يخفى وقوله سبحانه

١ - الإسراء ٤٢

٢ - الرعد ٤

٣ - مريم ٦٦ - ٦٧

٤ - يس ٧٧

٥ - يس ٧٨

٦ - يس ٧٩

(الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) 'معناه إيجاد شيء مما ينافيه وينافره فلا بد من قوة من خارج تغلب على المتنافرين المتنافين بفعل ذلك ثم قال سبحانه (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) 'معناه من قدر على خلق السموات والارض قدر على خلق هذا النوع اللطيف والشكل الضعيف وإذا قدر على إيجاده قدر على رده بعد نفاذه ثم أخبر سبحانه عن نفسه بماذا تخلق الأشياء وتكون فقال (أما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وفي موضع آخر (أما قولنا شيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وعند ذلك سبج نفسه فقال (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) فعم الموجود والمعدوم والابداء والاعادة وجعل الرجوع خاتمة الكلام لان الإنكار له والادلة أقيمت عليه \* ومن أدلة البعث في سبحانه (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة) ومن أدله البعث قوله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) وأما قال سبحانه وهو أهون عليه ضرب مثل لان المقدورات عندنا متغلوة في العسر واليسر باختلاف القدرة التي تزيد وتنقص في حقها ولما كان إيجاد شيء لا من شيء مستحيلا منا وإيجاد شيء من شيء ممكنا فاستعار له كلمة أفضل ضرب ذلك مثلا ولما استحال في حقه المعجز والضعف عن إيجاد شيء لا من شيء قال (وله المثل الأعلى) وذلك مطرد في سائر صفاته سبحانه من العلم والقدرة والحياة والرحمة والرضا والغضب وكل صفة وصف بها الانسان من ذلك مثاله قولنا عالم والواحد منا عالم ولكن يطلق على الخلق باعتبار معلوم ما وإن علمه من جهة جهله من جهات ثم علمه إما بطريق الخبر والنظر أو الاضطرار والله سبحانه عالم بما كان وما يكون على وجه لا يخفى عليه شيء ولا يداخله الشك ولا الذهول ولا النسيان ولا يتقدم أين ما ولا مكان ولا نظير ولا حين ولا اضطراب قال تعالى (ألا يعلم من خلق) فهذا معنى قوله (وله المثل الأعلى) ومن أدلة البعث قوله تعالى (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) ومن أدلة البعث قوله تعالى (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فإذا أنزلنا عليها

١ - يس ٨٠

٢ - يس ٨١

٣ - يس ٨٢

٤ - يس ٨٣

٥ - النحل ٤٠

٦ - الاسراء ٥١

٧ - الروم ٢٧

٨ - الملك ١٤

٩ - العنكبوت ٢٠

الماء اهتزت وربت ان الذى أحيانا لحى الموتى إنه على كل شيء قدير) ومن أدلة البعث في سورة الواقعة قوله تعالى (أفرايتم ما تسمون أفرايتم ما تخرنون أفرايتم الماء الذى تشربون أفرايتم النار التى ترون) ووجه دلالة النار على البعث أن النار تكمن في الشجر والحجر ثم تظهر بالقدح وتشب بالنفخ بالحجر والشجر كالقبر والقدح والنفخ كالنفخة في الصور وإنما ذكر الله سبحانه في هذه السورة هذه الأدلة الأربعة متواليه لانه بدأ السورة بالواقعة وهى القيامة وقال (ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة) وان الجاحدين كما قال كانوا يقولون (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أواباؤنا الاولون) فكان الجواب (قل ان الأولين والآخرين لمجدوعون الى ميقات يوم معلوم) ومن أدلة البعث في سورة الاحقاف (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهم بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير) ومن أدلة البعث (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فنصبح الارض مخضرة) قال المصنف والاداة على البعث جوازا ووجوبا. أما الجواز فالنظائر الحسية وأما الوجوب فما وعد الله تعالى به من البعث والاعادة وأكرام الطائعين بجنته وإهانة الجرمين بعقوبته وما اقتنع للخلق بتكرير وعده الصادق حتى حلف على ذلك في عدة مواضع من ذلك (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتنبؤن بم علمهم) ومن ذلك (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) ومن ذلك (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى انه لحق) \*

**﴿فصل﴾** ولم يكن لمنكر شبهة الامجد تعجب واستبعاد قال الله تعالى (وان تعجب فمعجب قولهم أنذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) معناه ان كان لك عجب من شيء فن انكارهم البعث فاعجب لان المعجب ماندر وجوده وخفى سببه وليس هذا ما ندر وهم يشاهدون احياء الارض بعد موتها واكتساء الاشجار بعد عريها وعود النهار بعد زواله والليل بعد ذهابه واخراج الحى من الميت والميت من الحى ولا مما خفى سببه فان الله سبحانه هو الفاعل لذلك والمخترع له والقادر عليه وحكمته اظهر ما استتر عن خلقه من تدبيره وما انشأه الثانية بأعجب من الاولى وقد قال بعض الحكماء ثبت أن الله عز وجل حكيم والحكيم لا ينقض ما بنى الا لحكمة أتم من حكمة

١ - فصلت ٣٩

٢ - الواقعة ٢ - ٣

٣ - الواقعة ٤٧ - ٤٨

٤ - الواقعة ٤٩ - ٥٠

٥ - الاحقاف ٢٣

٦ - الحج ٦٣

٧ - التغابن ٧

٨ - الذاريات ٢٣

٩ - يونس ٥٣

١٠ - الرعد ٥

﴿الباب السابع﴾

﴿فصل﴾ قد توجه القرآن العظيم على مائة دليل وأربعة عشر دليلا عدد سوره  
فالتحدى بالطول منه كالتحدى بالقصر فعلى هذا السور القصار اذا أخذت عدلها  
كلمات على ترتيبها كانت معجزة ويقع بهذا التحدى أو سورة سورة من القصار  
وعدها من أى القرآن من أى سورة كان كانت معجزة فلاذن تبلغ أدلة التمجيز  
منه مبلغا يزيد على الالف دليل وهذا من أسرار الكتاب العزيز وعجائب  
التنزيل ﴿ دليل آخر ﴾ قوله ( فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ) أخبر أن المشكرين نبوته

١ - البقرة ٢٣

٢ - الاسراء ٨٨

٢ - هود ١٢

٤ - یونس ٣٨

٥ - الطور ٣٣ - ٣٤

٦ - البقرة ٢٤

9-21-77

42-101-1

6 2 11 4

مخلفين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فاعلموا لم تعلموا ) فكان كذلك ( دليل آخر )  
المياهلة قوله تعالى ( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم قل تعالوا ندع أبناءنا  
وأبناءكم ونساءنا ونساءكم ) الآية وهذا دليل يدل بسياقه وبمخصوصه على نصارى  
نجران « دليل آخر » يخص اليهود وهو قوله تعالى ( قل ان كانت لكم الدار  
الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه  
أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ) وهذا دليل واضح وحجة قاطعة على  
اليهود فلولم يعلموا أنهم إن تمنوه ماتوا والا كانوا تمنوه فيحاجوا به رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ويبطلوا نبوته وكان ذلك أهم الاشياء عندهم « دليل آخر » ( قل  
يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم  
صادقين ولا يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ) فلولم يعلموا أنه  
رسول الله وأن خبره حق وصدق لبادروا الى ما يبطل دعواه ويكذب خبره  
« دليل آخر » خاص باليهود والنصارى والعرب قوله تعالى ( الذين يتبعون الرسول  
النبي الامى الذي يجذونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ) وقد علموا أنه لا يعرف  
الكتابة ولا النظر في الكتب ولم يكن من شأنه « دليل آخر » قوله تعالى ( محمد  
رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون  
فضلا من الله ورضوانا سيهاهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة  
ومثلهم في الانجيل ) الى آخر الآية فالدلالة من ذلك من وجهين أحدهما ان هذه  
الصفات لا تكون الا في الصادقين اذ كانت أعديل السمات وأكمل الصفات الثاني  
ذكرهم في التوراة والانجيل كما سبق « دليل آخر » مختص باليهود قوله تعالى  
( والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من  
الممترين ) فلولا يعلم أنهم يعلمون ذلك لما استجاز أن يخبرهم بأمر يدعى معرفتهم  
به وهم لا يعرفونه « دليل آخر » قوله تعالى ( وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك  
الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض  
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ) قال ابن عبد البر  
كان بين الأوس والخزرج من العداوة ما لم يكن بين أحد من بني ادم فألف الله

١ - الفتح ٢٧

٢ - آل عمران ٦١

٣ - البقرة ٩٤ - ٩٥

٤ - الجمعة ٦ - ٧

٥ - الاعراف ١٥٧

٦ - الفتح ٢٩

٧ - الأنعام ١١٤

٨ - الألقاب ٦٣

قلوبهم لاجل نصره نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فساروا يدا واحدة وقلبا واحدا « دليل آخر » قوله تعالى ( هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ) وهذا خبر عن الغيب وكان كما أخبر « دليل آخر » قوله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ) ومعلوم أن هذه سيرة أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى خوفهم أولا وأمنهم ثانيا وتمكينهم واستخلافهم فى الارض وهذا ظاهر الدلالة « دليل آخر » قوله تعالى ( ولئنك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ) فنظرنا فيما دعا اليه فكانت مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم صراط العقلاء ومختار النبلاء وهى الاخلاق المأمور بها فى سبحان ( وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان قاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهدان المهد كن مسؤولا وأوفوا السكيل إذا كلم وزنوا بالقسط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا ولا تمس فى الارض مرجعا لك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان

سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) وكذلك قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) ومثل هذه السير العادلة والمكارم المستحسنة لا تجرى على لسان نجران « دليل آخر » علي اليهود قوله تعالى (كل الطعام كان حلالني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتوا تلوهان كنتم صادقين فمن اقترى على الله الكذب من بعد ذلك فاؤائك هم الظالمون) روى أن اسرائيل أخذته وجع العرق الذى يقال له النسا فنذر لان شفاه الله تعالى منه ليحرم من أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب ذلك اليه لحوم الابل وألبانها فشنى فوقه بنذره وادعت اليهود ان ذلك كان حراما على نوح حتى انتهى الامر اليهم فيبين الله تعالى بطلان دعواهم وأمر أن يحاجهم بالتوراة فلم يحسموا على اخراجها وفي ذلك الدلالة الظاهرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم « دليل آخر » قوله تعالى (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) وهى السنون التى دعا النبي صلى الله عليه وسلم بها على أهل مكة والدخان الجذب سمى دخانا لان الغبار يزيد في الجذب فيكون كاللدخان « دليل آخر » قوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأمن شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وأصحاب البأس الشديد مسيلة وأصحابه يوم اليمامة وقيل فارس والروم وأما كان فقد أخبر عن الغيب فيه فكان الامر كذلك « دليل آخر » قوله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتكم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وفي هذا دليل ظاهر على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لانه من الغيب الذى لا يعلمه الا الله فانهم أخرجوا فلم يخرجوا معهم وقوتلوا فلم ينصروهم « دليل آخر » قوله تعالى (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قيل هم من بعد الصحابة وقيل هم الاعاجم

(م ٨ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة)

١ - الاسراء ٢٣ - ٢٩

٢ - النحل ٩٠

٣ - آل عمران ٩٣ - ٩٤

٤ - الدخان ١٠

٥ - الفتح ١٦

٦ - الحشر ١١ - ١٣

٧ - الجمعة ٢ - ٣



وعلى كلا الأمرين فقد وقع الخبر موافقا للمخبر به « دليل آخر » قوله تعالى ( والله يعلم مكن من الناس ) وقوله ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه ) وكان يحرس فقال اذهبوا فان الله قال قد عصمتي فاخبر بعصمته فما قدر احد على قتله مع كثرة أعدائه والقاصدين له بذلك كما عرف « دليل آخر » قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ) ( أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) ولا خلف في خبره صلى الله عليه وسلم وقد أخبر كما تقدم من القصص واليهود يعرفون صحة ما أخبر من كتابهم هذا ولم يكن صاحب كتابة ولا مشتغلا بالكتب وأخبر عن أمور منها ما كان ومنها ما سيكون ومن أنعم النظر في الكتاب العزيز استنبط من أدلة صدق محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما ذكرناه فلما أدلة رسالته من غير الكتاب العزيز فهي أكثر من أن تحصى وقد ألف في دلائل النبوة جماعة من العلماء منهم أبو نعيم الحافظ الاصبهاني ومنهم أبو بكر ابن فورك ومنهم الحافظ أبو بكر البيهقي \* فصل \* ومن فهم مذهب الفصاحة والبلاغة وأرشده الله تعالى ووقه أمكنه أن يختار من الاخبار النبوية الصحاح ألف حديث فما زاد تبلغ مرتبة التعجيز عن الاتيان بمثلها فيكون ألف دليل على النبوة مستمرة التعجيز مشهودا لها بالتمييز واذا تقررت هذه الادلة التي ذكرناها فكل دليل دل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رسالة من سبقه من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه فهو دليل على وجود الصانع سبحانه \*

### ❦ الباب الثامن ❦

في ذكر الاسئلة والاجوبة الجدلوية من الكتاب العزيز سؤال المنع ( واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ) معناه لانسلم انا مفسدون لان الاصلاح ضد الافساد فاذا ادعوا الاصلاح فقد أنكروا الافساد ثم منعوا هذه الدعوى بقوله تعالى ( ألا إنهم هم المفسدون ) وفي هذا دليل على جواز المنع من طريق المعنى وفيه الرد على من يقول هذا بغير توجيه لاهمال مراعاة صيغة لفظ المجادل وهذا يطرد في كل موضع هذا سبيله ومثله قول الله تعالى عن الكفار

١ - المائدة ٦٧

٢ - الرعد ١١

٣ - محمد ٢٤

٤ - النساء ٨٢

٥ - البقرة ١١

٦ - البقرة ١٢

حيث قالوا لرسول عيسى بن مريم ( انا تطهيرنا بكم ) قالوا لهم طائركم معكم أي شؤمكم منكم لامنا ودليله أنكم جعلتم التذكير بالله وعبادته علة الشؤم أي أن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون سؤال النقض في قوله تعالى ( الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتي يأتينا بقرآن تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ) . معناه العلة التي توجب عندكم الايمان بالرسول قد وجدت فلم قتلتموهم فدل على أن التعليل بما ذكركم غير صحيح وهذا النقض وارد على معنى كلامهم فدل على جواز ايراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان \* ومن صور النقض قوله تعالى ( واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تابع ما ألفينا عليه آباءنا ) النقض في قوله ( أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ) ومن صور النقض أيضا في قوله تعالى ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) النقض بإبراهيم عليه السلام لانه استغفر لآبيه وهو مشرك في قوله تعالى ( سأستغفر لك ربي انه كان بي حفياء ) فكان الجواب ( وما كان استغفار إبراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان إبراهيم لآواه حليم ) ومن صور النقض قوله تعالى ( فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ) سؤال القول بالموجب في قوله تعالى ( قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ) القول بالموجب ( قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ) تقديره ( يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ) ولكن الله ين على من يشاء من عباد دوما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ) القول بالموجب في قوله تعالى ( الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ) « سؤال المعارضة » في قوله تعالى ( فأتوا بسورة من مثله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فليأتوا بحديث مثله ) وذلك بأنه جعله دليلا على نبوته والدليل متى عورض بمثله بطل عمله فيسقط الاحتجاج به

**فصل في الحكم تارة يطل بعلة واحدة منفردة كقوله تعالى ( ولكم في القصص**

١ - يس ١٨

٢ - آل عمران ١٨٣

٣ - البقرة ١٧٠

٤ - التوبة ١١٣

٥ - مريم ٤٧

٦ - التوبة ١١٤

٧ - القصص ٤٨

٨ - إبراهيم ١٠

٩ - إبراهيم ١١

١٠ - التوبة ٦١

١١ - البقرة ٢٣

هود ١٣

الطور ٢٤

حياة) وثارة بعلتين كقوله تعالى (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن احداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا تأخذونه بهتاناً وانما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) فان قيل بل هي علة واحدة مركبة من وصفين فلجواب أن الافضاء علة في استحقاق المهر في الصحيح من النكاح والفساد لقول النبي صلى الله عليه وسلم «فلها المهر بما استحل من فرجها» والميثاق الغليظ هو عقدة النكاح وهي كلمة الله عز وجل وهو قوله بما استحلتم من كلمة الله فهو قد ثبت بمجرد دون الافضاء جميع المهر بالموت ونصفه بالطلاق ﴿فصل﴾ وقد يعلل الحكم بعلل كل علة تستقل بالحكم كقوله تعالى (وما منكم من أحد الا ينفقون الا وهم كارهون) \*

﴿فصل﴾ تعليق الحكم على علة يقتضى النقيض كقوله تعالى (وتأتون في ناديك المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا إئتنا بمذاب الله ان كنت من الصادقين) وكقوله تعالى (أخرجوهم من قرىكم انهم أناس يتطهرون) وكقوله تعالى (وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ومثله (فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين) \*

﴿فصل﴾ أجوبة الاسئلة على التفصيل كقوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين . وأما الجدار . وأما الغلام) \*

﴿فصل﴾ وقد تذكر صورة القياس وليس بقياس دلالة كقوله تعالى (فأوب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فالحكم المقيس عليه أمر وجودى وهو النطق والذى وعدهم به هو الحياة بعد الموت والبعث بعد الدفن وهو أمر معدوم وليس بينه وبين النطق مناسبة ومجرد وجود حقيقة شيء لا يدل على وجود حقيقة أخرى فعند ذلك يعلم أنه ما أراد الا تحقيق الوعد باليجاد علي وجه لا يشك فيه كوجود النطق كقول النبي صلى الله عليه وسلم «أنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضلمون في رؤيته» ومعلوم انه ما أراد أن رؤية القدر متضمنة لرؤية

- ١ - البقرة ١٧٩
- ٢ - النساء ٢٠ - ٢١
- ٣ - التوبة ٥٤
- ٤ - العنكبوت ٢٩
- ٥ - الاعراف ٨٢
- ٦ - الأنفال ٣٢
- ٧ - الشعراء ١٨٧
- ٨ - الكهف ٧٩
- الكهف ٨٢
- الكهف ٨٠
- ٩ - الفاريات ٢٣

الله تعالى بل أراد أنه كائن كوجود هذا القمر ورؤيته ولو قيل فإن فيه شبهة اقتضت القياس على النطق صح من جهة أن الكلام يغور ويعود فهو كالميت له غيبة بالدفن والبلى ثم حضور بالبعث فعلى هذا قياس الشبه صحيح \*

﴿ فصل ﴾ ومثال قياس الشبه قوله تعالى ( يا بني آدم لا يفتننك الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ) وفيه دلالة على جواز إقامة اللازم للحكم أو السبب مقام نفس الحكم لأن فتنته سبب الخروج من الجنة وهي سبب المنع من دخولها وذلك كله توسعة على المستدل \*

﴿ فصل ﴾ في الترجيح وهو دليل معتبر في الشرع قد تكرر وجوده في الكتاب العزيز في مواضع من ذلك قوله عز وجل ( ولا تمهتوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ) ومعناه التحريض على القتال والنسبية لما أصاب من مكروه بالنسوى في الألم والمزية لكم عليهم بما ترجون من ثواب الله تعالى فأتم أولى بطلبهم وأحرى بالصبر على المكروه من جهنم ومن الترجيح قوله تعالى ( أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فإلستم بحكمون ) ومن الترجيح أيضاً قوله تعالى ( قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون ) في خمس مرات أمن ومن الترجيح قوله تعالى ( أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ) ومن الترجيح قوله تعالى ( يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ) وذلك لما تقرر أن الاتنين لا بد من وجود الفساد منهما لو قوع الاختلاف بينهما ومن الترجيح المذكور في الحجة العظمى ( فأى الفريقين أحق بالأمن )

﴿ فصل ﴾ في المفهوم وهو ينقسم قسمين مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة فالموافقة متفق عليه لقوله تعالى ( فلا تقل لها أف ) فمفهومه تحريم الضرب والسب لأن التأنيف دون ذلك وكذلك قوله تعالى ( ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ) ولا يخفى أن من يؤدي القنطار يؤدى مادونه ومن يخون في دينار يخون فيما فوقه

- ١ - الاعراف ٢٧
- ٢ - النساء ١٠٤
- ٣ - يونس ٣٥
- ٤ - الفل ٥٩
- ٥ - التوبة ١٠٩
- ٦ - يوسف ٣٩
- ٧ - الأنعام ٨١
- ٨ - الإسراء ٢٣
- ٩ - آل عمران ٧٥

ويسمى ذلك لغوى الخطاب . ومفهوم المخالفة كقوله تعالى ( مادمت عليه قائما )  
فمفهوما ان لم تكن عليه قائما لم يؤده اليك ومن الناس من يقول ليس هو بحجة  
لقوله تعالى ( فمن اقترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون )  
ومعلوم أن من اقترى على الله الكذب فهو من الظالمين قبل الرسالة وبعدها وقبل  
نزل الكتاب وبعده \*

﴿ فصل ﴾ وقد سمي الله سبحانه الشبهة التي أوردها الكفار أمثالا فقال  
تعالى ( وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق لولا أنزل اليه ملك  
فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن  
تتبعون الا رجلا مسحورا ) فكان الجواب ( انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها  
فلا يستطيعون سبيلا ) وهذا جواب جدل يتضمن فساد ما تمسكوا به من الشبهة  
المذكورة لانهم قالوا انه مسحور والمسحور مبطل الفكر ذاهب الرأي فكيف  
يكون معه ملك أو يلقى إليه كنز ثم جاء الجواب الآخر ( وما أرسلنا قبلك من  
المرسلين الا إنهم لئن كانوا اطعام ويمشون في الأسواق ) فأماما اقترحوه من الآيات  
في هذا الموضع وفي غيره فالجواب عنه مذکور في عدة مواضع منها قوله تعالى ( وما  
منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون ) وقال في موضع آخر ( وقالوا  
لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ) ومثله قوله تعالى  
( ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا  
الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم  
بالغو اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا باياتنا وكانوا  
عنها غافلين ) والفرق بين الآيات الدالة على صدق الرسل عليهم السلام المقترحات  
من الامم وبين الآيات التي تبشكرها الانبياء أن المقترحات لم تبق لهم عذرا في  
ترك الايمان بعد الايمان بها اذ هي بمنزلة المشاهد الذي أجاز الخصم شهادته عليه  
فاذا رد وجحد فقد عاند وصد فاستحق تعجيل الانزال به بخلاف سائر الآيات  
فانها وان كانت أدلة الا أن للتأخر فيها فسحة النظر ومهلة التأمل فلماذا لم يعجل  
عقابه وهذا المعنى دل عليه قوله تعالى ( ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا

- ١ - ال عمران ٩٤
- ٢ - الفرقان ٧ - ٨
- ٣ - الفرقان ٩
- ٤ - الفرقان ٢٠
- ٥ - الاسراء ٥٩
- ٦ - الأنعام ٨
- ٧ - الأعراف ١٣٤

ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونغزى) \*

﴿فصل﴾ في ذم التقليد والمقلدين وقد عابهم الله عز وجل في كتابه العزيز في عدة مواضع منها قوله تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوا كانوا آباؤهم لا يقولون شيئا ولا يهتدون) ومن ذلك في المائدة (واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولوا كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) ومن ذلك في حم الزخرف (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ثم ذكر سبحانه أن هذه الشبهة تمسك بها جميع الامم قال سبحانه (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) فكان الجواب عن شبههم من وجهين أحدهما قوله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يقولون شيئا ولا يهتدون) الوجه الثاني (قل أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) وهما نكتتان أحدهما قوله (بأهدى) ولا هداية لآبائهم وإنما ذكر ذلك توطئة لاستماع حجة وتلطفا في الدعاية إلى هدايته النكتة الثانية أعرضوا عن الجواب الملزم لهم إلى استماع ما هو أهدى إلى قولهم (انا بما أرسلتم به كافرون) \*

﴿فصل﴾ في جواز النجوز وفي الكتاب العزيز من ذلك كثير من ذلك قوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشنون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) وقد علم أنهم في الحالة الحاضرة لا يأكلون النار والشراء والصبر على النار

﴿فصل﴾ يجوز عطف الواجب على غير الواجب كقوله تعالى (كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده) وكقوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم إياه تعبدون) \*

﴿فصل﴾ والانكار بعد الاعتراف لا يسمع دليله قوله تعالى (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم يكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين) فاعقبهم على ضلالهم الاول بضلال هو الانكار بعد الاعتراف

﴿فصل﴾ ومن لطائف الاجوبة الجدلية لما قال فرعون لموسى (ألم نربك فينا

١ - طه ١٣٤

٢ - البقرة ١٧٠

٣ - المائدة ١٠٤

٤ - الزخرف ٢٢

٥ - الزخرف ٢٣

٦ - البقرة ١٧٠

٧ - الزخرف ٢٤

٨ - الزخرف ٢٤

٩ - البقرة ١٧٤

١٠ - الأنعام ١٤١

١١ - البقرة ١٧٢

وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ) كان جواب موسى عليه السلام ( وتلك نعمة  
 تمنها عليّ أن عبدت بني اسرائيل ) فالذي اعده فرعون نعمة جعلها موسى تقمه  
 هو جواب على معنى الكلام لا على لفظه \*

﴿ فصل ﴾ ومن أنواع التجوز قوله تعالى ( وعليها وعلي الفلك يحملون )  
 والانعام ثلاثة أنواع ابل وبقر وغنم والمركوب منها الابل خاصة \*

﴿ فصل ﴾ في المباحة بالتشنيع منها قوله تعالى ( يا أهل الكتاب هل تنقمون منا  
 الآن أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم  
 بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير  
 وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ) فإذا وقع التشنيع على  
 مذهب بسبب حكم خالف فيه الفقهاء أو قول فيه نفرة مثل المخلوقة من ماء الزنا  
 وجواز المخصصة على مذهب الامام أحمد أو ما كان لا خصم أن يشنع على مذهبه  
 بما هو من هذا القبيل وقد صرح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود يا اخوان القردة  
 ﴿ فصل ﴾ ومما يجري مجرى المقابلة في الاذى والجناس في الجزاء ( وقالت  
 اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ) واللعن هو الطرد والبعد ولما  
 كانت يد الله مبسوطة بالقدرة على الایجاد والاعداء والاشقاء والاسعاد كان القول  
 بغلول يده سبحانه أبعد المحالات في نظر العقل فاستحقوا الابعاد \*

﴿ فصل ﴾ التخصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص في الحكم كقوله  
 سبحانه ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ) وقال سبحانه بعدها  
 لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ) \*

﴿ فصل ﴾ يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها الاول انه تارة تحدى بجملة  
 القرآن وتارة بعشر سور وتارة بسورة والجواب انه ذكر الاحاد والمقود ونفاها  
 ليعلم المعجز عن كله وبعضه فان قيل التقديم لا يوصف بكل ولا بعض قيل هذا  
 كقولنا عالم مريد قادر هذه بعض صفات القديم ولا يريد ببعضه التجزى وكما قول  
 القرآن مائة وأربع عشرة سور وقال السورة كذا وكذا آية \*

الشبهة الثانية ما الحكمة ان هذا الكتاب العزيز لم ينزل جملة واحدة وصائر

١ - الشعراء ١٨

٢ - الشعراء ٢٢

٣ - المؤمنون ٢٢

٤ - المائدة ٥٩ - ٦٠

٥ - المائدة ٦٤

٦ - المائدة ١٧

٧ - المائدة ٧٣

الكتب نزلت جملة جملة قل تعالى ( وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جنتناك بالحق وأحسن تفسيراً ) \*

الجواب الثاني قال أهل المعاني القوم كانوا قبلنا عمالافكتبت كتب عهدهم وصلت اليهم جملة وهذه الامة احباب ورسائل الاحباب لا تنقطع \*

الشبهة الثالثة شبهة القدريه قالوا كيف الجمع بين ارادة خلق الفعل والعقاب عليه والجواب ثبت بالاجماع انه حكيم عادل والحكيم العادل غير متهم كيف وقد ذكر الظلم في الكتاب العزيز في مائتي موضع وثمانين موضعاً وذهم الظالمين ونفى الظلم عن نفسه في ثمانية وعشرين موضعاً منها ويستحيل أن يحرم شيئاً على نفسه ويقبحه من غيره ثم يفعله وهو أعدل العادلين وأجل النعمين والخور في هذا منهى عنه لانه بحر مغرق ولكشفه ميعاد يوم تبلى السرائر \*

فصل \* والدليل على أن توبة الزنديق لا تقبل قوله عز وجل ( ان الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ) والمعنى فيه أن قليل الكفر وكثيره سواء في استحقاق القتل واستيجاب النار والتوبة مقبولة في قليله وكثيره فلا معنى لزيادة الكفر الا ابطان الكفر واظهار الايمان والله تعالى أعلم بكتابه وأسرار خطابه \*

وجد بآخر النسخة الخطية ما نصه .

علقه من خط نسخة مسمعه أقضى القضاة شمس الدين عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم القرشي لشيخه العلامة مسمعه صلاح الدين المرحوم عبد الله

١ - الفرقان ٢٢ - ٢٣  
٢ - آل عمران ٩٠

تمت الرسالة الثالثة ويليهما الرسالة الرابعة

( م ٩ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة )



# الرسالة الرابعة

﴿ كفاية التعبد ونخبة الزهد ﴾

« للشيخ الامام الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين \*  
قال الشيخ الفقيه العالم الحديث بقية الحفاظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم  
ابن عبد القوى المنذرى رضى الله عنه \* الحمد لله الموفق لصالح الاعمال المحقق  
لراجيه نهاية الالامال \* أحمده على نعمه فى الحال والمآل \* وأشهد أن لا اله الا هو  
الكبير المتعال \* وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المنقذ به من الضلال صلى الله عليه  
وآله وأصحابه وأزواجه الجدراء بالاحسان والافضل دائماً الاتصال \*

( وبعد ) فان أخى أبا أحمد عبد الكريم صرف الله عنه كل شيطان رجيم  
سألتى أن أجمع له كتابا فى نواب الاعمال وفصائلها محذوف الاسانيد ليسهل عليه  
حفظه ويقرب تناوله فأجبتة الى ذلك لما له من الحق اللازم وليكون باعثا له ان شاء الله  
تعالى على ملازمة ما نورده فيه فاستخرت الله تعالى وجمعت له هذا الكتاب  
وسميت « كفاية التعبد ونخبة الزهد » وجعلته أربعة أبواب ( الباب الاول ) فى  
ذكر الصلاة ( الباب الثانى ) فى الصيام ( الباب الثالث ) فى الصدقة ( الباب  
الرابع ) فى الدعاء والذكر والله تعالى المستول فى أن ينفعنا به وسائر المسلمين  
ويعمله خالصا لوجهه مقرباً من رحمته بفضلته ومنه \*

﴿ الباب الاول فى الصلاة ﴾

روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » الحديث متفق عليه \*  
 (ما جاء في فضل الصلاة) \* روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم يغش  
 الكبائر » وفي لفظ « رمضان الى رمضان » أخرجه مسلم \* روى معمر بن أبي  
 طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت « أخبرني بعمل  
 أحمله يَدْخُلِي الله به الجنة أو قال قلت بأحب الأعمال الى الله تعالى فسكت ثم  
 سأله فسكت ثم سأله الثالثة فقال سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال عليك بكثرة السجود لله تعالى فانك لا تسجد لله عز وجل سجدة الا رفعتك  
 الله عز وجل بها درجة وحط عنك بها خطيئة » قال معمران ثم لقيت ابا الدرداء  
 فسألته فقال لي مثل ما قال ثوبان أخرجه مسلم \* وروى ربيعة بن كعب الاسلمي  
 قال « كنت ابيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأبته بوضوءه وحاجته فقال لي سل  
 قلت أسألك مراقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فاعنى على  
 نفسك بكثرة السجود » انفرد به مسلم وليس لربيعة بن كعب في الصحيح غيره .  
 وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تطهر  
 في بيته ومشى الى بيت من بيوت الله تعالى ليقضى فريضة من فرائض الله تعالى  
 كانت خطواته احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة » أخرجه مسلم \* وروى  
 أبو هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أرايتم لو أن  
 نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا  
 لا يبقى من درنه قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » متفق  
 عليه . والدرن بفتح الدال والراء الوسخ \* وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم قال « من غدا الى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً  
 كلما غدا أو راح » متفق عليه . والنزل بضم النون والزاى الطعام والنزل أيضاً  
 الربيع والفضل \* وروى أبو مالك الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال « الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله  
 تملأان أو تملأ ما بين السموات والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر

ضياء القرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»  
أخرجه مسلم واسم أبي مالك عمرو ويقال عبيد ويقال كعب \*

(ما جاء في فضل الصلاة لأول وقتها) روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني » متفق عليه \*

(ما جاء في فضل الجماعة) روى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا » متفق عليه \* وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه . قال أبو عيسى الترمذى رحمه الله تعالى وغامة من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انما قالوا خمسا وعشرين الا ابن عمر فانه قال بسبع وعشرين قلت واختلف العلماء في تأويله ف قيل الدرجة أصغر من الجزء . والفذ المنفرد المصلى وحده: \*

(ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل) روى سعيد بن هشام عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » انفرد به مسلم وروى عائشة رضى الله عنها قالت « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من النوافل أسرع منه الى الركعتين قبل الفجر » متفق عليه \*

(ما جاء في فضل المحافظة على الفجر والمصر) روى أبو بكر بن عمار بن ربيعة عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لن يلج النار احد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني الفجر والمصر » الحديث انفرد به مسلم \* وروى أبو بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صلى البردين دخل الجنة » متفق عليه والبردان الفجر والمصر وقال على بن المدني أبو بكر راوى هذا الحديث هو ابن عمار ربيعة والصحيح انه ابن

أبي موسى وقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع •  
 (ما جاء في صلاة الضحى) روي أبو الدرداء رضى الله عنه قال «أوصاني حبيبي بثلاث إن لا أدعهن ماعشت بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى وبأن لا أقام حتى أوتر» انفرد به مسلم • وروي أبو هريرة رضى الله عنه قال «أوصاني خليلي بثلاث بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وإن أوتر قبل أن أرقد» متفق عليه • وروي أبو ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليل صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى» انفرد به مسلم واتفقا على نحوه من حديث أبي هريرة وقوله كل سلامي أي على كل عظم ومفصل . واصله عظام الكف والا كارع •

(ما جاء في عدد صلاة الضحى) قد تقدم أنها ركعتان وروت معاذة عن عائشة قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله» انفرد به مسلم • وروي عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما أخبرني أحد أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى إلا أم هاني فأنها حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فصلى ثمان ركعات ما رأيته صلى صلاة قط أخف منها غير أنه كان يتم الركوع والسجود • متفق عليه •

(ما جاء في الصلاة ارتفاع الضحى واستحرام الشمس) روى القاسم بن عوف الشيباني أن زيدا بن أرقم رأى قوما يصلون من الضحى فقال أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «صلاة الاوايين حين ترمض الفصال» انفرد به مسلم والاواب قيل هو الكثير الرجوع الى الله وقيل المطيع وقيل المسبح وقيل الراحم وقيل الفقيه . وقوله ترمض بفتح التاء والميم وضاد معجمة هو احتراق اغلاظها بالرمضاء عند ارتفاع الضحى واستحرام الشمس . والرمضاء ممدود الرمل اذا استحر بالشمس . والفصال جمع فصيل وهو صغار الابل •

( ما جاء في الصلاة قبل الظهر وبعدها ) روت أم حبيبة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح \*

( ما جاء فيمن صلى في يوم نتي عشرة ركعة ) روت أم حبيبة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم نتي عشرة ركعة تطوعا من غير الفريضة الا بنى الله له بيتا في الجنة » انفرد به مسلم \*

( جامع ما جاء في صلاة الليل ) \* روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » انفرد به مسلم \* وروى أبو هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « يمدد للشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد اذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عنه عقدتان فاذا صلى انحلت العقد فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه. قوله يمدد الشيطان اختلفت العلماء في تأويله فقيل هو مثل واستعاذة من عقد بني آدم وقيل بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو ما يفعله السواحر من عقدها ونفثها . وقوله قافية احدكم أى قناه ومنه قافية الشعر وهو آخر البيت \* وروى مسروق قال قلت لعائشة أى الاعمال أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الدائم قلت فأى الليل كان يقوم قالت اذا سمع الصارخ : متفق عليه والصارخ الديك قاله أبو عبيد الهروي \* وروى عبد الله بن عمرو قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » متفق عليه \* وروت عائشة رضي الله عنها « قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في شهر رمضان ولا في غيره على احدي عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا فقالت عائشة قلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر قال بأعائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » متفق عليه \* وروى

أبو القاسم قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة » متفق عليه \*

( دعاء الاستخارة ) \* روي جابر رضي الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسى حاجته » انفرد به البخاري \*

### ❦ الباب الثاني في الصيام ❦

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل اني صائم والذي نفس محمد بيده خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما اذا أفطر فراح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه . وقوله فلا يرفث بضم الفاء وكسرها أي لا يأتي برفث الكلام وفحشه \* قال الازهرى هي كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة ويكون الرفث الجماع ويكون ذلك الجماع والحديث به وقيل هو مزاكرة ذلك مع النساء ولا يصخب الصخب الصياح واختلاط الاصوات ويقال بالسب والصاد. وخلوف فم الصائم بضم الخاء هو ما يخاف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة \* روى سهيل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال

ابن الصائمون فيدخلون منه فاذا أدخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد « متفق عليه » قوله باب الريان واختصاص الصائمين به قيل هو مشتق من الري لما ينال الصائم من العطش فسمى هذا الباب بما أعد فيه من النعم المجازي به على الصوم \* وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » متفق عليه والخريف السنة \*

( ماجاء في صوم الحرم ) روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » انفرد به مسلم \* ( ماجاء في صيام عاشوراء ) سئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن صيام يوم عاشوراء فقال ما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوماً يطلب فضله على الأيام إلا هذا اليوم يعني يوم عاشوراء ولا شهراً إلا هذا الشهر يعني رمضان . متفق عليه \* روى أبو قتادة الانصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه فذكر الحديث الى قوله وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية انفرد به مسلم \*

( ماجاء في صيام شعبان ) روت عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ومارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ومارأيت في شهر أكثر منه صياماً في شعبان » متفق عليه \* وفي مسلم قالت عائشة « ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه في شعبان كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلاً » \* وروى عمران بن حصين رضي الله عنه « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر شيئاً يعني شعبان قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أفطرت من رمضان فعم يومين مكانه » متفق عليه . سرر الشهر سراره قال الفراء الفتح أجود وسرره ثلاث لثات قال ابو عبيد سرر الشهر آخره وقال غيره هو وسطه وقيل آخره \*

( ماجاء في صيام رمضان ) \* روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » متفق عليه وقوله صفدت الشياطين أى غلقت وأوتقت باغلاق الحديد \* وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه \*  
( ما جاء في صيام ستة أيام من شوال ) روى أبو أيوب الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر » انفرد به مسلم \*

( ما جاء في العمل في عشر ذي الحجة ) روى ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب الى الله تعالى من هذه الايام العشر فقالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الجهاد في سبيل الله تعالى الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء » أخرجه البخارى \*

( ما جاء في صيام يوم عرفة وثلاثة ايام من كل شهر ويوم الاثنين ) روى ابو قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه رضينا بالله رباً وبالا سلام ديننا وبمحمد رسولنا وببيعتنا ببيعة قال فسل عن صيام الدهر قال لا صام ولا افطر وما صام وما أفطر قال فسل عن صيام يومين وافطار يوم قال ومن يطيق ذلك قال وسئل عن صوم يوموا افطار يومين قال ليت الله عز وجل قوالا لذلك قال وسئل عن صوم يوموا افطار يوم قال ذاك صوم أخى داود قال وسئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت واتزل علي فيه قال فقال فصوم ثلاثة أيام من كل شهر ورمضان الى رمضان صوم الدهر قال فسل عن صوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية \* انفرد به مسلم. ورويت معاذة رضى الله عنها أنها سألت عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم قلت لها من أى شهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من أى أيام الشهر



يصوم «انفرد به» سلم وقد تقدم في صلاة الضحى حديث أبي هريرة اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث صيام ثلاثة أيام من كل شهر «الحديث وهو متفق عليه وحديث أبي الدرداء في ذلك وهو من أفراد سلم» \*

### ﴿الباب الثالث في الصدقة﴾

روي أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا ثلما» متفق عليه وروى أبو هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتصدق احدكم بتمرة من كسب طيب الا أخذها الله تعالى يمينه فيريها كما يربي أحدكم فلوه أو قلو صه حتي تكون مثل الجبل أو أعظم» متفق عليه \* الفلو المهر والقلاص فتيان الابل وأحدها قلو ص \* وروى حارثة بن وهب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطياها لو جئت بها بالامس قبلتها وأما الآن فلا حاجة لي بها فلا يجد من يقبلها» متفق عليه \* وروى عدي ابن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «انه ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة» متفق عليه قوله أشاح أى جد وانكش على الوصية باقواء النار وقيل حذر من ذلك والمشيح الحذر وقيل الهارب وقيل أشاح أقبل وقيل قبض وجهه قال الحرابي أحسن ما قيل فيه التنحية وهو موافق للاعراض \* وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما يسرنى ان لي أحدا ذهباً أتاني على ثلاثة وعندي منه دينار الا دينارا أرسد لدين علي» متفق عليه \* وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام المادل وشاب نشأ بعبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تمحبا في الله تعالى اجتماعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه» متفق عليه \* وروي

أبو هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال «يا رسول الله أى الصدقة أعظم قال أن تتصدق وأنت صحيح صحيح تحشى الفقر وتأمل الفنا ولا تأمل أهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لعلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان » متفق عليه \* وروى أبو امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن آدم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى » أخرجه مسلم واليد العليا هى المنفقة كذا جاء مفسرا فى الحديث \* وقال الخطابي يروى فى بعض الحديث انها المتنفقة والسفلى السائلة \* وروى عن الحسن انها الممسكة المانعة. وذهبت المتصوفة الى أن اليد العليا هى الآخذة لانها نائبة عن الله تعالى وما جاء فى الحديث الصحيح أولى \* وروى أبو موسى الاشعري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « على كل مسلم صدقة فقالوا يا رسول الله فمن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة » متفق عليه \* وروى أبو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أنفق زوجين فى سبيل الله تعالى نودي فى الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الابواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأرجو أن تكون منهم » \* متفق عليه. قوله من أنفق زوجين قال الحسن البصري يعنى اثنين من كل شيء درهمين دينارين ثوبين وقال غيره يريد شيتين درهما ودينارا درهما وثوبا خفا ولجما ونحو هذا \* قال الباجي بمحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين <sup>(١)</sup> \* وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا طلحة كان أكثر الانصار

(١) المتبادر للذهن المعلوم من أحاديث أخر أن المراد بالزوجين هو مقدار ما يملأ الراحتين من قمح أو شعير أو ما أشبهها (قاله المصحح)

بالمدينة المأوا كان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس فلما نزلت هذه الآية ( لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقول في كتابه لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالي إلي بيرحاء وانما صدقة لله عز وجل أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعبها يا رسول الله حيث شئت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينح ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين قسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه متفق عليه قوله بيرحاء هو موضع بقرب المسجد وقيل حاء اسم رجل إليه نسب البئر واختاف في تقييده فروى بفتح الراء في كل حال وروى بضم الراء في الرفع وفتحها في النصب وكسرهما في الجر \* وقوله ينح يقال بالتسكين وبانكسر مع التنوين قال الخليل يقال ذلك للشيء اذا رضيته ويقال ليعظم الامر وقوله مال رابح يروي بالباء الموحدة من الربح بالاجر وجزيل الثواب أي ذو ربح ويروي بالياء المثناة من الرواح عليه بالاجر على الدوام ما بقيت أصوله ونمازه \* وقال المروى رابح أي ذي ربح ومن رواه رائج أراد انه قريب الفائدة \*

### ﴿ الباب الرابع في الدعاء والذكر ﴾

روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء هو العبادة ثم قرأ » ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه \* ( ما يقال عند القيام من النوم ) \* روى ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتعجد قال اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله الا

أنت ولا إله غيرك « متفق عليه • قوله أنت نور السموات والارض معناه ذو نور اى خالقه قيل نور الدنيا فى الشمس والقمر وقيل منور قلوب عباده المؤمنين بالهداية والمعرفة وقوله قيوم السموات والارض اى القائم بامرهما • روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من تعار من الليل فقال لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفرلى ودعا استجيب له فان تضرأوصلى قبلت صلاته» اخرجه البخارى وقوله تعار بتشديد الواو قيل استنقظ وقيل تكلم وتمطى وأن وقيل انتبه وقال بعضهم تمطى بصوت قال البعض وهو ايبن وأشبه بالمعنى •

(ما يقال عند دخول الخلاء) روى أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء قال «اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث « متفق عليه . الخبث بضم الخاء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة يريد ذكور الشياطين واناثهم وعامة المحدثين يسكنون الباء وغلطهم الخطا بى فيه وصبوب ذلك غيره (ما يقال بعد الفراغ من الوضوء) روى عتبة بن عامر رضى الله عنه قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبى فروحتها بعشى فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يتحدث الناس فادركت من قوله «ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة قال فقلت ما أجود هذه فاذا قائل بين يديه يقول الذي قبله اجود فنظرت فاذا عمر قال انى قد رأيتك حين جئت آنفا قال ما منكم من أخذ يتوضأ فيبلغ او فيسبح الوضوء ثم يقول اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» افرد به مسلم •

(ما يقول عند الخروج الى الصلاة) روى على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم عن أبيه انه رقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ رسول الله وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب قمرأ هؤلاء الايات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل

ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّاءُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ نَمُّ أَوْ تَرِبِلَاتٍ فَاذْنِ الْمُوْذِنِ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ خَلْقِي نُورًا وَمِنْ أُمَّامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا » انفرد به مسلم . قوله واجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً الحديث النور الهداية والبيان وضياء الحق وقيل يحتمل ان يريد الرزق الحلال وقوة هذا الاعطاء به الطاعة \* روى الشعبي عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال « بسم الله توكلت على الله اللهم انا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو ننظلم وأنجهل أو يجهل علينا » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح \* ( ما يقال عند الصباح ) روى شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سيد الاستغفار اللهم انت ربى لا إله الا انت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت اذا قالها حين يمسي فات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة واذا قالها حين يصبح فأت يومه مثله » انفرد به البخارى وغيره وقوله أبوء لك بنعمتك قال الهروى اقربها والزما نفسى وأصل البوء اللزوم وأبوء لك بذنبى اى أعترف طوعا اى رجعت الى الاقرار بعد الانكار \* وروى ابان بن عثمان قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلم يضره شيء » وكان ابان قد اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ماتنظر اما ان الحديث كما حدثتك ولكنى لم أقله يومئذ ليمضى الله على قدره »<sup>(١)</sup> أخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن

(١) قوله طرف فالج أى بعضه بفتح اللام علة معروفة وقوله فجعل الرجل ينظر اليه أى تعجبا وانكارا بانك كنت تقول هذه الكلمة في كل مساء وصباح فكيف اصابك الفالج ان كان الحديث صحيحا فقال له ابا نرفعا توجيهه بطريق الاستفهام الانكاري ما تنتظر الخ.

صحيح \* وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » انفرد به مسلم \*

(ما يقال عند سماع الأذان) روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالاسلام ديناً غفر الله ذنبه » انفرد به مسلم \*

(ما يقال بعد التسليم من الصلاة) روى ثوبان قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » قال الوليد قلت للأوزاعي كيف الاستغفار قال يقول استغفر الله استغفر الله انفرد به مسلم \* وروى المنيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قضى الصلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » متفق عليه \* وقوله لا ينفع ذا الجد منك الجد بفتح الجيم أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه إنما ينفعه العمل بطاعتك وقيل الجد والبخت الخط ورواه بعضهم بكسر الجيم وحمله على الحرص في الأمور وانكر ذلك أبو عبيد وروى عطاء بن زيد الليثي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر » انفرد به مسلم واتفقا على معناه من رواية أبي صالح عن أبي هريرة وروى عبد الله بن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة والفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهليل بمنى في دبر كل صلاة

انفرد به مسلم \*

(ما يسبح به في الايام وفضل التسبيح) روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرز من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت أحد يوم القيامة افضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر متفق عليه قوله عدل عشر رقاب العدل بالفتح المثل وما عادل الشيء من غير جنسه وبالكسر ما عادله من جنسه وكان نظيره وقال البصريون العدل والعدل لغتان وهما المثل \* وروى موسى الجهني عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أيجزأ أحدكم أن يكسب كل يوم الف حسنة فساله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة أو يحط عنه الف خطيئة» انفرد به مسلم قال الحميدي هكذا هو في كتاب مسلم في جميع الروايات عن موسى أو يحط قال البرقاني ورواه شعبة وأبو عوانة ويحيى ابن سعيد القطان فقالوا ويحط بنير الف \* وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» متفق عليه \* وروى أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس» انفرد به مسلم وروى أبو ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام الى الله تعالى فقال ان أحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده» انفرد به مسلم \* وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «مثل الذي يذكر الله الذي لا يذكره مثل الحى والميت» متفق عليه \*

( ما يقال عند القيام من المجلس ) \* روي أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك » أخرجه الترمذى والنسائى قال الترمذى حسن صحيح قلت وقال البخارى له علة وقد جمعت طرقه في جزء مفرد واللفظ اختلاف الاصوات في الكلام حتى لا يفهم \*

( ما يقال عند المساء ) \* روي عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال « كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أمسينا قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله الا الله وحده لا شريك له أراه قال فيهن له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر واذا أصبح قال ذلك أيضا أصبحنا وأصبح الملك لله » أخرجه مسلم وقوله وسوء الكبر روى بسكون الباء بمعنى التعظم على الناس وافتحها بمعنى كبر السن والخرف وذ كر الخطابي الوجهين ورجح الفتح \* روى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة قال « أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك » انفرد به مسلم وقوله بكلمات الله قال الهروي هي القرآن والتامات قيل هي الكاملة وقيل هي النافعة الكافية الشافية مما يتعوذ منه \*

( ما يقال عند النوم وأخذ المضجع ) روى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسئلك اللهم أموت وأحيا واذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » انفرد به البخارى \* وروى البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمر رجلا اذا أخذ مضجعه من الليل أن يقول اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى ( ١١٢ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة )



اليك والجات ظهري اليك وفوضت أمري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى الا اليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسوك الذي أرسلت فان مات مات على الفطرة» وروى بنبيك متفق عليه \* وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم خلقت نفسي فانت تتوفها لك مماتها ومحياها إذا حييتها فاحفظها وان أمتها فاغفر لها اللهم أسألك العافية فقال له رجل أسمعت هذا من أحد قال من عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم» انفرد به مسلم \* وروى أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى الى فراشه قال الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم من لا كافي له ولا مأوى» انفرد به مسلم \*

### ﴿فصل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم﴾

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا» انفرد به مسلم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة والنبي عليهم السلام استغفار ودعاء قاله الهروي \* وروى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال «كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم صل تعطه صل تعطه» أخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح \* وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى لقيت كعب بن عجرة فقال الا أهديك هدية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال «قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد» متفق عليه \* روى أبو مسعود الانصاري رضي الله عنه أنانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عباد فقال له البشير بن سعد «أمرنا الله عز وجل أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم « افرد به مسلم. وأبو مسعود سمع عتبة بن عمر وقوله كما قد علمتم يروى بفتح العين وتخفيف اللام وبضم العين وتشديد اللام ويعنى بذلك في التحيات في قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله الي آخره وقيل في قوله تعالى وسلموا تسليماً \* وروى أبو حميد الساعدي رضى الله عنه « أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه وأبو حميد الساعدي اسمه المنذر وقيل عبد الرحمن بن سعد بن المنذر وقيل غير ذلك \* روى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال « قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلى قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم » افرد به البخاري \*

﴿ تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويليه الرسالة الخامسة انشاء الله تعالى ﴾



# الرسالة الخامسة

## ارشاد السائل الى دلائل المسائل

للملأمة خاتمة الحفاظ الحجة عز الانام القاضي البدر محمد بن على الشوكافى  
رحمه الله صاحب نبيل الاوطار

المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . وبه نستعين . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . وسيئات أعمالنا  
من يهده الله فلا مضل له \* ومن يضل فلا هادى له \* وأشهد أن لا اله الا الله  
وحده لا شريك له \* وأشهد أن محمدا عبده ورسوله \*

(أما بعد ) فانه أرسل الى بعض الاعلام بأسئلة يذكر انها من الخلاف  
الليباني<sup>(١)</sup> وانه حصل الاختلاف بين أهله فى شأنها وحاصل السؤال الاول هل  
الراجح جواز قضاء المقلد أم لا فاقول الاوامر القرآنية ليس فيها الا أمر الحاكم بأن  
يحكم بالعدل والحق وما أنزل الله وما أراه الله ومن المعلوم لكل عارف أنه لا يعرف  
هذه الامور الا من كان مجتهدا اذ المقلد إنما هو قائل بقول الغير دون حجته وليس  
الطريق الى العلم بكون الشيء حقا أو عدلا الا بالحجة والمقلد لا يعقل الحجة اذا  
جاءته فكيف يهتدي للاحتجاج بها . وهكذا لاعام عنده بما أنزل الله إنما عنده  
عام بقول من هو مقلده فلو فرض انه يعلم بما أنزل الله وما جاء عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم علما صحيحا لم يكن مقلدا بل هو مجتهد وهكذا لا نظر للمقلد  
فاذا حكم بشئ فهو لم يحكم بما أراه الله بل بما أراه امامه ولا يدري أذلك القول الذي  
قاله امامه موافق للحق أم مخالف له وبالجملة فالقاضى هو من يقضى بين المسلمين بما

(١) قوله الخلاف الليباني هو من وادى حلى الى زييد ولفظ الخلاف مستعمل

فى اليمن بمعنى القطر

جاء عن الشارع كما جاء في حديث معاذ عند أبي داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث ماعدا الى اليمن قال : كيف تقضى اذا اعترض لك القضاء قال اقضى بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله قال اجتهد رأيي ولا آلوه قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله . وهذا الحديث وان كان فيه مقال فقد جمع طرقه وشواهد الخافض ابن كثير في جزءه وقال هو حديث حسن مشهور اعتمد عليه أئمة الاسلام وقد أخرجه أيضا أحمد وابن عدى والطبرانى ولأئمة الحديث كلام طويل في هذا الحديث فبعضهم يقول باطل لا أصل له وبعضهم يقول حسن معمول به وبعضهم يقول ضعيف والحق انه من الحسن لنسبه وهو معمول به وقد دل هذا الحديث على انه يجب على القاضي أن يقدم القضاء بكتاب الله ثم اذا لم يجد فيه قضي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا لم يجد اجتهد رأيه والمقلد لا يتمكن من القضاء بما في كتاب الله لانه لا يعرف الاستدلال ولا كيفيته ولا يمكنه القضاء بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ولانه لا يميز بين الصحيح والموضوع والضعيف الملل باى علة ولا يعرف الاسباب ولا يدري بالمتقدم والمتأخر والعام والخاص والمطلق والمقيد والجمل والمبين والناسخ والمنسوخ بل لا يعرف مفاهيم هذه الالفاظ ولا يتعقل معانيها فضلا عن أن يمكن من أن يعرف اتصاف الدليل بشيء منها وبالجملة فقلقلد اذا قال صح عندي فلا عند له وان قال صح شرعا فهو لا يدري ما هو الشرع وغاية ما يمكنه أن يقول صح هذا من قول فلان وهو لا يدري هل هو صحيح في نفس الامر أم لا فهو بلا ريب أحد قضاة النار لانه اما أن يصادف حكم الحق فهو حكم بالحق ولا يعلم انه الحق أو يحكم بالباطل وهو لا يعلم أنه باطل وكلا الرجلين في النار كما ورد بذلك النص عن المختار . وأما قاضى الجنة فهو الذي يحكم ويعلم أنه الحق ولا شك أن من يعلم بالحق مجتهد لا مقلد هذا يعرفه كل عارف فان قال المقلد أنه يعلم ان ما حكم به من قول امامه حق لان كل مجتهد مصيب فنقول له هل أنت مقلد في هذه

المسألة أعنى أن كل مجتهد مصيب أم مجتهد فان قال كنت مقلدا في هذه المسألة فقد جملت ما هو محل النزاع دليلا لك وهو مصادرة باطلة فانك لا تعلم بانها حق في نفسها فضلا عن أن تعلم بزيادة على ذلك وان كنت مجتهدا في هذه المسألة فكيف خفي عليك ان المراد بكون كل مجتهد مصيبا هو من الصواب لامن الاصابة كما أقر بذلك القائلون بتصويب المجتهدين وحرروه في مؤلفاتهم المعروفة الموجودة بأيدي الناس واذا كان ذلك من الصواب لامن الاصابة فلا يستفاد من المسألة ما تزعمه من كونه مذهب امامك حقا فانه لا ينافي الخطأ ولهذا صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وان اجتهد فخطأ فله أجر » وهذا لا يخفى الا على أعمى واذا لم تتمتع بالفرق بين الصواب والاصابة فاستر نفسك بالسكوت ودع عنك الكلام في المباحث العلمية وتعلم ممن يعلم حتى تدوق حلالة العلم فهذا حاصل مالدى في هذه المسألة وان كانت طويلة الذيل والخلاف فيها مدون في الاصول والفروع ولكن السائل لم يسأل عن أقوال الرجال انما سئل عن تحقيق الحق فان قلت اذا كان الخصام يبطل لا يوجد فيها مجتهد هل يجوز للخصمين الترافع الى من بها من القضاة المقلدين قلت اذا كان يمكن وصولها الى قاض مجتهد لم يجوز للمقلد أن يقضى بينهما بل يرشدهما الى القاضي المجتهد أو يرفع القضية اليه ليحكم فيها بما أراه الله فان كان الوصول الى القاضي المجتهد متعذرا أو متعسرا فلا بأس بان يتولى ذلك القاضي المقلد فصل خصوماتها لكن يجب عليه أن لا يدعى علم مالدس فيه من شأنه فلا يقول صح له ولا صح شرعا بل يقول قال امامي كذا ويعرف الخصمين انه لم يحكم بينهما الا بما قاله الامام الغلافى وفى الحقيقة هو محكم لا حاكم وقد ثبت التحكيم في هذه الشريعة المطهرة كاجاء ذلك فى القرآن فى شأن الزوجين وأنه يوكل الامر الى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة كما فى قوله تعالى ( يحكم به ذوا عدل منكم ) وكما وقع فى زمن النبوة ومع الصحابة فى غير قضية ومن لم يجد ماء تيمم بالتراب والرماد هون من العمى ولا يفتقر العاقل بما يخرجه المقلدون وبموهون به على العامة من تعظيم شان من يقلدونه وينشر فضائله ومناقبه والموازنة بينهم وبين من يبلغ رتبة الاجتهاد فى عصر هؤلاء المقلدين

فان هذا خروج عن محل النزاع ومغالطة قبيحة وما أسرع نفاقها عند العامة لان أفهامهم قاصرة عن ادراك الحقائق والحق عندهم بالرجال وللأموات في صدورهم جلالة وفخامة وطبائع المقلدين قريية من طبائعهم فهم الى قبول أقوالهم أقرب منهم الى قبول أقوال العلماء المجتهدين لان المجتهدين قد باينوا العامة وارتفعوا الى رتبة تضيق أذهان العامة عن تصورها فاذا قال المقلد مثلاً أنا أحكم بمذهب الشافعي وهو أعلم من هذا المجتهد المعاصر له وأعرف بالحق منه كانت العامة الى تصديق هذه المقالة والاذعان لها أسرع من السيل المنحدر وتنفل أذهانهم كذلك اكل انفعال \*

فاذا قال المجتهد مجيباً على ذلك المقلد إن محل النزاع هو الموازنة بيني وبينك لا بيني وبين الشافعي فاني أعرف العدل والحق وما أنزل الله واجتهد برأيي اذا لم أجد في كتاب الله وسنة رسوله نصاً وأنت لا تعرف شيئاً من ذلك ولا تقدر على أن تجتهد برأيك اذ لا رأي لك ولا اجتهد لان اجتهاد الرأي هو ارجاع الحكم الى الكتاب والسنة بالمقاييس أو بعلاقة يسوغها الاجتهاد وانت لا تعرف كتاباً ولا سنة فضلاً عن ان تعرف كيفية الارجاع اليها بوجوه مقبولة كان الجواب الذي جاء به المجتهد مع كونه حقاً بحثاً بعيداً عن ان يفهم العامة أو تدعن لصاحبه \*

ولهذا نرى في هذه الأزمان الغريبة الشان ما ينقله المقلد عن امامه أو وقع في النفوس مما ينقله المجتهد من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان جاء من ذلك بالكثير الطيب وقد رأينا وسمعنا ما لا يشك بانه من علامات قيام القيامة على أن كثيراً من المقلدين قد ينقل في حكمه أو فتواه عن مقلد مثله قد صار تحت اطباق الثرى وأمامه عنه براء فيجول ويصول وينسب ذلك الى مذهب الامام وينسب من يأتي بما يخالفه من كتاب أو سنة الى الابتداع ومخالفة المذهب ومباينة أهل العلم وهو لو ارتفعت رتبته عن هذا الخضيض قليلاً لعلم أنه هو المخالف لامامه لا الموافق له ولنوضح هذا بشيء يعرفه المقلدون في ديارنا هذه فنقول اذا قال الحاكم للمجتهد في مسألة من المسائل بخلاف ما في متن الازهار

فلا يعدم جماعة من المقلدين ينكرون عليه هذه المخالفة لما في الازهار ويتقربون الى العامة بانهم يحافظون على العمل بما في هذا الكتاب وانهم مشيدون للمذهب قائمون بنشره وإن ذلك المجتهد يخالف ولو اتصفوا لعلوا أنهم هم المخالفون لما في الازهار وان ذلك المجتهد أسعد منهم بموافقة فان في أول فصل من فصول الازهار ان التقليد جائز لغير المجتهد لاله ولو وقف على نصه أعلم منه وقاله بعد ذلك بعد الالتزام بجمرة الانتقال الا الى ترجيح نفسه فهذا الازهار مصرح في أوائله بان عمل المجتهد بما في مسائله تقليداً غير جائز له فالقلد المسكين يريد من هذا المجتهد أن لا يعمل باجتهاده ولا يرجع الى ترجيح نفسه بل يقلد مؤلف الازهار في المسائل الفرعية التي فيه فيوقفه فيما لا يجوز بنص الازهار ثم هذا المقلد الذي يريد أن يكون قاضيا ويعتقد صحة قضائه هو أيضا مخالف للازهار فانه مصرح في باب القضاء أن من شروط القاضي أن يكون مجتهدا فانه قال والاجتهاد في الاصح فهذا المقلد ليس بقاض بنص الازهار كما انه مخطيء في انكاره على من يخالف الازهار من المجتهدين بنص الازهار فانه قال في كتاب السير في فضل انكار المنكر ( ولا في مختلف فيه على من هو مذهبه ) وهذا المقلد قد نصب نفسه لانكار اجتهادات المجتهدين

تلبيسا على العوام وترويجا لقصوره على غير ذوى الافهام \*

وبيان ذلك أنه ان كان علما بهذه النصوص التي ذكرناها في الازهار فهو في انكاره وترسيخه لنفسه بما ليس من أهله مخالف لما يعتقد أنه الحق بل لما يقصر الحق عليه وان كان جاهلا بهذه النصوص فهو تهمة لانه يدعو الناس الى ما لا يعرف ويرشدهم الى ما ليس عنده وينصب نفسه للانكار على أكابر العلماء وهو لا يعرف التقليد فضلا عن ان يعرف ما فوقه ومن كان بهذه المنزلة فهو صاحب الجهل المركب الذي لا يستحق أن يخاطب بل على كل صاحب علم أن يرفع نفسه عن مجادلته ويصون لسانه عن مقاولته الا أن يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله \*

﴿السؤال الثاني﴾ حاصله ما حكم الاعراب سكان البادية الذين لا يفعلون شيئا من الشرعيات الامجرد التكلم بالشهادة هل هم كفار أم لا وهل على المسلمين غزوم أم لا . أقول من كان تاركا لاركان الاسلام وجميع فرائضه ورافضا لما يجب

عليه من ذلك من الاقوال والافعال ولم يكن لديه الا مجرد التكلم بالشهادتين فلا شك ولا ريب ان هذا كافر شديد الكفر حلال الدم وصيانة الاموال انما تكون بالقيام باركان الاسلام فالذي يجب على من يجاور هذا الكافر من المسلمين في المواطن والمساكن أن يدعو الى العمل بأحكام الاسلام والقيام بما يجب عليه القيام به على التمام ويبذل تعليمه ويلين له القول ويسهل عليه الامر ويرغبه في الثواب ويخوفه من العقاب فان قبل منه ورجع اليه وعول عليه أكدها أو يوصله الى من هو أعلم منه بأحكام الاسلام وان أصر ذلك الكافر على كفره وجب على من يبلغه أمره من المسلمين أن يقاتلوه حتى يعمل بأحكام الاسلام على التمام فان لم يعمل فزوا حلال الدم والمال حكمه حكم أهل الجاهلية وما أشبه الليلة بالبارحة وقد أبان لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلًا ما نعتمده في قتال الكافرين والآيات القرآنية والاحاديث النبوية في هذا الشأن كثيرة معلومة لكل فرد من أهل العلم بل هذا الامر هو الذي بعث الله سبحانه به رسوله وأنزل لاجله كتبه والتطويل في شأنه والاشتغال بنقل برهانه من باب ايضاح الواضح وتبيين البين فاذا صح الاصرار على الكفر فالدار دار حرب بلا شك ولا شبهة والاحكام الاحكام وقد اختلف المسلمون في غزو الكفار الى ديارهم هل يشترط فيه الامام الاعظم أم لا والحق الحقيق بالقبول أن ذلك واجب على كل فرد من أفراد المسلمين والآيات القرآنية والاحاديث النبوية مطلقة غير مقيدة •

(السؤال الثالث) حاصله ما قيل في العصاة من أهل بيت النبوة أنهم لا يعاقبون على ما يرتكبون من الذنوب بل هم من أهل الجنة على كل حال فكريمًا وتشريفًا هل ذلك صحيح أم لا أقول لا شك ولا ريب أن أهل البيت النبوي المطهر لهم من المزايا والخصائص والمناقب ما ليس لغيرهم وقد جاءت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية شاهدة لهم بما خصهم الله به من التشريف والتكريم والنبجيل والتعظيم . وأما القول برفع العقوبات عن عصاتهم وأنهم لا يخاطبون بما اقترفوه من المآثم ولا يطالبون بما جنوه من المظالم فهذه مقالة باطلة ليس عليها



أثارة من علم ولم يصح في ذلك عن الله ولا عن رسوله حرف واحد وجميع ما أورده علماء السوء المتقربون الى المتعلقين بالرياسات من أهل هذا البيت الشريف فهو باطل موضوع أو خارج عن محل النزاع بل القرآن أعدل شاهد وأصدق دليل على زجر قول كل مكابر جاحد فانه قال عز وجل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (من يأت منكن بفاحشة مينة يضاعف لها العذاب ضعفين) وليس ذلك الا لما هن من رفعة القدر وشرافة المحل بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته الاطهار هم أحق منهن بهذا المضمار فانهم أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشرف قدرا وأعلى محلا وأكرم عنصرا وأفخم ذكرا ولو كان الامر كما زعم هذا الزاعم لم يكن لقوله تعالى (وأندر عشيرتك الاقربين) معنى ولا كبير فائدة واذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لغاطمة البتول التي هي بضعة منه يغضبها ما يغضبها ويرضيه ما يرضيه «يا غاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا» فليت شعري من هذا من أولادها الذي خصه الله بما لم ينقصها ورفعها الى درجة قصرت عنها فابعد الله علماء السوء وقلل عددهم فان العاصي من أهل هذا البيت الشريف المطهر اذا لم يكن مستحقا على معصية مضاعفة العقوبة فأقل الاحوال أن يكون كسائر الناس فيا من شرفه الله بهذا النسب الشريف اياك أن تغتر بما ينمقه لك أهل التبديل والتحريف \*

(السؤال الرابع) حاصله الاستفهام عن مذهب أهل الحق في شأن ما شجر بين الصحابة في الخلافة وما يترتب عليها \* أقول أن كان هذا السائل طالبا للنجاة مستفهما عن أقرب الاقوال الى مطابقة مراد مولاه كما يشعر بذلك تصرفه في سؤاله فليدع الاشتغال بهذا الامر ويترك المرور في هذا المضيق الذي تاهت فيه الافكار وتجبرت عنده أفكار أهل الانظار فان هؤلاء الذين تبحث عن حوادثهم وتتطلع لمعرفة ما شجر بينهم قد صاروا تحت أطباق النرى ولقوا ربهم في المائة الاولى من البعثة وهانحن الآن في المائة الثالثة عشر فما لنا والاشتغال بهذا الشأن الذي لا يعنيننا ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه . وأى فائدة لنا في الدخول في الامور التي فيها ريبة وقد أرشدنا الى أن ندع ما يربينا الى مالا يربينا ويكفيننا من تلك القلاقل

والزلازل أن نعتقد أنهم خير القرون وأفضل الناس وأن الخارجين على أمير المؤمنين رضوان الله عليهم المحاربين له المصرين على ذلك الذين لم تصح توبتهم بغاة وأنه الحق وهم المبطلون . وما زاد على هذا المقدار فهو من الفضول الذي يشتغل به من لا يبالي بدينه وقد تلاعب الشيطان بكثير من الناس فأوقعهم في الاختلاف في خير القرون الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم لبعض من هو من جملتهم لكنه تأخر اسلامه عنهم « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » فإذا كن مثل أحد ذهباً من المتأخرين من الصحابة المخاطبين بهذا الخطاب لا يبلغ مد أحد متقدميهم ولا نصيفه فما أظنه يبلغ بمثل أحد ذهباً من مقدار حبة من أحدهم ولا نصفها فرحم الله امرأ اشتغل بما أوجبه الله عليه وطلبه منه وترك ما لا يعود عليه بنفع لافي الدنيا ولا في الآخرة بل يعود عليه بالضرر ولولم يكن من الضرر الا مجرد ما أرشدنا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » لكفى فهذا والله مالا يعنيننا ومن ظن خلاف هذا فهو مغرور مخدوع قاصر الباع عن ادراك الحقائق ومعرفة الحق على وجهه كأننا من كان والله لو جاء أحدهم يوم القيامة بما يملأ الدنيا من الحسنات ما كان لنا من ذلك شيء ولو جاء أحدهم ( وصانهم الله ) من السيئات بمثل ذلك ما كان علينا من ذلك شيء فقيم التعب وعلام نضيع الاوقات في هذه الترهات \*

( السؤال الخامس ) حاصله الاستفهام عن المعاديات الجارية في بعض البلدان من الاجتماع في المساجد لتلاوة القرآن على الاموات وكذلك في البيوت وسائر الاجتماعات التي لم ترد في الشريعة هل يجوز ذلك أم لا \* أقول لا شك ان هذه الاجتماعات المبتدعة ان كانت خالية عن معصية سليمة من المنكرات فهي جائزة لان الاجتماع ليس بمحرم في نفسه لاسباب اذا كان لتحصيل طاعة كالتلاوة ونحوها ولا يقدح في ذلك كون تلك التلاوة مجعولة للميت فقد ورد جنس التلاوة من الجماعة المجتمعين كما في حديث « اقرأوا على موتاكم يس » وهو حديث حسن ولا فرق بين تلاوة يس من الجماعة الحاضرين عند الميت أو على قبره وبين تلاوة جميع القرآن أو بعضه لميت في مسجده أو بيته . وبالجملة فالاجتماعات العرفية التي

لم يرد جنسها في الشريعة ان كانت لا تخلو عن منكر فلا يجوز حضورها ولا يحل ولا تطيب نفس مسلم بحضوره وقف المنكرات والمعاصي وان كانت خالية عن ذلك وليس فيها الا مجرد التحدث بما هو مباح فهذا لانسلم انه لم يرد جنسه في الشريعة المطهرة فقد كان الصحابة الراشدون يجتمعون في بيوتهم ومساجدهم وبينهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ويتناشدون الاشعار ويتذاكرون الاخبار ويأكلون ويشربون فن زعم ان الاجتماع الخالي عن الحرام بدعة فقد أخطأ فان البدعة هي التي تبندع في الدين وليس هذا من ذلك \*

(السؤال السادس) حاصله الاستفهام عن الحلف بغير الله كالخلف بالسلطان والاولياء والقرآن من دون قصد تعظيم المخلوق به بل لاجل الاعتياد بذلك في المحاورة \* أقول هذا لا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر . وقد ورد النهي عنه في الاحاديث الصحيحة وورد أيضا في الاحاديث ما يفيد ان فاعل ذلك يكفر اذا كان حلفه باللات والعزى ونحو ذلك من الطواغيت وورد أن من فعل ذلك لم يرجع الى الاسلام سالما وهذه أحاديث صحيحة ثابتة في دواوين الاسلام فان سبق لسان الخالف الى شيء من ذلك لاجل تمرنه عليه فعليه أن يتدارك نفسه بالاستغفار ويعود لسانه ونفسه الخير ما استطاع ولا يقع فيها نهى عنه الشارع وتوعد عليه فان النفس قابلة للتعليم اذا عودت غير ما قد اعتادته عادت الى الموافقة ولو بعد حين \*

(السؤال السابع) عن بقية شعر الرأس هل هو مسنون اذا علم من نفسه النقص عن تخليله بالماء عند وجوب الغسل أم يجب عليه ازالته «أقول» وخير الامور السالفات على الهدى وشر الامور المحدثات البدائع قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة الى شحمة اذنيه وكذلك للمشاهير من الصحابة الذين نقلت البنا حليتهم وقد جاءت الاحاديث الصحيحة الصريحة بذلك فمن أراد الاقتداء بالهيئة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليترك له جمة كالجملة التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من دون أن يخلق بعض شعر الرأس ويبقى بعضه كما يعتاده البدو في الجهات المتصلة بهنعاء فان ذلك منهى

عنه لان التحليق ان كان بموضع الخلاقة فقد ورد عنه المنهى الصحيح وان كان بموضع من الرأس فهو القزع المنهى عنه بالحديث الصحيح وهكذا خلق البعض وترك البعض وأما خلق الرأس كله فلم يرد ما يدل على النهى عنه وان كانت خلاف السنة اذا كان لغير النسك وقد ثبت ان التحليق سيما الخوارج ولعلمهم يفعلون ذلك معتقدين مشروعيته نعم ورد الامر النبوي لمن أسلم بأن يحلق عنه شعر الكفر فمن دخل بالاسلام بعد الكفر فعليه أن يحلق شعره الذي كان على بدنه في الكفر وهو شعر الرأس لا شعر اللحية ونحوه مما لا يرد الشرع بحلقه هذا على تسليم أن أمره صلى الله عليه وسلم لهذا الفرد من أفراد الكفار يكون أمراً اسكلاً فرد منهم والخلاف في المسألة معروف في الاصول ولم ينقل اليها أنه صلى الله عليه وسلم أمر أحداً ممن أسلم من أكابر الصحابة أن يحلق شعره ولا من غيرهم من متأخري الاسلام غير هذا الرجل ومع هذا فالحديث المذكور في حلق الرأس ضعيف كما أوضح ذلك علماء هذا الشأن •

(السؤال الثامن) حاصله الاستفهام عن أرض فيها آثار ملك متقدمة ولا يد عليها في الحال ولا يعرف مالكمها وبعض الناس أوضاع شرعية تفيد أن له ملكاً فيها ولكنه غير معين في جهة من جهاتها فهل يجوز احيائها أم لا •

أقول ان الارض التي فيها آثار ملك للمالك غير معروف ان كانت في البلاد الامامية فهي لبيت المال ويكون أمرها الى الامام يجعلها المصلحة من مصالح المسلمين أو يبيعها أو يؤجرها وان كانت في أرض غير امامية كان أمرها الى أصلح أهل تلك البلد يجعلها في مصالح المسلمين واذا كان لاحد الناس أوضاع صحيحة تفيد أنه يملك مقداراً معلوماً غير معين في جهة من جهاتها كان له ذلك المقدار من أوسط بقاعها الذي يكون متوسطاً بين أعلاها وأدناها اذا كانت مختلفة وان كانت متحدة فللامام أو الحاكم عن جهة أو حاكم المصالح أن يعين لصاحب الوضع ما اشتمل عليه وضعه في أي جهة من جهاتها والمفروض أنه لا يثبت ليد عليها حتي تعارض لقوم معروفين وهي منسوبة اليهم نسبة تفيد الملك فان كان نصيب كل واحد منهم معلوماً غير معين في جهة قسمت بينهم على قدر الانصاء وان كان النصيب مجهولاً قسمت

بينهم على الرؤوس مع عدم البرهان الشرعي بوجه من الوجوه\*  
 (السؤال التاسع) حاصله هل يجوز التأديب بالمال اذا حصل من أحد الرعايا قتل أو نحوه أو لا يجوز وان كانوا لا يقومون في الغالب بما أوجبه الله عليهم من صلاة وصيام ونحوهما وهل في أموالهم حق غير الزكاة\* أقول قد شرع الله لعباده الشرائع وحد لهم الحدود وجعل لكل ذنب عقوبة فالقاتل يقتل أو يسلم الدية ان لم يكمل شروط التصاص أو كملت ورضى الورثة بالدية والجاني يقتص منه فيما يجب فيه القصاص ويسلم الارث في الجناية التي لا قصاص فيها والزاني والسارق والقاذف والسكران قد جاءت الشريعة بعقوبات مقدرة في كل واحد منهم. وتارك أركان الاسلام أو بعضها اذا أصر على الترك ولم يتب وجب قتاله بحسب الاستطاعة وهكذا جاءت الشريعة المطهرة بما يلزم كل من فعل محرما أو ترك واجبا ولم يأت في شيء من هذه الامور الشرعية التأديب بالمال وان ورد شيء من ذلك في الشريعة كتضعيف الغرامة في بعض المسائل وأخذ شطر من لم يسلم الزكاة وأخذ ثياب من يقطع أشجار حرم المدينة ونحو ذلك فهو مقصور على محله لا يجوز مجاوزته الى غيره وقد استوفيت الكلام على ذلك في رسالة مستقلة وسردت فيها المواضع التي وردت وأوضحت هنا ان الاصل المعلوم بالضرورة الدينية هو تحريم مال المسلم وعصمته وعدم تسويفه الا بطيب من نفسه وان تلك المواضع التي فيها التأديب بالمال كالمخصصة لهذا العموم فيقتصر عليها ولا يجوز مجاوزتها الى غيرها وان لا يجوز ذلك في هذه المواضع التي وردت الا لأئمة المسلمين المتبحرين في معرفة أحكام الدين ولا يجوز لافرادهم كائنا من كان ولا يشك عالم أن تلك المواضع اليسيرة وارادة على خلاف الاصل في هذه الشريعة فان الاصل المعلوم بالضرورة هو ماورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من العقوبات المقدرة للعصاة وقد تهافت الظلمة في هذه المسألة تهافتا شنيعا حتي عطلوا الحدود الواجبة واستحلوا أموال المسلمين بغير حقها فأخذوا ما حرم الله عليهم أخذه وهو مال المسلم وأهملوا ما أخذ الله عليهم القيام به وهو الحدود فجمعوا بين خطيئتين شنيعتين هما استحلال أموال المسلمين وأكلها بالباطل وتعطيل حدود الله التي شرعها لعباده

وأعلمهم على ذلك علماء السوء فأفتوهم بما وجدوه في نصوص أهل العلم من الكلام على التأديب بالمال فضلوا وأضلوا وكانوا شركاء لهم في المظلمة مع أن نصوص أهل العلم مقيمة بقيود مشروطة بشروط وكذلك الأدلة الواردة في ذلك فإنها في مواطن خاصة مباحنة لما يفعله أهل الظلم مبنية على مصالح عامة وخاصة لا يقف على وجه الحكمة فيها إلا أفراد العلماء وأما ما سأل عنه السائل (هل في المال حق سوى الزكاة) فأقول قد تكلم علماء التفسير والحديث والفقه في ذلك بكلام طويل والراجح أن حديث ليس في المال حق سوى الزكاة عام مخصوص بمنزل وجوب الضيافة وسد رمق محترم الدم كما وردت بذلك الأدلة الخاصة بمنزل قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وقوله تعالى (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) ونحو ذلك مما وردت به الشريعة المطهرة لآمالا ترد به مما ابتدعه أهل الظلم وجعلوه ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل \*

(السؤال العاشر) عن العمائر المستعجدة في الحرم الشريف كالمقامات والمنارات وكذلك التعلية في البيوت زيادة على الحاجة أقول عمارة المقامات بدعة باجماع المسلمين أحدثها أشرك ملوك الشراكسة فرج بن برقوق في أوائل المائة التاسعة من الهجرة وأنكر ذلك أهل العلم في ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع وبالله العجب من بدعة يحدثها من هو من شر ملوك المسلمين في خير بقاع الأرض كيف لم ينهض لها من جاء بعده من الملوك المائلين إلى الخير لاسيما وقد صارت هذه المقامات سببا من أسباب تفريق الجماعات وقد كان الصادق المصدوق ينهى عن الاختلاف والفرقة ويرشد إلى الاجتماع والائتمة كما في الأحاديث الصحيحة بل نهى عن تفريق الجماعات في الصلوات والجملة فكل عاقل منشرع يعلم أنه حدثت بسبب هذه المذاهب التي فرقت الإسلام فرقا مفسدة أصيب بها الدين وأهله وأن من أعظمها خطراً وأشدّها على الإسلام ما وقع الآن في الحرم الشريف من تفرق الجماعات ووقوف كل طائفة في مقام من هذه المقامات كأنهم أهل أديان وشرائع مختلفة فانا لله وانا إليه راجعون واما رفع المنارات فاصل وضعها لمقصد صالح وهو اسماع البعيد عن محل الاذان وهذه مصلحة مسوغة اذا لم تعارضها

مفسدة فإن عارضتها مفسدة من المفسدات المخالفة للشرعية فدفع المفسد مقدم على جلب المصالح كما تقرر ذلك في الأصول . وأما تشديد البنيان ورفع فوق حاجة الانسان فقد ورد النهي عنه والوعيد عليه وثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بهدم بعض الابنية وليس ذلك مجرد بدعة بل خلاف ما ارشد اليه الشارع \*

السؤال الحادى عشر ~~عن~~ عن شجرة التنباك هل يجوز استعمالها على الصفة التى يستعملها كثير من الناس الآن ام لا \* اقول الاصل الذى يشهد له القرآن الكريم والسنة المطهرة هو ان كل ما فى الارض حلال ولا يحرم شئ من ذلك الا بدليل خاص كالسكر والسم القاتل وما فيه ضرر عاجل أو آجل كالتراب ونحوه . وما لم يرد فيه دليل خاص فهو حلال استصحابا بالبراءة الاصلية ونمسا بالادلة العامة كقوله تعالى ( خالق لكم ما فى الارض جميعا ) ( قل لا أجد فيما أوحى الى محرمات ) الآية وهكذا الراجع عندى أن الاصل فى جميع الحيوانات الحل ولا يحرم شئ منها الا بدليل يخصصه كذى الناب من السباع والخالب من الطير والكلب او الخنزير وسائر ماورد فيه دليل يدل على تحريمه اذا تقرر هذا علمت ان هذه الشجرة التى سماها بعض الناس التنباك وبعضهم التوتون لم يأت فيها دليل يدل على تحريمها وليست من جنس المسكرات ولا من السموم ولا من جنس ما يضر أجلا أو عاجلا من زعم أنها حرام فعليه الدليل ولا يفيد مجرد القال والقليل وقد استدلل بعض أهل العلم على حرمتها بقوله تعالى ( يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ) وأدرج هذه الشجرة تحت الخبائث بمسالك من مسالك العلة المدونة فى الأصول وقد غلط فى ذلك غلطا يينا فان كون هذه الشجرة من الخبائث هو محل النزاع والاستدلال بالآية السكرية على ذلك فيه شوب مصادرة على المطلوب والاستخبات المذكور ان كان بالنسبة الى من يستعملها ومن لا يستعملها فهو باطل فان من يستعملها هى عنده من الطيبات لامن المستخبات وان كان بالنسبة الى بعض هذا النوع الانسانى فقد وجد منهم من استخبت العسل وهو من أطيب الطيبات وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأكل الضب وقال اجدنى أهافه . فأكله بعض الصحابة بمرأى ومسمع منه صلى الله عليه وسلم ومن أنصف

من نفسه وجد كثيرا من الامور التي أحلها الشارع من الحيوانات وغيرها وكانت حلالا بالبراءة الاصلية وعموم الادلة في هذا النوع الانساني من يستخبت بعضها وفيهم من يستطيب ما يستخبثه غيره فلو كان مجرد استخبات البعض مقتضيا لتحريم ذلك الشيء عليه وعلى غيره لكان العسل ولحوم الابل والبقر والدجاج من المحرمات <sup>(١)</sup> لان في الناس من يستخبت ذلك ويمافه واللازم باطل فاللزوم مثله فنقرر بهذا ان الاستدلال على تحريم التوتون لسكون البعض يستخبثه غلط أو مغالطة وقد انقضى الجواب على سؤالات السائل مع المبالغة في الاختصار ليسهل الانتفاع بذلك على طالب الفائدة ولو بسطنا الجواب بعض البسط لجاء جواب بعض هذه الاسئلة على انفراد في كراريس في الظن بمجموعها والحمد لله أولا وآخرا وظهر اوباطنا صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم \*

(١) هذه مغالطة ظاهرة فان هذه الاشياء ثابت حلها بنص الكتاب والسنة وان عافها أكثر الناس وشجرة التباك ليست مما ثبت حله بل نص على تحريمه كافة علماء الحكمة من مسلم وغيره بسبب ضرره وأنه يحدث ضررا كثيرا في جميع جسم الانسان حتى ان من يشربه يستعمله يقر على نفسه بانه يحصل عنده ضرر بسببه وان صحته تضعف وتأخذ في الانحطاط وليس يثبت أن كل حكم جزئي منصوص عليه نصا صريحا بخصوصه بل بعض الاشياء ثابت حكمه بدليل خاص وبعضه بدليل عام يندرج ذلك الجزئي تحته وهذا لا يخفى على من له أدنى ادراك بعلم الاصول وقواعد الشريعة \* فيعلم العاقل أنه اسراف وقد قال تعالى (ولا تسرفوا) وتبذير وقال سبحانه (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) ومفتر وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل مسكر ومفتر فلذلك اذا استعمله الانسان في بادىء أمره يحصل عنده غيان وتفتير يشربه ويشكو. ومهلك وقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) وضرر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا ضرر ولا ضرار » والله أعلم

﴿ تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويليه الرسالة السادسة ان شاء الله تعالى ﴾



# الرسالة السادسة

معنى قول الامام المطلبى اذا صح الحديث فهو مذهبي

✽ لشيخ الاسلام تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي رحمه الله ✽  
(المتوفى سنة ٧٥٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وبه نستعين وعليه التوكل﴾

قال الشيخ الامام شيخ الاسلام بقية المجتهدين تقي الدين السبكي رحمه الله سألت وقفتك الله عن قول امامنا الشافعي رضي الله عنه اذا صح الحديث فهو مذهبي وهو قول مشهور عنه لم يختلف الناس في أنه قاله وروى عنه معناه أيضا بألفاظ مختلفة \* قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال سمعت حرمة يقول قال الشافعي كل ما قلت فكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني \* وقال الاصم سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بها ودعوا ما قلته \* قال وسمعت الشافعي روى حديثا فقال له رجل يا أبا عبد الله تأخذ بهذا فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب . وقال الحميدي روى الشافعي يوما حديثا قلت أتأخذ به فقال رأيتني خرجت من كنيسة على زناز حتى اذا سمعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لا أقول به \* وقال الربيع سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال له يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كذا وكذا فقال له السائل تقول به فأريته أردد وانتفض وقال يا هذا أي أرض تقفني وأي جماء تظفني اذا رويت

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فلم أقل به نعم على السمع والبصر •  
وقال ابن أبي حاتم اخبرني أبو محمد السجستاني فيما كتب الى عن أبي ثور سمعت  
الشافعي يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وان لم تسمعه مني •  
وقال دعلج حدثنا أبو محمد الجارودي قال سمعت الربيع قال سمعت الشافعي  
يقول اذا وجدتم سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي فخذوها بها  
ودعوا قولي فاني أقول بها • وقال ابن أبي حاتم كتب الى عبد الله بن الامام احمد  
سمعت أبي يقول كان الشافعي اذا ثبت عنده الحديث قلده وخبر خصلة كانت  
فيه لم يكن يشتكي الكلام انما همته الفقه • وروى الطبراني عن عبد الله بن  
الامام احمد قال سمعت ابي يقول قال محمد بن ادريس الشافعي أنت أعلم بالاخبار  
الصالح منا فاذا كان خبر صحيح فاعلمني حتى اذهب اليه كوفيا كان أو بصرياً  
أو شامياً فانظر انصاف الشافعي رحمه الله وقوله لأحمد واحمد من اصحابه وقد  
قال ابراهيم الحربي قال استاذ الأستاذين قالوا من هو قال الشافعي اليس هو استاذ  
احمد بن حنبل • وقال أبو أيوب حميد بن احمد البصري كنت عند احمد بن  
حنبل ننذاكر في مسألة فقال رجل لأحمد يا أبا عبد الله لا يصح فيه حديث فقال  
ان لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي . وحجته اثبت شيء فيه ثم قل قلت  
لشافعي ما تقول في مسألة كذا وكذا قال فأجاب فيها فقلت من اين قلت هل فيه  
حديث أو كتاب قال فتزعم في ذلك حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث  
نص • وروى البيهقي بسنده الى الربيع المرادي قال سمعت الشافعي يقول اذا  
وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ودعوا ما قلت • وعن الربيع بن سليمان أيضاً قال سمعت الشافعي يقول كل  
مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف  
ما قلت فاناراجع عنها في حياتي وبعد موتي • وعن الربيع بن سليمان قال سمعت  
الشافعي يقول ما من أحد الا ويذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
وتعرف عنه فمهما قلت من قول أو أصل من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وعلى آله خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم وهو قول وجعل يردد هذا الكلام \* وسئل ابو بكر بن خزيمة هل تعرف سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه قال لا \* وقال الشافعي لا تترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يسخله القياس ولا موضع للقياس مع السنة \* وقال الشافعي في حديث بروع بنت واشق ان ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو أولى الأمور بنا ولا حجة في قول احد دون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا في قياس ولا شيء في قوله الا طاعة الله بالتسليم له ولم احفظه من وجه يثبت مثله هو مرة يقال عن معقل بن يسار ومرة عن معقل بن سنان ومرة عن بعض اشجع لا يسمى \* وقال الشافعي فيما روى عن علي بن سعيد باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله انه أجاز بيع القمح في سنبله اما هو فقرر لانه مجهول دونه لا يرى فان ثبت الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قلنا به وكان هذا خاصا مستخرجا من عام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الفرر وأجاز هذا وكذا أجاز بيع الشقص من الدار فجعل فيه الشفعة لصاحب الشفعة وان كان فيه غرر وكان خاصا مخرجا من عام \* وللشافعي رضى الله عنه كثير من هذا \* وقد روينا منها باسانيد شتى كثيرا لم نر التطويل بذكرها ولا بذكر الأسانيد \* وقال أبو الوليد موسى بن أبي الجارود قال الشافعي اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا قاتل راجع عن قولى وقائل بذلك \* وقال الزعفراني عن الشافعي اذا وجدتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا الى قول احد \* وحكى الأمام في النهاية عن الصيدلاني عن بعض اصحابنا المحققين القطع باستحباب التشويب وقال نحن نعلم على قطع انه لو بلغه يعنى الشافعي الحديث على خلاف ما اعتقده وصح على شرطه لرجع الى مواقة الحديث \* وفي المذهب في الغسل من غسل الميت ان الشافعي قال في البويطي ان صح الحديث قلنا به \* وفي البحر في الاشتراط عن الشافعي في الجديد ان صح حديث ضباة قلنا به \* ورجح جماعة من أصحابنا ان وقت المغرب موسع والصوم عن الميت كذلك ولا أجله قال الماوردي ان الصلاة الوسطى المصر مع نص الشافعي على انها الصبح قال ولا يكون في ذلك قولان كلهم بعض اصحابنا

\* وقال في وطء الحائض فيه وجوب دينار أو نصف دينار \* روى هذا الحديث الشافعي وكان اسناده ضعيفا فقال ان صح قلت به \* وحكي الربيع عن الشافعي أنه قال ما ورد من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخلاف مذهبي فآزر كوا له مذهبي فان ذلك مذهبي واختار ابن المنذر أن الصلاة الوسطى العصر كما اختاره الماوردي ونسبه ابن عبد البر والقاضي عياض الى الشافعي \*

﴿فصل﴾ قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رضى الله عنه في كتاب الفتوى ممن حكي عنه أنه أقي بالحديث في مثل ذلك أبو يعقوب البويطي وأبو القاسم الداركي وهو الذي قطع به أبو الحسن السكا الطبري وليس هذا بالهين فليس كل فيه يسوغ له أن يستقل بالعمل بما رآه حجة من الحديث وفيمن سلك هذا المسلك من الشافعية من عمل بحديث تركه الشافعي عمدا على علم منه بصحته لما منع اطاع عليه وخفي على غيره كابن الوليد موسى بن أبي الجارود ممن صحب الشافعي \* روي أنه روى عن الشافعي أنه قال اذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث وقلت قولانا راجع عن قولي قائل بذلك \* قال أبو الوليد وقد صح حديث أظفر الحاجم والمجروح فرد على أبي الوليد ذلك من حيث أن الشافعي تركه مع صحته لكونه منسوخا عنده وقد دل على ذلك رضى الله عنه رتبته \* وروينا عن ابن خزيمة الامام البارع في الحديث والفقهاء أنه قال قيل له هل تعرف سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتابه قال لا قال ابن الصلاح (١) وعند هذا قول من وجد من الشافعيين حديثا يخالفه مذهبه نظر فان كملت آلات

(١) هكذا عبارة ابن الصلاح في التسخين وفي التركيب ركائة. وقد ذكر

الامام النووي كلام العلامة ابن الصلاح في مقدمة المجموع شرح المذهب وهاك نصه. قال الشيخ أبو عمرو فمن وجد من الشافعية حديثا يخالف مذهبه نظر أن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقا أو في ذلك الباب أو المسألة كان له الاستقلال باتعمل به وان لم يكمل وشق عليه مخالفة الحديث بعد ان بحث فلم يجد لمخالفته عنه جوابا شافيا فله العمل به ان كان عمل به امام مستقل غير الشافعي ويكون هذا عذرا له في ترك مذهب امامه هنا قال النووي وهذا الذي قاله حسن متعين

الاجتهاد فيه اما مطلقا وأما في ذلك الباب او في تلك المسألة كان له الاستقلال بالعمل بذلك الحديث وان لم تكمل فيه آتته ووجد حرارة في قلبه من مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لم لفته عنه جوابا شافيا فلينظر هل عمل بذلك الحديث إمام مستقل فان وجده فله ان يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث ويكون ذلك عذرا له في ترك مذهب أمامه في ذلك وسكت ابن الصلاح عن القسم الآخر وهو ان لا يجد من يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث وكأنه لان ذلك انما يكون حيث يكون اجماع ولكن قد يفرض مع الاختلاف وقد يفرض في مسألة لا تقل فيها عن غير الشافعي فاذا يصنع والاولى عندى اتباع الحديث وليفرض الانسان نفسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع ذلك منه ايسره التأخر عن العمل به لا والله وكل أحد مكلف بحسب فهمه وقد تبع النووي أبا عمرو بن الصلاح فيما قاله وقال مثله في خطبة شرح المذهب وقال انما هذا يعني كلام الشافعي فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب وشرطه ان يغلب على ظنه أن الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث أو لم يعلم بصحته وهذا انما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي كلها ونحوها من كتب الاصحاب الاخذين عنه وما اشبهها وهذا شرط صعب قل من يتصف به وانما اشترطوا ما ذكرناه لان الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها لكن قام الدليل عنده على طعن فيها او نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك \*

وحكى الذي قاله ابن الصلاح وقال انه حسن متعين وهذا الذي قاله رضى الله عنهما ليس ردا لما قاله الشافعي ولا لكونه فضيلة امتاز بها عن غيره ولكنه تبيين لصوبة هذا المقام حتى لا يفتخر به كل أحد والافتاء في الدين كه كذلك لا بد من البحث والتنقيح عن الأدلة الشرعية حتى ينشرح الصدر للعمل بالدليل الذي يحصل عليه فهو صعب وليس بالهين كما قاله رضى الله عنهما ومع ذلك ينبغي الحرص عليه وطلبه \* وأما قصة ابن الجارود فلقد فيها على ابن الجارود لتقصيره في البحث لاعلى حسن كلام الشافعي في نفسه وامكان اتباعه \* ومن وافق ابن الجارود عليه أبو الوليد النيسابوي حسان بن محمد من ذرية سعيد بن العاص من أ كابر أئمة

أصحابنا توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة كان يخالف بالله ان مذهب الشافعي أنه يفطر الحاجم والمحجوم استنادا الى ذلك وغلطه الاصحاب بما سبق كما غلطوا ابن الجارود وهو كمسألة يغلط فيها بعض المجتهدين لكن تغليب ذلك صعب لاتساع المدارك \* وقد سهل تغليب هذا الرجل من جهة معرفة مدركه وغلطه فيه \* وقد يمكن مثله في غيره وقد يتهماً معرفة صواب من يصيب فيه \* وقد حكى عن أبي الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي وكان فقيها محدثا أنه كان لا يقنت في صلاة الصبح يقول صح عندي ان النبي صلى الله عليه وسلم ترك القنوت في صلاة الصبح وقال رأيت ليلة الشيخ أبا اسحق الشيرازي في النوم فسلمت عليه وأردت أن أقبل يده فاعرض عني وامتنع فقلت ياسيدي أنا من جملة غلاتك واذكر المذهب من تصنيفك في الدروس فقال لي لم تركت القنوت في صلاة الصبح . فقلت له ان الشافعي قال اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولنا وخذوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك قولنا فهذا أيضا قول الشافعي وشرعت معه في شرح الحديث وهو يصني الى أن تبسم في وجهي أو كما قال وذكر هذه الحكاية عنه ابن السمعاني وذكرها شيخنا الحافظ الدمياطي في الصلاة الوسطى ولما قرأناها عليه تركت القنوت في صلاة الصبح مدة ثم علمت ان الذي صح من قوله صلى الله عليه وسلم القنوت في صلاة الصبح هو الدعاء على رعل وذكوان وفي غير صلاة الصبح أما ترك الدعاء مطلقا بعد القيام في صلاة الصبح ففيه حديث عيسى بن ماهان \* وفيه من الكلام ما عرف وايس هذا موضع تحريره فرجعت الى القنوت وأما الآن أقنت وليس في شيء من ذلك اشكال على كلام الشافعي وأما قصور يعرض لنا في بعض النظر \* ولما ذكر شيخنا الدمياطي محمد بن عبد الملك الكرجي قال انه من أكبر أصحاب الشيخ أبي اسحاق الشيرازي فقال لي ابني عبد الوهاب ليس من أصحاب الشيخ أبي اسحق ولكن من أصحاب أصحابه وكان يدرس كتابه \* وأما قول ابن خزيمة انه لا يعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة في الحلال والحرام لم يودعها الشافعي كتبه فقد يكون أو دعهما كتبه وفي بعضها لم يتبين له صحتها فيتبين بعد ذلك أولا يكون في الحلال والحرام كما في الصلاة

الوسطى أو يكون سنة لم يعلمها ابن خزيمة أو يكون الشافعي قال ذلك على سبيل  
 الفرض والتقدير \* وأما ما قام الدليل عند الشافعي على طعن فيها أو نسخها أو  
 تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك فليس الكلام فيه وليس هذا تركا لها وإنما الترك  
 للحديث أن لا يعمل به أصلا كما يقوله من يترك الحديث لعمل أهل المدينة أو للقياس  
 أو لعدم فقه الراوى أو لعمله أو عمل صحابي بخلافه ونحو ذلك هذا هو الترك \*  
 وأما الطعن في اسناد الحديث أو بسبب علة أو شذوذ فذلك يمنع من الحكم بصحة  
 الحديث وكلامنا إنما هو اذا صح الحديث والنسخ ليس تركا فالنسخ قد يوجد في  
 القرآن والتخصيص ليس تركا بل جمع بينه وبين العام \* وقد تكلم الشافعي  
 في الاحاديث المختلفة والجمع بينها في كتاب اختلاف الحديث أحسن كلام  
 وكذلك العلماء كلهم فهذا ليس هو المراد هنا وإنما المراد الترك المطلق ولم يقع  
 ذلك للشافعي أصلا ولا تقتضيه أصوله وقد تكلم الاصوليون في العمل بالعام قبل  
 طلب المخصص والذي أقوله ان المبادرة الى امتثال الامر مطلوبة كمن سمعه من  
 النبي صلى الله عليه وسلم لا رخصة له في تركه \* والمبادرة الى طلب وجوه التأويل  
 والتخصيص والتقييد وعدم النسخ مطلوبة فلا رخصة في ارتكاب الهويناء بل عليه  
 المبادرة وبمهل بقدر ما ينظر غير مهمل ولا مؤخر عن الوقت الذي يتعين فيه العمل  
 والا فينقض العمر ولا يعمل والمكلف بذلك كل من هو من أهل الفهم بحسب  
 ما تصل اليه قدرته من العلم والمبالغة في الطلب واشتراط رتبة الاجتهاد الكامل  
 والتوقف عن العمل حتى يحصل الى أقصى غاية ليس مما يقتضيه سير السلف رضى  
 الله عنهم \* واذا كان لابد من العمل فالعمل بما اقتضاه الحديث أولى من العمل  
 بما اقتضاه كلام صاحب المذهب الذي يقلده اذا كان المقلد من أهل الفهم \* أما  
 العامي فلا كلام معه الا أن يقال له هذا حكم الله أو هذا مذهب فلان \* وقال  
 الربيع قال الشافعي قد أعطيتك جملة تقيك ان شاء الله لاتدع لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم حديثا أبدا الا أن يأتي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل  
 بما قلت لك في الاحاديث اذا اختلفت \* قال أبو نور سمعت الشافعي رضى الله  
 عنه يقول كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولى وان لم تسمعه مني

وقال الزعفراني كنا ولو قيل لنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قلنا هذا مأخوذ هذا غير مأخوذ حتى قدم علينا الشافعي فقال لنا ما هذا اذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مأخوذ لا يترك لقول غيره \* وقال الانرم كنعان البويطي فذكرت حديث عمار في التيمم فأخذ السكين وحنه من كتابه وصيره ضربة وقال هكذا أودى صاحبنا اذا صح عندكم الخبر فهو قولي \* حكى ذلك أبو شاة في كتابه المؤمل في الرد الى الامر الاول \*

﴿فصل﴾ قال معن سمعت مالكا يقول انما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافقهما فتركوه قال نعيم بن حماد سمعت أبا عصمة يقول سمعت أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن أصحابه اخترنا وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال \* وقال نعيم سمعت ابن المبارك يقول سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين واذا جاء عن الصحابة اخترنا واذا جاء عن التابعين زاحناهم \* قال الثوري لما بلغه ذلك عن أبي حنيفة منهم رأينا كراهم كأنه سوى بين التابعين والصحابة في انهم اذا أجمعوا في مسألة على قولين مثلاً لم يجوز لنا احداث قول ثالث \* وجوز أبو حنيفة ذلك وهذه مسألة خلافية بين الاصوليين وهذا الكلام عن مالك وأبي حنيفة رضى الله عنهم يقرب من كلام الشافعي ولكن ليس فيه تعليق القول بمقتضى كل حديث على صحته كما فعله الشافعي رضى الله عنه وانما قال مالك ان رأيه ينظر فيه فهو وافق الكتاب والسنة يؤخذ به وما لم يوافقها يترك ولا شك في ذلك عند كل امام وامتناز الشافعي بزيادة وهو ان قوله هو الحديث ففي كلام مالك زيادة على كلام أبي حنيفة بالامر بالترك وفي كلام الشافعي زيادة على كلام مالك بالقول به وأنه هو مذهب فيقلده فيه من يسوغ تقليده له ويريد به وكلهم مشتركون في أنه متى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ثابت فواجب المصير اليه \* قال مجاهد والسعي والحكم ومالك ليس من أحد ألا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم \*



﴿فصل﴾ قال أبو شامة رحمه الله تلميذ ابن الصلاح وشيخ النووي وهو من المبالغين في اتباع الحديث ان الشافعي بنى مذهبه بناء محكما على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والنظر الصحيح الراجح اليهما الا أنني ليس بمعصوم من النسيان فاحالنا بصريح قوله على أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم هو قوله وجميع ذلك مذهبه منه ما هو منصوص له وصحح الاصحاب خلافه لنص آخر له كصوم الولي عن الميت أو يكون النص لا خلاف عنه فيه لكنه على مخالفة حديث ثابت كاختياره قول الأماموم سمع الله لمن حمده كالامام قلت لا مخالفة في ذلك \* قال أو يسكون علق قوله على ثبوت الحديث فوجد ثابتا كإخراج الاقط في الفطرة أو دل عليه حديث آخر ثابت أو يكون الشافعي تمسك في الباب بحديث وفي الباب حديث أثبت منه كحديث التيمم ضربة يمسح بها وجهه وكفيه أو يكون الحديث دل على حكم في مسألة لم يعلم فيها نص للشافعي بنفي ولا اثبات كرفع اليدين عند القيام من التشهد أو يكون تمسك بظاهر حديث ودل الدليل على أن ذلك ليس على ظاهره كالزام من يفرق زكاة نفسه بالاصناف الثمانية أو من قدر عليه منهم وكنقض الطهارة بمس الفرج فلانظر فيه مجال فلا قوله ما لم يقل لكن تنبه على الدليل المتقضى خلافه ورجح وكل ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودل على حكم لا نص للشافعي على خلافه فهو مذهبه لا شك فيه أخذا من قوله ومما أمر به أما ماله نص على خلافه قسمان أحدهما ما لم يكن بلغه فيه الحديث فهذا كالتقسيم الاول يترك نصه ويصار الى الحديث وهو مذهبه هذا اذا وضحت دلالة الحديث على ذلك الحكم أما اذا خفيت وأمكن الجهم وتنزيل الحديث على قوله فلا والثاني ان يكون قد بلغه الحديث وعرف نبوته وأوله وتسكلم عليه فينظر في كلامه فان كان ظاهرا متوجها لادفع له لم يخالف وحمل الحديث على ما حمله هو عليه كاختياره الجهر بالبسملة وتأويله لحديث أنس رضي الله عنه الظاهر الدلالة على نفي الجهر ومن ذلك افطار الصائم بالحجامة فانه لم يره وقال حديث أفطر الحاجم والمحجوم منسوخ وان كان لكلامه مدفع صير الى الحديث لان ذلك يتناوله قوله ودعوا ما قلت كما في التيمم الى المرفقين ولا

يتأتى النهوض بهذا الامن عالم معلوم الاجتهاد وهو الذي خاطبه الشافعي بقوله اذا وجدتم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف قولي فخذوا به ودعوا ما قلت وليس هذا لكل أحد فكم في السنة من حديث صحيح العمل على خلافه إما اجماعاً وإما اختياراً لما منع منع نحو كان الثلاث واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر \* صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة جميعاً وثمانياً جميعاً في غير خوف ولا مطر \* غسل الجمعة واجب على كل محتلم \* فالامر في ذلك ليس بالسهل \* قال ابن عينة الحديث مضلة الا للفقهاء قلت لسنا نوافق ابن عينة ولا ابا شامة على ذلك وليس في الاحاديث الصحيحة ما أجمع العلماء على تركه وحديث كان الثلاث واحدة مؤول وكذلك صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة جميعاً وثمانياً جميعاً وليس هذا موضع تأويلها لاجل الطول وغسل الجمعة واجب معناه متأكد وام يجمعوا على عدم الوجوب ومما قاله أبو شامة ان الله يسر له الحمد الوقوف على ما ثبت من الاحاديث وتجنب ما ضعف منها مما جمعه الحفاظ كالصحيحين والمستدرك عليهم ابا بن خزيمة والترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والدارقطني والبيهقي فلا عذر في ترك الاشتغال بها وكذلك المسائل المثبتة الفقهية المبينة على اللغة كل ذلك الى علماء الاسان فالتوصل الى الاجتهاد ليسور وأسهل منه قبل اليوم لولا قلة همم المتأخرين وعدم المعتبرين ومن أكبر أسبابه تعصبهم وتقيدهم برفق الوقوف \* قلت وتضيق كثير من زمانهم بالتوسع في علوم غير علوم الشريعة أو في علوم الشريعة بالجدل والتعمق في التفريعات الدقيقة فيشغلهم ذلك عن فهم نفس الشريعة والاطلاع على قواعدها الكلية وأسرارها التي هي أكثر نفعاً وبذلك وصل المتقدمون الى الاجتهاد وبترك حرمة المتأخرون \*

( فصل ) قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي المالكي رحمه الله في كتابه التنقيح وشرحه \* ومما شنع على مالك رضي الله عنه رده لحديث يبيع الخيار مع روايته له وهو مبيع متسع ومسلك غير ممتنع فلا نجد علماً الا وقد خالف من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أدلة كثيرة \* ولكن لمعارض

راجح عليها عند مخالفها \* وكذلك رحمه الله ترك هذا الحديث لمعارض راجح عنده وهو عمل أهل المدينة \* فليس هذا بابا اخترعه ولا بدعا اقترعه \* ومن هذا الباب ما يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال اذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوا بمذهبي عرض الحائط فان كان مراده مع عدم المعارض فهو مذهب العلماء كافة وليس خاصا به وان كان مع وجود المعارض فهو خلاف الاجماع فليس هذا القول خاصا به كما ظنه بعضهم هذا كلامه في التنقيح وقال في شرحه كثير من فقهاء الشافعية يعتمدون على هذا ويقولون مذهب الشافعي كذا لان الحديث صح فيه وهو غلط لانه لا بد من انتفاء المعارض والعلم بعدم المعارض يتوقف على من له أهلية استقرار الشريعة حتي يحسن أن يقال المعارض لهذا الحديث \* أما استقرار غير المجتهد المطلق فلا عبرة به فهذا القائل من الشافعية ينبغي أن يحصل لفسه أهلية الاستقرار قبل أن يصرح بهذه الفتيا لكنه ليس كذلك فهم مخطئون في هذا القول انتهى كلام القرافي رحمه الله تعالى \* ومثل هذا الكلام الذي قاله القرافي قاله جماعة غيره وسير الى ابني أبو حامد بارك الله فيه يسألني عنه فقلت هيهات ولنا كلامان أحدهما مختصر مع كل من يقول مثل هذا الكلام \* وهو منع ما قاله في طرفي التردد الذي ذكره فان قوله ان كان مراده مع عدم المعارض فهو مذهب العلماء كافة وليس خاصا به ممنوع لان المعلوم من مذهب العلماء كافة اتباعهم للحديث رضي الله عنهم فاتهم اذا بلغهم حديث لا معارض له قالوا به واذا لم يبلغهم هم في أو سم المندر فهم مشتركون في ذلك مع الشافعي ويمتاز الشافعي بانه عاق القول به على صحته \* فاذا صح كان قائلا به وجازت نسبته اليه بخلاف غيره لا يجوز أن ينسب اليه انه قاله ولكن لو اطلع عليه لقال به وشتان بين المقامين \* وقوله وان كان مع وجود المعارض فهو خلاف الاجماع ان أراد مع وجود المعارض عنده فليس خلاف الاجماع لما سنبين ان مالسكا وأبا حنيفة وغيرهما قالوا بمعارضته بأمر ولا يوافقهم عليها الشافعي وان أراد مع وجود معارض مجمع على انه معارض فسنبين ان هذا القسم مستحيل وانه ليس في الاحاديث الصحيحة حديث أجمع العلماء على أنه معارض فهذا القسم منتف لا انتفاء المعارض وبذلك يتبين ان كلا من طرفي التردد ممنوع \*

الكلام الثاني مبسوط نشرح فيه ما أشرنا اليه في أول الكلام الاول فنقول في كلام الشافعي هذا فوائد قد امتاز بها . احداها الفائدة التي قدمناها من جواز نسبته اليه وفيها ثلاثة أشياء أحدها مجرد جواز نقله عنه والثاني انه اذا أراد أحد تقليده فيه جاز له ذلك اذا كان ممن يجوز له التقليد والثالث اذا كان العلماء كلهم الا الشافعي على مقتضى حديث والشافعي بخلافه لعدم اطلاعه فاذا صح صارت المسئلة اجماعية لانه لم يكن خالف فيها الشافعي ويبين بالحديث ان قوله مرجوع فيه اولا حقيقة له فلا ينسب اليه بل ينسب اليه خلافه . واقفة لبقية العلماء فيكون اجماعا فينتقض قضاء القاضي بخلافه لمخالفة النص والاجماع ولو اتفق ذلك لغير الشافعي ممن لم يقل . مثل قوله كان نقض قضاء القاضي به لمخالفته النص فقط لا لمخالفته الاجماع فهذه أشياء في هذه الفائدة الواحدة ولا امتناع من تعليق القول بصحة الحديث بجملا ومفصلا فالمفصل مثل قوله في حديث بروح ان صح قلت به والمجمل مثل قوله اذا صح الحديث فهو مذهبي وكما يصح الايمان بكل ما أنزل الله جملة كذلك يصح القول بكل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة فهذه فائدة قول الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي اذا لم يكن معارض ولا يقدر أحد أن ينسب هذا الى أحد من العلماء غيره وان كنا نعتقد فيهم أنهم لو اطلعوا عليه لقالوا به ولكن المعلق بالوعد عدم عند عدمه وهو معدوم والمعلق باذا وجود عند وجوده وهو موجود \* واعلم ان في قول الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي ثلاثة الفاظ أحدها اذا وهي ان كانت مطلقة الا أن المراد بها العموم فيصح فيها على كل الاحوال وسنبين صحة العموم في ذلك وانه لا معارض له أصلا \* والثاني صحة الحديث وعموم الالف واللام فيه سواء كان حجازيا أم كوفيا أم بصريا أم شاميا كما أشار اليه الشافعي في كلامه لا أحد لأن من الناس من لا يأخذ باحاديث العراق \* الثالث قوله فهو مذهبي ودلالته على قوله به وبدله ما قدمناه من رواية الربيع عليه من قوله فخذوا بها ودعوا قولی فانی اقول بها فانظر تصريحه بقوله بها واذنه في الاخذ بها ولم يوجد ذلك لأمام غيره \* الفائدة الثانية ان الاحاديث الصحيحة ليس فيها شيء له معارض متفق عليه والذي يقوله الأصوليون من ان خبر الواحد اذا عارضه خبر

متواتر او قرآن او اجماع او عقل انما هو فرض وليس شيء من ذلك واقعا ومن ادعى ذلك فليبينه حتى نرد عليه وكذلك لا يوجد خبران صحيحان من أخبار الآحاد متعارضان بحيث لا يمكن الجمع بينهما والشافعي قد استقرأ الاحاديث وعرف ان الامر كذلك وصرح به في غير موضع من كلامه فلم يكن عنده ما يتوقف عليه العمل بالحديث الا صحتة فتى صح وجب العمل به لانه لا معارض له فهذا بيان للواقع والذي يقوله الاصويون مفروض وليس بواقع وهذه فائدة عظيمة واليها الاشارة بقوله اذا صح حيث اطلقه ولم يجعل معه شرطا آخر \* الفائدة الثالثة ان العلماء رضوان الله عليهم لكل منهم اصول وقواعد بنى مذهبه عليها لاجلها رد بعض الأحاديث كما سنبين ذلك من مذهب مالك في عمل أهل المدينة وغيره ومنه مذهب أبي حنيفة في عدة مسائل واما الشافعي فليس له قاعدة يرد بها الحديث فتى صح الحديث قل به والمعارض الذي لو وقع كان معارضا عنده وعند غيره هو المعقول او الاجماع او القرآن او السنة المتواترة لم يقع أصلا وقد صان الله شريعته عن ذلك فكان في قول الشافعي اذا صح الحديث فهو مذهبي اشارة الى ذلك \* الفائدة الرابعة في عموم الألف واللام من قرأه الحديث سواء كان حجازيا أم عراقيا أم شاميا خلافا لمن لم يقبل الا احاديث الحجاز كما اشار الى ذلك في قوله الذي حكيناه فهذه اربع فوائد في الفائدة الأولى ثلاثة اشياء فصارت ستة لم توجد في كلام بقية الأئمة وهما نحن ندين من كلام العلماء وقول الحنفية والمالكية مانبين ان عندهم معارضات يرد بها الحديث الصحيح ليست عند الشافعي وليس عند الشافعي معارض لم يقولوا هم به بل لا معارض واقع عنده اصلا فلنذكر كلام الائمة من الحنفية والمالكية ليتبين به ذلك ونكتفي بكلام الائمة من المذهبيين عن كلام من وافقهم من بقية العلماء رضى الله عن الجميع فكلهم قصد الخير والأجر وبذل الجهد والوسع اما الحنفية رضى الله عنهم فنقول \*

﴿فصل﴾ من كلام الائمة الحنفية وهو مذهبهم نقلته من كتاب التحقيق في

اصول الفقه لعبد العزيز شرح الأخشيكني واختصرت منه \* خبر الواحد وجوب العمل به متعلق بشروط ثمانية الأول ان لا يكون مخالفا للكتاب قال الشارح ان

ورد مخالفا لنص الكتاب ان أمكن تأويله من غير تعسف يقبل وان لم يمكن تأويله الا بتعسف لم يقبل بلا خلاف \* قال على السبكي (هو المصنف رحمه الله) هذا فرض ولكنه ليس بواقع والله اعلم \* قالوا فان خالف خبر الواحد عموم الكتاب او ظاهره فكذلك عندنا حتى لا يجوز تخصيص العموم وعلى الظاهر على المجازية قال على السبكي بل يجوز ومحل تقرير ذلك اصول الفقه والله اعلم \* قالوا وعند الشافعي وعامة الأصوليين يجوز تخصيص الأصول به ويثبت التعارض بينهما وبين ظاهر الكتاب بناء على انها لا توجب اليقين عندهم \* قال على اما جواز التخصيص فهو الحق ونحن لا نسميه معارضا من سماء فعلى سبيل المجاز وانما هو بيان واليقين مع الظهور محال والله اعلم قالوا وعند العراقيين من مشايخنا والقاضى ابى زيد ومن تابعه في افادتها اليقين لا يجوز تخصيصها بمعارضتها به اما عند من جعلها ظنية من مشايخنا كابى منصور ومن تابعه من مشايخ سمرقند فيحتمل ان يجوز تخصيصها والاصح لا يجوز عندهم ايضا لأن الاحتمال في خبر الواحد فوق الاحتمال في العام والظاهر \* قال على السبكي لكن فيه ابطال دليل كامل والتخصيص انما فيه مخالفة ذلك القدر الزائد من الظهور والله اعلم \* قالوا مسألة حديث مس الذكر مخالف للكتاب لأن الله مدح المتطهرين بالماء بقوله عز اسمه (يجنون ان يتطهروا) والاستنجاء بالماء لا يتصور الا بمس الفرجين وثبت بالنص انه من التطهير فلو جعل المس حدثا لم يكن الاستنجاء تطهيرا \* قال على السبكي مثل هذا الكلام لا يرد عليه لعلم كل أحد بضعفه والله اعلم \* قالوا ومثل قوله عليه الصلاة والسلام الحرم لا يعيد عاصيا يخالف (ومن دخله كان آمنا) وقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب يخالف (فاقرؤوا ما تيسر منه) (أى من القرآن) وحديث التسمية في الوضوء يخالف فاغسلوا ايديكم الآية قال على السبكي لا مخالفة في ذلك وبتقدير تسليم المخالفة هي مخصصة والله أعلم قالوا الثانى أن لا يخالف السنة المشهورة فلا يترك الاقوى بالاضعف \* قال على السبكي ليس لنا خبر ان صحيحان متعارضان بحيث يكون العمل بأحدهما انفاء للآخر من كل وجه لا مشهور ولا غير مشهور ومن ادعى فليبرزه حتى نحاوره والله أعلم \* قالوا وحديث قصى بشاهد وبمين يخالف قوله البينة على المدعى واليمين على من أنكر

قالوا والمخالفة من وجهين أحدهما الشرع جعل الايمان كلها في جانب المنكر والثاني ان الشرع جعل المخصوص قسمين مدعيا ومنكرا والحجة قسمين بينة وبينة والسبكي على المدعي واليمين على المنكر والعمل بالشاهد واليمين يوجب ترك هذا « قال على السبكي الكلام في ذلك ليس هذا موضعه والمقصود انهم يتركون الحديث لمعارض بلا تخصيص ولا تأويل وهو الذي خالفهم الشافعي فيه ودعوى كون البينة على المدعي واليمين على من أنكر أشهر من القضاء بالشاهد واليمين ممنوعة والله أعلم • قالوا وثالثها أن لا يكون في حادثة تعم بها البلوى وهذا مختار الكرخي وجميع المتأخرين وهو ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة وحديث مس الذكر الذي يرويه صح ومذهب الشافعي وجميع أصحاب الحديث يقبل اذا صح سنده • قال على السبكي هذا وأمثاله الذي تميز به الشافعي والله أعلم ولا يجب اذا كان مما تعم به البلوى أن يرد فيه خبر متواتر ولا مشهور بل يكفي أن يكون صحيحا والله أعلم قالوا ورابعها أن متروك الحاجة به عند ظهور الاختلاف مثاله عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الطلاق بالرجال فان الصحابة اختلفوا ذهب عمر وعثمان وزيد وعائشة رضي الله عنهم الى أن الطلاق معتبر بحال الرجال في الرق والحرية كما هو قول الشافعي وذهب على وابن مسعود الى أنه يعتبر بحال المرأة كما هو مذهبهم وعن ابن عمر أنه يعتبر بمن رق منهما حتي لا يملك الزوج عليها ثلاث طلقات الا اذا كانا حرين ثم أنهم تكلموا في هذه المسألة بالرأي وأعرضوا عن الاحتجاج بهذا الحديث ورواية فيهم فدل على أنه غير ثابت أو منسوخ وان ثبت فهو مؤول بان يقال ان ايقاع الطلاق الى الرجال • قال على السبكي ان صح الحديث فالواجب تأويله ولا نقول انه متروك وأيضا من أين يثبت لنا أنهم تكلموا بالرأي • ثم ذكروا الاربعة الاخرى التي ترجع الى حال الراوي لاجابة بنا الى ذكرها والله أعلم • قالوا ويسقط العمل بالحديث اذا ظهرت مخالفته قولاً وعلاً من الراوي أو من غيره من أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على تفصيل ذكره وهو أن المخالفة ان كانت قبل الرواية وقبل بلوغه اياه لم يوجب جرحاً في الحديث لان الظاهر أن ذلك كان مذهبه وانه تركه للحديث وكذا ان لم

يعرف التاريخ لان الحديث حجة ييقن في الاصل وشك فوسقوه فوجب العمل بالاصل حملا على أحسن الوجوه واحسانا للظن وكذا ان كان بعد الرواية ولم يكن خلافا ييقن فان كان اللفظ عاما يعمل بخصوصه دون عمومه وان كان مشتركا أو بمعنى المشترك يعمل بأحد وجوهه لان ظاهر الحديث احتماله للمعاني لغة لا تتغير بتأويله وعمله وتأويله لا يكون حجة وان كان بعد الرواية أو بعد بلوغه اياه وهو خلاف ييقن أى لا يحتمل أن يكون مرادا من الخبر فذلك يوجب جرحا في الحديث لان خلافه ان كان لانه منسوخ أو غير ثابت بطل الاحتجاج به وان كان لقلة مبالاته سقطت روايته لانه لا يصير فاسقا ولا يقال انما صار فاسقا بالخلاف لانا نقول الحديث وصل الينا منه فاذا ثبت فسقه لم يقبل بخلاف ما اذا روى ثم مات أو جن لان الحياة والعقل كانا ثابتين ييقن والعدالة ليست كذلك ومثاله حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الفسل من الولوغ سبعا وكان يغسل ثلاثا وحديث عائشة رضى الله عنها ايما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل وصح انها زوجت حفصة بنت أخيها عبد الرحمن المنذر بن الزبير حين كان أخوها عبد الرحمن غائبا واذا انقعد بمبارة غير المروجة من النساء فبعبارتها أولى وأما اذا خالف غير الراوى وغير آئمة الصحابة فلا يضر الا اذا طعن بما يوجب الجرح بالاتفاق ممن هو معروف بالعدالة والنصيحة والاتقان فيقبل وهذا كله اذا كان الحديث ظاهرا فان كان مما يخفى على المخالف كالتريخيص للحائض في ترك طواف الصدر وصح عن ابن عمر رضى الله عنهما انها تقيم حتى تطهر فتطوف لانه قد يكون خفي عليه وحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب علم والثيب بالثيب جلد مائة والرجم من حديث عبادة وصح عن الخلفاء انهم لم يجمعوا بين الجلد والرجم فعرفنا انه انتسخ وصح عن عمر رضى الله عنه انه قال والله لا أنفى أبداً بعد ما نفي رجلا فالحق بالروم مرتدا قال على السبكي نلتلخص من هذا في القسم الذى يقولون بترك الحديث نحن لانواقفهم فيه ولا يلزم فسق الراوى ولا بطلان الاحتجاج لاحتمال أن يخالف لما ظنه دليلا وليس بدليل عندنا وكل أحد مكاف بظنه وما يستقده دليلا واذا كان الراوى من



غير الصحابة وقد خالف فاطلاقهم وما سبق من كلام الحنفية يقتضى جريان الخلاف فيه وقال القرافي عندي ينبغي أن يخص بعض الرواة فيحمل على الراوى المباشر للنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحسن أن يقال هو أعلم بمراد المتكلم أما مثل مالك ومخالفته لحديث بيع الخيار الذى رواه وغيره من الأحاديث فلا يندرج فى هذه المسألة وهذا الذى قاله القرافي فى كلام الحنفية الذى قدمناه يخالفه وقد عللوا بما لم يطل به فالحاصل أن الراوى متى خالف اقتضى عند الحنفية رد الحديث سواء كان الراوى صحابيا أو غير صحابي ومخالفة غير الراوى لا توجب رد الحديث عند الحنفية إلا إذا كان صحابيا فتوجب رده مطلقا أو كان غير صحابي ورده بما يقتضى الجرح على ما سبق \*

﴿ فصل ﴾ وأما المالكية فقالوا بتقديم عمل أهل المدينة على الحديث فردوا حديث « المتبايعان بالخيار » وبذلك لم يوافقهم على هذا أحد غيرهم واشترط مالك رحمه الله قته الراوى مطلقا واشترط أبو حنيفة فيما يخالف القياس وقاله بعض الحنفية مطلقا كما قاله مالك ومثله الحنفية بحديث المصرة فردوه لزعمهم أنه مخالف للقياس ولأنه من قول أبي هريرة وزعمهم أن أبا هريرة ليس بقيه وهو كلام تقشع منه الجلود وأبو هريرة بقيه كبير وليس هذا موضع الكلام على هذا وإنما المقصود أن لكل واحد من الأئمة أصولا اقتضت له رد الأحاديث والشافعى ليس له كثير شئ من ذلك وقالت المالكية بقبول خبر الواحد وإن كان مما نعم به البلوي كما قلنا نحن به وبأن مخالفة الراوى لا تقدر فيه كما قلنا نحن به \*

﴿ فصل ﴾ وقال آخرون إجماع أهل الكوفة حجة فعلى مقتضاه يرد من الأحاديث ما خالفهم \*

﴿ فصل ﴾ قد بان بما ذكرناه امتياز الشافعى بقوله إذا صح الحديث فهو مذهبي وما واقعه من كلامه الذى هذا معناه وأنه أمر ذخره الله وخصه به فلم يبلغنا ذلك عن غيره من الأئمة وإن كان كلهم قائلا بالحديث غير خارج عنه ورضى الله عن الجميع والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين تمت الرسالة والحمد لله

# الرسالة السابعة

﴿ خلاف الامة في العبادات ومذهب اهل السنة والجماعة ﴾

( لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام تقي الدين

احمد بن تيمية رضى الله عنه المتوفي سنة ٧٢٨ )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قاعدة ﴾

في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة في الرواية والرأى مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون •

( أحدها ) جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مته والذي أمرهم باتباعه ( الثاني ) ظلم كثير من الأئمة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيبهم عليهم تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على من لم يبغضهم الله عليه وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلاتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يؤثرونه حتي يقدمون في الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك •

( الثالث ) اتباع الظن وما تهوى الانفس حتى يصير كثير منهم مدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفقهة والمتعبدة من الاهواء من جنس ما في أهل الاهواء الخارجين عن أهل السنة والجماعة كالخوارج

والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه ( ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ) وقال في كتابه ( لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ) \*

( الرابع ) التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله وحتى يفضى الامر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللذز وببعضهم الى الاقتتال بالايدي والسلاح وببعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلى بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التي حرمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من اعظم الامور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ) \* واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ) \* يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامتة ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها رسول الله وقال تعالى ( ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ) وقال تعالى ( وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات ) وقال تعالى ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ) \* وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) وقال تعالى ( ان الدين عند الله الاسلام ) \* وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) وقال تعالى ( وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) وقال تعالى ( فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة ) وقال تعالى ( فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ) وقال ( انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ) وقال ( الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ) وهذا

١ - ص ٢٦

٢ - للمائدة ٧٧

٣ - آل عمران ١٠٢ - ١٠٣

٤ - آل عمران ١٠٥ - ١٠٦

٥ - الأنعام ١٥٩

٦ - البقرة ٢١٣

٧ - البينة ٤ - ٥

٨ - آل عمران ١٩

٩ - الحائث ١٧

١٠ - يونس ٩٣

١١ - الأنفال ١

١٢ - الحجرات ١٠

١٣ - النساء ١١٤

الاصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وان لا يتفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله «عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة» وقوله «فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» وقوله «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فان من فرق الجماعة قيد شهر فقد حلحح ربة الاسلام من عنقه» وقوله «ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟» قالوا بلى يا رسول الله قال «صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» وقوله «من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريدان يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان» وقوله «يصلون لكم فان أصابوا فلكم وان اخطئوا فلكم وعليهم» وقوله «ستغرق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار - قيل ومن الفرقة الناجية قال - هي الجماعة يد الله على الجماعة» وباب الفساد الذي وقع في هذه الامة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وان كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك اسكن يعلم ان رعايته من أعظم أصول الاسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة ويذكرون في كثير من البنين والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الاصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذي يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة \*

(النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطمعهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفي بعض ما عليه أهل الاسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة قلمهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم الله الذك الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيه بذلك حيث يقول (واذ كن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)

حفظه من ان يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الامة أن  
تجتمع علي ضلالة فعصم حروف التنزيل ان يغير وحفظ تأويله ان يضل فيه أهل  
الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه  
الذين فحصوا عنها وعن نقاتها ورواتها وعلّموا من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا  
مجمعين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لاسباب يطول  
وصفها في هذا الموضع وعلّموا هم خصوصا وسائر علماء الامة بل وعامتها عموما  
ما صانوا به الدين عن ان يزداد فيه أو ينقص منه مثلما علّموا أنه لم يفرض عليهم  
في اليوم واليلة الا الصلوات الخمس وأن مقادير ركعاتها ما بين الثنائي والثلاثي  
والرباعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم الا شهر رمضان ومن الحج الحج الا حجاج  
البيت العتيق ومن الزكاة الا فرائضها المعروفة الى نحو ذلك وعلّموا كذب أهل  
الجهل والضلالة فيما قد يأترونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكذب من يزعم من  
الرافضة ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نفا قاطعا جليا وزعم آخريين انه  
نص على العباس وعلّموا أكاذيب الرافضة والناصبية التي يأترونها في مثل الغزوات  
التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرووها المكذون الطريقة مثل أكاذيبهم  
الزائفة في سيرة عترة البطل حيث علّموا مجموع مغازي رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وان القتال فيها كان في تسعة مغاز فقط ولم يكن عدة المسلمين ولا العدو في  
شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية ليزيد بن معاوية ونحوه  
والاحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الارزاء ونحوه والاحاديث التي  
يرويها كثير من الساك في صلوات أيام الاسبوع وفي صلوات أيام الاشهر الثلاثة  
والاحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه وتواجده  
وسقوط البردة عن رداءه وتمزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وصعوده به الى السماء  
وقتل أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الاسراء والاحاديث المأثورة  
في نزول الرب الى الارض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه  
وسلم له في الارض بين رأسه وأمثال هذه الاحاديث المكذوبة التي يطول

وصفها فان المكذوب من ذلك لا يحصيه أحد الا الله تعالى لان الكذب يحدث شيئا فشيئا ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وانما يكون موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الانبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الامور المكذوبة وغيرها وجوه (١) \*

(أحدها) ان ما توفرت هم الخلق ودواعيهم على قتلهم واشاعته بمنع في العادة كتمانهم فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة وأخبر بحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقله وامساك أقوام في المسجد اذا لم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن في الطرقات بلادا عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار العقل وقياسه وضربه الامثال يعلم كذب ما ينقل من الامور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ما مضت سنة الله في عبادته انهم لا يتواطؤون فيه على الكذب من الامور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله جبل جواهر الامم على الصدق والبيان في مثل هذه الامور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الاكل والشرب واللباس فالتنفس بطبعها تختار الصدق اذا لم يكن لها في الكذب غرض راجح وتختار الاخبار بهذه الامور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم بعضا ويميلون الى الاستخبار والاستفهام مما يقع وكل شخص له من يؤثر أن يصدقه ويبين له دون أن يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لا تنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على انسابهم الا الصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالغرض هنا ان الامور المتواترة يعلم أنهم لم يتواطؤوا فيها على الكذب

(١) ذكر ابن تيمية عين هذا الكلام في رسالة له اسمها توحيد الملة وتعدد الشرائع

وتنوعها وتوحيد الدين وهي تلو هذه الرسالة بالطبع ان شاء الله تعالى

والاخبار الشاذة يعلم أنهم لم يتواطؤوا فيها على الكتمان \*  
 ( الوجه الثاني ) ان دين الامة يوجب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه  
 ويحرم عليهم كتمانهم ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على  
 كتمان ما يجب بيانه كتواطؤهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التي تحرم  
 في دين الامة وذلك باعث موجب الصدق والبيان \*

( الثالث ) انه قد علم من عدل سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ  
 الدين واظهاره وعظيم مجانبتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب  
 أعظم الدلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه  
 وهذه العادة الحاجية الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر \*  
 ( الرابع ) ان العلماء الخاصة يعلمون من نصوص رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لأمر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل  
 الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن  
 عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينا لا يتخالجه ريب امتناع هؤلاء من كتمان قواعد  
 الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل  
 الزهري وقتادة ويحيى ابن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة وحماد بن زيد  
 وحماد بن سلمة وغيرهم أموراً يعلمون معها امتناعهم من الكذب وامتناعهم عن  
 كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التي تأتي أحوالهم كتمانها لو كانت موجودة ولهم في  
 ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وانما الغرض التنبيه على  
 ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء \*

قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بأمر الاذان والاقامة فانه كان يفعل على عهد النبي  
 صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومنع هذا فتدورق الاختلاف في صفته وكذلك  
 الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وقع الاختلاف في نقلها  
 وذكرها نحو هذه الامور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا  
 معارضا لما تقدم ليسوغوا أن يكون من أمور الدين ما لم ينقل بل كتم لاهواء وأغراض وأما جهة

الرأى والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم فى صفات العبادات بل وفى غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الأهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون فى جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويمبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الأهواء لما جملوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت لما لا وجود له وأصل من وضع ذلك لهم الزنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وانه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوصل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والاحاد فالصائبة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أو زاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والروافض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل وتطمعن فى كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعلمون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أرباب الملة من أسباب العطن فيها وفى أهلها فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الأمور الصغار ساعيا فى هدم قواعد الاسلام الكبار \*

### فصل

إذا تبين بعض ما حصل فى هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ما هو الواجب فى الدين فى هذه المنازعات وذلك ببيان الاصاين الذين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الاضلال والشقاء \*

اما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه اعرف عند عموم الخلق ولهذا



يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنون من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه التنازعات إنما هي في أمور مستحبات ومكروهات لافي واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمتعا او مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب او يمنع ذلك فن الشيعة من يوجب المنعة ويحرم ما عداها ومن الناصبة من يحرم المنعة ولا يبيحها بحال \*

وكذلك الاذان سواء رجع فيه أو لم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء رجع التكبير في أوله أو ثناه وإنما يخالف في ذلك بعض شواذ المتفهمة كما خالف فيه بعض الشيعة فاجب له الحيلة بحج على خير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والثنية بأيها قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الامانازع فيه شدوذ للناس \*

وكذلك الجهر بالبسملة والخافئة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فللنازعة بينهم في المستحب والا فالصلاة باحدهما جائزة عند عامة العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والخافئة في موضعها هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك وأحمد وغيرهما فهذا في الجهر الطويل بالقدر الكثير مثل الخافئة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر فاما الجهر بالشيء اليسير أو الخافئة به فيها لا ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في صلاة الخافئة يسمعهم الآية احيانا وفي صحيح البخاري عن رفاعه بن رافع الزرقى قال كنا نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه وبنائك الحمد جدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال « من المتكلم ؟ » قال أنا قال « رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول » ومعلوم انه لولا جهره بها لما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم أن المستحب للأمام الخافئة بمثل ذلك ، وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاء

الاستفتاح . سبحانهك اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا آله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبه فيه المحافضة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذه وفي الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة على الجنائز وقال لنعلوا أنها السنة ولهذا نظائر وايضا فلا نزاع أنه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل أحد منهم صلاة أحد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فذلك مسألة أخرى \*

وكذلك القنوت في الفجر انما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود السهو لتركه أو فعله والا فعمامتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس بواجب وكذلك من فعله اذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع ولو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم \*

وكذلك القنوت في الوتر هل هو في جميع الحول أو النصف الآخر من رمضان انما هو في الاستحباب اذ لا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة به وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده \*

وكذلك التسليم الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في الكاملة فقط أم ليست مشروعة هو نزاع في الاستحباب لكن عن احمد رواية أن التسليم الثانية واجبة في الصلاة الكاملة اما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهو على نزاع في ذلك والرواية الاخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة في الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع في المستحب منها والا فلا نزاع في أنه يجزىء ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائز ما أعلم في ذلك خلافا الا خلافا شاذا وانما النزاع في المستحب \*

وكذلك أنواع الاستفتاح في الصلاة وأصل الاستفتاح انما النزاع في استحبابه وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل نذكر قولاً في مذهب الامام أحمد \*

وإذا كان النزاع اتما هو في الاستحباب علم الاجتماع على جواز ذلك وإجزائه  
 ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فإن جميعها جائز وإن كان من الناس من  
 يختار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه إذا علم أن ذلك  
 جميعه جائز مجزي في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً بل قد يكون النوعان  
 سواء وإن رجح بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجوز أن يظلم من يختار  
 المفضول ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه باجماع  
 المسلمين ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة ولا أن يعطى المستحب فوق حقه فانه  
 قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير  
 ولا يجوز أن تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمنع الرجل من تركها ويرى  
 أنه قد خرج من دينه أو عصي الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض  
 راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم  
 في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لا ائتلاف القلوب كان ذلك  
 حسناً وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذاك المستحب  
 وقد أخرجنا في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها «لولا أن  
 قولك حديثو عهد بجاهلية لنقضت السكبة ولاصقتها بالارض ولجملت لها بابا  
 يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه» وقد احتج بهذا الحديث البخاري  
 وغيره على أن الامام قد يترك بعض الامور المختارة لاجل تأليف القلوب ودفعها  
 لنفرتها ولهذا نص الامام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند المعارض الراجح فقال  
 يجهر بها إذا كان بالمدينة قال القاضي لان أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها  
 للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤونها بجال فيجهر بها  
 ليعلمهم أنه يقرأ بها وإن قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة  
 الجنازة فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك والظن فان الاتفاق  
 اذا حصل على جوار الجميع واجزائه علم انه داخل في المشروع فالتنازع في  
 الرجحان لا يضر كالتنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات وبعض  
 العلماء ونحو ذلك بل قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء أن يقرأ كما

يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله  
فأما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك \*

وأما الأصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها  
من السعة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على  
بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه  
وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع في الصحيحين أنه أمر بلالا أن يشفع الاذان  
ويوتر الاقامة وفي صحيح مسلم أنه علم أبا محذورة الاقامة مثني مثني مثل الاذان فإذا  
كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه  
وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بن حفص ولهشام بن حكيم  
بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به \*

وكذلك الترجيع في الاذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو مخنوف  
من أذان بلال الذي روه في السنن وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة بها صح الجهر  
بها عن طائفة من الصحابة وصحت المخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الامران  
جميعا وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضى  
أنه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأمه في الصحيح حديث  
أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لاشبهة فيها وفي السنن أحاديث  
أخر مثل حديث ابن مقفل وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر  
جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث  
ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئا ولكن في الصحاح والسنن أحاديث  
محتملة وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم  
كان يجهر بها اذا كان بمكة وانه لما هاجر الى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه  
أبو داود في النسخ والمسنوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان  
الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجهر بها وكذلك أكثر  
البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألو أنسا عن ذلك ولعل النبي صلى الله  
عليه وسلم كان يجهر بها بعض الاحيان أو جهرها خفيا اذا كان ذلك محفوظا واذا

كان في نفس كتب الحديث انه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة \*  
وأما القنوت فامر به بين لاشبهة فيه عند التأمل التام فانه قد ثبت في الصحاح  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قنت في الفجر مرة يدعو على رعدل وذكو ان  
وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخا له لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد  
ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين  
ويدعو على مضر ونبت عنه أنه قنت أيضا في المغرب والعشاء ونجائر الصلوات  
قنوت استنصار فهذا في الجملة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من  
الكوفيين أنه تركه ترك نسخ فاعتقد ان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من  
المكيين انه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي  
عليه أهل المعرفة بالحديث انه قنت لسبب وتركه لزوال السبب فالقنوت من السنن  
العوارض لا الروائب لانه ثبت انه تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح انه  
لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه  
انه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن  
شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الاشعبي وغيرهما  
ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجر  
به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فاتهم قتلوا ما كان يقوله في القنوت العارض  
وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى أن ينقل دعاؤه فيه فاذا كان الذي نستجبه انما  
يدعو فيه لقنوت الوتر علم انه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا  
مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم علم النص على هذا وأمثاله فانه من الممتنع أن  
يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فانه مما يعلم بطلانه قطعا وكذلك المأثور  
عن الصحابة مثل عمر وعلى وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعاء عمر  
فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الخ يقتضى انه دعا به عند قتله  
للنصارى وكذلك دعاء علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه عن  
أنس انه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في اسناده وإنه ليس في السنن  
انما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس انه قال لم يقنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الاشهر والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل  
اذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما  
قد بيناه في غير هذا الموضع •

وأما حجة الوداع وان اشبهت على كثير من الناس فانما أتوا من جهة الالفاظ  
المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول انه تمتع بالعمرة الى الحج وهؤلاء أيضا  
يقولون انه أفرد الحج ويقول بعضهم انه قرن العمرة الى الحج ولا خلاف في ذلك  
فانهم لم يخافوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل من احرامه وانه كان قد ساق  
الهدى ونحره يوم النحر وانه لم يعتمر بعد الحج في ذلك العام لاهو ولا أحد من  
أصحابه الا عائشة أمر أخاها أن يعمرها من التمتع أدنى الحل وكذلك الاحاديث  
الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفاء والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول  
فالذين نقلوا أنه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة  
كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يتمتع تمتعا حل  
به من احرامه كما يفعله المتمتع الذي لم يسق الهدى بل قد أمر جميع أصحابه  
الذين لم يسوقوا الهدى أن يحلوا من احرامهم ويحملوها عمرة ويهلوا بالحج بعد  
قضاء عمرتهم •

انتهت الرسالة السابعة والحمد لله رب العالمين ويليهما الرسالة الثامنة



# الرسالة الثامنة

## ﴿ قاعدة ﴾

في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحيد الدين الملى دون الشرعى

﴿ لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ﴾

( المتوفى سنة ٧٢٨ )

## ﴿ فصل ﴾

في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحيد الدين الملى دون الشرعى وما  
في ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك في أهل الشريعة الواحدة بنوع من  
الاعتبار قال الله تعالى ( ولما ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمن قال إني جاعلك  
للناس اماماً ) فهذا نص في أنه امام الناس كلهم وقال ( ان ابراهيم كان أمة )  
وهو القدوة الذى يؤتم به وهو معلم الخير وقل ( ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من  
سفه نفسه . ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنا فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه  
أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى  
لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال  
لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق  
إلهنا واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا  
تسئلون عما كانوا يعملون ) فقد بين أنه لا يرغب عن ملة إبراهيم الا من هو صفيه

١ - البقرة ١٢٤

٢ - النحل ١٢٠

٣ - البقرة ١٢٠ - ١٢٤

وانه أمر بالاسلام فقال أسلمت لرب العالمين وأن هذه وصية الى نبيه ووصية  
اسرائيل الى بنيه وقد اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ثم  
قال ( وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من  
المشركين ) فأمر باتباع ملة ابراهيم ونهى عن اليهود والنصارى وأمر بالايان الجامع  
كما أنزل على النبيين وما أوثوه والاسلام له وأن نصبح ببصغة الله وأن نكون  
له عابدين ورد على من زعم أن ابراهيم وبنيه واسرائيل وبنيه كانوا هودا أو نصارى  
وقد قال قبل هذا ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان  
هدى الله هو الهدى ولن اتبع أهواءهم ) الآية والمعنى ولن ترضى عنك اليهود  
حتى تتبع ملتهم ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقد يستدل بهذا على أن لكل طائفة  
ملة لقوله تعالى ( وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست  
اليهود على شيء ) وقال تعالى في آخر السورة ( آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه )  
الى آخر السورة كما قال في أولها ( والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من  
قبلك وبالأخرة هم يوقنون ) ففتحها بالايان الجامع وختمها بالايان الجامع ووسطها  
بالايان الجامع ونبيها صلى الله عليه وسلم أعطي فوانح الكلم وخواتمه وجوامعه  
وقال تعالى في آل عمران بعد أن قص أمر المسيح ويحيى ( قل يا أهل الكتاب  
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ  
بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ) وهى التى  
كتبها النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم لما دعاهم الى الاسلام وقال  
( يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده  
أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به  
علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا  
مسلميا وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي  
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ) الى قوله ( واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم  
من كتاب وحكمة ) الى قوله ( وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها )  
فانكر على من يبنى غير دين الله كما قال فى أول السورة ( شهد الله أنه لا اله الا هو

البقرة ١٢٥

البقرة ١٢٠

البقرة ١١٣

البقرة ٢٨٥

البقرة ٤

آل عمران ٦٤

آل عمران ٦٥ - ٦٨

آل عمران ٨١

آل عمران ٨٣



والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) فاختبر أن الدين عند الله الاسلام وأن الذين اختلفوا من أهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان أن الدين واحد لا اختلاف فيه وقال تعالى ( قل إني هدى ربي الى صراط مستقيم ديننا قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ) هذا بعد أن ذكر الانبياء فقال ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) وذكر في الاعراف دعوة المرسلين جميعهم وانما فهم على عبادة الله وحده لا شريك له وقال ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) الآية وقال ( إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتنباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) وقال ( ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمتدون ) الى قوله ( مشهد يوم عظيم ) وقال في سورة الانبياء ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ) وقال بعد أن قص قصصهم ( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ) وقال في آخرها ( قل إنما يوحى الى آتينا بالحكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ) وقال في سورة المؤمنين ( يا أيها الرسل كوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ) وقال في آخر سورة الحج التي ذكر فيها الملل الست وذكر ما جعل لهم من المناسك والمعابد وذكر ملة ابراهيم خصوصا ( وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ) وقال ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ) الآية وقال ( لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ) الى قوله ( وذلك دين القيمة ) وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الاحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخاري فقال باب ما جاء في أن دين

- ١ - آل عمران ١٨
- ٢ - الأنعام ١٦١
- ٣ - الأنعام ٩٠
- ٤ - النحل ٣٦
- ٥ - النحل ١٢٠
- ٦ - مريم ٣٤
- ٧ - مريم ٣٧
- ٨ - الأنبياء ٢٥
- ٩ - الأنبياء ٩٢
- ١٠ - الأنبياء ١٠٨
- ١١ - المؤمنون ٥١
- ١٢ - الحج ٧٨
- ١٣ - الشورى ١٢
- ١٤ - البينة ١
- ١٥ - البينة ٥

الانبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «انا معاشر الانبياء اخوة لعلات» ومثل صفته في التوراة ان أقبضه حتى أقبم به الملة العوجاء فافتح به أعينا عميا وأذا ناصبا وقلوبا غلفا ولهذا وحده الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ومثل قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما اتبعوه ولا تتبعوا السبل) ومثل قوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله وجاهدوا في سبيل الله) وقوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والاسلام دين جميع المسلمين قال نوح عليه السلام (فان توليتم ما سألتكم من أجر ان أجرى الاعلى الله وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال الله عن ابراهيم وبنيه ما تقدم \* وقال الله عن السحرة (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وعن فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) وقال الحواريون (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) وفي السورة الاخرى (واشهد بأننا مسلمون) وقال يوسف الصديق (توقى مسلما وألحقني بالصالحين) وقال موسى (إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقالت بلقيس (رب إنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال في التوراة (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) قال شيخ الاسلام وقد قررت في غير هذا الموضع الاسلام العام والخاص والايمان العام والخاص كقوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأما تنوع الشرائع وتعددتها فقال تعالى لما ذكر القبلة بعد الملة بقوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وإن الذين أتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) الى قوله (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) فأخبر أن لكل أمة وجهة ولم يقل جعلنا لكل أمة وجهة بل قد يكون هم ابتدعوها كما ابتدعت النصارى وجهة المشرق بخلاف ما ذكره في الشرع والمناهج فانه قال

- ١ - الفاتحة ٥ - ٧
- ٢ - الأنعام ١٥٣
- ٣ - البقرة ٢٥٧
- ٤ - الأنفال ٣٩
- ٥ - يونس ٧٢
- ٦ - الاعراف ١٣٦
- ٧ - يونس ٩٠
- ٨ - آل عمران ٥٢
- ٩ - المائدة ١١١
- ١٠ - يوسف ١٠١
- ١١ - يونس ٨٤
- ١٢ - النمل ٤٤
- ١٣ - المائدة ٤٤
- ١٤ - البقرة ٦٢
- ١٥ - البقرة ١٤٤
- ١٦ - البقرة ١٤٨

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الى قوله (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وهذه الآيات نزلت بسبب الحكم في الحدود والقصاص والديات أخبر أن التوراة يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا وهذا عام في النبيين جميعهم والربانيين والاحبار ثم لما ذكر الانجيل قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه فأمر هؤلاء بالحكم لان الانجيل بعض ما في التوراة وأقر الاكثر والحكم بما أنزل الله فيه حكم بما في التوراة أيضا ثم قل (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من قبله لكل جعلنا من الرسولين والكتابين شرعة ومنهاجا أي سنة وسبيلا فالشرعة الشريعة وهي السنة والمنهاج الطريق والسبيل وكان هذا بيان وجه تركه لما جعل لغيره من السنة والمنهاج الى ما جعل له ثم أمره أن يحكم بينهم بما أنزل الله اليه فالاول نهي له أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته والثاني وان كان حكما غير الحكم الذي أنزل نهي له أن يترك شيئا مما أنزل فيها اتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فمن لم يتبعه لم يحكم بما أنزل الله وان لم يكن من أهل الكتاب الذين أمروا أن يحكموا بما فيها مما يخالف حكمه وقال تعالى في الحج (ولكل أمة جعلنا منسكا ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينافي عنك في الامر) وذكر في أثناء السورة (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) فبين أنه هو جعل المناسك وذكر مواضع العبادات كما ذكر في البقرة الوجهة التي يتوجهون اليها وقال في سورة الجاثية بعد أن ذكر بني اسرائيل (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الآية وقال في النسخ ووجوب اتباعهم للرسول (واذ أخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الى قوله (وأنا معكم من الشاهدين) وقال (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الآية والتي بعدها وقد تقدم ما في البقرة وآل عمران من أمرهم بالايمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك في سورة النساء وهو كثير في القرآن \*

١ - المائة ٤٦

٢ - المائة ٥٠

٣ - المائة ٤٨

٤ - الحج ٣٤

٥ - الحج ٦٧

٦ - الحج ٤٠

٧ - الجاثية ١٨

٨ - آل عمران ٨١

٩ - الاعراف ١٥٦

## ﴿ فصل ﴾

قال الله تعالى لنا ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ) الى قوله تعالى ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ) الى قوله ( كنتم خير أمة اخرجت للناس ) فامرنا بملازمة الاسلام الى المات كما أمر الانبياء جميعهم بالاسلام وأن نعتصم بحبله جميعا ولا نفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وذكر انه تبيض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وذكر انه يقال لهم ( أ كفرنم بعد ايمانكم ) وهذا عائد الى قوله ( ولا تموتن الا وانتم مسلمون ) فامر بملازمة الاسلام وبين أن المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أ كفرنم بعد ايمانكم وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم وقد تأولها الصحابة في الخوارج وهذا نظير قوله للرسول ( أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ) وقد قال في البقرة ( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ) الآية وقال أيضا ( ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ) وقال تعالى ( فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ) وقال تعالى ( وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ) وقال تعالى ( إن الدين عند الله الاسلام وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) الآية وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة الآية ونظيرها في الجاثية وقال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) وقال تعالى ( والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ) •

- آل عمران ١٠٢ - ١٠٣

- آل عمران ١٠٥

- آل عمران ١١٠

- آل عمران ١٠٦

- الشورى ١٣

- البقرة ٢١٣

- الأنعام ١٥٩

- المؤمنون ٥٣

- آل عمران ١٩

- البينة ٤

- النساء ٥٩

- الحشر ١٢

## ﴿ فصل ﴾

إذا كان الله تعالى قد أمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الأمر منا وأمرنا عند التنازع في شيء أن نرده إلى الله وإلى الرسول وأمرنا بالاجتماع والانلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف وأمرنا أن نستغفر لمن سبقنا بالإيمان وسمانا المسلمين وأمرنا أن ندوم عليه إلى المات فهذه النصوص وما كان في معناها توجب علينا الاجتماع في الدين كاجتماع الأنبياء قبلنا في الدين وولاية الأمور فيناهم خافاء الرسول قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « إن بني إسرائيل كانت قسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي قام نبي وأنه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء ويذكرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أوفوا ببيعة الأول فالأول وأدوا لهم الذي لهم فإن الله سألهم عما استرعاهم » وقال أيضا « العلماء ورثة الأنبياء » وروى عنه أنه قال « وددت أني قد رأيت خلفائي قالوا ومن خلفائك قال الذين يحيون سنتي يملونها الناس » هؤلاء هم ولاة الأمر بعدهم وهم الأمراء والعلماء وبذلك فسرهما السلف ومن تبعهم من الائمة كالامام أحمد وغيره وهو ظاهر قد قررناه في غير هذا الموضع فلا أصول النابتة بالكتاب والسنة والاجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الاسلام المحض وهم أهل السنة والجماعة وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) والتنوع قد يكون في الوجوب تارة وفي الاستحباب أخرى فلا أول مثل ما يجب على قوم الجهاد وعلى قوم الزكاة وعلى قوم تعليم العلم وهذا يقع في فروض الأعيان وفي فروض الكفايات وفروض الأعيان مثل ما يجب على كل رجل إقامة الجماعة والجمعة في مكانه مع أهل بقمته ويجب عليه زكاة نوع ماله بصرفه إلى مستحقه لجيران ماله ويجب عليه استقبال الكعبة من ناحيته والحج إلى بيت الله من طريقه ويجب عليه بر والديه وصلته ذوى رحمه والأحسان إلى جيرانه وأصحابه ومماليكه ورعيته ونحو ذلك من الأمور

التي تنوع فيها أعيان الوجوب وان اشتركت الامة في جنس الوجوب وتارة تنوع  
بالقدرة والمعجز كتنوع صلاة المقيم والمسافر والصحيح والمريض والآمن والخائف  
وفروض الكفايات تنوع بتنوع فروض الاعيان ولها تنوع يخصها وهو انها تتعين  
على من لم يقيم بها غيره فقد تتعين في وقت ومكان وعلى شخص أو طائفة وفي  
وقت آخر أو مكان آخر على شخص آخر أو طائفة أخرى كما يقع مثل ذلك في  
الولايات والجهاد والفتيا والقضاء وغير ذلك وأما في الاستحباب فهو أبلغ فان كل  
تنوع يقع في الوجوب فانه يقع مثله في المستحب ويزداد المستحب بان كل شخص  
انما يستحب له من الاعمال التي يتقرب بها الي الله تعالى التي يقول الله فيها وما  
يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والافضل  
له من الاعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فاكثر الخلق يكون  
المستحب لهم ما ليس هو الافضل مطلقا اذا أكثرهم لا يقدر على الافضل  
ولا يصبرون عليه اذا قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون اذا  
طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق اذا طلب ذلك فانه قد يفسد عقله ودينه  
أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أولا  
يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها ولهذا قال النبي صلى الله  
عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل «ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو  
أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لافسده  
ذلك» وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر لما سأله الامارة «يا أبا ذر اني أراك  
ضعيفا وإنني أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»  
وروى عنه أنه قال للعباس عمه نفس تنجيها خير من اماراة لا تحصيها ولهذا اذا  
قلنا هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق ثم المفضول يكون أفضل في مكانه  
ويكون أفضل لمن لا يصلح له الافضل مثال ذلك أن قراءة القرآن أفضل من  
الذكر بالنص والاجماع والاعتبار أما النص فقوله صلى الله عليه وسلم «أفضل  
الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله  
والله أكبر» وقوله صلى الله عليه وسلم «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل

الله على خلقه» وقوله عن الله «من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» وقوله «ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه» وقول الاعرابي له انى لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن فعلمنى ما يجزئنى فى صلاتى قال «قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر» وأما الاجماع على ذلك فقد حكاه طائفة ولا عبرة بخلاف جهال المتعبدة وأما الاعتبار فان الصلاة يجب فيها القراءة فان عجز عنها انتقل الى الذكر ولا يجزئ به الذكر مع القدرة على القراءة والمبدل منه أفضل من البديل الذى لا يجوز إلا عند العجز عن المبدل وأيضا فالقراءة يشترط لها الطهارة الكبرى كما يشترط للصلاة الطهارتان والذكر لا يشترط انه الكبرى ولا الصغرى فعلم أن أعلى أنواع ذكر الله هو الصلاة ثم القراءة ثم الذكر المطلق ثم الذكر فى الركوع والسجود أفضل بالنص والاجماع من قراءة القرآن وكذلك كثير من العبادات قد ينتفع بالذكر فى الابتداء مالا ينتفع بالقراءة اذ الذكر يعطيه ايمانا والقرآن يعطيه العلم وقد لا يفهمه ويكون الى الايمان أحوج منه لكونه فى الابتداء والقرآن مع الفهم لاهل الايمان أفضل بالاتفاق فهذا وأمثاله يشبه تنوع شرائع الانبياء فاتهم متفقون على أن الله أمر كلا منهم بالدين الجامع وان نعبده بتلك الشرعة والمنهاج كما أن الامة الاسلامية متفقة على ان الله أمر كل مسلم من شريعة القرآن بما هو مأمور به اما ايجابا وأما استحبابا وان تنوعت الافعال فى حق أصناف الامة فلم يختلف اعتقادهم ولا معبودهم ولا اخطأ أحد منهم بل كلهم متفقون على ذلك يصدق بعضهم بعضا •

### ﴿ فصل ﴾

وأما ما يشبه ذلك من وجه دون وجه فهو ما تنازعوا فيه مما أقرؤا عليه وساخ لهم العمل به من اجتهاد العلماء والمشايخ والامراء والملوك كاجتهاد الصحابة فى قطع النية وتركها واجتهادهم فى صلاة العصر لما بهمهم النبي صلى الله عليه وسلم الى نبي قريظة وأمرهم ان لا يصلوا العصر الا فى نبي قريظة فصلى قوم فى الطريق فى الوقت وقالوا انما أراد التمجل لا تفويت الصلاة وأخرها قوم الى أن وصلوا وصلوها بعد الوقت تمسكا بظاهر لفظ العموم فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم

واجدة من الطائفتين وقال صلى الله عليه وسلم «إذا اجتهد الحاكم فإصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها على أن اقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك وحكم عمر أول عام في الفريضة الحاربية بعدم التشريك وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى ولما سئل عن ذلك قال تلك على ما قضينا وهذه على ما تقضى وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحى وتعذيب الميت ببكاء أهله ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والالفة وهذه المسائل منها ما أحد القولين خطأ قطعاً ومنها ما المصيب في نفس الامر واحد عند الجمهور اتباع السلف والآخر مؤد لما وجب عليه بحسب قوة ادراكه وهل يقال له مصيب أو مخطئ فيه نزاع ومن الناس من يجعل الجميع مصيبين ولا حكم في نفس الامر ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا لائم على من اجتهد وإن أخطأ فهذا النوع يشبه النوع الأول من وجه دون وجه أما وجه المخالفة فلا أن الانبياء عليهم السلام معصومون عن الاقرار على الخطأ بخلاف الواحد من العلماء والامراء فانه ليس معصوماً من ذلك ولهذا يسوغ بل يجب أن نبين الحق الذى يجب اتباعه وإن كان فيه بيان خطأ من اخطأ من العلماء والامراء وأما الانبياء فلا يبين أحدهما ما يظهر به خطأ الآخر وأما المشابهة فلا أن كلا مأمورٌ باتباع ما بان له من الحق بالدليل الشرعى كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ما أوحى إليه وليس لأحدهما أن يوجب على الآخر طاعته كما ليس ذلك لأحد النبيين مع الآخر وقد يظهر له من الدليل ما كان خافياً عليه فيكون انتقاله بالاجتهاد عن الاجتهاد ويشبه النسخ في حق النبي لكن هذا رفع للاعتقاد وذاك رفع للحكم حقيقة وعلى الاتباع اتباع من ولى أمرهم من الامراء والعلماء فيما ساغ له اتباعه وأمر فيه باتباع اجتهاده كما على الأمة اتباع أى نبي بعث اليهم وإن خالف شرعه شرع الاول لكن

(١٨٢ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة)



تنوع الشروع لهؤلاء وانتقاله لم يكن لتنوع نفس الأمر النازل على الرسول ولكن تنوع أحوالهم وهو إدراك هذا لما بلغه من الوحي سمعا وعقلا وعجز الآخر عن إدراك ذلك البلاغ إما سمعا لعدم تمكنه من سماع ذلك النص وإما عقلا لعدم فهمه لما فهمه الأول من النص وإذا كان عاجزا سقط عنه الائتم فيما عجز عنه وقد يقيين لأحدهما عجز الآخر وخطاؤه وتعذره في ذلك وقد لا يتبين له عجزه وقد لا يتبين لكل منهما أيهما الذي أدرك الحق وأصابه ولهذا امتنع من امتنع من تسمية مثل هذا خطأ قال لان التكليف مشروط بالقدرة فما عجز عنه من العلم لم يكن حكم الله في حقه فلا يقال أخطأه وأما الجمهور فيقولون أخطأه كما دلت عليه السنة والاجماع لكن خطؤه معذور فيه وهو معنى قوله عجز عن إدراكه وعلمه لكن هذا لا يمنع أن يكون ذاك هو مراد الله وأموره فإن عجز الإنسان عن فهم كلام العالم لا يمنع أن يكون قد أراد بكلامه ذلك المعنى وأن يكون الذي فهمه هو المصيب الذي له الأمران ولهذا تنازع أصحابنا فيمن لم يصب الحكم الباطن هل يقال إنه مصيب في الظاهر لكونه أدى الواجب المقدور عليه من اجتهاده واقتصاره أولا يطلق عليه اسم الاصابة بحال وإن كان له أجر على اجتهاده وقصده الحق على قولين هما روايتان عن أحمد وذلك لانه لم يصب الحكم الباطن ولكن قصد الحق وهل اجتهد الاجتهاد المأمور به التحقيق أنه اجتهد الاجتهاد المقدور عليه فهو مصيب من هذا الوجه من جهة المأمور المقدور وإن لم يكن مصيبا من جهة إدراك المطلوب وفعل المأمور المطلق بوضع ذلك أن السلطان نوعان سلطان الحجة والعلم وهو أكثر ما سعى في القرآن سلطانا حتى روى عن ابن عباس، أن كل سلطان في القرآن فهو الحجة والثاني سلطان القدرة : والعمل الصالح لا يقوم إلا بالسلطانين فإذا ضعف سلطان الحجة كان الأمر بقدره وإذا ضعف سلطان القدرة كان الأمر بحسبه والأمر مشروط بالقدرة على السلطانين فلا يتم ينتفى عن الأمر بالعجز عن كل منهما وسلطان الله في العلم هو الرسالة وهو حجة الله على خلقه كما قال تعالى ( لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) وقال تعالى ( أن هي الا اسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ) وقال ( أم أنزلنا

عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ( ونظائره متعددة فالمنهاج والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والامراء اذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الاهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الامكان بعد الاجتهاد التام هي لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمنهاج للانبياء وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له وهو الدين الاصلى الجامع كما يثاب الانبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به لامن شرعة رسوله ومنهاجه كما يثاب كل نبي على طاعة الله في شرعه ومنهاجه ويتنوع شرعهم ومنهاجهم مثل أن يبلغ أحدهم الاحاديث بألفاظ غير الالفاظ التي بلغت الآخر وتفسر له بعض آيات القرآن بتفسير يخالف لفظه لفظ التفسير الآخر ويتصرف في الجمع بين النصوص واستخراج الاحكام منها بنوع من الترتيب والتوفيق ليس هو النوع الذي سلكه غيره وكذلك في عباداته وتوجهاته وقد يتمسك هذا بآية أو حديث وهذا بحديث أو آية أخرى وكذلك في العلم من العلماء من يسلك بالاتباع طريقة ذلك العالم فتكون هي شرعهم حتى يسمعوا كلام غيره ويروا طريقته فيرجع الراجح منهما فتتنوع في حقهم الاقوال والافعال السالفة لهم من هذا الوجه وهم مأمورون بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه كما أمرت الرسل بذلك ومأمورون بأن لا يفرقوا بين الامة بل هي أمة واحدة كما أمرت الرسل بذلك وهؤلاء آكد فان هؤلاء تجمعهم الشريعة الواحدة والكتاب الواحد وأما القدر الذي تنازعوا فيه فلا يقال ان الله أمر كلا منهم باطنا وظاهرا بالتمسك بما هو عليه كما أمر بذلك الانبياء وان كان هذا قول طائفة من أهل الكلام فانما يقال ان الله أمر كلا منهم أن يطلب الحق بقدر وسعه وامكانه فان أصابه والا فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقال الله قد فعلت وقال تعالى (ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به) فمن ذمهم ولا مهمهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله ويتصر لها بغير هدى من الله فقد اعتدى

واتبع هواه بغير هدى من الله ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد اذ الامر مشروط بالقدرة ( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) فعلى المسلم في كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو محسن ويدوم على هذا الاسلام فاسلام وجهه اخلاصه لله واحسان فعله الحسن فتدبر هذا فانه أصل جامع نافع عظيم \*

### ﴿ قاعدة ﴾

في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها نزاع بين الامة في الرواية والرأى مثل الاذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الا كف فوق الا كف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون أحدها جهل كثير من الناس او أكثرهم بالأمر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته والذي أمرهم باتباعه \* الثاني ظلم كثير من الامة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبقية عليهم تارة بنهيبهم عما لم ينه الله عنه وبغضهم على ما لم يبغضهم الله عليه وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلاتهم لعدم موافقتهم لهم على الوجه الذي يؤثرونه حتى يقدمون في الموالاة والمحبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرأ عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك \* الثالث اتباع الظن وما تموي الانفس حتى يصير كثير منهم متدينا باتباع الاهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصير في كثير من المتفهمة والمتعبدية من الاهواء من جنس ما في أهل الاهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال الله في كتابه ( ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ) وقال في كتابه ( لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ) \* الرابع التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويماديه

ويجب بعضا وبواليه على غير ذات الله وحتى يفضي الامر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز واللمز وبعضهم الى الاقتتال بالأيدى والسلاح وبعضهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلح بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الأمور التي حرّمها الله ورسوله والاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) الى قوله ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنّ من أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله وقال تعالى ( ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ) وقال تعالى ( وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات ) وقال تعالى ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) وقال تعالى ( ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) وقال تعالى ( وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) وقال ( فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة ) وقال ( فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ) وقال ( إنما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ) وقال ( إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ) وهذا الأصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا تتفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله به في كتابه ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة » وقوله « فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة قيد شبر قد خلع ربة الاسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبؤكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف

آل عمران ١٠٢ - ١٠٣

آل عمران ١٠٦

الأنعام ١٥٩

البقرة ٢١٣

البينة ٤ - ٥

آل عمران ١٩

الجاثية ١٧

يونس ٩٣

الأنفال ١

١ - الحجرات ١٠

١ - النساء ١١٤

واللهي عن المنكر قالوا بلى يا رسول الله قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين « وقوله « من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان » وقوله « يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم » وقوله « ستمترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة ناجية وثنتان وسبعون في النار قيل ومن الفرقة الناجية قال هي الجماعة يد الله على الجماعة » وباب الفساد الذي وقع في هذه الامة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك . والله به علم وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطاؤه أو لحسناته الماحية أو لتوبته أو غير ذلك لكن يعلم الله أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة ويذكرون في كتب السنة والجماعة من السنن والآثار في ذلك . ما يطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة التي يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة (النوع الخامس) هو شك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون بل وفي بعضها ما عليه أهل الإسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة قلة فهم وروايتهم تارة ومن جهة تنازعهم ورأيهم أخرى أما الاول فقد علم أن الله حفظ هذا الدين كما قال ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) لحفظ الله الذكر الذي أنزله على رسوله وأمر أزواجه نبيه بذلك حيث يقول ( وإذا كن ما تبلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ) حفظه من أن يقع فيه من التحريف ما وقع فيما أنزل قبله كما عصم هذه الامة أن تجتمع على ضلالة فصم حروف التنزيل أن تغير وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء الحديث وحفاظه الذين فحصوا عنها وعن قائلها ورواتها وعلموا من ذلك ما لم يعلمه غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لأسباب يطول وصفها في هذا الموضوع وعلموا هم

خصوصا وسائر علماء الأمة بل وعامتها عموما ما صانوا به الدين عن أن يزداد فيه أو ينقص منه مثل ما علموا أنه لم يفرض عليهم في اليوم واليلة إلا الصلوات الخمس وأن مقادير ركعاتها ما بين الثنائي والثلاثي والرباعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم إلا شهر رمضان ومن الحج إلا حج البيت العتيق ومن الزكاة إلا فرائضها المعروفة إلى نحو ذلك وعلموا كذب أهل الجهل والضلالة فيما قد يؤثرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم بكذب من يزعم من الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصا قاطعا جليا وزعم آخر بن أنه نص على العباس وعلموا أحاديث الرافضة والناصبة التي يؤثرونها في مثل الغزوات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكذبون الطرقية مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عنترة والبطال حيث علموا مجموع مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن القتال فيها كان في تسع مغازاة قط ولم يكن عدد المسلمين ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية إيزيد بن معاوية ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الأرجاء ونحوه والأحاديث التي يرويها كثير من النسلك في صلوات أيام الأسبوع وفي صلوات أيام الأشهر الثلاثة والأحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه وتواجده وسقوط البردة عن ظهره وتزيقه الثوب وأخذ جبريل لبعضه وصعوده به إلى السماء وقتال أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاته ليلة الأسراء والأحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الأرض بعيني رأسه وأمثال هذه الأحاديث المكذوبة التي يطول وصفها فإن المكذوب من ذلك لا يحصى أحد إلا الله لأن الكذب يحدث شيئا فشيئا ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وإنما يكون موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الأنبياء وكان من الدلائل على انتفاء هذه الأمور المكذوبة وغيرها وجوه \* أحدها أن ما توفرت هم الخلق ودواعيهم على نقله واشاعته يمتنع في العادة كتمانها فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم

الجمعة وأخبر بمحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام في المسجد إذا لم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر أن في الطرقات بلادا عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة ظاهرة متيسرة لمن أرادها بمكان يعلمه الناس ولم يخبر بذلك إلا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباعتبار العقل وقياسه وضربه الأمثال يعلم كذب ما ينقل من الأمور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ما مضت سنة الله في عبادته أنهم لا يتواطئون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضة فإن الله جبل جماهير الأمم على الصدق والبيان في مثل هذه الأمور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الأكل والشرب واللباس فأنفس بطبعها تختار الصدق إذا لم يكن لها في الكذب غرض واجح وتختار الاخبار بهذه الأمور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم ويميلون إلى الاستخبار والاستفهام عما يقع وكل شخص له من يؤثر أن يصدقه ويبين له دون أن يكذبه ويكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لا تنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا ونحو ذلك لكن ليس الغالب على أنسابهم إلا الصحة وعلى أنفسهم إلا البقاء فالغرض هنا أن الأمور المتواترة تعلم أنهم لم يتواطئوا فيها على الكذب والاختبار الشاذة تعلم أنهم لم يتواصوا فيها على الكتمان \* الوجه الثاني أن دين الأمة يوجب عليهم تبليغ الدين وإظهاره وبيانه ويحرم عليهم كتمانها ويوجب عليهم الصدق ويحرم عليهم الكذب فتواطؤهم على ما يجب بيانه كتواطئهم على الكذب وكلاهما من أقبح الأمور التي تحرم في دين الأمة وذلك باعث يوجب الصدق والبيان \* الثالث أنه قد علم من عدل سلف الأمة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ الدين وإظهاره وعظيم محاببتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما نقلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم بتبليغه وهذه العادة الخاصة الدينية لهم غير العادة العامة المشتركة بين جنس البشر \* الرابع أن العلماء الخاصة يعلمون من نصوص رسول الله صلى

الله عليه وسلم الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورسوله ومن دين آحادهم مثل الخلفاء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الدرداء الى ابن عمر وابن عباس وابن عمرو وغيرهم يعلمون علما يقينيا لا يتخالفه ريب امتناع هؤلاء من كتمان قواعد الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يعلمون امتناعهم من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير بمعرفة ذلك مثل الزهري وقتادة وبجي بن أبي كثير ومثل مالك والثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهم أموراً يعلمون معها امتناعهم عن الكذب وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الأمور العظيمة التي تأتي أحوالهم كتمانها لو كانت موجودة ولهم في ذلك الباب ما يطول شرحه وليس الغرض هنا تقرير ذلك وإنما الغرض التنبيه على ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الأهواء قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بأمر الأذان والاقامة فإنه كان يفعل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف في صفته وكذلك الجهر بالبسملة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وقع الاختلاف في قتلها وذكرها نحو هذه الأمور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوغوا أن تكون من أمور الدين ما لم ينقل بل كتم لاهواء وأغراض وأما جهة الرأي والتنازع فإن تنازع العلماء واختلافهم في صفات العبادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل الأهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا إن دين الله واحد والحق لا يكون في جهتين (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف دليل على انتفاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويعبرون عنهم بعبارات تارة يسمونهم الجهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الأهواء لما جعلوا هذا مانعا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا من سبل الشيطان فالرافضة تنتحل النقل عن أهل البيت كن لا وجود له وأصل من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبأ الذي ابتدع لهم الرفض ووضع لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وأنه ظلم ومنع حقهم وقال أنه كان معصوما وغرض الزنادقة



بذلك التوصل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرفض باب الزندقة والالحاد فالصابئة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاممائية والحاكية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والرفض والمعتزلة ونحوهم تنتحل القياس والعقل ويظعن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويعلمون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أعداء الملة من أسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المتعصبين ببعض هذه الامور الصغار داعيا في هدم قواعد الاسلام الكبار \*

﴿فصل﴾ اذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فنحن نذكر طريق زوال ذلك ونذكر ما هو الواجب في الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الأصلين الذين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاء أما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه أعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنون من معاني الكتاب والسنة فنقول عامة هذه المنازعات انما هي في أمور مستحبات ومكروهات لافي واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمتعا أو مفردا أو قارنا كان حجه مجزئاً عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يمنع ذلك من الشيعة من يوجب المنعة ويحرم ماعداها ومن الناصية من يحرم المنعة ولا يبيحها بحال وكذلك الاذان سواء رجع فيه أو لم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء رجع التكبير في اوله أو ثناء وانما يخالف في ذلك بعض شواذ المتفهمة كما خالف فيه بعض الشيعة فأوجب فيه الحيلة بحج على خبر العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والثنية بأبيها أقام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الا ما ينازع شذوذ الناس وكذلك الجهر بالبسملة والخافئة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب أحدها ويكره الآخر ويختار أن لا يقرأ بها فللمنازعة بينهم في المستحب والا فالصلاة بأحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا في الجهر والمخافئة في موضعهما

هل هما واجبان أم لا وفيه نزاع معروف في مذهب مالك واحد وغيرهما فهذا في الجهر والطويل بالقدر الكثير مثل المخافة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الصبح فأما الجهر بالشئ اليسير أو المخافة به فما ينبغي لأحد أن يبطل الصلاة بذلك وما أعلم أحدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة المخافة يسمعهم الآية أحيانا وفي صحيح البخاري عن رفاع ابن رافع الزرقى قال كنا نصلى وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قل سمع الله لمن حمده قال رجل وراه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قل من المتكلم قل أنا قال رأيت بضعة وثلاثين ملكا يتندرونها بهم يكتبها أول ومعلوم أنه لولا جهره بها لما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوى ومعلوم أن المستحب للمأموم المخافة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر أنه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار. والسنة الرائبة فيه المخافة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة. وفي الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة على الجنازة وقال لتعلموا أنها السنة. ولهذا نظائر. وأيضاً فلا نزاع أنه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن ازيير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل أحد منهم صلاة أحد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعاً وإن تنازعوا في وجوب قراءتها فذلك مسألة أخرى وكذلك القنوت في الفجر وإنما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهته وسجود السهو تركه أو فعله والا فعاتمهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وإنه ليس بواجب وكذلك من فعله اذ هو طويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع ولو فعل ذلك في غير صلاة الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم وكذلك القنوت في الوتر هل هو في جميع الحول أو في النصف الآخر من رمضان إنما هو في الاستحباب اذ لا نزاع أنه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة وكذلك كونه قبل الركوع أو بعده وكذلك التسليمة الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في الكاملة فقط أم ليست مشروعة إنما هو نزاع في

الاستحباب لكن عن أحمد رواية أن التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة إما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهر على نزاع في ذلك والرواية الأخرى الموافقة للجمهور أنها مستحبة في الصلاة الكاملة وكذلك تكبيرات العيد الزوائد أما النزاع في المستحب فيها والا فلا نزاع في أنه يجرى ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائز ما علم في ذلك خلافا لا خلافا شاذا وأما النزاع في المستحب وكذلك أنواع الاستفتاح في الصلاة وأصل الاستفتاح أما النزاع في استحبابه وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل يذكر قولاً في مذهب الامام احمد واذا كان النزاع إنما هو في الاستحباب علم الاجماع على جواز ذلك وأجزائه ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فان جميعها جائز وان كان من الناس من يختار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم أن ذلك جميعه جائز مجزى في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً بل قد يكون النوعان سواء وان رجح بعض الناس بعضها ولو كان أحدهما أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضل ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه باجماع المسلمين ولا يجوز التفريق بذلك بين الامة ولا أن يعطي المستحب فوق حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير ولا يجوز أن يجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمنع الرجل من تركها ويرى أنه قد خرج من دينه أو عصي الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم أن ائتلاف قلوب الامة واجتماعهم أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لا ائتلاف القلوب كان ذلك حسناً وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب. وقد أخرجنا في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لفضت الكعبة ولا لصقتها بالارض ولجملت لها بابين لا يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه» وقد احتج بهذا الحديث البخارى وغيره على أن الامام قد يترك بعض الامور المختارة لاجل تأليف القلوب ودفعاً لنفرتها ولهذا نص الامام أحمد على أنه يجهر بالبسملة عند

المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لان أهلها اذ ذاك كانوا يجهرون فيجهر بها للتأليف وليعلمهم أنه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤنها بحال فيجهر بها ليعلمهم أنه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنائز فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وبهذا يزول الشك والظن فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم أنه داخل في المشروع فالتنازع في الرجحان لا يصير كالتمنازع في رجحان بعض القراءات وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء أن يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله فأما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك \*

وأما الأصل الثاني فنقول السنة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذاك على بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع في الصحيحين أنه أمر بلالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة \* وفي صحيح مسلم أنه علم أبا محذورة الاقامة مثني مثني مثل الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بن حفص ولعشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله أن يقرأ به وكذلك الترجيع في الأذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو محتوف من أذان بلال الذي روي في السنن وكذلك الجهر بالسملة والخافتة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت الخافتة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الأمران جميعا وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضى أنه لم يكن يجهر بها كما عليه أكثر الصحابة وأمه في الصحيح حديث أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لاشبهة فيها : وفي السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن معقل وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهره بها والاحاديث المصرحة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا في

أمهات الدواوين منها شيئا ولكن في الصحاح والسنن احاديث محتملة وقد روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجر بها إذ كان بمكة وأنه لما هاجر إلى المدينة ترك الجهر بها حتى مات . ورواه أبو داود في الناسخ والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بها وأما أهل المدينة والشام والكوفة لم يكونوا يجهرون وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجر بها ولهذا سألوا أنسا عن ذلك ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يجر بها بعض الأحيان أو جهرأ خفيا إذا كان ذلك محفوظا وإذا كان في نفس كتب الحديث أنه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة \* وأما القنوت فأمره بين لاشبهة فيه عند التأمل التام فإنه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قنت في الفجر مرة يدعو على رعل وذكوان وعصية ثم تركه ولم يكن تركه نسخا لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مضر ونبت عنه أنه قنت أيضا في المغرب والعشاء وسائر الصلوات قنوت استنصار فهذا في الجملة فنقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين أنه تركه ترك نسخا فاعتقد أن القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكيين أنه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث أنه قنت لسبب ثم تركه لزوال السبب قاله قنوت من السنن العوارض لالرواتب لانه ثبت أنه تركه لما زال العارض ثم عاد اليه مرة أخرى ثم تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح انه لم يقنت بعد الركوع إلا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه انه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي وغيرهما ومن المعلوم قطعا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنوتا يجبر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى أن ينقل دعائه فيه فإذا كان الذي يستحبه إنما يدعو فيه بقنوت الوتر علم أنه ليس فيه

شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعى كما يعلم عدم النص على هذا وأمثاله فإنه من الممتنع أن يكون الصحابة كلهم أهملوا نقل ذلك فإنه مما يعلم بطلانه قطعاً وكذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت النوازل ودعا عمر فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب إلى آخره يقتضى أنه دعا به عند قتاله للنصارى وكذلك دعا على عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذى فيه عن أنس أنه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في إسناده وأنه ليس فى السنن إماماً فيه القنوت قبل الركوع وفى الصحاح عن أنس أنه قال لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع إلا شهراً والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل إذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون فى السجود وتارة يكون فى القيام كما قد بيناه فى غير هذا الموضع وأما حجة الوداع وإن اشتهت على كثير من الناس فأما أتوا من جهة الألفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول إنه تمتع بالعمرة إلى الحج وهؤلاء يقولون إنه أفرد الحج ويقول بعضهم أنه قرن العمرة إلى الحج ولا خلاف فى ذلك فاتهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل من إحرامه وأنه كان قد ساق الهدى ونحره يوم النحر وأنه لم يعتبر بعد الحجة فى ذلك العام لاهو ولا أحدم أصحابه إلا عائشة أمر أخاها أن يعمرها من التمتع أدنى الحل وكذلك الأحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفا والمروة إلا مرة واحدة مع طوافه الأول فالذين نقلوا أنه أفرد الحج صدقوا لانه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها عمل العمرة كما يتوهم من يقول أن القارن يطوف طوافين ويسعى سعيين ولم يتمتع تمتعاً حل به من إحرامه كما يفعله المتمتع الذى لم يسق الهدى بل قد أمر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا الهدى أن يحلوا من إحرامهم ويحملوها عمرة ويهلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم\*

﴿قاعدة فى أن الاعتقادات قد تؤثر فى الأحكام﴾

هذه قاعدة عظيمة جامعة متشعبة وللناس فى تفاصيلها اضطراب عظيم حتى منهم من صار فى طرفى قبيض فى كلا نوعى الأحكام العلمية الشرعية والأحكام المدنية النظرية وذلك أن كل واحد من العلوم والاعتقادات والأحكام والكلمات بل

والحجة والارادات إما أن يكون تابعا لمتعلقه مطابقا له وإما أن يكون متبوعه تابعا له مطابقا له ولهذا اقسمت الحق والحقائق والكلمات إلي موجود ومقصود إلى كوني وديني الى قدرى وشرعى كما قد بينته في غير هذا الموضوع وقد تنازع النظار في العلم هل هو تابع للمعلوم غير مؤثر فيه بل هو انفعالى كما يقوله كثير من أهل الكلام أو المعلوم تابع له والعلم مؤثر فيه وهو فعلى كما يقوله كثير من أهل الفلسفة والصواب أن العلم نوعان أحدهما تابع والثانى متبوع والوصفان يجتمعان في العلم غالبا أو دائما فعلنا بما لا يقتدر الى علمنا كعلمنا بوجود السموات والارض وكذلك علمنا بالله وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والنبين وغير ذلك علم تابع انفعالى وعلمنا بما يقف على علمنا مثل ما يريد من أفعالنا علم فعلى متبوع وهو سبب لوجود المعلوم وكذلك علم الله بنفسه المقدسة تابع غير مؤثر فيها وأما علمه بمخلوقاته فهو متبوع وبه خلق الله الخلق كما قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فان الارادة مستلزمة للعلم في كل مرید كما أن هذه الصفات مستلزمة للحياة فلا ارادة الا بعلم ولا ارادة وعلم الا بحياة وقد يجوز أن يقال كله علم فهو تابع للمعلوم مطابق سواء كان سببا في وجود المعلوم أو لم يكن فيكون اطلاق المتكلمين أحسن وأصوب من اطلاق المتفلسفة ان كل علم فهو فعلى متبوع وما أظن العقلاء من الفريقين الا يقصدون معنى صحيحا وهو أن يشيروا الى ما تصوره فينظر هؤلاء في أن العلم تابع لمعلومه مطابق له ويشيروا هؤلاء الى ما في حسن العلم في الجملة من أنه قد يؤثر في المعلوم وغيره ويكون سببا له وأن وجود الكائنات كان بعلم الله وعلم الانسان بما هو حق أو باطل وهدى أو ضلال ورشاد أو غي وصدق أو كذب وصلاح أو فساد من اعتقاداته وادواته وأقواله وأعماله ونحو ذلك يجتمع فيه الوصفان بل غالب العلم أو كله يجتمع فيه الامران ولهذا كان الايمان قولا أو عملا قول القلب وعمله وقول الجسد وعمله فانه من عرف الله أحبه فعلمه بالله تابع للمعلوم ومتبوع لحبه لله ومن عرف الشيطان أبغضه فمعرفته به تابعة للمعلوم ومتبوعة لبغضه وكذلك عامة العلم لابد أن يتبعه أثر ما في العالم من حب أو غيره حتى علم الرب سبحانه بنفسه المقدسة يتبعه

صفات وكلمات وأفعال متعلقة بنفسه المقدسة فما من علم إلا ويتبعه حال ما وعمل ما فيكون متبوعا مؤثرا فاعلا بهذا الاعتبار وما من علم إلا وهو مطابق لمعلومه موافق له سواء كان المعلوم مستغنيا عنه أو كان وجود المعلوم بوجوده فيكون تابعا منفصلا مطابقا بهذا الاعتبار لكن كل علم وإن كان له تأثير فلا يجب أن يكون تأثيره في معلومه فإن من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فأحب الله وملائكته وأنبياءه والجنة وأبغض النار لم يكن علمه بذلك مؤثرا في المعلوم وإنما أثر في محبة المعلوم وارادته أو في بفضه وكرامته كذلك وإن كان كل علم فانه مطابق للمعلوم لكن قد يكون ثبوت المعلوم في ذهن العالم وتصوره قبل وجوده في الخارج كتصور الإنسان لأقواله وأعماله وقد يكون وجوده في الخارج قبل تصور الإنسان له وعلمه أو بدون تصور الإنسان له فلهذا التفريق حصل التقسيم الذي قدمناه من أنه ينقسم إلى مؤثر في المعلوم وغير مؤثر فيه وإلى تابع للمعلوم وغير تابع له وإن كان كل علم فانه له أثر في نفس العالم وإن كان كل علم فانه تابع تبع المطابقة والموافقة وإن لم يكن بعضه تابعا تبع التأخر والتأثر والأفتقار والتعلل فهذه مقدمة جامعة نافعة جدا في أمور كثيرة إذا تبين هذا في جنس العلم ظهر ذلك في الاعتقاد والرأي والظن ونحو ذلك الذي قد يكون علما وقد لا يكون علما بل يكون اعتقادا صحيحا أو غير صحيح أو ظنا صحيحا أو غير صحيح أو غير ذلك من أنواع الشعور والأحاساس والأدراك فان هذا الجنس هو الأصل في الحركات والأفعال الروحانية والجسمانية ما كان من جنس الحب والبغض وغير ذلك وما كان من جنس القيام والقعود وغير ذلك فان جميع ذلك تابع للشعور مفتقرا اليه مسبوق به والعلم أصل العمل مطلقا وإن كان قد يكون فرعاً لمعلوم غير العمل كما تقدم. فالاعتقاد تارة يكون فرعاً للمعتقد تابعا له كاعتقاد الأمور الخارجة عن كسب العبد كاعتقاد المؤمنين والكفار في الله تعالى وفي اليوم الآخر وقد يكون أصلاً للمعتقد متبوعاً له كاعتقاد المعتقد وظنه إن هذا العمل يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة إما في الدنيا وإما في الآخرة مثل إعتقاده أن أكل هذا الطعام يشبعه وأن



تناول هذا السم يقتله وأن هذه الرمة تصيب هذا الغرض وهذه الضربة تقطع هذا العنق وهذا البيع والتجارة يورثه ربها أو خسارة وأن صلاته وزكاته وحجه وبره وصدقه ونحو ذلك من الأعمال الصالحة يورثه السعادة في الدنيا والآخرة وأن كفره وفسوقه وعصيانته يورثه الشقاوة في الدنيا والآخرة. وهذا باب واسع تدخل فيه الديانات والسياسات وسائر الأعمال الدينية والدنيوية ويشترك فيه الدين الصحيح والفساد لكن هذا الاعتقاد العملي لابد أن يتعلق أيضا بأمر غير العمل فإن اعتقاده أن هذا العمل ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره يتعلق أيضا بصفات ثابتة الأعيان لا يتعلق باعتقاده كما أن الاعتقاد النظري وإن كان معتقده غير العمل فإنه يتبعه عمل كما تقدم أن كلا من الاعتقادين تابع متبوع والأحكام أيضا من جنس الاعتقادات فإنه أيضا ينقسم قسمين: أحكام عينية تابعة للمحكوم فيه للحكم بما يستحقه الله تعالى من الحمد والثناء وما يتقدس عنه من الفقر والشركاء وأحكام عملية يتبعها المحكوم فيه كالحكم بأن هذا العمل حسن أو قبيح صالح أو فاسد خير أو شر نافع أو ضار واجب أو محرم مأمور به أو منهي عنه رشاد أو غي أو ظلم. وكذلك الكلمات فانها تنقسم إلى خبرية وانشائية فالكلمات الخبرية تطابق الخبر عنه وتنبه وهي موافقة للعلم التابع والاعتقاد التابع والحكم التابع. والكلمات الانشائية مثل الأمر والنهي والاباحة تستتبع المتكلم فيه المأمور به والمنهي عنه والمباح ويكون سببا في وجوده أو عدمه كالعلم المتنوع والاعتقاد المتبوع وهو الحكم العملي. إذا عرف هذان النوعان فمن الناس من يسمى العلم والأعتقاد والحكم والقول الخبري التابع علم الأصول وأصول الدين أو علم الكلام أو الفقه الأكبر ونحو ذلك من الاسماء المتقاربة وإن اختلفت فيها المقاصد والاصطلاحات. ويسمى النوع الآخر علم الفروع وفروع الدين وعلم الفقه والشريعة ونحو ذلك من الأسماء. وهذا اصطلاح كثير من المتفقهة والمتكلمة المتأخرين ومن الناس من يجعل أصول الدين اسما لكل ما اتفقت فيه الشرائع مما لا ينسخ ولا يغير سواء كان علميا أو عمليا سواء كان من القسم الأول أو الآخر حتى يجعل عبادة الله وحده ومحبه وخشيته ونحو ذلك من أصول الدين وقد يجعل بعض الأمور

الاعتقادية الخيرية من فروع، ويجعل اسم الشريعة ينظم العقائد والأعمال ونحو ذلك وهذا اصطلاح غلب على أهل الحديث والتصوف وعليه أئمة الفقهاء وطائفة من أهل الكلام \*

### ﴿ فصل ﴾

إذا تبين هذا فن الناس من صار في طرفي تقيض فحكي عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد وجعل الحقائق تابعة للعقائد وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل وإنما هو من جنس ما يحكى أن السوفسطائية أنكروا الحقائق ولم يثبتوا حقيقة ولا علما بحقيقة وأن لهم مقدما يقال له سوفسطا كما يذكره فريق من أهل الكلام. وزعم آخرون أن هذا القول لا يعرف أن عاقلا قاله ولا طائفة تسمى بهذا الاسم وإنما هي كلمة معربة من اللغة اليونانية ومعناها الحكمة المزهية يعنون الكلام الباطل الذي قد يشبه الحق كما قد يتخيله الإنسان لفساد عقله أو مزاجه أو اشتباه الأمر عليه وجملوا هذا نوعا من الكلام والرأى يعرض للنفس لأنه صنف من الآدميين. وبكل حال فمعلوم أن التخيلات الفاسدة كثيرا ما تعرض لبني آدم بل هي كثيرة عليهم وهم يجحدون الحق إما عنادا وإما خطأ في أمور كثيرة وفي أحوال كثيرة وإن كان الجاحد قد يقر بحق آخر أو يقر بذلك الحق في وقت آخر فالجهل والعناد الذي هو السفسطة هو فيهم خاصا مقيدا إلا أنه عام مطلق قد ينتلي به بعضهم مطلقا وإن لم يستمر به الأمر وقد ينتلي به في شيء بعينه على سبيل الدوام وأما ابتلاء الشخص الممين به فقد يكون أمام فساد العقل المسقط للتكليف وهو الجنون وأما مع صحة العقل المشروط في التكليف فما أعلم شخصا جاهلا بكل شيء. وما نأندا لكل شيء حتى يكون سوفسطائيا. ومما يبين أن هذا لم يقع عند المتكلمة أيضا أن كثيرا من متكلمي أهل الحديث والسنة وغيرهم يقولون إن العقل المشروط في التكليف نوع من العلوم الضرورية كالعلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات

وامتناع المتنعات. واستدلوا على ذلك بأن العاقل لا يخلو من علم شيء من ذلك وهذا قول القاضي أبي بكر وابن الباقلاني وأبي الطيب الطبري والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغيرهم فمن كان هذا قوله لم يصح أن يحكى عن عاقل أنه أنكر العلوم جميعها إلا على سبيل العناد ومعلوم أن العناد لا يكون إلا لغرض وليس لأحد غرض أن يعاند في كل شيء ويججده على سبيل الدوام ومن الناس بازاء هؤلاء من قد يتوهم أنه لا تأثير للمقائيد في المعتقدات ولا تختلف الأحكام باختلاف المقائيد بل يتخيل أنه إذا اعتقد وجوب فعل أو تحريمه كان من خرج عن اعتقاده مبطلا مرتكبا للمحرم أو تاركا للواجب وأنه يستحق من الذم والعقاب ما يستحقه جنس من ترك الواجب أو فعل المحرم وإذا عورض بأنه متأول أو مجتهد لم يانفت الى هذا وقال هو ضال مخطيء مستحق للعقاب وهذا أيضا على إطلاقه وعمومه لا يمتدحه صحيح العقل والدين ما أعلم قائلا به على الإطلاق والعموم كالطرف الأول وإنما أعلم أقواما وطوائف يتلون ببعض ذلك ولوازمه في بعض الأشياء فان من غالب من يقول بعصمة الأنبياء والأئمة الاثنى عشر عن الخطأ في الأقوال والأعمال من قد يرى أنه لو أخطأ الإمام في فعل لكان ذلك عيبا وذما وبين هذين الطرفين المتباعين أطراف أيضا نشأ عنها اختلاف الناس في تصويب المجتهدين وتخطئتهم في الأصول والفروع كما سننبه عليه إن شاء الله \*

### فصل

والمتحقق أن الأحكام والأقوال والاعتقادات كما تقدم نوعان: عيني وعلى تابع للمعتقد ومتبوع للمعتقد فرع للمعتقد وأصل له. فأما الأول وهو العيني التابع للمعتقد المتفرع عليه فهذا لا يؤثر فيه الاعتقادات ولا يختلف باختلافها فان حقائق الموجودات ثابتة في نفسها سواء اعتقدها الناس أو لم يمتدوها وسواء اتفقت عقائدهم فيها أو اختلفت وإذا اختلف الناس فيها على قولين متناقضين لم يكن كل مجتهد مصيبا بمعنى أن قوله مطابق للمعتقد موافق له لا يقول ذلك عاقل كما تقدم ومن حكى عن أحد من علماء المسلمين سواء كان عبيد الله بن الحسن العنبري أو

غيره أنه قال كل مجتهد في الأصول مصيب بمعنى أن الفواين المتناقضين صاد قان مطابقان . فقد حكى عنه الباطل بحسب وعمره وإذا رد هذا القول وأبطله قد أحسن في رده وإبطاله وإن كان هذا القول المردود لا فائز به ولكن المنازعات والمخالفات في هذا الجنس تشتمل على أقسام وذلك أن التنازع إما أن يكون في اللفظ فقط أو في المعنى فقط أو في كل منهما أو في مجموعهما . فإن كان في المعنى مع اللفظ أو بدونه فلا يخلو إما أن يتناقض المعنيان أو يمكن الجمع بينهما فإن كان النزاع في المعنيين المتناقضين فأحد القوان صواب والآخر خطأ وأما بقية الأقسام فيمكن فيها أن يكون القولان صوابا ويمكن أن يكون الجميع خطأ ويمكن أن يكون كل منهما أو أحدهما صوابا أو من وجه خطأ دون وجهه وحيث كان القولان خطأ وقد لا يكون وإذا لم يكن كفرا فقد يكون فسقا وقد لا يكون . فمن قال إن المتنازعين كل منهما صواب بمعنى الإصابة في بعض الأقسام المتقدمة أو بمعنى أنه لا يعاقب على ذلك فهذا ممكن وأما تصويب المتناقضين فمحال . فانه كثير ما يكون النزاع في المعنى نزاع تنوع لا نزاع تضاد وتناقض فيثبت أحدهما شيئا وينفي الآخر شيئا آخر ثم قد لا يشتركان في لفظ ما فافاه أحدهما وأثبت الآخر وقد يشتركان في اللفظ فيكون التناقض والاختلاف في اللفظ وأما المعنى فلا يختلفان فيه ولا يتناقضان . ثم قد يكونان متفقين عليه يقوله كل منهما وقد يكون أحدهما قاله أو يقوله والآخر لا يتعرض له بأثبت ولا نفي وقد يكون النزاع اللفظي مع اتحاد المعنى لاتنوعه وكثير من تنازع الأئمة في دينهم هو من هذا الباب في الأصول والفروع والقرآن والحديث وغير ذلك . مثال التنوع الذي ليس فيه نزاع لفظي أن يقول أحدهما الصراط المستقيم هو الإسلام ويقول الآخر هو السنة والجماعة ويقول الآخر هو القرآن ويقول الآخر هو طريق العبودية فإن هذا تنوع في الاسماء والصفات التي تبين بها الصراط المستقيم بمنزلة اسماء الله واسماء رسوله وكتابه وليس بينها تضاد لا في اللفظ ولا في المعنى وكذلك إذا قال بعضهم في السابق والمقتصد والظالم أقوالا يذكر فيها كل قوم نوعا من المسلمين ويكون الاسم متناولا للجميع من غير منافاة . ومثال التنوع الذي فيه نزاع لفظي لأجل اشتراك اللفظ كما قيل : أكثر اختلاف العقلاء

من جهة اشتراك الاسماء تنازع قوم في ان محمدا رأى ربه في الدنيا أوفى الآخرة فقال قوم رآه في الدنيا لأنه رآه قبل الموت وقال آخرون بل في الآخرة لأنه رآه وهو فوق السموات ولم يره وهو في الارض والتحقيق أن لفظ الآخرة يراد به الحياة الدنيا والحياة الآخرة ويراد به الدار الدنيا والدار الآخرة ومحمدا رأى ربه في الحياة الدنيا في الدار الآخرة وكذلك كثير ممن يتنازعون في أن الله في السماء أوليس في السماء فالمثبتة تطلق القول بأن الله في السماء كما جاءت به النصوص ودلت عليه بمعنى أنه فوق السموات على عرشه بائن من خلقه وآخرون ينفون القول بأن الله في السماء ومقصودهم أن السماء لا تحويه ولا تحصره ولا تحمله ولا تقله ولا ريب أن هذا المعنى صحيح أيضا فان الله لا تحصره مخلوقاته بل وسع كرسيه السموات والارض والكرسي في العرش كحلقمة ملقاة بأرض فلاة وكذلك ليس هو مفتقرا الى غيره محتاجا اليه بل هو الغنى عن خلقه الحى القيوم الصمد فليس بين المعنيين تضاد ولكن هؤلاء أخطأوا في نفي اللفظ الذي جاء به الكتاب والسنة وفي توهم أن اطلاقه دال على معنى فاسد وقد يعذر بعضهم اذا رأى من أطلق هذا اللفظ وأراد به أن السماء تقله أو تظله واذا أخطأ من عنى هذا المعنى فقد أصاب وأما الاول فقد أصاب في اللفظ لا لاطلاقه ما جاء به النص وفي المعنى الذى تقدم لانه المعنى الحق الذى دل عليه النص لكن قد يخطئ بعضهم في تكفير من يطلق اللفظ الثانى اذا كان مقصوده المعنى الصحيح فان من عنى المعنى الصحيح لم يكفر باطلاق لفظ وان كان مسيئا أو فاعلا أمرا محرما وأما من فسر قوله انه ليس في السماء بمعنى أنه ليس فوق العرش وانما فوق السموات عدم محض فهؤلاء هم الجهمية الضلال المخالفون لاجماع الانبياء ولفطرة العقلاء.

### ﴿ فصل ﴾

ونحن نذكر من ذلك أصولا (أحدها) تأثير الاعتقادات في رفع العذاب والحدود فنقول: ان الاحكام الشرعية التي نصبت عليها أدلة قطعية معلومة مثل الكتاب والسنة المتواترة والاجماع الظاهرة كوجوب الصلاة والزكاة والحج

والصيام وتحريم الزنا والخمر والربا اذا بلغت هذه الأدلة لا مكلف بلاغا يمكنه من اتباعها  
فخالفها تفريطا في جنب الله وتعديا لحدود الله فلا ريب أنه مخطيء آثم وإن هذا  
الفعل سبب لعقوبة الله في الدنيا والآخرة فإن الله أقام حجته على خلقه بالمرسل  
الذين بعثهم اليهم مبشرين ومنذرين ( لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل )  
قال تعالى عن أهل النار ( كما التي فيها فوج سألهم خزنها ألم يأتكم نذير قلوا بلى  
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير )  
وقال تعالى ( وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤا فأنفخت أبواهم وقال  
لهم خزنها ألم يأتكم رسل منكم يقولون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم  
هذا قلوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) . وأما اذا كان في الفعل  
والحادثة والمسئلة العملية نص لا يتمكن المكلف من معرفته ومعرفته دلالاته مثل  
أن يكون الحديث النبوي الوارد فيها عند شخص لم يعلم به المجتهد ولم يشعر بما يدل به  
عليه أو تكون دلالاته خفية لا يقدر المجتهد على فهمها أو لم يكن فيها نص بحال فهذا  
مورد نزاع فذهب فريق من أهل الكلام مثل أبي علي وأبي هاشم والقاضي  
أبي بكر والغزالي الى قول مبتدع يشبه في المجتهدين قول الزنادقة الاباحية في  
المنصوصات وهو أنه ليس لهذه الحادثة حكم عند الله في نفس الامر وإنما حكمه  
في حق كل مكلف يتبع اجتهاده واعتقاده فمن اعتقد وجوب الفعل فهو واجب عليه  
ومن اعتقد تحريمه فهو حرام عليه وبنوا ذلك على مقدمتين احدهما أن الحكم  
أنما يكون بالخطاب فما لا خطاب فيه لا حكم لله فيه فاذا لم يكن للعقل فيه حكم اما  
لعدم الحكم العقلي مطلقا أو في هذه الصورة علم أنه لا حكم فيه يكون من أصابه مصيبا  
ومن أخذه مخطئا ( الثاني ) انه قد علم أن من اعتقد وجوب شيء فعله فعله ومن  
اعتقد تحريمه فعله اجتنابه فالحكم فيه يتبع الاعتقاد . قلوا والاحكام الشرعية  
تختلف باختلاف أحوال المكلفين في اجتهاداتهم وغير اجتهاداتهم بدليل اتفاق  
الفقهاء وأهل السنة على أن الاجتهاد والاعتقاد يؤثر في رفع الاثم والعقاب كاجاءت  
به النصوص وأن الوجوب والتحريم يختلف بالاقامة والسفر والطهارة والحيض  
والعجز والقدرة وغير ذلك فيجوز أن تختلف الاحكام باختلاف الاعتقادات

ويكون الحكم في حق المجتهد عند عدم النص ما اعتقده . هذا ملخص قولهم . وأما السلف والفقهاء والصوفية والعامة وجمهور المتكلمين فعلى انكار هذا القول وأنه مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف بل هو مخالف للعقل الصريح حتى قال أبو اسحاق الاسفراينى وغيره هذا المذهب أوله سفسطة وآخره زندقة يعنى أن السفسطة جعل الحقائق تتبع العقائد كما قدمناه . فمن قال ان الايجاب والتحرير يتبع الاعتقادات قد سفسط فى الاحكام العملية وان لم يكن مسفسطا فى الاحكام العينية وقد قدمنا أنه لم تجر العادة بان عاقلا يسفسط فى كل شىء لا خطأ ولا عمد الاضلا لا ولا عناد الاجهالا ولا تجاهلا . وأما كون آخره زندقة فلا نه يرفع الامر والنهي والايجاب والتحرير والوعيد فى هذه الاحكام ويبقى الانسان ان شاء أن يوجب وان شاء أن يحرم وتستوى الاعتقادات والافعال وهذا كفر وزندقة . وجماع الكلام على هؤلاء فى مقامين ( أحدهما ) امتناع هذا القول فى نفسه واستحالته وذلك معلوم بالعقل ( والثانى ) أنه لو كان جائزا فى العقل لكن لم يرد به الشرع بل هو مخالف له وتعرف مخالفته للنص والاجماع . أما الاول فمن وجوه : ( أحدها ) أنه قد تقدم أن كل علم واعتقاد وحكم لا بدله من معلوم معتقد محكوم به يكون الاعتقاد مطابقا له موافقا سواء كان للاعتقاد تأثير فى وجوده أو لم يكن فان الاعتقادات العملية المؤثرة فى المعتقد مثل اعتقاد أن أكل هذا الخبز يشبع واعتقاد أن أكل هذا السم يقتل . وان كان هذا الاعتقاد يؤثر فى وجود الاكل مثلا فلا بدله من معتقد ثابت بدونه وهو كون أكل ذلك الخبز موصوفا بتلك الصفة . والاكل فان كان معدوما قبل وجوده فان محله وهو الخبز والاكل موجودان فان لم يكن الخبز متصفا بالاشباع اذا أكل والاكل متصفا بأنه يشبع اذا أكله لم يكن الاعتقاد صحيحا بل فاسدا كما لو اعتقد فى شىء أنه رغيف فأكله فاذا هو جص أو جبصين فان اعتقاده وان أقسم به على الاكل فانه لا يشبعه لفساد الاعتقاد وهكذا من اعتقد فى شىء أنه ينفعه أو يضره فان الاعتقاد يدعوه الى الفعل أو الترك ويعينه على ذلك فان كان مطابقا حصلت المنفعة واندفعت المضرة اذا انتفت الموانع والا فجرد الانتفاع بالفعل أو الضرر به لا يوجب حصول المنفعة والمضرة وانما هذا قول بعض جهال

الكفار لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله فيجعلون الانتفاع بالشئ تبعاً لظن المنفعة فيه وقد اعتقد المشركون الانتفاع بالاصنام التي قال الله فيها ( يدعو لمن ضره أقرب من نفعه ) فإذا اعتقد المعتقد أن هذا الفعل مأمور به أمر استحباب يثيب الله عليه ثواب الفعل المستحب أو أمر إيجاب يعاقب من تركه عقوبة العاصي أو اعتقد أن الله نهى عنه كذلك فهو معتقد أما صفة في ربه فقط من الأمر والنهي وهي صفة اضافية للفعل كما يقوله طائفة من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم وأما صفة في الفعل فقط من الحسن والقبح والأمر والنهي كاشفة لذلك كما يقوله طائفة من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم. وإما ثبوت الصفتين جميعاً للأمر والمأمور به كما عليه جمهور الفقهاء وهو أنما يعتقد وجود تلك الصفة التي هي الحكم الشرعي لاعتقاده أنها ثابتة في نفسها موجودة بدون اعتقاده لأنه يطلب باعتقاده أن يثبت للأمر والفعل صفة لم تكن له قبل ذلك إذ ليس لاحد من المجتهدين غرض في أن يثبت للأفعال أحكاماً باعتقاده ولا أن يشرع ديناً لم يأذن به الله وإنما مطلوبه أن يعتد حكم الله ودينه ولأله مقصود أن يجيء إلى الأفعال المتساوية في ذاتها وفي أمر الله فيعتقد في أحدها الوجوب على نفسه وفي الآخر التحريم من غير سبب تختص به الأفعال فهذا موضع ينبغي تدبره فإن المؤمن الطالب لحكم الله إذا علم أن تلك الأفعال عند الله سواء لم يميز بعضها عن بعض بأمر ولا نهى وهي في أنفسها سواء لم يميز بعضها عن بعض بحسن ولا سوء ولا مصلحة ولا مفسدة فإن هذا الاعتقاد منه موجب لاستوائها وتماثلها فاعتقاده بعد هذا أن هذا واجب ينم تاركه وهذا حرام يعاقب فاعله متناقض في العقل وسفسطة وكفر في الدين وزندقة : أما الأول فلا أن اعتقاد التساوي والتماثل يناقض اعتقاد الرجحان والتفضيل فضلاً عن وجوب هذا وتحريم هذا فكيف يجمع العاقل بين الاعتقادين المتناقضين إلا أن يكون أخرق كافراً فيقول أنا واجب هذا وأحرم هذا بلا أمر من الله ولا مرجح لاحدهما من جهة العقل فإذا فعل هذا كان شارعاً من الدين لما لم يأذن به الله وهو مع هذا دين معلوم الفساد بالعقل حيث جعل الأفعال المستوية بعضها



واجب وبعضها محرم بلاسبب بوجوب التخصيص الا محض التحكم الذي لا يفعله حيوان أصلاً لا عاقل ولا مجنون اذ لو فرض اختصاص أحد الفيلين لشهوة أو لذة أمكن أن يقال تلك جهة توجب الترجيح وهي جهة حسن عند من يقول بالتحسين العقلي فيجب لذلك والفرض انتفاء ذلك جميعه وإذا انتفى ذلك كله علم أن اعتقاد حسن الفعل وقبحه ووجوبه وتحريمه يتبع أمراً ثابتاً في نفسه يكون مطابقاً له أو غير مطابق وإذا كان كذلك فالاعتقاد المطابق صواب والاعتقاد المخالف ليس بصواب لان الحكم يتبع الاعتقاد من كل وجه (الثاني) أن الطالب المستدل بالدليل ليستبين له الأحكام هو يطلب العلم بمدلول الدليل فان لم يكن للدليل مدلول وإنما مدلول الدليل يحصل عقب التأمل لم يكن مطلوبه العلم بالمدلول وإنما مطلوبه وجود المدلول وليس هذا شأن الأدلة التي تبين المدلولات وإنما هو شأن الأسباب والعلل توجد المسببات وفرق كثير بين الدليل المقنض للعلم القائم بالقلب وبين العلم المقنض للوجود القائم في الخارج فان مقنض الأول الاعتقاد الذهني ومقنض الثاني الوجود الخارجي وأحد النوعين مبين الآخر \*

### ❦ فصل ❦

وأما الأحكام والأعتقادات والأقوال العملية التي ينبعها المحكوم فهي الأمر والنهي والتحسين والتفبيح واعتقاد الوجوب والتحريم ويسميتها كثير من المتفقهة والمنكلمة الأحكام الشرعية وتسمى الفروع والفقه ونحو ذلك وهذه تكون في جميع الملل والاديان وتكون في الأمور الدنيوية من السياسات والصناعات والمعاملات وغير ذلك وهي التي قصدنا الكلام عليها في هذه القاعدة حيث قلنا إن الاعتقادات قد تؤثر في الأحكام الشرعية فهذه أيضاً للناس فيها طرفان ووسط : الطرف الاول طرف الزنادقة الاباحية الكافرة بالشرائع والوعيد والعقاب في الدار الآخرة الذين يرون أن هذه الأحكام تتبع الاعتقاد مطلقاً والاعتقاد هو المؤثر فيها فلا يكون الشيء واجباً إلا عند من اعتقد تحريمه ويرون ان الوعيد الذي يلحق هؤلاء هو عذاب نفوسهم بما اعتقدوه من الأمر والنهي

والإيجاب والتحریم وما اعتقدوه من أنهم إذا فعلوا المحرمات وركبوا الواجبات عذبوا وعوقبوا فيبقى في نفوسهم خوف وتألّم وتوهم للعذاب وتخيل له فيزعمون أن هذا الالم الناشئ عن هذا الاعتقاد والتخيل هو عقابهم وعذابهم وذلك ناشئ عما اعتقدوه كمن اعتقد أن هنا أسدا أو لصا أو قاطع طريق من غير أن يكون له وجود فيتألم ويتضرر بخوفه من هذا المحذور الذي اعتقده. فاجتمع اعتقاد غير مطابق ومعتقد يؤلم وجوده فتألمت النفس بهذا الاعتقاد والتخيل وقد يقول حذاق هؤلاء من الامة العيلية والقرامطة وقوم يتصوفون أو يتكلمون وهم غالبية المرجئة ان الوعيد الذي جاءت به الكتب الالهية انما هو تخويف للناس لتزجر عما نهيت عنه من غير أن يكون له حقيقة بنزلة ما يخوف العقلاء الصبيان والبله بما لاحقيقة له لتأديبهم وبمنزلة مخادعة المحارب لعدوه اذا أوممه أمرا يخافه لينزجر عنه أوليتمكن هو من عدوه وغير ذلك. وهؤلاء هم الكفار برسل الله وكتبه واليوم الآخر المنكرون لامره ونهيه ووعدته ووعيده وما ضربه الله في القرآن من الامثال وقصه من أخبار الامم المكذبة للرسل فهو متناول لهؤلاء ويكفي ما عاقب الله به أهل الكفر والفسوق والعصيان في الدنيا من أنواع المثلثات فانه أمر محسوس مشاهد لا يمكن دفعه وما من أحد الا قد سمع من ذلك أنواعا أو رأى بعضه وأهل الارض متفقون على أن الصادق البار العادل ليس حاله كحال الكاذب الفاجر الظالم بل يرون من ثواب الحسنات وعقوبة السيئات ما فيه عبرة ومزدرج كما كانوا عليه في الجاهلية قبل الرسل فلما جاءت الرسالة بوعيد الآخرة بين ذلك ما كان الناس عنه غافلين. الطرف الثاني طرف الغالبية المتشددين الذين لا يرون للاعتقاد أثرا في الافعال بل يقول غاليتهم كقوم من متكلمة المعتزلة ان الله حكما في كل فعل من أخطائه كان آتيا معاقبا فيرون المسلم العالم المجتهد متى خفي عليه دليل شرعى وقد اجتهد واستفرغ وسعه في طلب حكم الله أنه آثم معاقب على خطئه فهذا قولهم في الاجتهاد والاعتقاد ثم اذا ترك واجبا أو فعل محرما قالوا بنفوذ الوعيد فيه فيوجبون تخليد فساق أهل الملة في النار وهذا قول جمهور المعتزلة والخوارج ولكن الخوارج يكفرون بالذنوب الكبير أو الصغير عند بعضهم. وأما المعتزلة فيقولون

هو في منزلة بين منزلتين لا مؤمن ولا كافر. وأما الامة الوسط فعلى ان الاعتقاد قد يؤثر في الاحكام وقد لا يؤثر بحسب الادلة والاسباب كما ان ذلك هو الواقع في الامور الطبيعية فلاغذية والادوية قد يختلف حكمها بحسب اعتقاد الطبيب والمتداوى وقد لا يختلف وقد يعتقد الانسان في الشيء صفة نافعة أو ضارة فينتفع به أو يتضرر وان لم يكن كذلك وقد يعتقد ذلك فلا يؤثر فلو اعتقد في الخبز واللحم أنه غير مشبع لم يؤثر ذلك بل هو مشبع ولو اعتقد ضد ذلك \*

### ﴿ فصل ﴾

مذاهب الأئمة تؤخذ من أقوالهم. وأما أفعالهم فقد اختلف أصحابنا في فعل الامام أحمد هل يؤخذ منه مذهبه على وجهين ( أحدهما ) لا لجواز الذنب عليه أو أن يعمل بخلاف معتقده أو يكون عمله سهوا أو عادة أو تقليدا أو لسبب ما غير الاعتقاد الذي يقى به فان عمل المرء بعمله في كل حادثة والا يعمل الا بعلم يقى به في كل حادثة تفنقر الى أن يكون له في ذلك رأى وأن يذكره وأن يكون مريدا له من غير صارف اذ الفعل مع القدرة يقف على الداعي والداعي هو الشعور وميل القلب ( والثاني ) بل يؤخذ منه مذهبه لما عرف من تقوى أبي عبد الله وورعه وزهده فانه كان من أبعد الناس عن تعدد الذنب وان لم ندع فيه العصمة لكن الظاهر والغالب أن عمله موافق لعلمه فيكون الظاهر فيما عمله أنه مذهبه وهكذا القول فيمن تغلب عليه التقوى والورع وبعضهم أشد من بعض فكل ما كان الرجل أتقى لله وأخشى له كان ذلك أقوى فيه. وأبو عبد الله من أتقى الامة وأعظمهم زهدا وورعا بل هو في ذلك سابق ومقدم كما تشهد به سيرته وسيرة غيره المعروفة عند الخاص والعام وكذلك أصحاب الشافعي لما رأوا نصه أنه لا يجوز بيع الباقل الا خضر ثم انه اشتراه في مرضه فاختلف أصحابه هل يخرج له في ذلك مذهب على وجهين وقد ذكروا مثل هذا في اقامة جمعيتين في مكان واحد لما دخل بغداد فاذا قلنا هو مذهب الامام احمد فهل يقال فيما فعله انه كان أفضل عنده من غيره هذا أضعف من الاول فان فعله يدل على جوازه فيما ليس من

تعبداته واذا كان متعبدا به دل على انه مستحب عنده أو واجب. أما كونه أفضل من غيره عنده فيفتقر الى دليل منفصل وكثيرا ما يعدل الرجل عن الأفضل الى الفاضل لما في الأفضل من الموانع وما يفتقر اليه من الشروط أو لعدم الباعث واذا كان فعله جائزا أو مستحبا أو أفضل فانه لا عموم له في جميع الصور بل لا يعتمدى حكمه الا الى ما هو مثله فان هذا شأن جميع الافعال لا عموم لها حتى فعل النبي صلى الله عليه وسلم لا عموم له. ثم يقال فعل الأئمة وتركهم ينقسم كما تنقسم أفعال النبي صلى الله عليه وسلم تارة يفعل على وجه العبادة والتدين فيدل على استحبابه عنده وأما رجحانه ففيه نظر. وأما على غير وجه التعبّد ففي دلالة الوجهان فعلى هذا ما يذكر عن الأئمة من أنواع التعبّدات والتزهدات والتورعات يقف على مقدمات (أحداها) هل يعتدّ حسنّها بحيث يقوله ويفتي به أو فعله بلا اعتقاد لذلك بل تأمّيا بغيره أو تأمّيا على الوجهين كالوجهين في المباح (والثانية) هل فيه ارادة لها توافق اعتقاده فكثيرا ما يكون طبع الرجل يخالف اعتقاده (والثالثة) هل يرى ذلك أفضل من غيره أو يفعل المفضول لاغراض أخرى مباحة والاول أرجح (والرابعة) أن ذلك الرجحان هل هو مطلق أو في بعض الاحوال والله أعلم •

تمت الرسالة الثامنة ويلها الرسالة التاسعة ان شاء الله تعالى



# الرسالة التاسعة

## ﴿ في السماع والرقص ﴾

جمعه الشيخ محمد بن محمد المنيجي الحنبلي من كلام الأئمة والعلماء المفسرين  
وقد قلت هذه النسخة عن أصل مسودته رحمه الله تعالى

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضى الله  
عنه عن صفة سماع الصالحين ماهو وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو  
من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح \*  
فاجاب: الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد  
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم \* أصل هذه المسئلة أن يفرق  
بين السماع الذى ينتفع به فى الدين وبين ما يرخص فيه رفعا للحرص وبين سماع  
المتقربين وسماع المتلعبين. فأما السماع الذى شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من  
الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع  
آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة فان الله تعالى لما  
ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام فى قوله ( أولئك الذين أنعم الله عليهم  
من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن  
هدينا واجتبتنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ) وقوله تعالى ( انما  
الؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا  
وعلى ربهم ينوكلون ) وقوله تعالى ( ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم

يجرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويجرون للاذقان ييكون ويزيدهم خشوعا ) وقوله تعالى ( واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ) وبهذا السماع أمر الله تعالى في قوله ( واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ) وعلى أهله أني تعالى كما في قوله تعالى ( فيشر عبادي الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه ) وقال تعالى في الاخرى ( أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ) فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا بسماعه وقال تعالى ( كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ) وكما أني تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى ( واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعا كأن في أذنيه وقرا ) وقال تعالى ( وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ) وقال تعالى ( وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا ) وقال تعالى ( فإلهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ) وقال تعالى ( وقالوا قلوبنا في أكنة مما دعونا اليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب ) وقال تعالى ( واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ) وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذلك . وعلى هذا السماع كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر يقول لابي موسى ذكركنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون \*

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « أقرأ على قال قلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمع من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الى هذه الآية ( فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) قال حسبك فاذا عيناها تدرقان » \*

- الاسراء ١٠٧ - ١٠٩
- المائدة ٨٣
- الاعراف ٢٠٤
- الزمر ١٧ - ١٨
- محمد ٢٤
- ص ٢٩
- لقان ٧
- فصلت ٢٦
- الفرقان ٣٠
- ١٠ - الدثر ٤٩ - ٥١
- ١١ - فصلت ٥
- ١٢ - الاسراء ٤٥ - ٤٦
- ١٣ - النساء ٤١

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما قال تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ) والحكمة هي السنة وقال تعالى ( قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَاهُ كُلَّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَتَوْا الْقُرْآنَ مِنْ أَعْتَدِي فَأَنِمْ يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى ( يابني آدم أما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) وكذلك يخرج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى ( يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا ) الآية وقال تعالى ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ) الآية \*

وقد أخبر الله تعالى أن الملتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمرض ضال شقي قال الله تعالى ( فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى ) الآية وقال تعالى ( ومن يش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ) \*

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي أنزله الله كما قال تعالى ( وهذا ذكر مبارك أنزلناه ) وقال تعالى ( أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ) وقال ( يابنيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ) وقال تعالى ( ما يأتينهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ) وقال تعالى ( وانه لذكر لك ولقومك ) وقال تعالى ( إن هو إلا ذكر للعالين ) وقال تعالى ( وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو إلا ذكر وقرآن مبين ) وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والاحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشمار الجلود وهذا

٢ - النمل ٩١ - ٩٢

٣ - الأعراف ٣٥

٤ - الأنعام ١٢٠

٥ - الزمر ٧١

٦ - طه ١٢٢ - ١٢٥

٧ - الزخرف ٣٦

٨ - الأنبياء ٥٠

٩ - الأعراف ٦٣

١٠ - الحجر ٦

١١ - الأنبياء ٢

١٢ - الزخرف ٤٤

١٣ - التكاوير ٢٧

١٤ - يس ٦٩

مذكورة في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب الصراخ والاغناء والموت في التابعين \*

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلاغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضلّ وشق \*

وأما سماع المكاء والتصدية فالتصديق بالأيدي والمكاء مثل الصغير ونحوه فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله ( وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ) فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصديق باليد والتصويت باليد قرينة وديننا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسننه والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في مسألة السماع في صفة التصوف ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف ان النبي صلى الله عليه وسلم أنشده اعرابي

قد لسمعت حية الهوى كبدي \* فلا طيب لها ولا راق

الا الحبيب الذي شغفت به \* فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم فقال مهلا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا حديث آخر يزكرون فيه انه لما بشر الفقراء بسبقهم للاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا أنوبهم وان جبريل نزل من السماء فقال يا محمد ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زبق الفقراء \* وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الايمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم



حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه . ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتبه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا إياه فقال يارب ألم تأمرنى أن لأفشيهِ فقال أمرتك أنت أن لا تنفسيهِ ولكن أنا أعلمتهم به ونحو هذه الأحاديث التي يروها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام وبينون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها تارة يسقطون التوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقا وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقا وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقا عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكنهم يقولون لا تسقط الوساطة الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أ كفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقا عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أ كفر من جهة اسقاط السفارة مطلقا بل أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الى الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه الا خيالات ووساوس وظنون القاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله وتارة يجعلون هذه الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعل الملاحدة والقراءة والباطنية وتارة يجعلونه حجة في الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهم اولياء \*

وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الايات الملعنة مع ضرب بالا كف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبيح لاحد أن يخرج عن متابعتة واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لافى باطن الأمر ولا فى ظاهره لا لعامى ولا لخاص ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم فى انواع من الالهى فى العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضررن بالدف فى الاعراس والافراح وأما

الرجال على عهدته فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت  
 عنه في الصحيح انه قال أما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال . ولعن التشبهات من  
 النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف  
 والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك محنثا ويسمون الرجال  
 المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم ﴿ومن هذا الباب﴾ حديث عائشة رضي الله  
 عنها لما دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان  
 بما تقاولت به الأنصار يوم بعث قال أبو بكر أبزمور الشيطان في بيت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنه مقبلا بوجهه الى  
 الحائط فقال دعهما يأبأ بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام ففي  
 هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه  
 الاجتماع عليه ولهذا ساء الصديق أبو بكر رضي الله عنه مزمار الشيطان والنبي  
 صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى عليه معللا ذلك بانه يوم عيد والعصاة يرخص  
 لهم في اللعب في الاعياد كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحا وكما  
 كان لعائشة لعب تلعب بهن وتجيء صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها  
 وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع الى ذلك والامر والنهي  
 اما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية فانه اما يتعلق بقصد الرؤية لانها  
 يحصل منها بغير الاختيار كذلك في اشتها الطيب اما ينهى المحرم عن قصد الشم  
 فاما اذا شم مالا يقصده فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس  
 الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس اما يتعلق الامر والنهي في ذلك  
 بما للعبد فيه قصد وعمل وأما ما يحصل بغير اختياره فلا امر فيه ولا نهي وهذا مما  
 وجه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي صلى الله عليه  
 وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال هل تسمع حتى اتقطع الصوت  
 فان من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجواب  
 بان ابن عمر لم يكن يستمع وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله  
 عليه وسلم عدل طلبا للأكل والافضل كن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون

بكلام محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأنم بذلك اللهم  
الا أن يكون في سماعه ضرب ديني لا يندفع الا بالسد \*

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع هل هو  
محظور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن  
يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الربابات لصالح القلوب والتشويق الى المحبوب  
والتخويف من المهرب والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب  
به النعمة ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلى به مشاهد أهل العرفان حتى  
يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه  
وحتى يجملونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا للنفوس يحموها على المسير الى  
الله عز وجل ويحثها على الأقبال عليه ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لا يجب  
القرآن ولا يفرح به ولا يحمد في سماع الآيات كما يحمد في سماع الايات بل  
اذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية والسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل المكاء  
والتصدية خشعت الاصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت  
المشروب فن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه بما كان النساء يفنين  
به في الأعياد والأفراح لم يكن قد اهتدي الى الفرق بين طريق أهل الخسارة  
والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال  
المقرين والمقتصدين ومن أعمال أهل اليقين ومن طريق المحبين المحبوبين ومن  
أفعال السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن  
علم الكلام المختلف فيه هل هو محمود أو مذموم فاخذ يتكلم في جنس الكلام  
وانقسامه الى الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح  
الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لا يمس الحل المشتبه المتنازع فيه واذا عرف هذا  
فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن  
ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة  
من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب وإنما  
حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الائمة أنكروه فقال الشافعي

خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هرون ما يغير الا فاسق ومتى كان التغيير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل أتجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه واكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل ابن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهلهم كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعي رضى الله عنه انه من إحداث الزنادقة من كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدع اليه في الاصل الا من هو منهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسئلة السماع عن ابن الراوندي أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فاباحه قوم وكرهه قوم وأنا أوجهه أو قال أمر به فخالف اجماع العلماء في الامر به وأبو نصر الفارابي كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه الموسيقى وله فيه طريقة معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فابكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج . وابن سينا ذكر في اشاراته في مقامات العارفين من التروغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كارسطو وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس وثامسطيوس والاسكندر الافروديسي وكان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلفوس المقدوني الذي توارخ له اليهود والنصارى وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وأما ذوالقرنين المذكور في القرآن الذي بنى السد فكان قبل هؤلاء بزمان طويل وأما الاسكندر الذي وزر له ارسطو فانه انما بلغ بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل الى السد وهذه الأمور مبسوسة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبتها من كلام سلفه اليوناني وما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشيء من كلام الصوفية

حقيقته تعود الى كلام اخوانه الائمة عليية القرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من أتباع الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافقي الأئمة الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليوناني التي هي تعاليم ارسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء ففي هذه الطوائف من يرغب لله ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به الاخلاق \*

وأما الخنفاء أهل ملة ابراهيم الخليل الذي جملة الله للناس إماما وأهل دين الاسلام لا يقبل الله من أحد ديناً غيره المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً فهو لا يسميهم من يرغب في ذلك ولا يدعو اليه وهو لا هم أهل القرآن والايمان والهدى والرشاد والسعد والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والأخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والابانة اليه \*

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة ومن له نصيب في المحبة لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته كما أدخل قوم من الفقهاء أهل الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في انواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الاسلام ظناً منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته فان القيام بحقائق الدين علماً وقولاً وعملاً وذوقاً وخبرة لا يستقل به أكثر الناس ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وقد قال تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ) وقال تعالى ( وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ ( وان هذا صراطي مستقيماً ) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكياء والتصديقية لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفي ضمن ذلك من

الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس أعظم ما تفعله حميا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكرًا أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدم ذلك عن ذكر الله أغنى الصلاة أعظم مما يصدم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضًا من غير مس بيد بل بما يقترون بهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجنى على لسان المصروع اما بكلام من جنس كلام الاعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم واما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط فان الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط احساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء واما يلبس أحدهم الشيطان مع تغييب عقله كالمصروع وبالمغرب ضرب من الزط يقال لاحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ويفعل أشياء أبغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لا خلاق لهم والجن تخطف كثيراً من الانس وتغييبه عن أبصار الناس وتطير به في الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون الى بعض الشيوخ اذا حصل لهم وجد سماعي عند سماع المكاء والتصديعة منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد الحمي بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الأفعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لان هذه عبادات شرعية ايمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين \*

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً يقرب

الى الجنة الا وقد حدث به ولا شيئاً يبعد عن النار الا وقد حدث به وان هذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فان الله يقول (اليوم اكملت لكم دينكم) الآية. واذا وجد السامع به منفعة اقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت اليه كما ان الفقيه اذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت اليه \*

وفصل النزاع في حكم مسألة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الايمان والساوك فن لم يبين عليها فبناؤه على شفا جرف هار \*

﴿ القاعدة الأولى ﴾ ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو متحاكم اليه فهذا مذهباً ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون اليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الأذواق والحال والمواجيد فعمم الفساد وطمست معالم الايمان والساوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات الى شهوات أكبر منها ومن حظوظ الى حظوظ أعظم منها وكان حالمهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكل وخير من هؤلاء لانهم لم يمارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قرينة وديننا واقفون مع حظوظهم من الله فاقنن بها عن مراد الله وانما زهدوا في حظ الى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة فليتبذر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل ما خالف مراد الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ذوقاً كان أو حالاً أو وجداً أولاً أو صورة ونحو ذلك فن قدمه على مراده فهو أسوأ حالاً ممن يعترف انه يعصى ويحبه وان مراد الله أولى بالتقديم منه وانه ذنب تجب التوبة منه \*

﴿ القاعدة الثانية ﴾ انه إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الأساس ومن لم يبين على هذا الأصل فعله وسلوكه ليس على شيء \*

( القاعدة الثالثة ) \* اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته ونموته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجعة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسبابها اذا كان طريقه مفضيا الى ما يفضيه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الابرة من المسكر لانه يشوق النفس الى المسكر الذي يشوقها الى المحرمات ثم يبيح ما هو أعظم منها شوقا للنفس الى المحرم بكثير فان الغناء كما قال ابن مسعود هو رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاناه صبي الا وفسد ولا امرأة الا وبغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور

وقال شيخ الاسلام بن تيمية فصل الخطاب في هذا الباب ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيح فاتهم ينشدون أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماح تلك الأشعار مباح وفي معنى هؤلاء الغزاة فاتهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو وفي هذا المعنى انشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لحاديه رويك سوقا بالقوارير . وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع  
بيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استنقلت بالمشركين المضاجع  
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قل واقع  
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد  
يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم \*

وقال الشيخ في موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعي قولين ولم يذكرهما عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعا وذكر زكريا ابن يحيى الساجي وهو أحد الأئمة المتقدمين من المائلين الى مذهب الشافعي انه لم



يخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقعت به لان بعض أهل المدينة كان يحضر السماع الا أن هذا ليس قولاً عنهم ووقعتهاهم\*

وقال شيخ الاسلام أيضاً وجماع الامر في ذلك أنه اذا كان الكلام في السماع وغيره هل هو طاعة وقرينة فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك اذ لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وانهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) وقال تعالى ( واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ) الآية \*

قال أبو سليمان الداراني انه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضاً ليس لنا شيء من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نوراً على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم في علمنا. وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالبدعة \*

وقال أبو الفرج بن الجوزي اعلم ان سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهم القلب عن التفكير في عظمة الله تعالى والقيام بخدمته والثاني أن يميله الى اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا في المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يبحث على الزنا فيبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس \*

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكارا لذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن آدم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أبي البيان والشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهي عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والامكان والخللان والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنييد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع قن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك انه مجمل ليس فيه تفصيل فان الابيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والمجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل والالوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبيان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب النسوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة اذ هييج القاطن أنار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجعة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما أما كبيرا ومنافع للناس وانهما أكبر من نفعهما فلماذا لم فأت به الشريعة فان الشريعة لم تأت الا بالمصلحة الخالصة أو الراجعة وأما ما تكون مفسدته غالبية على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يمرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك انه يهيج الوجد المشترك فيثير من النفس كوامن تضره آثارها ويفضي النفس ويقيتها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا يلتذ به ولا يستطيعه بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واستئثار به كمن يستنقل نفسه بتعلم التوراة والانجيل وعلوم أهل الكتاب والصائين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله الى أشياء أخرى يطول ذكرها

فلما كان هذا السماع لا يعطى بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الاحوال والمعارف

بل قد يصد عن ذلك ويعطى ما لا يحبه الله ورسوله بل ما يفيضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الامة ولا أعيان مشايخها \*  
والصوت يؤثر في النفس بحسب الاوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا واذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس اذا سكرت بالصور والجسد اذا سكر بالطعام والشراب فان السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذي صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العماوة والبغضاء \*  
وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من الائمة بل قال الله تعالى (ولا تمش في الارض مِرْحَا) والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار \*

وانما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزفن والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن الم شروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه سلم اليه ذلك كما تقدم فاما الذي اذا تكلف من الاسباب ما لم يؤمر به مع علمه بانه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وأنا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة من ذوى الاحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصارى والمشركين ببعض ما لهم من الاحوال ومن كان كاذبا فهو منافق ضال \*

فصل في وقد استدلل قوم على اباحة السماع بامور أخلصها لك: منها انه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار لا ينام حتى تحمله القائمة بامرهم والابل تقامى تعب السير ومشقة الحولة فيبون عليها بالهداء \*

١ - الاسراء ٣٧

٢ - لقمان ١٩

٣ - الفرقان ٢٢

ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه وقد يستدلون عليه بقوله تعالى (يزيد في الخلق ما يشاء) وبأن الله تعالى ذم الصوت الفظيع فقال (ان أنكر الاصوات لصوت الحير) \*

ومنها ان الله وصف أهل الجنة انهم في روضة يجبرون وان ذلك هو السماع الطيب فكيف يكون حراما وهو في الجنة \*

ومنها ما ثبت ان الله تعالى ما أذن لشيء كاذبه أى كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن \*

ومنها أن أبا موسى الاشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتى هذا زممارا من زمائر آل داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبير أى زينته وحسنه \*

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن. والصحيح انه من التغنى وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويفضده مفسره الامام أحمد فقال بحسن صوته ما استطاع \*

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لابي بكر دعها فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام \*

ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماه لهوا \*

ومنها أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه \*

ومنها أنه كان يسمع انشاد الصحابة وكأوا يرتجزون بين يديه في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

ودخل مكة والمزج يرتجزون بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدايه الحادى

في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله ما اعتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الاولى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا لقائله

ومنها أنه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه  
ومنها أنه استنشد الاسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد من شعر  
أمية ابن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الاعشى شيئاً من شعره فسمعه  
ومنها أنه صدق ليبيدا في قوله

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس ما دام ينافع عنه وكان يعجبه  
شعره وقال له اهجم وروح القدس معك وأنشدت عائشة رضي الله عنها قول  
أبي كثير المذلي \*

واذا نظرت الى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها \*

ومنها أنهم ادعوا أنه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وأهل  
المدينة وبان كذا وكذا ولي الله حضروه وسمعوه فمن حرمه فقد قدح في هؤلاء  
السادة القدوة الاعلام \*

ومنها ان اجماع العلماء منعقد على اباحة أصوات الطيور المطربة الشجية فلذة  
سمع صوت الآدمي أولى بالاباحة أو مساوية وبان السماع بمحذور روح السامع  
وقلبه الى نحو محبوه فان كان محبوه حراما كان السماع معينا له على الحرام وهو  
حرام في حقه وان كان مباحا كان السماع في حقه مباحا وان كانت محبته رحمانية  
كان السماع في حقه قرينة وطاعة لانه يحرك المحبة الرحمانية ويهيئها وبان التذاد  
الاذن بالصوت الطيب كالتذاد العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة والذوق  
بالطعم الطيب فاذا كان هذا حراما كانت هذه اللذات والادرا كالتحريم \*

والجواب عن ذلك والله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الاسلام ابن  
تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهما كفاية وما ذكره حيد عن المقصود وروغان عن  
محل النزاع فان جهة كون الشيء مستلزما للحاسة ملائما لها لا يدل على اباحتها ولا  
تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة تكون في أحكام التكليف  
الحسية فكيف يستدل بها على الاباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال

وهل هذا الا بمنزلة من يستدل على اباحة الزنا بما يجد به فاعله من الازدة ولذته لا ينكرها ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود الهذة الملائمة على حل اللذيق الملائم أحد وهل خلت غالب المحرمات من اللذات وهل أصوات المعازف التي صنع عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها وان في أمته من يستحلها باصح الاسانيد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم جملتها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة يعني اذا كان معه آلة لهو وهل في التذاذ الابل والطفل بالصوت الطيب دليل شرعى من اباحة أو تحريم . وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بان الله تعالى خلق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطى حسناتها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الإطلاق وهل هذا الا مذهب أهل الاباحة الجارين على رسوم الطبيعة ولعل في ذم الله لصوت الحمار ما يدل على اباحة الاصوات المطربات بالنغمات الموزونات والالحان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع القصائد المستحسنات بالدخول والشبابات ماذا من المضحكات المعجبات وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يجبرون فما يخاف صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة الخمر بان في الجنة خمرا وعلى اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة الحرير وعلى حل أواني الذهب والفضة والتحلل بها للرجال فان هذا كله مباح لاهل الجنة \*

فان قيل قلم الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع قيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة فلم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع فيقال أى السماعات تنفى وأي المسموعات تريد فان منهما المحرم والمكروه والمباح والواجب والمستحب فمبين نوعا يقع الكلام فيه فنيا واثباتا \*

فان قلت سماع القصائد ما مدح الله به ورسوله وكتابه وهجى به أعداؤه فهذه لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويدرسونها وهي التي سمعها الرسول وأصحابه وأتباعها وحرض حسان عليها وهي التي غرت أصحاب السماع الشيطاني

فقالوا تلك قصائد ويكنى هذا والسنة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام ولكن هل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا المشتغل على قريب من مائة مفسدة ونظير هذا ما استدلوأ به على أن الرسول استحسّن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبي موسى الأشعري وغيره فنقلوا هذا الاستحسان إلى صوت النسوان والمردان وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصنوج والشبابات والاوزار وغير ذلك من الماعازف وذكر القدود والثغور والنهود والخصور ووصف فواتر العيون وسوادهاوسواد الشهور ومحاسن الشباب وحرمة الحدود وذكر الوصل والصد والتجنّي والمهجران والعتاب والاستعطاف والاشتياق والقلق والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر وأى نسبة لسكر يوم ونحوه إلى سكرة العشق التي لا يستفيق صاحبها إلا في عسكر المالكين أسيرا قتيلا حزينا. وهل تقاس سكرة الشراب إلى سكرة الأرواح بالسماع فإن نازع منازع في سكر السماع وتأثيره في العقول والأرواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت مكابرة القوم فكيف يحصى الطبيب والمريض عما يشوس عليه صحته ويبسح له مافيه أعظم السقم والكلام مع من وجد لامن قد وأعجب من هذا من استدل على إباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية اجتماع البنّين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بايات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الاخلاق والشيم فأين هذا من هذا والمعجب أن هذا من أكبر الحجج عليهم فإن الصديق سعى ذلك زممار الشيطان وأقره على هذه التسمية مرخصا فيه لجويزتين غير مكلفتين ولا مفسدة في إنشاده ولا في استماعه أفيدل هذا على إباحة ما يفعلونه من السماع اليوم وأعجب من هذا كله الاستدلال على إباحته بما سمعه الرسول من الحدو المشتغل على الحق والتوحيد وهل حرم أحد مطلق الشعر وقوله واستماعه وأعجب استدلالهم بإباحته على إباحة أصوات الطيور اللذيذة وهل هذا الا من جنس قياس الذين قالوا إنما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور إلى نغمات النسوان والمردان والاوزار والعيدان والغناء منهن بما يحدو الأرواح والقلوب إلى مواصلة كل محبوبة ومحبوب وأين

الفتنه بمن هو من جنسك الى الفتنة بصوت القمري والبلبل والهازار والشحرور ونحوها وأعجب من هذا من قال انه من أنكره فقد أنكر على كذا وكذا ولي الله فحجة عامية نعم ينكر أولياء الله على أولياء الله فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله في سفين بالسيوف ولما سار بعضهم الى بعض كان يقال سار أهل الجنة الى الجنة وكون ولي الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصيا لا يمنع ذلك الانكار عليه ولا يخرج من أصل ولايته لله وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي تفتن القلوب أعظم فتنة \*

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق بن موسى الطباع سألت مالكاً عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال إنما يفعله عندنا الفساق وهذا النص عن مالك معروف في كتب أصحاب مالك مشهور وهم أعرف بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لا علم لهم بمذاهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك أنه ضرب بعود قد افتري عليه وإنما نهت على هذا لأن فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك حكايات وآثاراً يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيه من الخير والزهد والدين والتصرف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق مقصوده كل ما يجده ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له وبعض الناس توقف في روايته حتى أن البيهقي كان إذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة عنه فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم إذا صنفوا

(٢٤٨ - ج ٣ مجموعة الرسائل المنيرة)



في باب ذكره وماروى من غث وThin ولم يميزوا بين ذلك اه كلامه \*

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكره وماروى فيه من غث وThin ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن يصنف في الابواب مثل المصنفين في فضائل الشهور والاوقات وفضائل الاعمال والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الايام والليالى صلاة يوم الاحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة في رجب والى أول رجب ونصف شعبان وإحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديثه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب أنه كان يضرب أيدي الناس في رجب حتى ينفطروا ويقول لا تشبهوه بـرمضان وكذا كره افراده بالصوم غير واحد من السلف والأئمة وأجود ما يروى من هذه الصلوات حديث صلاة النسيح وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ومع هذا فلم يقل به أحد من الأئمة الاربعة بل الامام أحمد ضعف الحديث وقال لا يصح ولم يستحب هذه الصلاة. وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشيء مثل الصلاة المرفوعة فان تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا يخالف الاصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر الاصول علم انه موضوع. وأما سائر هذه الاحاديث فانها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة باتفاق أهل المعرفة مع انها توجد في مثل كتاب أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتاب الشيخ عبد القادر وتوجد في مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص ابن شاهين وعبد العزيز الكنانى وأبو علي بن البناء وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج ابن الجوزى ذكر مثل هذا في كتاب فضائل الشهور ويذكر في الموضوعات انه كذب موضوع \*

والذين جمعوا الاحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ما روى في هذا الباب ومن أجل ما صنف في هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك وفيه أحاديث واهية وكذلك كتاب الزهد لهناد بن السري ولوكيع وكذلك الزهد لاسد بن موسى وغيرهم وأجود ما صنف في ذلك كتاب الزهد للإمام أحمد لكنه مرتب على الاسماء وزهد ابن المبارك على الابواب وهذه الكتب يذكر فيها زهد الانبياء والصحابة والتابعين. ثم ان المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهد المتقدمين والمتأخرين كابن نعيم في الحلية وأبي الفرج في صفة الصفوة ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيري في رسالته ثم الحكايات التي يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن خميس الموصلي وأمثاله يذكرون حكايات مرسله بعضها صحيح وبعضها باطل قطعا والله أعلم \*

وقال الشيخ رحمه الله والمقصود هنا ان المذكور عن سلف الامة وأئمتهم من المنقولات ينبغي للانسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغي مثل ذلك في المعقولات والنظريات وكذلك في الاذواق والمواجيد والمكاشفات والمخاطبات فان كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجميع ذلك أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فان الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) الآية \*

﴿فصل﴾ وأما من زعم ان الملائكة أو الانبياء تحضر مسمع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مقتر بل إنما تحضره الشياطين وهي التي تنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا ان الشيطان قال يارب اجعل لي بيتا قال بينك الحمام قال اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذنا قال مؤذنك المزمار وقد قال الله تعالى مخاطبا للشيطان (واستغفر من استغفرت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الفناء. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما نهيت عن صوتين أحقبن فأجرين صوت

لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصديّة وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجه الشيطاني حتى ان بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاضرين ورأي بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا يشهد بها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ما جاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخبر الدنيا والآخرة وان من لم يعرف حقائق الامور فهو بمنزلة من سلك السبيل الي مكة خلف الدليل الهادي فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في موطنه وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان ضالعا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق . الدليل الهادي هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارغاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد في الهوي المذموم واما غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق ثياب وصياح كهصياح المحزون المحروم الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعترى أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاوصات المطربة قد يصير من جنس السكر بالاشربة المطربة فتصدم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلوة القرآن وفهم معانيه واتباعه فيصبرون مضارعين للذين يشتركون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويوقع بينهم المدة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل المؤمن من أصابه بعينه ولهذا قال من قال من العلماء ان هؤلاء يجب عليهم القود والدية اذا عرف انهم قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفقونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون . ومن

هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقرآنه مع قرأتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الاعانة على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكين ظاهرا وباطنا ليس مستلزما لولاية الله بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى أن ينصره الله وقد يكون عدوا لله مستضعفا وقد يكون مسلطا الى أن ينتقم الله منه ففخراء السر في الباطن من جنس النتر في الظاهر هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الاجناد وأما الغلبة فان الله قد يدل الكافرين كما كان يكون لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذ كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظها عليهم كان ذلك اسباب ذنوبهم وخطاياهم اما التفريط في أداء الواجبات باطنا وظاهرا وما لعداوتهم بتعدى الحدود باطنا وظاهرا قال الله تعالى (ان الذين قولوا منكم يوم النقي الجمعان انما امترزهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقال تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور) \*

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ النصفين والغناء والضرب بالدفوف والنفخ في الشبابت والاجتماع على ذلك ديننا وطريقنا الى الله وقربة فهذا ليس من دين الاسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسَن ذلك أحد من أئمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيه

١ - غافر ٥١

٢ - آل عمران ١٥٥

٣ - آل عمران ١٦٥

٤ - الحج ٤٠ - ٤١

باحسان ولا تابعى التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الاسلام بعد القرون الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة \*

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فانكر عليه رجل فقال هذه الايات

أنكروا رقصا وقلوا حرام فمليهم من أجل ذلك سلام  
اعبد الله يا ققيه وصل والزم الشرخ فالسماع حرام  
بل حرام عليك ثم حلال عند قوم أحوالهم لا تلام  
مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام  
فاذا قوبل السماع بلهو فمحرام على الجميع حرام

أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر يتضمن منكرا من القول وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزندقة والاتحاد المخالفة للحقيقة الالهية الدينية النبوية. وذلك أن قول القائل مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذي نودى من جانب الطور ولما رأى النار قال لاهله امكثوا انى آتست نارا على آتاكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون. وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق الرياضة والتصفية ويظنون انهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف صنف يزعمون انهم يخاطبون بأعظم مما خاطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الانبياء وان الخطاب الذى يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لابراهيم وموسى وعيسى ومحمد \* ومعلوم ان هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض \*

والنوع الثاني من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفتهم الذين يقولون ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة مكتسبة \*

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا كما يوجد هذا في اخبار صاحب مشكاة الانوار وكذلك سلك مسلكه صاحب خلع النعلين وأمثالها وأما قوله في أول الشعر لمن يخاطبه الزم الشرع ياقيه وصل يشمر بانك أنت تبع الشرع وأما نحن فلنا الى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له الى الله طريقا يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنه كطائفة استقطوا التكليف وزعموا ان العبد يصل الى الله بلامتابة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغنون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن الاسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى عليها فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لا تخالفها \*

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد أبياتا يدكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكر عليه رجل فقال له لا تفعل هذا وعليك بالنسييح والتحميد والقصائد الربانية فهل أصاب أم لا \*

أجلب رضى الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الابيات التي هي من جنس النياحة والمرأى وكذلك ما كان من جنس الغزل فان في ذلك فاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذن ولا بأس بالابيات المنضمة لذكر الآيات والاخبار والتوبة والاستغفار والله أعلم \*

## (فصل)

نافع ان شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى ( فطرة الله التي فطر الناس عليها ) قال العلماء من المفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أى لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ) ولهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيبويه وأصحابه فدل على أن اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم سنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك \*

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف في قول النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة قابوا يهودا نصابه نصرانه وبمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقروا ان شئتم ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » رواه البخاري ومسلم فالفطرة المراد بها الاسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب \* وسئل مجاهد عن الفطرة فقال هي الاسلام وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد ( لا تبديل لخلق الله ) قال لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير و قتادة والنخعي وروي عن ابن عباس وعكرمة في احدي الروايتين عنهما والقول بان الفطرة الاسلام هو احدي الروايات عن الامام أحمد وقاله ابن عبيد البر في التهيد وقال آخرون والفطرة ههنا الاسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث المتقدم \* ثم قال وأما قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد أجمعوا على أن قالوا دين الاسلام انتهى : وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها دين الاسلام وهو المعروف عند عامة السلف الى

ان قال ومعنى هذا أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى •

وقال أبو بكر النقاش اختلف أهل التأويل في الفطرة فقيل على ملة إبراهيم ثم ذكر قريباً ما ذكره القرطبي •

وقد احتج لهذا القول بأدلة •

منها حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم •

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار الجاشعي عن النبي صل الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : خالقت عبادة مسلمين فأجتاتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً •

ومنها ما رواه الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فأجتاتهم عن دينهم فمؤدثهم ونصرتهم ومحسنهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً •

ومنها ما في الصحيحين خمس من الفطرة أى من فطرة الاسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود وعشر من الفطرة وفي لفظ عشر من سنن الاسلام •

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بر به عز وجل معرفة مخالفة لخلق البهائم التي لاتصل بخلقها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالى (وما لي لأعبد الذي فطرني) يعنى الذي خلقتني ووجه هذا بقوله كأننتج البهيمة بهيمة جمعاء يعنى سليمة هل تحسبون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا في هذا الحديث تمثيل أولاد بنى آدم وأولاد البهائم لا تقص فيهم •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد على ما سبق له في

علم الله أنه سائر اليه •

قال الشيخ ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على

(٢٥٠ - ج ٣ مجموعة الرسائل المتبرية)



ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله قابوا يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين التهود والتنصير \*

ثم قال بعد أسطر فتمثله صلى الله عليه وسلم بالبهية التي ولدت جمعا ثم جدعت يمين أن أبويه غيرها ما ولد عليه \*

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلّوا خالين من المعرفة والانكار من غير أن يكون الفطرة تقتضي واحدا منها بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار والتهود والتنصير والاسلام وأما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغي أن يقال قابوا يهودانه وينصرانه فلمّا ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم أن حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر \*

ثم قال بعد ذلك ففي الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول ( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ) فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها \*

وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبيها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما يطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ومعلوم أن كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمود ولا مذمومة اه \*

وقد ذكر الاخلال في جامع في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب

على الفطرة \*

( أنبأ ) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب أنهم مسلمون اذا كانوا صفارا وان كانوا مع أحد الابوين ويحتاج بالحديث وذكر عنه نصوصا كثيرة في هذا الباب \*

وقد سئل الزهري عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزيه رضيع يعتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهري يصلى على كل مولود متوفى وان كان

اغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لاله الا الله وذلك في قوله تعالى ( أفن شرع الله صدره للاسلام ) قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لا اله الا الله ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لا يدل كل موجود من موجود وكل مصنوع من صانع كما قال تعالى ( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ) يقول أخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ) ( قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ) الآيات الثلاث \*

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقدهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا انما بعثت الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فتفاصيل الامر والنهي انما تعرف من جهة الرسل \*

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة ( قالت رسلهم أفي الله شك ) فالشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به انه ربهم وخالقهم ورزقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المقصود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي عمران بن حصين كم تعبد اليوم لها قال ستة في الارض وواحد في السماء قال فأبهم تعدل رغبتك ورهبتك قال الذي في السماء رواه الترمذي . فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيد حتى من خلق مجنونا مطبقا مصطفا لا يفهم شيئا ما يحلف الا به ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة \*

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء لا استحضره قال لو ترك طفل رضيع في بيت لا يكلم وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبعد فنوع الانسان أشرف من كثير من المخلوقات قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله في قوله ( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

تفضيلاً) ولا شك انه أفضل من الجادات وقد فطر الله الجادات على تسبيحه  
وتحميده ونزيهه نطقاً لا يفهمه الا الذي أنطقها به قال تعالى ( تسبح له السموات  
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم  
انه كان حليماً غفوراً ) قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحها  
تسبيح حقيق ولهذا قال انه كان حليماً غفوراً أي اذا كانت الجادات التي لا تمنع  
تسبيح بحمد خالقها فهو حلیم غفور اذا لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة في  
حقهم بالقوبة وقال تعالى ( ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير  
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ) الآية. وقال تعالى ( سبح لله ما في السموات  
وما في الارض وهو العزيز الحكيم ) وقال تعالى ( يسبح لله ما في السموات وما  
في الارض ) والآيات كثيرة في هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضي الدال على  
وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجده كل  
وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر  
بنی آدم على الاقرار بربوبيته ألت بربكم قالوا بلى لم يتخلف منهم أحد وكما  
أخبر الله عن عبادته أنهم يسبحونه بكرة وعشيا في قوله تعالى ( في بيوت أذن  
الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ) وقال تعالى  
( فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ) وقال تعالى ( اذكروا الله ذكراً كثيراً  
وسبحوه بكرة وأصيلاً ) وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى في حق  
داود ( انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ) قال أبو هريرة كان  
داود اذا سبح أجابة الجبال والطير بالتسبيح والذكر . وقال أبو الفرج ابن  
الجوزي قد روي أن داود كان اذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشترك  
هو فيسبح وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان  
فقال هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال اذا  
كرن الله كثيراً والذاكرات فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر الله بل  
قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجادات فقال تعالى ( ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال  
أوبي معه والطير ) والتأويل هو ترجيع التسبيح وأخبر سبحانه عن الحجارة ان

١ - الاسراء ٤٤

٢ - النور ٤١

٣ - الحشر ١

الصف ١

٤ - الجمعة ١

التغابن ١

٥ - النور ٣٥ - ٣٦

٦ - مريم ١١

٧ - الأحزاب ٤١ - ٤٢

٨ - ص ١٨

٩ - سبأ ١٠

منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها فان الخشية تستلزم العلم بالخشي وكذلك قوله ( ثم استوي الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ) وهذا خطاب من يعرف ربه ويعقل أمره وليس هذا خطاب تكون لعدم فانه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله ( اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ) ومعنى أذنت أصغت واستمعت لقوله وأمره وكذلك أخباره عن الارض يوم القيامة انها يومئذ تحدث أخبارها وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد بما عمل علي ظهرها من خير أو شر وهذه شهادة نطق لما تحمّله من الشهادة في هذه الدار لما أوحى لها فانه تعالى قال ( بأن ربك أوحى لها ) وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ) ولو كان سجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختص بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه وأمثال هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستفكر معرفته لربه وسجوده له وتسبيحه بحمده. ولو لم يكن في هذه الآيات الا قوله تعالى ( سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ) في أوائل هذه السور فانه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولى العلم قطعا اما اختصاصا واما تفلينا ولا يصح حمل ما ذكرنا من الآيات على أولى العلم وتخصيصها بهم اذ لو أريد ذلك لجيء بلفظ من المختصة بمن يعقل وان كان قد وقع في القرآن ما لمن يعقل ومن لما لا يعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره \*

والمقصود اذا كانت هذه الجادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتنزيهه والانسان أشرف منها فلأن يفطر هو على معرفته بربه بطريق الاولى والاخرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة لاسباب وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الاسلام والاسلام كلمة التوحيد كما تقدم وان كان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والاعتقاد \*

١ - فصلت ١١

٢ - الانشقاق ١ - ٢

٣ - الزلزلة ٥

٤ - الحج ١٨

٥ - الحشر ١

الصف ١

﴿ فصل ﴾ ومن تمام الكلام على ان معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاستدلال بالآية والحديث فان أول ما يبدأ به في الاستدلال الكتاب والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وان كان في أصل المسئلة الناس متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل فيقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذ الى النظر فهي في الاصل ضرورية وقد تكون نظرية. ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص بل قد تحصل ضرورية فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الاسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد تحتاج الى أمور يجب الايمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لما طرأ على الفطرة من الفساد فان كون هذا العالم لا بدله من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فكونه لا يعرف هذا الا بطريق النظر فيه نظر وأي نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها مسبوقة بحمده عارفة به •

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد

ومع دلائلها على الوحدانية مسبوقة بحمده معترفة به تسجد له وان جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شيء بحسبه فلو لا ان كل شيء يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لا يفهمه نحن ولا يعلمه الا الذي أنطقه به لما أخبرنا به وانه دال على عظمته •

وقد روينا في جزء الفريابي في كتاب الذكركه باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الجبل اينادي الجبل مقابله باسمه هل مر بك اليوم ذا كر الله عز وجل فان قال نعم فيقول هنيئا لك لكن مامر على اليوم أحد يذكرك الله • وروى أيضا باسناده عن أنس رضي الله عنه قال مامر صباح ولا رواح الا تداي بقاع الارض بعضها بعضا يا جارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك فنقائلة لا ومن قائله نعم فاذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلا. فكل فطرة سليمة لم تجتالها

الشياطين ولم تفسد عليها فطرته تصدق بذلك وتقرب به وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار  
آحاد وآثار لا نفيد شيئا في هذا الباب وأما هذه من باب الفرجة والمطالعة

قلنا يكفيناهم تقدم لنا من أخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة  
أن منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها ولا ما هبطت  
من خشيته فإن الخشية تستلزم العلم بالخشي. قد تقدم ذلك •

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وأنها تهبط من خشية الله ثلاثة مذاهب  
قالت الصوفية هي حيوان وفيها جزء حي تسبح الله تعالى وتخزله وتسجد له وقال آخرون  
هذا من مجاز التشبيه وقال الآشعري الله تعالى يخلق لها حياة عند إرادته ذلك منها نحو جبل  
الطور انتهى كلامه ذكره في النكت •

قلت ما ذكره من هذه الأقوال • أما القول الأول فهو قول بعض جملة الصوفية  
والأفكون الحجارة حيوانا مما يعلم بالفطرة بطلانه • وأما القول الثاني كونه من مجاز  
التشبيه فإن هذا مما يشهد الكتاب والسنة بطلانه. أما الكتاب فأتقدم لما من الآيات  
على تسبيح كل شيء بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم  
ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون. وقال النبي صلى الله عليه وسلم  
أني لأعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولو  
لم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى  
الله عليه وسلم عن جبل جمدان فقال هذا جمدان يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد  
أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يفيضنا ونبفضه •

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطايرت الجبال ليتجلى لها وتواضع  
زبير يعني الطور فتحلى له وهذا يدل على أنها تعرف ربها

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه  
وسلم في قوله وجه له دكا قال صار لمظمتة ستة أجيال فوقعت ثلاثه بالمدينة: أحد وورقان  
ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة: ثبير وحراء ونور

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجادات فقال تعالى ( انا عرضنا الامانة على  
السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ) فهذا

الاباء والاستعفاء بعد أن عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها •  
وليس المقصود ذلك وإنما المقصود أن الانسان أشرف عند الله وأعظم من الجبال  
حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف  
بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمك والذي نفس محمد بيده حرمة  
المؤمن أعظم عند الله حرمة منك •

فم شرف الانسان لا يركب الله في فطرته وعقله ما يعرفه به من غير دليل نظري  
يحتاج فهمه الى عسر وقد ينقض عليه أو يشككه فيه من هو ألحن بحجته منه •

هذا الهدى طير من الطيور وفي نظري ناعديم العقل يصيح كثيره من الطيور قد  
خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك فقال (أحطت بما لم تحط به وجئتكم  
من سبأ بنباً يقين) الى قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذا كله كلام الهدى  
كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات  
فان أريد بالمعرفة المعرفة التامة وهي معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم  
يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه ومأموره وما نهى عنه وما أخبر به وما أراه من عباده شرعا  
وما كرهه منهم ولم ير ضوه ولم يرد وقوعه فهذا ما يعلم الا بالسمع من جهة الرسل صلوات  
الله وسلامه عليهم أجمعين. فعبادة الله تعالى والايمان به انما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ  
قال الامام احمد في رواية المروزي معرفة الله تعالى في القاب تتفاضل وتزيد وهذا  
يدل على أن المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم انها تزيد وتتمكن بتظاهر الادلة والقاضي  
أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه الرواية على أنها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم  
تزد وقال في رواية يعقوب ان المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها  
القاضي على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لانهم قوف  
على الشهادتين وفيما قاله نظر لانه صدر في أول المسألة فقال معرفة الله تحصل بادلته الظاهرة  
وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسماوات والارض وما بينهما وذلك ان آثار الصنعة لازمة  
لهذه الاشياء تدل على صانع صنعه ومنتشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم وذكر أن أول  
ما أوجب الله على نبيه وأمره به اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم قال بمد كلام كثير

قد بين أن الاقرار بالاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار أن المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى \*

وقال الشيخ أيضاً في شرح الاصفهانية وأما طريقة القرآن في اثبات الصانع فانا قد بينا في غير هذا الموضع اختلاف الناس في الاقرار بالصانع هل هو فطري أو نظري وبيننا قول من قال انه فطري وأن كل مولود يولد على الفطرة وأنه قد يصير نظرياً لبعض الناس لما يعرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالادلة الكثيرة انتهى فاذا قلنا هذا محدث وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يتحدث بذهنه ويتهم أذهان الناس بالفساد ويركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل على محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لا يتمتع تصورهم من وقوع الشركة فيه فلماذا يكلمه الله تعالى الى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضل فلن نجد له ولياً مرشداً فمن يهد الله فهو المهتد \*

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدره ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي الى فاعل قديم لا يكون الا واحداً وواجب بنفسه لا يكون الا واحداً فهو واحد مطلق عندنا أليس هو معيناً في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لا سيما في معرفة ربه فلا بد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وأن الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث أن كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتاتهم عن دينهم



فمنهم من هودته ومنهم من نصرته ومنهم من مجسته وقول ومنهم من وسوست له بما تشككه في خالقه وقد أخبر فقال عن رسله انهم قالوا لقومهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يعني خالق السموات والارض ومالى لا أعبد الذي فطرني أى خلقتي أفي الخالق شك وقد قال هل من خالق غير الله ❊

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره ايجاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الأئمة الاربعة كالفاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري واصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحاق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفى به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري واصحابه مطولا وذ كر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال واختلفوا أيضاً في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونه لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها ما يقوم الدليل من الكتاب والسنة الا على بعضها ❊

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد إما لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة وذلك لا يحتاج الى نظر وإما لان المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاماً وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب احمد والشافعي وغيرهما والله أعلم ❊

وقال بعض العلماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال لامن اللوازم العامة فيقال كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل

ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجباً لم يكن النظر واجباً\*  
 وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هذا  
 أعدل الاقوال وكلام الأئمة والسلف إنما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس  
 معهم ما يدل على عموم وجوبه إنما يدل على أنه قد يجب فانهم قالوا الواجب لا يحصل  
 الا به لقوله تعالى ( قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغنى الآيات  
 والنذر ) الآية . وقوله ( قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى )  
 وقوله ( فلينظر الانسان ما خلق ) فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاهدين  
 فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا ريب أن النظر يجب على هؤلاء  
 والذين خالفوا في وجوب النظر ومنعوا قالوا لا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم  
 انحصار طريقها في النظر\*

والمقصود ان الذين أوجبوا الله علي عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله وأن يطيعوا  
 الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ووجوب الايمان بالله معلوم بالاضطرار من  
 دين الاسلام ونصوص القرآن متظاهرة به فالعلم بمعرفة الله ضروري والا لو كان  
 نظرياً لكان يجب علي الرسل أول ما يدعونهم الى النظر وهذا مما علم فسادهم من  
 دين الاسلام فان كل كافر اذا أراد الدخول في دين الاسلام أول ما يؤمن بالشهادتين  
 فلو قال أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلماً ولو قال أنا أعرف الله انه رب العالمين  
 ورازقهم ومدبرهم لم يضر بذلك مسلماً فمعرفة الله فطرية حاصلة للجهور والخلق\*  
 فان قيل اذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد  
 وكيف ينكر ذلك كثير من النظار لظنار المسلمين أو غيرهم وفي زعمهم أنهم الذين  
 يقيمون الأدلة العقلية علي المطالب الالهية\*

فيقال أول من عرف في الاسلام بانكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين  
 اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند سلف الامة من أضل الطوائف  
 وأجهلهم هذا معنى ما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك ما أركزه الله في فطرة  
 كل أحد انه اذا دعاء يلتفت بمنة ولا يسرة بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ولهذا  
 قال امام الحرمين لما أورد عليه معنى هذا قال حيرني الحمداني\*

وأما العلم الذى لا يحصل الا بالنظر فيجب لاجله النظر لفهم القرآن الذى لا يحصل الا بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر فى مسائل النزاع التى لا يعلم الحق فيها الا بالنظر فاذا أراد معرفة الحق فيها وجب عليه النظر فاذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر الى غير الحق فيها فخطؤه مغفوره وله أجر اجتهاده وان أصاب الحق فله أجران •

فأله تعالى يلهمنا الرشاد • ويوقننا للسداد • فى أقوالنا وأفعالنا مما يحبه ربنا ويرضاه ويفعل ذلك باخواننا من المؤمنين آمين انه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الامى وآله وصحبه وسلم •

تمت الرسالة التاسعة ويلها الرسالة العاشرة ان شاء الله تعالى ﴿﴾



## الرسالة العاشرة

في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه

لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس احمد بن تيمية الحراني

المتوفى سنة ٧٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية عن معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله تبارك وتعالى انه قال « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم . يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم . يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم . يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلفوا ضري فتضروني ولن تبلفوا نفعي فتنتفوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قلموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص الخيط اذا دخل البحر . يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل

ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه»

فأجاب رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله\*  
 أما قوله تعالى يا عبادى ائى حرمت الظلم على نفسى ففيه مسألتان كبيرتان  
 كل منهما ذات شعب وفروع. احدهما فى الظلم الذى حرمه الله على نفسه ونفاه عن  
 نفسه بقوله (وما ظلمناهم) وقوله (ولا يظلم ربك أحدا) وقوله (وما ربك بظالم  
 للعبيد) وقوله (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها) وقوله (قل متاع  
 الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتىلا). ونفى ارادته بقوله (وما  
 الله يريد ظلما للعالمين) وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد) ونفى خوف العباد له بقوله  
 (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما)١. فان الناس  
 تنازعوا فى معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما  
 وخيار الامور أوسطها وذلك بسبب البحث فى القدر وبجماعته للشرع اذ الخوض  
 فى ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الامم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم  
 أصحابه عن التنازع فيه فذهب المكذبون بالقدر القائلون بأن الله لم يخلق أفعال  
 العباد ولم يرد أن يكون الا ما أمر بأن يكون وغلاهم المكذبون بتقديم علم الله  
 وكتابه بما سيكون من أفعال العباد من المعتزلة وغيرهم الى أن الظلم منه هو نظير  
 الظلم من الآدميين بعضهم لبعض وشبهوه ومثلوه فى الافعال بأفعال العباد حتى  
 كانوا هم ممثلة الافعال وضربوا الله الامثال ولم يجعلوا له المثل الاعلى بل أوجبوا  
 عليه وحرموا ما رأوا انه يجب على العباد ويحرم بقياسه على العباد واثبات الحكم  
 فى الاصل بالرأى وقالوا عن هذا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع ما يقدر عليه من وجوه  
 الاعانة كان ظلما له والتزموا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما قالوا انه لا يقدر أن  
 يضل مهتديا وقالوا عن هذا اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما باعائته على  
 فعل المأمور كان ظلما الى أمثال ذلك من الامور التى هي من باب الفضل والاحسان  
 جعلوا تركه لها ظلما وكذلك ظنوا أن التعذيب لمن كان فعله مقدرا ظلما ولم يفرقوا بين  
 التعذيب لمن قلم به سبب استحقاق ذلك ومن لم يقم وان كان ذلك الاستحقاق  
 خلقه لحكمة أخرى عامة أو خاصة وهذا الموضع زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام

١ - هود ١٠١

٢ - الكهف ٤٩

٣ - فصلت ٤٦

٤ - النساء ٤٠

٥ - النساء ٧٧

٦ - آل عمران ٨٠

٧ - غافر ٣١

٨ - طه ١١٢

فعارض هؤلاء آخرون من أهل الكلام المثبتين للقدر فقالوا ليس للظلم منه حقيقة يمكن وجودها بل هو من الأمور الممتنعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا ولا أن يقال أنه هو تاركه باختياره ومشيتته وإنما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما والا فهما قدر في الذهن وكان وجوده ممكنا والله قادر عليه فليس بظلم منه سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عن هؤلاء طوائف من أهل الانبات من الفقهاء وأهل الحديث من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن شراح الحديث ونحوهم وفسروا هذا الحديث بما ينبنى على هذا القول وربما تعلقوا بظاهر من أقوال مأثورة كما روينا عن إياس بن معاوية أنه قل ما نظرت بعقلي كله أحدا إلا القدريه قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك أو ان تتصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء وليس هذا من إياس إلا لبيان ان التصرفات الواقعة هي في ملكه فلا يكون ظلما بموجب حدهم وهذا مما لا نزاع بين أهل الانبات فيه فاتهم متفقون مع الأيمان بالقدر على ان كل ما فعله الله فهو عدل وفي حديث السرب الذي رواه الامام احمد عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغنى الا أذهب الله همه وغمه وأبد له مكانه فرحا . قالوا يا رسول الله أفلا تتعلمين قال بلى ينبغى لمن سمعن أن يتعلمن فقد بين أن كل قضائه فى عبده عدل (ولهذا يقال كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل ويقال أطعناك بفضلك والمنة لك وعصيتك بملكك أو بملكك والحجة لك فأسألك بوجوب حجتك على انقطاع حجتى الا ما غفرت لى) وهذه المناظرة من إياس كما قال ربعة بن أبى عبد الرحمن غيلان حين قال له غيلان نشدتك الله أترى الله يحب أن يعصى فقال نشدتك الله أتري الله يعصى قسرا يعنى قهرا فكأنما أقمه حجرا (فان قوله يحب أن يعصى لفظ فيه اجمال

وقد لا يتأق في المناظرة تفسير المجمات خوفان لدل الخضم فيؤتي بالواضحات فقال  
 اقتره يعنى قسرا فان هذا الزام له بالمجز الذى هو لازم للقدرية ولمن هو شر  
 منهم من الدهرية الفلاسفة وغيرهم وكذلك اياس رأى ان هذا الجواب  
 المطابق لخدمهم خاصم لهم ولم يدخل معهم في التفصيل الذى يطول ( وبالجملة  
 فقله تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضا) قال أهل  
 التفسير من السلف لا يخاف أن يُظلم فيحمل عليه سيئات غيره ولا بهضم فينقص من  
 حسناته ولا يجوز ان يكون هذا الظالم هو شىء ممنوع غير مقدور عليه فيكون  
 التقدير لا يخاف ما هو ممنوع لذاته خارج عن الممكنات والمقدورات فان مثل هذا  
 اذا لم يكن وجوده ممكنا حتى يقولوا انه غير مقدور ولو اراده كخلق المثل له فكيف  
 يعقل وجوده فضلا ان يتصور خوفه حتى ينفي خوفه ثم أى فائدة في نفي خوف هذا  
 وقد علم من سياق الكلام ان المقصود بيان أن هذا العامل الحسن لا يجزي على  
 احسانه بالظلم والهضم ( فعلم أن الظلم والهضم المنفى يتعلق بالجزاء كما ذكره أهل  
 التفسير \* وان الله لا يجزيه الا بعمله ولهذا كان الصواب الذي دلت عليه النصوص  
 ان الله لا يعذب في الآخرة الا من أذنب كما قال لأملأن جهنم منك ومن  
 تبعت منهم أجمعين . فلو دخلها أحد من غير أتباعه لم تمتلئ منهم ولهذا ثبت  
 في الصحيحين في حديث تحتاج الجنة والنار من حديث أبى هريرة وأنس أن النار  
 تمتلئ ممن ألقى فيها حين ينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط بعد قولها  
 هل من مزيد وأما الجنة فيبقى فيها فضل عن يدخلها من أهل الدنيا فينشئ الله  
 لها خلقا آخر ولهذا كان الصواب الذى عليه الأئمة فيمن لم يكلف في الدنيا من  
 أطفال المشركين ونحوهم ما صح به الحديث وهو أن الله اعلم بما كانوا عاملين  
 فلا نحكم لكل منهم بالجنة ولا لكل منهم بالنار بل هم ينقسمون بحسب ما يظهر  
 من العلم فهم اذا كفوا يوم القيامة في العرصات كما جاءت بذلك الآثار وكذلك  
 قوله تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) يدل  
 الكلام على أنه لا يظلم محسنا فينقصه من احسانه أو يجمله لغيره ولا يظلم مسيئا  
 فيحمل عليه سيئات غيره بل لما ما كسبت وعليها ما كتسبت وهذا كقولهم لا

لم يبنأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي ألا تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للانسان الا ماسعى). فاخبر انه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه لا يستحق الا ماسعاه وكلا القولين حق على ظاهره

وان ظن بعض الناس أن تعذيب الميت يبكاء أهله عليه ينافي الاول فليس كذلك اذ ذلك النائح يندب بنوحه لا يحمل الميت وزره ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا كما يتألم الانسان من أمور خارجة عن كسبه وان لم يكن جزاء الكسب والعذاب أعم من العقاب كما قال صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب ».

وكذلك ظن قوم انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى ينافي قوله (وان ليس للانسان الا ماسعى) فليس الامر كذلك فان انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحى بالنسبة الى الآية كانتفاعه بالعبادات المالية ومن ادعى أن الآية تخالف أحدهما دون الآخر فقوله ظاهر الفساد بل ذلك بالنسبة الى الآية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة وقد بينا في غير موضع نحوا من ثلاثين دليلا شرعيا يبين انتفاع الانسان بسعى غيره اذ الآية إنما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كل مالا يستحقه الانسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن اليه ماله واستحققه بما ينتفع به منه فهذا نوع وهذا نوع وكذلك ليس كل مالا يملكه الانسان لا يحصل له من جهته منفعة فان هذا كذب في الامور الدينية والدنيوية وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل في الجزاء وانه لا يخس عامل عمله وكذلك قوله فيمن عاقبهم (وما ظلمناهم ولكن ظلوا انفسهم) فأغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله (من شيء) وقوله (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) يبين أن عقاب المجرمين عدلا لذنوبهم لا لأننا ظلمناهم فعاقبناهم بغير ذنب والحديث الذي في السنن لو عذب الله أهل سماواته وأرضه لمذنبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم. يبين أن العذاب لو وقع لكان لاستحقاقهم ذلك لا لكونه بغير ذنب وهذا يبين أن من الظلم المنفى عقوبة من لم يذنب وكذلك قوله



تعالى (وقال الذي آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد) . يبين ان هذا العقاب لم يكن ظلماً لاستحقاقهم ذلك وان الله لا يريد الظلم والامر الذى لا يمكن القدرة عليه لا يصلح أن يمدح الممدوح بعدم ارادته وانما يكون المدح بترك الافعال اذا كان الممدوح قادراً عليها فعلم ان الله قادر على ما رزقه نفسه عنه من الظلم وانه لا يفعله وبذلك يصح قوله (انى حرمت الظلم على نفسى) وان التحريم هو المنع وهذا لا يجوز أن يكون فيم هو ممتنع لذاته فلا يصلح أن يقال حرمت على نفسى أو منعت نفسى من خلق مثلى أو جعل المخلوقات خالقة ونحو ذلك من المحالات وأكثر ما يقال فى تأويل ذلك ما يكون معناه انى أخبرت عن نفسى بأن مالا يكون مقدوراً لا يكون منى وهذا المعنى مما يتيقن المؤمن انه ليس مراد الرب وأنه يجب تنزيه الله ورسوله عن إرادة مثل هذا المعنى الذى لا يليق الخطاب بمثله اذ هو مع كونه شبه التكرير وإيضاح الواضح ليس فيه مدح ولا ثناء ولا ما يستفيدة المستمع فعلم أن الذى حرمه على نفسه هو أمر مقدور عليه لكنه لا يفعله لانه حرمه على نفسه وهو سبحانه منزّه عن فعله مقدس عنه يبين ذلك أن ما قاله الناس فى حدود الظلم يتناول هذا دون ذلك كقول بعضهم الظلم وضع الشيء فى غير موضعه كقولهم من أشبه أباه فما ظلم أى فما وضع الشبه غير موضعه ومعلوم أن الله سبحانه حكم عدل لا يضع الاشياء الا مواضعها ووضعها غير مواضعها ليس ممتنعاً لذاته بل هو ممكن لكنه لا يفعله لانه لا يريد بل يكرهه ويبغضه اذ قد حرمه على نفسه\* وكذلك من قال الظلم اضرار غير مستحق فان الله لا يعاقب أحداً بغير حق وكذلك من قال هو نقص الحق وذ كر أن أصله النقص كقوله (كلنا الجنين) أنت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) وأما من\* قال التصرف فى ملك الغير فهذا ليس بطرد ولا منعكس فقد يتصرف الانسان فى ملك غيره بحق ولا يكون ظلماً وقد يتصرف فى ملكه بغير حق فيكون ظلماً وظلم العبد نفسه كثير فى القرآن وكذلك من قال فعل المأمور خلاف ما أمر به ونحو ذلك ان سلم صحة مثل هذا الكلام فالله سبحانه قد كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فهو لا يفعل

١ - غافر ٢٠ - ٢١

٢ - الكهف ٢٣

خلاف ما كتب ولا يفعل ما حرم وليس هذا الجواب موضع بسط هذه الأمور التي نهبنا عليها فيه وإنما نشير إلى النكت \*

وبهذا يتبين القول المتوسط وهو أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات ويعاقب هذا بذنب غيره أو يحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الأفعال التي ينزه الرب لنفسه وعده وهو قادر عليها وإنما استحق الحمد والثناء لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه وكما أن الله منزّه عن صفات النقص والعيب فهو أيضاً منزّه عن أفعال النقص والعيب وعلى قول الفريق الثاني ما ثم فعل يجب تنزيه الله عنه أصلاً والكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها يدل على خلاف ذلك ولكن متكلمو الاثبات لما ناظرُوا متكلمة النفي ألزموهم لوازِم لم ينفصلوا عنها إلا بمقابلة الباطل بالباطل وهذا ما عابه الأئمة وذمّوه كما عاب الأوزاعي والزيدي والثوري وأحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القدرية بالغلو في الاثبات وأمرُوا بالاعتصام بالكتاب والسنة وكما عابوا أيضاً على من قابل الجهمية فئات الصفات بالغلو في الاثبات حتى دخل في تمثيل الخالق بالخلق وقد بسطنا الكلام في هذا وهذا وذكرنا كلام السلف والأئمة في هذا في غير هذا الموضع ولو قال قائل هذا مبني على مسألة تحسين العقل وتقييده فمن قال العقل يعلم به حسن الأفعال وقبحها فإنه ينزه الرب عن بعض الأفعال ومن قال لا يعلم ذلك إلا بالسمع فإنه يجوز جميع الأفعال عليه لعدم النهي في حقه قيل له ليس بناء هذه على تلك بل لازم وبتقدير لزومها في تلك تفصيل وتحقيق قد بسطناه في موضعه \*

وذلك أنا فرضنا أننا نعلم بالفعل حسن بعض الأفعال وقبحها لكن العقل لا يقول إن الخالق كالخلق حتى يكون ما جعله حسناً لهذا أو قبيحاً له جعله حسناً للآخر وقبيحاً له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة

وان فرضنا أن حسن الأفعال وقبحها لا يعلم إلا بالشرع فالشرع قد دل على

ان الله قد نزه نفسه عن أفعال واحكام فلا يجوز ان يفعلها تارة بخبره مثنيا على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرما على نفسه وهذا يبين المسألة الثانية ( فنقول الناس لهم في افعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز ومالا يجوز منه ثلاثة اقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه ان يفعل الا ما ظنوا بعقلهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجوير فأوجبوا عليه بعقلهم امورا كثيرة وحرموا عليه بعقلهم امورا كثيرة لا بمعنى ان العقل أمر له وناه فان هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى ان تلك الافعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن ادخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع ذلك والطرف الثاني طرف الغلاة في الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه الرب عن فعل من الافعال ولا نعلم وجه امتناع الفعل منه الا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعله بأنه لا يفعله وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى ( واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ) . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي » ولم يعلم هؤلاء ان الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه اذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه يفعل هذا ليس فيه تعرض لانه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والممانع من هذا ( فان الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعو الى الفعل ولا الى الترك ) بخلاف قوله كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم فان التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية الى الفعل وهذا بين واضح اذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت في الصحيح أنه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فانه قال كتب على نفسه الرحمة ولو أريد

كتابة التقدير لكان قد كتب علي نفسه الغضب كما كتب علي نفسه الرحمة اذا كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولـكان قد حرم علي نفسه كل ما لم يفعله من الاحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت في حقنا بين قوله (كتب عليكم القصاص في القتلي) وبين قوله (وكل شيء فملوه في الزبر) وقوله (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) وقوله «فبيعت اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» فهكذا الفرق أيضا ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته علي نفسه كما تقدم قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «يامعاذ أتدري ما حق الله علي عباده . قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد علي الله اذا فعلوا ذلك . قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه ألا يعذبهم» ومنه قوله في غير حديث «كان حقاً علي الله أن يفعل به كذا» فهذا الحق الذي عليه هو أحقه علي نفسه بقوله ونظيره تحريمه علي نفسه وإيجابه علي نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكامته السابقة كقوله (ولولا كلمة سبقت من ربك) وقوله (لأملأن جحيم) (ولنهلكن الظالمين) فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلتهم جنات تجري من تحتها الأنهار (فلنستلن الذين أرسل اليهم) ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض ولهذا قال الفقهاء البينين اما أن توجب حقاً أو منعاً أو تصديقا أو تكذيباً واذا كان معقولا في الانسان انه يكون آمراً مأموراً كقوله (ان النفس لأمارة بالسوء) وقوله (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوي) مع أن العبد له أمر وناه فوقة والرب الذي ليس فوقة أحد لأن يتصور أن يكون هو الأمر الكاتب علي نفسه الرحمة والنهي المحرم علي نفسه الظلم أولي وأخرى وكتابته علي نفسه ذلك تستلزم ارادته لذلك ومحبه له ورضاه بذلك وتحريمه الظلم علي نفسه يستلزم بغضه لذلك وكرهته له وارادته ومحبه للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له وكرهته لان يفعله يمنع وقوعه منه \*

البقرة ١٧٨

القمر ٥٢

الحديد ٢٢

الروم ٤٧

يونس ١٩ ، هود ١١٠

الاعراف ١٨ ، هود ١٩

إبراهيم ١٣

آل عمران ١٩٥

الاعراف ٦

يوسف ٥٣

النازعات ٤٠

فأما مايجبه وييفضه من أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول مخلوق له وليس في مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة الى فاعله الذي هو الانسان هو ظلم كما أن أفعال الانسان هي بالنسبة اليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته وليست بالنسبة اليه كذلك اذهذه الاحكام هي للفاعل الذي قام به هذا الفعل كما أن الصفات هي صفات الموصوف الذي قامت به لا للخالق الذي خلقها وجعلها صفات \*

والله تعالى خلق كل صانع وصنعه كما جاء ذلك في الحديث وهو خالق كل ووصوف وصفته ثم صفات المخلوقات ليست صفات له كالالوان والطعوم والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالا له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق يرول شبه كثيرة والامر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه قصا وكذلك الامر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لاوجب قصا وهذا كله بين والله الحمد عند الذين اوتوا العلم والايمان وهو أيضا مستقر في قلوب عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمونه وذلك ان المعتزلة قالوا قد حصل الاتفاق على أن الله ليس بظالم كما دل عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما أن العادل من فعل العدل هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الاسم سمعا وعقلا قالوا ولو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظلما فعارضهم هؤلاء بأن قالوا ليس الظالم من فعل الظلم بل الظالم من قام به الظلم وقال بعضهم الظالم من اكتسب الظلم وكان منهيا عنه وقال بعضهم الظالم من فعل محرما عليه او مانهى عنه ومنهم من قال من فعل الظلم لنفسه هؤلاء يعنون ان يكون الناهي له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعا عندهم لذاته كاستنعا ان يكون فوقه أمر له وناه ويمتنع عند الطائفتين ان يعود الى الرب من أفعاله حكم لنفسه وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في أن العادل من فعل العدل بل سلموا

ذلك لهم وان نازعهم بعض الناس منازعة عنادية والذي يكشف تلبس المعتزلة أن يقال لهم الظالم والمعادل الذي يعرفه الناس وان كان فاعلا للظلم والعدل فذلك بأنهم به أيضا ولا يعرف الناس من يسمى ظلما ولم يقيم به الفعل الذي به صار ظلما بل لا يعرفون ظلما الا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظلما وان كان فعله متعلقا بغيره وله مفعول منفصل عنه لكن لا يعرفون الظالم الا بأن يكون قد قام به ذلك فكونكم أخذتم في حد الظالم انه من فعل الظلم وعيتم بذلك من فعله في غيره فهذا تلبس وافساد للشرع والمقل واللغة كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو في غيره وجعلتم من أحدث كلاما منفصلا عنه قائما بغيره متكلما وان لم يقيم به هو كلام أصلا وهذا من أعظم البهتان والقرمطة والفسططة ولهذا ألزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات وكذلك أيضا ما خلقه في الحيوانات ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق وإنما قالت الجلود أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وام تقل نطق الله بذلك ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمي وغيره مامعناه انه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حتي قال أنا ربكم الاعلى كالكلام الذي خلق في الشجرة حتي قالت (اننى أنا الله لا اله الا أنا) فاما أن يكون فرعون محمدا أو تكون الشجرة كفرعون والى هذا المعنى ينحو الاتحادية من الجهمية وينشدون \*

وكل كلام في الوجود كلامه سواء عاينا نثره ونظامه

وهذا يستوعب أنواع الكفر ولهذا كان من الامر البين للخاصة والعامة ان من قال المتكلم لا يقوم به كلام أصلا فان حقيقة قوله انه ليس بمتكلم اذ ليس المتكلم الا هذا ولهذا كان أولوهم يقولون ليس بمتكلم ثم قالوا هو متكلم بطريق المجاز وذلك لما استقر في الفطر ان المتكلم لا بد أن يقوم به كلام وان كان مع ذلك فاعلا له كما يقوم بالانسان كلامه وهو كاسب له اما ان يجعل مجرد احداث الكلام في غيره كلاما له فهذا هو الباطل وهكذا القول في الظلم فهب ان الظالم من فعل الظلم فليس هو من فعله في غيره ولم يقيم به فعل أصلا بل لا بد ان يكون قد قام به فعل وان كان متعديا الى غيره فهذا اجواب \*

ثم يقال لهم الظلم فيه نسبة وإضافة فهو ظلم من الظالم بمعنى أنه عدوان وبني منه وهو ظلم للمظلوم بمعنى أنه بغي واعتدي عليه وأما من لم يكن متعدي عليه به ولا هو منه عدوان على غيره فهو في حقه ليس بظلم لأمته ولا له والله سبحانه إذا خلق أفعال العباد فذلك من جنس خلقه لصفاتهم فهم الموصوفون بذلك فهو سبحانه إذا جعل بعض الأشياء أسود وبعضها أبيض أو طويلاً أو قصيراً أو متحرراً أو ساكناً أو عالماً أو جاهلاً أو قادراً أو عاجزاً أو حياً أو ميتاً أو مؤمناً أو كافراً أو سعيداً أو شقيماً أو ظالماً أو مظلوماً كان ذلك المخلوق هو الموصوف بأنه الأبيض والأسود والطويل والقصير والحى والميت والظالم والمظلوم ونحو ذلك والله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وإنما أحداته للفعل الذي هو ظلم من شخص وظلم لاخر بمنزلة أحداته الأكل والشرب الذي هو أكل من شخص وأكل لاخر وليس هو بذلك أكل ولا مأكولاً ونظائر هذا كثيرة وإن كان في خلق أفعال العباد لازماً أو متعديها حكم بالغة كإله حكمه بالغة في خلق صفاتهم ومآثر المخلوقات لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك وقد ظهر بهذين الوجهين تدليس القدرية \*

وأما تلك الحدود التي عورضوا بها فهي دعالو ومخالفة أيضاً للمعلوم من الشرع واللغة والعقل أو مشتملة على نوع من الأجمال فإن قول القائل الظالم من قام به الظلم يقتضى أنه لا بد أن يقوم به لكن يقال له وإن لم يكن فاعلاله أمر أنه لا بد أن يكون فاعلاله مع ذلك فإن أراد الأول كان اقتصاره على تفسير الظالم بمن قام به الظلم كإقتصار أولئك على تفسير الظالم في فعل الظلم \*

والذى يعرفه الناس عامهم وخاصهم أن الظالم فاعل للظلم وظلمه فعل قائم به وكل من الفريقين جحد بعض الحق وأما قولهم من فعل محرماً عليه أو منبأ عنه ونحو ذلك فالإطلاق صحيح لكن يقال قد دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة وكان حقاً عليه نصر المؤمنين وكان حقاً عليه أن يجزى المطيعين وأنه حرم الظلم على نفسه فهو سبحانه الذى حرم بنفسه على نفسه الظلم كما أنه هو الذى كتب بنفسه على نفسه الرحمة لا يمكن أن يكون غيره محرماً عليه أو موجباً عليه فضلاً عن أن يظلم ذلك بمقتل أو غيره وإذا كان كذلك فهذا الظلم الذى حرمه على نفسه هو ظلم بلاريب وهو أمر ممكن

مقدور عليه وهو سبحانه يتركه مع قدرته عليه بشيئته واختياره لانه عادل ليس بظالم كما يترك عقوبة الانبياء والمؤمنين وكما يترك أن يحمل البرى ذنوب المعتدين \*

### (فصل)

قوله «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» . ينبغي أن يعرف أن هذا الحديث شريف القدر عظيم المنزلة ولهذا كان الامام احمد يقول هو أشرف حديث لاهل الشام وكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث به جئا علي ركبتيه. وراويہ أبو زرہ الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة منه وهو من الاحاديث الالهية التي رواها الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه وأخبر أنها من كلام الله تعالى وان لم تكن قرآنا. وقد جمع في هذا الباب زاهر السحامي وعبد الغني المقدسي وأبو عبد الله المقدسي وغيرهما وهذا الحديث قد تضمن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والاعمال والاصول والفروع فان تلك الجملة الاولى وهي قوله «حرمت الظلم على نفسي» يتضمن جل مسائل الصفات والقدر اذا أعطيت حقها من التفسير وانما ذكرنا فيها مالا بد من التنبيه عليه من أوائل النكت الجامعة وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» فانهما تجمع الدين كله فان ما نهى الله عنه راجع الى الظلم وكل ما أمر به راجع الى العدل ولهذا قال تعالى ( لقد أوسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ) فاخبر أنه ارسل الرسل وانزل الكتاب والميزان لاجل قيام الناس بالقسط وذكر انه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدي والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس باهل الكتاب واهل الحديد كما قال من قال من السلف صنفان اذا صلحوا صلح الناس الأمراء والعلماء . وقالوا في قوله تعالى ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ) أقوالا تجمع العلماء والأمراء ولهذا نص الامام احمد وغيره علي دخول الصنفين في هذه الآية اذ كل منهما

( ٢٨٢ - ٣ ج مجموعة الرسائل المنيرة )



تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كلى ومعاذ وأبى موسى وعنتاب بن اسيد وعثمان بن أبى العاص وامثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كآبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونوابهم ولهذا كانت السنة أن الذى يصلى بالناس هو صاحب الكتاب والذى يقوم بالجهاد هو صاحب الحديد . الى أن تفرق الامر بعد ذلك فاذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بجمع الاموال وقسمها يجب ان يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره وبيانها يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك •

والمقصود هنا أن المقصود بذلك كله هو أن يقوم الناس بالقسط ولهذا لما كان المشركون يجرمون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ينمهم على ذلك وذكر ما أمر به هو وما حرمه هو فقال ( قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ) وقال تعالى ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ) وهذه الآية تجمع أنواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضع وتلك الآية تجمع أنواع الواجبات كما بيناه أيضا. وقوله ( أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ) أمر مع القسط بالتوحيد الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذى لا يغفر قال تعالى ( ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) وهو الدين الذى أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به الى جميع الامم قال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون ) وقال تعالى ( واسئل من اوسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ) وقال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) وقال تعالى ( شرع

- ١ - الاعراف ٢٩  
٢ - الاعراف ٣٣  
٣ - النساء ١١٦  
٤ - الأنبياء ٢٥  
٥ - الزخرف ٤٥  
٦ - النحل ٣٦

لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى  
وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) وقال تعالى ( يا أيها الرسل كلوا من  
الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنار بكم  
فأهتقون ) ولهذا ترجم البخاري في صحيحه باب ما جاء في ان دين الانبياء واحد  
وذكر الحديث الصحيح في ذلك وهو الاسلام العام الذي اتفق عليه جميع  
النبيين قال نوح عليه السلام ( وأمرت أن اكون من المسلمين ) وقال تعالى في قصة  
ابراهيم ( اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنوه ويعقوب  
بابي ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ) وقال موسى ( يا قوم ان  
كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ) وقال تعالى ( قال الحواريون نحن  
أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ) وقال في قصة بلقيس ( رب انى ظلمت  
نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) وقال ( انا انزلنا التوراة فيها هدى  
ونور بحكمهم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ) وهذا التوحيد الذى هو أصل  
الدين هو أعظم العدل وضد: وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجنا في الصحيحين  
عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية ( الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم  
بظلم ) شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اينما لم يظلم نفسه  
فقال ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم: وفي الصحيحين عن  
ابن مسعود قال « قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو  
خلقك قلت . ثم أى قال ثم ان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال  
أن تزاني بحليلة جارك » فانزل الله تصديق ذلك ( والذين لا يدعون مع الله إلها  
آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ) الآية وقدها عن  
غير واحد من السلف وروي مرفوعا « الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه  
شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يعبا الله به شيئا » فاما الديوان الذى  
لا يغفر الله منه شيئا فهو الشرك فان الله لا يغفر ان يشرك به وأما الديوان الذى

الشورى ١٢

المؤمنون ٥١ - ٥٢

يونس ٧٢

البقرة ١٣١ - ١٣٢

يونس ٨٤

آل عمران ٥٢

البل ٤٤

المائدة ٤٤

الأنعام ٨٢

١٠ - الفرقان ٦٨

لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما ينمو بين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب هذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له وقد بسطنا الكلام فى هذه الأبواب الشريفة والاصول الجامعة فى القواعد وبيننا أنواع الظلم وبيننا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ومسمى الشرك جليله ودقيقه فقد جاء فى الحديث «الشرك فى هذه الامة أخفى من ديب النمل» وروى أن هذه الآية نزلت فى أهل الرياء (فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وكان شداد بن أوس يقول يا بقايا العرب يا بقايا العرب انما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال ابوداود السجستاني صاحب السنن المشهورة الخفية حب الرياسة وذلك ان حب الرياسة هو أصل البغى والظلم كما ان الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك والشرك أعظم الفساد كما ان التوحيد أعظم الإصلاح ولهذا قال تعالى (ان فرعون علأ فى الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين) الى أن ختم السورة بقوله (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الارض ولا فساداً) وقال (وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) وقال (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وقالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فاصل الصلاح والتوحيد والايان وأصل الفساد الشرك والكفر كما قال عن المنافقين (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وذلك ان صلاح كل شئ ان يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذى يراد منه ولهذا يقول الفقهاء العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده والفساد ما لم يترتب عليه أثر ولم يحصل به مقصوده والصحيح المقابل للفساد فى اصطلاحهم هو الصالح وكان يكثر فى كلام السلف هذا الاصلح او يصلح كما كثر فى كلام المتأخرين يصلح ولا

يصح والله تعالى أما خلق الانسان لعبادته وبدنه تبع لقلبه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا هو القلب» وصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود. إن الذي خلق له من معرفة الله ومحبة وتعظيمه وفساده في ضد ذلك فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط والقلب له قوتان العلم والقصد كما أن للبدن الحس والحركة الإرادية فكما إذا التي خرجت قوي الحس والحركة عن الحال الفطري الطبيعي فسدت فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي أن يكون مقرا لربه مريدا له فيكون هو منتهى قصده وإرادته وذلك هي العبادة إذ العبادة كمال الحب بكمال الذل فتى لم تكن حركة القلب ووجهه وإرادته لله تعالى كان فاسدا أما بأن يكون معرضا عن الله وعن ذكره غافلا عن ذلك مع تكذيب أو بدون تكذيب أو بأن يكون له ذكر وشعور ولكن قصده وإرادته غيره لكون الذكر ضعيفا لم يجتنب القلب إلى إرادة الله ومحبة وعبادته والأفتى قوى علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه قال تعالى ( فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ) فأمر نبيه بأن يعرض عن كان معرضا عن ذكر الله ولم يكن له مراد إلا ما يكون في الدنيا وهذه حال من فسد قلبه ولم يذكر ربه ولم ينب إليه فيريد وجهه وبخلف له الدين ثم قال ( وذلك مبلغهم من العلم ) فأخبر أنهم لم يحصل لهم علم فوق ما يكون في الدنيا فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم وأما المؤمن فأكثر همه هو الله واليه انتهى علمه وذكره وهذا الآن باب واسع عظيم قد تكلمنا عليه في مواضعه وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والاشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد إذ التوحيد أصل العدل وإرادة العلو مقرونة بالفساد إذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كاللوزين في قرآن فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات وهو البر وهو العدل والذنوب التي فيها تفریط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده وهي فساد وظلم ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا لله تعالى

لاجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ اذ ليس كونك عاليا عليه باولى من كونه عاليا عليك وكلاهما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا أخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك والتوحيد وان كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل ولهذا قال تعالى ( قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء ينشأ وينشكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ) ولهذا كان تخصيصه بالذكر في مثل قوله ( قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ) لا يمنع أن يكون داخلا في القسط كما أن ذكر العدل الصالح بعد الايمان لا يمنع أن يكون داخلا في الايمان كما في قوله ( وملائكته وجبريل وميكال ) ( ومن النبيين ميثاقهم ومنك ) هذا اذا قيل إن اسم الايمان يتناولوه سواء قيل انه في مثل هذا يكون داخلا في الاول فيكون مذكورا مرتين أو قيل بل عطفه عليه يقتضى انه ليس داخلا فيه هنا وان كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك في لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تنوع دلالة بالافراد والاقتران •

لكن المقصود ان كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم ولهذا كان العدل أمرا واجبا في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما في كل شيء. ولكل أحد فلا يحمل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظلما بل الظلم انما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن أي يحملنكم شنآن أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل ( قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ) وقال تعالى ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) وقال تعالى ( وان عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به ) وقال تعالى ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) وقد دل على هذا قوله في الحديث « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » فان هذا خطاب لجميع العباد ان لا يظلم أحد أحد أو امر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل في الدماء والأموال والأبضاع والأنساب والأعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن المماثلة قد

يكون علمها أو عملها معتدرا ومتعسرا ولهذا يكون الواجب ما يكون أقرب إليها بحسب الامكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثلى لما كان أمثل بما هو العدل والحق في نفس الامر اذ ذلك معجوز عنه ولهذا قال تعالى (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الا وسعها) فذكر أنه لم يكلف نفسا الا وسعها حين أمر بتوفية السكيل والميزان بالقسط لان السكيل لا بد له أن يتفضل احد المكيلين على الآخر ولو بحجة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشئ يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى (لا تكلف نفسا الا وسعها) ولهذا كان القصاص مشروعا اذ أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتصاص في الجروح التي تنتهي الى عظم وفي الاعضاء التي تنتهي الى مفصل فاذا كان الجنف واقعا في الاستيفاء عدل الى بدله وهو الدية لانه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتص منه وهذه حجة من رأي من الفقهاء انه لا قود الا بالسيف في العنق قال لان القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحريق والتفريق والتوسيط ونحو ذلك أشد ايلاما لكن الذين قالوا يفعل به مثل ما فعل قولهم اقرب الى العدل فانه مع تحرى التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الالم خارج عن قدرته وأما اذا قطع يديه ورجليه فهو وسطه فهو بل ذلك بضرب عنقه بالسيف أو روض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتفاء المماثلة فيه وأنه يتعذر معه وجودها بخلاف الاول فان المماثلة قد تقع اذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص في الضربة واللطمه ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء الى التعزير لعدم امكان المماثلة فيه والذي عاينه اختلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وهو منصوص أحمد ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لان ذلك أقرب الى العدل والمماثلة فانا اذا تحرينا أن نفعل به من جنس فعله وتقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتي بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنسا وقدره وصفة وهذا النظر أيضا في ضمان الحيوان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريبا أو بالقيمة كما نص أحمد على ذلك في مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص

عليه الشافعي فيمن حرب حائط غيره أنه يبينه كما كان وبهذا قضى سليمان عليه السلام في حكومة الحوث التي حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك في موضعه فجميع هذه الابواب المقصود للشرعية فيها تحري العدل بحسب الامكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه بالعدل في نفس الامر وان كان كل منهم قد أوتي علما وحكما لانه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم كما قال سبحانه « يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ولما كان العدل لا بد أن يتقدمه علم اذ من لا يعلم لا يدري ما العدل والانسان ظالم جاهل الا من تاب الله عليه فصار علما عادلا صار الناس من القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف العالم العادل والجاهل والظالم فهذان من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار » فهذان القسمان كما قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ ومن قال في القرآن برأيه فإخطأ فليتأبوا مقعده من النار وكل من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولى ديوان أو منتصبا للاحتساب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط قان الصحابة كانوا يمدونه من الحكم ولما كان الحكم مأمورين بالعدل بالمعروف وكان المفروض انما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

### ﴿ فصل ﴾

فلما ذكر في أول الحديث ما أوجبه من العدل وحرمة من الظلم على نفسه وعلى عباده ذكر بعد ذلك احسانه الى عباده مع غناه عنهم وفقرهم اليه واتهم لا يقدر على جلب منفعة لانفسهم ولا دفع مضرة الا أن يكون هو الميسر لذلك وأمر العباد ان يسألوه ذلك وأخبر انهم لا يقدر على نفعه ولا ضره مع عظم من يوصل اليهم

من النعماء ويدفع عنهم من البلاء وجلب المنفعة ودفع المضرة اما ان يكون في الدين  
أو في الدنيا \*

فصارَت أربعة أقسام الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدين  
والطعام والكسوة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدنيا وان شئت قلت الهداية  
والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن وهو الاصل في الاعمال الارادية  
والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب المنفعة واللباس لدفع المضرة وفتح  
الامر بالهداية قائما وان كانت الهداية النافعة هي المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس  
تابعة لهدى الله اياهم كما قال سبحانه ( سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى  
والذي قدر فهدى ) وقال موسى ( ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ) وقال  
تعالى ( وهديناه النجدين ) وقال ( انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا )  
ولهذا قيل الهدى أربعة أقسام أحدها الهداية الى مصالح الدنيا فهذا مشترك بين  
الحيوان الناطق والاعجم وبين المؤمن والكافر والثاني الهدى بمعنى دعاء الخلق  
الى ما ينفعهم وأمرهم بذلك وهو نصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب  
فهذا أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا كما قال تعالى ( وأما  
نمود فهديناهم فاستجبوا للعى على الهدى ) وقال تعالى ( انما أنت منذر ولكل  
قوم هاد ) وقال تعالى ( وانك لتهدى الى صراط مستقيم ) فهذا مع قوله ( انك  
لتهدى من أحببت ) يبين أن الهدى الذي أثبتته هو البيان والدعاء والامر والنهي  
والتعليم وما يتبع ذلك ليس هو الهدى الذي نفاه وهو القسم الثالث الذي لا يقدر  
عليه الا الله والقسم الثالث الهدى الذي هو جعل الهدى في القلوب وهو الذي  
يسميه بعضهم بالالهام والارشاد وبعضهم يقول هو خلق القدرة على الايمان كالتوفيق  
عندهم ونحو ذلك وهو بناء على أن الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل فن قال ذلك  
من أهل الاثبات جعل التوفيق والهدى ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة وأما  
من قال انهما استطاعتان احدهما قبل الفعل وهي الاستطاعة المشروطة في التكليف  
كما قال تعالى ( والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ) وقال النبي



صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين «صل قائماً فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب» وهذه الاستطاعة يقترب بها الفعل تارة والترك أخرى وهي الاستطاعة التي لم تعرف القدرية غيرها كما أن أولئك المخالفين لهم من أهل الاثبات لم يعرفوا الا المقارنة وأما الذى عليه المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فاثبات النوعين جميعاً كما بسطناه في غير هذا الموضع فان الأدلة الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً والثانية المقارنة للفعل وهي الموجبة له وهي المنفية عن لم يفعل في مثل قوله ( ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وفي قوله (لا يستطيعون سماعاً) وهذا الهدى الذى يكثر ذكره في القرآن في مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) وفي قوله (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) وأمثال ذلك وهذا هو الذى تنكر القدرية ان يكون الله هو الفاعل له ويزعمون أن العبد هو الذى يهدى نفسه وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم حيث قال «يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم» فأمر العباد بأن يسألوه الهداية كما أمرهم بذلك في أم الكتاب في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) وعند القدرية ان الله لا يقدر من الهدى الا على ما فعله من ارسال الرسل ونصب الأدلة وإزاحة العلة ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر في هداية الله تعالى ولا نعمة له على المؤمن اعظم من نعمته على الكافر في باب الهدى وقديين الاختصاص في هذه بعد عموم الدعوة في قوله (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فقد جمع الحديث تنزيهه عن الظلم الذى يجوز عليه بعض المثبتة وبيان انه هو الذى يهدى عباده رداً على القدرية فأخبر هناك بعدله الذى يذكره بعض المثبتة وأخبرنا باحسانه وقدرته الذى تنكره القدرية وان كان

كل منهما قصده تعظيماً لا يعرف ما شتمل عليه قوله

والقسم الرابع الهدى في الآخرة كما قال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها خير وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)<sup>٧</sup>

١ - هود ٢٠

٢ - الكهف ١٠١

٣ - الفاتحة ٥

٤ - الأنعام ١٢٥

٥ - يونس ٢٥

٦ - الحج ٢٢ - ٢٤

وقال ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم  
الأنهار في جنات نعيم ) قوله يهديهم ربهم بإيمانهم كقوله ( والذين آمنوا واتبعنهم  
ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ) على أحد القولين  
في الآية وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال  
الدنيا وكما أن قصد الشر في الدنيا جزاؤه الهدى الى طريق النار كما قال تعالى  
( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى  
صراط الجحيم ) وقال ( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا )  
وقال ( فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض  
عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرني أعمى  
وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ) وقال ( من  
يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فان تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة  
على وجوههم عمية وبكاهم ) الآية فليخبر أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم  
القيامة عمية وبكاهم فان الجزاء أبداً من جنس العمل كما قال صلى الله عليه وسلم  
« الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وقال  
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له الله به طريقا الى الجنة ومن يسر على  
معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة  
والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وقال « من سئل عن علم يعلمه فكتمه  
ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » وقد قال تعالى ( وليعفوا وليصْفَحُوا ألا تحبون  
عفا قديرا ) وأمثال هذا كثير في الكتاب والسنة ولهذا أيضا يجري الرجل في  
الدنيا على ما فعله من خير الهدى بما يفتح عليه من هدى آخر ولهذا قيل من عمل  
بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقد قال تعالى ( ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان  
خيرا لهم وأشد تنبيها الى قوله مستقيما ) وقال ( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين  
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ) وقال ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله  
وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم )

يونس ٩

الطور ٢١

الصافات ٢٢

الاسراء ٧٢

طه ١٢٣ - ١٢٦

الاسراء ٩٧

النور ٢٢

النساء ١٤٩

النساء ٦٦

النساء ٦٨

المائدة ١٦

الحديد ٢٨

وقال (ان اتقوا الله يجعل لكم فرقا) فسروه بالنصر والنجاة كقوله (يوم الفرقان)  
وقد قيل نور يفرق به بين الحق والباطل ومثله قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا  
ويرزقه من حيث لا يحتسب) وعد المتقين بالمخرج من الضيق ويرزق المنافع ومن  
هذا الباب قوله (والذين اهتموا زادهم هدي وآتاهم تقواهم) وقوله (انهم فتية  
آمنوا ببرهم وزدناهم هدى) ومنه قوله (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله  
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك  
الله نصرا عزيزا) وبازاء ذلك ان الضلال والمعاصي تكون بسبب الذنوب المتقدمة  
كما قال الله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقلوا قلوبنا غفل بل طبع الله عليها بكفراهم)  
وقال (فما تقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) وقال (وأقسموا بالله جهد  
أيمانهم) الى قوله (لا يؤمنون) الى قوله (يعمّهون) وهذا باب واسع ولهذا قال من قال  
من السلف ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وأن هن عقوبة السيئة السيئة بعدها  
وقد شاع في لسان العامة ان قوله (اتقوا الله ويعلمكم الله) من الباب الاول حيث  
يستدلون بذلك على أن التقوي سبب تعليم الله وأكثر الفضلاء يطعنون في هذه  
الدلالة لانه لم يربط الفعل الثاني بالاول ربط الجزاء بالشرط فلم يقل واتقوا الله  
ويعلمكم ولا قال فيعلمكم وانما أتى بواو العطف وليس من العطف ما يقتضي ان الاول  
سبب الثاني وقد يقال العطف قد يتضمن معنى الاقتران والتلازم كما يقال زرنى  
وازورك وسلم علينا ونسلم عليك ونحو ذلك مما يقتضي اقتران الفعلين والتعاضد من  
الطرفين كما لو قال لسيدة اعتقتى ولك على ألف أوقات المرأة زوجها طلقنى ولك ألف أو  
اخلىنى ولك ألف فان ذلك بمنزلة قولها بألف أو على ألف وكذلك أيضا لو قال أنت حر  
وعليك ألف أو أنت طالق وعليك ألف فانه كقوله على ألف أو بالف عند  
جمهور الفقهاء والفرق بينهما قول شاذ ويقول أحد المتعاضدين للآخر أعطيك  
هذا وأخذ هذا ونحو ذلك من العبارات فيقول الآخر نعم وان لم يكن أحدهما  
هو السبب الاخر دون العكس فقوله واتقوا الله ويعلمكم الله قد يكون من هذا  
الباب فكل من تعليم الرب وتقوى العبد يقارب الآخر ويلزمه ويتضمنه فتى علمه  
الله العلم النافع اقترن به التقوي بحسب ذلك ومتى اتقاه زاده من العلم وهلم جرا •

١ - الانفال ٢٩

٢ - الانفال ٤١

٣ - الطلاق ٢

٤ - عمد ١٧

٥ - الكهف ١٣

٦ - الفتح ١ - ٣

٧ - الصف ٥

٨ - النساء ١٥٥

٩ - المائدة ١٣

١٠ - الأنعام ١٠٩

## ﴿ فصل ﴾

واما قوله « يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم وكلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم » . فيقتضى أصليين عظيمين أحدهما وجوب التوكل على الله فى الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة كاللباس وانه لا يقدر غير الله على الاطعام والكسوة قدرة مطلقة وانما القدرة التى تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك ولهذا قال ( وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ) وقال ( ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لهن قايما وارزقوهن فيهاوا كسوهن ) . فالأمور به هو المقدر للعباد وكذلك قوله ( أو اطعم في يوم ذى مسغبة يتما دأ مقربة أو مسكينا ذأ متربة ) وقوله ( واطعموا الفقار والمعترا ) وقوله ( فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ) وقال ( واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ) . فتم من يترك الأمور به اكتفاء بما يجرى به القدر ومن هنا يعرف ان السبب المأمور به أو المباح لا ينافى وجوب التوكل على الله فى وجود السبب بل الحاجة والفقر الى الله ثابتة مع فعل السبب اذ ليس فى المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب ولهذا لا يجب ان تقتزن الحوادث بما قد يحمل سببا الا بمشيئة الله تعالى فانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخل بواجب التوحيد ولهذا يخذل أمثال هؤلاء اذا اعتمدوا على الاسباب فن رجا نصرأ أو رزقا من غير الله خذله الله كما قال على رضى الله عنه « لا يرجون عبد الآربه ولا يخافن الا ذنبه » وقد قال تعالى ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ) وقال تعالى ( وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده ) وقال ( قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ) . وهذا كما ان من أخذ يدخل فى التوكل تاركأا أمر به

١ - البقرة ٢٢٢

٢ - النساء ٥

٣ - البلد ١٤ - ١٦

٤ - الحج ٣٦

٥ - الحج ٢٨

٦ - يس ٤٧

٧ - فاطر ٢

٨ - هود ١٠٧

٩ - الزمر ٢٨

من الاسباب فهو أيضا جاهل ظالم عاص لله بتترك ما أمره فان فعل المأمور به عبادة لله وقد قال تعالى ( فاعبده وتوكل عليه ) وقال ( إياك نعبد وإياك نستعين ) وقال ( قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ) وقال شعيب عليه السلام ( عليه توكلت واليه أنيب ) وقال ( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب ) وقال ( قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لآبيه لا تستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ) فليس من فعل شئنا أمر به وترك ما أمر به من التوكل بأعظم ذنبا ممن فعل توكل ما أمر به وترك فعل ما أمر به من السبب اذ كلاهما محل ببعض ماوجب عليه وهما مع اشتراكهما فى جنس الذنب فقد يكون هذا ألوم وقد يكون الآخر مع أن التوكل فى الحقيقة من جملة الاسباب وقد روي أبو داود فى سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم « قضى بين رجلين فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على المعجز ولكن عليك بالكيس فان غلبك أمر قتل حسبي الله ونعم الوكيل » وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان اللوم يفتح عمل الشيطان فى » قوله صلى الله عليه وسلم « أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » أمر بالتسبب المسأور به وهو الحرص على المنافع وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله فمن اكتفى بأحدهما قد عصى أحد الأمرين ونهى عن المعجز الذي هو ضد الكيس كما قال فى الحديث الآخر « ان الله يلوم على المعجز ولكن عليك بالكيس » وكما فى الحديث الشامي « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » فالعاجز فى الحديث مقابل الكيس ومن قال العاجز الذى هو مقابل البر فقد حرف

١ - هود ١٢٣

٢ - الفاتحة ٤

٣ - الرعد ٣٠

٤ - هود ٨٨

٥ - الشورى ١٠

٦ - للمتحنة ٤

الحديث ولم يفهم معناه ومنه الحديث « كل شئ بقدر حتى المعجز والكيس » ومن ذلك ما روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال « كان أهل اليمن يمجون ولا يزودون يقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سألوا الناس فقال الله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) فمن فعل ما أمر به من التزود فاستعان به على طاعة الله وأحسن منه الى من يكون محتاجا كان مطيعا لله فى هذين الامرين بخلاف من ترك ذلك متلفتا الى ازواد الحجييج كلا على الناس وان كان مع هذا قلبه غير ملتفت الى معين فهو ملتفت الى الجملة لكن ان كان المتزود غير قائم بما يجب عليه من التوكل على الله ومواساة المحتاج فقد يكون فى تركه لما أمر به من جنس هذا التارك للتزود المأمور به وفى هذه النصوص بيان غلط طوائف طائفة تضعف أمر السبب المأمور به فتعده قصا أو قدحا فى التوحيد والتوكل وان تركه من كمال التوكل والتوحيد وهم فى ذلك ملبوس عليهم وقد يقرن بالغلط اتباع الهوى فى اخلاص النفس الى البطالة ولهذا تجمد عامة هذا الضرب التاركين لما أمروا به من الاسباب يتعلقون باسباب دون ذلك فاما ان يعلقوا قلوبهم بالخلق رغبة ورهبة واما أن يتركوا لاجل ما تبطلوا له من الغلو فى التوكل واجبات أو مستحبات انفع لهم من ذلك كمن يصرف همهته فى توكله الى شفاء مرضه بلا دواء أو نيل رزقه بلا سعى فقد يحصل ذلك لكن كان مباشرة الدواء الخفيف والسعى اليسير وصرف تلك المهمة والتوجه فى عمل صالح انفع له بل قد يكون أوجب عليه من تبطله لهذا الامر اليسير الذى قدره درهم أو نحوه وفوق هؤلاء من يجعل التوكل والدعاء أيضا نقصا واقطاعا عن الخاصة ظنا أن ملاحظة ما فرغ منه فى القدر هو حال الخاصة وقد قال فى هذا الحديث « كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني أطعمكم وقال فاستكسوني أ كسكم » وفى الطبرانى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليسئل احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا اقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر » وهذا قد يلزمه أن يجعل أيضا استهداء الله وعمله بطاعته من ذلك . وقولهم يوجب دفع المأمور به مطلقا بل دفع المخلوق والمأمور وانما غلطوا من حيث ظنوا سبق التقدير ينم أن يكون بالسبب المأمور به كمن يتزندق فيترك

الاعمال الواجبة بناء على أن القدر قد سبق بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولم يعلم  
 أن القدر سبق بالأمور على ما هي عليه فمن قدره الله من أهل السعادة كان مما  
 قدره الله بتيسيره لعمل أهل السعادة ومن قدره من أهل الشقاوة كان مما قدره أنه  
 يسره لعمل أهل الشقاء كما قد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال  
 في حديث علي بن أبي طالب وعمران بن حصين وسراق بن جشم وغيرهم ومنه  
 حديث الترمذي حدثنا ابن عمر حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي خزيمة عن  
 أبيه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أ رأيت أدوية تتداوي  
 بها ورتي نسترقى بها وثقاة تقيها هل ترد من قدر الله شيئا « فقال هي من قدر الله »  
 وطائفة تظن أن التوكل إنما هو من مقامات الخاصة المتقر بين إلى الله بالنوافل  
 وكذلك قولهم في أعمال القلوب وتوابعها كالحب والرجاء والخوف والشكر ونحو  
 ذلك وهذا ضلال مبين بل جميع هذه الأمور فروض على الأعيان باتفاق أهل  
 الإيمان ومن تركها بالكليّة فهو إما كافر وإما منافق لكن الناس هم فيها كما هم  
 في الأعمال الظاهرة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ونصوص  
 الكتاب والسنة طافحة بذلك وليس هؤلاء المعرضون عن هذه الأمور علماء وعلماء  
 بأقل لوما من التاركين لما أمروا به من أعمال ظاهرة مع تلبسهم ببعض هذه الأعمال  
 بل استحقاق النعم والعقاب يتوجه إلى من ترك المأمور من الأمور الباطنة والظاهرة  
 وإن كانت الأمور الباطنة مبتدأ الأمور الظاهرة وأصولها والأمور الظاهرة كالها  
 وفروعها التي لا تتم إلا بها ٥

### فصل

وأما قوله « يا عبادي أنكم تمخطون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا » وفي  
 رواية « وأنا أغفر الذنوب ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم » فالمغفرة العامة لجميع  
 الذنوب نوعان أحدهما المغفرة لمن تاب كما في قوله تعالى ( قل يا عبادي الذين  
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ) إلى قوله ( ثم لا تنصرون فهذا ) السياق  
 مع سبب نزول الآية يبين أن المعنى لا يئأس مذنب من مغفرة الله ولو كانت ذنوبه

ما كانت فان الله سبحانه لا يتعاطيه ذنب أن يفره لعبده التائب وقد دخل في هذا العموم الشرك وغيره من الذنوب فان الله تعالى يفر ذلك لمن تاب منه قال تعالى ( فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ) الى قوله ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ) وقال في الآية الاخرى ( فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ) وقال ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ) الى قوله ( أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ) وهذا القول الجامع بالمغفرة لكل ذنب للتائب منه كما دل عليه القرآن والحديث هو الصواب عند جماهير أهل العلم وان كان من الناس من يستثنى بعض الذنوب كقول بعضهم ان توبة الداعية الى البدع لا تقبل باطنا للحديث الاسرائيلي الذي فيه فكيف من أضللت وهذا غلط فان الله قد بين في كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع وقد قال تعالى ( ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ) قال الحسن البصري انظروا الى هذا الكرم عذبوا أوليائه وفتنوه ثم هو يدعوهم الى التوبة وكذلك توبة القاتل ونحوه وحديث أبي سعيد المتفق عليه في الذي قتل تسعة وتسعين نفساً يدل على قبول توبته وليس في الكتاب والسنة ما ينافي ذلك ولا نصوص الوعيد فيه وفي غيره من الكبائر بمنافية لنصوص قبول التوبة فليست آية الفرقان بمنسوخة بآية النساء اذ لا منافاة بينهما فانه قد علم يقيناً أن كل ذنب فيه وعيد فان لحوق الوعيد مشروط بعدم التوبة اذ نصوص التوبة مبينة لتلك النصوص كالوعيد في الشرك وأكل الربا وأكل مال اليتيم والسحر وغير ذلك من الذنوب ومن قال من العلماء توبته غير مقبولة فحقيقة قوله التي تلاثم أصول الشريعة أن يراد بذلك أن التوبة المجردة تسقط حق الله من العقاب وأما حق المظلوم فلا يسقط بمجرد التوبة وهذا حق ولا فرق في ذلك بين القاتل وسائر الظالمين فمن تاب من ظلم لم يسقط بتوبته حق المظلوم لكن من تمام توبته أن يعرضه بمثل مظلمته وان لم يعرضه في الدنيا فلا بد له من العوض في الآخرة فينبغي للظالم التائب أن يستكثر من الحسنات

- ١ - التوبة ٥
- ٢ - التوبة ٥
- ٣ - التوبة ١١
- ٤ - المائدة ٧٣
- ٥ - المائدة ٧٤
- ٦ - البروج ١٠



حتى اذا استوفى المظلومون حقوقهم لم يبق مفلسا ومع هذا فاذا شاء الله أن يعوض المظلوم من عنده فلا راد لفضله كما اذا شاء أن يغفر مادون الشرك لمن يشاء ولهذا في حديث القصاص الذي ركب فيه جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس شهرا حتى شافه به وقد رواه الامام احمد وغيره واستشهد به البخاري في صحيحه وهو من جنس حديث الترمذي صحاحه أو حسانه قال فيه « اذا كان يوم القيامة فإن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر ثم ينادهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لاحد من أهل النار قبله مظلمة ولا ينبغي لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لاحد من أهل الجنة حتى أقصه منه » فبين في الحديث العدل والقصاص بين أهل الجنة وأهل النار . وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد « أن أهل الجنة اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة » وقد قال سبحانه لما قال (ولا يقرب بعضكم بعضا). والاعتياب من ظلم الاعراض قال (أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله ثواب رحيم) . فقد نههم على التوبة من الاعتياب وهو من الظلم وفي الحديث الصحيح « من كان عنده لآخيه مظلمة في دم أو مال أو عرض فليأتها فليستحل منه قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار الا الحسنات والسيئات فان كان له حسنات والا أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم يلقى في النار » أو كما قال وهذا فيما علمه المظلوم من العوض فاما اذا اغتابه أو قذفه ولم يعلم بذلك فقد قيل من شرط توبته اعلامه وقيل لا يشترط ذلك وهذا قول الاكثرين وهما روايتان عن أحمد لكن قوله مثل هذا أن يفعل مع المظلوم حسنات كاللعاء له والاستغفار وعمل صالح يهدي اليه يقوم مقام اغتيابه وقذفه قال الحسن البصري كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبتة وأما الذنوب التي يطابق الفقهاء فيها نفي قبول التوبة مثل قول أكثرهم لا تقبل توبة الزنديق وهو المنافق وقولهم اذا تاب المحارب قبل القدرة عليه تسقط عنه حدود الله وكذلك قول كثير منهم أو أكثرهم في سائر الجرائم كما هو أحد

قولى الشافعى وأصح الروايتين عن أحمد وقولهم فى هؤلاء اذا تابوا بعد الرفع الى الامام لم تقبل توبتهم فهذا اما يريدون به رفع العقوبة المشروعة عنهم أى لا تقبل توبتهم بحيث يخلى بلا عقوبة بل يعاقب اما لان توبته غير معلومة الصحة بل يظن به الكذب فيها واما لان رفع العقوبة بذلك يفضى الى انتهاك المحارم وسد باب العقوبة على الجرائم ولا يريدون بذلك أن من تاب من هؤلاء توبة صحيحة فان الله لا يقبل توبته فى الباطن اذ ليس هذا قول أحد من أئمة الفقهاء بل هذه التوبة لا تمنع الا اذا عين أمر الآخرة كما قال تعالى (أما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا للذين يموتون وهم كفار) الآية قال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا الى كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وأما من تاب عند معاينة الموت فهذا كفرعون الذي قال الله فيه (فلما أدركه الفرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله (آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وهذا استفهام انكار بين به ان هذه التوبة ليست هى التوبة المقبولة بالمأمور بها فان استفهام الانكار اما بمعنى النفي اذ قابل الاخبار واما بمعنى الذم والنهى اذ قابل الانشاء وهذا من هذا ومثله قوله تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) الآية بين ان التوبة بعد رؤية البأس لا تنفع وان هذه سنة الله التى قد خلت فى عباده كفرعون وغيره وفى الحديث «ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر» وروى مالم يعاين وقد ثبت فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم «عرض على عمه التوحيد فى مرضه الذى مات فيه وقد عاد يهوديا كان يخدمه فعرض عليه الاسلام فاسلم فقال الحمد لله الذى أنقذني من النار» ثم قال لأصحابه «أروا اخاكم» وما بين أن المغفرة العامة فى الزمر هى للتائبين انه قال فى سورة النساء (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون

١ - النساء ١٧ - ١٨

٢ - يونس ٩١

٤ - غافر ٨٣ - ٨٥

٢ - يونس ٩٠

ذلك لمن يشاء) قعيد المغفرة بما دون الشرك وعلقها على المشيئة وهناك أطلق وعمم  
فدل هذا التقييد والتطبيق على أن هذا في حق غير التائب ولهذا استدل أهل  
السنة بهذه الآية على جواز المغفرة لأهل الكبائر في الجملة خلافاً لمن أوجب نفوذ  
الوعيد بهم من الخوارج والمعتزلة وإن كان المخالفون لهم قد أسرف فريق منهم من  
المرجئة حتى توقفوا في لحقوق الوعيد بأحد من أهل القبلة كما يذكر عن غلاتهم  
أنهم نفوه مطلقاً ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ونصوص الكتاب  
والسنة مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على أن من أهل الكبائر من  
يعذب وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. النوع الثاني من  
المغفرة العامة التي دل عليها قوله «يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر  
الذنوب جميعاً» المغفرة بمعنى تخفيف العذاب أو بمعنى تأخيرها إلى أجل مسمى وهذا  
عام مطلقاً ولهذا شفع النبي صلى الله عليه وسلم في أبي طالب مع موته على الشرك  
فنقل من غمرة من نار حتى جعل ضحضاح من نار في قدميه نعلان من نار يغلي  
منهما دماغه قال ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار، وعلى هذا المعنى  
دل قوله سبحانه (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) (ولو  
يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت  
أيديكم ويغفون كثير) \*

### فصل

وأما قوله عز وجل «يا عبادي انكم لن تبغوا ضري فتضروني ولن تبغوا  
نفي فتنتفوني» فإنه هو بين بذلك أنه ليس هو فيما يحسن به إليهم من اجابة الدعوات  
وغفران الزلات بالمستغيث بذلك منهم جلب منفعة أو دفع مضرة كما هي عادة  
المخلوق الذي يعطيه غيره فما يكافئه عليه بنفع أو يدفع عنه ضرر اليتق بذلك  
ضرره قال انكم لن تبغوا نفي فتنتفوني ولن تبغوا ضري فتضروني فليست  
إذا أجسمكم بهداية المستهدي وكفاية المستكفي المستنظم والمستكفي بالذي أطلب

ان تنفعوني ولا أنا اذا غفرت خطاياكم بالليل والنهار أنقذ بذلك أن تضروني فانكم لن تبلغوا نفعي فتتفعدوني ولن تبلغوا ضري فتتضروني اذهم عاجزون عن ذلك بل مايقدرون عليه من الفعل لايقدرون عليه الا بتقديره وتدييره فكيف بما لايقدرون عليه فكيف بالغني الصمد الذي يتمتع عليه أن يستحق من غيره نفعا أو ضرا وهذا الكلام كما بين أن مايفعله بهم من جلب المنافع ودفع المضار فانهم لن يبلغوا ان يفعلوا به مثل ذلك فكذلك يتضمن ان مايامرهم به من الطاعات وما ينهاهم عنه من السيئات فانه لايتضمن استجلاب نفعهم كامر السيد لعبده أو الوالد لولده والامير لرعيته ونحو ذلك ولا دفع مضرتهم كنهبي هؤلاء أو غيرهم لبعض الناس عن مضرتهم فان المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض ومضرة بعض وكانوا في أمرهم ونهيهم قد يكونون كذلك والمخالق سبحانه مقدس عن ذلك فبين تنزيهه عن حقوق نفعهم وضرمهم في احسانه اليهم بما يكون من أفعاله بهم وأوامره لهم قال قتادة ان الله لم يامر العباد بما أمرهم به لحاجته اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به عليهم ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم \*

### فصل

ولهذا ذكر هذين الاصلين بعد هذا فقد ذكر أن برهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لايزيد في ملكه ولا ينقص وان اعطاء اياهم غاية مايسألونه نسبتة الى ما عنده أدنى نسبة وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ممن يزداد ملكه بطاعة الرعية وينقص ملكه بالمعصية واذا أعطى الناس مايسألونه أنفذ ما عنده ولم يغنهم وهم في ذلك يبلغون مضرتهم ومنفعته وهو يفعل مايفعله من احسان وعفو وأمر ونهي لرجاء المنفعة وخوف المضرة فقال يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا اذ ملكه وهو قدرته على التصرف فلا تزداد بطاعتهم ولا تنقص بمعصيتهم

كما تزداد قدرة الملوك بكثرة المطيعين لهم وتنقص بقلة المطيعين لهم فان ملكه متعلق بنفسه وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وهو الذي يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء والملك قد يراد به القدرة على التصرف والتدبير ويراد به نفس التدبير والتصرف ويراد به المملوك نفسه الذى هو محل التدبير ويراد به ذلك كله وبكل حال فليس بر الا برار وفجور الفجار موجبا لزيادة شيء من ذلك ولا قصه بل هو بمشيئته وقدرته يخلق ما يشاء فلو شاء أن يخلق مع فجور الفجار ما شاء لم يمنع من ذلك مانع كما يمنع الملوك فجور رعاياهم التى تعارض أوامرهم عما يختارونه من ذلك ولو شاء أن لا يخلق مع بر الا برار شيئا مما خلقه لم يكن برهم محوجا له الى ذلك ولا معين له كما يحتاج الملوك ويستعينون بكثرة الرعايا المطيعين \*

### فصل

ثم ذكر حالهم فى النوعين سؤال بره وطاعة أمره اللذين ذكرهما فى الحديث حيث ذكر الاستهداء والاستطعام والاستكساء وذكر الغفران والبر والفجور فقال لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل انسان منهم مسألة ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر \* والخياط والمحيط ما يخاط به اذ الفعل والمفعول والمفعول من صيغ الآلات التى يفعل بها كالمسعر والحلاب والميشار \*

فبين أن جميع الخلائق اذا سألوا وهم فى مكان واحد وزمان واحد فأعطى كل انسان منهم مسألة لم ينقصه ذلك مما عنده الا كما ينقص الخياط وهى الابرة اذا غمس فى البحر. وقوله لم ينقص مما عندى فيه قولان أحدهما أنه يدل على أن عنده أمورا موجودة يعطيهم منها ما سألوه اياه وعلى هذا فيقال لفظ النقص على حاله لان الاعطاء من الكثير وان كان قليلا فلا بد أن ينقصه شيئا ما ومن رواه لم ينقص من ما كى يحمل على ما عنده كما فى هذا اللفظ فان قوله مما عندى فيه

تخصيص ليس هو في قوله من ملكي وقد يقال المعطى اما ان يكون أعيانا قائمة بنفسها أو صفات قائمة بغيرها فأما الاعيان فقد تنقل من محل الى محل فيظهر النقص في المحل الاول وأما الصفات فلا تنقل من محلها وان وجد نظيرها في محل آخر كما يوجد نظير علم المعلم في قلب المتعلم من غير زوال علم المعلم وكما يتكلم المتكلم بكلام المتكلم قبله من غير انتقال كلام المتكلم الاول الى الثاني وعلى هذا فالصفات لا تنقص مما عنده شيئا وهي من المسئول كالهدي وقد يجاب عن هذا بانه هو من الممكن في بعض الصفات ان لا يثبت مثلها في المحل الثاني حتى تزول عن الاول كاللون الذي ينقص وكالروائح التي تعبق بمكان وتزول كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على حى المدينة أن تنقل الى مبيعة وهي الجحفة وهل مثل هذا الانتقال بانتقال عين العرض الاول أو بوجود مثله من غير انتقال عينه فيه للناس قولان اذ منهم من يجوز انتقال الاعراض بل من يجوز أن تجعل الاعراض أعيانا كما هو قول ضرار والنجار وأصحابها كبرغوث وحفص الفرد لكن ان قيل هو بوجود مثله من غير انتقال عينه فذلك يكون مع استحالة العرض الاول وفنائه فيعدم عن ذلك المحل ويوجد مثله في المحل الثاني والقول الثاني أن لفظ النقص هنا كلفظ النقص في حديث موسى والخضر الذي في الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أن الخضر قال لموسى لما وقع عصفور على قارب السفينة فنقر في البحر فقال يا موسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ومن المعلوم ان نفس علم الله القائم بنفسه لا يزول منه شيء بتعلم العباد وانما المقصود أن نسبة علمى وعلمك الى علم الله كنسبة ما علق بمنقار العصفور الى البحر ومن هذا الباب كون العلم يورث كقوله العلماء ورثة الانبياء ومنه قوله ( وورث سليمان داود ) ومنه توريث الكتاب أيضا كقوله ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) ومثل هذه العبارة من النقص ونحوه تستعمل في هذا وان كان العلم الاول ثابتا كما قال سعيد بن المسيب لقتادة وقد أقام عنده أسبوعا سأله فيه مسائل عظيمة حتى عجب من حفظه وقال زفنى يا أعمى وانزاف القلب ونحوه هو رفع ما فيه

بحيث لا يبقى فيه شيء ومعلوم أن قتادة لو تعلم جميع علم سعيد لم يزل علمه من قلبه كما يزول الماء من القلب لکن قد يقال التعليم إنما يكون بالكلام والكلام يحتاج الى حركة وغيرها مما يكون بالحل ويزول عنه ولهذا يوصف بأنه يخرج من المتكلم كما قال تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) ويقال قد أخرج العالم هذا الحديث ولم يخرج هذا فإذا كان تعليم العلم بالكلام المستلزم زوال بعض ما يقوم بالحل وهذا نزيف وخروج كان كلام سعيد بن المسيب على حقيقته ومضمونه أنه في تلك السبع الليالي من كثرة ما أجابه وكلامه ففارقة أمور قامت به من حركات وأصوات بل ومن صفات قائمة بالنفس كان ذلك نزيفا ومما يقوى هذا المعنى أن الانسان وان كان علمه في نفسه فليس هو أمرا لازما للنفس لزوم الألوان للمتلونات بل قد يذهل الانسان عنه ويفغل وقد ينساه ثم يذكره فهو شيء يضر تارة ويغيب أخرى وإذا تكلم به الانسان وعلمه فقد تكلت النفس وتعبى حتى لا يقوى على استحضاره الا بعد مدة فتكون في تلك الحال خالية عن كمال تحفته واستحضاره الذي يكون به العالم عالما بالفعل وان لم يكن نفس مازال هو بعينه القائم في نفس السائل والمستمع ومن قال هذا يقول كون التعليم يرسخ العلم من وجه لا يتنافى ما ذكرناه وإذا كان مثل هذا النقص والنزيف معقولا في علم العباد كان استعمال لفظ النقص في علم الله بناء على اللغة المعتادة في مثل ذلك وان كان هو سبحانه منزها عن اتصافه بضد العلم بوجه من الوجوه أو عن زوال علمه عنه لكن في قيام أفعال به وحركات نزاع بين الناس من المسلمين وغيرهم وتحقيق الأمر أن المراد ما أخذ على وعلمك من علم الله وما نال على وعلمك من علم الله وما أحاط على وعلمك من علم الله كما قال (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) الا كما قص أو أخذ أو نال هذا المصفور من هذا البحر أى نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا وان كان المشبه به جسما ينتقل من محل الى محل ويزول عن المحل الاول وليس المشبه كذلك فان هذا الفرق هو فرق ظاهر يعلمه المستمع من غير التباس كما قال صلى الله عليه وسلم «انكم سترون ربكم كاترون الشمس والقمر» فشبّه الرؤية بالرؤية وهي وان كانت متعلقة بالمرئي في الرؤية المشبهة والرؤية المشبه بها

لكن قد علم المستمعون أن المرئي ليس مثل المرئي فكذلك هنا شبه النقص بالنقص وإن كان كل من الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه ليس مثل الناقص والمنقوص والمنقوص منه المشبه به ولهذا كل أحد يعلم أن المعلم لا يزول علمه بالتعليم بل يشبهونه بضوء السراج الذي يحدث يقتبس منه كل أحد ويأخذون ماشاءوا من الشهب وهو باق بحاله وهذا تمثيل مطابق فإن المستوقد من السراج يحدث الله في فتيلته أو وقوده نارا من جنس تلك النار وإن كان قد يقال إنها تستحيل عن ذلك الهواء مع أن النار الأولى باقية . كذلك المتعلم يحمل في قلبه مثل علم المعلم مع بقاء علم المعلم ولهذا قال على رضي الله عنه العلم يزكو على العمل أو قال على التعليم والمال ينقصه النفقة وعلى هذا فيقال في حديث أبي ذر إن قوله مما عندي وقوله من ملكي هو من هذا الباب وحينئذ فله وجهان أحدهما أن يكون ما أعطاهم خارجا عن مسمى ملكه ومسمى ما عنده كما أن علم الله لا يدخل فيه نفس علم موسى والخضر والثاني أن يقال بل لفظ الملك وما عنده يتناول كل شيء وما أعطاهم فهو جزء من ملكه وما عنده ولكن نسبت إلى الجملة هذه النسبة الخفية ومما يحقق هذا القول الثاني أن الترمذي روى هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر مرفوعا فيه «لأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ورطبكم ويابسكم سألوني حتى تنتهي مسألة كل واحد منهم فأعطيتهم ما سألوني ما نقص ذلك مما عندي كعزير ليرة لو غمسها أحدكم في البحر وذلك أني جواد ماجد واجد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمرى لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون » فذكر سبحانه أن عطاه كلام وعذابه كلام يدل على أنه هو أراد بقوله من ملكي ومما عندي أي من مقدوري فيكون هذا في القدرة كحديث الخضر في العلم والله أعلم ويؤيد ذلك أن في اللفظ الآخر الذي في نسخة أبي مسهر لم ينقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص البحر وهذا قد يقال فيه أنه استثناء منقطع أي لم ينقص من ملكي شيئا لكن يكون حاله حال هذه النسبة وقد يقال بل هو تام والمعنى على ما سبق \*



## ﴿ فصل ﴾

ثم ختمه بتحقيق ما بينه فيه من عدله واحسانه فقال « يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فينبى أنه محسن الى عبادته في الجزاء على أعمالهم الصالحة احسانا يستحق به الحمد لانه هو المنعم بالامر بها والارشاد اليها والاعانة عليها ثم احصاها ثم توفية جزائها فذلك فضل منه واحسان اذ كل نعمة منه فضل وكل قسمة منه عدل وهو وان كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين كما تقدم بيانه فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلا لافضلا لان ذلك انما يكون لكون بعض الناس أحسن الى البعض فاستحق المعاوضة وكان احسانه اليه بقدرة المحسن دون المحسن اليه ولهذا لم يكن المتعاوضان ليخص أحدهما بالفضل على الآخر لتكافئتهما وهو قد بين في الحديث أن العباد لم يلبغوا ضره فيضره ولن يلبغوا نفعه فينفعوه فامتنع حيثئذ أن يكون لاحد من جهة نفسه عليه حق بل هو الذي أحق الحق على نفسه بكلماته فهو المحسن بالاحسان وباحقائه وكتابته على نفسه فهو في كتابة الرحمة على نفسه واحقائه نصر عبادته المؤمنين ونحو ذلك محسن احسانا مع احسان فليتدبر اللبيب هذه التفاصيل التي يتبين بها فضل الخطاب في هذه المواضع التي عظم فيها الاضطراب فمن بين موجب على ربه بالمتنع أن يكون محسنا متفضلا ومن بين مسوى بين عدله واحسانه وما تنزه عنه من الظلم والعدوان وجاهل الجميع نوعا واحدا وكل ذلك حيد عن سنن الصراط المستقيم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل •

وكما بين أنه محسن في الحسنات متم احسانه باحصائها والجزاء عليها بين أنه عادل في الجزاء على السيئات فقال « ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » كما تقدم بيانه في مثل قوله ( وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ) وعلى هذا الاصل استقرت الشريعة الموافقة لفطرة الله التي فطر الناس عليها كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال « سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » ففى قوله أبوء لك بنعمتك على اعتراف بنعمته عليه فى الحسنات وغيرها وقوله وأبوء بذنبى اعتراف منه بأنه مذنب ظالم لنفسه وبهذا يصير العبد شكورا لربه مستغفرا لذنبه فيستوجب مزيد الخير وغفران الشر من الشكور الغفور الذي يشكر اليسير من العمل ويغفر الكثير من الزلل »

وهنا اقسام الناس ثلاثة اقسام فى اضافة الحسنات والسيئات التى هى الطاعات والمعاصى الى ربهم والى نفوسهم فشرم الذي اذا أساء أضاف ذلك الى القدر واعتذر بان القدر سبق بذلك وأنه لا خروج له عن القدر فركب الحجة على ربه فى ظلمه لنفسه وان أحسن أضاف ذلك الى نفسه ونسى نعمة الله عليه فى تيسيره لىسرى وهذا ليس مذهب طائفة من بنى آدم ولكنه حال شرار الجاهلين الظالمين الذين لا يحفظوا حدود الامر والنهى ولا شهدوا حقيقة القضاء والقدر . كما قال فيهم الشيخ ابو الفرج بن الجوزى أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هو المذهب به وخير الاقسام وهو القسم المشروع وهو الحق الذي جاءت به الشريعة أنه اذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده اذا أنعم عليه بان جعله محسنا ولم يجعله مسيئا فانه قدير محتاج فى ذاته وصفاته وجميع حركاته وسكناته الى ربه ولا حول ولا قوة الا به فلو لم يهده لم يهتد كما قال أهل الجنة ( الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ) واذا أساء اعترف بذنبه واستغفر ربه وتاب عنه وكان كايه آدم الذى ( قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ) ولم يكن كابليس الذى قال ( يا أغويينى لأزينن لهم فى الارض ولأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ) ولم يحتج بالقدر على ترك مأمور ولا فعل محظور مع ايمانه بالقدر خيره وشره وان الله خالق كل شىء وربهم ومليكه وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك وهؤلاء هم الذين أطاعوا الله فى قوله فى هذا

الحديث الصحيح « فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن  
الافسه » ولكن بسط ذلك وتحقيق نسبة الذنب الى النفس مع العلم بان الله  
خالق أفعال العباد فيه أسرار ليس هذا موضعها ومع هذا فقوله تعالى ( وان  
تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصيبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل  
كل من عند الله فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا ما أصابك من حسنة فمن  
الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) ليس المراد بالحسنات والسيئات في هذه  
الاية الطاعة والمعاصي كما يظنه كثير من الناس حتى يحرف بعضهم القرآن ويقرأ فن  
نفسك ومعلوم أن معنى هذه القراءة يناقض القراءة المتواترة وحتى يضرر بعضهم  
القول على وجه الإنكار له وهو قول الله الحق فيجبل قول الله الصديق الذي يحمد  
ويرضى قولاً للكفار يكذب به ويذم ويسخط بالاضمار الباطل الذي يدعيه من  
غير أن يكون في السياق ما يدل عليه \*

ثم ان من جهل هؤلاء ظنهم أن في هذه الآية حجة للقدرية واحتجاج بعض  
القدرية بها وذلك أنه لاخلاف بين الناس في أن الطاعات والمعاصي سواء من  
جهة القدر . فمن قال ان العبد هو الموجد لفعله دون الله أو هو الخالق لفعله وأن  
الله لم يخلق أفعال العباد فلا فرق عنده بين الطاعة والمصيبة . ومن أثبت خلق  
الافعال وأثبت الجبر أو فناء أو أمسك عن نفيه وإثباته مطلقاً وفصل المعنى أو  
لم يفصله فلا فرق عنده بين الطاعة والمصيبة فتبين أن ادخال هذه الآية في القدر  
في غاية الجهالة وذلك ان الحسنات والسيئات في الآية المراد به المسار والمضار دون  
الطاعات والمعاصي كما في قوله تعالى (وبلونا هم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون)  
وهو الشر والخير في قوله ( ونبلوكم بالشر والخير فتنة ) وكذلك قوله ( ان  
تمسكم حسنة تسؤم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها ) وقوله تعالى ( ولئن أذقناه  
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني ) وقوله تعالى ( وما  
أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا  
مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فآخذناهم  
بفتنة وهم لا يشعرون ) وقوله تعالى ( واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصيبهم

١ - النساء ٧٨ - ٧٩

٢ - الاعراف ١٦٨

٣ - الأنبياء ٣٥

٤ - آل عمران ١٢٠

٥ - هود ١٠

٦ - الاعراف ٩٤ - ٩٥

سيئة يطيروا بموسى ومن معه ) فهذه حال فرعون وملائته مع موسى ومن معه كحال الكفار والمنافقين والظالمين مع محمد وأصحابه « إذا أصابهم نعمة وخير قالوا لنا هذه أو قالوا هذه من عند الله وإن أصابهم عذاب وشّر تطيروا بالنبي والمؤمنين وقالوا هذه بذنوبهم » وأما هو بذنوب أنفسهم لا بذنوب المؤمنين وهو سبحانه ذكر هذا في بيان حال الناكثين عن الجهاد الذين يلومون المؤمنين على الجهاد فإذا أصابهم نصر ونحوه قالوا هذا من عند الله وإن أصابهم محنة قالوا هذه من عند هذا الذي جاءنا بالامر والنهي والجهاد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) إلى قوله (وان منكم من ليبطئن) إلى قوله (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذ فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال إلى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ) وان تصبهم حسنة هؤلاء المذمومين يقولون هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أي بسبب أمرك ونهيك قال الله تعالى (فألهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة من نعمة ) في الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) أي فبذنبك كما قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ) وقال (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) وأما القسم الثالث في هذا الباب فهم قوم لبسوا الحق بالباطل وهم بين أهل الإيمان أهل الخير وبين شرار الناس وهم الخائضون في القدر بالباطل قوم يرون أنهم هم الذين يهدون أنفسهم ويضلونها ويوجبون لها فعل الطاعة وفعل المعصية بغير إعانة منه وتوفيق للطاعة ولا خذلان منه في المعصية وقوم لا يثبتون لأنفسهم فلا ولا قدرة ولا أمراء ثم من هؤلاء من يبخل عن الامر والنهي فيكون أ كفرا خلق وهم في احتجاجهم بالقدر متناقضون اذ لا بد من فعل يحبونه وفعل ييخضونه ولا بد لهم ولكل أحد من دفع الضرر الحاصل بأفعال المعتدين فإذا جعلوا الحسنات والسيئات سواء سيئة لم يمكنهم أن يذموا أحدا ولا يذموا ظلما ولا يقابلوا مسيئا وان يبيحوا للناس من أنفسهم كل ما يشتهيه مشتهيه ونحو ذلك من الامور التي لا يعيش عليها بنو آدم اذ هم مضطرون إلى شرع فيه أمر ونهي أعظم من

- الاعراف ١٣٦

- النساء ٧١

- النساء ٧٢

- النساء ٧٧

- النساء ٧٨

٦ - النساء ٧٨ - ٧٩

- الشورى ٣٠

- الروم ٣٦

اضطراهم الى الاكل واللباس وهذا باب واسع لشرحه موضع غير هذا وانما  
 نهنا على ما في الحديث من الكلمات الجامعة والقواعد النافعة بنكت مختصرة  
 تنبه الفاضل على ما في الحقائق من الجوامع والفوارق التي تفصل بين الحق والباطل  
 في هذه المضايق بحسب ما احتملته أوراق السائل والله ينفعنا وسائر اخواننا  
 المؤمنين بما علمناه ويسلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علما ولا حول ولا قوة الا بالله ولا  
 ملجأ منه الا اليه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن واستغفر الله العظيم لى  
 ولجميع اخواننا المؤمنين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما \*

بحمد الله وحسن توفيقه قد تم الجزء الثالث من مجموعة الرسائل

المنيرة لجامعها وناترها إدارة الطباعة المنيرة لصاحبها

ومديرها محمد منير الدمشقي من علماء الازهر

المعمور وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم





شرح

# جامع بيان العلم وفضله

وما ينبغي في روايته وجماله

( للامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمرى )

( القرطبي الأندلسي )

## الأربعون حديثاً النبوية

للامام العلامة الحافظ الفقيه الاصولي المجتهد القدوة شيخ

الاسلام تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق الميا

# اَشْرَافُ الْفُؤَادِ

إلى تحقيق الحق من علم الأصول

للامام المجتهد العلامة الرباني قاضي فضاء القطر البهائي

محمد بن علي بن محمد الشوكاني

( صاحب نيل الأوطار وغيره )

## هَذَا

# الْأَسْمَاءُ وَاللُّغَاتُ

( للامام الورع المتقن أبي زكريا محي الدين النووي جزء ٤ )



# مختصر شعَبُ الأَملِيَّاتِ

للامام المحدث الحافظ الفقيه المجتهد

أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

صاحب السنن الكبرى

المتوفى سنة ٤٥٨

---

﴿ تأليف ﴾

الشيخ الامام أبي جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩

---



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين \* والسلام (١) على سيد المرسلين \*  
وخاتم النبيين \* وقائد الفر المحجلين \* محمد المبعوث الى الخلق أجمعين \*  
وعلى آله الطيبين \* وصحبه الطاهرين \* وأئمة المتقين \* وأزواجه أمهات  
المؤمنين \*

وبعد فقد تكرر من سيدنا ومولانا نادر بلاده \* وناصح عباده \*  
وعلامة زمانه \* وأعجوبة أوانه \* شمس الملة والدين \* محمد بن القاسم بن  
أبي البدر بن الملحي المزني الفقيه \* المحدث الواعظ \* أدام الله توفيقه \*  
وجمل السعادتين صاحبه ورفيقه \* عدة مكاتبات من واسط الى بغداد  
في السؤال عن عدد شعب الايمان حيث ورد في صحيح البخاري ومسلم  
من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ٢ ) الايمان

---

( ١ ) هكذا بحذف الصلاة ولعلها سقطت من أيدي النساخ

( ٢ ) اعلم أن هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه بلفظ الايمان بضع  
وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان ولم تختلف الطرق عن أبي حنيفة  
شيخ البخاري في ذلك : وقابله الحنفي عن سليمان بن بلال : وأخرجه أبو عوانة  
عن طريق بشر بن عمرو عن سليمان بن بلال فقال بضع وستون أو بضع وسبعون  
وهكذا وقع التردد أيضا في رواية مسلم من طريق سهيل : ورواه أصحاب السنن

بضع (١) وستون أو بضع وسبعون شعبة (٢) أعلاها أو فأرفعها أو فأفضلها على اختلاف الروايات. قول لا اله الا الله وأدناها إمالة الاذى عن الطريق والحيا. شعبة من الايمان \* وانه بصدد احاطة علمه بتفصيلها عددا : وتأخر الجواب لأسباب وعوارض \*

حين طال الزمان \* وكثر التكرار \* أحضر كتاب شعب الايمان للامام الحافظ الفقيه أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ست مجلدات لنقلها بذاتها فوجدتها متفرقة في جميعها لم يجمعها أولا في الخطبة ولا في المجلد الاول : ثم اعتنى بتفاصيل شروحها لكن فرقها في جميع الكتاب. فدعته الضرورة الى أن يجمعها من مجموعها. ويجمعها مختصرة كرؤس المسائل : ويقنع باستدلال آية من كتاب الله : أو بحديث

---

الثلاثة من طريقه. فقالوا بضع وسبعون من غير شك \* ولأبي عوانة في صحيحه من طريق ست وسبعون أو سبع وسبعون. وترجح رواية البخاري بأن المدد فيها متيقن وما عداها فمشكوك فيه. وعلى الرواية الثانية درج المصنف. (١) والبضع بكسر الباء وحكى فتحها لفة \* عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه الحافظ ابن حجر \* وقال ابن سيده الى العشر وقيل من واحد الى تسعة .

(٢) والشعبة بضم الشين هي القطعة والفرقة وهي واحدة الشعب أى أغصان الشجرة والمراد منها في الحديث الخصلة أو الجزء أى ان الايمان ذو خصال متعددة \* قال القاضى عياض تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد. وفي الحكم يكون ذلك هو المراد صعب ولا يقدر عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الايمان اهـ . وقد غلصها الحافظ ابن حجر وأوردها في الفتح لولا التطويل لذكرتها .

من أصح ما روى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وربما زاد في بعض الشعب آية أو آيات : أو حديثاً أو كلمات : أو حكاية أو حكايات : أو بيتاً أو أبيات : لم يذكرها \* وقد بوبها سبعة وسبعين باباً \*

أنبأنا بجميعها وجميع الكتاب المنقول هذا منه جماعة : منهم الشيخ العالم سيد المراق أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر المقرئ البغدادي بها : والقاضي أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد المقدسي من دمشق قالوا جميعاً أنبأ الشيوخ الرواة أبو محمد الانجب بن أبي السعادات بن محمد بن عبد الرحمن الجامي وأبو العباس أحمد بن يعقوب بن عبد الله المارستاني \* وأبو القاسم علي ابن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي \* قالوا جميعاً \* أنبأ أبو حفص عمر بن أحمد بن عمر الزنجاني في سفر (١) سنة اثنتين وستين وخمس مائة \* قال أخبرني الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن الامام الحافظ أبي بكر أحمد ابن الحسين بن علي البيهقي قال أخبرني جدي الامام أبو بكر

ح (٢) وأخبرناها طاليا عدداً مسند الوقت أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي أجازة عامة ان لم يكن خاصة . قال أخبرنا حافظ بغداد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ومفتي خراسان أبو سعد عبد الله بن أحمد بن عمر الصفار النيسابوري أجازة خاصة : قالوا أنبأنا أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامى

---

(١) سفر بالتحريك اسم مكان (٢) هذا الحرف علامة التحويل كما في كتب الحديث

وجاعة : قالوا أنبأنا الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي  
رحمة الله عليهم أجمعين

قال (الاول) الايمان بالله عز وجل لقوله تعالى (والمؤمنون كل آمن  
بالله) (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله) ثم ساق فيه حديث أبي هريرة رضى  
الله عنه المتفق عليه في الصحيحين \* أمرت (١) أن أقاتل الناس حتى  
يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله  
الا بحقه وحسابه على الله \* وحديث عثمان بن عفان رضى الله عنه في صحيح  
مسلم \* من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة .

(الثانى) الايمان برسل الله عز وجل صلى الله عليهم أجمعين وسلم  
لقوله تعالى (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)

ولحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الصحيحين في سؤال  
جبرائيل \* الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . الحديث  
(الثالث) الايمان بالملائكة للآية والحديث المذكورين

(الرابع) الايمان بالقرآن لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا آمنوا  
بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله) والآية والحديث  
المذكورين أيضاً

(١) بصيغة المجهول فالآمر هو الله تعالى واذا قال الصحابي ذلك فهم أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره وضمير بحقه راجع الى الاسلام المفهوم  
من قوله لا اله الا الله . وفي رواية لمسلم الاجتهاد أى الشهادة وقوله وحسابه  
على الله . معناه فيما يُسر به من الكفر والمعاصي . فانا نحكم عليه بالاسلام  
ونؤاخذ به بحقوقه بحسب ما يقتضيه ظاهر حاله والله سبحانه وتعالى يتولى حسابه

(الخامس) الايمان بأن القدر خيره وشره من الله عز وجل  
لقوله تعالى (قل كل من عند الله) ولحديث أبي هريرة في الصحيحين احتج  
آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبو ناخيتنا (١) وأخرجتنا من الجنة  
فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده (٢)  
أنلوني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال فخرج  
آدم موسى \*

وبالاسناد المذكور انشدنا الامام أبو بكر البيهقي قال انشدني  
أبو الفوارس جنيد بن أحمد الطبري

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر \* والدهر ذو دول والرزق مقسوم  
والخير أجمع فيما اختار خالقنا \* وفي اختيار سواه اللوم والشوم  
(السادس) الايمان باليوم الآخر لقول الله تعالى (قاتلوا  
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر). قال الحليمي ومعناه تصديق

(١) أي أوقفنا في الغيبة وهي الحرمان  
(٢) هذه الكلمة وما شابهها مما يوم الجارحة الحسية يجب أن تبقى على ظاهرها  
بدون تأويل ولا تصحيف ولا تحريف. وتؤمن بما جاء في الكتاب والسنة من هذا  
القبيل . وتقوض معناه الى الباري تعالى. وأنه ليس كمثل شيء واقتد بسلفك  
الصالح ولا تكن مجسما فتشبه. ولا معطلا فتنتي. ولا جهيما فتأول ولا تبحث في  
هذا وتجعله شركا تصيده من أغررته بطلاوة كلامك وشقشة لسانك لئلا ييس  
ابليس عليك وتحسينه لك وتبتغي بذلك إضلال الناس وتشكيكهم في دينهم  
قال الله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة  
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من  
عند ربنا)

بأن لا أيام الدنيا آخرًا . وانها منقضية . وهذا العالم منقض يومًا . ففي الاعتراف بانتفائه . اعتراف بابتدائه . اذ القديم لا يفنى ولا يتغير . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة . والذي نفس محمد بيده لتقوم الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد أنصرف الرجل بلبن لقحته (١) من تحتها لا يطعمها : الحديث

(السابع) الايمان بالبعث (٢) بعد الموت لقوله تعالى ( زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ) ولقوله تعالى ( قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ) \* ولحديث عمر بن الخطاب في الصحيح في حديث الايمان \* الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالبعث من بعد الموت وبالقدر كله

(الشاهن) الايمان بحشر (٣) الناس بعدما يبعثون من قبورهم الى الموقف لقوله تعالى ( الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ) \* ولحديث عبدالله بن عمر في صحيح مسلم . يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحته (٤) الى انصاف اذنيه (التاسع) الايمان في ان دار المؤمنين ومأواهم الجنة . ودار الكافرين ومأواهم النار . لقوله تعالى ( من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته

(١) القنعة بكسر اللام وفتحها الناقة القريبة العهد بالنتاج

(٢) البعث احياء الموتى وخراجهم من قبورهم بعد جمع الاجزاء الاصلية

(٣) الحشر سوق الناس جميعًا الى الموقف

(٤) الرشح بفتح فسكون العرق لانه يخرج من البدن شيئًا فشيئًا كما يرشح

الاناء المتخلل الاجزاء

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) \* ولحديث ابن عمر في الصحيحين \* ان (١) احدثكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار . يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة .

(العاشر) الايمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) (٢) يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) \* ولحديث انس بن مالك في الصحيحين . ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وان يحب المرء لا يحبه الا الله . وان يكره أن يمود في الكفر كما يكره ان توقد له نار فيقذف فيها \* .

وبه أنبأنا البيهقي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا نصر الطوسي يقول سمعت جعفر الخلدی يقول سمعت الجنيد يقول قال رجل لسرى السقطي كيف انت فأنشأ يقول  
من لم يبت والحب حشو فؤاده \* لم يدر كيف تفتت الالكباد  
وبه أنبأ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر محمد بن محمد اسمعيل قال سمعت ابا القاسم الشيرازي الواعظ قال سمعت ابا دجانة يقول كانت رابعة اذا غلب عليها حال الحب تقول

تمصى الاله وأنت تظهر حبه \* هذا (٣) محال في الفعل بديع

(١) هذه رواية مسلم

(٢) الانداد جمع ند بالكسر المثل والشريك

(٣) هذه رواية والرواية الأخرى هذا لعمري في القياس بديع وهذه أظهر

لو كان حبك صادقاً لاطعته \* ان المحب لمن يحب مطيع  
(الحادى عشر) الايمان بوجوب الخوف (١) من الله عز وجل  
لقوله تعالى (فلا تخافونم وخافون ان كنتم مؤمنين) (فلا تخشوا الناس  
واخشون) (واياي فارهبون) (وهم من خشيته مشفقون) (ويدعوننا رغباً  
ورهباً وكانوا لنا خاشعين) (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب) (ولمن  
خاف مقام ربه جنتان) (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) \*

ولحديث عدى بن حاتم رضى الله عنه فى الصحيحين. اتقوا النار  
ولوبشق تمره \* ولحديث انس رضى الله عنه فيهما \* لو تعلمون ما  
أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً

وعاتب رجل بعض اخوانه على طول بكائه فبكى ثم قال:

بكيت على الذنوب لعظم جرمى \* وحق لكل من يمصى البكاء  
ولو كان البكاء يرد همى \* لأسعدت الدموع معاً دماء  
وكان عمر بن عبد العزيز لا يحف فوه من هذا البيت

ولا خير فى عيش امرئ لم يكن له \* من الله فى دار القرار نصيب  
وسمع أبو الفتح البغدادى هاتفاً يهتف بالشونيزية

وكيف تنام العين وهى قريرة \* ولم تدر فى أى الحليين تنزل  
فذهب عنه النوم

(١) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن غم يلحق من فوات نافع  
أو حصول ضار. والرهب الخوف والخشية خوف مع تعظيم ولذلك خصت  
بالعلماء فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)



(الثاني عشر) الايمان بوجوب الرجاء (١) من الله عز وجل لقوله تعالى ( يرجون رحمته ويخافون عذابه ) ان رحمة الله قريب من المحسنين ( قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ) ( ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء )

ولحديث أبي هريرة في الصحيحين. لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد. ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد \* ولحديث جابر في صحيح مسلم، لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله \* وحديث أبي هريرة في الصحيحين : يقول الله عز وجل انا (٢) عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، وذكر الحديث \* انشد ابو عثمان سعيد بن اسماعيل

ما بال دينك ترضى أن تدنسه \* وان ثوبك مفسول من الدنس  
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها \* ان السفينة لا تجرى على اليبس  
( الثالث عشر ) الايمان بوجوب التوكل على الله عز

( ١ ) الرجاء بالمد الامل وهو تعلق القلب بمرغوب في حصوله مع الاخذ في الاسباب. فان لم يأخذ في الاسباب فطمع وهو مذموم شرعاً ، قال الحافظ ابن الجوزي ان مثل الراجي مع الاصرار على المعصية ، كمثل من رجا حصاد وما زرع . وولدا وما نكح ، نسئل الله التوفيق  
( ٢ ) اعلم أن الذكر ليس قاصراً على ذكر اللسان فقط بل يعم الجوارح كلها فذكر اللسان بالثناء \* وذكر العينين بالبكاء \* وذكر اليدين بالعطاء . وذكر الاذنين بالاصغاء . وذكر البدن بالوفاء . وذكر القلب بالخوف والرجاء . وذكر الروح بالتسليم والرضا

وجعل لقوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (حسبنا الله ونعم الوكيل) (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره) \*

ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما في الصحيحين في سؤال أصحابه له عن السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب في حديث طويل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين لا يكتوون (١) ولا يسترقون (٢) ولا يتطيرون (٣) وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدى فقال أنا منهم يا رسول الله . فقال أنت

(١) أى يكتوى بالنار للمرض وقد جاء النهى عنه في أحاديث كثيرة قال ابن الاثير انما نهى عنه من أجل انهم كانوا يعظمون أمره ويرون انه يحسم الداء واذا لم يكن المضو عطب وبطل ، فنهام اذا كان على هذا الوجه . واباحه اذا جعل سبباً للشفاء لاعلة له . فان الله هو الذى يرثه ويشفيه لا الكى والدواء وهذا أمر يكثر فيه شكوك الناس يفتولون لو شرب الدواء لم يمت ولو أقام ببلده لم يقتل وقيل غير ذلك

(٢) أى يستعملون الرقية وهى المودة التى يرقى بها صاحب الآفة وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها ، وفى بعضها النهى ، وقد جمع بينهما ان الرقى يكره منها ما كان بغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه فى كتبه المنزل . وان يعتقد انها نافعة لا محالة . فيتشكل عليها . وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم ما توكل من استرقى وما كان بخلاف ذلك لا يكره وقد أمر صلى الله عليه وسلم غير واحد من أصحابه بالرقية . وسمع بمجموعة يرقون فلم ينكر عليهم

(٣) الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هى التشاؤم بالشئ وقد ورد النهى عنه فأعلمنا الشرع انه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضرر .

منهم . تم قام رجل آخر فقال أنا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها  
عكاشة \*وجملة التوكل (١) تفويض الأمر الى الله تعالى والثقة به مع  
ما قدر له من التسبب ، ففي الصحيحين أيضاً من حديث الزبير رضي الله  
عنه لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على  
ظهره فيدبها فيستغنى بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه  
وفي صحيح البخاري من حديث المقدام بن معدى كرب رضي الله  
عنه ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه (٢) قال  
وكان داود لا يأكل الا من عمل يديه وبه أنبأنا البيهقي قال أنبأنا  
أبو عبد الله الحافظ قال أخبرني جعفر بن محمد بن نصير قال حدثني  
الجنيد قال سمعت السري يذم الجلوس في مسجد الجامع ويقول جعلوا  
مسجد الجامع حوانيت ليس لها أبواب . وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن  
أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال دينك لمادك ، ودرهمك لمعاشك  
ولاخير في أمرىء بلادهم \* وبه أنبأنا البيهقي قال أنبأنا أبو عبد الله الحافظ  
قال جعفر بن محمد الخواص قال أنبأنا إبراهيم بن نصر النصورى قال  
سمعت إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن آدم قال سمعت أبا علي الفضيل  
ابن عياض يقول لابن المبارك أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبُخل ونراك

---

(١) التوكل عمل القلب فلا يتنافى حركة الجوارح خلافاً لقوم ما فهموا معنى  
التوكل وزعموا أنه ترك الكسب وتمطيل للجوارح عن العمل . وللاحافظ  
ابن الجوزى كلام تقيس في التوكل ذكر في كتاب تلبس إبليس فعملك به فانه  
انفس كتاب يقتضى . وقد طبعناه حديثاً

(٢) وفي رواية بالافراد أى يده

تأتى بالبضائع من بلاد خراسان الى البلد الحرام . كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا فقال ابن المبارك يا أبا على أنا افعل ذا لأصون بها وجهي واکرم بها عرضي . وأستعين بها على طاعة ربي . لا أرى لله حقاً الا سارعت اليه حتى أقوم به فقال له الفضيل يا ابن المبارك ما أحسن ذا ان تم ذا

(الاربعة عشر) الايمان بوجوب محبة (١) النبي صلى الله عليه وسلم لحديث انس المتفق على صحته . لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين \*

ولحديث انس في الصحيحين . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما الحديث \* ولحديثه فيهما أيضاً قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صدقة الا اني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت \*

(الخامس عشر) الايمان بوجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتبجيله وتوقيره لقوله تعالى ( وتعزروه وتوقروه ) وقوله ( فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ) والتعزير ههنا التعظيم \* وقوله

( ١ ) قال القاضي عياض اعلم ان من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته . والالم يكن صادقاً في حبه وكان مديحاً ، فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وأفعاله وامثال أوامره واجتناب نواهيه والتأديب بآدابه في عسره ويسره ونشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ) ما

(لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أى لا تقولوا له يا محمد يا أبا القاسم بل يا رسول الله يأنى الله. ولقوله (لا تقدموا (١) بين يدي الله ورسوله) \* وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآيات وبه قال البيهقي وهذه منزلة فوق منزلة المحبة اذ ليس كل محب معظماً. كمحبة الأب لولده والسيد لمبده من غير تعظيم بخلاف العكس (الساكن من عشر) (٢) شح المرء بدينه حتى يكون القذف في النار أحب إليه من الكفر \* لحديث انس المتفق عليه. ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ثم قال وان يكره أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه \*

ولحديث أيضاً في صحيح مسلم. ان رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين فأتى قومه فقال اسلموا فوالله ان محمداً ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفاقة \* وان كان الرجل يجيء الى النبي صلى الله عليه وسلم ما يريد الا الدنيا. فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز من الدنيا بما فيها

(السابع عشر) طلب العلم وهو معرفة الباري تعالى. وما جاء من عند الله وعلم النبوة وما يميز به النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره

(١) قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول واذا قال فاستمعوا له وأنصتوا وقوله (لا ترفعوا أصواتكم) ، قال : أبو محمد مكى أى لا تسبقوه بالكلام وتلفظوا له بالخطاب ،

(٢) أى تمسكه بدينه وشدة حرصه عليه

١ - النور ٦٣

٢ - الحجرات ١

٣ - الحجرات ٢

وعلم أحكام واقضية . ومعرفة ما تطلب الأحكام منه كالكتاب والسنة والقياس . وشروط الاجتهاد

والقرآن والحديث مشحونان بفضيلة العلم والعلماء . قال الله تعالى ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) ( شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ) ( وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ) ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ) ( هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) ( انما يتذكر أولو الألباب ) وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة \* من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً الى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الملائكة . وغشيتهم الرحمة وذكرم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه

١ - فاطر ٢٨

٢ - آل عمران ١٨

٣ - النساء ١١٣

٤ - المجادلة ١١

٥ - الزمر ٩

٦ - الرعد ١٩

(الثامن عشر) نشر العلم لقوله تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)  
 وحديث أبي بكر في الصحيحين انه قال في خطبته بني. الا ليبلغن  
 الشاهد منكم الغائب فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه  
 \* وحديث أبي هريرة في سنن أبي داود من سئل عن علم فكتمه الجله الله  
 بلجام من النار يوم القيامة \*

وروى البيهقي باسناد عن الامام عمر بن عبد العزيز الاموى انه  
 قال من لم يقل كلامه عن عامه كثرت خطاياهم ومن عمل بغير علم كان  
 ما يفسد أكثر مما يصلح \* وعن الحارث المحاسبى العلم يورث الخشية  
 والزهد يورث الراحة. والمعرفة تورث الأثابة \* وعن ابن سعدان من  
 عمل بعلم الرواية ورث علم الدراية ومن عمل بعلم الدراية ورث علم الرعاية  
 ومن عمل بعلم الرعاية هدى الى سبيل الحق \*

وعن مالك بن دينار اذا طلب العبد العلم ليعمل به كسره (١) علمه  
 واذا طلبه لغير العمل زاده كبرا \* وعن معروف الكرخى اذا اراد الله  
 بعبد خيرا فتح عليه باب العمل واغلق عليه باب الجدل. واذا اراد الله  
 بعبد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل \* وعن أبي  
 بكر الوراق من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق .  
 ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام ابتدع ومن اكتفى بالفقه دون  
 الزهد والورع تفسق . ومن تفنن في الأمور كلها تخلص .

(١) ي لينه وهذبه وزاده تواضعا

وعن الحسن البصري رحمه الله . أنه مر عليه رجل فقيل هذا فقيه  
فقال او تدرون من الفقيه انما الفقيه العالم في دينه الزاهد في دنياه القائم  
على عبادة ربه \* وعن مالك بن دينار قال قرأت في التوراة ان العالم اذا  
لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب كما يزل القطر ( ١ ) عن الصفا .  
وأنشد عن أبي بكر بن أبي داود لنفسه

من غص داوى بشرب الماء غصته \* فكيف يصنع من قد غص بالماء  
وعن أبي عثمان الحيري الزاهد

وغير تقي يأمر الناس بالتقى \* طيب يداوى والطبيب مريض  
نسأل الله التوفيق للعلم والعمل ونعوذ بجلال وجهه من الخذلان  
والحرص والأمل

( التامع عشرين ) تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه .  
وحفظ حدوده وأحكامه . وعلم حلاله وحرامه . وتبجيل أهله وحفاظه .  
واستشفارها بهيج الى البكاء من مواعيد الله ووعيده . قال الله تعالى  
( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ) .  
وقال ( انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل  
من رب العالمين ) \* وقال ( ولو ان قرآننا سيرت به الجبال أو قطعت به  
الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً ) ،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن عثمان بن

( ١ ) القطر بفتح القاف وسكون الطاء المطر واحده قطرة والصفا جمع صفاة  
وهي الصخرة والحجر الأملس \* فانظر الى هذا التشبيه ما أبلغه ولا تكن  
ممن علم ولم يعمل

١ - الحشر ٢١

٢ - الواقعة ٧٧ - ٨٠

٣ - الرعد ٣١



عفان رضى الله عنه افضلكم أو خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، وقال فيما رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى . تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد ثقلًا من الأبل فى عقلها ، وقال فيمارويه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . لا حسد (١) الا فى اثنتين رجل آتاه الله هذا الكتاب فقام به أثناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به أثناء الليل والنهار

وقال فيما رواه مسلم عن عمر رضى الله عنه \* ان الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين ،

(العشرون) الطهارات (٢) لقوله تعالى ( إذا قم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ) الآية

ولحديث أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه فى صحيح مسلم \* الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان . وسبحان الله والله أكبر تملآن أو تملأ ما بين السماء والارض والصلوة نور . والصدقة برهان . والصبر ضياء . والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه ، فمعتقها أو موبقها ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى مسلم أيضا \* لا يقبل الله عز وجل صلوة بغير طهور ولا صدقة من غُلُول (٣) \*

(١) أى ليس حسد لا يضر الا الخ وهو المسمى غبطة وهى أن يتمنى أن يكون له مثله ولا يتمنى زوالها عنه

(٢) جمع طهارة وهى مصدر جمعها باعتبار أنواعها

(٣) الغل الخيانة فى المنعم . والسرقة من الغنيمة قبل القسمة . وقد يراد به معنى أعم من ذلك كالحقد والشحناء

ولحديث حسن عن أبي كبشة السلونى عن ثوبان رضى الله عنه \* استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلوة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن \* روى الحليمى عن يحيى بن آدم فى قوله \* الطهور شرط الإيمان \* لأن الله تعالى سى الصلوة إيمانا فقال ( وما كان الله ليضيع إيمانكم ) أى صلواتكم الى بيت المقدس ولا يجوز الصلوة إلا بالوضوء ، فهما شيئان . كل واحد منهما نصف الآخر .

(الحادى والعشرون) الصلوات الخمس لقوله تعالى ( وما كان الله ليضيع إيمانكم ) أى صلواتكم وقوله ( وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ) وقوله ( إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ) ولحديث جابر رضى الله عنه فى صحيح مسلم \* ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك (١) الصلوة \*

(١) دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تاركى الصلوة من الدين وعدم اتصافهم به \* وانظر الى غالب أهل زماننا كيف ترك الصلوة ولا أظن أنه كسل منهم . بل اعتقاد أنها ليست من الدين \* ولربما سخرُوا من فاعليها وهزؤا به ، ولا سيما من تخرج من المدارس العالية . ودرس كتب الطبيعة ومذهب الماديين فانه أشد سخطا . وأسرع تجاهرا بعداوتة . واللوم كله فى ذلك يرجع الى علماء الدين وأئمتة . لانهم لو تقربوا الى الأمراء وبيّنوا لهم ما ينشأ عن ترك الصلوة من المفاسد المضرة بالهيئة الاجتماعية والمصالح العمومية . بدليل قوله تعالى ( ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) وطلبوا المساعدة منهم ، لأخذوا بيدهم وأطاعهم على مطلبهم . ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بارسال خطباء ووطاظ الى البلاد والقرى يرشدون الناس الى ذلك . ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعاره . وبلقنهم العقائد الصحيحة . والمسائل الراجحة . والدلائل

وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين ،  
قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، أى الاعمال أحب الى الله ، قال  
الصلوة لوقتها ، قلت ثم أى ، قال \* بر الوالدين ، قلت ثم أى ، قال الجهاد  
فى سبيل الله ، قال وحدثني بهن ولو استزدته لزادنى \*

وحديث ابن عمر فيهما \* صلوة الجماعة أفضل من صلوة الفرد (١)  
بسبع وعشرين درجة \*

وحديث عثمان رضى الله عنه فى صحيح مسلم \* ما من امرئ مسلم  
تحضره صلوة مكتوبة فيحسن وضوؤها وخشوعها وركوعها الا كانت  
كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله ،

وبه قال البيهقي وليس فى العبادات بعد الايمان بالله الرافع للكفر  
عبادة جل وعلا (٢) ايمانا . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تركها  
كفرا الا الصلوة

(الثانى والعشرون) الزكاة ، لقوله تعالى ( وماأمروا الا  
ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك

---

الشرعية والعقلية . لساد الدين وظهرت معاملته . لكنهم تساهلوا . وعن الأئم  
أعرضوا ، الى الوظائف والمرتبات جنحوا ، الى الذين ظلموا ركنوا . أنى  
يظهر الدين والعلماء ساكتون ، نسأل الله السلامة

( ١ ) الفذ المنفرد

( ٢ ) هكذا الاصل والتركيب غير منتظم والصواب أجل وأعل ايمانا

سمى الخ

دين القيمة) وقوله تعالى (والذين يكتزون (١) الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحصى عليها في نار جهنم فذكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون) وقوله (ولا يحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطروا قون ما بخلا وبه يوم القيامة)

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم \* انك تأتي قومًا أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أجابوك لذلك . فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم .

(١) انظر الى هذه الآية الشريفة ونظائر الدالة على توبيخ مانعي الزكاة وتقريره وتعذيبه العذاب الاليم ، والاحاديث الواردة في ذلك مما يحمل الانسان على إخراج زكاة ماله وبدنه واعطائها مستحقها لانها تربي المال وتزيده حسا ومعنى كما هو مشاهد لخارجها من حفظ ما لهم من الآفات وعدم تضييعه في المهلكات

ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ وقعة . أو يحجر إسلام وإيمان، أو يفيد بيان وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان، واستبطنهم، فخالط اللحم والدم، والمعصب والمسامع ، والاطراف ، ثم أفضى إلى الانحياض والاصباح ، ثم ارتفع حتى باض وفرخ ، فغشام تغافا وشقاقا، وأشعرهم خروجا وخلافا أخذوه فائدا يطعمونه ودليلا يتبعونه ومؤامرا يستشيرونه ، متى إلى الكتاب والسنة يرجعون وبآثار السلف يقتدون. انا لله وإنا إليه راجعون

فان هم أجابوك لذلك فايك وكرائم أموالهم . وإياك ودعوة المظلوم .  
فانه ليس بينها وبين الله حجاب ،

وحديث أبي هريرة في صحيح البخارى \* من آتاه الله مالا فلم  
يؤد ذكاته مثل ماله يوم القيامة شجاعاً (١) اقرع له زبيبتان يطوقه يوم  
القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ، ثم يقول أنا مالك أنا كنزك  
ثم تلا هذه الآية ( ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو  
خيراً لهم بل هو شر لهم سيطروا قون ما بخلوا به يوم القيامة )

( الثالث والعشرون ) الصيام لقوله تعالى ( كتب عليكم  
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ) ...

ولحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين بئنى الاسلام  
على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله . وأقام  
الصلاة وأيتاء الزكاة . وصوم رمضان وحج البيت \*

وحديث أبى هريرة فيها كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة بعشر  
أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل . الا الصوم فانه لى وأنا  
أجزى به يدع طعامه وشهوته من أجلي \* للصائم فرحتان فرحة عند  
فطره وفرحة عند لقاء ربه \* وخلف (٢) فم الصائم أطيب عند الله من  
ريح المسك \* الصوم جنة

( ١ ) الشجاع بالضم والكسر الحية الذكر وقيل مطلقاً والاقرع الذى  
لا شعر على رأسه لكثرة سمه وطول عمره  
( ٢ ) الخلف بالضم تغير ريح النعم

(الرابع والعشرون) الاعتكاف (١) لقوله تعالى  
(وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والماكينين  
والركع السجود) ..

ولحديث عائشة في الصحيحين ، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان  
يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه  
من بعده \* ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : من اعتكف  
فواق (٢) ناقة فكأنما اعتق نسمة أو رقبة

(الخامس والعشرون) الحج (٣) لقوله تعالى (ولله على

(١) الاعتكاف لغة لزوم الشيء وحفظ النفس عليها وشرط اللبث في  
المسجد على هيئة مخصوصة وهذه السنة قد أضاعها المسلمون ولم توجد الا في  
باطن الكتب حتى المنتشرون والمنتسبون الى السنة مع ان النبي صلى الله عليه  
وسلم لم داوم عليها حتى توفاه الله . اللهم اهد علمائنا واصلح حالهم ووفقهم  
للمعمل بالسنة

(٢) الفواق بضم الفاء وفتحها وهو ما بين الحلبتين من الراحة  
(٣) الحج قصد بيت الله الحرام لايقاع العبادة المخصوصة فيه من طواف  
وسمى ووقوف بعرفة . وهو من أم أركان الاسلام وهو لايجب الا على  
المستطيع وقد تناسى الآن وترك . فحملوا كعبتهم أوروبا يقصدونها لأخذ  
علوم الفلسفة والطبيعة وعلوم الجدل وفنون الفس وأتباع المكر والخداع  
ويُلقنون المذاهب المنافية لروح الاسلام ومدنيته ، ويأتون ساخطين على  
الدين وأهله ويمسبون على من تمسك بقواعد الدين الحنيف ، وينقمون على  
عادات أقاربهم وأهاليهم . من صلاة وصيام وهذا ما جلبته أوروبا علينا  
بخيلها ورجلها : وهم يدعون أنهم وطنيون لا وقطع الله الوطنية التي تؤدي  
الى ازدياد الدين وتقويض دعامته ومحاربة أهله . ومجانبة أم أركانه

الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً) وقوله (واذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) وقوله (وأنموا الحج والعمرة لله)

ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين، بُني الاسلام على خمس، شهادة ان لا اله الا الله، وان محمدا عبده ورسوله، وأقام الصلوة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت)

وحديث عمر رضي الله عنه في صحيح مسلم، قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال يا محمد ما الاسلام قال ان تشهد ان لا اله الا الله، وان محمدا رسول الله. وان تقيم الصلوة. وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتعتصر وتغتسل من الجنابة، وتم الوضوء، وتصوم رمضان، قال فان فعلت هذا فأنا مسلم قال نعم، قال صدقت. فذكر الحديث \*

وروى عن أبي امامة الباهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يجبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا

(الساس والعشرون) الجهاد (١) لقوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده)، (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)، (قاتلو الذين يلوتكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة)،

(١) الكلام على الجهاد وما يليه بطول والزم من قصير والوقت حرج نسأل الله الثبات

( يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال )

\* ولحديث أبي هريرة في الصحيحين ، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل ، قال الايمان بالله ورسوله . فقيل ثم ماذا قال الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا قال حج مبرور \*

\* وحديث عبد الله بن أبى أوفى فى صحيح البخارى ، لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ،

( السابـع والعشرون ) المـرابطة ( ١ ) فى سبيل الله عز وجل لقوله تعالى ، ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله )

\* ولحديث سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه فى صحيح البخارى . رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، وموضع

لكن لا بأس من ان نتكلم على حقيقته . فنقول الجهاد لغة المشقة وشرعاً الجـهـد فى قتال المعتدين على الدين ومجاهدة النفس والشیطان والفساق ، فـجـاهـدة المـمـتـدین معلومة ومجاهدة الفساق فباليد . ثم اللسان . ثم القلب \* ومجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتى به من الشبهات . وما يزينه من الشهوات . قال ابن دقيق العيد القياس يقتضى ان يكون الجهاد افضل الاعمال التى هى وسائل لان الجهاد وسيلة الى اعلان الدين ونشره واتحاد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك ( ١ ) المـرابطة المـلازمة فى نحو العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها عن دخول الاعداء الى بلاد المسلمين

١ - الأنفال ٦٥  
٢ - آل عمران ٢٠٠



سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها (١)  
والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد  
من الصلوة ، لان الم رابط يقيم في وجه العدو مثل قيامه مستعداً له (٢)  
(الشامن والعشرون) الثبات للعدو أو ترك الفرار من  
الزحف لقوله تعالى (واذا لقيتم فئة فأثبتوا) ، ( إذا لقيتم (٣) الذين  
كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا

( ١ ) هذا قطعة من الحديث وتماه والروحة يروحها العبد في سبيل الله  
والغدوة خير من الدنيا وما عليها ، وفائدة العدول عن قوله وما فيها هو أن  
معنى الاستلاء أعم من الظرفية وأقوى فقصده زيادة المبالغة  
(٢) ويبان التعليل ان الم رابط يقيم في وجه العدو متأهباً مستعداً حتى اذا  
أحس من العدو بحركة أو عمل نهض فلا يفوته بالتأهب والاثيان من بعده فصره  
كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعداً ، فإذا دخل الوقت وحضر  
الامام قام الى الصلاة ولم يشغله عن اتيان المساجد شاغل . ولا حال بينه وبين  
الصلاة مع الامام حائل ولا شك أن المرابطة أشق من الاعتكاف كما لا يخفى  
( ٣ ) ومعنى الآية فإذا لقيتم أيها المؤمنون الذين كفروا واعتدوا  
وخرجوا عليكم زاحفين وماشين لقتالكم . ومتوجهين لمحاربتكم . فلا تدبروا .  
بل اثبتوا واصبروا واعتمدوا على ربكم ومن يدبر يوم اللقاء ووقته فضلاً عن  
الفرار فقد باء أي رجع بغضب عظيم من الله تعالى ومأواه الذي يزعم انه  
ينجيه من القتل جهنم وبئس المصير ، الا اذا أدبر تاركاً موقعه الى موقف  
أصلح للقتال منه ، أو متوجها الى قتال طائفة أخرى ، أو منحازاً الى جماعة أخرى  
من المؤمنين ومنضا اليهم وملحقاً بهم ليقاتل معهم العدو فلا شيء عليه . ولا  
يدخل في هذا الوعيد . ولا يخفى ما في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي  
هو التولية مقروناً بذكر المأوى والمصير من الجزالة التي لا مزيد عليها

لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (يأياها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين) الآية

\* ولحديث عبد الله بن أبي أوفى في صحيح البخارى ، لاتمنوا لقاء العدو واسئلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف -

(التاسع والعشرون) اداء الخمس من المغنم الى الامام وعماله على الغنائم لقوله ( واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسة) الى قوله ( ان كنتم امنتم بالله وما أنزلنا) الآية وقوله (وما كان لنبي ان يغفل ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة)

\* ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الصحيحين عن وفد عبد القيس، أمركم باربع وأنها كم عن أربع . أمركم بالايان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله . قالوا الله ورسوله اعلم . قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . وأقام الصلوة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت . وان تعطوا من المغنم الخمس وانها كم عن الخمس (١) والدباء والنقيير والمزفت قال احفظوهن وأخبروا بهن من ورائكم

(١) ألحنتم جرار مدهونة كانت تحمل الحرف فيها الى المدينة \* والدباء الفرع واحدها دبابة \* والنقيير أصل النخل ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر والمزفت اناء يطللى بالزفت وهو نوع من القار ثم ينبذ فيه

وهذا النهى كان في أول الاسلام ثم نسخ لما أخرجه مسلم وغيره من حديث بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن

(الثلاثون) المتق بوجه التقرب الى الله عز وجل به لقوله تعالى (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة (١) ) \* ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين، من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه (٢)

(الحادي والثلاثون) الكفارات (٣) الواجبات بالجنايات وهي بالكتاب والسنة أربع كفارات كفارة القتل، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة المسيس في صوم رمضان، ومما يقرب منها ما يجب باسم الفدية لأنها أما عن ذنب سبق أو يراد به التقرب الى الله يعني أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب

(الثاني والثلاثون) \* الا يفاء بالمقود لقوله تعالى (أوفوا بالمقود) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما وجد في القرآن \* وقوله (يوفون بالنذر) ، (وليوفوا

الاشربة الا في ظروف الادم فاشربوا في كل وطاء غير أن لا تشربوا مسكراً وفي الباب أحاديث مصرحة بنسخ ما قد كان وقع منه صلى الله عليه وسلم وذهب قوم الى بقاء الحظر فيها وبه قال مالك وأحمد

(١) قال المصنف قوله فلا اقتحم العقبة . كلام انكار واستبطاء وهو كقوله فهل اقتحم العقبة . أى هلا حمل ما يسهل عليه اقتحامها . أى من عتق الرقبة وعمل البر

(٢) هذه رواية مسلم

(٣) جمع كفارة وهي الخصلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أى تسترها وتمحوها. وتختلف باختلاف متعلقها

نذورم ) ، ( ومنهم من عاهد الله <sup>١</sup> ) ، ( وأوفوا بعهديكم إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ) <sup>٢</sup>

\* ولحديث عبد الله بن مسعود \* في صحيح البخارى لىكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدره فلان ،

\* وحديث عبد الله بن عمر في الصحيحين . أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها \* اذا حدث كذب \* واذا عاهد غدر \* واذا وعد اخلف \* واذا خاصم فجر \*

\* وحديث عبد الله بن عامر الجهنى في صحيح مسلم ان أحق الشروط أن يوفى به ما استحلتم به الفروج ،

( الثالث والثلاثون ) تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها لقوله تعالى قل الحمد لله ( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) ( وأما بنعمة ربك فحدث ) ، ( فأذكروني أذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون ) ، وغير ذلك مما من الله تعالى على عباده وذكركم بها في كتابه ،

\* ولحديث أبى رضى الله عنه في صحيح البخارى . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك أموت وأحيى وإذا استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى . واليه النشور ،

\* وحديث صهيب رضى الله عنه في صحيح مسلم عجبا لاسر المؤمن

ان أمره كله خير ، وليس ذاك لاحد الا المؤمن ، ان اصابته سراء  
شكره ، كان خيرا له وان اصابته ضراء صبره فكان خيرا له

\* وبه قال البيهقي . قال أنا الحافظ أبو عبد الله . قال أنشدني عبد  
الله بن أبي ذهل . قال انشد أبو الحسن الكندي القاضي

اذا كنت في نعمة فارعها \* فان المعاصي تزيل النعم  
\* قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يوسف  
القزويني قال سمعت أبا بكر أحمد بن اسحاق . قال سمعت البراء وألمرء  
يقول ، الشكر نعمة ، والشكر على النعم نعمة الى ان لا يتناهى الشكر  
الى قرار

وقد قال الامام الشافعي رحمه الله في أول كتاب الرسالة ، الحمد لله  
الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على مؤدى  
ذلك الشكر \*

أنبا أبو القاسم أنبا أحمد بن سليمان أنا ابن أبي الدنيا الخ

وبه أنا البيهقي . قال فأنشدنا محمود الوراق

ان كان شكرى نعمة الله نعمة \* على له في مثلها يجب الشكر  
فكيف يصح الشكر الا بفضل \* وان طالت الأيام واتصل العمر  
اذا مس بالسرّاء عم سرورها \* اذا مس بالضرّاء اعقبها الاجر  
وما منهما الا له فيه منة \* يضيق بها الأوهام والبر والبحر  
وأخبرنا من غير رواية البيهقي جماعة يتيين

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة \* على لي في مثلها يجب الشكر

فالى عذر غير انى مقصر \* وعذر أى بأن ليس لى عذر (١)  
 \* (الى ابع والثلاثون) ، حفظ اللسان عما لا يحتاج اليه  
 ويدخل فيه الكذب (٢) والغيبة والنميمة والفحش اذا القرآف والسنة  
 مشحونات بذلك كقوله تعالى والصادقين والصادقات \* اتفوا الله  
 وكونوا مع الصادقين \* ولا تقف ما ليس لك به علم \* فمن أظلم ممن  
 كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه والذى جاء بالصدق وصدق به  
 أولئك هم المتقون ( الآية \* ) ان الذين يفترون على الله الكذب لا  
 يفلحون متاع فى الدنيا ) ،

( ١ ) أى وعذري فى ذلك . ليس لى عذر .

( ٢ ) قال البيهقى وللکذب مراتب . فاعلاها فى القبح والتحريم الكذب  
 على الله عز وجل . ثم على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم كذب المرء على  
 عينيه وعلى لسانه وسائر جوارحه . وكذبه على والديه ثم كذبه على الاقرب  
 فالاقرب من المسلمين ، وأغلظ ذلك كله ما يضربه أحدآ فى نفسه وماله وأهله  
 أو ولده . ثم الكذب الموبق باليمين أغلظ من الكذب المنجرد عن اليمين  
 ويتلو الكذب فى الكراهة الملتق والافراط فى مدح الرجل وأقبح من ذلك  
 ما كان فى وجهه ويتلوه الخوض فيما لا يعنى ولا يرجع الى الخائض فيه منه  
 تقع ولا يمود عليه من السكوت ضرر ، ويتلوه هذه كثرة الكلام واطالته مع  
 الاكتفاء ببعضه وتريده وتكريره مع الاستغناء بالمررة الواحدة منه اه \* وقد  
 وردت أحاديث كثيرة فى قبح الكذب . وأنه مجانب للإيمان ، وأكثر ما يكون  
 فى السوق والتجار . روى البيهقى بسنده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، ان التجار هم التفجار . قالوا يا رسول  
 الله اليس قد اهل الله البيع ، قال بلى ولكنهم يخلعون فىأثمون ويحدثون فيكذبون

\* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً \*

\* وحديث سهل بن سعد رضى الله عنه في صحيح مسلم (١) من يضمن لى مابين لحبيه ومابين نخذه أضمن له الجنة \* وحديث أبى شريح الخزاعى فيه (٢) أيضاً ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل خيراً أو ليصمت )

\* ( الخامس والثلاثون ) ، الامانات ، وما يجب فيها من اداءها الى أهلها \* لقوله تعالى ( ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ) . وقوله تعالى ( فليؤد الذى أئتمن أمانته )

( ١ ) الصواب فى صحيح البخارى والضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فاطلق وأريد لازمه وهو اداء الحق الذى عليه ، قال فى الفتح والمعنى من أدى الحق الذى على لسانه من النطق بما يجب عليه . أو الصمت عملاً لا يعنيه وأدى الحق الذى على فرجه من وضعه فى الحلال وكفه عن الحرام اه  
ولحبيه هما العظمان اللذان فى جانبى النعم . والمراد بما بينهما اللسان وما يتأتى به النطق ، وما بين الفخذين الفرج . فالحديث دل على ان أعظم البلاء على المرء فى الدنيا لسانه وفرجه فن وقى شرهما وقى أعظم الشر . ولذلك ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة برفعه ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار بعد ما بين المشرق \* وفى رواية لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم \* وفى الباب أحاديث كثيرة المقام لا يسعها نرجو الله العافية  
( ٢ ) صوابه . أيضاً فى الصحيحين .

\* ولحديث أبي هريرة اد الامانة (١) الى من أئتمنك ، ولائحن من خانك \* ولحديث في الصحيحين ، ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم . اذا حدث كذب . واذا وعد أخلف . واذا ائتمن خان .

\* (السادس والثلاثون) ، تحريم قتل النفوس والجنائيات عليها لقوله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ) الآية

\* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين قتل المسلم كفر (٢) وسبابه فسوق .

( ١ ) الامانة تأتى بمعانى كثيرة منها الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان ولا مانع من ارادة الجميع هنا ، وقد عظم الشارع أمر الامانة ووردت أحاديث كثيرة في هذا الباب ، منها ما رواه الطبراني عن ابن عمر . لا ايمان لمن لا أمانة له والبرار ، لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة له ولا زكاة له وقوله ولائحن من خانك فيه اشارة الى مزايا هذا الدين وبيان لطائفه وهوان الانسان لا يقابل من أساء اليه بالمثل بل يعفو ويصفح ويتناسى ذلك ( ٢ ) الحديث فيه تقديم وتأخير وما في صحيح البخارى ومسلم هكذا سباب المسلم فسوق . وقتاله كفر ، والسباب بكسر السين وفتح الباء بمعنى السب وهو الشتم والتكلم في عرض الانسان بما يميمه . والفسق الفجور والخروج عن الحق . والترك لامر الله تعالى . والقتال المقاتلة والمخاصمة . والكفر كفران النعم . لا الخروج عن الملة والدين . لان الاجماع من أهل السنة منعقد على ان المؤمن لا يكفر بالقتال ولا بفعل ممصية اخرى غير الشرك واستحلال المحرم المعلوم بالضرورة من الدين ، وانما اطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير .



\* وحديثه في صحيح البخارى ، أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء (١) ،

\* ولحديث ابن عمر رضى الله عنهما في الصحيحين لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً

\* (السابع والثلاثون) تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف لقوله تعالى ( ويحفظن فروجهن ) ، (والذين هم لفروجهم حافظون) \* ( ولا تقربوا الزنا (٢) انه كان فاحشة وساء سبيلاً )

(١) يعنى أن أول القضايا القضاء في الدماء . أو أول ما يقضى فيه الامر الكائن في الدماء ، وهذا لا يعارض ما رواه أبو هريرة مرفوعاً ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته \* لان الاول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق والثانى فيما يتعلق بعبادة الخالق ، وفي الحديث تعظيم أمر الدم لان البداءة انما تكون بالامم ، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتقويت المصلحة . واعداد البنية الانسانية غاية في ذلك

(٢) ويدخل تحت النهى من يأتى الفلان ويعمل عمل قوم لوط ، ويدل له ما رواه البيهقي بسنده عن ابن عباس مرفوعاً في حديث طويل . قال ولعن الله من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات \* وبسند آخر عن جابر بن عبد الله مرفوعاً ان من أخوف ما أخاف على أمتى أو على هذه الامة عمل قوم لوط وبسند آخر عن ابن عباس مرفوعاً يقتل الفاعل والمفعول به . قال عطاء وابن المسيب أى يحدان حد الزانى . وقد لاط رجل في زمن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فجمع أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على ابن أبى طالب فقال لهم هذا الذنب لم يعمل به الا أمة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم أرى أن نحرقه بالنار فاجتمع رأى الصحابة على احراقه بالنار فأمر

\* ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه في الصحيحين ، لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن (١) ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن . ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المؤمنون اليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن .  
\* (الثامن و الثلاثون) ، قبض اليد عن الاموال

به وأحرق وقد أمر بذلك أيضاً ابن الزبير وهشام بن عبد الملك وقال بعض التابعين ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الامرد يقعد اليه \* وقد انتشرت هذه البدعة الشنيعة وعم فسادها . ولذلك وقع الخسف والتحط وعم البلاء . وارتفعت الرحمة والبركة . هلا من نذير \* غفرانك ربنا واليك المصير

( ١ ) قال . النووي هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه . فالتقول الصحيح الذي قاله المحققون ان معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الايمان وهذه من الالفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله كما يقال لا علم الا مانع . ولا عيش الا عيش الآخرة ، وانما تأولناه على ما ذكرنا لحديث أبي ذر وغيره من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان مرق . وحديث عبادة بن الصامت انهم بايعوه صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا يسرقوا ولا يزنا الى آخره . ثم قال لهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ومن فعل شيئاً ولم يعاقب فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه . فهذان الحديثان مع نظائرها في الصحيح . مع قول الله تعالى ( ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) مع اجماع أهل الحق على ان الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك انتهى المقصود منه ببعض تصرف

ويدخل فيها تحريم السرقة وقطع الطريق وأكل الرشا وأكل مالا يستحقه شرعاً (١) لقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) الى قوله (وأكلهم أموال الناس بالباطل) (ويل للمطففين) . (وأوفوا الكيل اذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم)

\* ولحديث عبد الرحمن بن أبي بكر في الصحيحين عن أبيه رضى الله عنهما . قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ، فقال \* ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام . الحديث ،

\* (التاسع والثلاثون) ؛ وجوب التورع في الطعام والشارب والاجتناب عما لا يحل منها لقوله تعالى ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ بِهِ لغير الله والمنخنقة ) الآية ، ( قل لا أجد فيها أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دماً مسفوفاً أو لحماً خنزير فانه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به ) ، ( انما الحرام والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ) الآيات ،

(١) اعلم أن الله تعالى حرم دفع المال الى الحكام ليأخذ بحكمه ما لا يستحقه آنماً بأخذه طالما بالابطال من نفسه فقال ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم ) الآية ، وقال في الاخذ باليمين الفاجرة ( ان الذين يشترون بمعهد الله ) الآية وقال في ذم اليهود ( وأخذتم الربا وقد نهوا عنه ) وعظم أمر التطفيف فقال ( ويل للمطففين ) الآية وقال ( أوفوا الكيل ) وقال في السرقة ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ) الآية وقال في المحاربة ( انما جزاء الذين يحاربون الله ) الآية وغير ذلك من الآيات الدالة على تحريم أكل أموال الناس بالباطل

- ١ - البقرة ١٨٨
- ٢ - النساء ١٦٠
- ٣ - النساء ١٦١
- ٤ - المطففين ١
- ٥ - الاسراء ٣٥
- ٦ - المائدة ٣
- ٧ - الأنعام ١٤٥
- ٨ - المائدة ٩٠

(يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير) الآية فثبت فيها الاثم وقال في آية أخرى (قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبني بغير حق) فحرم الاثم نصا . ويقال ان الاثم اسم من اسماء الخمر وينشده

\* شربت الاثم حتى ضل عقلى \* كذاك الاثم يذهب بالمقول \*  
ولحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتغ (١) فقال كل شراب أسكر فهو حرام  
\* وحديث ابن عمر رضى الله عنهما فى صحيح مسلم كل مسكر حرام وكل خمر حرام \* وحديثه فى الصحيحين من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة

\* وحديث أبى هريرة رضى الله عنه فيها أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به بأبياء بقدرحين خمر ولئن فنظر إليهما ثم أخذ اللبن فقال له جبريل عليه السلام . الحمد لله الذى هداك للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك

\* ولحديث فيهما ولا يشرب الخمر الشارب حين يشربها وهو مؤمن الحديث \* وبه أنا البيهقي بإسناده عن الحسن قال جاء رجل بنبيذ الى أحب خلق الله اليه حتى أفسده (٢) يعنى العقل \* وقيل لبعض العرب

(١) البتغ بكسر فسكون وقد تحرك التاء نبيذ العسل وهو خمر أهل اليمن (٢) وقال عباد لو كان العقل علما يشتري لتغالى الناس فى شرائه فالمجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم . وقال بعضهم

لا تشرب النبيذ فقال والله ما ارضى عقلى صحيحا فكيف ادخل اليه ما يفسده \* وعن الحكم بن هشام أنه قال لابن له يا بني اياك والنبيذ . فانه قىء فى شذقك . وسلح على عقبك ، وحد فى ظهرك ، وتكون منحة للصبيان وأسيرا للديان \* وعن بعض الحكماء انه قال لابنه يا بني ما يدعوك الى النبيذ قال يهضم طعامى قال والله بنى هو لديك اهضم \* وعن عبد الله بن ادريس

كل شراب مسكر كثيره \* من تمر أو غنص عصيره  
وأنه محرم يسيره \* انى لكم من شره نذيره  
وعن أبى بكر بن أبى الدنيا انشده أبواه  
واذ النبيذ على النبيذ شربته \* ازرى بدينك مع ذهاب الدرهم  
وانشدنا الحسين بن عبد الرحمن .

ارى كل قوم يحفظون حريمهم \* وليس لاصحاب النبيذ حريم  
اذا جثتهم حيوك الفا ورجبوا \* وان غبت عنهم ساعة فذميم  
اخام (١) اذا مادارت الكأس بينهم \* وكلهم رث الوصال سؤم  
فهذا ثنائى لم اقل بجهالة \* ولكن بحال الفاسقين عليم  
(فصل) فى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه

---

ترك النبيذ لأهل النبيذ      إذ وصرت حليفا لمن طابه  
شرابا يدنس عرض الفقى      ويفتح للشر أبواه  
(١) هكذا الاصل ولعله معمول لفعل محذوف تقديره يروك والاولى  
الرفع فيكون مرفوعاً على الخبرية

يا أيها الناس ان الله طيب (١) لا يقبل الاطيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ( فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ) وقال ( يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ) وقال ( يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم \* ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فاني يستجاب له

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير، ان الحلال (١) بين والحرام بين وبين ذلك مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى

( ١ ) الطيب هنا معناه الطاهر أى ان الله تعالى مقدس منزّه عن النقائص والعيوب كلها لا يقبل من الاعمال الا ما كان طيباً طاهراً من المنفسات والخبائث كلها كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا ، وقد بين المولى جل وعلا ان الرسل وامهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح . وذكر الدماء بعد ذلك بيان لاستبعاد قبول الاعمال مع التغذية بالحرام \* وللعلماء فيمن صلى في ثوب حرام أو حج بمال حرام هل يسقط فرض الصلاة والحج بذلك أم لا قولان . وهذا يدل على انه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام والله أعلم

( ١ ) الشارع ان نص على طلب الشيء مع الوعيد على تركه فالحلال البين وان نص على تركه مع الوعيد على فعله فالحرام البين . وان لم ينص على واحد منهما فالمشبه ، وينبغي اجتنابه ، والمعنى ان الحلال المحض بين لا اشتباه فيه وكذلك الحرام المحض ولكن بين الامرين أمور تشبه على كثير من الناس هل هي من الحلال أم من الحرام . وأما الراسخون في العلم فلا يشبهه عليهم ذلك \* ومن أراد تحقيق ذلك وأمثلة كل فعلية بكتاب كشف الشبهات عن المشتهيات للامام الفوكاني وقد طبعناه حديثاً

الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الاوان لكل ملك حمى وحى الله في الارض محارمه

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ، اني لانتقله الى اهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى أو فى بيتى فأرفعها لآكلها ثم اخشى ان تكون من الصدقة فالتقيها

وفي صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لابي بكر غلام يخرج له الخراج . وكان ابو بكر ياكل من خراجة فجاء يوما بشيء فاكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام اندرى ما هذا فقال أبو بكر رضى الله عنه وما هو قال تكهنت (١) لانسان فى الجاهلية وما أحسن السكينة الا انى خدعته فلقينى فأعطانى بذلك . فهذا الذى اكلت منه قالت فأدخل ابو بكر يده فقاء كل شيء فى بطنه

وعن زيد بن اسلم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . شرب لبنا فاعجبه فقال للذى سقاه من أين لك هذا اللبن فآخبره انه ورد على ماء قد سماه فاذا نم من نم الصدقة وهم يسقون فخلبوه لى من البانها فجعلته فى سقائى وهو هذا فأدخل عمر يده فاستقاه \* وعن على رضى الله عنه فى طيب مطعمه أنه كان يجاء بخبز به فى جراب من المدينة

\* أنبأنا البيهقى باسناده عن بشر بن الحارث قال قال يوسف

---

( ١ ) الكاهن الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان .

ويدعى معرفة الاسرار . والمرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً . كالنجم والطبيب . وقد كان فى العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما

ابن اسباط اذا تعبد الشاب ، يقول إبليس انظروا من أين مطعمه فان كان مطعمه مطعم سوء ، قال دعوه لاتشتغلوا به . دعوه يجتهد ويتعب فقد كفاكم نفسه \* وعن حذيفة المرعشي أنه نظر الى الناس يتبادرون الى الصف الأول ، فقال ينبغي أن يتبادروا الى أكل خبز الحلال

\* وعن الفضيل بن عياض قال . سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول فقال انظر كسرتك التي تأكل من أين تأكلها ، وصل في الصف الأخير \* وعنه أيضاً انظر درهمك من أين هو . وصل في الصف الأخير

وعن سري السقطي أنه كان لا يأكل من بقل السواد ولا من ثمره ولا من شيء يعلم أنه منه ويشدد في ذلك وكان غاية في الورع (١) ومع ذلك قال كنت بطرسوس وكان معي في الدار فتيان يتعبدون وكان في الدار تنور يخبزون فيه ، فانكسر التنور فعملت بدله من مالى فتورعوا أن يخبزوا فيه

---

(١) الورع اختلف في حقيقته على أقوال قال ابن أدم ، الورع ترك كل شبهة . وقال يحيى بن معاذ ، الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل \* وسأل الحسن البصري غلاماً فقال له . ما ملاك الدين ، قال الورع . قال فما آفته . قال الطمع . وقال بعض السلف لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى بدع مالا بأس به حذراً بمابه بأس \* وقال بعض الصحابة . كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام ، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة فقال ، من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه \* وترك ما لا يعنى هو ترك الفضلات كلها وفقنا الله لذلك



وعنه قال فكان أبو يوسف النفسولى يلزم الثغر ، وينزو فكان اذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم ، أكل أصحابه من ذبائحهم وفواكههم وهو لا يأكل ، فيقال له يا أبا يوسف أتشك أنه حلال ، فيقول لا ، فيقال له فكل من الحلال فيقول انما الزهد فى الحلال

• وعن السرى قال رجعت من بعض المغازى فرأيت فى طريق ماء صافياً ، وحوله عشب من حشيش قد نبت فقلت فى نفسى ياسرى ان كنت يوماً أكلت أكلة حلال وشربت شربة حلال فاليوم فنزلت عن دأبى ، فأكلت من ذلك الحشيش ، وشربت من ذلك الماء فهتف بى هاتف سمعت الصوت ولم أر الشخص ، ياسرى بن المغلس فالنفقة التى بلفتك الى ههنا من أين هى ، فقصر الى نفسى

• وعن عبد الله بن الخلاء قال أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيئاً

وعن بشر بن الحارث الحافى بن عمر قال سمعت المعافى بن عمران يقول ؛ كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم ينظرون فى الحلال النظر الشديد ، لا يدخلون بطونهم الا ما يعرفون أنه من الحلال ، والا استقوا التراب ، ثم عد بشر ، ابراهيم بن آدم . وسليمان الخواص • وعلى بن فضيل بن عياض • وأبا معاوية الاسود ، ويوسف بن أسباط • وهيب بن الورد ، وحذيفة شيخنا من أهل حران . وداد الطائى . وعد بشر عشرة وعن يحيى بن معين المحدث

المال يذهب حله وحرامه \* يوما ويبقى في غد آثامه  
وعن محمد بن عبد الكريم المروزي لماولى يحيى بن أكرم القضاء  
كتب اليه أخوه عبد الله بن أكرم من مرو وكان من الزهاد  
ولقمة بجريش الملح تأكلها \* ألد من ثمرة تمشى بزنبور  
وأكلة قربت للملك صاحبها \* كحبة الفخ دقت عنق غصفور  
وعن ابراهيم بن هثيم أنه استوصاه صاحب له عند وداعه فقال  
أوصيك أن تكون لقمتهك صالحا . وتأكل طيبا  
ليس التقى بمتقى لألهه \* حتى يطيب شرابه وطعامه  
ويطيب مايجنى ويكسب أهله \* ويكون في حسن الحديث كلامه  
نطق النبي لنا به عن ربه \* فعلى النبي صلاته وسلامه  
(الاربعمون) ، تحريم الملابس والزى والأواني وما يكره  
منها \* لحديث أنس بن مالك في الصحيحين \* من لبس الحرير في الدنيا  
فان يلبسه في الآخرة (١)

---

( ١ ) وفي الباب أحاديث كثيرة منها عن عمر رضى الله عنه قال سمعت  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم  
يلبسه في الآخرة ، متفق عليه فالأحاديث تدل على تحريم لبس الحرير لما فيها  
من النهي وتعليل ذلك بأن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، والظاهر  
أنه كناية عن عدم دخول الجنة . ولذلك قال ابن عمر ، والله لا يدخل الجنة ، واستدل  
على ذلك بقوله تعالى ولباسهم فيها حرير . ويشهد له أيضا ما رواه الشيخان عنه .  
انما يلبس الحرير في الدنيا من لاخلق له في الآخرة . والخلق كما في شروح  
الحديث وكتب اللغة النصيب ، وقد أجمع المسلمون على التحريم وهذه

\* وحديث حذيفة لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الفضة والذهب، ولا تأكلوا في صحافها، فانها لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة

\* وحديث ابن مسعود رضى الله عنه في صحيح مسلم \* ان الله جميل يحب الجمال . الكبريطر الحق وعَمَط الناس (١)  
\* وحديث أبي بردة في الصحيحين \* قال أخرجت الينا عائشة

---

الاحاديث اذا لم تعد التحريم فليس في الدنيا محرم، ولم تنحصر الزينة عند ابناء الدنيا على الحرير فلهم ان يزينوا بالجوخ والصوف والكشمير وغير ذلك من المباح النفيس، ولا تلتفت الى قول في المذهب أو رأى لبعض العلماء فان ذلك من اتباع الهوى، ودسائس الشيطان، والعادات القومية المخالفة للشريعة المحمدية. وأصرح منه في الدلالة على المنع مطلقاً. مارواه البيهقي بسنده عن أبي اسحق قال دخلنا على عبد الله بن عمر وهو بالبطحاء، فقلنا يا أبا عبد الرحمن ان ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل. قال اتركوا قليله وكثيره . ويدل على صحة هذا ما روى عن علي رضى الله عنه قال أهدى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حلة سداها حرير ولحمتها مسترة فأرسل بها الى فقلت ما أصنع بها ألبسها قال انى لا أرضى لك ما لا أرضى لنفسى اجعلها خمرًا بين فاطمة أمك وفاطمة ابنتى، ومسيرة هو من السراء برود اليمن

وهذا بالنسبة للذكور دون الاناث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم أحل الذهب والحرير للاناث من أمتى وحرم على ذكورها رواه احمد والنسائي والترمذى وصححه

(١) البطر الطفيان عند النعمة. وهو أن يجعل ما جمعه الله حقاً من توحيده وعبادته باطلا : أو يمتنع عن الحق فلا يقبله \* والعمط الاستهانة والاستحقار

كساء ملبداً وازاراً غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في هذين

\* وحديث عبد الله بن عمر فيهما \* لا ينظر الله تعالى يوم القيامة  
الى من جر ثوبه خيلاً .

\* (الحادى والاربعون) ، تحريم الملاعب والملاهى  
المخالفة للشريعة لقوله تعالى ( قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة )  
\* ولحديث سليمان بن بريدة في صحيح مسلم عن أبيه رضى الله  
عنه \* من لعب بالزردشير (١) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه

\* (الثانى والاربعون) ، الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل  
المال بالباطل لقوله تعالى ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها  
كل البسط ) (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً)  
\* ولحديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه في صحيح مسلم \*  
ونهى عن ثلاث قيل وقال وإضاعة المال والحاف السؤال (٢)

١ - الجمعة ١١

٢ - الاسراء ٢٩

٣ - الفرقان ٦٧

(١) الزردشير هو الزرد وهذا الحديث حجة في تحريم اللعب بالزرد  
ويلحق به الشطرنج قال الامام مالك هو شر من الزرد ومعنى صبغ يده في لحم  
الخنزير ودمه أنه في حال أكله منها وهو تشبيهه لتحريمه بتحريم أكلهما  
والله الموفق

(٢) برويان بغير تنوين حكاية للفظ الفعل ورويا منونين وهى رواية  
البخارى قيلاً وقالوا على النقل من الفعلية الى الاسمية والاول أكثر. والمراد  
بهما نقل الكلام الذى يسمعه الى غيره فيقول قيل كذا وكذا بغير تعيين القائل  
وقال فلان كذا وكذا. وانما نهى عنه لانه من الاشتغال بما لا يعنى المتكلم

\* (الثالث والاربعون) ، ترك الغل والحسد (١) ونحوهما

لقوله تعالى ( ومن شر حاسد اذا حسد ) ، (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله )

\* ولحديث أنس في صحيح مسلم \* لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

\* وحديث أنس بن مالك في صحيح البخارى \* لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم (٢) أن

ولانه قد يتضمن الغيبة والهميمة والكذب لاسيما مع الاكثار من ذلك فلما من يخلو عنه . ويؤيد هذا ما أخرجه مسلم . كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع \* وقوله واضاعة المال . المراد به ما أتق في غير وجهه المأذون فيه شرعاً سواء كان دينياً أو دنيوياً لان الله جعل المال قايماً لمصالح العباد وفي التبذير تقويت تلك المصالح \* وإلحاف السؤال كثرته اما للمال ، أو المشكلات من المسائل والتعميم أولى

(١) الحسد أن يرى الرجل لاختيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له دونه . فالحسد حسدان محمود ومذموم . فالحمود أن ترى طالماً حاملاً فتشتهى أن تكون مثله أو زاهداً فتشتهى مثل فعله وهو المسمى غبطة وقد تقدم . والمذموم ، أن ترى طالماً حاملاً ، أو فاضلاً ، فتشتهى أن يموت . فالمؤمن يغبط والمنافق يحسد . وهو خلق ذميم مضر بالبدن مفسد للدين . وهو مركوز في طباع البشر لان الانسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل والناس على أقسام في ذلك منهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغى عليه بالقول والفعل . ومنهم من يسعى في نقل ذلك الى نفسه ومنهم من يسعى في ازالة نعمته عن المحسود فقط نسأل الله المعصمة

(٢) فيه تحريم الهجران فوق ثلاثة أيام بالنص . ويباح في الثلاث . بالمفهوم

يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان يصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

\* وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن الحسن في قوله تعالى ( من شر حاسد اذا حسد ) قال هو أول ذنب كان في السماء . وعن الأحنف ابن قيس \* خمس هن كما أقول ، لراحة لحسود . ولا مروءة لكذوب ولا وفاء للملوك ، ولا حيلة لبخيل . ولا سؤدد لسيء الخلق

وعن الخليل بن أحمد ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد ، له نفس دائم ، وعقل هائم . وحزن لازم ، وعن بشر بن الحارث الحافي ، العداوة في القرابة ، والحسد في الجيران ، والمنفعة في الإخوان ، وعن المبرد أنه أنشد

عين الحسود عليك الدهر حارسة \* تبدى المساوى والاحسان تخفيه  
يلقاك بالبشر يديه مكاشرة \* والقلب منكتم فيه الذي فيه  
أف الحسود بلا جرم عداوته \* وليس يقبل عذراً في تجنبه  
\* (الرابع والاربعون) ، تحريم أعراض (١) الناس وما

وحكمة ذلك أن الآدمي مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ، ليرجع ويحول ذلك عنه ، وهذا فيمن لم يجن على الدين جنابة . وأما من جنى عليه وعصى ربه وارتكب المخالفات . وتلبس بالبدع السيئات . فجاءت الرخصة في عقوبته بالهجران كالثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك فأمر الشارع بهجرانهم فبقوا خمسين ليلة حتى زلت قلوبهم ، والله أعلم

( ١ ) الأعراض جمع عرض بكسر فسكون هو موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو فيما يلزمه أمره

يجب من ترك الوقعة فيها لقوله تعالى (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) (١) (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة) وغير ذلك من الآيات والاخبار الكثيرة

\* كحديث أبي هريرة في صحيح مسلم \* المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ. من الشر أن يحقر أخاه . المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله وعرضه

\* وحديث أبي ذر في الصحيح \* لا يرمى رجل رجلاً بالفسق ولا يرميه بالكفر الا وارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك .  
\* (الخامس والاربعون) ، اخلاص (٢) العمل لله

(١) فتأمل في هذه الآيات وانظر كيف عظم الشارع أمر الوقعة في أعراض الناس وتوعد من يجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فضلاً عن اشاعته لها بنفسه العذاب المؤلم في الدنيا والآخرة . ووعد الوعد الغليظ على قذف المحصنات وحكم على القاذف بالتنسيق وبرد شهادته على التأييد الى أن يتوب ، وبالجلد تشديداً عليه ، وتهجيناً لما كان منه ، ولم يجعل للزوج مخرجاً من عذاب القذف الا بايجاب اللعن على نفسه ان كان كاذباً في قوله ، كما لم يجعل للمرأة مخرجاً من عذاب القذف الا بايجاب الغضب على نفسها ان كان صادقاً في قوله ، فهذا يدل على غلظ الذنب في قذف المحصنات وعدم التعرض بسوء المؤمنين والمؤمنات والاحتراز عنه ووجوب التورع في ذلك

(٢) الاخلاص هو افراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد في الطاعة وتصفية

عز وجل، وترك الرياء، لقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)، (من كان يريد حرث الآخرة (١) نذله في حرثه. ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)، (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون)، (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً \* ولحديث أبي هريرة في صحيح مسلم، قال الله عز وجل انا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بري، وهو للذي أشرك

التفصل من ملاحظة المخلوقين، فالخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له، ولا يتم الإخلاص الا بالصدق. ولا الصدق الا بالإخلاص. ولا يتمان الا بالصبر

(١) الحرث اللقاء البذر في الأرض والمراد منه هنا ثمرات الأعمال ونتائجها والمعنى من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها. ومن كان يريد بأعماله حرث الدنيا أى متاعها وطيباتها نؤته شيئاً منها حسبما قدرناه له بطلبه وإرادته، وليس له في الآخرة من نصيب، لأن همته مقصورة على الدنيا \* وما أدق هذا المعنى والطف هذا التعمير كيف عبر في جانب طالب الآخرة بالاتيان منها مبالغاً له فيه من غير تحديد وعبر بجانب طالب الدنيا بالشيء اليسير المقدر له مع حرمانه من الثروات الآخروية التي لا تقى ولا تبديد. ثم بين في الآية التي بعدها ان من يطلب الدنيا وزينتها يوف اليه عمله فيها مع المبالغة وليس له في الآخرة الا النار. وحبط ما عمله في الدنيا من أنواع البر والاحسان اذا وفق لذلك فيها، نموذجاً لله من الخزلان

١ - البينة ١

٢ - الشورى ٢٠

٣ - هود ١٥ - ١٦

٤ - الكهف ١١٠



• ولحديث جندب في الصحيحين من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به (١)

• أنبأني البيهقي بإسناده أن أبا عمر ، سئل عن الاخلاص ، فقال ما لا يحب أن يحمده عليه إلا الله عز وجل ، • وعن سهل بن عبد الله لا يعرف الرياء إلا مخلص ، ولا النفاق إلا مؤمن ، ولا الجهل إلا عالم ، ولا المعصية إلا مطيع ،

• عن الربيع بن خثيم كل ما لا يبتغي به وجه الله يضمحل ، وعن الجنيد لو أن عبداً أتى بافتقار آدم ، وزهد عيسى ، وجهد أيوب ، وطاعة يحيى ، واستقامة إدريس ، وودّ الخليل ، وخلق الحبيب ، وكان في قلبه ذرة لغير الله فليس لله فيه حاجة

• وعن زبيد يسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والشرب والنوم (٢) ،

---

(١) الرياء بكسر الراء وتخفيف الياء والمداظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها والسمعة بضم السين وسكون الميم هي نحو ما في الرياء إلا أنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر • ومعنى الحديث أن من حمل هملاً على غير اخلاص يريد أن يراه الناس ويسمعه يجازي يوم القيامة على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه على رؤس الاشهاد فحاشا لله وإياك من ذلك

(٢) وجه ذلك أن الأكل والشرب والنوم مباح فإذا نوى الإنسان بذلك تغذية جسمه . وتقويته ليقوم بإداء ما طلب منه من صلاة وصيام . وغير ذلك ، ائيب على ذلك . وصار بمنزلة المندوب وهكذا كان السلف رضی الله عنهم

وعن سيفان كل شيء هالك الا وجهه ، قال ما أريد به وجهه (١) \*  
وعن هلال بن يسار . قال ، قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه  
إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ، وليمسح شفتيه ، ويخرج الى  
الناس حتى كأنه ليس بصائم ، وإذا أعطى يمينه فليخفه عن شماله ، وإذا  
صلى أحدكم فليدل ستر بابه فان الله تعالى يقسم الرزق ،

\* وعن ذى النون ، قال بعض العلماء ما أخلص العبد لله الا أحب  
أن يكون في حب لا يعرف ، \* وعن بشر بن الحارث عن الفضيل بن  
عياض لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب الى من أن آكلها  
بدين ، \* وعن مالك بن أنس ، قال لى استاذى ربيعة الرأى ، يا مالك  
من السفلة ؟ قلت من أكل بدينه ، فقال من سفلة السفلة ، قال من  
أصلح دين غيره بفساد دينه ، قال فصدقني ،

\* وعن ابن الاعرابى ، أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح  
أعماله ، وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من جبل الوريد ، \* وعن  
سيفان يامعشر القراء ارفعوا دعوسكم لا تزيدوا الخشوع على ما فى  
القلب فقد وضح الطريق ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا تكونوا  
عيالا على المسلمين ،

\* وعن بعض العلماء خوفوا المؤمنين بالله ، والمنافقين بالسلطان ،  
والمرائين بالناس ،

---

( ١ ) أى كل شيء . أريد به وجهه الله تعالى فهو باق وثابت وما أريد به  
غيره تعالى فهو هالك وفان

• (السادس والاربعون) ، السرور بالحسنة والاعتناء  
بالسبئية (١) لحديث جابر بن سمرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
فى سنن أبى داود ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن  
• (السابع والاربعون) ، معالجة كل ذنب بالتوبة (٢)

(١) السرور ضد الحزن وهولدة تقع فى القلب بأدراك المحبوب ونيل المشتهى  
فيتولد من ادراكه حالة تسمى سرورا كما ان فقد المحبوب يتولد منه حالة  
تسمى الحزن والغم ، وسرور العبد بالشئ قدر تعلقه به ومحبتة له ورغبته فيه  
فسرور الشخص بالملم والايمان ، والاعمال الصالحات ، والعمالين بالكتاب  
والسنة واجماع الامة ، دليل على تعظيمها لديه ومحبتة لها ورغبته فيها واشارها  
على غيرها \* واغتمامه بضدها ، دليل على قوة ايمانه ، وشدة يقينه ، وصلابة دينه  
جعلنا الله منهم

(٢) التوبة هى اناة العبد ، ورجوعه الى مولاه . وسلوكه الصراط المستقيم  
ومجانبة له صراط المغضوب عليهم والضالين ، ولها شروط ثلاثة . الندم على  
ماسلف عنه فى الماضى . والاقلاع عنه فى الحال . والعزم على أن لا يعود فى  
المستقبل اليه \* وللتوبة الصحيحة المقبولة علامات ، منها لا يزال الخوف  
مصاحبا له لا يأمن طرفة عين ، ومنها ان يكون بعد التوبة خيرا منه قبلها  
ومنها انخلاع قلبه وتقطعه ندما وخوفا على قدر عظم الجنابة وصنفرها ،  
وانظر كيف وجه المولى تعالى الخطاب لاهل المدينة وفيهم الانصار والمهاجرون  
الذين افنوا حياتهم فى نصرة الدين واعلاء كلمته . وبذل كل ما فى وسعهم وقد  
اسرم بالتوبة بعد ايمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة  
تعليق المسبب بسببه واتى باداة ( لعل ) المشعرة بالترجى ايذانا بأنكم اذا  
تبتتم كنتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو الفلاح الا التائبون ، وقد صرح عن  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ( يا أيها الناس توبوا الى الله فوالله

لقوله تعالى ، ( وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) ؛  
( توبوا الى الله توبة نصوحاً ) ، ( وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له ) ، الآيات ،  
• ولحديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري عن الأغر المزني  
في صحيح مسلم . وسنن أبي داود وغيرهما انه أيمن . على قلبي ( ١ )  
واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة ،

• ( الثامن والأربعون ) ، القرايين ( ٢ ) وجلتها الهدى

اني لأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة • وكان أصحابه يعدون له في  
المجلس الواحد قبل أن يقوم ( رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الغفور ،  
مائة مرة ، فانظر أيها العاقل الى حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه  
من الاستغفار والتوبة مع عظم منزلته عند مولاه ، وقد أخبره تعالى بان قد  
غفر له ، ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، على فرض وقوع الذنب منه . أفلا يجب  
على من انغمس في اللذات وتوكل في الشهوات وغفل عن الطاعات وامتلأ  
قلبه ظلمات فوقها ظلمات ، أن يتوب ويستغفر في الساعة آلافاً ومئات

( ١ ) الفين الفين يقال غينت السماء تفان اذا أطبق عليها النسيم ، والمراد به  
هنا ما يفسده من السهو الذي لا يخلو منه البشر لان قلبه أبداً كان مشغولاً بالله  
تعالى فان عرضه وقتاً ما عارض بشرى يشغله من أمور الامة والملة ومصالحهما  
عد ذلك تقصيرا فينزع صلى الله عليه وآله وسلم الى الاستغفار ، ويصح أن  
يكون اظهارا للمبودية والافتقار وملزمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه لان  
خوف الانبياء والملائكة خوف اعظام

( ٢ ) القرايين جمع قربان وهو ما يتقرب به الى الله تعالى أما لخالفه وقعت  
كالهدى في الحج أو نعمة حصلت كالمقيقة للمولود ، وكان قربان الامم  
الساقطة ذبح البقر والغنم والابل ، تخفف المولى عن هذه الامة المباركة . فجعل  
قربانها هديها الطاعات والاعمال الصالحات فضلاً منه تعالى ورحمة بهم

والاضحية والمقيقة لقوله تعالى ، ( فصل لربك وانحر ) . ( والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ) ( ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ) ، الآيات .

\* ولحديث انس بن مالك رضي الله عنه — في الصحيحين ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يضحي (١) بكبشين أقرنين أملحين ، فلقد رأيته يضع رجله في صفاحهما ويسمى ويكبر . \* وفي رواية ولقد رأيته يذبحهما بيده ،

\* ( التاسع والاربعون ) ، طاعة اولى الأمر لقوله تعالى . ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ) ، قيل هم أمير السريا ، وقيل هم العلماء ، ويحتمل أن يكون عاماً لهما ، فان كان خاصاً فبأمر السرايا أشبه .

\* ولحديث أبي هريرة في الصحيحين \* من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير ، فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني (٢)

واكراماً لنبيهم محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

( ١ ) اعلم ان الاضحية اختلف في وجوبها وعدمه ، فذهب الجمهور الى انها سنة غير واجبة ، واختلف قول مالك والشافعي في ذلك ، وذهب أبو حنيفة والاوزاعي والليث وربيعة وبعض المالكية الى أنها واجبة على الموسر ، وادله كل ويان الراجع منها المذكور في المطولات ارجع اليها لان المقام لا يسمه ( ٢ ) قال الخطابي ، كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الامارة ولا يطيعون غير رؤساء قبائلهم . فلما ولي في الاسلام الامراء انكرته قهوسهم

\* ولحديث أبي ذر فيها يا أبا ذر اسمع وأطع ولو عبداً جشياً  
مجدع الأطراف (١).

\* (الخمسون) ، التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى  
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ،

\* ولحديث أبي هريرة في صحيح مسلم ، من خرج من الطاعة  
وفارق الجماعة ، ثم مات ، مات ميتة جاهلية (٢) \* وحديث عرفة بن

وامتنع بعضهم من الطاعة ، وانما قال لهم صلى الله عليه وسلم هذا القول ليعلمهم  
ان طاعة الاسراء الذين كان يوليههم وجبت عليهم طاعة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، ويحثهم على طاعة من يؤمر عليهم ، والالتقياد لهم ، اذا بعثهم في السرايا  
أو ولام البلاد ، فلا يخرجوا عليهم لثلاث تفرق الكلمة ويتبدد جمعهم ، ويغتنم  
الفرصة عدوهم ، وهذا الحكم ليس خاصاً بمن ولاء الشارع بنفسه ، بل هو عام  
في كل أمير عدل للمسلمين . واستقام ، وقام بالحدود ، ولم يخن الامة ، اللهم اصلح  
ولاة امورنا ووقفهم للعمل بما جاءت به الشريعة ، وجنبهم العادات الاوروية  
التي أفست الدنيا والدين ، يا أرحم الراحمين

(١) مجدع الأطراف مقطوعها ، والمراد اخس العبيد ، والمعنى اسمع وأطع  
للامير وان كان ذئب النسب حتى لو كان عبداً اسود مقطوع الأطراف فطاعته  
واجبة ، وامارة العبد تتصور اذا ولاء بعض الائمة أو اذا تطلب على البلاد  
بشوكته واتباعه . فطاعته وبقاؤه امراً مع جمع الكلمة واتحاد القلوب خير  
من التفرق ، والاختلاف عليه . وتشتت امرهم

(٢) أي ان من خرج من الجماعة الذين قد اتفقوا على طاعة امام ، وانتظم  
به شملهم ، واجتمعت به كلمتهم ، وحاطهم عن عدوهم فبقيته منسوبة الى أهل  
الجهل ، والمراد به من مات على الكفر قبل الاسلام . والله أعلم

شرح الجهنى فى مسلم أيضاً، ستكون بعدى هذاة وهذاة (١) فن رأيتموه  
يفرق امرامة محمد وهى جميع فأقتلوه كائنا من كان من الناس

• (الواحد والخمسون) ، الحكم بين الناس بالعدل.

لقوله تعالى . (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) ، (ولا تكن  
للخائنين خصيماً) ، (واقسطوا ان الله يحب المقسطين) ، الآيات .

\* ولحديث عبد الله بن مسعود فى الصحيحين ، لاحسد الا فى  
اثنين . رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، وآخر آتاه  
الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها .

• (الثانى والخمسون) ؛ الأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر (٢) لقوله تعالى . (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

(١) الهنات جمع ، هنة وهى كناية عن كل اسم جنس ، والمراد بها هنا الفتن  
والامور الحادثة من شرور وفساد ، دل الحديث على قتال من أراد تفريق  
كلمة المسلمين وزرع الفساد بينهم وتمزيق جمعهم ، هذا اذا لم يندفع شره الا  
بقتله ، وفى رواية أخرى فاضربوه بالسيف

فانظر كيف عظم الشارع امر التفريق وأباح دم المفرق وجمله هدرا  
مع أن الشارع شدد فى قتل النفس واعدامها ، ففى هذا الحكم موعظة بليغة  
وحكمة بالغة وزاجر عظيم لمن تسول له نفسه الامارة بالسوء فعل ذلك

(٢) اعلم أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم الامور واعظمها

اذ به قوام الامر وملاكه ، وحفظ الشريعة المطهرة ، وردع المنافق ، وزجر  
الفاسق وبه يتميز الخبيث عن غيره ، وبه يرتفع البلاء عن المطيع ولا يعم الله  
الاكل بعذاب لانه اذا كثرا الخبيث عم العقاب الصالح والطارح واذا لم يأخذوا

١ - النساء ٥٨

٢ - النساء ١٠٥

٣ - الحجرات ٩

بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) ، ( كنتم خير أمة  
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) ،  
( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ) الى قوله  
( الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ) . الآيات ،

( أئمن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن  
مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه  
لبئس ما كانوا يفعلون ) والقرآن مشحون بهما

• ولحديث أبى سعيد فى صحيح مسلم ، من رأى منكرا منكرا  
فليغيره بيده . فان لم يستطع فبلسانه . فان لم يستطع فبقبله . وذلك  
اضعف الايمان (١)

على يد الظالم اوشك ان يممهم الله تعالى بعقاب ، فينبغى لطالب الآخرة ، ومحـب  
الشرعة والسامى فى تحصيل رضاء الله عز وجل أن يعتنى بهذا الامر ، فان تقعه  
عظيم ، لا سيما فى هذا الزمان الذى كثر فيه الفساد ، وعم التجاهر بالمعاصى  
وظهرت الزنادقة والملحدون ، وفقد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لذلك  
تساهلت العوام وارتكبوا كل موبقة ، وتوسعوا فى كل معصية . حتى عم ذلك  
الخوامس ، وكادت ان ترجع الناس الى ما كانت عليه الجاهلية الاولى ، ولا شك  
أن الاجر على قدر الشقة وأن الله ناصر أوليائه وهاديهم ، وحافظهم من شر  
أعدائه . قال الله تعالى ( ولينصرن الله من ينصره ) وقال تعالى ( ومن يعصم  
بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ) وقال تعالى ( والذين جاهدوا فىنا  
لنهديهم سبلنا )

( ١ ) أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الى صفة النهى ومراتبه  
وهذا الترتيب على سبيل الوجوب فليس للمنكر ان ينتقل من مرتبة الى اخرى

١ - آل عمران ١٠٤

٢ - آل عمران ١١٠

٣ - التوبة ١١١

٤ - التوبة ١١٢

٥ - اللائدة ٧٨ - ٧٩



\* وحديث عبد الله بن مسعود فيه أيضاً ، ما من نبي بعثه الله في امته قبلى الا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته .  
ويقتدون بأمره . ثم انها تخلف من بعدهم خلوف . يقولون ما لا يفعلون  
وفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدكم  
بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك  
من الايمان حبة خردل .

\* وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن  
عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة عن أمها أم حبيبة عن زينب  
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم  
من نوم محمراً وجهه ، وهو يقول لا اله الا الله ثلاث مرات ، ويل للعرب (١)

الا اذا عجز عن القيام بها والانكار في القلب ليس بتغيير في الحقيقة المنكر  
ولا ازالة له . ولكنه هو الذي في وسع المكلف ، ثم انه انما يأمر وينهى من  
كان ملماً بما يأمر به وينهى عنه ، وذلك يختلف باختلاف الشيء فان كان من  
الواجبات الظاهرة ، والمهرمات المشهورة ، كالصلاة والصيام ، والزكاة والزنا ، والحجر  
ونحوها ، فكل المسلمين علماء بها . وان كان من دقائق الأقوال والأفعال مما  
يتعلق بالاجتهاد . لم يكن لعموم مدخل فيه . بل ذلك للعلماء . وينبغي للأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون امره ونهيه بمعروف ، وبرفق . ليكون  
أقرب الى تحصيل القبول ، وحصول المطلوب ، لذلك قال الشافعى من وعظ أخاه  
سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

(١) كلمة ويل للحزن والهلاك والمشقة من المذاب ، وخص العرب بذلك  
لانهم كانوا حينئذ معظم من أسلم ، والمراد بالشر ما وقع بعده صلى الله عليه  
وآله وسلم من قتل عثمان ، ثم توالى الفتن حتى صارت العرب بين الامم كالقصعة

من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ،  
وحاق حلقة بأصبعيه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب . فقلت يا رسول  
الله أفهلك ، وفيما الصالحون ، قال نعم ، اذا كثرت الخبث ، .

• وبه أنبأنا البيهقي بإسناده عن مالك بن دينار انه قرأ هذه الآية  
( وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) فأما  
اليوم في كل قبيلة وحى من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون  
• وعنه أيضاً ان الله عز وجل أمر بقرية ان تعذب فضجت  
الملائكة ، وقالت ان فيهم عبدك فلاناً ، قال أسمعوني منه صبيحة فان  
وجهه لم يتمر غضباً لمحارمى • وروى ذلك مرفوعاً الى النبي صلى الله  
عليه وسلم بأسناد ضعيف •

وعنه أيضاً ، اصطالحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا ببعضاً ولا ينهى  
بعضنا ببعضاً ولا يذرن الله تعالى على هذا ، فليت شعري اى عذاب ينزل •  
وعن عمر بن عبد العزيز قال كان يقال ان الله عز وجل لا يعذب العامة

بين الاكلة كما جاء في حديث ، يوشك ان تداعى الامم كما تداعى الاكلة على  
قصبتها . والمراد بالردم السد الذى بناه ذو القرنين ، ومعنى حلق الخ جعل  
الاصبع السبابة فى أصل الإبهام وضمهما حتى لم يبق بينهما الا خلل يسير ، وهو  
لقد ر معين من المدد ، وهو اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن  
التلفظ ، فشبّه صلى الله عليه وآله وسلم قدر ما فتح من السد بصفة معروفة  
عندهم وهذا لا يعارض ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث ، اقامة  
لا نحسب ولا نكتب ، لان المنفى الحساب الذى يتعانه أهل الصناعة من الجمع  
والضرب وغير ذلك .

بذنب الخاصة ، ولكن اذا عُمِل المنكر جهاراً فلم ينكروه استحقوا العقوبة كلهم .

\* (الثلث والخمسون) ؛ التعاون على البر والتقوى لقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) \* ولحديث انس بن مالك فى الصحيحين ، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فقال رجل يا رسول الله انصره مظلوماً . فكيف أنصره ظالماً فقال تتمعه من الظلم فذلك نصرك اياه .

\* (الرابع والخمسون) ، الحياء (١) \* لحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، انه سمع رجلا يعظ أخاه فى الحياء ، فقال دعه فان الحياء من الايمان . \* ولحديث عمران بن حصين رضى الله عنه فيهما ، ان الحياء لا يأتي الابخير \* وحديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فيهما ايضا ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشده حياء من المذراء فى خدرها

(١) الحياء خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط فى حق صاحب الحق ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى كماله فى حديث رواه الترمذى مرفوعاً : استحيوا من الله حق الحياء . قالوا انا نستحي يا رسول الله . قال ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء . فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء . ويختلف قوة وضعفا بحسب حياة القلب وموته ، فكما كان القلب حيا كان الحياء أتم وعكسه بعكسه .

وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه \* وحديث ابن مسعود الانصاري في صحيح البخارى ، ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى ، اذا لم تستح فاصنع ما شئت (١)

\* (الخامس والخمسون) بر الوالدين • لقوله تعالى،

\* (وبالوالدين إحساناً) ، ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ☆ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ) الآيات .

\* ولحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في الصحيحين ، قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أى العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة لوقتها ، قلت ثم أى ، قال بر الوالدين ، قلت ثم أى ، قال الجهاد فى سبيل الله ، قال حدثني بهن ولو استزدته لزادني .

\* (السادس والخمسون) ، صلة الأرحام (٢) لقوله

( ١ ) قوله فاصنع ما شئت . أمر تهديد معناه الخبر ، أى ان من لم يستح صنع ما شاء ، فالحياء بمنعه من أن يرتكب أمراً يخل بالروعة والشرف عادة ( ٢ ) الرحم كل ما بينك وبينه نسب سواء كان من ذوى الارحام فى الميراث أم لا ، قال عياض لا خلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة ، وقطيعتها مصيبة كبيرة ، وللصلة درجات فأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ومنها مستحب فلو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعاً

تعالى : ( فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ) ، ( والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ) ،

\* ولحديث انس بن مالك في الصحيحين ، من أحب أن يبسط له في رزقه وان ينسأله في أثره (١) فليصل رحمه \* وحديث جابر بن

(١) ينسأله في أثره بضم الياء وسكون النون أى يؤخره في أجله وسمى الاجل أثراً لانه يتبع العمر قال زهير .

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينقضى العمر حتى ينتهي الاثر وظاهر الحديث يعارض قوله تعالى ( فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) وقد جمع العلماء بينهما من وجهين ، أحدهما ان هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق الى الطاعات وتوسيع وقته بما ينفعه في الآخرة . وصيائته عن تضيقه في غير ذلك . فصلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة : والصيانة عن المعصية ، فيبقى بعده الذكر الجليل بسبب ما تركه بعده من العلم النافع ، أو الصدقة الجارية . أو الخلف الصالح فكانه لم يمُت ، وثانيهما ان الزيادة على حقيقتها ، وذلك بالنسبة الى علم الملك الموكل بالعمر ، وما دلت عليه الآية فبالنسبة الى سبق علم الله تعالى ، كأن يقال للملك مثلاً ان عمر فلان مائة مثلاً ان وصل رحمه ، وخسرون ان قطعها ، وقد سبق في علم الله انه يصل ويقطع فالذى في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر . والذي في علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقص وعليه قوله تعالى ، ( يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) فالاول يقال له القضاء المبرم ، والثاني القضاء المعلق والوجه الاول اوجه . وأليق بالمقام . فتنبه لذلك

مطم فيها أيضاً عن أييه . لا يدخل الجنة قاطع . يعني قاطع رحم ، قلت ولا فرق أن يكون براً أو فاجراً .

\* (السابع والخمسون) ، حُسن الخُلُق (١) ويدخل فيه كظم الغيظ، ولين الجانب، والتواضع . لقوله تعالى ، (وانك أعلی خلق عظیم) (والكاظمين الغيظ والمافين عن الناس والله يحب المحسنين) ، \* ولحديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين \* ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، (٢) وقال ان من خياركم أحسنكم أخلاقاً \* وفي رواية ، ان من أحبكم إلى أحسنكم أخلاقاً ، \* ولحديث عائشة رضی الله عنها في الصحيحين أيضاً ، انها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم

(١) الخلق . بذل الندى ، وكف الاذى ، واختيار الفضائل ، وترك الرذائل ، وهو صفة الانبياء صلوات الله عليهم ، وخصال الاولياء . قال ابن عباس ومجاهد ، في تفسير (وانك لعلی خلق عظیم) لعلی دين عظیم لادين أحب الی ولا أرضى عندي منه . وهو دين الاسلام ، وفي الصحيحين ان هشام بن حكيم سأل عائشة رضی الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت كان خلقه القرآن ، يفض بلفظه ويرضى لرضاه . وقد جمعت مكارم الاخلاق في قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وفقنا الله وإياك الى ذلك .

(٢) قوله فاحشاً من الفحش وهو الخروج عن الحد ولا متفحشاً أى متكثراً الفحش ، یعنی ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الفحش جبلياً له ، ولا كسبياً ، وما كان يجرى بالسبئية سيئة ؛ ولكن يعفو ويصفح

يكن ائماً . فان كان ائماً كان ابعد الناس منه . وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها .  
• وبه أنبأنا أبو بكر البيهقي ، قال ومعنى حسن الخلق سلامة النفس نحو الارفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى . وقد يكون فيما بين الناس . وهو في ذات الله عز وجل ، أن يكون العبد منشراح الصدر بأوامر الله تعالى ونواهيه ، بفعل ما فرض عليه ، طيب النفس به . وينتهي عما حرم عليه راضياً به غير متضجر منه ويرغب في نوافل الخير ويترك كثيراً من المباح لوجهه تعالى وتقدس . إذا رأى ان تركه أقرب الى العبودية من فعله مستبشراً لذلك غير ضجر منه . ولا متعسر به ، وهو في المعاملات بين الناس ، ان يكون سمحاً لحقوقه لا يطالب غيره بها ، ولو فيما يجب لغيره عليه منها . فان مرض ولم يعد . أو قدم من سفر فلم يزر . أو سلم فلم يرد عليه . أو ضاف فلم يكرم . أو شفع فلم يجب . أو أحسن فلم يشكر . أو دخل على قوم فلم يمكن . أو تكلم فلم ينصت . أو استأذن على صديق فلم يأذن . أو خطب فلم يزوج . أو استمهل الدين فلم يمهل . أو استنقص منه فلم ينقص وما أشبه ذلك ولم يغضب . ولم يتفكر من حاله . ولم يستشعر في نفسه انه قد جنى وأوحش وانه لا يقابل كل ذلك . اذا وجد السبيل اليه بمثله بل انه لا يعتد بشيء من ذلك ، ويقابل كلا منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب الى البر والتقوى . وأشبه بما يحمد ويرضى ، ثم يكون في ابناء ما يكون عليه ، كهو في حفظ ما يكون له ، فاذا مرض أخوه المسلم عاده

وان جاء في شفاعة شفعه ، وان استمهل في قضاء دين امهله ، وان احتاج منه الى معونته اطاعه ، وان استسمحه في بيع سمح له . ولا ينظر الى أن الذي يعامله كيف كانت معاملته اياه فيما خلا . وكيف يعامل الناس ، انما يتخذ الاحسن اماما لنفسه فينحو نحوه ولا يخالفه والخلق الحسن قد يكون غريزة وقد يكون مكتسبا (١)

وانما يصح اكتسابه ممن كان في غريزته أمثل منه فهو يضم باكتسابه اليه ما يتممه . ومعلوم في العادات أن ذا الرأي يزداد بمجالسة أولى الاحلام والنهي رأيا . وان العالم يزداد بمخالطة العلماء . وكذلك الصالح . والعامل بمجالسة الصالحاء والعقلاء . فلا ينكر أن يكون ذو الخلق الجليل يزداد حسن الخلق بمجالسة أولى الاخلاق الحسنة . وبالله التوفيق .

(١) ما ذهب اليه من أن الخلق منه ما هو طبيعي ومنه ما هو كسبي هو الصواب ، وهو رأي الاكثر من الحكماء والفلاسفة ، ويدل له ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال لأشجع عبد القيس . ان فيك خلقتين يجهما الله الحلم والاناة . فقال أخلقين تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما . فقال بل جبلك الله عليهما . فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقتين يجهما الله ورسوله ، فأفادان من الخلق ما هو طبيعة وجبلة ، وما هو متكلف ومكتسب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول في دعاء الاستفتاح . اللهم اهدني لأحسن الاخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت . فأفادانه يأتي بطريق الكسب اذا وفق لذلك ، ويكتسب الخلق بالتأديب والتعليم ، والوعظ والارشاد وبمصاحبة الاخيار وأولى النهي ، والناس ليسوا في ذلك سواء فمنهم من يقبل التأديب ، ويحرك الى الفضيلة بسرعة ،



\*(الثامن والخمسون) الاحسان الى المالك، لقوله تعالى

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذى القربى  
واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب  
وابن السبيل وما ملكت أيمانكم .. (١))

\* ولحديث المرور بن سويد في الصحيحين ، قال رأيت أبا  
ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة ، وعلى غلامه حلة مثله فسالناه  
عن ذلك ، فقال انى ساييت رجلا فشكاني الى رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . اعيرته بأمه  
ثم قال ان اخوانكم خولكم (٢) جعلهم الله تحت أيديكم ، فن كان  
أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم  
من العمل ما يغلِبهم ، فان تكلفتموهم ما يغلِبهم فأعينوهم عليه

ومنهم من يقبله ويحرك الى الفضيلة بإبطاء ، ومنهم من لا يحرك أصلاً ،  
وذلك فيما اذا كان شريراً بالطبع بل يزداد شراً بمخالطة أهل الشر ، والفسوق  
حمانا الله من ذلك ، وبالله التوفيق

(١) الشاهد في قوله تعالى (وما ملكت أيمانكم) أى من عبيدكم  
وامائكم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يوصى بهم ، فقد  
أخرج الامام أحمد . والبيهقي . عن أنس ، قال كانت عامة وصية رسول الله صلى  
الله عليه وآله وسلم حين حضره الموت الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل  
يفرغها في صدره وما يفيض بها لسانه \* وروى عنه صلى الله عليه وسلم  
انه قال أوصيكم بالضعيفين المرأة والمملوك .

(٢) الخول الخدم . واحده خائل يقع على العبد والامة ، وهو  
مأخوذ من التخويل وهو التمليك ، والمراد بالاخوان اخوة الاسلام .

• (التاسع والخمسون) حق السادة على الممالك ، وهو لزوم العبد سيده ، وإقامته حيث يراه له ، وبأمره به ، وطاعته له فيما يطيقه وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين (١)

وفي مسلم من حديث جرير بن عبد الله . انما عبد ابق فقد برئت منه الذمة • وفي سنن أبي داود من حديثه أيضاً . العبد الا ببق لا يقبل الله منه صلته حتى يرجع الى مواليه :

• (الستون) حقوق الاولاد والاهلين ، وهى قيام الرجل على ولده وأهله ، وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون اليه ، لقوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) . قال الحسن أى مروهم بطاعة الله وعلومهم الخير ، فقال على ، علموهم أدبهم • ولحديث أنس فى صحيح مسلم من حال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضم أصبعيه

(الحادى والستون) مقارنة أهل الدين ، ومودتهم وإفشاء السلام بينهم . والمصافحة لهم . ونحو ذلك من أسباب تأكيد

(١) قوله اذا نصح لسيده بأن حفظ ماله من الضياع ، وحافظ على عرضه من الخداع ، وخلصه من الخلل والنقص ، وحافظ على عبادة ربه ، بأقامتها بشروطها ، والمداومة عليها : له أجران ، أجر فى عبادة ربه ، وأجر فى نصح سيده ، الا ان الاجرين مختلفان ، لان طاعة الرب تعالى أوجب من طاعة السيد وآكد

المودة ، لقوله تعالى ( لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا  
وتسلموا على أهلها )

\* ولحديث أبي هريرة رضى الله عنه فى صحيح مسلم . والذى  
نفسى يده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابوا .  
أولا أدلكم على شيء اذ فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم (١)  
وحديث قتادة فى صحيح البخارى ، قال قلت لانس رضى الله عنه  
كانت المصافحة فى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال نعم  
\* وحديث أبي هريرة فى مسلم ، ان الله عز وجل يقول يوم القيامة  
أين المتحابون بجلالى . اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى (٢)

(١) قال النووى . السلام أول أسباب التآلف ، ومفتاح استجلاب  
المودة ، وفى افشائه تمكن الفة المسلمين بعضهم لبعض ، واظهار شعارهم المميز لهم  
من غيرهم من أهل الملل مع ما فيه من رياضة النفس ، ولزوم للتواضع . واعظام  
حرمات المسلمين . وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن عمار بن ياسر انه قال ،  
ثلاث من جهمن فقد جمع الايمان ، الانصاف من نفسك ؛ وبذل السلام للعالم ،  
والاقتناع من الاقتار ، وهذه الحصلة الحميدة فُقدت فى هذا الزمن من بين  
المسلمين حتى أصبح من يسلم على من لم يعرفه غريباً ، وكل ذلك من عدم الالتفات  
نحو الدين والعمل به واستبدال التحية المشروعة بغيرها من الالفاظ الوحشية  
(٢) قوله فى ظلى . أى فى ظل عرشى كما جاء التصريح بذلك فى غير رواية  
مسلم ، وظاهره ظل حقيقى يحفظ المتحايين من الحر والشمس ، ووهج الموقف ،  
وانقاس الخلق ، وازدحام الناس ، ويحتمل انه كناية عن حفظه من المكارة ،  
واكرامه وجعله فى كنفه وسببه . ومنه قولهم ، السلطان ظل الله فى ارضه .

• (الثاني والستون) ، رد السلام (١) لقوله تعالى ( واذا

حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها )

• ولحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه . اياكم والجلوس

بالطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد . نتحدث فيها . فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أيتم الا المجلس فأعظوا الطريق

حقه ، قالوا وما حق الطريق . قال غض البصر ، وكف الاذن ، ورد

السلام ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر (٢)

( ١ ) اعلم ان حكم رد السلام فرض بالاجماع والآية تقيد ذلك ولكن

يختلف باختلاف الشخص فان كان السلام على واحد كان الرد فرض عين عليه

وان كان على جماعة كان فرض كفاية في حقهم اذا رد أحدهم سقط الاثم عن

الباقين ، وللفقهاء تقاريع كثيرة في ذلك ، أعرضنا عنها لضيق المقام

( ٢ ) الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وقوله ما لنا بد من مجالسنا

انما هو أخبار بالواقع وبيان حاجتهم اليه فرجوا ان يخفف عنهم لذلك .

وزاد أبو داود على هذه الخمسة وارشاد ابن السبيل وتشميت العاطس اذا حمد

الله وزاد البزار والامانة على الحمل . وسعيد بن منصور . واغاثة الملهوف .

والطبراني وأعينوا المظلوم . واذكروا الله كثيراً . ويحيى بن يعمر في مرسله

واهدوا الضال والترمذي وغيره . وحسن الكلام . وأفشوا السلام فجموعها

أربعة عشر اديا ، والحكمة في النهي عن الجلوس في الطرق انه بجلوسه فيها

تعرض للفتنة اذ لا تخلو الطرق من الشهوات ومرور النسوة والفاجر

والفاسق ، وانها مجمع للشياطين ، ولربما لا يتمكن من حفظ نفسه من الوقوع

في المكار والمفاسد ، فقي منعه منها صيافته من ذلك كله ؛ وحفظه ، فرخص

لهم الشارع في ذلك اذا قاموا بحقه

• (الثالث والستون) ، عيادة المريض \* لحديث البراء بن

عازب رضى الله عنه فى الصحيحين ، وسنن أبى داود وغيرها ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع ، أمرنا ، بعيادة المرضى ، واتباع الجنائز ، ورد السلام ، وتشميت العاطس ، وإبرار القسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعى ، ونهانا عن حلقة الذهب ، وأقال خاتم الذهب ، أو آنية الذهب والفضة ، والميثرة ، والقسى ، والاستبرق ، والحريز ، والديباج (١)

(١) الامر هنا مستعمل فى معنييه ، الوجوب والندب ، أما عيادة المريض فسنة بالاجماع . ويستوى فى ذلك القريب والاجنبى ، ومن يعرفه ومن لا يعرفه الا ان القريب ومن يعرفه أكد وافضل من غيرها لعموم الاحاديث ، واما اتباع الجنائز فكذلك سنة بالاجماع ، واما رد السلام فواجب وقد تقدم ، واما تشميت العاطس فسيأتى الكلام عليه فى باب ان شاء الله تعالى ؛ وأما إبرار القسم فهو سنة فيما اذا لم يكن فيه مفسدة أو خوف ضرر أو نحو ذلك كما ثبت ان أبا بكر رضى الله عنه لما عبر الرؤيا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم ، اصببت بعضاً واخطأت بعضاً . فقال اقسمت عليك يا رسول الله لتخبرنى ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم لا تقسم ولم يـ... ، واما نصر المظلوم فن فروض الكفاية . واما إجابة الداعى فتختلف باختلاف متعلقها ، واما النهي فللتحريم فى الجميع . أما خاتم الذهب فحرام بالاجماع على الرجال . واما آنية الذهب والفضة فيكفى فى تحريمها ما رواه البخارى ومسلم عن أم سلمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الذى يشرب فى اناء الفضة والذهب انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ، وفى حديث آخر لهما . لا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما . الحديث وقد

• وحديث ثوبان رضى الله عنه في صحيح مسلم ، عائد المريض في خُرفة الجنة حتى يرجع (١) : قلت ولا فرق ان يكون برا أو فاجراً لكن ينسبط الى البر وينقبض عن الفاجر

• (الرابع والستون) ، الصلاة على من مات من أهل القبلة (٢) • لحديث أبي هريرة رضى الله عنه في الصحيحين . حق

تقدم ، وأما لبس الحرير ، والقسي ، والديباج ، والميثة ، والاستبرق . قال النووى كله حرام سواء لبسه للخيلاء أو غيره ، وانعقد الاجماع على اباحته للنساء وتحريمه على الرجال اه وقد سبق الكلام على ذلك في باب فارجع اليه وقول الامام النووى رضى الله عنه فكله حرام راجع الى لبس الحرير وما عطف عليه لان الحرير اسم جنس يطلق على كل ما يسمى حريراً عرفاً فيشمل جميع انواعه . وبه صرح هذا الحديث وغيره فان الميثة تعمل من حرير وغيره كالقراش الصغير ويحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته فوق الجمل كالسرج والقسي بفتح القاف وكسر السين المشددة ثياب مضلعة فيها حرير يؤتى بها من القس وهو قرية على ساحل البحر قريبة من تنيس ، يعنى هى ثياب كتان مخلوط بحرير ، والاستبرق الغليظ من الحرير ، والديباج الرقيق منه فانهم • وليت شعري من أين أخذ اهل عصرنا حل لبس الحرير والتفرقة بين قليله وكثيره وبين حرير الدودة وحرير الهندى ، ولا يبعد أن يكون تشبههم بالنساء واطاعتهم لمن سول لهم ذلك . ولا تغتر بما سطرته يد ائيمة أو أثبتته صحيفة سوداء ، فان ذلك مخالف لما قد علمت ، والعصمة لله ولرسوله ، حمطنى الله واياك من الزلل

( ١ ) وتام الحديث في رواية اخرى ؛ قيل يا رسول الله ما خرفة الجنة قال جناها ، أى يؤل به ذلك الى الجنة واجتناء ثمارها

( ٢ ) المراد بأهل القبلة المسلمون ، والصلاة على من مات ثابتة ثبوتاً

المسلم على المسلم خمس، رد السلام ، وعبادة الرضى ، وتشميت ، العاطس ،  
واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة \* وحديث ثوبان فى صحيح مسلم من صلى على  
جنازة فله قيراط . ومن شهد دفنها فله قيراطان ، .. القيراط مثل أحد  
\* (الخامس والستون) ، تشميت العاطس لحديث

ابى بردة فى صحيح مسلم ، عن أبى موسى الاشعرى ، اذا عطس أحدكم  
فحمد الله فشمته ، واذا لم يحمد الله فلا تشمتوه (١)

---

ضروريا من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعل أصحابه . وحكمها فرض  
كفاية لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يصلون على الميت فى حياته صلى  
الله عليه وآله وسلم ولا يؤذونه ، وامتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة  
على من عليه دين ، وأمر أصحابه بان يصلوا عليه

(١) التشميت بالعين والسين لفتان ، والعين أفصح ، معناه أبعد الله عنك  
الشماتة ، واختلف العلماء فى حكمه ، فذهب أدل انظاره وبعض المالكية الى أنه  
فرض عين على كل من سمعه ، والمشهور من مذهب مالك انه فرض كفاية  
وذهب الشافعى وآخرون الى أنه سنة وأدب ، والحديث صريح الامر بالتشميت  
اذا حمد العاطس ، وصريح النهى عن تشميته اذا لم يحمده ، وقد جاء كيفية  
الحمد وكيفية التشميت وجواب العاطس ، فيما أخرجه البخارى من حديث  
أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا عطس أحدكم فليقل  
الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه یرحمك الله وليقل هو يهديكم الله ويصلح  
بالكم ، وأخرجه ايضا ابو داود وغيره بزيادة ، فليقل الحمد لله على كل حال  
الحديث ، واخرج البخارى فى الادب والطبرانى ، ويقول هو يفر الله لنا  
ولكم ، قال مالك والشافعى بتخير بين هذين ، قلت والظاهر انه لا حرج عليه  
فتارة يقول هذا وتارة يقول ذاك فيكون عمل بالروايات كلها والله الموفق

• (السلاسل والستون) ، في مباحدة الكفار  
والمفسدين . والفظ عليهم (١) لقوله تعالى ، ( لا يتخذ المؤمنون  
الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في  
شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ) ( يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين  
واغلظ عليهم ) ،

(١) هذه الآيات وما شابهها تدل على منع موالاة الكفار . واتخاذهم  
أولياء واصدقاء من دون المؤمنين يكشفون بالاسرار الخاصة بمصلحة الدين  
والاستعانة بهم على المسلمين ، واخضاعهم لسلطنتهم ، وان كانوا آباءنا واخواننا  
في النسب . لانهم أعداء الله ورسوله ، يعملون على هدم الدين ، وايقاع الفتنة  
بين المسلمين ونشر الفساد ، وضعف الأفراد ، وفك عرى لامة ، ليستولوا  
على البلاد ، ويستعبدوا أهلها ، ويشلوا قواها ، ويضربوا عليهم الضرائب  
الثقيلة ، ويكلفونهم بما لا يطيقون ، فيصبح الشعب خاويًا على عروشه ، ونحت  
سلطنتهم كالريفة المعلقة في الهواء يحركها كيف يشاء ، ولذلك شدد المولى جل  
شأنه في ذلك ، وجعل من يفعل ذلك ليس من الله في شيء ، اى ايس من دينه  
فتنقطع صلة الايمان التى بينه وبين الله ، فيكون من الكافرين بدليل قوله  
تعالى في الآية الاخرى « ومن يتولهم منكم فانه منهم » نعم يجوز موالاتهم  
لاتقاء الضرر بقدر الحاجة بدليل الاستثناء المذكور في الآية ، وهى صورية  
في الحقيقة لانها للمؤمنين لا عليهم ، وأيضا يجوز الاستعانة بهم على عدو الذى  
هو من جنسهم فيما لا يمس الدين الحنيف بشيء من تحالف واتفاق ، كما حالف  
النبي صلى الله عليه وسلم خزاعة وهم على شركهم ، ويدخل في النهي دخولا  
اوليا الذين يتجسسون أخبار المسلمين ، من حروب وخدع ونحو ذلك ،  
وينقلونها الى الاعداء ليصيبوا بها عرض الدنيا ، ويتحصلوا على حطائها ، يبيعون  
دينهم وأخرتهم بدنيانهم ، يستبدلون الحياة الدنيا بالآخرة فما متاع الحياة الدنيا  
الا قليل ، ويل لهم قاتلهم الله أنى يرجعون

١ - آل عمران ٢٨  
٢ - التحريم ٩



(وقاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) ،  
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة  
وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا  
بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون  
إليهم بالمودة) ،

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا  
الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون) إلى آخر  
الآية التي بعدها وغيرها من الآيات .

\* ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم . إذا لقيتم  
المشركين في الطريق فلا تبسوموا بالسلام واضطروهم إلى اضيقها ،  
\* وحديث أبي سعيد رضي الله عنه في سنن أبي داود لا يأكل  
طعامك الا تقي ، ولا تصاحب الا مؤمناً .

\* (السابع والستون) اكرام الجار (١) لقوله تعالى

(١) أقول اكرام الجار والاحسان إليه ، ومواساته عند حاجته أمر  
محبوب ، ومأمور به ، وبه جاءت الشرائع ، وقد نص القرآن على ذلك ، ووردت  
أحاديث كثيرة في الاحسان إلى الجار وعدم أذيته ، والجار عام يشمل المسلم  
والكافر والتقي والفاجر ، صديقاً كان أو عدواً ، أجنبياً أو قريباً ، الا ان  
بينهم تفاوتاً ، فمن اجتمعت فيه الصفات المحمودة ، والخصال الحميدة ، كان في  
أعلى المراتب ، ومن كان فيه أكثرها فهو تابع له في المرتبة . وهلم جرا ،  
فيعطى كل ذي حق حقه بحسب حاله وباعتبار مقامه ، يدل له ما رواه الطبراني  
والبزار من حديث جابر مرفوعاً . الجيران ثلاثة ، جار له حق ، وهو المشرك ،

( وبإلوالدين احساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب )

قيل فى تفسير ذى القربى الجار الملاصق ، والجار الجنب البعيد غير الملاصق ، والصاحب بالجنب الرفيق فى السفر .

وعن ابن عباس . ومجاهد . وقتادة . والكلبي . ومقاتل بن حيان . ومقاتل بن سليمان ، والجار ذى القربى الذى يترك ويتركه قرابة ، والجار الجنب الأجنبي عنك ، والصاحب بالجنب ، الرفيق فى السفر ، وزاد مقاتل ابن سليمان ، فقال فى الصاحب بالجنب : انه الرفيق فى السفر والحضر

له حق الجوار ، وجار له حقان وهو المسلم ، له حق الجوار . وحق الاسلام ، وجار له ثلاثة حقوق . جار مسلم له رحم . له حق الاسلام ، والرحم ، والجوار \* حفظ حق الجار من الايمان ، والاضرار به من الكبر ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره \* وانظر الى أبناء زماننا كيف منموا الجار حقاً ، واستبدلوا الاكرام بالايذاء ، والاحسان بالاساءة ، حتى أصبح أقرب الناس جواراً ، أشد عداوة لجاره وأعظمهم ضرراً ، وأسرعهم تنكيلاً به ، وأحرصهم على هتك عرضه ، ولا سيما اذا كان بينه وبين جاره رحم وقرابة فان الايذاء له يزداد ويتعاضد ، وكل ذلك من الجهل بالدين ، وعدم انتشار آداب الاسلام ، وتساهل العالمين بالاحكام نسال الله ان يوفق علماءنا الاعلام ، وأمرأنا الكرام الى استدراك الخطب قبل استفحالها ، وقطع عرقه قبل سريانها ، بنشر التعليم بين المسلمين عامة ، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على تفهيم العوام أمر دينهم ، وبيان حقوق الافراد والجماعات ، وما ينشأ عن الجهل ، وترك الدين ، وتقليد الاجانب فى الامور المحلة ، والمفاسد المؤثرة فى الهيئة الاجتماعية ، من سقوط الامة وانحطاطها ونشوب

\* وعن علي ، وعبد الله بن مسعود وإبراهيم وغيرهم رضي الله عنهم في الصاحب بالجانب ، أنها المرأة \* وعن سعيد بن جبير في رواية كذلك ، وفي رواية عنه . أنه الرقيق الصالح .

\* ولحديث عائشة في الصحيحين . أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه \* وبه أنبأنا البيهقي أبو عبد الله الحافظ في مراعاة حق الرقيق ثنا أبو العباس الأصم ثنا شعبة بن عثمان التنوحي ثنا محمد بن شمال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . قال . قال : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثلاثة لا يكافئهم عني الأرب العالمين ، رجل فسخ له في مجلسه ورجل تخطى الحلق والمجالس حتى جلس إلى ، ورجل ذكر في الليل ، حاجته (ذاد) (١) في أهله فذلك لا يكافئه عني الأرب العالمين . \* ( الثامن والستون ) ، أكرام الضيف (٢) \* لحدث أبي

العدو عليها ، واقتراسها ، واستعباده إياها كما هو حاصل الآن ، فيصبح الشعب متعلماً متيقظاً لنفسه متمسكاً بحقوقه : محترماً لجاره ورجه ، مقتدياً بسلفه ، تاملاً بشريته ودينه ، ناظراً إلى منفعة أخيه ووطنه ، مكباً على رضا ربه ، متباعداً عما يضر بقومه وأبناء جنسه ، متحاشياً الرذائل ، متحلياً بالمفضائل وغير ذلك من الصفات التي تقدمت .

(١) هكذا الأصل ، وانظر وجه إيراد هذا الاثر في هذا الباب تدبر  
(٢) اختلف العلماء في حكم الضيافة . ذهب الجمهور إلى أنها سنة ، لأنها من مكارم الأخلاق ، وآداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين ، مستلزمين . بحديث ، فليكرم جاره جائزته . والجائزة المنحة والعطية ، وذلك لا يكون إلا مع الاختيار \* وقوله فليكرم وليحسن يدل على هذا . وتأولوا أحاديث الباب التي ظاهرها الوجوب ، بأنها كانت في أول الإسلام . وذهب الليث والامام

شريح العدوى في الصحيحين . قال سمعت أذناى وأبصرت عينائى حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته . قالوا وما جائزته . قال يومه وليلته ، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه . وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت \* وزاد في رواية في أوله ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .

\* (التاسع والستون) ، الستر على أصحاب القروف أى الذنوب (١) لقوله تعالى ( ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة ) .

أحمد الى ان الضيافة واجبة يوماً وليلة ، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم . ليله الضيف حق واجب على كل مسلم \* وبحديث عقبة . ان نزلتم بقوم فأمروا السكم بحق الضيف فاقبلوا . وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى يبنى لهم . واختلف في وجوبها هل على الحاضر والبادى ، ام على البادى خاصة ، وظاهر الاحاديث العموم ، والله أعلم

( ١ ) اعلم ان الله تعالى ذم من يجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، والاحاديث في هذا الباب كثيرة ؛ فقد روى الامام أحمد من حديث عقبة ابن طامر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ، من ستر على المؤمن عورته ستره الله يوم القيامة ، وابن ماجه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته \* والناس في ارتكاب الذنوب على ضربين ، الاول من كان مستوراً لا يعرف بشئ من المعاصي والمخالفات ، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز هتكه ولا كشفها

\* ولحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن أبيه ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة :

\* ( السبعون ) ، الصبر على المصائب وعما تنزع النفس اليه من لذة وشهوة (١) . لقوله تعالى : ( واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين .

\* عن مجاهد وغيره انه أراد بالصبر الصوم . وقوله : ( وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ) وغيرها من الآيات .

ولا التحدث بها ، لان ذلك غيبة محرمة ، وهذا هو الذى وردت فيه النصوص ، يدل له ما رواه أبو داود والنسائي من حديث طائفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال . أقبلوا ذوى الهيئات فتراتهم \* الثانى من كان مشتهراً بالمعاصى والمخالفات معلناً بها غير مبال بما ارتكب منها ، ولا بما قيل له هذا الفاجر المعلن . وهذا ليس له غيبة بلا نزاع بين العلماء ، فينبغى البحث عن أمره لتقام عليه الحدود ويتأدب ويتمتع به غيره وينزجر ، فافهم

( ١ ) حقيقة الصبر ، حبس النفس وكفها عن الجزع والسخط ، والامان عن الشكوى ، والثبات على أحكام الكتاب والسنة ، قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن لا صبر له لا ايمان له ، كما ان لا جسد لمن لا رأس له ، وهو من اعظم الامور واتقها ، لذلك ذكره المولى تعالى فى القرآن فى نحو تسعين موضعاً ، وحكمة الوجوب باجماع الامة ، رزقنى الله واياك الصبر على المكاره

\* ولحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه فى الصحيحين .  
قال جاء أناس من الانصار فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
فأعطاهم . قال فجعل لا يسأله أحد منهم الا اعطاه حتى تقدموا عنده ثم  
قال ، حين أنفق كل شئ عنده ما يكون عندنا من خير فلن ندخره  
عنكم فإنه من يستغف بعفه الله : ومن يستغن يغنه الله . ومن يتصبر  
يصبره الله ، ولن يعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر

\* وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فيهما أيضاً . قال  
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يوعك وعكا شديداً .  
فقلت انك لتوعك وعك الرجلين (١) فقال : أجل أوعك كما يوعك  
رجلان منكم . قال . فقلت ذلك بان لك أجريين . قال أجل وما من  
مسلم يصيبه أذى من مرض فأسواه الا حط الله به من سيئاته كما تحط  
الشجرة ورقها .

\* (الحادى والسبعون) ، الزهد وقصر الامل (٢) لقوله

---

(١) الوعك يسكون العين وفتحها الحى وقيل ألمها وقيل هو ارعاد  
الحى وتحريكه اياه وقال صاحب المحكم الوعك الألم يجده الانسان من شدة التعب  
(٢) اعلم ان الناس قد أكثروا من الكلام على الزهد ونذكر لك اهمه ، قال  
الامام احمد ، الزهد فى الدنيا هو عدم فرحه باقبالها ، وحزنه على أدبارها ،  
وقال الجنيد ، الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد ، وقال ابن خفيف ، الزهد  
سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي من الاملاك ، والذى اجمع عليه  
المعارفون ، ان الزهد سفر القلب من وطن الدنيا ، واخذه فى منازل الآخرة ،  
وقد قسم الزهد الامام احمد الى ثلاثة أوجه ، الاول ترك الحرام ، وهو زهد

تعالى . ( فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها )

العوام ، والثاني ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص ، والثالث ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين ، وقد أشار المولى الى مدحه في القرآن في غير موضع والى ذم الدنيا والاعراض عنها . قال الله تعالى ( ما عندكم ينفد وما عند الله باق ) وقال تعالى ( قل متاع الدنيا قليل ) وقال ( ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ) وقال ( اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ) الى قوله ( وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور ) والاحاديث في ذلك كثيرة ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنتفيه ( أى جنبه ) فرمى بجدى اسك ميت فتناوله فاخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب ان هذا له بدرم فقالوا ما نحب انه لنا بشيء وما نصنع به قال أتحبون ان لكم قالوا والله لو كان حياً كان عيباً فيه لانه اسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم \* ومعنى اسك صغير الأذن . فالزهد في الشيء الاعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شيء زهيد أى قليل حقير وليس المراد بالزهد رفض الدنيا واخراجها عن الملك ، يدل له ما رواه الترمذى وابن ماجه عن ابى ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاءة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو انها بقيت لك \* وهذا اجمع كلام في الزهد وأحسنه ، وقد رواه موقوفاً الامام احمد وابن ابى الدنيا . ويشهد له ما ثبت عن سليمان وداد وعليهما الصلاة والسلام ، انهما كانا ازهد اهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما ليس لغيرهما ، وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أزهد البشر على الاطلاق وله تسعة نسوة ، وكان على بن ابى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، والوزير . وعثمان

\* ولحديث أنس بن مالك وسهل بن سعد في الصحيحين . بُعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى .

\* وحديث ابن عباس في صحيح البخارى . نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ .

\* وبه أنبأنا البيهقي : قال أنشدني أبو عصمة محمد بن أحمد السجستاني بالبصرة لنفسه في هذا المعنى

أنبأنا خير بنى آدم \* وما على أحمد إلا البلاغ  
الناس مغبونون في نعمتي \* صحة أبدانهم والفراغ  
\* وحديث أبي سعيد رضى الله عنه في صحيح مسلم ، ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء (١) .

من الزهاد مع ما لهم من الاموال والتجارة ، وكان الحسن بن على من الزهاد مع انه اكثر الامة محبة للنساء ونكاحا لهن ، واغناها ، وهكذا كان أغلب السلف من التابعين وتابع التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ، والله الموفق

(١) وحاصل ذلك ، ان نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام لما نزل في أرض بنى كنعان ، وصل خبره الى قوم بلعام ، وكان يحفظ الاسم الاعظم ومجابه الدعوة وفيه نزل قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية ، فذهب قوم بلعام الى بلعام ، وقالوا له ان هذا موسى بن عمران فى بنى اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا وانا قومك ، وليس لنا منزل ، وأنت مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم ، فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وانا أعلم من الله ما أعلم ، فلم يزالوا به حتى فتنوه . فافتتن ، فركب حمارة له وأراد ان يتوجه الى الجبل



ليدعو على موسى ومن معه، فوقفت ولم تسر به ، فضربها فانطقها المولى تعالى،  
فقلت ويحك يا بلعام أين تذهب ، أما ترى الملائكة تردني ، فلم يرجع عن  
غيه ، حتى أشرف على رأس الجبل ، فجعل يدعو على موسى وقومه ، ولا يدعو  
عليهم بشر الا صرف به لسانه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى  
اسرائيل فقال له قومه أندري يا بلعام ما تصنع ، انما تدعو لهم وتدعو علينا ،  
قال فهذا مالا أملك ، هذا شئ قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ،  
فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق الا المكر والحيلة ،  
فسأمر لكم وأحتال ، جلوا النساء وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى قوم  
موسى يبعنهن فيهم ، وصرهون بان لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فان  
زنى منهم واحد كفيتهموهم ، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة برجل  
عظيم من بنى اسرائيل فقام اليها فأخذ بيدها حين أعجبه جامها ، ثم أقبل بها  
حتى وقف على موسى عليه السلام فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك ،  
فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها ، قال فوالله لا أطيعك فى هذا ، فدخل  
بها فبته فوقع عليها ، فارسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل ، وكان صاحب أمر  
موسى عليه السلام غائبا حينئذ ، وكان ذا بسطة فى الخلق ، وقوة فى البطش ،  
لجاء والطاعون يجوس ويحصد فى بنى اسرائيل ، فاخبر الخبر ، فأخذ حربته ،  
ثم دخل القبة ، وهما متضاجعان . فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما  
الى السماء ، وجعل يقول اللهم هكذا تعمل بمن يعصيك ، فرفع الطاعون فحسب  
من هلك من بنى اسرائيل فوجد قد هلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من  
النهار ، فانظر الى هذه القصة ، واعتبر بما حصل لبلعام الذى أوتى الاسم الاعظم ،  
واجابة الدعوة ، وما نفعه ذلك ، لكونه لم يعمل بملءه النافع ، ولم يسلك  
سبيل الرشاد ، واتخذ علمه وسيلة لخذلان المؤمنين ، وزريرة للتشكيل بهم ،  
وهكذا كل عالم اذا لم يعمل بملءه ، واتخذ آلة لاضلال الناس واكتساب  
الاموال ، كان وبالاً وحجة عليه ، وسود وجهه فى الدنيا ، وقاده الى عذاب  
شديد فى الآخرة ، نسأل الله حسن العاقبة

• (الثاني والسبعون) ، النيرة وترك المذاة (١) لقوله تعالى ، (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) ، (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) ،

• ولحديث أبي هريرة في صحيح البخارى ان الله عز وجل يفار وان المؤمن يفار وغيره الله ان لا يأتى المؤمن ما حرم عز وجل عليه • وحديث أم سلمة رضى الله عنها في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عندها وفي البيت مخنث (٢) فقال لعبد الله ابن أبي أمية أخى أم سلمة يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف غداً فأتني أدلك على ابنة غيلان فانها تقبل باريق وتدبر بثمان . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخلن هؤلاء عليكم

(١) النيرة بفتح النين وسكون الياء . قال في النهاية ، هي الحمية والأتفة وقال القاضى فى المشارق هي تغير القلب وهيجان الغضب ، أى عند رؤية أوسماع مالا ينبغي ، يقال رجل غيور وأمرأة غيور ، والمذاة بكسر الميم والمد يقال أمدى الرجل وما ذى اذا قاد على أهله ، ويروى المذال من النفاق ، باللام وهو ان يقلق الرجل وينزعج عن فراشه الذى يضاجع عليه حليلته ويحول عنه ليفترشه غيره

(٢) المخنث هو الذى يشبه النساء فى أقواله وأفعاله ، قارة يكون هذا خلقيا وقارة تكلفيا ، والثانى هو المذموم الملعون صاحبه ، وأما المخنث فى هذا الزمان هو الذى يؤتى ليلاط به ، وقول المخنث تقبل باريق وتدبر بثمان هو وصف للمرأة ، وحاصله انها سميئة ولبطنها طيات من السمن من كل ناحية ثنتان ، ولكل واحدة طرفان ، فاذا أدبرت صارت الاطراف ثمانية ، قال ابن السكبي ، قال المخنث بعد قوله وتدبر بثمان ، مع ثمر كالأقحوان ان

\* وروى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الغيرة من الايمان وان المذا من النفاق . قال الحلبي هو ان يجمع بين الرجال والنساء ثم يخلطهم بماذى بعضهم بعضا واخذ من المذى وقيل هو ارسال الرجال مع النساء من قوله مذيت الفرس اذا أرسلتها ترى .

\* (الثالث والسبعون) ، الاعراض عن اللغو لقوله تعالى ( قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ) ، وقوله . ( والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما ) ، وقوله . ( واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ) ،

فعدت تثنت ، وان تكلمت تفنت ، بين رجلها مثل الاناء المكفوف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع . فقال لقد غفلت النظر اليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة ، واسم ابنة غيلان بادية وقيل بادنة فلما فتح الطائف أسلمت وتزوجها عبد الرحمن بن عوف وولدت له ، ولا يخفى عليك ما حصل من النبي صلى الله عليه وسلم حين سماعه كلام المنخت من الغيرة وهيجان الغضب واجلاه عن المدينة لئلا ينتشر هذا الداء العضال في الامة ، ويسرى سرعان الكتاب بصاحبه ، فهلا يتنبه علماؤنا وأمرأؤنا الى ذلك ، ويجلون هذه الطائفة الخبيثة ، ويبعدونها عن البلاد ، ويضربون على أيديهم بسوط من حديد ، فقد انتشر فسادهم وعم ضررهم ، وفسدت أخلاق الامة وكثر المتشبهون بالنساء بسبب ذلك ولم نر احدا من العلماء ، أو الامراء تكلم بذلك ونشر مقالة أو ألف رسالة في بيان فساد بقاء هذه الشرذمة القبيحة ، والطائفة المشؤمة على الامة وقد تقدم بيان حكم اللواط في باب فارجع اليه .

واللغو الباطل الذي لا يعنيه ولا يتصل بقصد صحيح ولا يكون لقائله فيه فائدة وربما كان وبالاعليه

\* وفي حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وعلى بن الحسين عن ابيه عن علي رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (١)

\* وبه انبأنا البيهقي انبأنا ابو عبد الله الحافظ ثنا الحسن بن محمد ابن اسحاق قال سمعت أبا عثمان الخياط قال سمعت ذا النون يقول . من حب الله عاش \* ومن مال الى غيره طاش \* والاحمق يغدو ويروح في لاش \* والماعقل عن خواطر نفسه فتاش .

\*(الرابع والسبعون)، الجود والسخاء (٢) لقوله تعالى.

(١) هذا الحديث أصل عظيم من أصول الآداب ، ومعناه ان من حسن اسلام المرء تركه مالا تتعلق عنايته به ، ويكون من مقصده ومطلوبه من قول وفعل ، والعناية بالشيء شدة الاهتمام به ، لانه يترك مالا عناية له به ولا ارادة بحكم الهوى ، وطلب النفس ، بل بحكم الشريعة والاسلام ، لهذا جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاسلام ، فاذا حسن اسلام المرء ترك مالا يعنيه من المكروهات ، وفضول المباحات التي لا يحتاج اليها فان هذا كله لا يعنى المسلم ، فعلى الماعقل ان لا يسمى الا الى ثلاث ، تزود لمعاد ، أو حرفة لمعاش ، أو لذة في غير محرم ، وان يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه ، خادماً لامته ودينه ، حافظاً لحقوق ربه ، متابراً على النصائح والفوائد ، حاملاً على انهاض قومه ، وغير ذلك من الصفات التي ينبغي ان يتصف بها المسلم

(١) الجود والسخاء والكرم بمعنى ، وهو اتفاق المال الكثير بسهولة من

(وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء) وغيرها من الآيات

النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي ، ويقابله البخل وقد أمر به المولى ومدحه في كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الامين ، صلى الله عليه وسلم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يوازي في الكرم والجود ، ولا يبارى وبه وصفه كل من عرفه ، وما سئل قط فقال لا ، لما رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما عن جابر رضى الله عنه قال ، ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا وأنه حسن

ما قال لا قط الا في تشهده \* لولا التشهد لم تسمع له لا لا

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ، كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وهكذا كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث \* وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه ، ان رجلا سأله فاعطاه غما بين جبلين ، فرجع الى قومه ، وقال أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة ، واعطى غير واحد مائة من الابل ، واعطى صفوان بن أمية مائة ثم مائة ثم مائة وكان مشركا ، فقال أشهد بالله ما طابت بهذا الاتقس نبي واسلم \* ورد على هو اذن سباياها وكانوا ستة آلاف تقس مع أموالهم وكانت خمسمائة الف ، رحل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسهم فارد سائلا حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فسأله ، فقال ما عندى شيء ، ولكن ابتع على ، فاذا جاء فاشي قضيتاه ، فقال له عمر رضى الله عنه ، ما كلفك الله مالا تقدر عليه ، فكره صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رجل من الانصار يا رسول الله ، اتفق ولا تخف من ذى العرش اقلا ، فتبسم عليه الصلوة والسلام ، وعرف البشر في وجهه ، وقال بهذا أمرت ، واخبر بكرمه وجوده لا يحصى فمن البحر حدث ولا حرج

ولقوله في عكسه . (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل . وقوله . (ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه) وقوله . (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وغيرها من الآيات \* ولحديث ابن هريرة في الصحيحين ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً (١)

(١) وقد خرج هذا الحديث أيضاً الإمام أحمد في مسنده عن أبي الدرداء بزيادة ، قال ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنتيها ملكان يتناديان بسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين ، يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمس إلا وبجنتيها ملكان يتناديان بسمعان أهل الأرض إلا الثقلين اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً ، وكلة من في الحديث زائدة ، والمعنى ليس يوم موصوف بهذا الوصف ينزل فيه أحد إلا ملكان يقولان كذا ، والخلف بفتح اللام الموض أي عوضك وإبدلك بما ذهب منك ، والتعبير بالإعطاء بجانب الممسك للمشاكلة لأن التلف ليس بمطية فهو من باب التهمك \* فالحديث يدل على استحقاق تلف مال الممسك ، وظاهره الامساك مطلقاً ، أي عن الواجبات والمندوبات إلا أن الممسك عن المندوبات لا يستحق هذا الدماء ، لا سيما دماء الملائكة وهو محاب ، إلا أن يحمل على من غلب عليه البخل \* والبخل صفة قبيحة ، وخلق ذميم ، قد اجتمعت الكتب السماوية على ذمه ، وحقارة من اتصف به ، وسئل الحسن البصري عن حقيقة البخل ، قال هو أن يرى الرجل ما أنفق سرفاً ، وما أمسكه سرفاً اه ولذلك يمشي البخيل عيشة الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء بأعدنا الله وإياك عن ذلك

• (الخامس والسبعون). رُحِمَ الصغير وتوفى الكبير (١)

• لحديث جرير بن عبد الله في صحيح مسلم . من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى .

• وحديث أبي هريرة في الصحيحين . جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى يرفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه . (٢)

• وحديث عبد الله بن عمرو في سنن أبي داود ومسلم . من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا .

• وروينا في الصحاح في حديث القسامة كبر الكبر أو الكبر الكبر أي يتكلم أكبركم • وفي حديث الامامة وليؤمكم أكبركم

---

(١) الرحم بالضم الرحمة وهي رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان وعملها قلب المؤمن التقي ولا تنزع الا من قلب شقي، قال بعضهم من أمارات الكرم الرحمة ، ومن أمارات اللؤم القسوة .

(٢) اعلم ان رحمة الله لا تقصر ، فالخصر في مائة على سبيل التمثيل تسبيلا للفهم ، وتقليلا لما عندنا ، ونكثيرا لما عند الله ، ويدل الحديث على ان الرحمة في الآخرة أكثر من النعمة فيها ، ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام عن ربه غلبت رحمتي غضبي ، وخمن الفرس بالذكرا لانها أشد الحيوان المألوف الذي يماين المخاطبون حركته مع ولدها، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل دمع ذلك تجنب ان يصل الضرر منها الى ولدها • وفي رواية عطاء يتماطفون وبها يتراحمون وبهذا يعطف الوحش والطير بعضها على بعض .

• (السلاليس والسبعون) ، اصلاح ذات الين<sup>(١)</sup> لقوله تعالى . ( لا خير في كثير من نجوام<sup>(٢)</sup> الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ) . وقوله ، ( انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم ) أى بين كل اثنين منكم .

• ولحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنه فى الصحيحين ، ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيقول خيراً وينمى خيراً<sup>(٣)</sup> قالت ولم أسمعه يرخص فى شئ مما يقول الناس كذباً الا فى ثلاث

(١) الاصلاح التوفيق بين الناس ، والصلح اسم بمعنى المصالحة وأصله من الصلاح ضد الفساد ، والصلح أقسام . صلح بين المتفاضلين . ويدخل فيه الزوجان ، و صلح بين الفئة الباغية والمعادلة . والصلح فى الجراح ، و صلح المسلم مع الكافر ، و صلح لقطع الخصومات اذا وقعت المزاومة فى الاملاك أو المشتركات كالشوارع ، والمراد به هنا مايمم الجميع

(٢) النجوى مصدر أو اسم مصدر ، معناه المسارة بالحديث ، أى الكلام الذى يتفرد به الجماعة أو الاثنان سرّاً ، وهى مظنة الاثم والشر ، يدل له قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى ) الآية ، لان العادة استحباب اظهار الخير والتحدث به جهراً و اخفاء الشر وكتمانها ، وقد جاء فى الحديث ، الاثم ما حاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس

(٣) قوله وينمى خيراً هكذا رواية مسلم بدون أو ، ورواية البخارى هكذا ، فيسمى خيراً أو يقول خيراً ، وهو شك من الراوى ، قال ابن الاثير تقلا عن أبى صبيد وابن قتيبة وغيرهما ، يقال نمت الحديث أتميه اذا بلغته على



الحرب والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

\* ( السابع والسبعون ) ان يحب الرجل لاخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ويدخل فيه امانة الاذى عن الطريق المشار اليه .

---

وجه الاصلاح وطلب الخير ، فاذا بلغته علي وجه الافساد والنجمة قلت نهيته بالتشديد اه وعزاء ابن حجر في الفتح الى الجمهور ، قال الحافظ ، قال العلماء المراد هنا انه يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر ولا يكون ذلك كذباً لان الكذب الاخبار بالشيء على ما هو به وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول ، ولا حجة فيه لمن قال يشترط في الكذب القصد اليه . لان هذا ساكت اه وقولها ولم أسمعه يرخس الخ هذه زيادة مدرجة في الحديث من كلام الزهري بينها مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهري فذكر الحديث قال قال الزهري الخ ، واختلف العلماء في معنى ذلك على أقوال والذي تميل اليه النفس ويقبله العقل السليم وتشهد له الادلة هو ان هذا ليس من قبيل الكذب المحض بل هو من قبيل التورية واستعمال المعارض بأن يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه فاذا سعى في الاصلاح نقل من هؤلاء الى هؤلاء كذلك وروى ، وكذلك في الحرب يأتي بالفاظ تحتمل وجهين فيورى بها عن أحد المعنيين ليفتر السامع بأحدهما عن الآخر ، ومن هذا الباب ما رواه الترمذي في شمائله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مازح عجوزا فقال لها لا تدخل الجنة عجوز ، ذاوهما في ظاهر الامر ان المعجزة لا يدخلن الجنة أصلا ، وانما أراد انهن لا يدخلن الجنة الا شبابا ، وما جاء عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وغيره محمول على ذلك ، فتفتن

• في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين ، الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها لا اله الا الله وأدناه إمامة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان .

• وحديث أنس في صحيح البخارى لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه .

• وحديث جرير بن عبد الله في الصحيحين ، بايتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .



تم الكتاب بحمد الله الملك الوهاب وقد ظهر لنا أغلاط بعد الطبع لا نخفى على القارئ فوضمنا لأهمها جدولاً لبيان الخطأ والصواب

| صحيفه | سطر | خطأ      | صواب        |
|-------|-----|----------|-------------|
| ٥     | ٧   | يطعمها   | يطعمه       |
| ٢٢    | ٤   | ذكاته    | زكاته       |
| ٢٢    | ٤   | مثل ماله | مثل له ماله |
| ٣٢    | ٧   | فليفعل   | فليقل       |
| ٤٣    | ١٣  | فان      | فلن         |
| ٤٦    | ٨   | قلما     | قل          |
| ٥٥    | ١   | جشياً    | حبشياً      |
| ٨٨    | ٦   | يرفع     | ترفع        |

# مِفْتَاحُ الْحَيَاةِ

## فِي الْإِحْتِجَاجِ بِالسُّنَنِ

تأليف خاتمة الحفاظ والمجتهدين مولانا الشيخ جلال الدين  
السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ تفضله الله برحمته آمين

---

عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الأولى  
إدارة الطباعة المنيرية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وبه تقي وسلام على عباده الذين اصطفى •

اعلموا يرحمكم الله ان من العلم كهيئة الدواء . ومن الآراء كهيئة الخلاء . لا تذكر إلا عند داعية الضرورة . وان مما فاح ربحه في هذا الزمان . وكان دارسا بحمد الله تعالى منذ أزمان وهو ان قائلنا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه ان السنة النبوية . والاحاديث المروية . زادها الله علوا وشرفا . لا يحتاج بها وان الحجة في القرآن خاصة وأورد على ذلك حديث ما جاءكم عنى من حديث فاعرضوه على القرآن فان وجدتم له أصلا فخذوا به والا فردوه هكذا سمعت هذا الكلام يحملته منه وسمعه منه خلائقي غيرى فمنهم من لا يلتقي لذلك بالا . ومنهم من لا يعرف أصل هذا الكلام ولا من أين جاء فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك . وأبين بطلانه . وانه من أعظم الممالك •

فاعلموا رحمكم الله ان من أنكر كون حديث النبي ﷺ قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الاسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة . روى الامام الشافعي رضى الله عنه يوما حديثنا وقال انه صحيح فقال له قائل أتقول

به يا أبا عبد الله فاضطرب وقال يا هذا أرايتني نصرانيا أرايتني خارجا من كنيسة أرايت في وسطى زنارا أروى حديثا عن رسول الله ﷺ ولا أقول به • وأصل هذا الرأي الفاسد أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا الى انكار الاحتجاج بالسنة والاقتصاص على القرآن وهم في ذلك مختلفوا المقاصد فمنهم من كان يعتقد ان النبوة لملي وان جبريل عليه السلام اخطأ في نزوله الى سيد المرسلين ﷺ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال ان الخلافة كانت حقا لملي فلما عدل بها الصحابة عنه الى أبي بكر رضى الله عنهم أجمعين قال هؤلاء المخذولون لنهم الله كفروا حيث جاروا وعدلوا بالحق عن مستحقه وكفروا لنهم الله عليا رضى الله عنه أيضا لعدم طلبه حقه فبنوا على ذلك رد الاحاديث كلها لانها عندم بزعمهم من رواية قوم كفار فانا لله وإنا اليه راجعون وهذه آراء ما كنت استحل حكايتها لولا مادعت اليه الضرورة من بيان أصل هذا المذهب الفاسد الذي كان الناس في راحة منه من أعصار •

وقد كان أهل هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم وتصدى الأئمة الأربعة وأصحابهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم وسأسوق ان شاء الله تعالى جملة من ذلك والله الموفق • قال الامام الشافعي رضى الله عنه في الرسالة ونقله عنه البيهقي في المدخل قد وضع الله رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه انه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته وحرمة من معصيته وأبان من فضيلته بما قرن بين الايمان برسوله مع الايمان به فقال تبارك وتعالى ( فآمنوا بالله ورسوله ) وقال ( إنما المؤمنون الذين آمنوا

بالله ورسوله) فجعل كمال اجتهاد الايمان الذى ماسواه تبع له الايمان بالله ثم برسوله معه قال الشافعى وفرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسول الله فقال فى كتابه (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لى ضلال مبين) مع آى سواها ذكر فيهن الكتاب والحكمة قال الشافعى فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت من ارضى من اهل العلم بالقرآن يقول الحكمة سنة رسول الله ﷺ وقال (بأياها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) فقال بعض اهل العلم اولو الأمر امراء سرايا رسول الله ﷺ (فان تنازعتم) يعنى اختلفتم فى شىء يعنى والله تعالى أعلم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم (فردوه الى الله والرسول) يعنى والله تعالى أعلم الى ما قال الله والرسول ثم ساق الكلام الى ان قال فأعلمهم أن طاعة رسول الله ﷺ طاعته فقال (فلأوربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) واحتج أيضا فى فرض اتباع أمره بقوله (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسالون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وغيرها من الآيات التى دلت على اتباع امره ولزوم طاعته فلا يسع احدا رد أمره لفرض الله طاعة نبيه •

قال البيهقى بعد احكامه هذا الفصل: ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال ﷺ فى خطبته بعد تعليم من شهد امر دينهم «ألا فليبلغ الشاهد منكم

١ - النور ٦٢

٢ - آل عمران ٦٤

٣ - النساء ٥٩

٤ - النساء ٦٥

٥ - النور ٦٣

٦ - الحشر ٧

الفائب قرب مبلغ أوعى من سامع ، ثم أورد حديث « نصر الله امرأسمع منا حديثاً فأداه كما سمعه قرب مبلغ أوعى من سامع » وهذا الحديث متواتر كما سأبينه \* قال الشافعي فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتى وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا \*

ثم أورد البيهقي من حديث أبي رافع قال قال رسول الله ﷺ « لا ألفين احداً منكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا » أخرجه أبو داود والحاكم ومن حديث المقدم بن معدى كرب أن النبي ﷺ حرم أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهل وغيره ثم قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه إلا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله » قال البيهقي وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يكون بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده ثم أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة السكي أن عمران بن حصين رضى الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم يا أبا نجيد انكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن فغضب عمران وقال لرجل قرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً والغداة ركعتين والظهر أربعاً والمصر أربعاً قال لا قال فعن من أخذتم ذلك أستمعنا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله ﷺ أوجدتم فيه من كل

أربعين شاة شاة وفي كل كذا بعيرا كذا وفي كل كذا درهما كذا قال لا قال  
فمن من أخذتم ذلك أستم عنا أخذتموه وأخذناه عن النبي ﷺ وقال أو جدتم  
في القرآن ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) أو جدتم فيه فطوفوا سبعا واركموا  
ركعتين خلف المقام أو وجدتم في القرآن لا جلب ولا جنب ولا شغار في  
الاسلام أما سمعتم الله قال في كتابه ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم  
عنه فانتهوا ) قال عمران فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم  
بها علم \* ثم قال البيهقي والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن  
باطل لا يصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على  
عرض الحديث على القرآن انتهى كلام البيهقي في المدخل الصغير وهو  
المدخل الى دلائل النبوة وقد ذكر المسألة في المدخل الكبير وهو المدخل  
الى السنن بإسقاط من هذا فقال باب تعليم سنن رسول الله ﷺ وفرض  
اتباعها قال تعالى ( لقد من الله على المؤمنين ) الى قوله ( ويعلمهم الكتاب  
والحكمة ) قال الشافعي سمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول الحكمة  
سنة رسول الله ﷺ \*

ثم أخرج بأسانيده عن الحسن وقتادة ويحيى بن أبي كثير أنهم قالوا  
الحكمة في هذه الآية السنة ثم أورد بسنده عن المقدم بن معدى كرب  
عن النبي ﷺ أنه قال : ألا أنى أوتيت الكتاب ومثله معه إلا أنى أوتيت  
القرآن ومثله الا يوشك (١) رجل شيمان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن  
فأوجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فخرموه الا لا يحل  
لكم الحمار الأهلي ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطه مال معاهد الحديث

(١) أى يسرع ويقرب

١ - الحج ٢٩

٢ - الحشر ٧

٣ - آل عمران ٧٥



ثم أورد من طريق آخر عن المقدم بن معدى كرب قال حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خير من الحمار الأهلي وغيره فقال ﷺ « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب الله فاجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وإنما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله »

وقال البيهقي باسناد صحيح أخرجه أبو داود في سننه قلت وأخرجه أيضا الحاكم ثم أورد البيهقي أيضا بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » أخرجه الحاكم في المستدرک وأورد بسنده عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ « خطب الناس في حجة الوداع فقال يا أيها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي » أخرجه الحاكم أيضا وأورد بسنده أيضا عن عروة أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال « اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرين اثنين كتاب الله وسنة نبيكم أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم تعيشوا به » وأخرج بسنده عن ابن وهب قال سمعت مالك بن أنس يقول ائتم ما قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع « أمران تركتهما فيكم لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﷺ » وأخرج بسنده عن العرياض بن سارية قال « صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الميوز ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأنها موعظة مودع فإذا تعهد إلينا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة فإنه من يمش

منكم بعدى فسرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين  
 للهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان  
 كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، قلت هذا الحديث أخرجه أبو داود  
 وابن ماجه والحاكم فى مستدركه • وأخرج بسنده عن عائشة ان رسول  
 الله ﷺ قال ستة لعنهم الله وكل نبى مجاب الدعوة الزائد فى كتاب الله  
 والمكذب بقدر الله التساط بالجبروت ليدل بذلك من اعز الله ويمز من  
 اذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله والتارك لسنتى  
 قلت أخرجه أيضا الطبرانى والحاكم وصححه • وأخرج بسنده عن ابن  
 عمرو أن النبى ﷺ قال « ان لكل عمل شرة (١) ولكل شرة فترة (٢)  
 فمن كانت فترة الى سنتى فقد اهتدى ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك »  
 وأخرج بسنده عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال « من احبى سنتى فقد  
 احببى ومن احببى كان معى فى الجنة » قلت أخرجه أيضا الترمذى • وأخرج  
 بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام القائم بسنتى  
 عند فساد أمتى له اجر مائة شهيد قلت أخرجه أيضا الطبرانى ثم  
 قال البيهقى فى باب بيان وجوه السنة قال الشافعى رضى الله عنه وسنة رسول  
 الله ﷺ من ثلاثة أوجه • أحدها ما أنزل الله فيه نص كتاب فسن رسول  
 الله ﷺ يمثل نص الكتاب • والثانى ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن  
 الله معنى ما اراد بالجملة وأوضح كيف فرضها عاما أو خاصا وكيف أراد أن  
 يأتى به المباد • والثالث ما سن رسول الله ﷺ بما ليس فيه نص كتاب  
 فمنهم من قال جعله الله له بما اقتضى من طاعته وسبق فى علمه من موضعه

لرضا ان يبين فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته كتيبين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن في البيوع وغيرها من الشرائع لان الله تعالى قال ( لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ) وقال ( وأحل الله البيع وحرم الربا ) فما أحل وحرم فأنما بين فيه عن الله كما بين في الصلاة : ومنهم من قال بل جاءت به رسالة الله فثبتت سنته بفرض الله : ومنهم من قال التمي في روعه (١) كل ما سن وسنته الحكمة التي ألقيت في روعه انتهى بلفظه \*

ثم أخرج البيهقي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر يا أيها الناس ان الرأي انما كان من رسول الله ﷺ مصيبا لان الله تعالى كان يرهبه وانما هو منا الظن والتكلف \* وأخرج بسنده عن الشعبي « أن رسول الله ﷺ كان يقضى بالقضاء وينزل القرآن بغير ما قضى فيستقبل حكم القرآن ولا يرد قضاءه الأول : واحتج من ذهب الى أنه لم يسن الا بما رآه امابوحي ينزله عليه فيتلى على الناس أو برسالة ثابتة عن الله أن افعل كذا بقوله ﷺ فيما رواه الشيخان في قصة الزاني « لأقضين بينكما بكتاب الله » ثم قضى بالجلد والتغريب وليس التغريب في القرآن : وبما أخرجه الشيخان عن يعلى ابن أمية « أن النبي ﷺ كان بالجعرانة (٢) فجاء رجل عاياه جبة متضمن (٣)

١ - النساء ٢٩  
٢ - البقرة ٢٧٥

(١) أي في نفسه وخلده

(٢) هو موضع قريب من مكة وهي في الحل وميقات للاحرام

(٣) التضمنع التلطيخ بالطيب وغيره والاكثر منه

بطيب وقد احرم بعمره فقال يا رسول الله كيف تري في رجل احرم بعمره في حبة بعد ما تضحخ بطيب فنظر اليه النبي ﷺ ساعة ثم سكنت فجاهه الوحي فانزل الله (واتموا الحج والعمرة لله) ثم سرى (١) عنه فقال ابن الذي سألتني عن العمرة انفا أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجبك» \*

ثم اخرج البيهقي بسنده عن طاوس أن عنده كتابا من العقول نزل به الوحي وما فرض رسول الله ﷺ من صدقة وعقول (٢) فانما نزل به الوحي \* وأخرج بسنده عن حسان بن عطية قال «كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن» أخرجه الدارمي \* وأخرج بسنده عن طريق القاسم بن مخيمرة عن طلحة ابن فضيلة قال «قيل لرسول الله ﷺ في عام سنة (٣) سمر لنا يا رسول الله قال لا يسألني الله عن سنة أحدثها فيكم لم يأمرني بها ولكن اسألوا الله من فضله» \* وأخرج بسنده عن المطلب بن حنطب «أن رسول الله ﷺ قال ما تركت شيئا مما أمركم الله به الا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه وأن الروح الأمين قد نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» قال الشافعي وليس تعدو السنن كلها واحدا من هذه المعاني التي وضعت باختلاف

(١) اي زال وكشف (٢) هو جمع عقل وهو الدية واصله ان القاتل كان اذا قتل قتيلا جمع الدية من الابل فقلها بفناء اوليا المقتول اي شدها في عقلها ليسلمها اليهم ويقبضوها منه فسميت الدية عقلا بالمصدر اه نهاية

(٣) السنة الجذب يقال اخذتهم السنة اذا اجذبوا واقطعوا

من حكيت عنه من أهل العلم وكل ماسن فقد الزمنا الله اتباعه وجعل في  
اتباعه طاعته وفي العتو عن اتباعه معصيته التي لم يعذر بها خلقا ولم يجعل  
له من اتباع سنن نبيه مخرجا \*

ثم قال البيهقي باب ما أمر الله به من طاعة رسوله ﷺ والبيان ان  
طاعته طاعته قال الله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم  
فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا  
عظيما) وقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) قال الشافعي رضى الله عنه  
فأعلمهم أن يبيعة رسوله ببعته وأن طاعته طاعته فقال (فلا وربك لا يؤمنون  
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت  
ويسلموا تسليما) قال الشافعي نزلت هذه الآية في رجل خاصم الزبير في أرض  
فقضي النبي ﷺ للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله ﷺ لاحكم  
منصوص في القرآن أخرج الشيخان عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من  
الانصار خاصم الزبير في شراج الحرة (١) التي يسقون بها النخل فقال  
الانصارى سرح الماء يمر فابى عليه الزبير فاختمهما الى رسول الله ﷺ فقال  
رسول الله ﷺ اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصارى  
يا رسول الله أن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله ﷺ فقال يا زبير اسق  
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله انى لاحسب أن هذه  
الآية نزلت في ذلك (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)

(١) الشراج مسيل الماء من الحزن الى السهل واحده شرج . والحرة بفتح الحاء المهملة  
وتشديد الراء من الارض الصلبة الغليظة التي البستها كلها حجارة سود نخره كلنهما مطرت  
والجمع حرثات وبالمدينة حرثان حرة واقم وحره ليلي وقيل فيها اكثر من حرثين والله اعلم

الآية \* وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله » \* وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال « جاءت ملائكة الى نبي الله ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة (١) وبعث داعياً فن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس \* \* وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أتى قالوا يا رسول الله ومن يأتي قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أتى » \* قال الشافعي رحمه الله وقال تعالى ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ) الى قوله ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ) أخرج البيهقي عن سفيان في قوله ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ) قال يطبع الله على قلوبهم : قال الشافعي وأمرهم بأخذ ما آتاهم والالتزام بما نهاهم عنه فقال ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) \* أخرج الشيخان عن ابن مسعود أنه قال « لعن الله الواثقات والمستوثقات والمتفجعات للحسن للغيرات خلق الله فبلغ ذلك

(١) هي الطعام التي يصنعها الرجل يدعو اليه الناس

امراة يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك قلت كيت وكيت فقال مالي لألن من لمن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته قال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه اما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانه نهى عنه (١) قال الشافعي وأبان أنه يهدي الى صراط مستقيم فقال (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله) : قال الشافعي وكان فرضه على من طاب رسول الله ﷺ ومن بعده الى يوم القيامة واحدا في أن على كل طاعته ثم أخرج البيهقي بسنده عن ميمون بن مهران في قوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) قالوا الرد الى الله الى كتابه والرد الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قبض الى سنته ثم أورد البيهقي من حديث أبي داود عن أبي رافع قال « قال رسول الله ﷺ لألفين (٢) أحدكم متكئا على أريكته (٣) يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا تدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » قال الشافعي وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلامهم أنه لازم لهم وان لم يجدوا فيه نصا في كتاب الله • ثم أورد البيهقي حديث أبي داود أيضا عن العرياض بن سارية قال « نزلنا مع النبي ﷺ خيبر ومعه من معه من أصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فاقبل الى النبي ﷺ فقال يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا

(١) الواشمات جمع واشمة من الوشم وهو غرز الابرة في اليد ونحوها ثم ذر التيل عليه والمستوشمات جمع مستوشمة وهي التي تسأل وتطلب ذلك . والمنتمعات جمع متمنعة من التمتع وهو تنف الشعر من الوجه (٢) اي لا اجدن (٣) اي سريره المزين

ثمنا وتضربوا نساءنا فغضب النبي ﷺ وقال يا ابن عوف اركب فرسك ثم  
 ناد أن اجتمعوا للصلاة فاجتمعوا فصلى بهم النبي عليه الصلاة والسلام ثم  
 قام فقال أيحسب أحدكم متكئا على أريكته لا يظن أن الله لم يحرم شيئا  
 الا ما في هذا القرآن الا اني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها  
 لمثل القرآن أو أكثر وان الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل  
 الكتاب إلا باذن ولا ضرب نساءهم ولا أكل ثمارهم اذ اعطوكم الذي عليهم  
 ثم قال البيهقي باب بيان بطلان ما يحتج به بعض من رد الاخبار من  
 الاخبار التي رواها بعض الضعفاء في عرض السنة على القرآن \* قال الشافعي  
 احتج على بعض من رد الاخبار بما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام  
 قال ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فانا قلته وما خالفه فلم  
 أقله فقلت له ما روى هذا أحد ثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير وانما  
 هي رواية منقطعة عن رجل مجهول ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء \*  
 قال البيهقي اشار الامام الشافعي الى ما رواه خالد بن أبي كريمة عن  
 أبي جعفر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه دعا اليهود فسألهم  
 فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبي عليه الصلاة والسلام  
 المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو عنى فما آتاكم يوافق القرآن  
 فهو عنى وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى قال البيهقي خالد مجهول  
 وأبو جعفر ليس بصحابي فالحديث منقطع \* وقال الشافعي وليس يخالف  
 الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله ﷺ يبين معنى ما أراد خاصا  
 وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله فمن قبل عن  
 رسول الله عليه الصلاة والسلام فمن الله قبل \*



قال البيهقي وقد روى الحديث من أوجه آخر كلها ضعيفة ثم أخرج من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحرث عن الأصمغ بن محمد بن أبي منصور أنه بلغه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال الحديث على ثلاث فأما حديث بلغكم عنى تعرفونه بكتاب الله فاقبلوه وإما حديث بلغكم عنى لا تجدون فى القرآن موضعه ولا تعرفون موضعه فلا تقبلوه وأما حديث بلغكم عنى تقشعر منه جلودكم وتشمئز منه قلوبكم وتجدون فى القرآن خلافة فردوه \* قال البيهقي وهذه رواية منقطعة عن رجل مجهول ثم أخرج بسنده من طريق عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبیش عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله ﷺ إنها تكون بعدى رواية بروون عنى الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فخذثوا به وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به \* قال البيهقي قال الدارقطني هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد بن على منقطعا (١) قال بسنده من طريق بشر بن نمير عن حسين بن عبدالله عن أبيه عن جده عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه سيأتى ناس يحدثون عنى حديثا فمن حدثكم حديثا يضارع القرآن فأنا قلته ومن حدثكم حديثا لا يضارع القرآن فلم أقله \* قال البيهقي هذا اسناد ضعيف لا يحتج بمثله حسين بن عبدالله ابن ضميرة قال فيه ابن معين ليس بشيء وبشر بن نمير ليس بثقة ثم أخرج بسنده من طريق صالح بن موسى عن عبدالعزيز بن ربيع عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيأتيكم عنى

(١) عبارة الدارقطني فى سننه هكذا هذا وهم والصواب عن عاصم عن زيد بن على بن الحسين مرسلا عن النبي ﷺ . ٥١

أحاديث مختلفة فما أناكم موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني وما أناكم مخالفاً لكتاب الله وسنتي فليس مني \* قال البيهقي تفرد به صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف لا يحتج بحديثه قلت ومع ذلك فالحديث لنا لا علينا ألا ترى الى قوله موافقا لكتاب الله وسنتي \*

ثم أخرج البيهقي من طريق يحيى بن آدم عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا حدثتم عنى حديثا تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم أقله فصدقوا به فاني أقول ما يعرف ولا ينكر واذا حدثتم عنى حديثا تنكرونه ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا أقول ما ينكر ولا يعرف \* قال البيهقي قال ابن خزيمة في صحة هذا الحديث مقال لم نرى في شرق الارض ولا غربها أحدا يعرف خبر ابن أبي ذئب من غير رواية يحيى بن آدم ولا رأيت أحدا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة \* قال البيهقي وهو مختلف على يحيى بن آدم في اسناده ومتنه اختلافا كثيرا يوجب الاضطراب منهم من يذكر أبا هريرة ومنهم من لا يذكره ويرسل الحديث ومنهم من يقول في متنه اذا روئتم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله وقال البخارى في تاريخه ذكر أبى هريرة فيه وم \* ثم أخرج البيهقي من طريق الحارث ابن نبهان عن محمد بن عبد الله العرزمي عن عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بلغكم عنى من حديث حسن لم أقله فأنأ قلته \* قال البيهقي هذا باطل والحارث والعرزمي متروكان وعبد الله بن سعيد عن أبى هريرة مرسل فاحش قال وقد روى عن أبى هريرة ما يضاد بعض هذا \*

ثم أخرج من طريق أبي معشر السندی عن سعيد المقبری عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا الفین أحدکم متکثرا علی أریکته یأتیه الحدیث من حدیثی فیقول اتل علی قرآنا ما أنا کم من خیر عنی قلته أولم أقله فأنا أقوله وما أنا کم عنی من شر فانی لا أقول الشر » قال الیهیق صدر هذا الحدیث موافق للأحادیث الصحیحة فی قبول الاخبار : وقوله « قلته أولم أقله » فی هذه الأحادیث ما لا یلیق بکلام النبی ﷺ ولا یشبهه المقبول \*

ثم أخرج من طریق عبد الرحمن بن سلمان بن عمرو مولى المطلب عن أبي الحویرث عن محمد بن جیر بن مطعم « أن رسول الله ﷺ قال ما حدثتم عنی مما تعرفون فصدقوا وما حدثتم عنی مما تنكرون فلا تصدقوا فانی لا أقول المنکر ولیس منی » \* قال الیهیق وهذا منقطع قال وأمثل اسناد روى فی هذا المعنى مارواه ربيعة عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن أبي حميد أو أبي أسيد قال « قال رسول الله ﷺ اذا سمعتم الحدیث عنی تعرفه قلوبکم وتلین له أشعارکم وأبشارکم وترون أنه منکم قریب فأنا أولام به واذا سمعتم الحدیث عنی تنکروه قلوبکم وتنفر منه أشعارکم وأبشارکم وترون أنه منکم بئید فأنا أبعدکم منه » \*

ثم أخرج من طریق بکیر عن عبد الملك بن سعيد عن ابن عباس بن سهل عن أبي قال « اذا بلغکم عن رسول الله ﷺ ما یعرف وتلین له الجلود فقد یقول النبی ﷺ الخیر ولا یقول الا الخیر » : قال الیهیق قال البخاری وهذا أصح عنی أصح من رواية من رواه عن أبي حميد أو أبي أسيد وقد رواه ابن طهية عن بکیر بن الأشج عن عبد الملك بن سعيد عن القاسم بن

سهيل عن أبي بن كعب قال ذلك بمعناه فصار الحديث المسند معلولا وعلى الاحوال كلها حديث رسول الله ﷺ الثابت عنه قريب من العقول موافق للأصول لا ينكره عقل من عقل عن الله الموضع الذي وضع به رسول الله ﷺ من دينه وما افترض على الناس من طاعته ولا ينفر منه قلب من اعتقد تصديقه فيما قال واتباعه فيما حكم به وكما هو جميل حسن من حيث الشرع جميل في الأخلاق حسن عند أولى الألباب هذا هو المراد بما عسى يصح من الفاظ هذه الأخبار \*

ثم أخرج بسنده عن ابن عباس « قال اذا حدثتكم بحديث عن رسول الله ﷺ فلم تجدوا تصديقه في الكتاب أو هو حسن في أخلاق الناس فأنا به كاذب » : وأخرج عن علي « فاذا حدثتم عن رسول الله ﷺ شيئاً فظنوا به الذي هو أهدي والذي هو أهنأ والذي هو أتيق » قلت والمول عليه في معنى الحديث ! اورد أن ثبت ما أشار اليه الامام الشافعي مما سبق أن السنة الثابتة ليست منافرة للقرآن بل معاضدة له وان لم يكن فيه نص صريح بلفظها فان النبي ﷺ يفهم من القرآن ما لا يفهمه غيره وقد قال لما سئل عن الحرم « ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فانظر أخذ حكمها من أين : وقال ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبي حاتم ما من شيء إلا بين لنا في القرآن ولكن فهمنا يقصر عن ادراكه فلذلك قال تعالى ( لتبين للناس ما نزل اليهم ) فانظر هذا الكلام من ابن مسعود أحد اجلاء الصحابة وأقدمهم اسلاماً \* قال بعضهم السنة شرح للقرآن وقد الف ابن بركان كتاباً في معاضدة السنة للقرآن : أخرج الشافعي والبيهقي من طريق طاوس أن النبي ﷺ

قال « اني لا أحلّ إلا ما أحل الله في كتابه ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه » قال الشافعي وهذا منقطع وكذلك صنع عليه السلام وبذلك أمروا فترض عليه أن يتبع ما أوحى اليه وتشهد أن قدا تبعه وما لم يكن فيه وحي فقد فرض الله في الوحي اتباع سنته فمن قبل عنه فأتما قبل بفرض الله قال الله تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) قال البيهقي وقوله في كتابه ان صحت هذه اللفظة فأتما أراد فيما أوحى اليه ثم ما أوحى اليه نوعان أحدهما وحي يتلى والآخر وحي لا يتلى وقد احتج ابن مسعود من الآية التي احتج بها الشافعي بمثل ما احتج به في ان من قبل عن رسول الله عليه السلام فبكتاب الله قبله فان حكمه في وجوب اتباعه حكم ماورد به الكتاب ثم أورد الحديث السابق في لمن الواشئات \*

ثم قال البيهقي باب فيما ورد عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة من الرجوع الى خبره أخرج فيه عن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدة الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتسأله ميراثها فقال لها أبو بكر مالك في كتاب الله شيء وما أعلم لك في سنة نبي الله عليه السلام شيئا فارجمي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال له المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله عليه السلام أعطاهما السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال فانفذه لها أبو بكر \* وأخرج عن ابن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « كان يقول الدية للعاقلة ولا ترث امرأة من دية زوجها شيئا حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله عليه السلام كتب اليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية فرجع اليه عمر » أخرجه أبو داود : وأخرج عن طاوس أن عمر قال اذكر الله امرأ سمع من النبي عليه السلام في الجنين شيئا

فقام حل بن مالك بن النابغة قال كنت بين جارتين لى يعنى ضربت  
احداهما الاخرى بمسطح فألقت جنينا ميتا فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرة  
فقال عمر لولم نسمع هذا لقضينا فيه بغير هذا ان كدنا نقضى فيه برأينا \*  
وقال البيهقي قال الشافعي قد رجع عمر عما كان يقضى فيه بمحدث الضحاك  
الى أن خالف حكم نفسه وأخبر في الجنين أنه لولم يسمع هذا لقضى فيه بغيره  
وقال ان كدنا نقضى فيه برأينا \* وأخرج الشيخان من طريق ابن شهاب عن  
عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ<sup>(١)</sup> بلغه أن  
الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال اذا  
سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا  
فرارا منه فرجع عمر من سرغ : قال ابن شهاب وأخبرني سالم بن عبد الله  
ابن عمر أن عمر انما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف \*  
وأخرج البخاري عن عائشة قالت لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى  
شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر \*  
وأخرج البيهقي عن زينب بنت كعب بن عجرة أن الفريضة بنت مالك بن  
سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنها جاءت الى رسول الله ﷺ  
لتسأله أن ترجع الى أهلها في بني خدره فان زوجها خرج في طلب أعبده  
ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ أن  
أرجع الى أهلي فاني لم يتركني في مسكن يملكه فقال رسول الله ﷺ امكني  
في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قلت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا  
قالت فلما كان عثمان بن عفان أرسل الى فسألني عن ذلك فأخبرته وقضى

(١) هي بفتح الراء وسكونها قرية بوادي تبوك من طريق الشام

به \* وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفى الله منه بما شاء أن ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة فاذا حلف لي صدقته وانحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله ﷺ يقول « ما من عبد موقن يذنب ذنباً فيتطهر فيحسن الطهور ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له » أخرجه أحمد \* وأخرج الشيخان عن ابن عباس « ان زيد بن ثابت قال له أتفتي أن تصدر الخائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت فقال له ابن عباس أما لا فسأل فلانة الانصارية هل أمرها بذلك رسول الله ﷺ فرجع زيد بن ثابت يضحك ويقول ما أراك إلا قد صدقت » قال الشافعي فسمع زيد النبي ﷺ فلما أفتى ابن عباس بالصدر أنكره عليه فلما أخبر عن رسول الله ﷺ رأى عليه حقاً أن يرجع عن خلاف ابن عباس (١) \* وأخرج الشيخان عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوحاً البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس بموسى بنى اسرائيل فقال كذب عدو الله أخبرني أبي بن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فذكر حديث موسى والخضر \* قال الشافعي ابن عباس مع فقهه وورعه كذب امرأ من المسلمين ونسبه الى عداوة الله لما أخبر به عن

(١) كذا الاصل . وعبارة الشافعي في الأم هكذا قال الشافعي رحمه الله تعالى فسمع زيد النهي أن لا يصدر أحد من الحاج حتي يكون آخر عهده بالبيت وكانت الخائض عنده من الحاج الداخلين في ذلك النهي فلما افتاها ابن عباس بالصدر إذ كانت قد زارت البيت بعد النحر أنكره عليه زيد فلما أخرجه ابن عباس عن المرأة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها بذلك فسألها فأخبرته فصدق المرأة ورأي أن حقاً عليه أن يرجع عن خلاف ابن عباس اهـ

النبي ﷺ من خلاف قوله \* وأخرج البيهقي والحاكم عن هشام بن جبير قال كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس اتركهما فقال ما أدعهما فقال ابن عباس فانه قد نهى النبي ﷺ عن صلاة بعد العصر ولا أدري أتعذب أم تؤجر لان الله قال (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة) قال الشافعي فرأى ابن عباس الحجة قائمة على طاوس بخبره عن النبي ﷺ ودله بتلاوة كتاب الله على ان فرضاً عليه أن لا تكون له الخيرة اذا قضى الله ورسوله أمراً \* وأخرج مسلم عن ابن عمر قال «كنا نخابر ولا نرى بذلك بأساً حتى زعم رافع ان رسول الله ﷺ نهى عنها فتركناها من أجل ذلك \* قال الشافعي فابن عمر قد كان ينتفع بالخبرة وبراها حلالاً ولم يتوسع اذا خبره الثقة عن رسول الله ﷺ انه نهى عنها أن يخابر بعد خبره \* وأخرج البيهقي عن عطاء بن يسار ان معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء «سمعت رسول الله ﷺ نهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل فقال له معاوية ما أرى بأساً فقال أبو الدرداء من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه لاأسا كنك بأرض أنت بها \* قال الشافعي فرأى أبو الدرداء الحجة تقوم على معاوية بخبره فلما لم ير معاوية ذلك فارق أبو الدرداء الأرض التي هو بها اعظماً لانه ترك خبر ثقة عن رسول الله ﷺ \* قال الشافعي وأخبرنا ابن أبي سعيد الخدري لقي رجلاً فخبره عن رسول الله ﷺ شيئاً يخالفه فقال أبو سعيد والله لاأواني وإياك ستف بيت أبداً \* قال الشافعي فرأى ان ضيقا على الخبر أن لا يقبل خبره \* وأخرج الشيخان عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال «لا تمنعوا النساء بالليل من



المساجد» فقال بعض بنى عبد الله بن عمرو والله لا ندعهم يتخذونه دغلاً<sup>(١)</sup> فضرب ابن عمر صدره وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنت تقول ما تقول \* وأخرج الشيخان عن عبد الله بن بريدة ان عبد الله بن مغفل رأى رجلاً يخذف<sup>(٢)</sup> فنهاه فقال ان رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وقال انه لا يرد الصيد ولا ينكأ العدو ولكنه قد يكسر السن ويقفأ العين قال فرآه بعد ذلك يخذف فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف والله لا أكلمك أبداً \* وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين انه قال قال رسول الله ﷺ «الحياء خير كله» فقال بشير بن كعب انا نجد في بعض الكتاب ان منه سكينه ووقاراً ومنه ضعفاً فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه « وفي رواية «وتحدثني عن صفك» \* وأخرج البيهقي والحاكم عن الحسن قال بينما عمران بن الحصين يحدث عن سنة نبينا محمد ﷺ اذ قال له رجل يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن فقال له عمران أنت وأصحابك تقرأون القرآن أكننت تحدثني عن الصلاة وما فيها وحدودها أكننت تحدثني عن الزكاة في الذهب والابل والبقر وأصناف المال ولكن قد شهدت وغبت أنت ثم قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا فقال الرجل أحييتني أحيالك الله قال الحسن فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين \* قال الشافعي ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قبل خبره وانتهى اليه وأثبت ذلك سنة ثم أخرج عن سالم بن عبد الله «ان عمر بن الخطاب نهى عن الطيب

(١) هو في الاصل الشجر الملتف الذي يكن أهل الفساد فيه

(٢) الخذف هو الرمي بالحصى الصفار بأطراف الأصابع اه لسان

قبل زيارة البيت وبعد الجرة قال سالم فقالت عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي لأحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق \* قال الشافعي فترك سالم قول جده عمر في إمامته وعمل بخبر عائشة واعلم من حدثه أنه سنة وإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق وذلك الذي يجب عليه قال الشافعي وضع ذلك الذين بعد التابعين والذين لقيناهم كلهم يثبت الأخبار ويجعلها سنة محمد من تبعها ويعاب من خالفها فمن فارق هذا المذهب كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعدم إلى اليوم وكان من أهل الجهالة انتهى \*

هذا الذي سقته من أول الكتاب إلى هنا كله تحرير الإمام الشافعي رضي الله عنه كلاماً واستدلالاً بالأحاديث ولقد أثنى الله عليه وأطنب فيه لداعية الحاجة إليه في زمنه لما كان يناظره من الزنادقة والرافضة الرادين للأخبار وتلقه البيهقي في كتابه فزاده محاسن كما تقدم بيانه وبقيت آثار ذكرها البيهقي مفرقة في كتابه فما أنا أذكرها ثم أزيد عليها بما لم يقع في كلامه ولا في كلام الشافعي رضي الله عنه \* وأخرج البيهقي بسنده عن أيوب السختياني قال إذا حدث الرجل بسنة فقال دعنا من هذا وإن شئنا عن القرآن فاعلم أنه ضال قال الأوزاعي وذلك أن السنة جاءت قاضية على الكتاب ولم يحمي الكتاب قاضياً على السنة \* وأخرج عن أيوب قال قال رجل عند مطرف بن عبد الله لا نتحدثنا إلا بما في القرآن فقال مطرف إنا والله ما نريد بالقرآن بدلاً ولكننا نريد من هو أعلم بالقرآن منا \* وأخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال « شهدت علياً وعثمان بن مكة والمدينة

وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى ذلك على أهل بهما جميعاً فقال لبيك بحجة وعمرة معاً فقال عثمان ترانى أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله فقال ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس \* وأخرج مسلم عن سليمان بن يسار « ان أبا هريرة وابن عباس وأبا سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف تذاكروا المتوفى عنها الحامل تضع عند وفاة زوجها فقال ابن عباس تعتد آخر الأجلين وقال أبو سلمة بن تحل حين تضع قال أبو هريرة أنا مع ابن أخى فأرسلوا الى أم سلمة زوج النبي ﷺ فقالت قد وضعت سبيعة الأسلمية بعد وفاة زوجها يسير فاستفتت رسول الله ﷺ فأمرها أن تزوج \* وأخرج البيهقي عن البراء قال « ليس كلنا كان يسمع حديث النبي ﷺ كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن كان الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشاهد الغائب » \* وأخرج عن قتادة « ان انسانا حدث بحديث فقال له رجل أسمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم أوحدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب » \* وأخرج من طريق مالك ان رجاء حدثه ان عبد الله بن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ويهم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك \* وأخرج عن الحسن عن سمرة قال حفظت عن رسول الله ﷺ سكتين سكتة إذا كبروسكتة إذا فرغ من قراءة السورة فكتب عمران بن حصين في ذلك الى أبي بن كعب فكتب يصدق سمرة ويقول ان سمرة حفظ الحديث من رسول الله ﷺ \* وأخرج عن محمد بن سيرين ان ابن عباس لما أمر بركاة الفطر أنكر الناس ذلك عليه فأرسل الى سمرة أما علمت ان النبي

ﷺ أمر بها فقال بلى قال فما منعك ان تعلم أهل البلد \* قال البيهقي فابن عباس  
 عاتب سمرة على ترك أعلام أهل البلد أمر النبي ﷺ بركاة الفطر \* وأخرج  
 البخاري عن عبد الله بن عمرو « ان رسول الله ﷺ قال بلغوا عني ولو آية  
 وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من  
 النار \* وأخرج البيهقي عن ابن المبارك قال سأل أبو عصمة أبا حنيفة فقال  
 اني سمعت هذه الكتب يعني الرأي فمن تأمرني ان أسمع الاثار قال فمن  
 كان عدلاً في هواه إلا الشيعة فان أصل عقدهم تضليل أصحاب محمد ﷺ قال  
 ومن أتى السلطان طائفاً حتى انتقادت له العامة فهذا لا ينبغي أن يكون من  
 أئمة المسلمين قلت هذا الكلام من الامام أبي حنيفة رضى الله عنه في الشيعة  
 وفاق ما قدمته في الخطبة \* وأخرج البيهقي عن حرملة بن يحيى قال سمعت  
 الشافعي يقول ما في أهل الأهواء قوم أشهد بالزور من الرافضة \* وأخرج  
 عن جابر بن عبد الله قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن  
 رسول الله ﷺ لم أسمعه منه فابتعت بغيراً فشددت عليه رحلي ثم سرت اليه  
 شهراً حتى قدمت الشام فاذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري فأتيته فقلت  
 حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه فخشيت  
 أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر  
 الناس عراة غرلاً بهماً قلنا وما لهم قال ليس معهم شيء فيناديهم نداء يسمعه  
 من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار  
 أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصه منه ولا ينبغي  
 لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة  
 حتى أقصه منه حتى الاظلمة قلنا كيف وانما تأتي الله غراة غرلاً بهماً قال

بالحسنات والسيئات أخرجه أحمد والطبراني \* وأخرج البيهقي عن عطاء بن أبي رباح قال خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه منه غيره فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو أمير مصر فخرج إليه فعاتقه ثم قال له ما جاء بك يا أبا أيوب قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المؤمن فقال نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول من ستر مؤمناً في الدنيا على كربه ستره الله يوم القيامة ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة فأدركته جائزة مسلمة إلا بعريش مصر \*

وأخرج الشيخان من طريق صالح بن حي قال كنت عند الشعبي فقال له رجل من أهل خراسان إنا نقول بخراسان إن الرجل إذا أعتق أم ولده ثم تزوجها فهو كالذي يهدى البدنة ثم يركبها قال الشعبي أخبرني أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له أمة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها وأعتقها فتزوجها فله أجران والعبد يؤدي حق الله وحق سيده وهو من أهل الكتاب» ثم قال الشعبي للرجل قد أعطينا كما بغير شيء وقد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة \* وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب قال إن كنت لآسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد \* وأخرج عن الزهري قال قيل لعروة بن الزبير في قصة ذكرها كذبت فقال عروة ما كذبت ولا أكذب وإن أكذب الكاذبين لمن كذب الصادقين \* وأخرج عن عثمان بن قنيل قال قلت لأحمد بن حنبل إن فلاناً يتكلم في وكيع وعيسى بن يونس وابن المبارك فقال من كذب أهل الصدق فهو

الكذاب \* وأخرج مسلم عن ابن سيرين قال لقد أتى على الناس زمان وما يسأل عن إسناد حديث فلما وقعت الفتنة سئل عن إسناد الحديث فنظر من كان من أهل السنة أخذ من حديثه ومن كان من أهل البدع ترك حديثه \* وأخرج البيهقي عن مالك قال كان عمر بن عبد العزيز يقول سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكثار لطاعة الله وقوة على دين الله من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً \*

وأخرج بسنده عن المزني أو الربيع قال كنا يوماً عند الشافعي إذ جاء شيخ عليه جبة صوف وعمامة صوف وإزار صوف وفي يده عكاز فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه واستوى جالساً وسلم الشيخ وجلس وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له إذ قال له الشيخ سل قال إيش الحجة في دين الله قال كتاب الله قال وماذا قال وسنة رسول الله ﷺ قال وماذا قال اتفاق الأمة قال من أين قلت اتفاق الأمة من كتاب الله قال فتدبر الشافعي ساعة فقال للشافعي قد أجلتلك ثلاثة أيام ولياليها فلن جئت بحجة من كتاب الله في الاتفاق وإلا تب إلى الله فتغير لون الشافعي ثم أنه ذهب فلم يخرج إلا بعد ثلاثة أيام ولياليهن قال فخرج البنا من اليوم الثالث وقد انتفخ وجهه وبداه ورجلاه وهو مسقَم فجلس فلم يكن بأسرع إذ جاء الشيخ وسلم وجلس فقال حاجتي فقال الشافعي نم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) لا يُصلي

على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض فقال صدقت وقام فذهب فلما ذهب الرجل قال الشافعي قرأت القرآن كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقعت عليه \* وأخرج البيهقي والدارمي عن معاذ بن جبل قال لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي كيف تقضى ان عرض عليك قضاء قلت أقضى بما في كتاب الله قال فان لم يكن في كتاب الله قلت أقضى بما قضى به رسول الله ﷺ قال فان لم يكن قضى به الرسول قلت اجتهد رأيي ولا آلو فضرب صدرى وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ \* وأخرج أيضاً والحاكم عن عبيد الله بن أبي يزيد قال رأيت ابن عباس اذا سئل عن الشيء فاذا كان في كتاب الله قال به فان لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله ﷺ قال به فان لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ وكان عن أبي بكر وعمر قال به وإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبي بكر وعمر اجتهد رأيي \* وأخرج البيهقي عن مالك قال قال ربيعة أنزل الله كتابه على نبيه ﷺ وترك فيه موضعاً لسنة نبيه ﷺ وسن رسول الله ﷺ سنناً وترك فيها موضعاً للرأي \* وأخرج عن مسروق قال قال عمر رضي الله عنه ترد الناس من الجهالات الى السنة \*

وأخرج الشيخان عن علي بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ قال صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته قال العلماء فهؤوا من الآية انه إذا عدم الخوف كان الأمر في القصر بخلافه حتى أخبرم النبي ﷺ بالرخصة في الحالين معاً \* وأخرج البيهقي عن أمية بن عبد الله بن خالد انه قال

لعبد الله بن عمر انا نحمد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نحمد صلاة السفر في القرآن فقال ابن عمر يا ابن أخي ان الله بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً فأنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل \* وأخرج البيهقي عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان أحاديثي ينسخ بعضها بعضاً كنسخ القرآن بعضه بعضاً \* وأخرج عن الزبير بن العوام ان النبي ﷺ كان يقول القول ثم يلبث حيناً ثم ينسخه بقول آخر كما ينسخ القرآن بعضه بعضاً \* وأخرج عن مكحول قال القرآن أحوج الى السنة من السنة الى القرآن أخرجه سعيد بن منصور \* وأخرج عن يحيى بن أبي كثير قال السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة أخرجه الدارمي وسعيد بن منصور \* قال البيهقي ومعنى ذلك ان السنة مع الكتاب أقيمت مقام البيان عن الله كما قال الله وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لا ان شيئاً من السنن يخالف الكتاب \* قلت والحاصل ان معنى احتياج القرآن الى السنة انها مبينة له ومفصلة لمجملاته لان فيه لوجازته كنزواً تحتاج الى من يعرف خفايا خباياها فيبرزها وذلك هو المنزل عليه ﷺ وهو معنى كون السنة قاضية عليه وليس القرآن مبيناً للسنة ولا قاضياً عليها لانها بينة بنفسها إذ لم تصل الى حد القرآن في الاعجاز والايجاز لانها شرح له وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشرح والله أعلم \* وأخرج البيهقي عن هشام بن يحيى الخزومي ان رجلاً من ثقيف أتى عمر بن الخطاب فسأله عن امرأة حاضت وقد كانت زارت البيت ألهما أن تنفر قبل أن تظهر فقال لا فقال له الثقي ان رسول الله ﷺ أفأتاني في مثل هذه المرأة بغير ما أفيتت فقام اليه عمر فضربه بالدرة ويقول لم تستفتوني في شيء أفتي



فيه رسول الله ﷺ \* وأخرج عن ابن خزيمة قال ليس لاحد قول مع رسول الله ﷺ اذا صح الخبر \* وأخرج عن يحيى بن آدم قال لا يحتاج مع قول النبي ﷺ الى قول أحد وانما كان يقال سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ليعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو عليها \* وأخرج عن مجاهد قال ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا النبي صلى الله عليه وسلم \* وأخرج عن ابن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعل الرأس والعين واذا جاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمتهم \* وأخرج مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فان كانوا في القرآن سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة \* وأخرج عن أبي البحتري قال قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبرنا عن ابن مسعود قال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى به علماً \*

وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة نبي ماضية فان لم يكن سنة نبي فما قال أصحابي ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيمأ أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة \* وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه مر على قاض يقضى قال أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا فقال علي هلك وأهلك \* وأخرج مثله عن ابن عباس قال البيهقي قال الشافعي ولا يستدل على الناسخ والمنسوخ في القرآن الا بنهر عن رسول الله ﷺ أو بوقت يدل على ان أحدهما بعد

الآخر فيعلم ان الآخر هو الناسخ أو يقول من سمع الحديث أو الاجماع قال وأكثر الناسخ في كتاب الله انما عرف بدلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم \* وأخرج عن ابن المبارك انه قيل له متى يفتى الرجل فقال اذا كان عالماً بالأثر بصيراً بالرأى \* وأخرج عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ \* وأخرج عن ابراهيم التيمي قال أرسل عمر بن الخطاب الى ابن عباس فقال كيف تختلف هذه الأمة وكتابتها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين انا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلّمنا فيما نزل وانه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يعرفون فيما نزل فيكون لكل قوم فيه رأى فإذا كان لكل قوم فيه رأى اختلفوا فإذا اختلفوا اختلفوا اقتتلوا أخرجه سعيد بن منصور في سننه قلت فعرف من هذا وجوب احتياج الناظر في القرآن الى معرفة أسباب نزوله وأسباب النزول انما تؤخذ من الأحاديث والله أعلم \*

وأخرج البيهقي والدارمي عن الشعبي قال كتب عمر بن الخطاب الى شرح إذا حضرك أمر لا بد منه فانظر ما في كتاب الله فاقض به فان لم يكن فيما قضى به الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يكن فيما قضى به الصالحون وأئمة العدل فان لم يكن فاجتهد رأيك \* وأخرج أيضاً عن ابن مسعود انه قال من ابتلى منكم بقضاء فليقض بما في كتاب الله فان لم يكن في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يكن في كتاب الله وفي قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون فان لم يكن فليجتهد رأيه \* وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال من أحدث رأياً ليس

في كتاب الله ولم تمض به سنة عن رسول الله ﷺ لم يدر على ما هو منه إذا  
 لقي الله \* وأخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ لن  
 يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به \* وأخرج البيهقي  
 واللالكائي في السنة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إياكم وأصحاب  
 الرأي فانهم أعداء السنن أعييتهم أحاديث رسول الله ﷺ أن يحفظوها  
 فقالوا بالرأي فضلوها وأصلوها \* وأخرج البخاري عن أبي وائل قال لما قدم  
 سهل بن حنيف من صفين أتياه للاستخبره فقال اتهموا الرأي على الدين  
 فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ  
 أمره لرددت والله ورسوله أعلم وما وضعنا أسيفنا على عواتقنا في أمر  
 يفظعنا إلا سهل بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما سددنا عنه خصماً إلا  
 انفجر علينا خصم ما ندرى كيف نأتى إليه \* وأخرج البيهقي وأبو يعلى عن  
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال يأبىها الناس اتهموا الرأي على الدين  
 فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأى اجتهداً فو الله ما آلو عن الحق  
 وذلك يوم أبي جندل والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وأهل مكة فقال  
 اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ترانا قد صدقناك بما تقول ولكنك  
 تكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فرضى رسول الله ﷺ وأبى عليهم  
 حتى قال لي رسول الله ﷺ تراني أرضى ونأبى أنت فرضيت \* وأخرج  
 البيهقي عن علي رضي الله عنه قال لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين  
 أحق بالنسح من ظاهرهما ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما \*  
 وأخرج عن ابن عمر قال لا يزال الناس على الطريق ما اتبعوا الأثر \* وأخرج

عن عروة قال اتبع السنن قوام الدين \* وأخرج عن عامر قال إنما هلكتم في حين تركتم الآثار \* وأخرج عن ابن سيرين قال كانوا يقولون ما دام على الأثر فهو على الطريق وأخرج عن شريح قال أنا أقتني الأثر يعني آثار النبي ﷺ \* وأخرج عن الاوزاعي قال اذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره فان رسول الله ﷺ كان مبلغاً عن الله تعالى \* وأخرج عن سفيان الثوري قال إنما العلم كله العلم بالآثار \*

وأخرج عن عثمان بن عمر قال جاء رجل الى مالك فسأله عن مسألة فقال له قال رسول الله ﷺ كذا وكذا فقال الرجل أرايت فقال مالك فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم \* وأخرج عن ابن وهب قال قال مالك لم يكن من فتيا الناس أن يقال لهم لم قلت هذا كانوا يكتبون بالرواية ويرضون بها \* وأخرج عن اسحق بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ما جاء به جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ \* وأخرج عن ابن المبارك قال ليكن الذي تعتمد عليه الأثر وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث \*

وأخرج عن يحيى بن زكريا قال شهدت سفيان وأتاه رجل فقال ما تنقم على أبي حنيفة قال وماله قد سمعته يقول أخذ بكتاب الله فان لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ فان لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله أخذت بقول أصحابه أخذ بقول من شئت منهم وأدع قول من شئت منهم ولا أخرج من قولهم الى قول غيرهم فلما اذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وابن المسيب وعدد رجالا فقوم اجتهدوا فأجتهد

كما اجتهدوا \* وأخرج عن الربيع قال روى الشافعي يوماً حديثاً فقال له رجل أناخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال متى ما رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب \* وأخرج عن الربيع قال سمعت الشافعي يقول إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت \* وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله) قال إلى كتاب الله (والرسول) قال إلى سنة رسول الله ﷺ \* وأخرج البيهقي والدارمي عن أبي ذر قال «أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نغلب على أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونعلم الناس السنن» وأخرج عن عمر بن الخطاب قال تعلموا السنن والفرائض والالحن كما تعلمون القرآن \* وأخرج عن ابن مسعود أنه قال أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع فإن من رفعه ان يقبض أصحابه وإياكم والتبذع والتنتطع وعليكم بالعتيق فإنه سيكون في آخر هذه الأمة اقوام يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد تركوه وراء ظهورهم أخرجه الدارمي \* وأخرج عن سليمان التيمي قال كنت أنا وأبو عثمان وأبو نضرة وأبو مجلز وخالد الأشج نتذاكر الحديث والسنة فقال بعضهم لو قرأنا سورة من القرآن كان أفضل. فقال أبو نضرة كان أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يقول مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن قلت وهذا كما قال الشافعي رضى الله عنه طلب العلم أفضل من صلاة النافلة لأن قراءة القرآن نافلة وحفظ الحديث فرض كفاية والله أعلم \* وأخرج عن سفيان الثوري قال لا أعلم شيئاً من الأعمال أفضل من طلب الحديث لمن حسنت فيه نيته \* وأخرج عن ابن المبارك قال ما أعلم شيئاً أفضل من طلب الحديث لمن اراد به الله عز وجل \* وأخرج

عن خالد بن يزيد قال حرمة احاديث رسول الله ﷺ كحرمة كتاب الله قال البيهقي وانما اراد في معرفة حقها وتعظيم حرمتها وفرض اتباعها \* واخرج عن الشافعي قال كلما رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب النبي ﷺ \*

واخرج عن اسماعيل بن أبي أويس قال كان مالك اذا أراد أن يحدث تواضاً وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة وحدث ف قيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث الا على طهارة متمكناً وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب ان أتقهم ما أحدث به عن رسول الله ﷺ واخرج عن مالك ان رجلا جاء الى سميد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال له اني كرهت ان احديثك عن رسول الله ﷺ وانا مضطجع \* واخرج عن الأعمش انه كان اذا أراد أن يحدث على غير طهر تيمم وقال الأعمش عن ضرار بن مرة قال كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير طهر واخرج عن قتادة قال لقد كان يستحب أن لا تقرأ الأحاديث التي عن النبي ﷺ الا على طهارة \* واخرج عن بشر بن الحارث قال سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي فقال ليس هذا من توقيف العلم \* واخرج عن ابن المبارك قال كنت عند مالك وهو يحدث فجاءت عقرب فلدغته <sup>(١)</sup> ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ

(١) فلدغته بالبدال المهمة والفين المعجمة أي لسعته

من المجلس وتفرق الناس قلت له لقد رأيت منك عجا قال نعم انما صبرت  
إجلالا لحديث رسول الله ﷺ \*

وأخرج عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء سمعته من  
رسول الله ﷺ وأريد حفظه فنهني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من  
رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشرتكلم في الرضى والغضب قال فأمسكت  
فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه  
إلا حق وأشار بيده الى فقه أخرجه الدارمي والحاكم \*

وأخرج عن أبي هريرة أن رجلا من الأنصار شكأ الى النبي ﷺ  
فقال إني أسمع منك الحديث ولا أحفظه فقال استعن يمينك وأوماً بيده  
للخط ، أخرجه الترمذى \*

وأخرج البيهقي والدارمي عن عبد الله بن دينار أن عمر بن عبد العزيز  
كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انظر ما كان من حديث  
رسول الله ﷺ أو سنة ماضية فاكتبه فأتى قد خضت درس العلم وذهب  
أهله \* وأخرج أيضا عن الزهري قال كان من مضى من علمائنا يقولون  
الاعتصام بالسنة نجاة هذا ما تلخصته من كتاب البيهقي من الأحاديث والآثار  
الدالة على وجوب الاعتصام بالسنة وفرض اتباعها وهذه أحاديث وآثار لم  
تقع في كتابه \*

أخرج الشيخان عن أنس وابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من  
رغب عن سنتي فليس مني » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس  
قال قال النبي ﷺ « اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله ومن خلفوك قال  
الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي ويصلونها للناس » \* وأخرج أبو

نعيم في الحلية عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من أدى الى أمي حديثاً تقام به سنة أو تلم به بدعة فله الجنة » \* وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ من كذب على متعمداً أو رد شيئاً أمرت به فليتبوأ بيتاً في جهنم » \*

وأخرج أحمد والبخاري والطبراني عن زيد بن أرقم قال بعث إلى عبيد الله بن زياد فأنته فقال ما أحاديث تحدث بها وتروها عن رسول الله ﷺ لا نجدوها في كتاب الله تحدث أن له حوضاً في الجنة قال قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدناه \* وأخرج الطبراني في الكبير عن سلمى قال قال رسول الله ﷺ « من كذب على متعمداً فليتبوأ بيتاً في النار ومن رد حديثاً بلغه عنى فأنا مخاصمه يوم القيامة فاذا بلغكم عنى حديث فلم تعرفوه فقولوا الله أعلم » وأخرج في الأوسط عن جابر قال « قال رسول الله ﷺ من بلغه عنى حديث فكذبه فقد كذب ثلاثاً الله ورسوله والذي حدث به » وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أنس قال « قال رسول الله ﷺ من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها » وأخرج أبو يعلى عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله ﷺ عسى أن يكذبني رجل منكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عنى فيقول ما قال رسول الله ﷺ هذا دع هذا وهات ما في القرآن » هذه طريقة خامسة للحديث فقد تقدم من حديث أبي رافع والمقدام والمرباض بن سارية وأبي هريرة وله طريق سادسة أخرج الطبراني في الكبير عن خالد بن الوليد قال « قال رسول الله ﷺ يا خالد أذن في الناس الصلاة ثم خرج فصلى المهاجرة ثم قام الناس فقال ما أحل أموال المعاهدين بغير حقها يمسى الرجل منكم يقول وهو متكئ



على أريكته ما وجدنا في كتاب الله من حلال أحلناه وما وجدنا من حرام حرمناه ألا وإني أحرم عليكم أموال المعاهدين بغير حقها » وطريق سابعة أخرج السلفي في المنتقى من حديث أبي طاهر الخناني من طريق حماد بن زيد عن أبي هرون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال « قال رسول الله ﷺ بمسى رجل يكذبني وهو متكئ يقول ما قال هذا رسول الله ﷺ » \*

وأخرج الطبراني عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أنه كان في مجلس قومه وهو يحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض يتحدثون فغضب ثم قال انظر اليهم أحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض أما والله لا أخرجن من بين أظهركم ولا أرجع إليكم أبداً قلت له أين تذهب قال أذهب فأجاهد في سبيل الله \* وأخرج أبو يعلى بسند صحيح عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس قال « قال رسول الله ﷺ من مشى إلى سلطان الله في الأرض ليذله أذل الله رقبته مع ما يدخر له في الآخرة » قال مسدد و«سلطان الله في الأرض كتاب الله وسنة نبيه ﷺ» \* وأخرج في الأوسط عن ابن عمر قال العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدرى \* وأخرج أيضاً عن حذيفة بن اليمان قال « قال رسول الله ﷺ سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث درهم حلال أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها » وأخرج أحمد عن عمران بن حصين قال نزل القرآن وسن رسول الله ﷺ السنن ثم قال اتبعونا فوالله إن لم تفعلوا تضلوا \* وأخرج أحمد والبخاري عن مجاهد قال كنا مع ابن عمر في سفر فرمى بكمان فخاد عنه

فستل لم فعلت قال رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت . وأخرج أحمد عن أنس بن سيرين قال كنت مع ابن عمر بعرفات فلما أفاض أفضت معه حتى انتهى الى المضيق دون المأزمين فأناخ فأناخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي فقال غلامه الذي يمسك راحلته أنه ليس يريد الصلاة ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى الى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضى حاجته وأخرج البزار عن ابن عمر أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقبل تحتها ويخبر أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك وأخرج هو وأبو يعلى عن زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر محلول الأزرار وقال رأيت النبي ﷺ محلول الأزرار \* وأخرج الطبراني في الكبير عن عمرو بن شعواء الياضي قال قال رسول الله ﷺ «سبعة لعنهم وكل نبي مجاب (الزائد) في كتاب الله (والمكذب) بقدر الله (والمستحل) حرمة الله (والمستحل) من عترتي ما حرم الله (والتارك) لسنتي (والمستأثر) بالقيء (والمستجير) بسلطانه ليعز ما أذل الله ويذل ما أعز الله» وأخرج في الكبير عن ابن عباس قال قال علي يارسول الله أرايت ان عرض لنا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك قال تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين ولا تقضونه برأى خاصة\* وأخرج في الأوسط بسند صحيح عن علي رضي الله عنه قال قلت لرسول الله ﷺ إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهى فما تأمرنا فقال تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تجعلونه برأى خاصة\* وأخرج في الأوسط عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ «أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدى رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه» وأخرج أحمد والطبراني عن غصيف بن الحرث الثمالي أن النبي ﷺ قال «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع

مثلاً من السنة » وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني عن ابن عباس قال « ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن » وأخرج عن معاذ بن جبل قال « قال رسول الله ﷺ من مشى الى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الاسلام » وأخرج عن الحكم بن عمير الثمالي قال « قال رسول الله ﷺ الامر المفضح والحمل المضلع والشر الذي لا ينقطع إظهار البدع » وأخرج في الصغير عن أنس قال « قال رسول الله ﷺ تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة قالوا وما تلك الفرقة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي » وأخرج الحكم بن حذيث ابن عمرو مثله : وأخرج الدارمي في مسنده عن عبد الله بن الديلمي قال بلغني ان أول الدين تركا السنة وأخرج ابن مسعود أنه قال ما سألتهمونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به أو سنة من نبي الله ﷺ أخبرناكم به ولا طاقة لنا بما أخذتم \* وأخرج عن أبي سلمة مرسلاً « ان النبي ﷺ سئل عن الامر يحدث ليس في كتاب الله ولا سنته قال ينظر فيه العابدون من المؤمنين » قال وأخرج الدارمي واللالكائي في السنة عن عمر ابن الخطاب قال سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنة فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله \* وأخرج اللالكائي في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سيأتي قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنة فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله \* وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله الى الخوارج فقال اذهب اليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فانه ذو وجود ولكن خاصمهم بالسنة \* وأخرج

من وجه آخر أن ابن عباس قال يا أمير المؤمنين فأنأ أعلم بكتاب الله منهم في يوتنا نزل قال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنن فأنهم لن يجدوا عنها محيصاً فخرج اليهم فحاجهم بالسنن فلم يبق بأيديهم حجة \* وأخرج سعيد بن منصور عن عمران بن حصين أنهم كانوا يتذاكرون الحديث فقال رجل دعونا من هذا وجيئنا بكتاب الله فقال عمر انك أحمق أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة أتجد في كتاب الله الصيام مفسراً ان القرآن أحكم ذلك والسنة تفسره \* وأخرج الدارمي عن المسيب بن رافع قال كانوا اذ نزلت بهم القضية التي ليس فيها من رسول الله ﷺ أثر اجتمعوا لها وأجمعوا فالحق فيما رأوا فالحق فيما رأوا \* وأخرج الدارمي عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر رضي الله عنه اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر سنة قضى بها فان أعياء خرج فسأل المسلمين وقال أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء فربما اجتمع اليه نفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا ديننا \* وأخرج عن أبي نضرة قال لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن فقال للحسن أنت الحسن بلغني أنك تفتي برأيك فلا تفت برأيك إلا أن تكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب منزل \* وأخرج عن جابر بن زيد أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال له يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق أو سنة ماضية فانك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك \* وأخرج عن شرح قال انك لن تضل ما أخذت بالآثر \*

وأخرج عن الحسن قال ان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم\* وأخرج عن ابن مسعود قال الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة أخرجه الحاكم وأخرج الدارمي عن عطاء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم قال أولو العلم والفقهاء فطاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة وأخرج عن أبي هريرة قال اني لأجزى الليل ثلاثة أجزاء ثلث انام وثلث اقوم وثلث اتذكر احاديث رسول الله ﷺ\* وأخرج عن ابن عباس قال اما تخافون ان تعذبوا ويخسف بكم ان تقولوا قال رسول الله ﷺ وقال فلان وأخرج عن عمر بن عبد العزيز انه كتب لارأى لأحد في كتاب الله ولا في سنة سنها رسول الله ﷺ وانما رأى الأمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة عن رسول الله ﷺ\* وأخرج عن سعيد بن المسيب انه رأى رجلاً يصلي بعد الركعتين يكثر فقال له يا أبا محمد أيعذبنى الله على الصلاة قال يعذبك الله بخلاف السنة\* وأخرج عن خراش بن جبير قال رأيت في المسجد فتى يخذف فقال له يا شيخ لا تخذف فاني سمعت النبي ﷺ نهى عن الخذف تخذف فقال له الشيخ احدثك عن رسول الله ﷺ ثم تخذف والله لا أشهد لك جنازة ولا اعودك في مرض ولا اكلمك ابداً وأخرج عن قتادة قال حدث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي ﷺ فقال رجل قال فلان كذا وكذا فقال ابن سيرين احدثك عن النبي ﷺ وتقول قال فلان والله لا اكلمك ابداً ثم قال الدارمي باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه ولم يوقره وأخرج فيه من طريق العجلاني عن ابي هريرة انه قال

قال رسول الله ﷺ بينما رجل يتبختر في بردين خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فقال له فتى وهو في حلة له يا ابا هريرة اهكذا كان يمشى ذلك الفتى الذى خسف به ثم ضرب يده فعض عثرة كاد ينكسر منها فقال ابو هريرة للمنخرين والهم انا كفيناك المستهزئين \* واخرج عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل الى سعيد بن المسيب يودعه لحج أو عمرة فقال له لا تخرج حتى تصلى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج بعد النداء من المسجد الا منافق فقال ان أصحابي بالحرة فخرج فلم يزل سعيد مولماً بذكره حتى أخبر أنه وقع من راحلته فانكسر فخذه \* وأخرج البخارى عن أبي ذر أنه قال لو وضعت المصمصاة على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أفقد كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تميزوا على لا تفدتها \* وأخرج الدارمى عن بشر بن عبد الله قال ان كنت لأركب الى مصر من الامصار فى الحديث الواحد لأسمعه \* وأخرج عن سعيد بن جبير أنه حدث يوماً بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل فى كتاب الله ما يخالف هذا فقال لا أرانى أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرض فيه بكتاب الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بكتاب الله منك هذا ما اتقيته من مسند الدارمى \*

وهذه جملة منتقاة من كتاب السنة للالكافى فى هذا المعنى أخرج بسنده عن ابى بن كعب قال اقتصد فى سنة خير من اجتهاد فى خلاف سنة \* واخرج عن ابى الدرداء مثله واخرج عن ابن عباس قال النظر الى الرجل من اهل السنة يدعو اليها وينهى عن البدعة عبادة \* واخرج عن ابن عباس قال والله ما أظن على

وجه الارض اليوم احد أحب الى الشيطان هلاكاً مني قيل ولم قال انه يحدث البدعة في مشرق او مغرب فيحملها الرجل الى فاذا انتهت الى قعتها بالسنة فتد الى كذا أخرجهما \* واخرج عن ابي العالية قال عليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه اصحابه \* واخرج عن الحسن قال لا يصلح قول الا بعمل ولا يصلح قول وعمل الا بنية ولا يصلح قول وعمل ونية الا بالسنة \* واخرج عن سعيد بن جبير قال لا يقبل قول الا بعمل ولا يقبل قول وعمل الا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة \* واخرج عن الحسن قال يا اهل السنة تفرقوا فانكم من أقل الناس \* واخرج عن يونس بن عبيد قال ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من لا يعرفها \* وأخرج عن ايوب قال إني اخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنني افقد بعض اعضاءي \* واخرج عنه قال ان من سماعة الحدث والاعرجي ان يوقهما الله لالعالم بالسنة \* واخرج عن ابن شوذب قال اول نعمة الله على الشاب إذا نسك ان يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها \* واخرج عن حماد بن زيد قال كان ايوب يبلغه موت الفتى من اصحاب الحديث فيرى ذلك فيه ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادة فما يرى ذلك فيه \* وأخرج عن ايوب قال ان الذين يتمنون موت اهل السنة يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم \*

وأخرج عن ابن عوف قال ثلاث أحبهن لنفسي ولأصحابي قراءة القرآن والسنة ورجل أقبل على نفسه ولهى عن الناس الا من خير وأخرج عن الازاعي تدور مع السنة حيثما دارت \* وأخرج عنه قال كان يقال خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون باحسان لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المساجد وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله \* وأخرج عن

سفيان الثوري قال استوصوا بأهل السنة خيراً فانهم غرباء وأخرج عن الفضيل بن عياض قال ان لله عباداً يحبيهم البلاد وهم أصحاب السنة وأخرج عن أبي بكر عن عياض قال السنة في الاسلام أعز من الاسلام في سائر الأديان \* وأخرج عن ابن عوف قال من مات على الاسلام والسنة فله بشير بكل خير \* وأخرج عن الحسن في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال فكان علامة حبهم إياه إتباع سنة رسول الله ﷺ \* وأخرج عن ابن عباس في قوله يوم تبيض وجوه قال وجوه أهل السنة وتسود وجوه قال وجوه أهل البدع وأخرج عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال قال عبد الله انا نقتدى ولا نبتدى وتتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر \* وأخرج عن شاذ بن يحيى قال ليس طريق أقصد الى الجنة من طريق من سلك الآثار \* وأخرج عن الفضيل بن عياض قال طوبى لمن مات على الاسلام والسنة واذا كان كذلك فليكثر من قول ماشاء الله كان \* وأخرج عن احمد بن حنبل قال السنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والسنة تفسير القرآن وهي دلائل القرآن \* وأخرج عن بعض أصحاب الحديث أنه أنشد

دين النبي محمد أخبار      نعم المطية للفتى آثار  
لا تعدلن عن الحديث وأهله      فالرأى ليل والحديث نهار  
ولربما غلط الفتى أثر الهدى      والشمس بازغة له أنوار

وهذه جملة منتقاة من كتاب الحجة على تارك الحجة للشيخ نصر المقدسى أخرج بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ من غدا أو راح في طلب سنة مخافه أن تدرس كان كمن غدا أو راح في سبيل الله ومن كنتم



علماً علمه الله إياه أئجه الله يوم القيامة بلجام من نار \* وأخرج عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ظهرت البدع في أمتي وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل للوليد بن مسلم ما إظهار العلم قال إظهار السنة \* وأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً فيما ينفعهم في أمر دينهم بعث يوم القيامة من العلماء قلت هذا الحديث له طرق كثيرة \* وأخرج من وجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من روى عنى أربعين حديثاً من السنة حشر يوم القيامة في زمرة الانبياء \* وأخرج عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره فينتفع بهما كان خيراً من عبادة ستين سنة \* وأخرج عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الإسلام بدا غربياً وسيعود غربياً فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله ومن الغرباء قال الذين يحبون سنتي من بعدى ويعلمونها عباد الله \* وأخرج من هذا الطريق مرفوعاً من أحيا سنة من سنتي قد أمتت بعدى كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً \* وأخرج عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً وكنت له شافعاً وشهيداً \*

وأخرج عن أبي الدرداء مرفوعاً مثله \* وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شافعاً يوم القيامة \* وأخرج عن علي قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ألا أدلكم على الخلفاء مني ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي هم حملة القرآن والاحاديث عني في الله والله \* وأخرج عن علي رضي الله عنه قال ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأى الرجال يعجز عنه \* وأخرج عن الجنيد قال الطريق مسدود على خلق الله إلا على المتبعين أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتدين بآثاره قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة \* وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدي قال الرجل الى الحديث أحوج منه الى الاكل والشرب لان الحديث يفسر القرآن \* وأخرج عن رجل من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في آخر أمتي قوماً يعطون من الاجر مثل ما لأولهم ينكرون المنكر ويقاثلون أهل الفتن فقيل لابراهيم بن موسى من هم قال أهل الحديث يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افعلوا كذا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفعلوا كذا \* وأخرج عن احمد بن حنبل أنه قيل له هل لله ابدال في الارض قال نعم قيل من هم قال ان لم يكن أصحاب الحديث هم الابدال فلا أعرف لله ابدالاً \* وأخرج عن ابن المبارك انه ذكر حديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من نوافهم حتى تقوم الساعة قال ابن المبارك هم عندي أصحاب الحديث \* وأخرج عن ابن المديني انه قال في حديث لا تزال طائفة من أهل الحديث والذين يتعاهدون مذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ويذبون عن العلم لولا هم لاهلك الناس المعتزلة والرافضة والجمعية وأهل الأرجاء والرأي \* وأخرج عن ابن مسعود وابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائكم أيام صبر فالتمسك بما أنتم عليه له أجر خمسين قالوا يا رسول الله منا او منهم قال منكم \* وأخرج مثله من

حديث ابن عمر وأخرج عن أبي الجلد قال يرسل على الناس على رأس كل أربعين سنة شيطان يقال له القمقم فيبتدع لهم بدعة وأخرج عن الإمام البخاري قال كنا ثلاثة أو أربعة على باب ابن عبد الله فقال اني لأرجو أن تأويل هذا الحديث لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أنتم لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات والملك قد شغلوا أنفسهم بالملكة وأنتم تحبون سنة النبي صلى الله عليه وسلم\* وأخرج عن ابن وهب قال قال لي مالك بن أنس لا تعارضوا السنة وسلموا لها وأخرج عن كهس الهمداني قال من لم يتحقق أن أهل السنة حفظة الدين فانه يعد في ضمفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم الله نزل أحسن الحديث ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل عن الله\* وأخرج عن سفيان الثوري قال الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض\* وأخرج عن وكيع قال لو أن الرجل لم يصب في الحديث شيئاً إلا أنه بمنع من الهوى كان قد أصاب فيه وأخرج عن أحمد بن سنان قال كان الوليد الكرايسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني قالوا لا قال فتتهموني قالوا لا قال فاني أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فاني رأيت الحق معهم\* وأخرج أحمد في الزهد عن قتادة قال والله ما رغب أحد عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا هلك فعليكم بالسنة وإياكم والبدعة وعليكم بالفقه وإياكم والشبهة\* وأخرج الحاكم في المستدرک عن عبد الرحمن بن ابزى قال لما وقع الناس في عثمان قلت لأبي

ابن كعب ما المخرج من هذا قال كتاب الله وسنة نبيه ما استبان لكم فاعملوا به وما أشكل عليكم فكلوه الى عالمه وأخرج الحاكم أيضاً عن علي ابن أبي طالب أن انلساً أتوه فأنثوا على ابن مسعود فقال أقول فيه ما قالوا وأفضل قرأ القرآن وأحل حلاله وحرم حرامه فقيه في الدين عالم بالسنة \* وأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله اما اني لم أقله ولكن الله قاله »

❦ وهذه جملة منتقاة من رسالة القشيري من كلام أهل الطريق في ذلك ❦ قال ذو النون المصري من علامة المحبة لله متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه \* قال أبو سليمان الداراني ربما يقع في قلبي النكته من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة \* وقال أحمد بن أبي الخوارى من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله قال أبو حفص عمر ابن سالم الحداد من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال. وقال الجنيد الطارق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتنى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال أيضاً مذهبنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم \* وقال أبو عثمان الخيري الصعبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصعبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته و لزوم ظاهر العلم وقال من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة قال الله تعالى وان تطيعوه تهتدوا \* ولما احتضر أبو عثمان مزق ابنه أبو بكر قميصه ففتح أبو عثمان عينه وقال

خلاف السنة يابني في الظاهر علامة رياء في الباطن \* قال أبو الفوارس شاه  
ابن شجاع الكرماني من غص بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات  
وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال  
لم تحطى له فراسة . وقال أبو العباس أحمد بن سهل بن عطاء الادمي من أزم  
نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من متابعة  
الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه \* وقال أبو حمزة البغدادي من علم طريق  
الحق سهل سلوكه عليه ولادليل على الطريق الى الله الا بمتابعة الرسول  
صلى الله عليه وسلم في أحواله وأفعاله وأقواله \* وقال إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ  
ابن داود الدقي علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم \*  
وقال أبو بكر الطمستاني الطريقي واضح والكتاب والسنة قِيمٌ بين أظهرنا  
وفضل الصحابة معلوم لسبقهم الى الهجرة ولصحبتهم فمن صعب هذا  
الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه الى الله فهو الصادق  
المصيب \* وقال أبو القاسم النعماني بادي أصل التصوف ملازمة الكتاب  
والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمان المشائخ ورؤية أعذار الخلق  
والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات \* وقال الخواص  
الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة \* وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع  
السنة قال أبو علي الدقاق قصد أبو يزيد البسطامي بعض من يوصف بالولاية  
فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم في المسجد  
فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا الرجل غير مأمون على أدب من  
من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون أميناً على أسرار الحق \*  
قال أبو حفص أحسن ما يتوسل به العبد الى مولاه دوام الفقر إليه

على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه الحلال \* وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سهل بن عبد الله قال أصولنا ستة أشياء التمسك بكتاب الله والافتداء بسنة رسول الله وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام وإداء الحقوق . وأخرج عنه قال من كان اقتداؤه بالنبي ﷺ لم يكن في قلبه اختيار لشيء من الأشياء \*

### ( خاتمة )

أخرج الدينوري في المجالسة عن عبد الرحمن بن عبد الله الخرف قال كان بدأ الرافضة أن قوماً من الزنادقة اجتمعوا فقالوا نشتم نبيهم فقال كبيرهم إذا تقتل فقلوا نشتم أحباءه فانه يقال إذا أردت أن تؤذي جارك فاضرب كلبه ثم تعزل فتكفرهم فقالوا الصحابة كلهم في النار إلا على ثم قال كان على هو النبي فأخطأ جبريل \*

قال البخاري في تاريخه عن ابن مسعود قال بعث الله نوحا فإهلك أمته الا الزنادقة ثم نبي فنبى والله لا يهلك هذه الامة الا الزنادقة ورأيت بعض من صنف في الملل والنحل قسم فرق الرافضة الى اثنتي عشرة فرقة فسمى الفرقة الاولى القائلة بنبوته على العلوية وذكر انهم يقولون على النبي ﷺ ويقولون في أذانهم أشهد أن عليا رسول الله \* والثانية الأموية قالوا ان عليا شريك النبي ﷺ في النبوة \* والثالثة الشاعية قالوا ان عليا وصي رسول الله ﷺ وولي من بعده وان الصحابة هزأت به وردت أمر الله ورسوله حين تركوا وصيته وبايعوا غيره كذب هؤلاء لعنهم الله ورضي الله عن الصحابة وهذه هي الفرقة الثانية التي أشرت اليها في الخطبة ونقلنا في أثناء

الكتاب كلام أبي حنيفة رضى الله عنه والمجب من هؤلاء حيث ضلوا  
 الصحابة وردوا الاحاديث لانها من رواياتهم وذلك يلزمهم في القرآن أيضاً  
 لأن الصحابة الذين رووا لنا الحديث هم الذين رووا لنا القرآن فلن قبلوه  
 لزمهم قبول الاحاديث اذ الناقل واحد \* والرابعة الاسحاقية قالوا النبوة  
 متصلة من لذن آدم الى يوم القيامة ومن يعلم علم أهل البيت والكتاب  
 فهو نبي \* والخامسة النawsية قالوا من فضل أبا بكر وعمر على علي فقد  
 كفر \* والسادسة الامامية قالوا لا تخلو الارض من امام من ولد الحسين  
 اما ظاهر مكشوف أو باطن موصوف ولا يتعلم العلم من أحد بل يعلمه  
 جبريل فاذا مات بدل مكانه مثله \* والسابعة الزيدية قالوا ولد الحسين كلهم  
 أئمة في الصلوات فاما يوجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيرهم \* والثامنة  
 الرجمية قالوا ان عليا وأصحابه كلهم يرجعون الى الدنيا ويتقمون من أعدائه  
 ويسوى لهم الملك في الدنيا ما لم يسو لأحد وعلا الارض عدلا كما ملئت  
 جوراً \* والتاسعة اللاعنة يتدينون بلعن الصحابة لعن الله هذه الفرقة ورضى  
 الله عن أصحاب رسول الله ﷺ \* العاشرة السائبة قالوا بالهية على تعالى الله  
 عما يقول المفترون علواً كبيراً \* والحادية عشرة الناسخية قالوا بتناسخ  
 الارواح \* والثانية عشرة المتربعة يقيمون لهم في كل عصر رجلا ينسبون له  
 الأمر وزعموه المهدي وان من خالفه كفر وقد أوسع صاحب هذا  
 الكتاب وهو من مشايخ الحفاظ أبي الفضل بن ناصر من الرد على كل فرقة  
 فرقة من الكتاب والسنة وروى فيه بسنده عن أبي سعيد الخدري قال مثل أصحاب  
 رسول الله ﷺ مثل الميرون ودواء الميرون ترك مسها \* وأخرج بسنده عن  
 ابن وهب قال كنا عند مالك بن أنس تذكر السنة فقال مالك السنة سفينة

نوح من ركبتها نجا ومن تخلف عنها غرق والأثر الذي أشرنا اليه في الخطبة عن الشافعي رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عن الحميدي قال كنت بمصر فحدث محمد بن ادريس الشافعي بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له رجل يا أبا عبد الله أناخذ بهذا فقال أرايتني خرجت من كنيسة ترى على زناراً حتى لا أقول به وأخرج عن الربيع بن سليمان قال سألت رجلاً من الشافعي عن حديث فقال هو صحيح فقال له الرجل فما تقول فارتعد وانتفض وقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن النبي ﷺ وقلت بغيره وأخرج عن الربيع قال ذكر الشافعي حديثاً فقال له رجل أناخذ بالحديث فقال اشهدوا اني اذا صح عندى الحديث عن رسول الله ﷺ فلم آخذ به فان عقلي قد ذهب\* وأخرج عن ابن الوليد بن أبي الجارود قال الشافعي إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ وقلت قولاً فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك وأخرج عن الزعفراني قال قال الشافعي اذا وجدتم لرسول الله ﷺ سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا الى قول أحد انتهى والله أعلم

﴿تم﴾

تم كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة بمون خالق الانس والجنة وقد قوبل قبل الطبع على عدة نسخ خطية فجاء والله الحمد غاية في الصحة نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة والجماعة وان يحشرنا تحت لواء سيد الأمة ﷺ وشرف وكرم وكان تمام طبعه في شهر رجب المبارك سنة سبع وأربعين بعد الثلاثمائة وألف هجرية



# فتاوى ابن الصلاح

## في التفسير والحديث والأصول والعقائد

للامام المحدث الحافظ الاصولي الفقيه أبي عمرو  
عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين الشهرزوري  
المعروف بابن الصلاح المتوفى سنة ٦٤٣ هـ

---

قوبلت على نسخة كتبت على ما يظهر سنة ٧٥٠ تقريباً مخفوفة بدار  
كتب رواق الأثرالك بمصر رقم ١٧٧٦

وبليها رسالتان ، الأولى فتاوى ابن حجر المستطاني ،  
والثانية منظومة الامام الأخصري في التصوف  
عنيت بنشرها وتصحيحها لأول مرة سنة ١٣٤٨

إدارة الطباعة المنيرية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين \* والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين \* وعلى آله  
الأطهار \* وأصحابه الأخيار \* ومن تبع هديهم الى يوم الدين \*  
أما بعد فلما كان الامام الحافظ العلامة ابن الصلاح قد بلغ من جلالة القدر وسعة  
العلم ما هو في غنى عن التعريف به وكانت فتاويه قد جمعت من الفوائد ما لا يستغنى عنه طالب  
علم أو راغب في معرفة وهي أربعة أقسام: التفسير، والأصول والعقائد، والحديث، والفقه،  
فقد عزمنا على طبع الثلاثة الأقسام الأول نظراً لأن فائدتها عامة يعترف من فيها كل راغب  
في الافادة والاستفادة ويتناولها أرباب المذاهب على السواء واكتفينا بهذه الفائدة عن  
القسم الرابع لأن محصارات فائده في مذهب واحد انتشرت فيه المؤلفات الجمة \*  
وقد صدرنا هذا الكتاب — فتاوى ابن الصلاح — بترجمة موجزة ليطلع القراء على  
ما كان عليه رحمه الله تعالى \*

هو الشيخ أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الشهرزوري  
الشافعي المشهور بابن الصلاح أحد أئمة المسلمين علماء ديناً ، ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة  
في شرخان — بفتح الشين المثناة والخاء المعجمة و بعد الألف نون — قرية من أعمال  
إربل قرية من شهرزور ، قرأ الفقه على والده الصلاح ، ثم نقله والده الى الموصل واشتغل  
بها مدة ويقال انه كرر جميع كتاب المذهب في مذهب الشافعي لأبي إسحق الشيرازي  
قبل أن يطر شاربه ، ثم انه تولى الاعادة عند الشيخ العلامة عماد الدين امام المنقول والمقول  
أبي حامد بن يونس بالموصل أيضاً وأقام قليلاً ثم سافر الى خراسان فأقام بها زمناً وحصل  
علم الحديث هناك ، ثم رجع الى الشام وتولى التدريس بالمدرسة الصلاحية في القدس  
النسوبة الى صلاح الدين الأيوبي وأقام بهامدة واشتغل الناس عليه واتفقوا به ، ثم انتقل  
الى دمشق وتولى التدريس بالمدرسة الرواحية التي أنشأها الركني أبو القاسم هبة الله بن  
عبد الواحد بن رواحة الحموي وهو الذي أنشأ المدرسة الرواحية بحلب أيضاً ، ولما بنى

الملك الأشرف ابن الملك العادل ابن أيوب دار الحديث بدمشق فوض تدريسها اليه واشتغل الناس عليه بالحديث ، ثم تولى مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه ابن أيوب الواقعة في داخل البلديلي البيمارستان النوري \*  
قال ابن خلكان كان رحمه الله يقوم بوظائف الجهات الثلاث في غير اخلال بشيء إلا بمذر ضروري لا بد منه ، وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة ، وكانت له مشاركة في فنون عديدة ، وكانت فتاويه مسددة ، وكان في العلم والدين على جانب عظيم ، وهو أحد مشايخي الدين اتفقت بهم قدمت عليه في أوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستائة وأقيمت عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدة سنة ونصف \*

صنف في علوم الحديث كتاباً نافعاً سماه كتاب علوم الحديث واشتهر بمقدمة ابن الصلاح ، وكذلك في مناسك الحج جمع فيه أشياء حسنة يحتاج الناس اليها وهو مبسوط ، وله إشكالات على كتاب الوسيط للفرزالي في الفقه الشافعي ، وجمع بعض أصحابه فتاويه في مجلد. وهي التي شرعت الادارة في طبع أقسامها الثلاث الأول \*  
وأعرضنا عن ذكر مشايخه الكبارين وتلامذته الذين بلغ مشاهيرهم عدداً عظيماً اختصاراً للبحث \*

كان ابن الصلاح كاسمه عنواناً للصلاح منذ صغره الى أن انتقل من دار الدنيا ، فقد تقل السبكي في طبقات الشافعية عن ابن الصلاح أنه قال : ما فعلت صغيرة في عمري قط وهذا فضل من الله عظيم أي أنه قال ذلك تحمداً بنعمة الله تعالى ( وأما بنعمة ربك فحدث ) \*  
ولم يزل أمره جارياً على السداد والصلاح والاجتهاد في الاشتغال والنفع الى أن توفي يوم الأربعاء وقت الصبح وصلى عليه بعد الظهر وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستائة بدمشق ، وازدحم عليه الخلق فصلى عليه بالجامع الأموي وشيعوه الى باب الفرج فصلى عليه بداخله ثانياً ورجع الناس لأجل حصار البلد بالخوارزمية ، وخرج به عشرة من تلامذته مشمرين مخاطرين بأنفسهم فدفنوه بطرف مقابر الصوفية وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار ويتبرك به اه من تاريخ ابن خلكان وتذكرة الحفاظ للذهبي وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي والله أعلم \*

إدارة الطباعة النيرية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم لا إله إلا الله عدة لقائه \* ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشدا \* ربنا آتم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير \*

الحمد لله رب العالمين \* والماقبة للمتقين \* ولا عدوان إلا على الظالمين \* والصلاة والسلام الأكلان أبدأ على سيد المرسلين وسائر النبيين \* وآلهم وصحبهم أجمعين \* اللهم ألهمنا رشدنا \* وأعدنا من شرور أنفسنا \* ومن شر الأشرار \* وكيد الفجار \* وارزقنا طهارة الأسرار ومرافقة الأبرار \* وأعدنا من عذاب النار برحمتك يا عزيز يا غفار \*

هذه الفتاوى التي صدرت من شيخنا وسيدنا الامام العالم مفتي الشام شيخ الاسلام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر البصري الشهير زوري المعروف بابن الصلاح \* أثابه الله الجنة وغفر له ولهم ولجميع المسلمين آمين \*

اعتنى بها وجمعها على حسب الامكان من تلامذته وأصحابه شيخنا وسيدنا الشيخ الامام الجليل العلامة العالم العامل الزاهد العابد الورع مجموع أنواع المحاسن كمال الدين أبو ابراهيم \* إسحق بن أحمد بن سليمان المغربي \* ثم المقدسي ثم الممشقي رضى الله عنه \* طلباً للفائدة ورجاء الأجر والثواب \* وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها إنه قريب مجيب وعلى ذلك قدير \* وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب \* رتبها الشيخ كمال الدين المذكور على أربعة أقسام \* قسم في شرح آيات من كتاب الله تعالى، وقسم في شرح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به من الدقائق، وقسم ثالث يتلوه بالعقائد والأصول، وقسم رابع في الفقه على ترتيبه \*

## ﴿ القسم الأول في شرح آيات من كتاب الله عز وجل ﴾

فمن ذلك ﴿ مسألة ﴾ في قوله تبارك وتعالى ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ) إلى آخر الآية ، قال المستفتي : نحب تفسيرها على الوجه الصحيح بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحاح أو بما أجمع أهل الحق على صحته ، وقوله تبارك وتعالى ( قالوا أضغاث أحلام ) ما معنى أضغاث أحلام ؟ \* ومن أين يفهم المنام الصالح من المنام الفاسد ؟ \* ﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه أما قوله تبارك وتعالى ( الله يتوفى الأنفس حين موتها ) فتفسيره : الله يقبض الأنفس حين انقضاء أجلها بموت أجسادها والتي لم تمت يقبضها أيضاً عند نومها فيمسك التي قضى عليها بموت أجسادها فلا يردّها إلى أجسادها ويرسل الأخرى التي لم تقبض بموت أجسادها حتى تمود إلى أجسادها إلى أن يأتي أجلها المسمى لموتها ( أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) \* لدلالات للمتفكرين على عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى أمر البعث فإن الاستيقاظ بعد النوم شبيه به ، ودليل عليه ، نقل أن في التوراة : يا ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث فهذا واضح ، والذي يشكل في ذلك أن النفس المتوفاة في المنام أم هي الروح المتوفاة عند الموت أم هي غيرها فإن كانت هي الروح فتوفيها في النوم يكون بمفارقة للجسد أم لا ، وقد أعوز الحديث الصحيح والنص الصريح والاجماع أيضاً لوقوع الخلاف فيه بين أهل العلم : فمنهم من يرى أن للإنسان نفساً تتوفى عنده تامه غير النفس التي هي الروح . والروح لا تفارق الجسد عند النوم . وتلك النفس المتوفاة في النوم هي التي يكون لها التمييز والفهم \* وأما الروح فتكون الحياة ولا تقبض إلا عند الموت ويروى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما \* ومنهم من ذهب إلى أن النفس التي تتوفى عند النوم هي الروح نفسها ، واختلف هؤلاء في توفيتها ، فمنهم من يذهب إلى أن معنى وفاة الروح بالنوم قبضها عن التصرفات مع بقاءها في الجسد وهذا موافق للأول من وجه ومخالف من وجه وهو قول بعض أهل النظر منا ومن المتزلة ، ومنهم من ذهب إلى أن الروح تتوفى عند النوم بقبضها من الجسد ومفارقة له وهذا الذي نجيب عنه به وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة ، وقد أخبرنا الشيخ أبو الحسن بن أبي الفتوح النيسابوري قال أخبرنا جدى أبو محمد العباس بن محمد الطوسي عن القاضي أبي سعيد الصرخي رضى عن الإمام أبي أسحق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله قال قال المفسرون أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتمارف منها ما شاء الله فإذا أراد جسيمها الرجوع إلى أجسادها

أمسك الله أرواح الأموات عنده وجلسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها، فلفظ هذا الإمام في هذا الشأن بمطلى أن هذا قول أكثر أهل العلم بهذا الفن، وعند هذا فيكون الفرق بين القبضين والوفاتين أن الروح في حالة النوم تغارق الجسد على أنها تعود إليه فلا تخرج خروجا تنقطع به العلة بينها وبين الجسد بل يبقى أثرها الذي هو حياة الجسد باقيا فيه، فأما في حالة الموت فالروح تخرج من الجسد مفارقة له بالكيفية فلا تختلف فيه شيئا من أثرها فلذلك تذهب الحياة معها عند الموت دون النوم ثم إن إدراك كيفية ذلك والوقوف على حقيقته متعذر فإنه من أمر الروح وقد استأثر بملحه الجليل تبارك وتعالى فقال تبارك وتعالى (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)، وأما قوله تبارك وتعالى (قالوا أضغاث أحلام) فإن الأضغاث جمع ضغث وهو الحزمة التي تقبض بالكف من الحشيش ونحوه، والأحلام جمع حلم وهي الرؤيا مطلقا وقد تخص بالرؤيا التي تكون من الشيطان ولما روى في حديث الرؤيا مطلقاً من الله تعالى والحلم من الشيطان، فمضى الآية أنهم قالوا للملك أن الذي رأيته أحلام مختلطة فلا يصح تأويلها، وقد أفرد بعض المبرزين اصطلاحاً لأضغاث أحلام فذكر أن من شأنها أنها لا تدل على الأمور المستقبلية وإنما تدل على الأمور الحاضرة والماضية ويجتمعها أن يكون الرائي خائفاً من شيء أو يكون راجياً لشيء. وفي معنى الخوف والرجاء الحزن على شيء والسرور بشيء فإذا نام من اتصف بذلك كذلك رأى في نومه ذلك الشيء. وبينه ويكون خالياً من شيء هو محتاج إليه كالجامع والمطشان يرى في نومه كأنه يأكل ويشرب أو يكون ممتلئاً من شيء فيرى كأنه ينجسه كالمتلى من الطعام يرى أنه يقذف وذكروا أن هذه الأمور الأربعة مهمة سلم الرائي منها رؤياه لا تكون من أضغاث الأحلام التي لا تنبئ لها وهذا الذي ذكره ضابط حسن لو سلم في طرفه لكن الحصر شديد وما ذكره فغيره من المنامات الفاسدة شاركتها في الاندراج في قبيل الأضغاث، وأما سؤاله من أين يفهم المنام الصالح من المنام الفاسد فإن للرؤيا الفاسدة أمارات يستدل بها عليها وما تقدم حكايته في شرح أضغاث الأحلام طرف منها، فنها أن يرى مالا يكون كالحالات وغيرها مما يعلم أنه لا يوجد بأن يرى الله سبحانه على صفة مستحيلة أو يرى نبيا يعمل عمل الفراعنة أو يرى قولا لا يحل التفوه به، ومن هذا القبيل ما جاء في الحديث الصحيح من أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إني رأيت رأسي قطع وأنا أنبئه» الحديث المرفوف، وهذه هي الرؤيا الشيطانية

التي ورد الحديث بأنها تحزين من الشيطان أو تلعب منه بالانسان ، ومن هذا النوع الاحتلام فانه من الشيطان ولهذا لا تحلم الانبياء ، ومن أمارات الرؤيا الفاسدة أن يكون ما رآه في النوم قد رآه في اليقظة وأدركه حسه بعهد قريب قبل نومه وصورته باقية في خياله فيراها بيمينها في نومه ، ومنها أن يرى ما قد حدثته به نفسه في اليقظة ويكون مما قد يفكر فيه قبل النوم بمدة قريبة اما مما قد مضى أو من الحماكي أو مما ينتظر المستقبل . ومنها أن يكون ما رآه مناسبا لما هو عليه من تغيير المزاج بأن تغلب عليه الحرارة من الصفراء فيرى في نومه النيران والشمس المحرقة أو تغلب عليه البرودة فيرى الثلوج أو تغلب عليه الرطوبة فيرى الأمطار والياه أو تغلب عليه اليوسنة والسوداء فيرى الاشياء المظلمة أو الالهوال والادواء السوداء في جميع هذه الانواع فاسدة لا تعبیر لها .

فاذا سلم الانسان في رؤياه من هذه الأمور غلب على الظن صحة رؤياه وتقع العناية بتعبيرها واذا انضم الى ذلك كونه من أهل الصدق والصلاح فرأى الظن بأنها صادقة سالحة ، وفي الحديث الثابت عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» ومن أمارات صدقها من حيث الزمان كونها في الاسحار لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أصدق الرؤيا بالاسحار فكونها عند اقتراب الزمان في قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه «إذا اقترب الزمان لم تكدر رؤيا المسلم تكذب» واقترب الزمان قيل هو اعتداله وقت استواء الليل والنهار ويزعم المعبرون أن أصدق الرؤيا ما كان أيام الربيع وقيل اقتراب الزمان قرب قيام الساعة .

ومن أمارات صلاحها أن تكون تبشيراً بالثواب على الطاعة أو تحذيراً من المعصية ثم إن القطع على الرؤيا بكونها سالحة لا سبيل اليه وإنما هو غلبة الظن : ونظير ذلك من حال اليقظة الخواطر ومعلوم أن إدراك ما هو منها — مما هو باطل — عن طريق إن نظن إلا ظناً والله أعلم .

\*(مسألة)\* قول الله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) ما هي الخصال التي إذا فعلها الانسان كان متقياً لله حق تقاته وهل نسخت هذه الآية بقول الله عز وجل (فاتقوا الله ما استطعتم) أم لا .

\*(الجواب)\* لم تنسخها بل فسرتها وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى غير أنه إذا تجنب الكبائر ولم يصر على الصغائر وإذا عمل صغيرة يعقبا بالاستغفار كان من جملة المتقين والله أعلم .

\*(مسألة)\* قوله عز وجل (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

الى آخر الآية ما الكبائر والصغائر؟ وكم المتفق عليه من الكبائر؟ وما الفرق بين الكبائر والصغائر؟ وهل تحتاج الصغائر الى توبة أم لا؟ وهل تذهب الصغائر بالصلوات كما جاء في الحديث أم لا بد مع ذلك من التوبة. وإن احتاجت إلى التوبة فالفرق بينها وبين الكبائر؟ وبماذا يمد المصير على الصغيرة مصراً بفعل الصغيرة مرة واحدة أم مراراً أم بالعزم والنية؟ فإن قلنا بالفعل مراراً فما عدد تلك المرات؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه: قد اختلف الناس في الصغائر والكبائر في وجوه: منهم من نفى الفرق من الأصل وجعل الذنوب كلها كبائر وهو مذهب مطرح والذين أثبتوا الفرق وهم الجماهير اضطربت أقوالهم في تحديد الكبائر وتمديد ها وقد قلت في ذلك قولاً رجوت أنه صواب وهو أن الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظمياً يصح منه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيماً على الإطلاق فهذا فصل لها عن الصغيرة التي وإن كانت كبيرة بالاضافة الى مادونها فليست كبيرة يطلق عليها الوصف بالكبر والمعظم إطلاقاً: ثم إن لكبر الكبيرة وعظمها امارات معرفة بها \* منها إيجاب الحد ومنها الإبعاد عليها بالمذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة: ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً: ومنها اللعن كما في قوله «لعن الله من غير منار الأرض» في أشباه ذلك لاختصاصها، وعند هذا يلزم أن عدة الكبائر غير محصورة والله أعلم \* وأما الصغائر فقد تمحى من غير توبة بالصلاة وغيرها كما جاء به الكتاب والسنة وذلك أن فاعل الصغيرة لو أثمها حسنة أو حسنات وهو غافل عن الندم والعزم على عدم العود المشتركين في صحة التوبة لكان ذلك ماحياً لصغيرته ومكفراً لها كما ورد به النص وإن لم توجد منه التوبة لعدم ركنها لا لتلبسه باضدادها والمصير على الصغيرة من تلبس باضداد من اضداد التوبة باستمرار العزم على المعاودة أو باستدامة الفعل بحيث يدخل به ذنبه في حيز ما يطلق عليه الوصف ليصير وزنه كبيراً وليس لزمان ذلك وعدده حصر والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ في قوله تعالى (وان ليس للانسان إلامسمى) وقد ثبت أن أعمال الابدان لا تنتقل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» وقد اختلف في القرآن هل يصل إلى الميت أم لا؟ وكيف يكون الدعاء يصل إليه والقرآن أفضل؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا قد اختلف فيه وأهل الخير وجدوا البركة في مواصلة



الأموات بالقرآن، وليس الاختلاف في هذه المسألة كالاختلاف في الأصول بل هي من مسائل الفروع، وليس نص الآية المذكورة دالاً على بطلان قول من قال إنه يصل فإن المراد به أنه لاحق له ولا جزاء إلا فيما يسمى، ولا يدخل ما يتبرع به الغير من قراءة ودعاء وأنه لاحق له في ذلك ولا مجازاة وإنما أعطاه الغير تبرعاً، وكذلك الحديث لا يدل على بطلان قوله فإنه في عمله وهذا من عمل غيره \*

﴿مسألة﴾ قوله عز وجل (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) ما هو الذكر؟ وما مقداره الذي يصير به المرء من الذاكرين الله كثيراً؟ وهل قراءة القرآن أفضل من سائر الأذكار من التسييح والتهيل والتكبير؟ وما معنى الحديث الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات؟» مع أنا نعلم ذلك بقوله عز وجل (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) فتخصيص الخبر بقراءة القرآن بكل حرف عشر حسنات لا بد له من فائدة، وما الحكمة في ذلك؟ وأفضل أوقات الذكر ما هي؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه إذا واظبت على الأذكار المذكورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة في ليلة العيد ونهاره وهي مثبتة في كتاب (عمل اليوم والليلة) كان من الذاكرين الله كثيراً، وقراءه القرآن أفضل من سائر الأذكار، وقوله له بكل حرف عشر حسنات فيه فائدة زائدة وهي الإعلام بأن الحسنة هنا ليست محصورة في أن يأتي بالكلمة بكاملها بل تحصل بحرف منها وأفضل أوقات الأذكار هي الأوقات الشريفة المعروفة إذا اقترنت بالأحوال الصافية \*

﴿مسألة﴾ قوله عز وجل (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنون بالماعون) من الساهون والمرؤون والذين ينعون بالماعون؟ وهل إذا فعل إحدى الثلاث كان من أصحاب الويل أم إذا فعل الثلاث؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه الساهون هم الغافلون عن الصلاة التاركون لها والمرؤون من يعمل ما هو طاعة لغير الله أو لله ولنغير الله (والذين ينعون بالماعون) اختلفوا فيه والأظهر أن الماعون معات آلات البيت من قدر ومفرقة وفأس وطس

(م ٢ — فتاوى ابن الصلاح)

واشباها هذا لما كانت الاعارة واجبة وهو ظاهر الآية ثم نسخ، والأظهر منهما ان استحقاق الويل مخصوص بمن جمع الثلاث والله أعلم .

﴿مسألة﴾ قول الله تعالى ( فانظر الى آثار رحمة الله كيف ينجي الأرض بدموتها ان ذلك لمحي الموتى ) لم أمرنا بالنظر الى الأثر ولم يأمرنا بالنظر الى الرحمة ؟ وهل يجوز لأحد أن يفسر القرآن بما يخطر في نفسه أو يقلب على ظنه من غير نقل عن أحد من المفسرين ومن غير علم بالعربية واللغة ؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه إنما كان ذلك كذلك لان الآية واردة للأمر بالنظر الى المطر الذى ( ينجي الأرض بدموتها ) والمطر الذى هذا شأنه وسائر صنوف الانعام آثار الرحمة لانفس الرحمة فان الرحمة عند المحققين من صفات الذات نحو الارادة ولا سبيل الى النظر اليها ومهما سمي المطر وغيره من وجوه الانعام رحمة فعلى سبيل التجوز والأصل هو الأول، وأما تفسير القرآن ممن هو على الصفة المذكورة فمن كبار الأئمة، ورووا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » وفي رواية « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » خرجه أبو عيسى فى جامعه، وخرج أيضاً عن جندب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » الحديث الأول من حسانها والثانى دونه والمفسر الموصوف قائل فى القرآن قولاً لا يستند الى أصل ولا حجة تمتد وهذا هو القول بالرأى المذموم قائله، وقوله فى الرواية الأخرى « من قال فى القرآن بغير علم » كالمفسر لهذا ونسأل الله العصمة من ذلك ومن سائر ما يسخطه سبحانه وهو سبحانه أعلم \*

﴿مسألة﴾ قول الله عز وجل ( كل من عليها فان ويبقى ) والابتداء بما بعده وفى الوقف على ( فان ) وفيمن قال إنما الوقف على قوله عز وجل ( ويبقى ) دون قوله ( فان ) \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه الوقف على ( ويبقى ) مما يجب أن ينافى ويبقى لأنه مع أنه مخالف قول من تناهى الينا قوله من قارى القرآن العظيم ومقرئيه والعلماء فانه يدفعه الدليل وبآباه لأنه ترك الظاهر الأسبق الى الفهم وقد تقرر أنه غير سائغ الاستند بقوى قوة بصير به خلاف الظاهر أرجح منه وليس للوقف على يبقى مستند ينزل هذه المنزلة ولا قريباً منها وقصارى الصائريه أن يبين اتجاهاه بمعنى أو بمجيئه عن متقدم تقلا واحتماله معنى لا يسوغه مع الأظهر

غيره ونقله عن متقدم لو يرد في يده لم ينفعه لأنه لا يجوز المدول عن قول الجماهير بمجرد قول وارد ، هذا وأن فيه إثبات تفسير الآية أو نحوه بنص الشنوذ والقرآن والقرآن والجرأة عليه عظيمة وإنما يتوفاها المتقون والله أعلم \*

﴿ مسألة ﴾ ما قول أئمة الحديث والتفسير والعلماء بالأيام والسير في البقرة المذكورة في سورة البقرة هل هي أثى أو ذكر ؟ وفي بقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة بدليل هل هي أثى أو ذكر ؟ يبتوا ذلك \*

﴿ أجاب ﴾ رضى الله عنه كل منهما أثى لا ذكر ولا نستفيد هذا من هاء التأنيث فيهما فانه يقال : للذكر بقرة وبقلة أيضاً حتى صار بمض الأئمة الشافعيين الى أنه لو أوصى ببقرة أو بقلة جاز إخراج الذكر والأثى ومن خصص بالأثى فلقبة عرف الاستعمال فيها لا أنها في اللغة مخصوصة بالأثى وإنما استفدنا الأثى في المذكورين من معارف غير ذلك ، أما البقرة ففي آياتها ما يوضح الأثى فيها وذلك في غير موضع مما ذكره تبارك وتعالى في صفاتها من ذلك قوله سبحانه وتعالى ( عوان بين ذلك ) فانه من صفة الأثى النصف وفي التفسير أنها الأثى التي ولدت بطنا أو بطنين ، ومن ذلك قوله تعالى ( صفراء فاقع لونها ) فانه اذا قيل للذكر بقرة قيل عند الوصف بقرة أصفر لا صفراء وكذلك لا يقال فيه ( تسر ) بل يسر وفي ذلك غير هذا ، وأما بقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم المسماة بدليل فن الدليل على أنها كانت أثى ما جاء في خبرها عن موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال كانت دليل بقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بقرة رؤيت في الاسلام أهداها له المقوقس قال الراوى وبقيت حتى كان في زمن معاوية وروى محمد بن سعد بسند له أن إسم بقرة النبي صلى الله عليه وسلم الدليل وكانت شبيهة وكانت ينيح حتى ماتت ثم قال ابن سعد وهو ثقة أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي وقبيصة بن عقبة قالا حدثنا سفيان الثوري عن جعفر عن أبيه قال كانت بقرة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى الشبيهة وهذا إسناد رجاله آساد ، وبمثل هذا لا يوصف به الذكر وإن أجازوا فيه أن يقال بقرة فلم يجزوا في صفته وفيما يرجع اليه من الضمائر مثل هذا الذى زاه وبابه ولا التفات في ذلك الى تأنيث اللفظ كما في قولهم طلحة وحمزة فلا يقال طلحة سرتى أو كانت ونحو ذلك ولا حمزة البيضاء بل الأبيض فقط والله أعلم \* ثم اذا ضم ما أورده من أمر

لدليل الى مارواه البخارى فى صحيحه عن عمرو بن الحارث صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخى جويرية بنت الحارث أم المؤمنين وهو أحد الصحابة الذين تفرد البخارى عن مسلم باخراج حديثهم قال «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده من درهم ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بقلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة» ظهر من ذلك أن بقلته صلى الله عليه وسلم المسماة بدليل هى التى تسمى البيضاء وكانت تسمى الشهباء، وما ذكره السهيلي صاحب الروض الأنف فى شرح السير من أن المسماة بالبيضاء غير المسماة بدليل غير مرضى ومعتمد والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ فى قوله سبحانه وتعالى (ولنبلى نكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فعلم الله السابق هو قوله (حتى نعلم المجاهدين منكم) أو هو علم يأتى وسمعت شخصا يقول فى هذه الآية (حتى نعلم) يتجدد له علم يأتى والحق سبحانه وتعالى له علمان أو علم واحد؟ بين لنا هذا على الوجه الصحيح الذى لا يربى فى الدين؟  
﴿أجاب﴾ رضى الله تعالى عنه الذى قاله الشخص خطأ ولا يتحدد لله علم وإنما علمه مختلف متعلقه فتعلق قبل وجود مجاهدين بأنهم ستوجد مجاهدينهم وبعد وجودها بأنها قد وجدت فإذا معنى الآية حتى نعلم مجاهدينكم موجودة فتجازىكم عليها والله أعلم \*

### ﴿القسم الثانى فى شرح أحاديث وردت عن رسول الله ﷺ﴾

فمن ذلك ﴿مسألة﴾ فى قوله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيقال إنما تعلمت ليقال كذا وكذا وقد قيل» الحديث ما معناه الحمل على أنه كانت له حسنات غير العلم؟ فأجبت نيته فى العلم حسناته وهذا خلاف قوله سبحانه وتعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) أم يحمل على أنه لم تكن له حسنة سوى العلم؟ وكذا المجاهد وهذا خلاف الظاهر أم له معنى غير هذين؟

﴿أجاب﴾ رضى الله تعالى عنه هذا فى شخص كان بمثابة لو أخلص فيها فى علمه لنجاه علمه من العذاب الذى وجد مقتضيه فلما لم يخلص نزل به موجب المقتضى لعذابه أو هذا فيمن ترجحت سيئات ريبه بالعلم على حسناته فلم تدفع عنه حسناته عذاب ذنب الرياء فمذهب والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ قوله صلى الله عليه وآله وسلم «الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ورمضان الى رمضان كفارة لما بينهما» وإذا كانت الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما فالتكفير الجملة ورمضان ؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هي كفارات وان لم تصادف شيئاً تكفر بمعنى انها أسباب للتكفير وقد ينتفى عن السبب مسببه لأمر من الأمور ولا يخرج ذلك عن كونه سبباً ثم جواب آخر وهو أن السلوات الخمس كفارة للصغائر على ما نطق به الحديث والمرجو أن الكفارة الثانية اذا لم تصادف صغيرة تكفر بمض الكبائر والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ في أن الخبر اذا ورد من جهة الله تعالى لا يتصور وجوده على خلاف الخبر به وهل هو كما أطلق؟ أم ثم فرق بين وعده وعيده؟ وإذا لم يصح الاطلاق فما الفرق بينهما؟ وهل يكون في الفرق أن يقال ان اخلاف الوعد لا يليق بجانبه سبحانه وتعالى والمغفو عن الوعد لا يثق به أم لا؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه نعم: هو على إطلاقه فلا يقع أصلاً شيء من أخباره على خلاف خبره، ومن ذلك الوعد: وأما الوعد بالمغفو متطرق اليه وليس ذلك خلفاً في خبره فيه: فإن الوعد مقيد من حيث المعنى بحالة عدم المغفو فاذا قال لا عذبني الظالم مثلاً فتقديره ان لم أعف أو إلا أن أسامحه أو أنكرم عليه ونحو هذا وهذا القيد عرف من عادة العرب في ايعاداتها، ومن أخبار الشارع عن ذلك على الجملة والمعموم في مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما رويته «من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقاباً فهو بالخيار ان شاء عذبه وان شاء غفر له» والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم» فهل هذا يطلق على الفقير الذي قد جمع بين العلم والعمل؟ أم الفقير الذي قد منع الدنيا ولا حظ له فيها فيكون دخوله الجنة جبراً لقلبه يوم القيامة حيث يتمنى شيئاً لا يقدر عليه؟ وان أطلق على الفقير الذي قد جمع بين العلم والعمل فذلك هو الغني الأكبر، وما هو الغني والفقير الذي ورد فيهم؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه، يدخل في هذا الفقير الذي لا يملك شيئاً والمسكين الذي يملك شيئاً ولكن لا يملك تمام كفايته إذا كانوا مؤمنين غير مرتكبين شيئاً من الكبائر ولا مصريين على شيء من الصغائر ويشترط في ذلك أن يكونا صابرين على

الفقر والمسكنة راضين بهما والله أعلم \*

\*(مسألة)\* قوله صلى الله عليه وسلم: «خير القروب الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم» الحديث: ما الفرق بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم على تقدير محنته؟ «أمتي كالنيت لا يدرى أوله خير أم آخره»: وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم «للسائم فرحتان؟ فرحة عند إفطاره و فرحة عند لقاء به» فالفرحة التي عند افطاره ماهي؟ كونه يفرح بالأكل والشرب أو فرحة كونه حصلت له عبادة هذا اليوم \*

\*(أجاب)\* رضى الله عنه أما الحديثان الأول ولان فلا تناقض بينهما لأن آخر الامة في الحديث الثانى المضطرب عبارة عن الهدى وعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ومن معهم، وأما فرحة الصائم عند فطره فجائز حملها على الأمرين فرحة النفس بما يتناول ولا محذور فيها. وفرحة بتمام العبادة الفاضلة له: والله أعلم \*

\*(مسألة)\* قوله صلى الله عليه وسلم «انها من الطوافين عليكم» على ماذا الحمل؟ وهو أنى نفقه عن الصبيان الصغار من الأولاد الذين لا يمكنهم التحرز منهم كالأطفال في الطوافات لليلة ولوانتفت النجاسة منهم في عمل العفو عنها في مثله منها \*

\*(أجاب)\* رضى الله عنه الطوافون الخدم والطوافات الخادومات وأفواه الاطفال التي تغلب نجاستها فالظاهر انها كافوا السنابر في العفو والله أعلم \*

\*(مسألة)\* روى أبو عبد الله البخارى وأبو الحسين مسلم رحمهما الله في صحيحهما من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق «ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك» وذكرنا في الحديث وفي الحديث الذى انفرد به مسلم باخراجه من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الفزارى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكاً فصورها» وذكرنا في الحديث \* فى الحديث الأول اشعار بان الله تعالى يرسل الملك بعد مائة وعشرين ليلة وفى الحديث الثانى تصريح بان الملك يبعث بعد أربعين ليلة فكيف الجمع بين هذين الحديثين؟ \*

\*(أجاب)\* رضى الله عنه حديث حذيفة بن أسيد هذا لم يخرج به البخارى فى كتابه ولمل ذلك لكونه لم يجمده ملتصقاً مع حديث ابن مسعود رضى الله عنهما ووجد حديث

ابن مسعود أقوى وأصح فارتاب بمحدث حذيفة الذي مداره على أبي العفيل عامر ابن وائلة عنه فأعرض عنه فاما مسلم فانه خرج الحديثين معاً في كتابه فاحوجنا إلى تطلب وجه يلتزمان به ولا يتنافران وقد وجدناه والله الحمد الأتم ، فأقول : الملك يرسل غير مرة الى الرحم يرسل مرة عقيب الأربمين الأولى بدلالة حديث حذيفة بن أسيد بالغافله في رواياته المتعددة فيكتب أجله ورزقه وعمله وحاله في السعادة والشقاوة وغير ذلك ويرسل مرة أخرى عقيب الأربمين الثالثة فينفخ فيه الروح بدلالة حديث ابن مسعود وغيره ثم انه بشكل وراء هذا من حديث حذيفة في قوله في بعض رواياته عند ذكر ارسال الملك عقيب الأربمين الأولى «فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أثنى ؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب» ، الى آخره ومن المعلوم أن هذا التصوير لا يكون في الأربمين الثانية فانه يكون فيها علة وانما يكون هذا التصوير قريباً من نفخ الروح وهكذا روينا ذلك مصرحاً به في بعض روايات حديث حذيفة خارج الصحيح وسبيل الجواب عن هذا الاشكال أن يحمل قوله «فصورها» على معنى فصورها قولاً وكتبنا لانفلا أي فذكر تصويرها وكتب ذلك ، والدليل على صحة هذا ان جعلها ذكراً أو أثنى يكون مع التصوير المذكور وقد قال في جعلها ذكراً أو أثنى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك إلى آخره ويشكل أيضاً من حديث ابن مسعود ان البخاري رواه بهذا اللفظ وهو أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربمين يوماً أو أربمين ليلة ثم يكون علة مثله ثم يكون مضنة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤذن بربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقاه أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ثم يبعث اليه الملك بحرف ثم يقتضى تأخير كتب الملك الأمور الاربعة الى ما بعد الأربمين الثالثة \* وحديث حذيفة بن أسيد قاض بتقديم كتب الملك لذلك عقيب الأربمين الأولى وسبيل الخروج عن اشكال ذلك أن يحمل قوله «ثم يبعث اليه الملك فيؤذن فيكتب» معطوفاً على قوله «يجمع في بطن أمه أربمين يوماً» متعلقاً بهذا لا بالذي يليه قبله وهو قوله ثم يكون مضنة مثله ويكون قوله «ثم يكون علة مثله ثم يكون مضنة مثله» اعتراضاً وقع بين المعطوف والمعطوف عليه والاعتراض بأمثال ذلك في كتاب الله تعالى وكلام العرب غير قليل \* من ذلك قوله سبحانه وتعالى ( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات

والأرض وعشيا (حين تظلمون) فقوله (وعشيا) ليس متعلقا بالذى يابيه وهو قوله (وله الحمد في السموات والأرض) ومعلوماً عليه بل متعلقاً بما سبق من قوله (وحين تصبحون) وقوله (وله الحمد في السموات والأرض) اعتراض بينهما إذا عرفت هذا فقوله «ثم ينفخ فيه الروح» متصل بقوله «ثم يكون مضنة مثله» لأنه في شبه التأخير لما ذكرناه فافهم ذلك واعرفه وارعه فإنه مشكل عويص جداً ولا أحد نعلمه قد تقدم بحله وقد أوضحته أيضاً ينشرح صدر القامم الآهل والله سبحانه المحمود حقاً، وكان الحافظ عياض بن موسى القاضي من المناربة قد تعرض لذلك مقتصرأ على رواية مسلم لحديث ابن مسعود وذلك فيها بحرف الواو لا بحرف ثم ولفظها «ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه» إلى آخره وأجاب بأن الواو لا تقتضي ترتيباً وهذا الذي أتى به سهل لا يتأتى مثله في رواية البخاري التي هداها الله الكريم لشرح معناها والله الحمد كاه وهو أعلم \*  
﴿مسألة﴾ قوله عليه السلام «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» هل خرج في الصحيحين أم لا؟ وهل يصير في عقيب التوبة كمن لا ذنب له ليحكم القاضي برشده في تزويج ابنته أو موليته؟ أم لا بد من إصلاح العمل بعد التوبة إلى مدة معلومة؟ وكيف حكم الله في ذلك؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لم يخرج في الصحاح ولم نجد له اسناداً ثبت بمثله الحديث والتائب يلتحق عند بعض أصحابنا بالمستور من غير توقف على إصلاح العمل في المدة المعلومة ولا بأس بالعمل بهذا والمستور على التزويج ولا يخرج على الخلاف في الفاسق \*  
﴿مسألة﴾ رجلان تشاجرا في قوله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربكم في كل ليلة إلى سماء الدنيا» الحديث بتلهم فقال أحدهما للآخر الحديث يتأول وقال الآخر بل هو كما جاء ليس فيه تأويل بل ينزل وكذا في جميع الصفات والآيات والأخبار \* وكل واحد يدعى الصحة في قوله \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه التائب عليه الصالحون من السلف واختلف رضى الله عنهم الاتصاف في ذلك جميعه على الأيمان الحق بها والاعراض عن الخوض في معانيها مع اعتقاد التنديس المطلق وإنه ليس معناها ما نفهم من مثلها في حق المخلوق والله أعلم \*



﴿مسألة﴾ في معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه وهو قوله «كل مولود يولد على الفطرة» المذكورة وهي فطرة الاسلام أو الفطرة التي هي الخلق والابداع والاختراع \*

﴿أجاب﴾ رضي الله عنه معناه والله أعلم انه يولد غير متلبس بحقيقة الكفر فانه بالاعتقاد ولا وجود له قطعاً فأبواه يهودانه قبل البلوغ من حيث الأحكام تبعاً وبعد البلوغ بتقليده إياهم في حقيقة الكفر مباشرة منه وملازمة منه الكفر، وأما ما ورد من أن الشقي من شقي في بطن أمه فلرأده - أن يكتب الملك عليه - أخبار عما يوجد منه اذا باشر الكفر، وفي قوله «الله أعلم بما كانوا عاملين» إشعار بأنه قد يكتب عليه الشقاء ويحكم به عليه بناء على ما يعلمه الله تعالى منه من أنه لو أحياء الله الى حين يستقل بالإيمان والكفر لا يختار الكفر وكفر كما جاءت الرواية بذلك مصرحاً به في بعض الأحاديث فيخرج من ذلك انا لانستلزم الحكم بأن من مات من أطفال المشركين فهو في الجنة وكذا في أشباههم من المجانين والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ في معنى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم على أبي (لم يكن الدين كفراً) بأمر الله تعالى ما المراد بذلك؟ وما وجه تخصيص هذه السورة بالذكر؟ وما الحكمة في ذلك؟ \*

﴿أجاب﴾ رضي الله عنه في ذلك فوائد منها كونه سن بذلك عرض القرآن على من يحفظه ويعرف كما هو المعروف من قراءة القرآن على المقرئ، ومنها ان ايأ كان موثقاً به في الأخذ والأداء عنه صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك ليؤدي عنه وفيه حض له على التصدير لقراءة القرآن عليه فكان رضي الله عنه يمدده صلى الله عليه وسلم رأساً، وأما تخصيص هذه السورة فمن المعنى فيه أنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهام عظيمة وكان الوقت يقتضي ترك التلويل والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر» فهل يكون هذا السوق قيل موت الخلق أو بعد خروجهم من الأجداث؟ \*

﴿أجاب﴾ رضي الله عنه بل قبل موت الخلائق وقوله «لا تقوم الساعة» شاهد بذلك والله أعلم \*

\* (مسألة) \* فيما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «لمن الله من أكرم غنيا لغناه وأهان فقيراً لفقره» وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال: «لمن الله من أكرم بالفنى وأهان بالفقر» هل يدخل تحت هذا اللعن شيخ يزار بحبه الفقير والفنى وابناء الدولة وهو من ذوى الولايات والتسلط فيتكاف لابناء الدنيا ويحضر للفقير ما يتيسر أم لا؟ \*

\* (أجاب) \* رضى الله عنه اما أولاً فان هذين الحديثين لا نعرفهما من جهة تصح، تقوم بها الحجة، وقد أخرج أبوشجاع شيرويه الهمداني صاحب الفردوس فيه من حديث أبي ذر الغفارى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «لمن الله فقيراً تواضع لفنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه» لكن ليس ذلك مما يقع عليه الاعتقاد فان صاحب الفردوس جمع فيه بين الصحيح والسقيم وبلغ به الانحلال الى أن أخرج أشياء من الموضوع، ويدانى هذا الحديث فى معناه ما روى من أنه «من تضيع لفنى ذهب ثلثا دينه» وأخبرت عن أبي الفتوح الشاذياخى وغيره قالوا حدثنا الاستاذ أبو القاسم القشيري قال سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى الخبر «من تواضع لفنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه» وإما ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لفنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فان اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ذهب دينه كله هذا كلامه \*  
ثم إنا نعلم ان هذه الأحاديث وإن لم تثبت من حيث الرواية فما تقتضيه من ذم اكرام الغنى لغناه وإهانة الفقير لفقره ثابت صحيح وذلك ان لم ينته فاعله الى فطاعة اللعن وذهاب ثلثي الدين فهو منكرك قبيح على الجملة فان فيه تعظيم الدنيا التى هى مجمع الآفات وأم الخبائث ويستلزم ذلك من ضعف قوى التقوى أمر أعظم لكنها لا تتناول من أكرم الغنى مطلقاً بل من أكرم الغنى لأجل غناه اى كان الباعث له على إكرامه ما عنده من الدنيا واستعظام ما اتصف به من الغنى فلا يدخل فى ذلك من أكرم الغنى لفنى آخر لا ينمى الشرع ويأباه بأن يقصد به حفظ قلب الغنى بأنه ان لم يفعل تأذى او ترغيبه فى اكرام الاضياف او يريد به دفع شره وصيانة نفسه وإياه عن محذور غيبته او توطئته لما يريد ان يأمره به من الخير فهذا وما أشبهه من المقاصد الصحيحة اذا اقترن بفعل ذلك فهو حسن غير مذموم والفاعل له بنية التقرب مأجور غير مأزور وتكف هذا المذكور لابناء الدنيا اذا كان لشيء من هذه المقاصد المستقيمة فليس من اكرام الغنى لغناه فى شيء وكذلك اقتصاره فى حق الفقير على اختصار ما يتيسر اذا كان ليكون ذلك

يكنى الفقير ويرضيه من غير أن يقترب به استحقاق منه بالفقر وفقره ليس من اهانة الفقير لفقره بسبيل . وقد أخرج أبو داود صاحب السنن فيه عن ميمون بن أبي شبيب « أن عائشة رضى الله عنها مر بها سائل فاعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فاقعدته فأكل فقيل لها في ذلك فقالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نزل الناس منازلهم » هذا الحديث أصل في هذا الذي نحن بصدده فليصحح المتنحن بذلك مقاصده فيما يأتي منه ومن غيره ويتدبر في صحتها عمه أعماله وفي فسادها فسادها والله الكريم السؤل توفيقنا وإياه لما يحبه ويرضاه ومن يحب والمسلمين آمين وآمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين \*

\*(مسألة)\* روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن رجلاً من أهل الصفة مات فوجد معه دينار أن فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان » فما السر في ذلك وما المعنى فيه مع أن الدينارين لاحق فيهما لله تعالى ؟ \*

\*(أجاب)\* رضى الله عنه من الأسباب في ذلك أنه رحمه الله أظهر الفقر وقعد مع الفقراء أهل الصفة الذين لا يملكون ديناراً ولا درهما ولم يخرج دينار به على نفسه ورفقائه والله أعلم \*

\*(مسألة)\* سأل سائل الشيخ رحمه الله تعالى وقال ذكرت في كتابك الذي صنفته في علوم الحديث فوائد جمة إلا أن في أوله أو قالوا في حديث أنه غير صحيح فليس ذلك قطعاً بأنه كذب في نفس الأمر إذ قد يكون صدقاً في نفس الأمر وإنما المراد به أنه لم يصح إسناده على الشرط المذكور والله أعلم ، وقد رأينا قد ذكر عن الأئمة أنهم قالوا في الحديث حديث إسناده صحيح ومتنه غير صحيح أو إسناده غير صحيح ومتنه صحيح أو إسناده مجهول ومتنه مجهول أو إسناده صحيح ومتنه صحيح أو إسناده ضعيف ومتنه ضعيف . وأيضاً لهم كتب الموضوعات ويقولون من فلان إلى فلان الله أعلم من وضعه فهذا يدل بأنه في نفس الأمر غير صحيح فإن رأى أن يذكر في شرح هذا ما يشق به علة الطالب فعل ذلك \*

\*(أجاب)\* رضى الله عنه الذي يرد من هذا على ذلك قولهم إسناده صحيح ومتنه غير صحيح وجوابه أن في كلامي احترازاً عنه وذلك في قولي أنه لم يصح إسناده على الشرط

المذكور لان من الشرط المذكور أن لا يكون شاذاً ولا ممطلا والذي أوردتموه لا بد أن يكون في إسناده شذوذ و علة تمله ولأجل ذلك لا يصح به الثن فان أدلج عليه انه اسناد صحيح فلا بالتفسير الذي ذكرتموه بل بمعنى أن رجال إسناده عدول ثقات هذا فحسب وما بعد هذا لا يمس ما ذكرته الا قولهم في بعض الأحاديث انه موضوع، والجواب انه ليس في الكلام الذي ذكرته انكار لذلك وانما فيه انه لا يستفاد ولا يفهم من قولهم هذا الحديث غير صحيح اكثر من أنه لم يصح له اسناد على الشرط المذكور وهذا كذلك لان هذا الكلام لا يظهر من معناه انه كذب في نفس الامر احتجنا الى زيادة لفظ مثل ان يقول هو موضوع أو كذب او نحو ذلك والله اعلم، قولي لم يصح اسناده عام اى لم يصح له اسنادا والله اعلم \*

﴿مسألة﴾ في رجل يقرأ الحديث على المحدث ويقول في كل حديث وبالاسناد حدثنا فلان عن فلان ولا يقول قال حدثنا فهل يصح هذا السماع أم لا؟  
﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا خطأ من فاعله، واما بطلان السماع به فقيه حتمل والأظهر انه لا يبطل من حيث ان حذف القول اختصارا مع كونه مقدراً في كثير من كتاب الله تعالى وغيره والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ روى ان النبي صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودى على صاع من شعير أو صاعين وانه صلى الله عليه وسلم مات وله حصون وارض فهل هذه الاحاديث صحاح وانه صلى الله عليه وسلم مات وهو فقير؟ يتو لنا أدلة موته على الفقر والكمات التي عليها النبي صلى الله عليه وسلم للفقراء فضلوا على الاغنياء بتلك الكمات وغيرها من الأحاديث الصحيحة، والذي ذهب من العلماء الى ان الفقير الصابر أعلى من الغنى الشاكر من هو من العلماء؟

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه روى البخارى في صحيحه باسناده عن عائشة رضى الله عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير وكان له مما افاض الله تبارك وتعالى ارض بخير وفدك وغيرها وكانت معدة نوابه ولم تورث منه لقوله صلى الله عليه وسلم «انا لا تورث ما تركناه صدقة» وكل هذا صحيح لا تناقض فيه والفقر صفة اللازمة عند موته وقبل ذلك صلى الله عليه وسلم ولا يقدر فيه ما كان في ملكه من اعداده لمصالح المسلمين واخراجه ما يحصل عند حصوله بموحدته

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام» حديث ثابت، وحديث ابى هريرة رضى الله عنه ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن فقراء المهاجرين اتوه فقالوا ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا تصدق ويمتقون ولا نفتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا بلى قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» هذا لفظ الحديث فى صحيح مسلم، وأخبرنى بعض الاشياخ بخراسان قال ثنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الصوفى قال أخبرنا الاستاذ أبو القاسم القشيرى قال سمعت أبا على الدقاق يقول تكلم الناس فى الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصاب فيه والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ صوم رجب كله هل على صائمه إثم أم له اجر ؟ وفى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه ابن دحية الذى كان بمصر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان جهنم لتسمر من الحول إلى الحول لصوام رجب» هل صح ذلك أم لا ؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لا إثم عليه فى ذلك ولم يؤثمه بذلك أحد من علماء الأمة فيما نعلمه بل قال بعض حفاظ الحديث لم يثبت فى فضل صوم رجب حديث أى فضل خاص وهذا لا يوجب زهدا فى صومه مما ورد فى فضل الصوم مطلقا ، والحديث الوارد فى كتاب السنن لأبى داود وغيره فى صوم الأشهر الحرم كلف فى الترغيب فى صومه ، أما الحديث فى تسمير جهنم لصوامه فقير صحيح ولا تحمل روايته والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ اذا أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن أقوام انهم من أهل الجنة وهم مؤمنون مصدقون بخبره صلى الله عليه وسلم فهل يأمنون المكربا أخبرهم به من أنهم من أهل الجنة ؟ وسمعنا عن عمر رضى الله عنه انه قال لا آمن مكرب ورجلى الواحدة فى الجنة والأخرى برا فهل هذا عن عمر صحيح أم لا ؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا القول بعينه عن عمر رضى الله عنه لسننا نصحيحه بل أصل كونه لم يأمن مكر الله وانه كان شديد ما بين يديه ثابت عنه وذلك له وجوه ، أحدها انه كان يرى جواز النسخ في مثل ذلك ، وانه روى عنه انه كان يدعو اليهم ان كنت كتبني شقياً فامح ذلك واكتبني سعيداً أو مامعنا ، هذا ، والثاني انه وأمثاله ان آمنوا بكونهم من أهل الجنة فلا يأمنون أهوالاً تصيبهم قبل دخول الجنة ، الثالث وان كانوا لا يجوزون النسخ في مثل ذلك فقد يجوزون أن يكون ذلك مشروطاً بشرط ولا يوجد منهم وخفى عليهم ذلك الشرط عافانا الله تعالى \*

﴿مسألة﴾ أول من يدخل الجنة ان قالوا هم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيدخل كل نبي مع أمته أو الأنبياء كلهم يدخلون الجنة قبل أممهم \*  
 ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة قبل الجميع والظاهر ان الأنبياء يدخلون قبل الأمم كلها \*

﴿مسألة﴾ عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى النبيين وآلهم رأى رجلاً يسرق فقال أمرت ؟ فقال كلا والذي لا إله إلا هو قال آمنت بالله وكذبت عيني ، وحديث آخر ان بعض الناس أذنب ذنباً فسئل عنه فقال والله الذى لا إله إلا هو ما فعلته أو كما قال فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ذنبك بصدقك فى قولك لا إله إلا الله \*  
 ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه كأنه صلى الله عليه وسلم لما وجد السارق ربه تعالى غمرته الهيبة والمظلة حتى أنسته ما استيقنه حالة الابصار وبقي فى صورة من يرى الشيء من بعد ولا يتحققه فاذا نوزع فيه كذب رؤيته وأما الحديث الآخرفيه إشارة الى أن حسه الصادق فى التوحيد كفر المعصية والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ الخبر الذى لا يتطرق اليه النسخ والخبر الذى يدخله الأمر فيتطرق اليه النسخ ماهو وما الفرق بين الخبرين ؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه من أمثلة الخبر الذى لا يدخله النسخ قوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) ومن أمثلة الخبر المشتعل على الأمر قوله صلى الله عليه وسلم «توضؤا مما مست النار» ومن أمثلة ما لا يدخله النسخ فى الخبر فى خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» والفرق ان ما فيه الأمر تكليف

فلا يتمتع إسقاطه بالنسخ بخلاف الخبر المحض فان النسخ فيه الخلف فيكون ذلك وقع كذباً والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ في الفقير الصابر والغنى الشا كرايها أعلى ؟ ينو ذلك لتحصيل معرفتهما والذي لا يجب عليه التكسب ببيان دليله وما هو؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه : هذا باب واسع وما يحتاج به — من فضل الفقير الصابر وإياه نختار — حديث دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء بمئة مائة عام ، وما يحتاج به في فضل الغنى الشا كره قوله صلى الله عليه وسلم «فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وحديث الذكرا الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم الفقراء فلما بلغ ذلك الأغنياء شاركوهم فيه ومن قال لا يجب عليه التكسب فدليله انه الآن غير واجد وليس عليه واجب من ذلك فلا يجب عليه التحصيل لتجب عليه النفقة كما لا يجب عليه تحصيل المال لتجب عليه الزكاة والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ هل ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل قدم نبي من الأنبياء عليهم السلام ولي من أولياء الله تعالى ؟ وسمعنا أن القطب على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعنا أن في الأرض سبعة أوتاد وأبدال ونجباء وكل مات رجل أقام الله عز وجل عوضه رجلاً ولا تزال الوراثة دائمة في علم الباطن وفي علم الظاهر إلى قيام الساعة الأمر على ماذا كره أم لا ؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه لا يثبت هذا الحديث وأما الأبدال فأقوى ما روينا فيهم قول على رضى الله عنه انه بالشام تكون الأبدال وأيضاً ما شابههم كالجمع عليه من علماء المسلمين وصلحائهم ، وأما الأوتاد والنجباء والنقباء فقد ذكرهم بعض مشايخ الطريقة ولا يثبت ذلك ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة وهم العلماء \*

﴿مسألة﴾ هل ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في علماء الباطن الذين أقامهم الله تعالى لتربية أرباب الأحوال والمقامات الشريفة وليوصلوا المرید الى الله تعالى بقوتهم التي أعطاها الله تعالى وبدعوتهم المحابة كالجنيد وامثاله من أئمة الطريق المكاشفين الذين لهم الكشف المصون الموافق للشريعة المطهرة هل يجب عليهم ان يشهروا أنفسهم بذلك ويتصدوا بالعمود للخلق كما يجب على علماء الشريعة التصدى والعمود للخلق لفوائد المسلمين منهم ام لا ؟ والخضر عليه السلام هل ورد انه حى الى الوقت المعلوم ؟ وهل هو ولي او نبي ام لا ؟ \*

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه لا يجب عليهم ذلك ولا يحتمل حالم وحال الخلق ذلك وفي الشريعة كفاية فيما يرجع الى ارشاد الخلق ، وأما الخضر صلى الله عليه وسلم فهو من الاحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والامة معهم في ذلك وإنما شذ بانكار ذلك بمض اهل الحديث وهو صلى الله عليه وعلى نبينا والتبيين. وآل كل وسلم نبى واختلفوا في كونه مرسلًا والله اعلم \*

﴿ مسألة ﴾ في الابوة هل يجوز ان يطلق في الكتاب العزيز والحديث الصحيح الأب من غير صلب وايش الفرق بين آدم أبى البشر وبين ابراهيم الخليل صلى الله عليها وعلى نبينا والتبيين وآل كل وسلم أب فآدم ابو البشر و ابراهيم ابو الايمان أولمضى آخر؟ ونرى شايخ الطريقة يسمونهم أبا المر يدين فيجب بيان هذا من الكتاب العزيز والحديث الصحيح وإما أعلى الأب او الأخ اوالصاحب؟ ترى الصحابة رضى الله عنهم كانوا اخوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الاسلام والايمان وزايم خصوا باسم الصاحب يتنوا لنا هذا رزقكم الجنة . \*

﴿ اجاب ﴾ رضى الله عنه قال الله تعالى (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل) واسماعيل من اعمامه لا من آباءه وقال سبحانه وتعالى (ورفع ابيه على العرش) وانه قد كان تقدم وقتها قالوا والمراد خالته في هذا استعمال الابوين من غير ولادة حقيقة وهو مجاز صحيح في اللسان العربى واجراء ذلك في النبى صلى الله عليه وسلم والعالم والشيخ والمريد سائق من حيث اللغة والمعنى وامامن حيث الشرع فقد قال سبحانه وتعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وفي الحديث الثابت عنه صلى الله عليه وسلم «انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم» فذهب بعض علمائنا الى أنه لا يقال فيه صلى الله عليه وسلم انه أبو المؤمنين وان كان يقال في ازواجه أمهات المؤمنين ، وحجته ما ذكرته فلى هذا فيقال هو مثل الأب او كالأب او بمنزلة أئمتنا ولا يقال هو ابونا او والدنا ومن علمائنا من جوز ، واطلق هذا ايضا وفي ذلك للمحقق مجال بحث بطول والاحوط التورع والتحرز عن ذلك ، واما الأخ والصاحب فكل واحد منهما أخص من الآخر وأعم فإخ ليس بصاحب وصاحب ليس بإخ وإذا قابلت بينهما فالأخ أعلى \* وإما في حق الصحابة رضى الله عنهم فانما اختير لفظ الصحبة لانها خصيصة لهم وأخوة الاسلام شاملة لهم ولغيرهم ، وايضا

١ - البقرة ١٣٣

٢ - يوسف ١٠٠

٣ - الأحزاب ٤٠



فلفظ الصحابة يشعر بالأمرين اخوة الدين والصحبة لانه لا يطلق ذلك في العرف على الكافر وان صاحبه صلى الله عليه وسلم مدة والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ شخص قال من سب الصحابة رضى الله عنهم لا ينفرد له وان تاب واحتج بالحديث الذى روى «سب صحابتي ذنب لا يغفر» وقال قال الى الشيخ عندى لا يتوب الله عليه فقيل له ان تاب تاب الله عليه فقال لا يتوب الله عليه فهل يتوب الله عليه ام لا؟ \*

\*(اجاب)\* رضى الله عنه اخطأ هذا القائل - في قوله وفي احتجاجه - خطأ فاحشاً، أما خطؤه في قوله فانه نفي مغفرة الله تعالى لهذا المذنب من غير توبته ومع التوبة وهو مخطئ مبتدع فاحطاً وابتدع في الموضعين، اما اذا لم يتب فلأن السب ذنب دون الشرك وكل ذنب دون الشرك فيجوز أن يغفر الله تعالى لفاعله وان لم يتب إمامه سبحانه ابتداءً أو بشفاعه الشافعين او بأن يرزق حظاً من الحسنات التي يذهب السيئات شهيد بذلك دليل النصوص وغيرها ومن قال في شيء من الذنوب التي هي دون الشرك ان الله تعالى لا يغفر لفاعله فقد تقول على الله بذلك وتعرض لعقابه واما اذا تاب فانه ليس شيء من الذنوب لا توبة منها، وليس هذا باعظم من الشرك ثم لا يقال الشرك لا توبة منه فان اسلام الكافر حاصله التوبة من الشرك واجتمعت الأمة على ان الله تعالى لم يجعل فيما خلق ذنباً لا توبة منه اصلاً ونصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك غير انه ينبغي ان يعلم ان التوبة من ذنب السب لا يكفي فيها توبة السبب فيما ينه ويين الله تعالى فان سب الصحابة رضى الله عنهم ظلم لهم والتوبة من مظالم العباد طريقها البراءة اليهم باحلامهم أو غيره وذلك متعذر فيمن مات ومع هذا فطريق الخلاص غير منسد على التواب من سب الصحابة من وجوه: احدها الاستغفار لهم والدعاء لهم بالرحمة والرضوان لاسيما في اعقاب الصلوات، الثاني أن يكثر من الأعمال الصالحة حتى يقع بعض حسناته عوضاً عن هذه المظلمة ويفضل له ما يسعد به ان شاء الله تعالى، الثالث أن يلجأ الى الله تعالى في أن يضمّن عنه تبعاته ويرضى عنه من فضله من ظلمه بالسب وغيره فهو سبحانه وتعالى جدير باجابة دعائه وهذه الوجوه لها أصول مروية: منها حديث حذيفة أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذنب لسانه على أهله فقال عاجلاً «أين انت عن الاستغفار»؟ أخرجه النسائي وغيره، وحديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه المخرج في الصحيح في الشخص الذي قتل مائة نفس ثم تاب وعاجله الموت بين القريتين فليطلب هذا (م ٤ - فتاوى ابن الصلاح)

التائب نفساً فان الرحمة واسعة فقد جمل الاستغفار والتوبة في هذين الحديثين مخلصاً من مظالم العباد وهو خارج على أحد الوجوه المذكورة \* وأما خطأ هذا الرجل في حجة ففي موضعين أيضاً أحدهما أن الحديث الذي ذكره من أحاديث العوام التي لا أصل لها يعرف والثاني (أنه احتج بالشيخ عندي) وهذا من العجائب عند أهل المعرفة فانه لا ينبغي على مسلم انه لا حجة في دين الله سبحانه وتعالى الا فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى معرفة ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم الا بنقل الثقات من أهل العلم والاخذ عنهم فمن لم يكن من أهل ذلك كان جاهلاً وان كان زاهداً فان الزهد لا يجعله نبياً يوحى اليه والقلوب لا يتعرف منها احكام الدين وشرائع الاسلام ومن انتسب الى العلم الذي يزعم انه يطلعه على الصواب ويمتنع من الخطأ سألناه عن شيء من احكام القرآن المعلومه والسنن الصحيحة واظهرنا بهذا اخلاقه فانه لو كان كما يزعم لم يجعل ذلك وان جعل ذلك فهو بغيره اجل فليتيق الله به هذا القائل ولا يقلد دينه من لا علم له ونستغفر الله عما جرى منه غفر الله له ولناو لجميع المسلمين \*

\* (مسألة) \* رجل اغتاب رجلاً مسلماً وجاء اليه وقال له قد اغتبتك وقلت عنك كذا وكذا اجعلني في حل فافعل بجمله في حل . هل هو خطيء بكونه لم يجعله في حل ؟ وهذا الذي اغتابه بقى عليه تبعه منه أم لا ؟ \*

\* (اجاب) \* رضى الله عنه ليس عليه ان يجعله في حل ولكن حرم نفسه فائدة العفو ومثوبة اسماف السائل والتبعة باقية على الغتاب وينبغي أن يكتر من ان يقول اللهم اغفر لي ولن اغتبه ولن ظلمته وقدروى في حديث لا أعلم بقوى اسناده « كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبت » وان لم يثبت فله اصل والله أعلم \*

\* (مسألة) \* فن اغتاب هل الاستغفار كفارة الغيبة والحديث عنه صلى الله عليه وسلم ( كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبت ) مع أن الحديث غير ثابت وان كان اسناده قوي فله اصل في الكتاب العزيز والحديث الصحيح ؟ وهل يجوز اذا كانوا جماعة قد اجتمعوا على الخير وبينهم اخ من الاخوان وطريقته طريفة دبرها يجتمع ببعض الاخوان ويقول قد وجهني اليك يقول لك حدثني بما عندك ومراذه بهذا ان يصبر ما عنده وما يكون ذلك وجهه الا كذب من عنده ويحیی الى المشايخ يمتحنهم ويدخل عليهم بالكذب ويقول أنت شيخى ويقول للاخر أنت شيخى ويخرج من عندهم ويقتابهم ويؤذيهم بلسانه فهل يجوز ان يحذر الناس والمشايع والاخوان من هذا الرجل ؟ \*

\* (اجاب) \* رضى الله عنه الاستغفار لمن اغتتبه كفارة ذلك والحديث وان لم نعرف له اسنادا يثبت فمعناه يثبت بالكتاب والسنة المعتمدة أما الكتاب فقوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات) وان كان هذا نزل في الصلوات فهو عام والعام لا يختص بالسبب وقد بين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعاذرى الله عنه «اتبع السيئة الحسنة تمحها» وأما السنة منها هذا ومنها حديث حذيفة أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرب لسانه على أهله فقال له «اين أنت من الاستغفار»؟ وذرب اللسان على الغير اخوالفية فان كلاهما أو كلاهما جنايات اللسان على الغير، وأما التحذير من الرجل الموصوف فحسن بشرط أن يكون المقصود نصيحة المخدور وما هو من الأغراض الدينية الصحيحة من غير ان يشوبه غير ذلك مثل أن يتصد التفكه بعرضه أو التشنى منه ونحو هذا والله أعلم \*

\* (مسألة) \* هل يجوز للانسان ان يقرأ القرآن ويهديه لوالديه ولاقاربه خاصة ولأموات المسلمين عامة؟ وهل تجوز القراءة من البعد والقرب أم على القبر خاصة؟ وهل يجوز للشخص ان يسمع كلام المظلوم على الظالم وهو ان يقول لآخيه أو لصديقه ياخى ظلمنى وأخذ من عرضى وشتمنى ذلك الفاعل الصانع وتكلم فى حقه بما لا يحمل فهل يجوزلى سماعه أم لا؟ \*

\* (اجاب) \* رضى الله عنه اما هذا القرآن ففيه خلاف بين الفقهاء والذي عليه عمل اكثر الناس تجوز ذلك وينبغى أن يقول اذا اراد ذلك اللهم أوصل ثواب قراءته لفلان ولنى يد فيجمله دعاء ولا يختلف فى ذلك القرب والبعد وأما سماع كلام المظلوم فى ظالمه فهو فرع على كلام المظلوم فاجاز للمظلوم ان يقول لجائر زفيره سماعه ومالا فلا يجوز الاصفاء اليه والنقل الذى هو جاز للمظلوم ما يدعوا حاجته اليه على وجه الشكابة أو على وجه الايضاح لكونه قد ظلمه او على وجه آخر من الاحتجاج لنفسه عليه مثل قول أحد المتخاصمين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جعل اليمين على خصمه يا رسول الله انه فاجر لا يتورع عن شئ، والله أعلم \*

\* (مسألة) \* قول لا إله إلا الله فى دفع الوسوسة نافعة هل على ذلك دليل؟ \*

\* (اجاب) \* رضى الله عنه قول لا إله إلا الله له أثر بين فى تنوير القلب ولذلك اختاره جماعة من الشايخ لاهل الخلوة وقد علم أن الشيطان الوسواس الخناس اذا ذكر الابد الله تعالى يحنس أى يتأخر ويعد ولا إله إلا الله فى أول درجات الذكرفانه التوحيد الناصع

الباهر والله اعلم \*

﴿مسألة﴾ في رجل يمدح فتفرح نفسه ويذم فتتألم نفسه ورجل اذا مدح بما فيه يكره ذلك فهل هذا الفرح مقبول من النفس في الشرع أو مذموم التقبل له؟ والذي يكره المدح في نفسه لا يجب ان يمدح فهل هذا موافق في الشرع؟ \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه هذا كله يختلف باختلاف مستنده في السرور والكرامة فاذا سر بالمدح لمادل عليه من انعام الله تعالى عليه بالستر والقبول مع عدم الاعجاب وغيره من الأخلاق الذمومة فلا بأس وكذلك اذا تأذى بالذم كما يتأذى بذيره من انواع البلاء مع سلامته من السخط ونحوه فلا بأس به واذا كره المدح تخوفا من الفتنة والمعجب ونحو ذلك فلا بأس والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ في تحمل المن بأى شئ يزول مع كون الانسان فقيرا ماله شئ فاذا جاءه شئ من الناس كيف الطريق فيه ان يأخذه ولا يكون عليه منة من اعطاه؟ وعند موت المسلم الذي يرى به عند الموت واذا رآه عرفه في الدار الآخرة بتلك الرؤية الأولية او يطريق اخرى بين لنا هذا بدليل من الكتاب والسنة والاجماع وهل يجوز ان يعطى الله سبحانه لولى من اوليائه انه من اهل الجنة بالهام يلهمه الله سبحانه وتعالى اياه أو يخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو طريق آخر؟ بين لنا الطريق ووضح دلالة لاشك فيها ولا ريب، والالهام الذى هو من الله تعالى عرفنا ماهيته في الانسان كيف هو؟ حتى يعرف \*

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه يتفق حال المعطى فاذا وجدته معطيا لله تعالى فاخذه من الله تعالى لانه وعده مجرد سبب وحقق النظر الى السبب ذهبت المنه وطاحت ان شاء الله تعالى، واما رؤية المؤمن ربه تعالى بعد موته فخالف لرؤيته له تبارك وتعالى في الآخرة فان تلك رؤية البصر من العين الجسدانية بخلاف هذه التى هي ادراك من الروح فحسب والدم عند الله تعالى، ويجوز أن يعرف المؤمن كونه من اهل الجنة بخبر من الرسول صلى الله عليه وسلم كما في النفر الذى شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وهم العشرة . واهل بدر وعائشة ، وثابت بن قيس بن شماس ، وخديجة في سادة آخرين ، وأما تفسير ذلك فكلا وانما يرجو رجاء مرحوم تخوف ، وقد اختلفوا في أن الولي هل يجوز أن يعرف كونه وليا فنهى من قال يجوز ذلك لكن قال ليس من شرط الولاية سلامة العافية فاذا لم يلزم على هذا من معرفته لكونه وليا معرفته لكونه من اهل الجنة، وأما الالهام فهو حق خاطر من الحق

سبحانه وتعالى فمن علاماته ان ينشرح له الصدر ولا يعارضه معارض من خاطر آخر والله أعلم \*  
 \* (مسألة) \* كلام الصوفية في القرآن كالجنيد وغيره وكان السائل عن هذا منكراً مسمع  
 من ذلك وكان يجالس شيخاً من المفتين فخرى ذلك في مجلسه فابتدأ الشيخ يقول قال كالمستحسن  
 لكلام الصوفية، وقال أيضاً لا يريدون تفسير القرآن وإنما هم معاني يجدونها عند التلاوة،  
 وقال أيضاً يقولون (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) قالوا هي النفس \*  
 وكان الشيخ المفتي يشرح ذلك ويقول أمرنا بقتال من يلينا لانهم أقرب إلينا وأقرب شر إلى  
 الانسان نفسه، وقال الشيخ أيضاً يقولون إننا أرسلنا نوحاً إلى قومه يقولون نوح العقل والغرض  
 أنهم يلقي الله عندهم من كلامه ما ينتفعون به هذا قد صدر عن اكابرهم الجهم الغفير واتم بذلك  
 اعلم والسائل هكذا ليس بمجاهل وليس عزمه الاعتضاد بما يسمع من الشيخ تقي الدين ايده  
 الله تعالى واحداً لا يجمل ان قوله سبحانه وتعالى (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ليس المراد  
 به النفس وأن المراد ظاهر ومن قال غير ذلك فهو غلطى \*

\* (أجاب) \* رضى الله عنه وحدث عن الامام أبي الحسين الواحدى المفسر رحمه الله  
 تعالى أنه قال صنف ابو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير فان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد  
 كفر، وأما أقوال الظن عن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك انه لم يذكره تفسير او لا  
 ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا  
 مسالك الباطنية وأما ذلك ذكر منهم لتظير ما ورد به القرآن فان التظير يذكر بالتظير فمن ذلك  
 قال النفس في الآية المذكورة فكانه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع  
 ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس والله أعلم \*

\* (مسألة) \* رجل طلب العلم وهاجر اليه من وطنه فسمع داعياً إلى الزهد في الدنيا وله  
 نفس جموح وخلف أن لا ينجو من آفات الدنيا مع النفس الامارة بالسوء فالحيلة في نجاته؟ وبم  
 يكون العلاج للنفس الجموح؟ وماذا يقرب من الله الزهد والعلم والسياسة والعزلة؟ \*

\* (أجاب) \* رضى الله عنه سبيله والله الموفق المهادى ان يزهد في الدنيا ولكن زهد  
 الراشدين المالين لازهد الجاهلين فيطلب العلم غلصاً لله تعالى متقرباً به اليه ولا يترك السبب  
 الذى يفتيه عن الحاجة الى الناس ولا يمتثل الناس بل يقيم بينهم صابراً عليهم مصححاً نيتهم  
 فى ذلك فان هذه طريقة الأنبياء والخلفاء وأئمة المتقين ويجاهد نفسه بالعلم وآدابهم وتسديده  
 وتقويمه وليس الطريق الى السلامة من الآفات الحرب من الناس ولا متابعة القوم الذين

تظاهروا بالفقر والزهد، غير ملتفتين إلى الشرية المظهرة وآدابها بل معرضين عن ذلك وعمّا شرّ حناه، معتمدين على خواطرهم، متمسكين برسوم لا أصل لها في الشرية معترضين بأحوال لم يأت بها كتاب ولا سنة، زاعمين أنهم مع الحقيقة وليس عليهم الوقوف مع الشرية فإن هذا سبيل المرورين المفتونين وطريق المضلين الدجالين والسالك لمسلّكهم قارع لباب الالحاد وهو الخلفيه عن قريب يشهد بما ذكرته اعلام العلوم والمعارف وبراينها والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ رجل قال إن الله لا يسمع دعاء ملحونا قليل وما الدعاء الملحون؟ قال إن يدعو الانسان بالجزم ويقول بالرفع قال له الآخر بل هو أن يقول يا رب قصر عمر فلان أو قصر رزق فلان أو خذ من جملة الدعاء الملحون \*

﴿اجاب﴾ رضى الله عنه ليس ما ذكره الثاني من الدعاء الملحون نعم هو من الاعتداء في الدعاء الذي ورد النهي عنه إذا كان قصده بالدعاء على فلان غير صحيح فإن كان صحيحاً بان كان في قصر عمره صلاح للمسلمين لظلمه أو نحو ذلك فليس اعتداء ثم إن الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غير الملحون لا يقدر في الدعاء و يعذره والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ قراءة القرآن بمد صلاة الصبح أفضل أو بمد صلاة المغرب أى الوقتين أفضل؟ \*  
 ﴿اجاب﴾ رضى الله عنه في كل واحد من الوقتين فضل وفي ادراك الأفضل عسر و يظهر أنه بمد صلاة الصبح أفضل لما يرجح أن ياحقه برك عاصمة له في نهاره الذي هو مائة تصرفاته وتقليباته والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ رجل له والد والوالد غير مفتقر اليه في القيام بأموره من اتفاق عليه أو مباشرة لخدمة بل لا يمكن ولده من ذلك فأحب الولد الانقطاع إلى الله تعالى والتفرغ لعبادته في قرية لعله أن مقامه في البلدة لا يسلم فيه من المأثم لمخالطة الناس الابعثاق يضعف عزمه عن تجشدها ووالده يكره مفارقتة و يتألم لهامع أن له أولاداً يأنس بهم غير هذا الولد فهل يحل له مخالفة الوالد والانتقال إلى القرية بنية طلب سلامة دينه والتفرغ للعبادة أم لا يحل له مخالفته في ذلك؟ وسيتبع هذه المسألة ثلاث مسائل \* إحداهما لو كان دينه في المقام سالماً لكنه في الانتقال أكثر توفر على العبادة هل الأولى المقام أو الانتقال مع مخالفة الوالد؟ \*

﴿المسألة﴾ الثانية لو كان الانتقال لطلب الراحة والتزهد هل له مخالفته في ذلك أم لا هذا كله مع تهتده لوالديه بالزيارة في المسائل المذكورة كلها والسؤال في ذلك عن تعريف الباح والاولى مفصلاً \*

﴿المسألة الثالثة تعرف العقوق ماهو؟﴾

(أجاب) رضى الله عنه لا يحل له ذلك ومخالفة الوالد في ذلك مع تأله لها محرمة وعليه الطوعية له في الاقامة والحالة هذه ثم ليجاهد نفسه في التصوف بما يحرم دينه بسبب مخالطة الناس فلا يخالط من جانب الطريق المحمود ولا يجالس من شأنه الفرية ولا يكثر مع الناس بين المتقبض والمنبسط بل يفتان عن الامام الشافعي رضى الله عنه انه قال الانقباض عن الناس مكسبة للمداوة والانبساط محبة لقرناء السوء فكثير بين المتقبض والمنبسط وليصح نيته في مواتاة والده وطاعته فانها من أسباب السعادة في الدارين وثبت في الحديث الصحيح أن بر الوالدين يقدم على الجهاد فكيف لا يقدم على ما ذكرناه هذامع أن ما يرجوه في القرية يناله في البلدة بمحضرة والده ان استمسك وانما هذا خاطر فاسد من عمل الشيطان وتسويله، وقد جاء ان أوسا القرني فوت محبة النبي صلى الله عليه وسلم والمسير اليه من اليمن بسبب براءته بامه وحمد على ذلك، وفي هذا جواب المسألة الثانية وايضاح لكون المقام اولى وكذلك المسألة الثالثة فلا تحل مخالفة مع تأله بها بسبب التنزه أصلاً وأما ان العقوق ماهو فانا قائلون فيه ان العقوق المحرم كل فعل يتأذى به الوالدان او نحوه تأذيا ليس بالهين مع كونه مالىس بمحسنة ومخالفة أمرها في كل ذلك عقوق وقد أوجب كثير من العلماء طاعتها في الشبهات وليس قول من قال من علمائنا يجوز له السفر في طلب العلم وفي التجارة بغير اذنها مخالف لما ذكرته فان هذا كلام مطلق وفيما ذكرته بيان لتقييد ذلك المطلق

﴿مسألة﴾ رجل تصدق بصدقة التطوع على صلحاء علماء الأمة وسبق الى الآخذ الأخذ من الله تعالى لامن معطى الصدقة فايهما أفضل يد المعطى ام الآخذ؟

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه المعطى عطاء يمد من الله تعالى خير من الآخذ اخذاً يمد من الله وان غفل عن السبب ولحظ السبب في الجائين دون الآخر فالأفضل هو الذي وجد فيه ذلك والله أعلم \*

### ﴿القسم الثالث فيما يتعلق بالعقائد والاصول﴾

فمن ذلك \*

﴿مسألة﴾ امام الحرمين والامام الغزالي والامام أبو اسحق رضى الله عنهم هل بلغ أحد من هؤلاء الأئمة المذكورين درجة الاجتهاد في المذهب على الاطلاق أم لا؟ وما حقيقة الاجتهاد على المذهب؟ وهل بلغ أحد منهم درجة الاجتهاد على الاطلاق؟

﴿اجاب﴾ رضي الله عنه لم يكن لهم الاجتهاد المطلق وبلغوا الاجتهاد المقيد في مذهب الشافعي رضي الله عنه ودرجة الاجتهاد المطلق تحصل بتمكنه من تعرف الاحكام الشرعية من ادلتها استدلالا من غير تقليد والاجتهاد المقيد درجة تحصل بالتبحر في مذهب امام من الائمة بحيث يتمكن من الحاق ما لا ينص عليه ذلك الامام بما نص عليه معتبرا قواعد مذهبه واصوله \*

﴿مسألة﴾ كتاب من كتب اصول الفقه ليس فيه شيء من علم الكلام ولا منطق ولا ما يتعلق بنبر اصول الفقه فهل يحرم الاشتغال فيه او يكره وهل يسوغ انكار الاشتغال به وحالته ماذ كرسوى ذلك؟ \*

﴿اجاب﴾ رضي الله عنه لا يحرم ولا يكره اذ لم يكن فيه مع ذلك تقرير بدعة او امالة الى فلسفة بان يكون مصنفه من أهلها وكلامه في كتابه في اصول الفقه يؤثر بحسن كلامه حتى في الفلسفة كما وقع في كلام هذا التابع في عصرنا او نحو هذا وشبهه فاذا سلم عن كل ذلك فلا اشتغال به يكون مع صحة العقيدة وكيف لا وهو باب التحقيق في الفقه وعماده والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ ما الفرق بين القياس والاستدلال فانه يتفرع على ما يتفرع عليه القياس فان كان مدلول الاسمين واحدا فواجه تنوع الاسمين؟ وان كان اثنين فخال كل واحد من القياس والاستدلال بمحيطه \*

﴿اجاب﴾ رضي الله عنه الفرق بين القياس والاستدلال أن القياس يشتمل على اصول وفروع يجمع بينهما بجامع والاستدلال ليس كذلك من اللازم الذي هو مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) والله أعلم \*

﴿مسألة﴾ هل كان داود الظاهري صاحب المذهب رضي الله عنه ممن يستدبه في انمقاد الاجماع في زمانه ام لا؟ وهل كان بحيث اذا حدثت حادثة في زمانه تخالف فيها وحده بمدخارها للاجماع وكذلك من لم يرتقض الوضوء بالنوم الا اذا اخبر بخروج الحدث كسعيد بن المسيب وابي موسى الأشعري وهل ينمقد الاجماع بدونهم ام لا؟ \*

﴿اجاب﴾ رضي الله عنه اما الاعتداد بداود رحمه الله في الاجماع وفاقا وخلافا مما وقع فيه الاختلاف بين الفقهاء والاصوليين منا ومن غيرنا فذكر الاستاذ الامام ابواسحق الاسفرائيني رحمه الله ان أهل الحق اختلفوا فذهب الجمهور منهم الى أن قاعة القياس لا يلغون منزلة الاجتهاد ولا يجوز توليهم القضاء وهذا ينفي الاعتداد بداود في الاجماع وقيل



صاحبه الاستاذ ابو منصور البندادى عن ابن على بن ابى هريرة وطائفة من متأخري الشافعيين انه لا اعتبار بخلافه وسائر نقاة القياس في فروع الفقه لكن يعتبر خلافهم في الأصوليات، وقال الامام ابو المالى ابن الجوينى ما ذهب اليه ذوو التحقيق ائلا نعتد منكرى القياس من علماء الأمة وحلة الشريعة فانهم اولامباهتون على عبادتهم فيما ثبت استفاضة وتوازرا، وایضافان معظم الشريعة صادرة عن الاجتهاد والنصوص لاتنى بالعشر من معشار الشريعة فهو لا يلتحقون بالموام وكيف يدعون مجتهدين ولا اجتهاد عندهم؟ وهذا منه نوع افراط، وكان أبو بكر الرازى من أئمة المحققين يذهب في داود وأضرابه الى نحو هذا المذهب وبنو فذ كرداود في مقدمة كتابه في احكام القرآن ومال عليه وقال فيما قال لو تكلم داود في مسألة حادثة في عصره وخالف فيها بمض اهل زمانه لم يكن خلافا عليهم قال وكان ينسب حجج المقول ومشهور انه كان يقول بل على المقول: وقال بعد كلام كثير لاجل ذلك لم يعد خلافة احدهم الفقهاء ولم يذكروه في كتبهم فقد انقعد الاجماع على اطراحه وترك الاعتداده هكذا رأى الرازى فيه وهو كما ترى لا يخلو عن نوع من الحيف الذى قد كان منه وكان شديد الميل والمصيبة على من خالفه من حيث انه وصف داود في هذا الموضع من كبائر مما ياباه عنه الثابت المعروف من زهده وتحريره والذى اختاره الاستاذ ابو منصور في هذا وذكر أنه الصحيح من المذهب انه يعتبر خلافة الفقه الذى استقر عليه الامر آخرها فيما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة التأخرين من الثنين اوردوا مذاهب داود في اثبات مصنفاتهم المشهورة في الفروع كالشيخ أبى حامد الاسفراينى وصاحبه الحاملى وغيرهم فانهم قالوا لولا اعتدادهم بخلافه لما اوردوا مذاهبه في امثال مصنفاتهم هذه لنا فاة موضوعا لذلك، وبهذا أجيب مستخيرا لله تعالى مستعينا بما بناء داود من مذاهبه على أصله في نقي القياس الجلى ومما اجمع عليه القياسيون من انواعه أو على غيره من أصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفق من عداء في مثله على خلافه اجماع منعقد، وقوله في مثله معدود خارقا للاجماع وكذلك قوله في التقوط في الماء الراكد وتلك المسائل المتسمة فيه بخلافه في هذا وامثاله غير معتد به لكونه مبني على ما قطع يطلانه والاجتهاد الواقع على خلاف الدليل القاطع كاجتهاد من ليس من أهل الاجتهاد في ازالها بمنزلة ما لا يعتد به وينقض الحكم به وهذا الذى اخترته (٢٥ - فتاوى ابن الصلاح)

يثبت بدليل القول بحريز تجزء منصب الاجتهاد وقد تقرر جواز ذلك فان العالم قد يكون مجتهدا في نوع دون غيره والعلم عند الله تعالى :ثم لا فرق فيما ذكرناه بين زمانه وما بعده فان المذاهب لا تموت بموت اصحابها، فلما لم يرق نقض وضوء النائم الا اذا اخبر بخروج حدث كابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب رضى الله عنهما ان كان سعيد قال كذلك فانه غير معروف عنه فالاجماع لا ينعقد مع خلافا فان ابا موسى احد فقهاء الصحابة من المفتين في عصرهم وكان سعيد صدرا في العلم والفتيا وغيرها في ذلك الصدر ويرجع على اجلاء التابعين وكان السؤال عن انعقاد الاجماع في هذه المسألة خاصة على خلاف هذا القول فعدم انعقاده فيها في ذلك العصر لازم من هذا واما فيما بعده فقد اجمع على خلافه فمن قال ان الاجماع بعد عصر المختلفين على احد قولهم اجماع صحيح رافع للخلاف فقد تحقق عنده انعقاد الاجماع في المسألة على خلاف ذلك القول ومن قال انه لا يرفع الخلاف فلا اجماع في هذه المسألة مطلقا وهذا هو المذهب الصحيح في ذلك والله أعلم \*

\*(مسألة)\* جماعة من المسلمين المنتسبين الى أهل العلم والتصوف هل يجوز لهم ان يشتغلوا بتصنيف ابن سينا وان يطالعوا في كتبه، وهل يجوز لهم ان يقتدوا أنه كان من العلماء أم لا؟ \*

\*(أجاب)\* رضى الله عنه لا يجوز لهم ذلك ومن فعل ذلك فقد غدر بدينه وتعرض للفتنة العظمى ولم يكن من العلماء بل كان شيطانا من شياطين الانس وكان حيران في كثير من امره ينشد كثيرا \*

ان كنت ادرى فعل بدنه من كثرة التخليط افمن أنه

\*(مسألة)\* فيمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعلما وتعلما وهل المنطق جملة وتفصيلا مما اباح الشارع تعلمه وتعليمه والصحابة والتابعون والائمة المجتهدون والسلف الصالحون ذكروا ذلك أو اباحوا الاشتغال به أو سوغوا الاشتغال به أم لا؟ وهل يجوز ان تستعمل في اثبات الأحكام الشرعية الاصطلاحات المنطقية أم لا؟ وهل الاحكام الشرعية مفتقرة الى ذلك في اثباتها أم لا؟ وما الواجب على من تلبس بتعليمه وتعلمه متظاهرا به؟ ما الذي يجب على سلطان الوقت في امره واذا وجد في بعض البلاد شخص من أهل الفلسفة معروفا بتعليمها واقراءها والتصنيف فيها وهو مدرس في مدرسة من مدارس العلم فهل يجب على سلطان تلك البلدة عزله وكفاية الناس شره؟ \*

\*(أجاب)\* رضي الله عنه الفلسفة أس السفه والانهلال. ومادة الحيرة والضلال. ومثار الزيف والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة، المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة، ومن تلبس بها تلبا وتعلما قارنه الخذلان والحرامان، واستحوذ عليه الشيطان، وأى فن أخزى من فن يعمى صاحبه ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وكلا غفل عن ذكره غافل مع انتشار آياته المستبينة ومعجزاته المستتيرة حتى لقد اتدب بعض العلماء لاستقصائها فجمع منها ألف معجزة وعددها مئرا اذ فوق ذلك باضفاف لا تحصى فانها ليست محصورة على ما وجدناها في عصره صلى الله عليه وسلم بل تجدده بعدة صلى الله عليه وسلم على تعاقب العصور وذلك ان كرامات الأولياء من امته واجابات المتوسلين به في حوائجهم واغاثاتهم عقيب توسلهم به في شدائهم براهين له قواطع ومعجزات له سواطع ولا يمد لها عاد ولا يحصرها حد اعادنا الله من الزيف عن ملته، وجعلنا من المهتدين المهادين بهديه وستته \* وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة ومدخل الشر شر وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما اباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدى به من اعلام الامة وساداتها وان كان الامة وقادتها قدبر الله الجميع من مرة ذلك وادناسه فطهرهم من اوصابه، واما استعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحذرة وليس بالأحكام الشرعية والحمد لله افتقار الى المنطق اصلا وما يزعمه المنطق للمنطق من أمرا الحد والبرهان فمما قد اغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسبابا من خد من نظريات العلوم الشرعية ولقد تمت الشريعة وعلومها وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماؤها حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة ومن زعم انه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ومكر به فالواجب على الساطعان ان يدفع عن المسلمين شر هؤلاء الدياشيم ويخرجهم عن المدارس ويعيدهم ويقاب على الاشتغال بفنهم ويعرض من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الاسلام لتخدم نارهم وتمحي آثارها وآثارهم يسر الله ذلك وعجله ومن أوجب هذا الواجب عزل من كان مدرس مدرسة من أهل الفلسفة والتصنيف فيها والاقراء لها ثم سجنه والزامه منزله وان زعم انه غير متقدم لمبادئهم فان حاله يكذبه والطريق في قلع الشر قلع اصوله واتصاف مثله مدرس من العظامم حله، والله تعالى ولي التوفيق والصمة وهو أعلم \*

﴿مسألة﴾ قول بعض المصنفين مستدلاً على إثبات القياس بخوض الصحابة رضى الله عنهم في حوادث حجة واختلافهم فيها وذكر من جعلتها مسألة الجد والاختوة قائلاً انهم قضوا فيها بقضايا مختلفة وصرحوا فيها بالشبه بالحوصين والخليجين ما وجه الشبه وما ضبط اللفظين الشبه بها وقول بعضهم بلغ الاعلى مراتب الاعيان فليسلخ المسلم فيه أعلى مراتب الديون ما المراتب المشار اليها في اصل القياس وفرعه؟

﴿أجاب﴾ رضى الله عنه اما الشبه بالخليجين فنن على رضى الله عنه انه اتى رد القول من اسقط الأخ بالجد فشبّه ذلك بواد سال عمائه فان شجعت فيه شعبة ثم انشعبت الشعبة شجعتين فلو سدت احدى هاتين الشجعتين لرجع ماؤها على الشعبة الباقية من الشجعتين وعلى الشعبة التي هي أصلها فلذلك اذا مات احد الأخوين اخذ ميراثه اخوه الباقي والجد الذى هو أصلهما جميعاً، وشبه ذلك زيد بن ثابت رضى الله عنه بشجرة خرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصنان ولو قطع احد الغصنين لرجع ماؤه على الغصن الباقي من الغصنين وعلى الغصن الذى هو أصلهما لذلك من خلفه البيت من اخوته مع الجد الذى هو أصلهم فأما ما ذكر من التشبه بالخوصين فوجوده في المستعنى في أصول الفقه وذلك لا يعرف ولا أراه إلا تصحيحاً من الخطوتين، والخطوط بضم الخاء المنقوطة والطاء المهملة وهو الغصن الناعم فاعلم ذلك والله أعلم، وأما قول القائل بلغ رأس المال الى آخره فهذا دليل يذكر من النعم من السلم الحال وأعلى مراتب الأعيان أن ينضم الى العينية القبر في مجلس المقد، وأعلى مراتب الديون أن ينضم الى الدينية وصف الأجل ثم انه لا يتوقف صحة العبارة على تبيين الزيادة على مرتبتين فلسنا نكافئه والله أعلم.

﴿مسألة﴾ قال بعضهم عن الامام مالك رضى الله عنه انه جمع بين السنة والحديث. ﴿أجاب﴾ رضى الله عنه السنة هنا ضد البدعة وقد يكون الانسان من أهل الحديث وهو مبتدع ومالك رضى الله عنه جمع بين السنتين فكان عالماً بالسنة أى الحديث ومعتقد السنة أى كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة والله أعلم.

﴿مسألة﴾ في لفظ الاسلام هل هو مخصوص بهذه الأمة أم يطلق على كل من آمن بنبيه من أمة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى نبينا وتسليمه؟ فاذا جاز إطلاقه على كل من آمن بنبيه من سائر الأمم فهل إطلاقه عليه شرعى أم لغوى؟ من حيث

أنه متقاد مطيع فاذا جاز إطلاقة على كل من آمن بنبيه في زمن نبيه شرعاً فما فائدة قوله عز وجل ( ورضيت لكم الاسلام ديناً ) إذ كل منهم يسمى مسلماً وهل قول القائل في زمن موسى صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله موسى رسول الله ؟ كقول أحد هذه الأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله في هذا الزمان ويكون لفظه شاملاً لها ويسمى كل منهما مسلماً \*

﴿ أجب رضي الله عنه ﴾ بل يطلق على الجميع وهو اسم لكل دين حق لفة وشرعاً فقد ورد ذلك بالفاظ راجعة الى هذا في كتاب الله تعالى منها ( ورضيت لكم الاسلام ديناً ) لا ينبغي أن يرضاه لغيرهم ديناً، وقول القائل في زمن موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم لا إله إلا الله موسى رسول الله إسلام كئله الآن والله أعلم \*  
﴿ مسألة ﴾ فيمن يمتد أن في ملك الله تعالى ما لا يرضاه ولا يريد فهل هو مخطئ أو مصيب في هذا القول والاعتقاد أم لا \*

﴿ أجب رضي الله عنه ﴾ أصاب في قوله يوجد ما لا يرضاه تبارك وتعالى مثل الكفر قال الله تعالى ( ولا يرضى لعباده الكفر ) وضل وابتدع في قوله انه يوجد ما لا يريد بل ذلك محال ، ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قد فرق بين الرضا والارادة ، ثم مالكم وللخوض في هذا البحر المفرق عليكم بالدمل ففيه شغل شاغل والله أعلم \*  
﴿ مسألة ﴾ طائفة يمتقدون ان الحروف التي في المصحف قديمة والصوت الذي يظهر من الأدمى حالة القراءة قديم كيف يحل هذا ومذهب السلف بخلاف هذا ؟ ومذهب أر باب التأويل بخلاف هذا ، والمراد أن يفرق الانسان بين الصفة القديمة والصفة المحدثة حتى لا يتطرق الى النفس والعقل بسببه أن يفضى إلى الضلال أعاذنا الله من ذلك يئونا لنا هذا بالدليل العقلي والدليل الشرعي \*

﴿ أجب ﴾ رضي الله عنه الذي يدين من يقتدى به من السالفين والخالفين واختاره عباد الله الصالحون ان لا يخاض في صفات الله تعالى بالتكليف ومن ذلك القرآن العزيز فلا يقال : تكلم بكذا وكذا بل يقتصر فيه على ما انتصر فيه السلف رضي الله عنهم القرآن كلام الله غير مخلوق ويقولون في كل ما جاء به من التشابهات : آمنا به مقتصرين على الايمان جملة من غير تفصيل وتكليف ويمتقدون على الجملة ان الله

سبحانه وتعالى له في كل ذلك ما هو الكمال المطلق من كل وجه ويعرضون عن الخوض خوفا من أن تزل قدم بمد ثبوتها فيهم فاقتدوا تسلموا، وإلى هذا الطريق رجع كثير من كتاب المتكلمين المصنفين بعد أن امتعضوا بما نالهم من آفات الخوض فيها ورد عليك شيء من هذه المسائل فاعتقد فيها أنه تعالى ما هو الكمال المطلق والتغزيه المطلق ولا تخض فيما وراءه بحرى الإيمان الرسل والتصديق الجميل والله أعلم \*

\*(مسألة)\* رجل يعتقد أن يزيد بن معاوية رضي الله عنه أمر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما واختار ذلك ورضيه طوعا منه لا كرها ويورد في ذلك أحاديث مروية عن قتله ذلك الأمر وهو مصر عليه وبسه ويلمع على ذلك والمسؤول خطوط السادة العلماء ليكون رادعاً له أوجه له \*

\*(أجاب)\* رضي الله عنه لم يصح عندنا أنه أمر بقتله رضي الله عنه والمحفوظ أن الأمر بقتاله المفضى إلى قتله كرمه الله إنما هو عبيد بن زياد وإلى العراق إذ ذاك من شأن المؤمنين وإن صح أنه قتله أو أمر بقتله وقد ورد في الحديث المحفوظ أن لعن السلم كقتله وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك وإنما ارتكب عظيماً وإنما يكفر بالقتل من قتل نبياً من الأنبياء والناس في يزيد ثلاث فرق، فرقة تجبه وتتولاه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك وشبههم، وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين ويلم قواعد الشريعة الطاهرة جعلنا الله من خيار أهلها آمين \*

\*(مسألة)\* المبتدع، والفاسق، والغضب، والنلّين لنا هذا المجموع ؟ \*

\*(أجاب)\* رضي الله عنه كل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدع والمراد الذي تخرجه بدعته عن الإسلام وهذا لأن البدعة فساد في العمل مع سلامة العقيدة والغضب مفارق للنل وما يفرقان فيه أن قد يكون يؤمر به كالغضب على العاصي لله تعالى من أجله والنل لا يؤمر به وأيضاً فالنل فساد في القلب يتعلق بالغير مثل الحقد والحسد والبغض وإن لم يكن من ذلك الغير سبب عامل به صاحب النل أثاره عليه وأما الغضب فمن شرطه أن يكون من المفضوب عليه جناية يعدها الذي غضب جناية موجبة لغضبه والله أعلم \*

تمت مجموعة فتاوى العلامة ابن الصلاح والحمد لله ويتلوها فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني \*

الجواب الكافي عن السؤال الخافي . تأليف الشيخ الامام  
العالم العلامة شيخ الاسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر  
العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ رحمه الله تعالى والمسلمين

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما يقول ) سيدنا  
ومولانا قاضي القضاة نفع الله المسلمين ببركة علومه في الميت اذا ألحد في قبره وغاب عن  
البصر وجاءه منكر ونكير ( هل ) يقدمو يسأل او يسأل وهو راقد ؟ ( وهل ) تلبس الروح  
الجنة كما كانت الحياة ام لا ؟ وكيف الحال ؟ وبعد السؤال اين تقيم الروح ؟ ( وهل ) تقيم على القبر  
ابداً ام احيانا تصعد وتاتي ؟ ( وهل ) اذا أهيل عليه التراب ولقن من فوق القبر هل  
يسمع كلام من يلقنه ويثنيه وبين الميت مسافة بعيدة ( وهل ) يعلم الميت من يزوره  
ويفرح بذلك ؟ ( وهل ) اذا جاءه منكر ونكير ماذا يقول لان له ؟ ( وهل ) يكشف له في الحال  
حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له مات قول في هذا الرجل ؟ ( وهل ) عذاب  
القبر على الروح ام على الجنة ام عليهما ؟ ( واذا ) ثبت اقامة الروح على القبر اين تكون  
على اللحد ام على قافية القبر ؟ ( وهل ) يفرس الريحان والجريد على متن القبر ام على قافية  
اللحد ام كيف الحال ؟ ( واذا ) قرأ رجل غريب واهدى تلك القراءة للميت هل يصل من  
تلك القراءة للميت شيء ؟ ( وهل ) للانسان تصرف في الاعمال كما نقله ابن عبد السلام  
ام كيف الحال ؟ ( واذا ) نقل الميت من مكان الى مكان هل تستقل روحه الى القبر الثاني  
ام لا ؟ ( وهل ) اذا دفنت الرقة في مكان والجنة في مكان اين تكون الروح في المكانين ؟  
( وهل ) للانسان اذا احتضر هل الافضل كثرة الدالجة ام عدما ؟ ( وهل ) تارك الصلاة  
ومانع الزكاة وتارك صوم رمضان هل يحبس على جسر من جسور جهنم حتى يؤديها ؟

(وهل) في القيامة هل أم كيف الحال؟ (وما تقول) في رجل مؤدب أطفال في فؤاده مرض لا يستطيع أن يقيم بلا حدث أكثر من أداء الفريضة ثم يحدث ولو تواضاً كلها أحدث لاستغرق اليوم كله فهل يرخص له أن يمس المصحف لأجل الضرورة أم لا؟ (وهل) الملائكة الكرام الكاتبون يجلسان على قبر الميت ويستغفران له كما رواه الترمذي؟ (وهل) هما الملاكان اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه سائق وشهيد أم غيرهما؟ (وهل) يكون يوم الحشر على كل قدم سبعون ألف قدم (١)؟ (وهل) تندنو الشمس من رأس الخلائق كما قيل؟ (وهل) هذه الأجساد اذابلت وفيت و اراد الله تعالى اعادتها هل يميدها كما كانت أو انه يخلق للناس اجساداً آخر غير الأجساد الأولى؟ (وهل) تكون العينان في الرأس أم في الوجه؟ (وهل) يكون الخلق كلهم طولا واحدا أم مختلفين كما نحن الآن الوانا أم كيف الحال؟ (وهل) تحشر الناس في القيامة بشعور أم بغير شعور؟ (وهل) يعرف الناس بعضهم بعضاً أم لا؟ (وهل) يميت الله المصاة من هذه الامة إمائة صفى أم كيف الحال؟ وما حكم الله في ذلك ؟ افتونا مأجورين أنا بكم الله الجنة بمنه وكرمه \*

### قال الشيخ تصفحت الاسئلة والجواب عليها وبالله التوفيق

(اما السؤال الاول) وهو هل يقعدان الميت أم يسألانه وهو راقد (فالجواب) انها يسألانه وهو قاعد كما جاء في حديث البراء المشهور وصححه ابو عوانة واخرجه أحمد بن حنبل في مسنده (واما السؤال الثاني) وهو هل تلبس الروح الجنة كما كانت اولاً (فالجواب) نعم لكن ظاهر الحديث انها تحمل في نصفه الأعلى (واما السؤال الثالث) وهو اين تقيم روحه بعد السؤال (فالجواب) ان ارواح المؤمنين في عليين و ارواح الكفار في سجين ولكل روح اتصال وهو اتصال معنوى لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا بل أشبه شئ به حال النائم انفصالا وشبهه بعضهم بالشمس أى بشعاع الشمس وهذا مجمع ما افرق من الاخبار ان محل الأرواح في عليين وفي سجين ومن كوف أفتية الأرواح عند أفتية قبورهم كما نقله ابن عبد البر عن الجمهور (وأما الرابع) هو هل يسمع الميت التلقين (فالجواب) نعم لوجود الاتصال الذى أشرنا اليه ولا يقاس ذلك على حال الحى اذا



كان في قبر بثر ردم فانه لا يسمع من هو على البثر (وأما الخامس) وهو هل يعلم الميت من زوره (فالجواب) نعم اذ قد يعلم اذا اراد الله تعالى ذلك فان الارواح مأذون لها في التصريف فتأوى الى عملها في عليين أو سجين كما جاء في الحديث الصحيح «ان ارواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة» وهو في الصحيح، وجاء عن أحمد بن حنبل مثل ذلك في ارواح المؤمنين، وفي رواية في الصحيح «تأوى إلى قناديل تحت العرش» وكل ذلك لا يمنع الاتصال الذي تقدم ذكره ومن يستبعد ذلك فسيه قياسه على الشاهد من أحوال الدنيا، وأحوال البرزخ بخلاف ذلك (وأما السادس) وهو هل المذاب على الروح أو الجسد (فالجواب) أنه عليهما لكن حقيقته على الروح وتألم الجسد مع ذلك ويتم مع ذلك لكن لا يظهر أن ذلك لمن يشاهده من أهل الدنيا حتى لو نبش على الميت لوجد كهيته يوم وضع (وأما السابع) وهو ما يقول منكر ونكير (فالجواب) أنه مصرح به في حديث البراء الطويل عن أحمد بن حنبل في مسنده، وفي حديث أبي هريرة عند ابن حبان (وأما الثامن) وهو هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم الخ (فالجواب) أن هذا لم يرد في خبر صحيح وإنما ادعاه من لا يحتاج به بنير مستند إلا من جهة قوله في هذا الرجل وان الإشارة بلفظة هذا تكون للحاضر وهذا لا معنى له لانه حاضر في الذهن (وأما السؤال التاسع) وهو أين مقر الروح فقد تقدم ذكره، والحاصل أن لها اتصالاً معنواً تألم بتأله وتتم بمنمه كما قررناه أولاً (وأما الماشر) وهو موضع غرس الجريد والريحان (فالجواب) أنه ورد في الحديث الصحيح مطلقاً فيحصل المقصود بأي موضع غرس في القبر (وأما الحادى عشر) وهو هل يصل ثواب القراءة للميت في مسألة مشهورة وقد كتبت فيها كراسة، والحاصل أن أكثر المتقدمين من العلماء على الوصول وإن المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والاكتفاء منه (وأما الثانى عشر) وهو هل للانسان تصرف في الأعمال كما قاله ابن عبد البر (فالجواب) يعرف من الذى قبله (وأما الثالث عشر) وهو نقل الميت (فالجواب) نعم قد قدمنا أن الروح وان لم تكن داخلة في جسد الميت لكن لها منه اتصال فالى أى موضع نقل فذلك الاتصال مستمر (وأما الرابع عشر) وهو اذا فرق بين الجسد والرقبة (فالجواب) ان الروح متصلة بكل

(٦٢ - فتاوى ابن حجر)

منهما ولو فرق بعدد أعضاء الميت فالجواب كذلك ( وأما الخامس عشر ) وهو هل يشرع في علاج المحتضر ( فالجواب ) انه اذا انتهى الى حركة المذبوح فترك العلاج أفضل وإلا فالعلاج مشروع وربك على كل شيء قدير ( وأما السادس عشر ) وهو حال من أخل بشيء من العبادات هل يقضيها يوم القيامة ( فالجواب ) أنه لا قضاء هناك بالعقل وإنما قضاؤه أن يؤخذ من نوافل ذلك العمل فيكمل به ما وقع الخلل من فرائضه فان لم يكن له نوافل فمن حسناته من جنس آخر فان لم يكن له حسنات فيطرح عليه بمقدار ما بقى عليه من السيئات إلا أن يمفو الله ويسمح ( وأما السابع عشر ) فجوابه يعرف من الذي قبله ( وأما الثامن عشر ) وهو مؤدب الأطفال ( فالجواب ) أنه يسامح مثله لما ذكر من المشقة ولكن يتيمم فان زمنه أسهل من زمن الوضوء فان استمرت المشقة فلا حرج والله أعلم ( وأما التاسع عشر ) وهو هل للملكان اللذان يجلسان عند القبر هما الكاتبان كما رواه الترمذي ( فالجواب ) أن الذي يظهر ان كان الحديث ثابتاً أنهما اللذان كانا يكتبان في الدنيا الأعمال ومنه يخرج الجواب عن السؤال ( وأما العشرون ) وهما الملكان اللذان قال الله تعالى فيهما ( سائق وشهيد ) فمنده أنهما هما بخلاف من فسرهما بغيرها وقد اختلف في ذلك على أقوال ذكرها الطبري وغيره ( وأما السؤال الحادى والعشرون ) وهو هل تدنو الشمس من الرأس يوم القيامة ( فالجواب ) نعم هو حق ورد به الحديث الصحيح فوجب الايمان به ( وأما الثانى والعشرون ) وهو هل في القيامة شمس ( فالجواب ) نعم لكن في الموقف ثم تطرح الشمس والقمر بعد ذلك في النار اذا انقضى أمد الموقف ( وأما الثالث والعشرون ) وهو هل يخوض الناس في المرق ( فالجواب ) نعم ثبت ذلك في الحديث الصحيح أن منهم من يلجمه العرق الجاما ومنهم من يصل الى صدره والى ركبتيه وغير ذلك على قدر أعمالهم ( وأما الرابع والعشرون ) وهو هل تعود الأجساد كما كانت أو لا ( فالجواب ) نعم ان الذي يبيده الله تعالى هي الأجساد الأولى لا غيرها وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندى فقد أخطأ لخالفته ظاهر القرآن والحديث ( وأما السؤال الخامس والعشرون ) وهو هل يعين ( فالجواب ) أنهما في الوجه كما كانت في دار الدنيا وورد أنهما في الرأس ولكن ظاهر الحديث ان جوابه صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين حيث استعظمت كشف الموراث

فأجابها صلى الله عليه وسلم بأن ( لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه ) عن النظر الى غيره ففيه إشارة الى أن العيتين في الوجه كما كانت في الأول والله أعلم ( وأما السادس والعشرون ) وهو طول الناس في الموقف ( فالجواب ) أن كل واحد منهما يكون على مامات عليه وعند دخول الجنة يصيرون طول واحد في الحديث يمت كل عبد على مامات عليه وفي الحديث في صفات أهل الجنة ما ذكر ( وأما السابع والعشرون ) وهو هل لهم شمر ( فالجواب ) نعم يمشون كذلك ثم يدخلون الجنة جرءا مرءا كما ثبت في الحديثين المذكورين ( وأما الثامن والعشرون ) وهو هل يمت الله العصاة من هذه الأمة الخ ( فالجواب ) نعم ثبت ذلك في الصحيحين بل في الصحيح أن من يدخل النار من عصاة هذه الأمة يمتهم الله إمامة صغرى ثم يخرجهم بالشفاعة فيلقون في نهر الحياة هما ينبتون كما ثبت الجنة في حبل السيل \*

انتهى آخر الأسئلة والأجوبة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين \*

## منظومة فى التصوف

للامام العالم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعيد  
الأخضرى المغربى رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول راجى رحمة المقتدر  
بمحمد رب العالمين أبتدى  
يا طالباً علا كمال قدسه  
إعلم بأن الجوهر الانسانى  
منشؤه فى العالم الملوى  
لانه فى الأصل من جنس الملك  
فهذه الجوهرة النفسية  
دائرة التطهير والكمال  
شيان منها حجاب ظاهر  
فالظاهر الموائد الجسميه  
من شهوة رياسة ودعوى  
فالول يدعى الحجاب الحسى  
فن يكن لنفسه مككباً  
إذ تمجج المرأة بالصداء  
ومن أجاد الصقل بالمجاهده  
وصار فى طى النفوس باديا  
وظهرت خوارق المعادات  
وعادت الحقيقة النفسية  
وطهر القلب من الأدغال  
لكن أنواع المجاهدات  
تقواه وإستقامة وكشف  
فأى من أشد للحزم عرى

المنذوب العبد الذليل الأخضرى  
ثم صلاته على محمد  
وقاصداً الى علاج نفسه  
وهو الذى يدعونه الروحاني  
مستودع فى القالب الجسمى  
فصار مركزاً بعالم الحلك  
بالأصل فى الدائرة القدسية  
وعاتها عن ذاك الاتصال  
وباطن فى النفس أى سائر  
والباطن الموائى النفسية  
وتزغة الشيطان وهى البلوى  
والثانى يدعى بالحجاب النفسى  
على هواها لم يزل محتجبا  
عن انطباع صور الأشياء  
رقى مقام الكشف والمشاهدة  
جميع ما كان لها محاذيا  
عليه من صقالة المرأة  
لأصلها فى الحضرة القدسية  
إذ حل فى درجة الكمال  
بحسب المقام للسادات  
وذاك مابه القلوب تصفو  
وضل برضى النفوس مؤثرا

حتى إذا صحت سماء القدس  
حيث قد تبدو شمس النيب  
وانطلعت في وسط الرآة  
وازخرت حدائق القلوب  
ووابل الأسرار بالقلب انسجم  
واعلم بأن رتبة الكمال  
مطلوبة في النفس على الحب في  
من بعد ارعاد الرعود الساتقه  
حتى إذا شربت الأشجار  
ولانت الاعراق بارتوائها  
واهتزت الاغصان بالرياح  
والقصص عند القوم بالرعود  
ثم انسكاب مطر الوعظ على  
حتى يلين قلبه للفكرة  
حتى إذا هبت رياح الحال من  
واستخرجت ثمار غصن القلب  
يبدو لقاح العلم والأعمال  
فيبد ما تحصل اللقاح  
وظهر الأزهار في الاغصان  
وجالت الرياح في الأشجار  
حيث قد تنمقد الأزهار  
كذلك من بعد لقاح العلم  
وهو ظهور العلم والعبادة  
لان من صح له الاخلاص  
وحكمة تجرى على لسانه  
وربما هبت على الاعمال  
فتجبط الجبل من الطامات

بترد مركوم سحب الحس  
مشرقة بمرصات القلب  
صور (١) الأمور الملكوتيات  
بثمرات الكشف والقيوب  
وانفجرت منه ينابيع الحكم  
وخارق العادات في المثال  
أكممه ظهوره منها يفي  
ثم انسكاب المصبرات الرائقة  
وزال عن أغصانها الغبار  
وسريان الماء في أرجائها  
نهياً الثمار للقاح  
قدح رعود الوعد والوعيد  
بصورة المرء لكي يمتثلا  
وينتفى عنه غبار الغفلة  
خزانة الوعظ عن القلب الفطن  
بزهراها فيبد هذا الخصب  
بقدر ما للقلب من كمال  
إذ هب في أرجائها الرياح  
وكان الاعتدال في الزمان  
وسقط الجبل من الثمار  
وازخرت بحبها الاشجار  
والعمل الازهار عند القوم  
على الجوارح مع الزيادة  
صح له التحصيل والخلاص  
وطاعة تجرى على أركانه  
ريح الرياء الموبق الرجال  
وهذه من أعظم الآفات

فالعاملون فى الوردى كثير  
 والمقد للامال فى الطريقة  
 وربما هبت رياح العجب  
 فاسقطت من ذلك الكثير  
 إلا قليلا من عباد الله  
 الذمواهل شهود المنه  
 وبعد ان ثبت ذا المقدارا  
 فان جناها ربها بالشهرة  
 وحيث بالحوول قد أخفاها  
 تمت من بعد كمال الطيب  
 بترك الاغترار والأمان  
 تزخرفت وحسنت الزاد  
 وان يكن أمهلها فتقرب  
 وآل كده إلى الضياع  
 وهذه طريقة القطاع  
 ماحل منها بسلام الطور  
 واعلم بان طرق التطهير  
 اقربها تقما طريق الذكر  
 لكن بشرط الخوف والحضور  
 فمن تك الغفلة والأمان  
 وحال بينه وبين ربه  
 واحدقت بقلبه غشاوة  
 كم باذل قواه فى الاذكار  
 وذاك من وساوس الشيطان  
 فصالج الخواطر الرديه  
 هيئات أن بطمع فى الابصار  
 هل يرتقى بسلم المالى  
 والثابتون عملا يسير  
 ثبوتها بالحال والحقيقة  
 ونحوه فى عرصات القلب  
 وتركت منه زها يسيرا  
 تمسكوا فيها بجمل الله  
 الطاعنو القطاع بالأسنة  
 ففى الصلاح يأخذ الثمارا  
 لم يكمل الطيب لتلك الثمرة  
 تبلنت فى الطيب منهاها  
 ان صانها بالحفظ والترتيب  
 ورفع صور محكم البنيان  
 ونال منها غاية الراد  
 ثمارها كل يد فتخرب  
 إذ ماله فيه من انتفاع  
 ما جابها غير فقى شجاع  
 إلا امرؤ مؤيد بالنور  
 كثيرة عند ذوى التنوير  
 بسرعة يزيل كل ستر  
 مع اذكار هية المذكور  
 فى ذكره حجب الشيطان  
 يتنفه وساوساً فى قلبه  
 فلم ينق بالذكر من حلاوه  
 ولم يبدل الذكر من ثمار  
 يهيج بالغفلة والامان  
 بالدفع فعى حجب قوه  
 من قلبه فى الهنيان جارى  
 من قلبه فى عالم الخيال

لن يستقيم القلب للتوجيه  
 كيف يصح فتح باب القدس  
 لن يصل العبد الى مولاه  
 حتى اذا نهاره تجلى  
 فاجل أخى همك هما واحداً  
 ومن شروط الذكر ان لا يستقطا  
 فى البعض من مناسك الشريعة  
 والرقص والصراخ والتصفيق  
 وانما المطلوب فى الاذكار  
 وغير ذا حركة نفسه  
 فواجب تنزيه ذكر الله  
 عن كل ما تقوله اهل البدع  
 فقد رأينا فرقة ان ذكروا  
 وصنعوا فى الذكر صنعا منكر  
 خلوا من اسم الله حرف الهاء  
 لقد أتوا والله شياً إذا  
 والالف المحذوف قبل الهاء  
 وغرم اسقاطه فى الخط  
 قد غيروا اسم الله جل وعلا  
 تفرم مذاقة طبعية  
 فزعموا ان لهم أسراراً  
 وزعموا ان لهم احوالاً  
 والقوم لا يدرون ما الأحوال  
 حاشا بساط القدر والكمال  
 قد ادعوا من الكمال متهمي  
 والجاهلون كالحير الموكفه  
 وهل يرى بساحل الأنوار  
 مادام هذا الهذيان فيه  
 مادام فى القلب غبار النفس  
 مدة ما ليل الهوى ينشاه  
 بفتح باب الملكوت الألى  
 تكن لما تطلبه مشاهدا  
 بمض حروف الاسم أو يفرطاً  
 عمدا فذلك بدعة شنيعة  
 عمدا بذكر الله لا يبق  
 لذكر بالخشوع والوقار  
 الا مع القلبية القويه  
 على اللبيب الذاكر الأواه  
 ويقتدى بفعل ارباب الورع  
 تبتدعوا وربما قد كفروا  
 صعباً جاهداً جهاداً أكبر  
 فالحدوا فى اعظم الأسماء  
 تخر منه الشائعات هذا  
 قد اسقطوه وهو ذواخفاء  
 وكل من يتركه فخطيء  
 وزعموا نيل الراتب الملا  
 سببها حركة نفسية  
 وان فى قلوبهم انواراً  
 وانهم قد بلغوا الكمالاً  
 فكونها لثلم محال  
 تطلوه حوافر الجهال  
 يكل عن تحصيله اولوالنهي  
 والعارفون سادة مشرفه  
 من لى فى بحر الظلام سارى

وقال بعض السادة المتبعة      في رجز يهجو به البتدعه  
 ويدكرون الله بالتفكير      ويشطحون الشطح كالخير  
 وينبحون النبح كالكلاب      طريقهم ليست على الصواب (١)  
 قلت وشاع امر الاشتباه      في التذاكرين باسم الله  
 فمن يكن مشهوراً بالذكر      فشرطه من خشية وفكر  
 جرى لسانه على الأذكار      ومطرت سحائب الانوار  
 حتى إذا مزجت الأذكار      بالقلت واستنارت الافكار  
 تأنس القلب بذكر الله      وصار طول الدهر غير ساه  
 حتى اذا استنارت السريرة      وانبث معنى الذكرفى البصيرة  
 وغرست فى وسط الجنان      شجرة تزيق كل جان  
 دائمة الظلال والثمار      وتمتها جداول الانهار  
 وانقطعت علائق الشيطان      وطهرت بصيرة الانسان  
 ونقشت فى قلبه علوم      وابديت فى سره فهوم  
 ولان قلبه وقد اصابا      فى القلب نحو السكوت بابا  
 فاقى من القى فمال النفس      إذ حل فى شاطئ وادى القدس  
 وآنس النور بذاك الوادى      يفوز من شجرة النادى  
 افك بالواد المقدس طوى      فيكتسى من حلل النور قوى  
 وربما يزجى به سحابا      يفيض من ارجائه شرابا  
 فيرتقى الصب عليه شرابا      فيستز يد طربا وجبا  
 وربما خامرته التملى      فتتمت به صعقة التجلى  
 اذ ذاك فليفرع الى الصلاة      فانها تقضى الى النجاة  
 اياه ان يضره الخيال      فيزدرى بقلبه الخيال  
 قرب سالك رأى شرابا      بقيمة يظنه شرابا  
 يا جاهلا بمنصب الكمال      وطالبا حضيض الانفال  
 الست ذا عقل وذا بصيره؟      الم تكن منور السيره؟

(١) وفى نسخة زيادة

وليس فيهم من قى مطيع      فطنة الله على الجميع



حجت بالملائق النفسية عن هذه المراتب القدسية  
 رضيت بالمراتب الخسيسه يجهلك المراتب النفيسه  
 دوائر الحس عليك مطبقه وحضرة الكمال عنك مقلقه  
 يامولما بالالم الجسماني فكم خدمت الجسم بإبطال (١)  
 هلا خدمت الروح يامغرورا هيات قد حجت عنك النورا  
 يا جاهلا بعالم الارواح حجب (٢) عنك السر بالاشباح  
 فلو علمت هذه التجاره لم تعتبر من دونها خساره  
 يا جاهلا بقلبه وما حوى مشتتلا بالشهوات والهوى  
 لو غصت في بحرك يامغرورا وجدت فيه لؤلؤا مثورا  
 ولو تركت العالم الجسماني لذقت سر العالم الروحاني  
 وكل مشغول بعالم الجسد فذاك محجوب عن الله الصمد  
 فلتشتغل بالعالم الروحاني وأترك سبيل العالم الجسماني  
 واخرق حجاب النفس بعد الجسم ترى الكمال في بساط العلم  
 فمن سعى في خدمة الموضوع فذاك محجوب عن الطلوع  
 اذ أول السلوك ترك ذلك وبمده يسلك في المسالك  
 نعم بقدر القوة النفسية لم تتصل بالحضرة القدسية  
 فابذل قواك في علاج النفس من كل وصمة بها ولبس  
 حتى اذا صحت سماء القدس بانسها عن طبقات النفس  
 فعنده شمس شهود الحق مشرقة على بروج الصدق  
 هيات ان يطا (٣) بساط القدس مكبل بشهوات النفس  
 هيات ان يطا البساط الأحق كيف ينال السر من لا يصدق  
 هيات ان يرقى المقام العالي من كان للنفس مطيما باليا  
 وهل يطا مساجد الانابه من لم يزل بمحدث الجنابه  
 كيف قبيد الشكل مرآة الصدا ام كيف تمشوقلقتها القذى  
 عجبت من مسافر يشكو الظما وحوله عذب فوات ايما

(١) بطل على وزن حزام ففتح أوله كثير البطالة (٢) بتشديد الجيم (٣) بدون

إثبات الهمزة للوزن وكذلك في البيت الثاني بمده \*

(٧٢) — منظومة الأخرى في التصوف

|                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| ماحل وفد الراصدين مرصدا       | ورام حزب الواردين موردا    |
| الا باخاص البطون والسفر       | والصمت والمزلة عن كل البشر |
| والزهد فى الدنيا وتقصير الامل | وفكرة القلب واكثر العمل    |
| والخوف والذكر بكل حال         | والصبر والقوت من الحلال    |
| وفعل انواع المعاملات          | وفعل اركان المجاهدات       |
| من بعد تحصيل فروض الدين       | علما واعمالا بنير مين      |
| فأين حال هؤلاء القوم          | من سوء حال فقراء اليوم؟    |
| قد ادعوا مراتباً جليسه        | والشرع قد تجنبوا سييله     |
| قد نبذوا شريعة الرسول         | والقوم قد سادوا عن السبيل  |
| لم يدخلوا دائرة الحقيقة       | كلا ولا دائرة الطريقة      |
| لم يقتدوا بسيد الأنام         | فخرجوا عن ملة الاسلام      |
| لم يدخلوا دائرة الشريعة       | وأولعوا يسدع شنيعه         |
| لم يعملوا بمقتضى الكتاب       | وسنة الهادى الى الصواب     |
| قد ملكت قلوبهم أوهام          | فالقوم إبليس لهم إمام      |
| كفاك فى جميعهم خيانه          | ان اخططوا الذنى بالديانه   |
| واتهكوا محارم الشريعة         | وسلكوا مسالك الخديمه       |
| من كان فى نيل الكمال راجيا    | وعن شريعة الرسول نائيا     |
| فانه مبلس مفتون               | أو عقله مخبل مجنون         |
| هذا محال لا يصح أبدا          | لان سيد الورى باب الهدى    |
| وقال بعض السادة الصوفيه       | مقالة جليلة صفيه           |
| اذا رأيت رجلا يطير            | او فوق ماء البحر قد يسير   |
| ولم يقف عند حدود الشرع        | فانه مستدرج وبدعى          |
| واعلم بأن الخارق الروحاني     | لتابع السنة والقرآن        |
| والفرق بين الافك والصواب      | يعرف بالسنة والكتاب        |
| والشرع ميزان الأمور كلها      | وشاهد بفرعها وأصلها        |
| والشرع نور الحق منه قد بدا    | وانفجرت منه ينابيع الهدى   |
| و قال بعض اولياء الله         | السالكين لصراط الله        |
| من ادعى مراتب الجمال          | ولم يقم بأدب الجلال        |

فأرفضه انه الفتى الدجال ومن تحلى بحلى العالى  
ففر منه انه الشيطان يا صاح لا تعباً بهؤلاء  
باؤا بسخط وضلال وقلى ان تنظر البهموت بالعرش يناط  
هذا زمان كثرت فيه البدع وخسفت شمس الهدى واظلت  
والدين قد تهدمت اركانه وظلمات الزور والبهتان  
لم يبق من دين الهدى إلا اسمه هيئات قد غاضت بنابيع الهدى  
اين دعاة الدين اهل الدلم وماجت الطائفة الدجاجة  
وكثرت اهل الدعاوى الكاذبه فالقوم إذ زاغوا أزاغ الله  
وجاء فى الحديث عن خير الورى حتى تقوم قبله دجاجة  
من لم يلج بالنهج المهدى هيئات ان يطمع فى نيل الوفا  
فانه هو السراج الأنور فكل من يرغب عن سنته  
من حاد عن سنته فقد غوى والمصطفى خير وسيلة الى  
صلى عليه الله ما هب الصبا يا ايها المنلول فى سجن الهوى  
وجد كل الجدد فى إصفائه ولازم التفويض والانابة  
ليس له التحقيق والكمال وبمحدود الله لم يسأل  
مخادع ملبس خواف ذوى الخنا والزور والاهواء  
لم يلفوا مراتب المجد الى اويلج الجمل فى سم الخياط  
واضطربت عليه امواج الخدع من بعد ما قد بزغت وكلت  
والزور طابق الهوى دخانه تزخرفت فى جملة الأوطان  
ولا من القرآن إلا رسمه وقاض بحر الجهل والزيغ بدا  
قد سلفوا والله قبل اليوم السالكون للطريق الباطله  
وصارت البدعة فيهم غالبة قلوبهم فانسلكوا وتاهوا  
لن يخرج الدجال اعنى الأكربا كل يلوذ بطريق باطله  
باء بسخط الله طول الأمد من حاد عن شرع النبي المصطفى  
وباب حضرة الاله الأكبر فليس عند الله من امته  
وفى غيابات الضلال قد هوى إلحنا رب السموات العلى  
وما اليه قلب عاشق صبا أقبل لما عليه قلبك انطوى  
تستخرج المكثور من ادجائه فهذه طريقة الصحابه

تآنت قلوبهم بالله فاطلصوا اوقاتهم لله  
 واستغرقوا اوقاتهم بالطاعة  
 الناس في جوف الظلام هجموا  
 و القوم فيه سجد وركع  
 حثوا مطايا الحزم في جوف الدجى  
 تطلع شمسهم اذ الليل سجا  
 ففي النجاة لهم كؤوس  
 تحيا بها الارواح والنفوس  
 هم الهداة بهداهم اقتد  
 الى مراتب الوصول تهتدى  
 واكشف حجاب السر بالتفريد  
 بالعالم الاسنى مع التجريد  
 ترى الغيوب كلها جليه  
 وترقى للحضرة العلية  
 ما زال عن مرآته كشف الفطا  
 فأي من آدم من قرع الباب  
 فانه يرتقب الفتوحا  
 من قطع الملائق النفسيه  
 حتى يصير صدره مشروحا  
 فاشدد ازار الحزم والمجاهده  
 ولج باب الحضرة القدسيه  
 وقف على باب الكريم باكيا  
 عساك ترق منبر المشاهده  
 معترفا بالذنب والجنایة  
 وكن هناك خائفا وراجيا  
 فليس بالباب الكريم غالقا  
 عساه ان يمن بالهدايه  
 والصدق والاخلاص في الامور  
 اذا توجه الريد صادقا  
 يا عاشقا في الدرجات العاليه  
 شرط به يكون قدح النور  
 مانا لها ذو المعجز والتواني  
 اعلم بان الصفقات غاليه  
 فاحل الى الميمن القدوس  
 قد اظحن والله من زكاه  
 واخرق حجاب السبعة الاطوار  
 ترى من السر المصون عجبا  
 وتبصر النفوس مستيره  
 لى ترى دقائق الاسرار  
 القلب كالرآة للتجلي  
 وترقى في الدرجات رتبا  
 القلب عرش سره الرباني  
 جارية في فلك البصيره  
 يصفوها صقالة التخلي  
 ترى من السر المصون عجبا  
 القلب هو لوحك المحفوظ  
 حاضرة لا قرب والتداني  
 فاقرا سطور لوحك المكنون  
 ياربها القرب الملحوظ  
 يريك سر أمره المصون

القلب سر الله في الانسان  
وهو من عرش السماء أكبر  
أعنى حديث الوسع للتجلى  
القلب مشكاة التجليات  
القلب كنز من كنوز الله  
القلب من عجائب الرحمن  
فالروح باب الحضرة القدسية  
وأما يفتح بالاذكار  
إذا اعتراك سقم في القلب  
فان تكن لم تنتفع بالذكر  
فاخلع نعال الكون جملة وجى  
كيف تنادى للتناجى في طوى  
لوزهدت عن الحجا اكداره  
فن رأى بواطن الاواني  
من غير ما كسب له يمانى  
والنبيب معجوب عن النفوس  
لن يستفيد المرء علما بالاله  
فان ترد معرفة بالرب  
ولا تعد غيره موجودا  
وكن على بصيرة في الدين  
وكن على حدوده محافظا  
إذ ذاك فلتفرع الى التخلى  
ولازم الذكر بكل حال  
فان تخف شيأ من الأنفاس  
ولا تزال واقفاً بالباب  
حتى ترى المهمة قد تجمعت  
وكل ما ينشأ في السبيل  
وذكر أهل الفضل والبصائر

وعرشه المحيط بالاكران  
وذاك معنى في الحديث يذكر  
فاعرف زمام قلبك الاجل  
مها خلا من جملة الآفات  
وفيه باب ملكوت الله  
أودعه في عالم الابدان  
تحجبه الملائق النفسية  
لجازم بالليل والنهار  
فافزع الى الذكر ولذبالرب  
فاندب على نفسك طول الدهر  
تكن على طور الناجاة نجى  
والقلب تحت قهر سلطان الهوى  
لجاء بهد ليله نهاره  
وفهم الاسرار والماسانى  
فذلك المخصوص بالتداني  
بهذيان العالم المحسوس  
وفى الحجا لمة لمن سواه  
فارغب اليه صادقا بالقلب  
فتمتدى عن بابه مطرودا  
بالعلم والتحقيق واليقين  
وكن لهذا الهذيان رافضا  
وبعد فافزع الى التجلى  
وفر من طوارق الخيال  
فذاك من علامة الافلاس  
وذا كراً للملك الوهاب  
وفكرة الانسان قد توسمت  
من وارد فانقله للدليل  
بوارق الثلاثة الدوائر

دائرة الاسلام والايمان      فوقها دائرة الاحسان  
 وذاك باللسان والجنان      والروح وهو منصب الاحسان  
 فالقلب ترجمانه اللسان      والروح ترجمانه الجنان  
 فلا يزال باللسان يذكر      حتى يصير أبداً لا يفتر  
 حتى اذا ما استفرق اللسان      فيه اليه التفت الجنان  
 حتى يصير القلب ليس يفتر      فيصمت اللسان وهو يذكر  
 حتى اذا استولى عليه الذكر      ولم يكن له عليه صبر  
 واتسمت دائرة الأفكار      وأومضت سواطع الأنوار  
 توجه القلب الى مولاه      ولم يلد بأحد سواه  
 ولا يزال ذاكراً بقلبه      وجامعاً همه لربه  
 حتى يصير لفظه منتسحاً      ويرجع المعنى به مرتسحاً  
 وصار كالغذاء للقلوب      كالجسم بالمطعم والمشروب  
 فتستفيق الروح من غمائها      إذ بث نور الذكر في أرجائها  
 حينئذ تنفدح الأنوار      وتظهر الغيوب والأسرار  
 وان للحقيقة النفسه      رجوعها للحضرة القدسه  
 ولاح أنوار الغيبات      وذاك مبدأ الكشافات  
 وهاتها مواقف عظيمه      وفن خطوبها جسيمه  
 تزل في خلالها الأقدام      وكم تضل عندها الأحلام  
 فان يقف بها امرؤ منها سلب      وعن جميع الدرجات قد حجب  
 وكم أخى جهل بذاك طردا      والله يهدي من يشاء للهدا  
 فمن يقف لفن البدايه      حجب (١) عن مراتب النهايه  
 فان يكن مقصوده متحدا      ولم يكن ملتقاً لما بدا  
 فذاك بالغ الى مقصوده      وواقف بين يدي معبوده  
 فيكشف الحجاب عن بصيرته      وتقذف الأنوار في سريره  
 ولا يزال جملة الأوقات      يحجب أطوار التجليات  
 حتى يحمل بسنام الطور      فينتهى من لحظة السطور  
 فصار إذ ذاك يتاجى ربه      فزج في بحر العلوم قلبه  
 وفتح الباب له في قلبه      فصار منه آخذاً عن ربه

فرد نحو مركز البدايه  
وصار باب الله في عباده  
وصار وارثاً على الحقيقة  
فهذه طريقة الرجال  
وكثر اللبسون فيها  
وأسفأ على الطريق السابله  
قد أحدثوا طريقة بدعيه  
ياعجباً لرافض الشريعه  
وكيف يرقى سلم الحقيقة  
واحسرتا على الطريق المستقيم  
قد أشرفوا على كهوف الكفر  
واتخذوا مشايخاً جهالاً  
لم يقفوا عند حدود الله  
فنفروهم من دعاة الدين  
فأعرضوا عن سبل الرحمن  
وهدموا قواعد الاسلام  
وعكسوا حقائق الأمور  
وجعلوا ملء البطون اصلهم  
بمداً لقوم ألدوا في الدين  
واولموا بالافك والتليس  
وأسفاه على حماة الدين  
آه على طريقة قد ذهبت  
وهاج إفك المدعين فيها  
آه على طريقة الكمال  
آه على طريق أهل الله  
طريقة أفسدها اهل البدع  
طريقة أفسدها الفجار  
وظهرت في جملة البلاد

إذ حل في درجة الولايه  
يستخرج الحكمة من فؤاده  
ومرشداً لسائر الخليقه  
وآل أمرها الى الزوال  
وصار ذو البدعة يدعيها  
أفسدها الطائفة الدجاجة  
ورفضوا الطريقة الشرعيه  
ويدعى درجة رفيعه  
مخالفاً لسيد الخليقه  
قد ادعاه كل أفك أثم  
وستروا بدعتهم بالفقر  
لم يعرفوا الحرام والحلالا  
وسنة المهادي رسول الله  
اولى التقى والعلم واليقين  
واتبعوا مسالك الشيطان  
واعتبروا خرافات الأوهام  
ونصبوا جبال الفجور  
بنوا عليه امرهم وسبلهم  
واشتغلوا بطاعة اللعين  
تأسيأً بشيخهم إبليس  
أولى الذكا والعلم والتمكين  
وهدمت اصولها وقلبت  
وصار من يطلبها سفيها  
أفسدها طوائف الضلال  
آه على طريق حزب الله  
فتركت مهجورة لا تتبع  
فكثروا وانتشروا وثاروا  
طائفة البلع والازدراد

قد أحسن الوالد في العبارة      إذ قال قولاً صادقاً بالإشارة  
 فقال في أولئك الدجاجلة      مقالة صادقة وعادلة  
 (وزنتهم بالشرع فهو نائي      منهم كمثل الأرض والسماء  
 وزنتهم بمنهج الحقيقة      فلم أجدها منها لهم دقيقة)  
 وكان ينميه إلى الدخان      فارحه إذا بالفضل والاحسان  
 يا ويلتنا هذا زمان البدع      مات به أهل التقي والورع  
 واحسرتنا على الكرام البررة      قد أخلفوا بالمدعين الفجرة  
 وجدني العاذل يوماً باكياً      وبخداة سادتي منادياً  
 وأأسفا بادوا فن لي مرشداً      فقال جاهلاً بأمرى منشداً  
 يا أيها التائه في البيداء      مالي أراك دائم البكاء؟  
 أراك نائمًا على الآثار      والطلل البالي رسوم الدار  
 مهلاً على نفسك يامسكين      أخاف أن يأتيك اليقين  
 فقلت إني يا أخى أنوح      على فراق سادتي أصبح  
 قد رحلوا قاطبة وذهبوا      طراً وما علمت أين ذهبوا  
 ولا أزال هكذا مستمسكاً      عسى دليل القوم يسمع البكا  
 وإن أمت أموت في هوام      إذ ليس لي من سادة سوام  
 وأأسفا على الرجال الكاملين      قد ذهبوا بين العباد خاملين  
 فستروا بظلمات البدع      فلم يبين صادق من مدعي  
 وذهبوا لله فيمن ذهبوا      وسكنوا بالغلوات والربا  
 ومن يرد معرفة بالبدع      وما ابتى عليه أصل المدعي  
 ففي كتاب شيخنا الزروقي      عجائب فاتقة الزنوقي  
 ثم صلاة الله كل حين      على أجل من أتى بالدين  
 محمد سلطان أهل الحضرة      وآله أجل كل زمرة  
 في أربع وأربعين قد نجم      من عشر القرون قل هذا الرجز  
 ﴿تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه﴾



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المجاوبة التي بين هارون الرشيد وبين سفيان الثوري

وذكر الامام ابن بليان والفرزالي وغيرهما أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم لإسفيان الثوري فانه لم يأتهم وكان يئنه ويئنه صحة فشق عليه ذلك فكتب اليه الرشيد كتاباً يقول فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري أما بعد يا أخى فقد علمت أن الله أخى بين المؤمنين وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها جلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على افضل المحبة وأتم الارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله تعالى لأتيتك ولو جواً لما أجد لك في قلبي من المحبة وانه لم يبق أحد من إخواني واخوانك الا زارني وهنأتني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم المواهب السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وقد استبطأتك وقد كتبت كتاباً مني اليك أعطيتك بالشوق الشديد اليك وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي هذا فاعلم اني قد أعطيت الكتاب لبياد الطالقاني وامره بايصاله اليه وأن يحصى عليه بسمه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به قال عباد فانطلقت الى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده فلما رأيته على بعد قام وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق بطرق الابخير قال فنزلت عن فرسي يباب المسجد فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة فدخلت وسلمت فارتفع أحد من جلسائه رأسه ، الى قال فبقيت واقفاً ومامنهم أحد يمرض على الجلوس وقد علمتني من هيئتهم الرعدة

(م - ٨ فتاوى ابن الصلاح)

فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في عجابه  
فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه وأخذه وقلبه بيده ورماه الى من كان خلفه وقال ليقرأه  
بعضكم فاني استغفر الله ان أمس شيئاً من ظالم بيده قال عباد قد بعضهم يده اليه وهو  
يرتد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفیان يتبسم تبسم التمجيب فلما فرغ من قراءته قال :  
أقبلوه واكتبوا للظالم على ظهره فقيل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في ياض نق  
لكان أحسن فقالوا اكتبوا للظالم في ظهر كتابه فان كانا كتسبه من حلال فسوف يجزي  
به وان كانا كتسبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء من ظالم بيده عندنا فيفسد  
عليه اديننا فقيل له ما نكتب اليه؟ قالوا اكتبوا له ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من العبد  
الميت سفیان الى العبد المذنب بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الايمان ولذة قراءة  
القرآن أما بعد فاني كتبت اليك أعلمك أني قد صرمت جيلك وقطعت ودك وإنك  
قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال  
المسلمين فأنتفتحه في غير حقه وأنفذته بنير حكمه ولم ترض بما فعلته وأنت ناه عنى  
حتى كتبت الى تشهدني على نفسك فأما أنا فاني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين  
حضرنا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة غداً بين يدي الله الحكم العدل يا هارون  
هجمت على بيت مال المسلمين بنير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون  
عليها في أرض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن  
وأهل العلم بنى العاملين؟ أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل؟ أم رضى بذلك خلق من  
رعيتك؟ فشد يا هارون مئزرك وأعد للسائلة جواباً وللبلاء جلباباً واعلم أنك ستقف  
بين يدي الحكم العدل فاتق الله في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة  
القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً يا هارون  
قدمت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستوراً دون بابك وتشبهت بالحجة برب  
العالمين، ثم أقعدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون  
و يشربون الخمر ويمجدون الشارب ويزنون ويمجدون الزاني ويسرقون ويقطعون  
السارق ويقتلون ويقتلون القاتل أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن  
يحكموا بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غداً اذا نادى المنادى من قبل الله

أحشروا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم امام أو سائق الى النار؟ وكأني بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاتق الله ياهرون في رعيتك واحفظ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في أمته واعلم أن هذا الأمر لم يصير اليك إلا وهو صائر الى غيرك وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحداً بعد واحد ففهم من ترد زاداً ففهم ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإياك ثم إياك أن تكتب الى بعد هذا فاني لا أجيئك والسلام وألتي الكتاب منشوراً من غير طي ولا ختم فأخذته وأقبلت به الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبي فنادت يا أهل الكوفة من يشتري رجلاً هرب الى الله فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير فقلت لا حاجة لي بالمال ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية فأتيت بذلك فترعت ما كان على من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي الى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلاً فبرز بي من كان على الباب ثم استؤذن لي فلما رأي على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول اتفجع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا والملك يزول عني سريعاً فألقيت الكتاب اليه مثل ما دفع إلى فأقبل يقرؤه ودموعه تتحدر على وجهه وهو يشهق فقال بمض جلسائه يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفیان فلو وجهت اليه فأقلته بالحديد وضيق عليه السجن فجعلته عبرة لغيره فقال هرون اتركوا سفیان وشأنه يا عبید الدنيا الغرور من غررتموه والشقى والله حقاً من جالستموه ان سفیان أمة وحده ولم يزل كتاب سفیان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويكي حتى توفي رحمه الله تعالى \*

# التحفة العراقية

٢١

## الأعمال القليلة

---

للشيخ الامام العلامة خاتمة السلف وقنوة الخلف شيخ  
الاسلام أبي العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم  
المشهور بابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية

---

غيت بنشرها وتصحيحها ومقابلتها على أصولها للمرة الأولى

إدارة الطباعة الميرية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم \*

أما بعد فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان \*

فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين، والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مأمور وفعل محظور . والمقتصد المؤدى الواجبات والتارك المحرمات . والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وإن كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين . وأما بحسنات ماحية وأما بمصائب مكفرة وأما بغير ذلك وكل

من الصنفين المقتصدين والسابقين من اولياء الله الذين ذكرهم في كتابه ( ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ) فالولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون هم أعلى درجات كالأَنْبياء والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «يقول الله من عادى وليا فقد بارسن بالحقا ربة وماتقرب الى عبدى بمثل اداما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احبته كت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألتى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيننه وما ترددت عن شىء انا فاعل ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه» وأما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره. فالشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن ان يثاب ويعاقب وهذا قول اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائمة الاسلام واهل السنة والجماعة الذين يقولون انه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان. وأما القائلون بالتخليد كالحوارج والمعتزلة القائلون انه لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة وانه لاشفاعة للرسول ولا لغيره في اهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب

وعقاب وحسنات وسيئات بل من أئيب لا يعاقب ومن عوقب لم يثب ودلائل هذا الاصل من الكتاب والسنة واجماع الامة كثير ليس هذا موضعه قد بسطناه في موضعه. وينبئ على هذا امور كثيرة ولهذا من كان معه ايمان حقيقى فلا بد ان يكون معمن هذه الاعمال بقدر ايمانه وان كان له ذنوب كما رواه البخارى في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا كان يسمى همارا وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان يشرب الخمر ويجلله النبي صلى الله عليه وسلم فأتى به مرة فقال رجل لعنه الله ما اكثرت ما يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعه فانه يحب الله ورسوله ، فهذا بين ان المذنب بالشراب وغيره قد يكون محبا لله ورسوله وحب الله ورسوله أوثق عرى الايمان كما ان العابد الزاهد قد يكون لما في قلبه من بدعة ونفاق مسخوطا عند الله ورسوله من ذلك الوجه كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث على ابن ابي طالب وأبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر الخوارج فقال « يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم بقرؤن القرآن لا يجاوز خناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا عند الله لمن قتلهم لئن ادر كنتم لاقتلهم قتل عاد » وهؤلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امير المؤمنين على بن ابي طالب بامر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم في الحديث الصحيح « تمرق مارقة على خير فرقتمن المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين » ولهذا قال ائمة المسلمين كسفيان الثورى ان البدعة احب الى ابليس من

المعصية لان البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب مادام يراه حسناً لان اول التوبة العلم بان فعله سيء ليتوب منه او انه ترك حسناً مأموراً به امر ايجاب او امر استحباب ليتوب ويفعله فيما دام يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الامر فانه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعة بان يهديه الله ويرشده حتي يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف اهل البدع والضلال وهذا يكون بان يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى ( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ) وقال ( ولو انهم فعلوا ما يوعدون به لكان خيراً لهم واشد ثبوتاً واذلاً آتيناهم من لدنا اجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً ) وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ) وقال تعالى ( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ) وقال تعالى ( قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ) الآية . وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة . وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاهلوا فان ذلك يورثه الجهل والضلال حتي يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال تعالى ( فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ) الآية . وقال تعالى ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ) وقال تعالى ( وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم بها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وأبصارهم )

١ - محمد ١٧

٢ - النساء ٩٦

٣ - الحديد ٢٨

٤ - البقرة ٢٥٧

٥ - المائدة ١٥ - ١٦

٦ - الصف ٥

٧ - البقرة ١٠

٨ - الأنعام ١٠٩ - ١١٠



الآية وهذا استفهام نفي وانكاراي وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون وانا نقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة على قراءة من قرأ انها بالكسر تكون جزما بانها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبران من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان من عقوبة السيئة السيئة بعدها. وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجمة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتي يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتي يكتب عند الله كذابا » فآخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق أصل يستلزم البروان الكذب يستلزم الفجور . وقد قال تعالى ( ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ) ولهذا كان بعض المشائخ اذا امر متبعيه بالتوبة واحب ان لا ينفر ويتعب قلبه أمره بالصدق. ولهذا يكثر في كلام مشائخ الدين وائمتهم ذكر الصدق والاخلاص حتي يقولون قل لمن لا يصدق لا يتبعني ويقولون الصدق سيف الله في الارض ما وضع على شيء الا قطعه ويقول يوسف بن اسباط وغيره ما صدق الله عبد الا صنع له وأمثال هذا كثير. والصدق والاخلاص هما تحقيق الايمان والاسلام فان المظهرين الاسلام ينقسمون الى مؤمن ومنافق فالفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق كما في قوله ( قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ) الى قوله ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم

يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون).  
 وقال تعالى ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم  
 يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم  
 الصادقون ) فأخبر أن الصادقين في دعوى الأيمان هم المؤمنون الذين  
 لم يتعقب إيمانهم به وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم وذلك أن هذا  
 هو العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال تعالى ( وإذا أخذ الله  
 ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق  
 لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلکم  
 إصري ) الآية. قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن  
 بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على  
 أمته ليؤمنن به ولننصرنه. وقال تعالى ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات  
 وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه  
 بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله  
 قوى عزيز ) فذكر تعالى أنه أنزل الكتاب والميزان وأنه أنزل الحديد لأجل  
 القيام بالقسط وليعلم الله من ينصره ورسله ولهذا كان قوام الدين بكتاب  
 يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا والكتاب والحديد وإن  
 اشتركا في الانزال فلا يمنع أن يكون أحدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر  
 من حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى ( تنزيل الكتاب من الله العزيز  
 الحكيم ) وقال تعالى ( كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم  
 خبير ) وقال ( وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ) والحديد أنزل  
 من الجبال التي يخلق فيها وكذلك وصف الصادقين في دعوى البر الذي

١ - الحجرات ١٥

٢ - الحشر ٨

٣ - آل عمران ٨١

٤ - الحديد ٢٥

٥ - الزمر ١

٦ - هود ١

٧ - النمل ٦

هو جماع الدين في قوله ( ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ) الى قوله ( أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ) واما المنافقون فوصفهم بالكذب في آيات متعددة لقوله ( في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب عذاب اليم بما كانوا يكذبون ) وقوله ( اذا جاءك المنافقون قال نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ) وقال ( فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ) ونحو ذلك من القرآن كثير \*

وغما ينبغي أن يعرف ان الصدق والتصديق يكون في الأقوال والأعمال كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح « كتب على ابن آدم حفظه من الزنا فهو مدرك ذلك لاحالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه » ويقال حملوا على العدو حمة صادقت اذا كان ارادتهم القتال ثابتة صادقة ويقال فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك . ولهذا يريد بالصادق الصادق في ارادته وقصده وطلبه وهو الصادق في عمله ويريدون الصادق في خبره وكلامه والمنافق ضد المؤمن الصادق وهو الذي يكون كاذباً في خبره أو كاذباً في عمله كالمرائي في عمله . قال الله تعالى ( ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ) الآيتين \*

وأما الاخلاص فهو حقيقة الاسلام اذ الاسلام هو الاستسلام

١ - البقرة ١٧٧

٢ - البقرة ١٠

٣ - المنافقون ١

٤ - التوبة ٧٧

٥ - النساء ١٤٢

لله لا لغيره كما قال تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان) الآية. فمن لم يستسلم له فقد استكبر ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الاسلام والاسلام ضد انشرك والكبر. وذلك في القرآن كثير. ولهذا كان الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وهي متضمنة عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً سواه كما قال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) وهذا الذي ذكرنا محاميين ان أصل الدين في الحقيقة هو الأمور الباطنة من العلوم والاعمال وان الأعمال الظاهرة لاتنفع بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه احمد في مسنده «الاسلام علانية والايمان في القلب» ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «الحلال بين وبين ذلك أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لفرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمى الاوان حمى الله محارمه الاوان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد وهي القلب» وعن ابى هريرة قال «القلب ملك والأعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث خبث جنوده»

## فصل

وهذه الاعمال الباطنة كحجة الله والاخلاص له والتوكل عليه والرضا عنه ونحو ذلك كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة لا يكون تركها محمودا في حال واحد وان ارتقى مقامه وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد هي عنه في مواضع وان تعلق امر الدين به كقوله تعالى (ولا تهنوا ولا تحزنوا واتم الاعلن ان كنتم مؤمنين) وقوله (ولا تحزن عليهم ولانك في ضيق مما يمكرون) وقوله (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وقوله (ولا يحزنك قولهم) وقوله (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وأمثال ذلك كثيرة. وذلك انه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة ولا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يأنم صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم وأشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب» ومنه قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الضبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة منهي عنها والا كان حسب صاحبه رفع الائم عنه من

جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة وان كان محمودا من جهة أخرى . واما المحبة والتوكل والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهي حسنة محبوبة في حق كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج عنها مؤمن قط واما يخرج عنها كافر ومنافق . وقد تكلم بعضهم بكلام بين غلط فيه (١) وانه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة وليس هذا موضعه ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها الى خصوص وعموم فللخاصة خاصها وللعامة عامها مثال ذلك ان هؤلاء قالوا ان التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت والخاص لا يناضل عن نفسه وقالوا المتوكل يطلب بتوكله امرا من الامور والعارف يشهد الامور بفروعها منها فلا يطلب شيئا فيقال اما الأول فان التوكل اعم من المتوكل في مصالح الدنيا فان المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه وارادته وهذا اهم الامور اليه ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله ( اياك نعبد واياك نستعين ) كما في قوله ( فاعبده وتوكل عليه ) وقوله ( عليه توكلت واليه انيب ) فهو قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع لان هذين بجمعان الدين كله ولهذا قال من قال من السلف ان الله جمع الكتب المنزلة في القرآن وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله

١ - الفاتحة ٤

٢ - هود ١٢٣

٣ - هود ٨٨

(اياك نعبد واياك نستعين) وهاتان الكلمتان الجامعتان اللتان للرب والعبد لما في الحديث الصحيح الذى فى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يقول الله سبحانه قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله اثنى على عبدى يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله فهذه الآية بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأل » فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد فايك نعبد للرب واياك نستعين للعبد وفي الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه قال ( كنت رديفا للنبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به » والعبادة هى الغاية التى خلق الله لها العباد من جهة امر الله ومحبه ورضاه كما قال تعالى ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ) وبها ارسل الرسل وانزل الكتب وهى اسم يجمع كمال الحب ونهايته وكمال الحب لله ونهايته فالحب الحلى عن ذل والذل الحلى عن حب لا يكون عبادة وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين ولهذا كانت العباد

لا تصلح الا لله وهى وان كانت منفعتها للعبد والله غنى عنها فهمى له من جهة محبته لها ورضاه بها ولهذا كان الله اشد فرحا بتوبة العبد من الفاقدر لراحته عليها طعامه وشرابه في الارض دوية مهلكة اذا نام آيسا منها ثم استيقظ فوجدها فالله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحته وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطانها وشرحناها في غير هذا الموضع والتوكل والاستعانة للعبد لانه هو الوسيلة والطريق الذى ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة فالاستعانة كاللجوء والمسئلة. وقد روى الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله يا ابن آدم انما هي اربع واحدة على وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين خلقى فاما التي لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئا واما التي هى لك فعملك اجازيك به احوج ما تكون اليه واما التي بينى وبينك فنك الدعاء وعلى الاجابة واما التي بينك وبين خلقى فأت للناس ما تحب أن يأتوا اليك وكون هذا لله وهذا للعبد هو اعتبار تعلق المحبة والرضاء ابتداء فان العبد ابتداء يحب ويريد ما يراه مملأ له والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية المقصودة في رضاه ووجه الوسيلة تبعاً لذلك والا فكل مأثور به فمنفعته عائدة على العبد وكل ذلك محبة الله ويرضاه وعلى هذا فالذى ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به الاحتفاظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الامور الدينية أعظم. وأيضاً التوكل في الامور الدينية التي لا تتم الواجبات والمستحبات الا بها والزاهد فيها زاهد فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه والزهد المشروع هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو



فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله كما أن الورع المشروع هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها كالواجبات فإمّا ينفع في الدار الآخرة بنفسه أو على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) كما أن الاشتغال بفضول المباحة هو ضد الزهد المشروع فإن اشتغل بها عن واجب أو فعل محرم كان عاصيا والا كان منقوصا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين وأيضا فالتوكل هو محبوب لله مرضى مأمور به دائما وما كان محبوبا لله مرضيا مأمورا به دائما لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم المتوكل لا يطلب حظوظه ✽

وأما قولهم الأمور قد فرغ منها فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء أنه لا حاجة إليه لأن المطلوب إن كان مقدراً فلا حاجة إليه وإن لم يكن مقدراً لم ينفع وهذا القول من أفسد الأقوال شرعا وعقلا وكذلك قول من قال التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وإنما هو عبادة محضة وإن حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض وهذا وإن كان قاله طائفة من المشائخ فهو غلط أيضا وكذلك قول من قال الدعاء إنما هو عبادة محضة فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد وهو أن هؤلاء ظنوا أن كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضا نكون من العبد ولم يعلموا أن الله سبحانه يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها معلقة بهما من أفعال العباد وغير أفعالهم ولهذا كان طور قولهم

يوجب تعطيل الاعمال بالكلية وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا امرات فأجاب عنه كما أخرجه في الصحيحين عن عمران بن حصين قال « قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم أهل الجنة من أهل النار قال نعم قالوا فقيم العمل قال كل ميسر لما خلق له » وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال « كما في جنازة فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس ومعه محضرة فجعل ينكت بالمحضرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال ما من نفس منقوسة الا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة الا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل من القوم يا نبي الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فمن كان من أهل السعادة ليكون الى السعادة ومن كان من أهل الشقاوة ليكون الى الشقاوة قال اعملوا فكل ميسر لما خلق لها أما أهل السعادة فييسرون للسعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون للشقاوة ثم قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ( فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ) أخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسند . وروى الترمذي « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل فليل يا رسول الله أرأيت أدوية تتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى تنقيها أنرد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله » وقد جاء هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أحاديث فيبين صلى الله عليه وآله وسلم أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالاعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة فانه سبحانه يعلم الأمور على ما هي عليه وكذلك يكتبها فهو يعلم

أن السعيد يسعد بالأعمال الصالحة والشقى يشقى بالأعمال السيئة فمن  
كان سعيداً ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضى السعادة ومن كان شقىً  
ييسر للأعمال السيئة التي تقتضى الشقاوة كلاهما ميسر لما خلق له وهو  
ما يصير اليه من مشيئة الله العامة المونية التي ذكرها الله سبحانه في  
كتابه في قوله تعالى (ولايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)  
وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه وهو إرادته الدينية وأمر بموجباتها  
فذلك مذكورة في قوله « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والله  
سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات والأمر والارادة  
والاذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم ونحو ذلك مما هو ديني  
موافقة لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي وما هو كوني موافق لمشيئته  
الكونية مثال ذلك انه قال في الأمر الديني (ان الله يأمر بالعدل والاحسان  
وابتاء ذى القربى) وقال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى  
أهلها) ونحو ذلك. وقال في الكوني (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له  
كن فيكون) وكذلك قوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها  
ففسقوا فيها فحق عليها القول) على احدى الاقوال في هذه الآية وقال  
في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) يريد الله  
ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم  
(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقال في الارادات  
الكونية (ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال (فمن  
يرد الله ان يهديه يسره للاسلام ومن يرد الله فبضله يجعل صدره  
ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) وقال نوح عليه السلام (ولا ينفعكم

- ١ - هود ١١٨ - ١١٩
- ٢ - الفاريات ٥٦
- ٣ - النمل ٩٠
- ٤ - النساء ٥٨
- ٥ - يس ٨٢
- ٦ - الاسراء ١٦
- ٧ - البقرة ١٨٥
- ٨ - النساء ٣٦
- ٩ - المائدة ٦
- ١٠ - البقرة ٢٥٣
- ١١ - الأنعام ١٢٥

نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) وقال (اتما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال في الاذن الديني (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله) وقال في الكوني (وما هم بضارين به من أحد الا بأذن الله) وقال في القضاء الديني (وقضى ربك الا تعبدوا الا إياه) أى أمر. وقال في الكوني (فقضاهن سبع سموات في يومين) وقال في الحكم الديني (أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما بتلى عليكم غير على الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد) وقال (ذلكم حكم الله بحكم بينكم) وقال في الكوني عن ابن يعقوب (فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين) وقال (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) وقال في التحريم الديني (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم) الآية ١٣ وقال في التحريم الكوني (فلها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض) وقال في الكلمات الدينية (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمن) وقال في الكونية (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المستفيض عنه من وجوه في الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول «أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر» ومن المعلوم أن هذا هو الكوني الذى لا يخرج منه شىء عن مشيئته وتكوينه وأما الكلمات الدينية فقد خالفها الكفار بمعصيته ١٤

والمقصود هنا أنه صلى الله عليه وسلم بين أن العواقب التى خلق لها الناس سعادة وشقاوة يسرون لها بالاعمال التى يصيرون بها الى ذلك (م ٣ تحفة)

- ١ - هود ٢٤
- ٢ - يس ٨٢
- ٣ - الخضر ٥
- ٤ - البقرة ١٠٢
- ٥ - الاسراء ٢٣
- ٦ - فصلت ١٢
- ٧ - المائدة ١
- ٨ - الممتحنة ١٠
- ٩ - يوسف ٨٠
- ١٠ - الأنبياء ١١٢
- ١١ - المائدة ٣
- ١٢ - النساء ٢٣
- ١٣ - المائدة ٢٦
- ١٤ - البقرة ١٢٤
- ١٥ - الاعراف ١٣٧

كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو سبحانه خلق الولد وسائر الحيوان في الإرحام بما يقدره من اجتماع الأبوين على النكاح واجتماع المائتين في الرحم فلو قال الإنسان أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فإن كان قد قضى بولده والام يوجد ولا حاجة إلى وطء كان أحق بخلاف ما إذا وطئ وعزل الماء فإن عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد إذا شاء الله إذ قد يخرج به اختياره وقد ثبت في الصحيح عن أبي سبيد الحدرى قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بنى المصطلق فاصبنا سرايا من العرب فاشتبهنا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل فسالنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عليكم إلا تنفعلوا فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة» وفي صحيح مسلم عن جابر «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها» وهذا مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الإنسان من غير أبوين كما خلق آدم ومن خلقه من أب فقط كما خلق جواه من ضلع آدم القصير ومن خلقه من أم فقط كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة وهذا الموضع وإن كان إنما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع فقد وقع في كثير من (١) وكثير من المشائخ المعظمين يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به وهي عنه ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل وتجري مع الحقيقة القدرية وبحسب أن قول القائل ينبغي للعبد أن يكون مع الله

كالميت بين يدي الناس يتضمن ترك العمل بالأمر والنهي حتى يترك ما أمر به ويفعل ما نهى عنه وحتى يضعف عنده الورد والفرقان الذي يفرق به بين ما أمر الله به وأحبه وأرضاه وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوى بين ما فرق الله بينه قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى «وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور» وأمثال ذلك حتى يفضى الأمر بغلاتهم إلى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور النبوي الإلهي الفرقاني الشرعي الذي دل عليه الكتاب والسنة وبين ما يكون في الوجوه من الأحوال التي تجري على أيدي الكفار والفجار فيشهدون وجه الجمع من جهة الجمع بقضاء الله وقدره وربوبيته وأرادته العامة وأنه داخل في ملكه ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والابرار والفجار والمؤمنين والكافرين وأهل الطاعة الذين أطاعوا أمره الديني وأهل المعصية الذين عصوا هذا الأمر ويشهدون في ذلك بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ أو ببعض غلطات بعضهم وهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين سبيل إرادة الذين يريدون وجهه

١ - الجانية ٢١

٢ - القلم ٢٥ - ٣٦

٣ - ص ٢٨

٤ - الزمر ٩

٥ - فاطر ١٩ - ٢٢

فانه قد دخل بسبب اهل ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه الا الله حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من اهل الظلم والعلو الذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من اهل العلو في الارض والفساد ظانين انهم اذا كانت لهم احوال اثروا بها في ذلك من اولياء الله فان القلوب لها من التأثير اعظم مما للابدان لكن ان كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وان كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالاحوال يكون تأثيرها محبوا لله تارة ومكروها لله أخرى وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل بغيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك ويستشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني يعدون مجرد خرق العادة لاحدهم بكشف لهم أو بتأثير يوافق ارادته هو كرامة من الله له ولا يعلمون انه في الحقيقة اهانة وان الكرامة لزوم الاستقامة وان الله لم بكرم عبده بكرامة اعظم من موافقته فيما يبيبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه وهؤلاء هم اولياء الله الذين قال الله فيهم (الان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) فان كانوا موافقين له فيما اوجبه عليهم فهم من المقتصدين وان كانوا موافقين فيما اوجبه واجبه فهم من المقربين مع ان كل واجب محبوب وليس كل محبوب واجبا واما ما يبطل الله به عبده من الشر بخرق العادة او بغيرها او بالضراء فليس ذلك لاجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه بل قد يسعد بها اقوام اذا اطاعوه في ذلك وقد يشقى بها قوم اذا عصوه في ذلك. قال الله تعالى (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن وأما

إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا ) ولهذا كان الناس في هذه الامور على ثلاثة أقسام . قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة اذا استعملوها في مطاعة . وقوم يتعرضون بها لعذاب الله اذا استعملوه في معصية الله كبلعام وغيره . وقوم تكون في حقهم بمنزلة المباحات والقسم الاول هم المؤمنون حقا المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم الذى انما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله او لحاجة يستعين بها على طاعة الله ولكثرة الغلط في هذا الاصل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذى ينفع العبد فروى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان » وفي سنن أبى داود « أن رجلين اختصما الى النبی صلى الله عليه وسلم فقضى على أحدهما فقال المقضى عليه حسبى الله ونعم الوكيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل » فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يحرص على ما ينفعه وأن يستعين بالله وهذا مطابق لقوله ( اياك نعبد و اياك نستعين ) وقوله ( فاعبدوه وتوكلوا عليه ) فان الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته اذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك وكل ما يستعان به على الطاعة فهو طاعة وان كان من جنس المباح: قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث



الصحيح لسعد « انك لن تفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك » فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يلوم على العجز الذي ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمن بفعله فان ذلك بنا في القدرة المقارنة للفعل وان كان لا ينا في القدرة المقدمة التي هي مناط الامر والنهي فان الاستطاعة التي توجب الفعل وتكون مقارنة له لاتصلح الالمقدورها كما ذكرها في قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) وقوله (وكانوا لا يستطيعون سماعاً) وأما الاستطاعة التي تتعلق بها الامر والنهي فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن كما في قوله ( والله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ) وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر « أن صل قائماً فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك »

فهذا الموضع قد انقسم الناس فيه على أربعة أقسام قوم ينظرون الى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لالوهيته سبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظروا إلى جانب القضاء والقدر والتوكل والاستعانة وهو حال كثير من المتفهمة المتعبدة فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله واشعاره بغلب عليهم الضعف والعجز والحذلان والاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء اليه والدعاء له هي التي تقوى العبدوتيسر عليه الأمور ولهذا قال بعض السلف من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. وفي الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفته في التوراة انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحزلاً لا اله الا أنا أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ

١ - هود ٢٠

٢ - الكهف ١٠١

٣ - آل عمران ١٧

ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويغفر ولن أقبضه حتي أقيم به الملة العوجاء فأفتح بك أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا اله الا الله، ولهذاروى أن حملة العرش انما أطاقوا حمل العرش بقولهم لا حول ولا قوة الا بالله. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم «إنها كنز من كنوز الجنة» قال تعالى (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) الى قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس في قوله (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم الخليل حينلقى في النار وقالها محمد حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم

وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه ويستعينون بها على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين الى حقيقة أمره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبه وهذا حال كثير من المتفكرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود لا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمّون هذا حقيقة ويظنون أن هذه الحقيقة الأمرية الدينية هي التي تحوى مرضات الرب ومحبه وأمره ونهيه ظاهر او باطنا وهؤلاء كثيرا ما يسلبون أحوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصي والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العاقبة للتقوى ومن لم يقف عند أمر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه نار من بدعة

يظنونها شرعة ونارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر والله تعالى لما ذكر ما ذم به  
المشركين في سورة الانعام ذكر ما ابتدعوه في الدين وجعلوه شرعة  
كما قال تعالى ( وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها  
قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ) وقد فهم على ان حرموا ما لم يحرمه الله  
وان شرعوا ما لم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله ( لو شاء  
الله ما اشركنا ولا ابائونا ولا حرهنا من شيء ) ونظيرها في النحل ويس  
والزخرف وهو (ء يكون فيهم شبهة في هذا وهذا )

وأما القسم الثالث وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانت به  
فهؤلاء شر الاقسام

والقسم الرابع هو القسم المحمود وهو حال الذين حققوا اياك نعبد  
واياك نستعين ) وقوله ( فاعبدوه وتوكل عليه ) فاستعانوا به على طاعته  
وشهدوا انه المهم الذي لا يجوز ان يعبد الا اياه وطاعة رسوله وانه ربهم  
الذي ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وانه ( ما يفتح الله للناس من رحمة فلا  
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ) وان يمسك الله بضر فلا كاشف  
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ( قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان  
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته )  
ولهذا قال طائفة من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو  
الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية  
قدح في الشرع وانما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل  
والشرع فقد بين ان من ظن التوكل من مقامات عامة اهل الطريق فقد  
غلط غلطا شديدا وان كان من اعيان المشايخ كصاحب علل المقامات

١ - الاعراف ٢٨

٢ - الأنعام ١٤٨

٣ - الفاتحة ٤

٤ - هود ١٢٢

٥ - فاطر ٢

٦ - يونس ١٠٧

٧ - الزمر ٢٨

وهو من اجل المشائخ واخذ ذلك عنه صاحب محاسن المجالس وأظهر ضعف حجته فمن قال ذلك ان المطلوب به حظ العامة فقط وظنه انه لافائدة له في تحصيل المقصود وهذه حال من جعل الدعاء كذلك وذلك بمنزلة من جعل الاعمال المأمور بها كذلك فمن اشتغل بالتوكل على ما يجب عليه من الأسباب التي هي عبادة الله وطاعة مأمور بها فان غلط هذا من ترك الاسباب المأمور بها التي هي داخلية في قوله (فاعبد وتوكل عليه) كغلط الاول في ترك التوكل المأمور به الذي هو داخل في قوله (فاعبد وتوكل عليه) لكن يقال من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحات فهو من العامة وان كان في حصول مستحبات وواجبات فهو من الخاصة كما ان من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الايمان فكيف يكون هذا المقام للخاصة . قال الله تعالى (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال تعالى (ان ينصرهم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصرهم من بعده) وقال (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال تعالى (قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) الى قوله (قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) وقد ذكر الله هذه الكلمة حسبى الله في جلب المنفعة تارة وفي دفع المضرة أخرى فالاولى قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية. والثانية قوله «الذين قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وفي قوله (م : التحفة)

١ - هود ١٢٢

- يونس ٨٤

- آل عمران ١٦٠

- آل عمران ١٢٢

- الزمر ٢٨

- الزمر ٢٨

- التوبة ٥٩

- آل عمران ١٧٣

وان يريدوا أن نخدموك فان حسبك الله) وقوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) الآية يتضمن الامر بالرضا والتوكل والرضا والتوكل يكتفان المقدور فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد وقوعه ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك طمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لنة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» رواه احمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر\* وأما ما يكون قبل القضاء فهو عزم على الرضا لاحقيقة للرضا ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء فاذا وقع انفسخت عزائمهم كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره كما قال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) نزلت هذه الآية لما قالوا لو علمنا أي الاعمال أحب الى الله لعملناه فأنزل الله آية الجهاد فكرهه من كرهه ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه ما لا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك أو يطلب ولاية أو يقدم على بلد فيه طاعون

كما ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال « انه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة « لا تسأل الامارة فانك إن اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإذا حلقت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك » وثبت عنه في الصحيحين أنه قال في الطاعون « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » وثبت في الصحيحين أنه قال « لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ولكن إذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » وأمثال ذلك مما يقتضى أن الانسان لا ينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء فيبخل بالوفاء كما يفعل كثير ممن يعاهد الله عهداً على أمور . وغالب هؤلاء يتلون بنقض العهود . وينبغي أن الانسان اذا ابتلى فعليه أن يصبر ويثبت ولا يكل حتى يكون من الرجال الموفين القائمين بالواجبات . ولا بد في جميع ذلك من الصبر . ولهذا كان الصبر واجباً باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات . ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يخرج ، والصبر عن اتباع أهواء النفس فيما نهى الله عنه . وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعاً وقرنه بالصلاة في قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة) وانها لكبيرة<sup>١</sup> الا على الخاشعين<sup>٢</sup> واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين<sup>٣</sup> وقوله (وأقم الصلاة طر في النهار وزلفا من الليل) الى قوله (واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين<sup>٤</sup>) فاصبر على ما يقولون وسبح

١ - البقرة ٤٥

٢ - البقرة ١٥٣

٣ - هود ١١٤

٤ - هود ١١٥

بمحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﷺ فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك ( الآية . وجعل الامامة في الدين موروثه عن الصبر واليقين بقوله ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) فان الدين كله علم بالحق وعمل به فالعمل به لا بد فيه من الصبر بل وطلب علمه يحتاج الى الصبر كما قال معاذ بن جبل عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة ومعرفة خشية والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ومذاكرته تسييح به يعرف الله ويعبد به يعجد ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما يجعلهم للناس قادة وائمة يهتدون بهم وينتهون الى رأيهم . فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولا بد في الجهاد من الصبر ولهذا قال تعالى ( والعصران الانسان لني خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) وقال تعالى ( واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولى الايدي والابصار ) فالعلم النافع هو اصل الهدى والعمل بالحق هو الرشاد وضد الاول هو الضلال وضد الثاني هو الغي والضلال العمل بغير علم والغي اتباع الهوى . قال تعالى ( والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى ) فلا ينال الهدى الا بالعلم ولا ينال الرشاد الا بالصبر ولهذا قال على الان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا انقطع الرأس بان الجسد ثم رفع صوته فقال ألا الايمان لمن لا صبر له ﷺ

واما الرضا فقد تنازع العلماء والمشائخ من اصحاب الامام احمد وغيرهم في الرضا بالقضاء هل هو واجب أو مستحب على قولين فعلى الاول يكون من اعمال المقتصدين وعلى الثاني يكون من اعمال المقرين قال عمر بن عبد العزيز الرضا عزيز ولكن معول المؤمن . وقد روي

١ - طه ١٣٠

٢ - غافر ٥٥

٣ - السجدة ٢٤

٤ - العصر ١ - ٣

٥ - ص ٤٥

٦ - النجم ١ - ٢

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس « ان استطعت ان تعمل  
 لله بالرضا مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيراً  
 كثيراً . ولهذا لم يجيء في القرآن الا مدح الراضين لايجاب ذلك وهذا  
 في الرضا فيما يفعله الرب بعبد من المصائب كالمرض والفقر والزلازل  
 كما قال تعالى ( والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ) وقال ( أم  
 حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم  
 البأساء والضراء وزلزلوا ) فالبأساء في الاموال والضراء في الابدان  
 والزلازل في القلوب . وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب وهو من  
 الايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث « ذاق طعم الايمان  
 من رضى بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وهو من ثواب المحبة كما  
 سنذكره ان شاء الله تعالى . وقال ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك  
 فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا  
 تسليماً ) وقال تعالى ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا  
 حسبنا الله ) الآية . وقال تعالى ( ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله  
 وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ) وقال ( وما منعهم أن تقبل منهم  
 نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى  
 ولا ينفقون الا وهم كارهون ) ومن النوع الاول ما رواه احمد والترمذي  
 وغيرهما عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من سعادته ان  
 آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له . ومن شقاوته ان آدم ترك  
 استخارته لله وسخطه بما قسم الله له » وأما الرضا بالمنهيات من الكفر  
 والفسوق والعصيان فأكثر العلماء يقولون لا يشرع الرضا بها اذ

١ - البقرة ١٧٧

٢ - البقرة ٢١٤

٣ - النساء ٦٥

٤ - التوبة ٥٩

٥ - محمد ٢٨

٦ - التوبة ٥٤



هى كما لا تشرع محبتها فان الله سبحانه لا يرضاها ولا يحبها وان كان قدرها وقضاها كما قال سبحانه ( والله لا يحب الفساد ) وقال تعالى ( ولا يرضى لعباده الكفر ) بل يسخطها كما قال تعالى ( ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ) وقالت طائفة ترضى من جهة كونها مضافة الى الله خلقاً وتسخط من جهة كونها مضافة الى العبد فعلا وكسباً . وهذا لا ينافى الذى قبله بل هما يعودان الى أصل واحد وهو سبحانه قدر الاشياء لحكمة فهي لا اعتبار تلك الحكمة محبوبة مرضية وقد تكون في نفسها مكروهة ومسخوطة . اذ الشئ الواحد يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر كما في الحديث الصحيح « ما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » وأما من قال بالرضاء بالقضاء الذى هو وصف الله وفعله لا بالمقتضى الذى هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام . فان الكلام ليس بالرضاء فيما يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله وإنما الكلام فى الرضاء بمفعولاته ، والكلام فيما يتعلق بهذا قد بيناه فى غير هذا الموضع . والرضاء وان كان من أعمال القلوب فكأله هو الحمد ، حتى أن بعضهم فسر الحمد بالرضاء . ولهذا جاء فى الكتاب والسنة حمد الله على كل حال وذلك يتضمن بمقتضياته . وفى الحديث « أول من يدعى الى الجنة الحمدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه كان اذا أتاه الامر يسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات واذا أتاه الامر الذى يسوءه قال الحمد لله على كل حال » وفى مسند

الامام احمد عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا قبض ولد العبد يقول الله ملائكته أقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال فيقولون حمدك واسترجعك فيقول ابنوا لعبدى بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد »  
ونبيننا صلى الله عليه وسلم هو صاحب لواء الحمد ، وأمتهم المحمودون الذين يحمدون الله على السراء والضراء . والرضا والحمد على الضراء يوجبه شاهدان . أحدهما علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه فانه أحسن كل شيء خلقه وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم الخبير الرحيم . والثاني علمه بأن اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه كما روى مسلم في صحيحه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « والذي نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له » فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذى يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له . قال تعالى ( ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ) وذكرها فى أربعة مواضع من كتابه .  
فأما من لا يصبر على البلاء ، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيراً له . ولهذا أجبت من أورد على هذا بما يقضى على المؤمن من المعاصي بجوابين : أحدهما : ان هذا انما يتناول ما أصاب العبد لامأفعله العبد كما فى قوله ( ما أصابك من حسنة فمن الله ) أى من سراء ( وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) أى من ضراء . وكقوله ( وبلوناهم

بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) أي بالسراء والضراء كما قال (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) وقال (ان تمسكم حسنة نسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) يراد بها المسار والمضار ، ويراد بها الطاعات والمعاصي . والجواب الثاني أن هذا في حق المؤمن الصبار الشكور . والذنوب تنقص الإيمان ، فإذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة . قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير ان العبد لعمل الحسنه فيدخل بها النار ، وان العبد لعمل السيئة فيدخل بها الجنة . وذلك أنه يعمل الحسنه فتكون نصب عينه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منها . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الأعمال بالحوائم » والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبته تندفع عنه بعشرة أسباب . أن يتوب فيتوب الله عليه فان التسائب من الذنب كمن لا ذنب له ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يدعو له اخوانه المؤمنون ويشفعون له حياً وميتاً ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم لينفعه الله به ، أو يشفع فيه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو يبتليه في الدنيا بمصائب تكفر عنه . أو يبتليه في البرزخ والصعقة فيكفر بها عنه ؛ أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه ؛ أو يرحمه أرحم الراحمين فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله « يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله

ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه ، فان كان المؤمن يعلم أن القضاء خير اذا كان صباراً شكوراً وكان قد استخار الله وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم له كان قد رضى بما هو خير له . وفي الحديث الصحيح عن علي قال « ان الله يقضى بالقضاء فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة فالرضا بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء وهذا أكمل من الرضا والصبر فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر م اذا كان القضاء مع الصبر خيراً له فكيف مع الرضا ولهذا جاء في الحديث « المصاب من حرم الثواب » فالأثر الذي رواه الشافعي في مسنده « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات سمعوا قائلاً يقول يا اباي رسول الله أن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاء من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فتقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب ) ولهذا لم تؤمر بالحزن المتأني للرضا قط مع أنه لا فائدة فيه فقد يكون مضرة لكنه يعني عنه اذا لم يقترن به ما يكرهه الله لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينأى الرضا بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه وبهذا نعرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لما بكى على الميت وقال « ان هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » وان هذا ليس كبكاء من يبكي لحظه لا لرحمة الميت وأن الفضيل بن عياض لما مات ابنه على فضحك وقال رأيت ان الله قضى فأحييت أن أرى بما قضى الله به حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع . وأما رحمة الميت مع الرضا ( م • - الصفحة المراجعة )

بالقضاء وحمد الله كحال النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أكل . قال تعالى (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) فذكر سبحانه التواصي بالصبر والرحمة

والناس أربعة أقسام . منهم من يكون فيه صبر بقسوة ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع . ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع والمؤمن الحمود الذي يصبر على ما يصيبه ويرحم الناس . وقد فطن طائفة من المصنفين في هذا الباب أن الرضا عن الله من نوابع المحبة له وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه بخلاف المأخذ الثاني وهو الرضا لعمله بأن المقضى خير له ثم إن المحبة متعلقة به والرضا متعلق بقضائه لكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه أن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان وكذلك الحمد له نوعان حمد له على ما يستحقه بنفسه وحمد على احسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة . وأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواها ومن كان يحب المرء لا يحبه الله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (١)

(١) فسرته الحلاوة هنا في الحديث بمعنى كثيرة فأقربها ما قاله الترمذى أن معناها

وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول ۞

## فصل

محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر أصوله وأجل قواعده بل هي كل عمل من أعمال الايمان والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الايمان والدين فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الثبار فجميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذا العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً بل جميع الأعمال الايمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يقول الله تعالى أنا أعني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً

استلذا الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإثارت ذلك على أعراض الدنيا ومحبة العبد لله تعالى بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله هو جده أي أصاب فلذلك اكتفى بمفعول واحد وهو قوله حلاوة الايمان . ومضى أنقذه الله خلصه ونجاه ۞ والحكمة في كون حلاوة الايمان في هذه الاشياء الثلاثة أن هذه الامور هي عنوان كمال الايمان المحصل لتلك اللذة لانه لا يتم إيمان امرئ حتى يتمكن في نفسه أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ولا معطى ولا مانع سواء وما عداه تعالى وسائط لا نفع له ولا ضرر . وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الشفوق العطوف الساعي في صلاح شأنه وذلك يقتضى أن يتوجه بكلية نحوه ولا يحب ما يوجب الا كونه وسطاً بينه وبين الله تعالى وأن يتيقن أن جملة ما أوعدو وعد حق يتقنا نخيل اليه الموعد كالواقع نسأل الله التوفيق والهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين . والله أعلم

فأشرك فيه غيري فانا منه برىء وهو كله للذي أشرك ) وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعير بهم النار القارىء المرائى والمجاهد المرائى والمتصدق المرائى، بل اخلاص الدين لله هو الدين الذى لا يقبل الله سواه فهو الذى بعث به الاولين والآخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب وانفق عليه أئمة أهل الايمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه قال تعالى ( تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ) ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ ( ألا لله الدين الخالص ) والسورة كلها عامتها في هذا المعنى في قوله ( قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين ) الى قوله ( قل الله أعبد مخلصا له دينى ) الى قوله ( أليس الله بكاف عبدا ) يخوفونك بالذين من دونه ) الى قوله ( قل أفرأيتم مائدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره ) الآية الى قوله ( أم اتخنوكم من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ) ( واذا ذكر الله وحده اشمأزت قابض النين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ) الى قوله ( قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ) الى قوله ( بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ) وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وأبليس أنقال ( فبغزتك لاغونهم أجمعين الاعداء منهم المحلصين ) وقال تعالى ( ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ) وقال ( انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على

١ - الزمر ١

٢ - الزمر ٢

٣ - الزمر ٣

٤ - الزمر ١١ - ١٢

٥ - الزمر ١٤

٦ - الزمر ٣٦

٧ - الزمر ٢٨

٨ - الزمر ٤٣ - ٤٤

٩ - الزمر ٤٥

١٠ - الزمر ٦٤

١١ - الزمر ٦٦

١٢ - ص ٨٢

١٣ - الحجر ٤٢

الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فيين أن سلطان الشيطان واغواؤه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ) وأتباع الشيطان هم أصحاب النار كما قال تعالى ( لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ) وقد قال سبحانه ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ) وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقبل ما سواه بالمشيئة فانه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه وما دونه يغفره لمن يشاء . وأما قوله ( قل يا عبادي الدين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ) فتلك في حق التائبين ولهذا عم وأطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد أخبر سبحانه أن الاولين والآخرين انما أمروا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي صلى الله عليه وسلم لما أمره أن يقرأ عليه قراءةً بلاغاً وسماعاً خصوصه فقال ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم اليئنة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء ) الآية وهذا حقيقة قول لا اله الا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى ( وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ) وقال ( واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ) وقال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) وجميع الأنبياء افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام « اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

- ١ - النحل ٩٩ - ١٠٠
- ٢ - يوسف ٢٤
- ٣ - ص ٨٥
- ٤ - النساء ١١٦
- ٥ - الزمر ٥٣
- ٦ - البينة ٥ - ٥
- ٧ - الأنبياء ٢٥
- ٨ - الزخرف ٤٥
- ٩ - النحل ٣٦
- ١٠ - الاعراف ٥٩



لاسيما أفضل الرسل الذين آتخذ الله كلاهما خليلا إبراهيم ومحمدا عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه وأنشده بهما إبراهيم هو الامام الذي قال الله فيه «انى جاعلك للناس إماما» وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم الذين بارك الله عليهم قال سبحانه «واذ قال إبراهيم لأبيه وقومه ااتى براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون» فهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من الخالق الذى فطرنا كما قال صاحب يس (ومالى لأعبد الا الذى فطرني واليه ترجعون) «آتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون» وقال تعالى في قصته بعد أن ذكر ما بين ضلال من آتخذ بعض الكواكب ربا يعبد من دون الله قال «فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض خنيما وما أنا من المشركين» الى قوله (ولا تخافون انكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا) وقال إبراهيم الخليل عليه السلام (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدمون فانهم عدوى لارب العالمين الذى خلقني فهو يهدين والذى هو يطمعني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين) وقوله تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا للقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) الآية ونبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أقام الله به الدين الخالص لله دين التوحيد ووقع به المشركين من كان مشركا في الاصل من الذين كفروا من أهل الكتب وقال صلى الله عليه وسلم

- ١ - البقرة ١٢٤
- ٢ - الزخرف ٢٦
- ٣ - يس ٢٢ - ٢٣
- ٤ - الأنعام ٧٨ - ٧٩
- ٥ - الأنعام ٨١
- ٦ - الشعراء ٧٥ - ٨٠
- ٧ - للمتحنة ٤

فيما رواه الامام وغيره<sup>(١)</sup> « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » وقد تقدم بعض ما انزل الله من الآيات المتضمنة للتوحيد فقال تعالى ( والصفات صفا ) الى قوله ( ان الهكم لواحد ) الى قوله ( انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انا لنتا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين ) الى قوله ( اولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون ) الى ما ذكره من قصص الانبياء في التوحيد واخلاص الدين لله الى قوله ( سبحان الله عما يصفون الاعباد الله المحلصين ) وقال تعالى ( ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله ) وفي الجملة فهذا الاصل في سورة الانعام والأعراف والنور وطسم وحم وسورة المفصل وغير ذلك من السور المكية وكثير من السور المدنية كثير ظاهر فهو اصل الأصول وقاعدة الدين حتى في سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد. وهاتان السورتان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما في ركعتي التطوع كركعتي الطواف وسنة الفجر وهما متضمنتان للتوحيد فاما قل يا أيها الكافرون فهي متضمنة للتوحيد العملي الارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا. وأما سورة قل هو الله احد فمتضمنة للتوحيد القولي العملي كما ثبت في الصحيحين عن عائشة ان رجلا كان

١ - الصفات ١

٢ - الصفات ٤

٣ - الصفات ٣٥ - ٣٧

٤ - الصفات ٤١ - ٤٢

٥ - الصفات ١٥٩ - ١٦٠

٦ - النساء ١٤٥ - ١٤٦

(١) الحديث رواه الامام احمد في مسنده وابو يعلى والطبراني في الكبير عن ابن عمر

يقرأ قل هو الله أحد في صلاته فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فانا احبها فقال اخبروه ان الله يحبه، ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله سبحانه وتعالى الذي جاء بنى قول أهل التعطيل وأهل التمثيل ما صارت به هي الأصل المعتمد في مسائل الذات كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع وذكرنا اعتماد الأئمة عليها على ما تضمنته في تفسير الأحكام كما جاء تفسيره عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل لكن المقصود هنا هو التوحيد العملي وهو إخلاص الدين لله وإن كان أحد التوعين مرتبطاً بالآخر فلا يوجد أحد من أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة إلا وفيه نوع من الشرك العملي إذا صل قلوبهم فيه شرك وتسوية بين الله وبين خلقه أو بينه وبين المحدثات كما يسوى المعطلة بينه وبين المحدثات في الصفات السلبية التي لا تستلزم مدحا ولا ثبوت كمال أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات النقص وكما يثبتون إذا ثبتوا هم<sup>(١)</sup> ومن ضاهاهم من الممثلة مساواة بينه وبين المخلوقات في حقائقها حتى يعبدوها فيعدلون عن ربهم ويجعلون له أندادا ويشبهون المخلوق برب العالمين واليهود كثيرا ما يعدلون الخالق بالمخلوق ويمثلونه به حتى يصفوا الله بالعجز والفقر والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها وهي من صفات خلقه والنصارى يعدلون المخلوق بالخالق حتى جعلوا في المخلوق من نعوت الربوبية وصفات الألوهية ويجوزون له ما لا يصلح إلا للخالق سبحانه وتعالى عما

(١) هكذا الأصل تاجر

يقول الظالمون علوا كبيرا والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالانابة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون، وفي هذه الامة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لتبتعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن، <sup>(١)</sup> والحديث في الصحيحين فاذا كان أصل العمل الديني هو اخلاص الدين لله وهو ارادة الله وحده فالشيء المراد لنفسه المحبوب لذاته وهذا كمال المحبة لكن أكثر ما جاء المطلوب مسمى باسم العبادة كقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) وأمثال هذا والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فالمحسوب الذي لا يعظم ولا يبذل له لا يكون معبودا والمعظم الذي لا يعظم لا يكون معبوداً ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا

(١) السنن بفتح السين السيل والمنهاج وروى بعضها . والقذة جمعها قذذ ريش السهم أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبها وتقطع يضرب مثلاً للشيثيين يستويان ولا يتفاوتان . والجحر بضم الجيم كل شيء يحفره الهوام والسباع لانفسها . والضب هودوبة . وتخصيص جحر الضب بالذكر لعدة ضيقه وردائه ومع ذلك فانهم لا يقتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوه على ذلك وانظر ما بلغ هذا التشبيه والتشليل . وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم فتجد أكثر المسلمين المنهمكين في شهوات فروعهم وبطونهم لا يتلذذون الا اذا قللوا الاجنبى في كل فعل قبيح وعمل مضر . وقوله فمن هو بفتح الفاء والميم وسكون النون استفهام على وجه الانكار أي ليس المراد غيرهم والله أعلم

أشد حبا لله ) منهم ومن آباءهم لان المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم وان المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب ومعلوم ان ذلك أفضل . قال الله تعالى ( ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ) الآية . واسم المحبة فيه اطلاق وعموم فان المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين وان كان ذلك من محبة الله وان كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره فلماذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والانابة اليه والتقبل له ونحو ذلك فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى ثم انه كما بين ان محبة أصل الدين فقد بين ان كمال الدين بكاملها ونقصه بنقصها فان النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » فاخبر ان الجهاد ذروة سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه . وقد قال تعالى ( أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ) الى قوله ( أجر عظيم ) والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة . وقد ثبت انه أفضل ما تطوع به العبد . والجهاد لازم المحبة الكاملة . قال تعالى ( قل ان كان اباؤكم وأبناءؤكم واخوانكم ) أزواجكم وعشيرتكم ) الآية . وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين ( يا أيها الذين آمنوا من يرئد مثكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ) فان المحبة مستلزمة للجهاد ولان المحب يحب

ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويؤلى من يؤلى محبوبه ويعادى من يعاديه ويرضى لرضاه ويبغض لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويبغض لغضبه اذ هم انما يرضون لرضاه ويبغضون لما يبغض له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال « لعلك أغضبتهم لان كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم يا اخوتي هل أغضبتكم قالوا لا يغفر الله لك يا أبا بكر » وكان قد مر بهم أبو سفيان ابن حرب فقالوا ما أخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبو بكر أنقولون هذا لسيد قریش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم لان أولئك انما قالوا ذلك غضبا لله لكالم ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعادة لاعدائه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه « لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألتني لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيننه وما تردت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن بكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه » فيبين انه يتردد لان التردد تعارض ارادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكره وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وانا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد ان يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين انه لا بد من وقوع ذلك وهذا اتحاد في المحبوب والمرضى بالمأمور به والمبغض بالمسكروه المنتهى عنه

وقد يقال انه اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد النوعين فان ذلك ممتنع  
والقاتل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنسك كالحلاجية  
ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شئ بعينه . وأما الاتحاد المطلق الذي  
هو قول أهل وحدة الوجود والذين يزعمون ان وجود المخلوق هو  
عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحوده وهو جامع لكل  
شرك فكما ان الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون  
بالحلول المقيد في بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شئ  
وهم الجهمية الذين يقولون ان ذات الله في كل مكان . وقد  
يقع لبعض المعطلين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه عن نفسه  
وحبه ويغيب بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته وبوجوده عن  
وجوده حتى لا يشهد الا بمحبوبه فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله  
وسكره انه هو محبوبه كما قيل ان محبوبا وقع في اليم فالتى الحب نفسه  
خلفه فقال أنا وقعت فانت ما الذي أوقعك فقال غبت بك عني فظننت  
انك أنا فلا ريب ان هذا خطأ وضلال لكن ان كان هذا لقوة المحبة  
والذكر من غير أن يحصل عن سبب محذور زال به عقله كان معذورا  
في زواله فلا يكون مؤاخذا بما يصدر منه من الكلام في هذه الحال  
التي زال فيها عقله بغير سبب محذور كما قيل في عقلاء المجانية انهم قوم  
آتاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم وأسقط ما  
فرض بما سلب وأما اذا كان السبب الذي به زوال العقل محظورا لم يكن  
السكران معذورا وان كان لا يحكم بكفره في أصح القولين كما لا يقع  
طلاقه في أصح القولين وأن كان الزرع في (١) مشهور قد بسطنا

الكلام في هذا وفيمن يسلم له حاله ومن لا يسلم في قاعدة ذلك وبكل حال فالقضاء الذي يفضى بصاحبه الى مثل هذا حال ناقص وان كان صاحبه غير مكلف ولهذا لم يرد مثل هذا على الصحابة الذين هم أفضل الأمة ولا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان كان لهؤلاء في صقع موسى نوع تعلق وانما حدث زوال العقل عند الواردات الالهية على بعض التابعين ومن بعدهم وان كانت المحبة تامة موافقة لمحبة المحبوب في محبوه ومكروهه في هذه الأمة وولايته وعداوته فمن المعلوم ان من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن ينقض اعداءه ولا بد ان يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) والمحبة التامة لا يؤثر فيه لوم اللائم وعند العاقل بل ذلك يعرفه بملازمة المحبة كما قدأكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم اهل الملام المحمود وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد اعدائه فان الملام على ذلك كثير واما الملام على فعل ما يكرهه الله أو ترك ما أحبه فهو لوم يحق بحق وليس من ذلك المحمود الصبر على هذا الملام بل الرجوع الى الحق خير من التهادي في الباطل وبهذا يحصل الفرق بين الملامة على ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك وبين الملامية الذين يفعلون ما ينقضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك ❦

## فصل

واذا كانت المحبة اصل كل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزم المحبة ويرجع اليها فان الراجي الطامع انما يطمع فيما يحبه لا فيما ينقضه



والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب. قال تعالى ( أولئك الذين يدعون  
 يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه )  
 الآية. وقال ( ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله  
 أولئك يرجون رحمة الله ) ورحمته اسم جامع لسكل خير . وعذابه اسم  
 لسكل شر . ودلار الرحمة الخالصة هي الجنة ودار العذاب الخالص هي النار  
 وأما الدنيا فدار استدراج فالرجاء وان تعلق بدخول الجنة فالجنة اسم  
 جامع لكل نعيم وأعلاه النظر الى وجه الله كما في صحيح مسلم عن عبد  
 الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا  
 دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد  
 ان ينجزكموه فيقولون ما هو ألم تبيض وجوهنا ألم تنقل موازيننا وتدخلنا  
 الجنة وتجنينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فمأعطاهم  
 شيئاً أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ومن هنا يتبين زوال الاشتباه  
 في قول من قال ما عبدتك شوقا الى جنتك ولا خوفا من نارك وانما عبدتك  
 شوقا الى رؤيتك فان هذا القائل ظن هو ومن تابعه ان الجنة لا يدخل  
 في مساهها الا الأكل والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه  
 التمتع بالمخلوقات كما يوافق على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية أو  
 من يقر بها ويزعم انه لا يتمتع في نفس رؤية الله كما يقوله طائفة من المتفقهة  
 فهو لاه متفقون على ان مسمي الجنة والآخرة لا يدخل فيه الا التمتع  
 بالمخلوقات ولهذا قال بعض من غلط من المشائخ لما سمع قوله (منكم من يريد  
 الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) قال فأين من يريد الله وقال آخر (ان الله اشترى  
 من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ) قال اذا كانت النفوس والاموال

١ - الاسراء ٥٧

٢ - البقرة ٢١٨

٣ - آل عمران ١٥٢

٤ - التوبة ١١١

بالجنة فاین الناظر ون اليه وكل هذا لظنهم ان الجنة لا يدخل فيها النظر والتحقيق ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم وأعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة كما أخبرت به النصوص وكذلك أهل النار وانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار مع أن هذا قائل القول اذا كان عارفاً يقول فأنما قصده انك لو لم تخلق ناراً او تخلق جنة لكان يجب ان تعبد ويجب التقرب اليك كما قال عمر رضى الله عنه نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه أى هو لم يعصه ولو لم يخفه فان اجلاله واكرامه لله يمنع من معصيته. والراجى الخائف اذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتعم بتجليه فمعلوم ان هذا من أنواع محبته له فالمحبة هي اوجبت محبته بالتجلى والخوف من الاحتجاب . وان تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب بمخلوق والتعم به فهذا انما يطلب ذلك بعبادة الله محبته لله وحدها أحلى من كل محبة ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء كما في الحديث ان أهل الجنة يلهمون التسييح كما تلهمون وهو بين غاية نفهم بذكر الله ومحبته. فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء له يسوقه الى محبة الله التي هي الاصل وهذا كله يبنى على اصل المحبة فيقال قد نطق الكتاب والسنة بمحبة العباد المؤمنين كما في قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقوله (يحبهم ويحبونه) وقوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره ان يرجع في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في

النار، بل محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت بمحبة الله كما في قوله (أحب إليكم من الله ورسوله) وكما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال «والله يا رسول الله لانت أحب الى من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال والله لانت أحب الى من نفسي»، وكذلك محبة صحابته وقرابته كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار» وقال «لا يفيض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر» وقال على رضى الله عنه «انه لعهد النبي الامى الى ان لا يحبني الا مؤمن ولا يبغيضني الا منافق»، وفي السنن انه قال للعباس «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبونكم لله ولقرابتي» يعنى بنى هاشم وقدروى حديث عن ابن عباس مرفوعا انه قال «احبوا الله لما ينفذكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا اهل بيتي لاجلي»<sup>(١)</sup>

وأما محبة الرب لعبده فقال تعالى (وأتخذ الله إبراهيم خليلاً) وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) وقال (وأحسنوا ان الله يحب المحسنين) (وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) (فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين) (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (بلى من أوفى بعهده وأتقى فان الله يحب المتقين) وأما محبة الأعمال التي يحبها الله

الواجبات والمستحبات الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة وكذلك جهم لله وهم المؤمنون أولياء الله المتقون وهذه المحبة كما نطق بها الكتاب والسنة والذي عليه سلف الامة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين وأئمة التصوف أن الله محبوب لذاته محبة حقيقة بل هي اكل محبة قلها كما قال تعالى ( والذين آمنوا أشد حبا لله ) وكذلك هو سبحانه يحب ما يحب عباده المؤمنون وما هو في الله محبة حقيقة. وأنكر الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين زعماء منهم أن المحبة لا تكون الا مناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة بين القديم والحديث توجب محبته وقاسوا به المحبة وكان أول من أحدث هذا في الاسلام الجعد بن درهم في أوائل المائة الثالثة فضحى بمخالد بن عبد الله القشيري أمير العراق والمشرق بواسطة خطب الناس يوم الاضحى فقال أيها الناس ضحوا بقبل الله ضحاياي فاني مضح بالجعد بن درهم أنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه فكانه قد أخذ هذا المذهب عن الجعد بن صفوان فأظهره عليه واليه أضيف قول الجهمية فقتله مسلم بن أحوز أمير خراسان بها ثم قل ذلك الى المعتزلة عمرو بن عبيد وأظهر قولهم في زمن الخليفة للملقب بالمأمون حتى أمتحن أئمة الاسلام ودعوا الى الموافقة لهم على ذلك . وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة ومبتدعة أهل الكتاب الذين يزعمون أن الرب ليس له ثبوتية أصلا وهؤلاء هم أعداء ابراهيم الخليل عليه السلام وهم يعبدون الكواكب وينون المياكل في المعقول والنجوم وغيرهما وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون ابراهيم خليلا وموسى كليما وأن الحلة ( م ٧ الصفحة )

هى كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل .

قد تخللت مسلك الروح منى \* وبذا سمي الخليل خليلاً  
ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح عن أبى سعيد عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا  
بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» يعني نفسه . وفي رواية «انى أبدأ  
الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت  
أبا بكر خليلاً» وفي رواية «ان الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ ابراهيم  
خليلاً» فبين صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين  
خليلاً وأنه لو يكون ذلك لكان أحق الناس بها أبا بكر الصديق رضى الله  
عنه مع أنه صلى الله عليه وسلم قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً كما قال  
لمعاذ «انى لأحبك» وكذلك قول الملائصار وكان زيد بن حارثة حبر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ابنه أسامة حبه وأمثال ذلك \* وقال عمرو  
ابن العاص «أى الناس أحب اليك قال عائشة قال فمن الرجال  
قال أبوها» . وقال لفاطمة رضى الله عنها «ألا تحبين ما احب قالت بلى قال  
فاحبى عائشة» وقال للحسن «اللهم انى أحب فأحبه وأحب من يحبه . وأمثال  
هذا كثير فوصف نفسه بمحبة الاشخاص وقال «انى ابدأ الى كل خليل  
من خلته ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»  
فعلم أن الحلة أخص من مطلق المحبة بحيث هى من كمالها وتخللها المحب  
يكون المحبوب بها محبوباً لذاته لا لشيء آخر والمحبوب لشيء غيره هو  
موجب في المحبة عن ذلك الغير<sup>(١)</sup> ومن كمالها لا تقبل الشرية المتزاحمة

(١) هكذا الاصل ولم يكن لدينا غير هذه النسخة وهي سقيمة جداً فتنبه

لتغللها الحب ففيها كمال التوحيد وكمال الحب • ومن الحلة أيضا تنافي المزاحمة  
وتقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبا لذاته لا بزاوجه فيها غيره وهذه  
عجة لا تصلح الا لله فلا يجوز ان يشركه غيره فيما يستحقه وهو  
محبوب لذاته وكل ما يحب غيره اذا كان محبوبا بحق فاعما يحب  
لاجله وكل ما أحب لغيره فمحبتة باطلة في الدنيا ملعونة ملعون  
ما فيها الا ما كان لله تعالى . فاذا كانت الحلة كذلك فمن المعلوم ان من  
انكر ان يكون الله محبوبا لذاته ينكر محالته . وكذلك ايضا ان انكر محبته  
لاحد من عباده فقد انكر ان يتخذة خليلا بحيث يحب الرب العبد على  
المثل ما يصلح للعبادة . وكذلك تكليمه لموسى انكروه لانكارهم ان يكون به  
صفة من الصفات او فعل من الافعال فكما ينكرون ان يتصف بحياة او  
قدرة او علم او ان يستوى أو أن يحيي فكذلك ينكرون ان يتكلم او يكلم  
فهذا حقيقة قولهم (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم)  
لكن لما كان الاسلام ظاهرا والقرآن متلوا لا يمكن جحد من اظهر الاسلام  
أخذوا يلحدون في اسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا عجة  
العباد له بمجرد محبتهم لطاعته والتقرب اليه وهذا جهل عظيم فان التقرب  
اليه تابع لمحبتة وفرع عليه فمن لا يحب الشيء لا يمكن ان يحب التقرب اليه  
اذ التقرب وسيلة وعجة الوسيلة تبع لمحبة المقصود فيمتنع ان تكون الوسيلة  
الى المحبوب دون الشيء المقصود بالوسيلة . وكذلك العبادة والطاعة اذا  
قيل في المطاع المعبود ان هذا يحب طاعته وعبادته فان محبته ذلك تبع  
لمحبته والا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته ومن كان لا يعمل لغيره الا  
لمرض يناله منه او لدفع عقوبة فانه يكون معاوضاله او مفقديا منه

ولا يكون محباً له . ولا يقال ان هذا يحبه . وتفسير ذلك محبته طاعته وعبادته  
 فان محبة المقصود ان استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة المقصود عن (١)  
 محبة الوسيلة فان ذلك يقتضى ان يعبر بلفظين محبة العوض والسلامة  
 عن محبة العمل أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض الا ترى  
 ان من استأجر اجيراً بعوض لا يقال ان الاجير يحبه بمجرد ذلك بل قد  
 يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يفضه وكذلك من اقتدى نفسه  
 بعمل من عذاب معذب لا يقال انه يحبه بل يكون مبغضاً له فلم أن ما  
 وصف الله به من عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع ان يكون معناه  
 بمجرد محبة العمل الذى ينالون به بنى الأغراض المحبوبة من غير ان يكون  
 ربهم محبوباً لا يحب اصلاً . وأيضاً فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل  
 كما تقدم ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات . احدها  
 العلاقة فهو تعلق القلب بالمحبوب . ثم الصباية وهو انصباب القلب اليه . ثم  
 الغرام وهو الحب اللازم . ثم العشق وآخر المراتب هو التيم وهو التبعيد  
 للمحبوب والتيميم للمعبود وتيم الله عبد الله فان الحب يبقى ذا كرا  
 معبداً مذلاً للمحبة وايضاً فلم الانابة اليه يقتضى المحبة ايضاً  
 وما أشبه ذلك من الاسماء كما تقدم وايضاً فلو كان الذى قالوه  
 حقاً لكان ذلك مجازاً لما فيه من الحذف والاضمار والمجاز لا يطلق الا  
 بقرينة تبين المراد ومعلوم ان في كتاب الله وسنة رسوله ما ينهى  
 أن يكون الله محبوباً وان لا يكون محبوباً الا بالأعمال في الدلالة المتصلة ولا  
 المنفصلة ولا في العقل ايضاً من علامات المجاز صحة اطلاق نفسه فيجب ان

يصح اطلاق القول بان الله لا يحب ولا يحب كي اطلق امامهم الجمع بن درهم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما وان هذا امتنع باجماع المسلمين فلم دلالة الاجماع على ان هذا ليس اجماعا بل هي حقيقة وايضا قد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله) كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) فلو كان المراد بمحبته ليس محبة الاصل لكان هذا تكريرا ومن باب الخاص على العام وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير اليه الا بدلالة التبيين المراد. وكما ان محبته لا يجوز ان تفسر بمحبة رسوله فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل وان كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له وايضا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه امر لا يعرف في اللغة حقيقة ولا مجاز احمّل الكلام عليه تحريف محض. وقد قررنا في موضع من القواعد الكبار انه لا يجوز ان يكون غير الله محبوبا مراداً لذاته كما لا يجوز ان يكون غير الله موجودا بذاته بل لا رب الا الله ولا اله غيره والاله هو المعبود الذي يستحق ان يحب لذاته ويهظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فانه سبحانه فطر القلوب على ان ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن اليه الا الله وحده وان كل ما أحبه المحبوب فمطعوم وملبوس ومنظور وملبوس يحب من نفسه وان قلبه يطلب سواء ويحب أمراً غيره يتأله ويصمد اليه ويرى ما يشبهه من هذه الاجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال «اني خلقت عبادي خففاء فاجتالهم الشياطين وحرمت



عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، وإيضاً فكل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق لكل الكمال وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لان يحب على الحقيقة والكمال وانكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة انكار ان يكون الها معبوداً كما ان انكار محبته لعبد يستلزم انكار مشيئته وهو يستلزم انكار كونه رباً خالقاً فصار انكارها مستلزم ما لانكار كونه رب العالمين ولكونه اله العالمين وهذا قول اهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأئمة قبلنا على ما عندهم من أمور وأحكام موسى وعيسى ان أعظم الوصية التي أتناها بموسى أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وهو حقيقة الخيفية التي هي ملة ابراهيم التي هي أصل في التوراة والانجيل والقرآن وانكار ذلك هو مأخوذ من مقال الصابئين أعداء ابراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذ عن هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا قال الخليل امام الخفاء (أفرأيت ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الا قدّمون فلهم عدو لي الا رب العالمين) وقال أيضاً (لا أحب الآفلين) وقال تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من آتى الله بقلب سليم) وهو السليم من الشرك. وأما قولهم انه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له وينمعه بالنظر اليه فهذا

١ - الشعراء ٧٥ - ٧٧

٢ - الأنعام ٧٦

٣ - الشعراء ٨٨ - ٨٩

الكلام مجمل فان أرادوا بالمناسبة أنه ليس بوالد فهذا حق وان أرادوا أن ليس بينهما من المناسبة ما بين الناح والمنكوح والآكل والمأكول ونحو ذلك فهذا أيضا حق وان أرادوا أنه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محبا عابداً والآخر معبوداً محبباً فهذا هو رأس المسألة والاحتجاج به مصادرة على المطلوب ويكفى في ذلك المنع. ثم يقال بل لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة الا المناسبة التي بين المخلوق والمخلق الذي لا اله غيره الذي هو في السماء اله وفي الأرض اله وله المثل الأعلى في السموات والأرض. وحقيقة قول هؤلاء أنهم جحدوا كون الله معبوداً في الحقيقة ولهذا وافق على هذه المسألة طوائف من الصوفية المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبا في الحقيقة فأقروا بكونه محبوباً ومنعوا كونه محبا لأنهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة فأخذوا عن الصوفية مذهبهم في المحبة فأما محبة الرب عبده فهم لما أشد إنكاراً. ومنكروها قسماً. قسم بتأولونها بنفس المعقولات التي يحبها العبد فيجعلون محبته نفس خلقه وقسم بجعلونها نفس ارادته لتلك المعقولات وقد بسطنا الكلام في ذلك في قواعد الصفات والقدر فليس هذا موضعها. ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة وانفاق الامة على أن الله يجب ويرضي ما أمر بفعله من واجب ومستحب وان لم يكن ذلك موجوداً على أنه قد يريد وجود أمور يغيضها من الاعيان والافعال كالفسق والكفر وقد قال الله تعالى (والله لا يحب الفساد) وقال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والمقصود هنا انما هو في ذكر محبة الله ﷻ وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الايمان ولم يتبين بين

أحد من سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان نزع في ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن يحركه به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الايماني والسماع الفرقاني، قال تعالى (و كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) الى آخر السورة ثم انه لما طال الأمد صار في طوائف المتكلمة من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة. وصار في بعض المتصوفة من ينكر ان يطلب تحريكها بأنواع من سماع الحديث كالتغيير (١) وسماع المكام والتصدية فيسمعون من الاقوال والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب بحيث يصلح لمحب الأوتار والعلماء والاخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لمحبة الرحمان ولكن كان الذين يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والامكان والحلان وربما اشترطوا له الشيخ يحرس به من الشيطان ثم توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا في ذلك الى نوع من المعاصي بل الى نوع من الفسوق بل خرج فيه طوائف الى الكفر الصريح بحيث يتواجدون على انواع من الاشعار التي فيها الكفر والاحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد وينتج ذلك اهم من الاحوال بحسبه كما ينتج لعباد المشركين وأهل الكتاب عباداتهم بحسبها والذي عليه محققوا المشائخ انه كما قال الجنيد رحمه الله فمن تكلف السماع فتن به ومن صادفه استراح به ومنع ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث ولا يؤمر به ولا يتخذ دينا

(١) ذكر الحافظ ابو الفرج ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس ان المغيرة قوم ينيرون ذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغييرا. وقال كان الشافعي يكره التغيير اه وفي تركيب الكلام هنا من الخفاء ما يتنبه له

وقربة وأن القرب والعبادات إنما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكما أنه لأحرام إلا ما حرمه الله لأدين إلا ما شرعه الله . قال الله تعالى ( أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ) ولهذا قال ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ) فجعل محبتهم لله موجبة لمتابعة رسوله وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الله لهم قال أبي ابن كعب رضى الله عنه عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتت خطاياهم كما يتحات الورق اليابس عن الشجرة وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من مخافة الله إلا لم تمسسه النار أبدا وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهد في غير سبيل وسنة فأحرصوا إن تكون أعمالكم اقتصادا واجتهادا على منهاج الأنبياء وسنتهم وهذا مبسوط في غير هذا الموضع فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود والمحبوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه ومن المعلوم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرني الذي بعثت فيه ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم» لافي الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا في مصر ولا في خراسان أحد من أهل الخير والدين يجمع على السماع المبتدع لصالح القلوب ولهذا كرهه الإمام أحمد وغيره وعده الشافعي من أحداث الزنادقة حين قال خلفت ببغداد شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغيير بصدون به الناس عن القرآن وأماما لا يقصده الإنسان من الاستماع لا يترتب عليه نهى ولا ذم باتفاق الأئمة ولهذا إنما

١ - الشورى ٢١

٢ - آل عمران ٣١

يترتب الذم والمدح على الاستماع لا على السماع فالمستمع للقرآن يثاب عليه والسماع له من غير قصد لا يثاب على ذلك اذا الاعمال بالنيات. وكذلك ما ينهى عن استماعه من الملاحى لوسمعه السماع بدون قصد لم يضره ذلك فلو استمع السماع يتنا يناسب بعض حاله تحرك ساكه المحمود وازعج قاطنه المحبوب او بمثل ذلك ونحو ذلك لم يكن ذلك مما ينهى عنه وان كان المحمود الحسن حركة قلبه التى يحبها الله ورسوله الى التى تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه كالذى اجتاز بيت فسمع قائلاً يقول \* كل يوم تملون \* غير هذا بك أجل \* فاخذ منه اشارة تناسب حاله فان الاشارة من باب القياس والاعتبار وضرب الامثال ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان المقاصد المطلوبة للمريدين تحصل بالسماع الايمانى القرانى النبوى النبى الشرعى الذى هو سماع النبيين وسماع العالمين وسماع العارفين وسماع المؤمنين . قال الله تعالى ( أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ) الى قوله ( اذا تبلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ) وقال تعالى ( ان الذين آمنوا والذين اهلوا من قبله اذا تبلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ) الى قوله ( ويزيدهم خشوعاً ) وقال تعالى ( واذا سمعوا ما نزل الى الرسول نرى اعيينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ) وقال تعالى ( اما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تبلى عليهم آياته زدهم ايماناً ) الآية وقال تعالى ( الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ) الآية وكما مدح المقبلين على هذا السماع فتد ذم المعرضين عنه في مثل قوله ( ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً ) الى قوله ( واذا

١ - مريم ٥٨

٢ - مريم ٥٨

٣ - الاسراء ١٠٧

٤ - الاسراء ١٠٩

٥ - المائدة ٨٣

٦ - الأنفال ٢

٧ - الزمر ٢٣

٨ - لقمان ٦

تلى عليه آياتنا ولي مستكبرا (كأن لم يسمعها) الآية. وقال تعالى (والذين إذا  
ذكروا بآيات ربهم لم ينخروا عليها صا وعميانا) وقال تعالى (ولو علم الله فيهم  
خيرا لأسمعهم) الآية. وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن  
والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم  
حمر مستنفرة فرت من قسورة) ومثل هذا كثير في القرآن وهذا سماع  
سلف الأمة واكابر مشائخها وأئمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من  
المشايخ كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وإبي سليمان الداراني  
ومعروف الكرخي ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وأمثال هؤلاء.  
وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى الأشعري يا أبا موسى ذكرنا ربنا  
فيقرأوهم بسمعون ويبكون. وكان أصحاب محمد إذا اجتمعوا امرؤا واحدا  
منهم أن يقرأ القرآن والباقي يستمعون. وقد ثبت في الصحيح «أن النبي صلى  
الله عليه وسلم مر بابي موسى الأشعري وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته  
وقال لقد أوتيت هذا زمرا من مزامير داود فقال مررت بك البارحة  
وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت أنك تسمع لجئرتك  
تجثوا أي لحسنه لك تحسينا وقال «زينوا القرآن بأصواتكم» وقال «الله أشد  
أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» أذنا  
أي استماعا كقولهم (وأذنت لربها وحقت) أي استمعت وقال صلى الله عليه  
وسلم «ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به»  
وقال «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» ولهذا السماع من المواجيد العظيمة  
والأذواق الكريمة ومزبد المعارف والأحوال الجسيمة ما لا يسه خطابه  
ولا يحويه كتاب كما أن في تدبر القرآن وتدبر بيانه تفهمه من مزيد العلم

١ - لقمان ٧

٢ - الفرقان ٧٣

٣ - الأنفال ٢٣

٤ - فصلت ٢٦

٥ - الدثر ٤٩ - ٥٠

٦ - الانشقاق ٢

والإيمان مالا يحيط به بيان. وما ينبغي التفتن له ان الله سبحانه قال في كتابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال طائفة من السلف ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية. فيس سبحانه ان محبته توجب اتباع الرسول وان اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد وهذه محبة امتحن الله بها اهل دعوى محبة الله فان هذا الباب يكثرفيه الدعاوى والاشتباه ولهذا يروى عن ذى النون المصرى انهم تكلموا في مسألة المحبة عنده فقال استواعن هذه المحبة لانسمعها النفوس فتدعيها. وقال بعضهم من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجي ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. وذلك لان مجرد دعواه تنبسط النفوس فيه حتى يتسع في اهوائها اذا لم يدعها وادعى الخشية لله حتى قالت النصارى (نحن ابناء الله واحباؤه) ويوجد في مدعى المحبة من مخالفة الشريعة مالا يوجد في اهل الخشية ولهذا قرن الخشية بها في قوله (هذاماتو عدون لكل اواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فاتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته باطنا وظاهرا هي توجب محبة الله كما ان الجهاد في سبيله وموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه هو حقيقتها كما في الحديث «أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله» وفي الحديث «من احب الله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل المحبة» وكثير من يدعى المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن

١ - آل عمران ٣١

٢ - للمائدة ١٨

٣ - ق ٢٢ - ٢٤

الأمر بالمعروف وعن النهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ويدعى مع ذلك كمال طريق المحبة من غيره لزمه ان طريق المحبة لله ليس فيه غيرة ولا غضب لله وهذا خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة ولهذا في الحديث المأثور «يقول الله تعالى يوم القيمة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي» فقلوه أين المتحابون بجلال الله تنبيه على ما في قلوبهم من اجلال الله وتعظيمه والتحاب فيه وبذلك يكونون حافظين لحدوده دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الايمان في قلوبهم وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث «حققت محبتي للمتحابين في وحققت محبتي للمتجالسين في وحققت محبتي للمتزاورين في وحققت محبتي للمتبادلين في» والاحاديث في المتحابين لله كثيرة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله شاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجلان تحابا في الله واجتمعا وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات نسب وجمال فقال اني اخاف الله رب العالمين» وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان أحدهما وهو الذي يقال له محبة العامة لاجل احسانه الى عباده وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها احد فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها وبغض من اساء اليها والله سبحانه هو المنعم الحسن على عبده بالحقيقة فانه المتفضل بجميع النعم وان جرت بواسطة اذ هو ميسر الوسائل ومسبب الأسباب لكن هذه المحبة اذا لم تجذب القلب الى محبة الله نفسه فما احب العبد في الحقيقة



الانفسه وهذا ليس بمنموم بل محمود. وهذه المحبة هي المشار اليه بقوله «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا أهلي بحبي» والمقتصر على هذه المحبة هو لم يعرف من جهة الله ان يحبه الا الاحسان اليه وهذا كما قالوا ان الحمد لله على نوعين . حمد هو شكر وذلك لا يكون الا على نعمه . وحمد هو ثناء عليه وهو مما يستحقه لنفسه سبحانه فكذلك الحب فان الأصل الثاني هو محبته لما هو أهل هذا حب من عرف من الله ما يستحق ان يحب لاجله وما من وجه من الوجوه التي يعرف بها مما دلت اسماؤه وصفاته الا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتي جميع مفعولاته اذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ولهذا استحق ان يكون محمودا على كل حال وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر الى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون وهم السابقون كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال «مر النبي صلى الله عليه وسلم بجبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا يا رسول الله من المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » وفي رواية أخرى قال (المستهمون بذكر الله يضع الذكر عنهم أنقالهم فيأتون يوم القيامة وهم خفافا » وفي حديث هارون بن عسرة عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « قال موسى يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال أي عبادك أعلم قال الذي يطلب علم الناس الى علمه ليجد ظمة تدل على هدى أو ترده عن ردى قال أي عبادك أحكم

قال الذي يحكم على نفسه كالذي يحكم على غيره ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه ، فذكر في هذا الحب والعلم والعدل وذلك جماع الخير ومما ينبغي التفتن له أنه لا يجوز أن يظن في باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة غيره مما هو من جنس التجنى والهجر والقطيعة لغير سبب ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتي يتمثلون في حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب أو يبعد من يتقرب اليه وان غلط في ذلك من غلط من المتمثلين في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم اقامة الحجة على الله بل لله الحجة البالغة . وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » وفي بعض الآثار يقول الله تعالى « أهل ذكرى أهل مجالسة وأهل شكري أهل زيارتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لأبسه من رحمتي وان تابوا فانا حبيهم لان الله يحب التوابين وان لم يتوبوا فانا طيبهم ابتليهم بالمصائب حتي اطهرهم من الماعائب وقد قال تعالى ( ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ) قيل الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسنات نفسه . وقال تعالى ( وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضى الله عنه قال « يقول الله تعالى يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم

يا عبادى عبادى كلكم جئتم الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا  
عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادى انكم  
تذنبون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب ولا ابالى فاستغفروني اغفر لكم  
يا عبادى انتم لم تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادى لو  
ان اولكم و آخركم وانسكم و جنكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في  
ملكي شيئا يا عبادى لو ان اولكم و آخركم وانسكم و جنكم كانوا على افسح قلب  
رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادى انما هي اعمالكم احصيا لكم  
ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من الا  
نفسه وما رواه البخارى عن شداد بن اوس « قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا  
انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من  
شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب  
الا انت من قالها اذا اصبح موقنا بها فمات في يومه دخل الجنة ومن قالها  
اذا امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد دائما بين نعمته من  
الله يحتاج فيها الى شكر وذنوب منه يحتاج فيه الى الاستغفار وكل من  
هذين من الامور اللازمة للعبد دائما فانه لا يزال يتقلب في نعم من الله  
وآلائه ولا يزال محتاجا الى التوبة والاستغفار ولهذا كان سيد ولد آدم  
وامام المتقين يستغفر في جميع الاحوال . وقال صلى الله عليه وسلم في  
الحديث الصحيح الذي رواه البخارى « ايها الناس توبوا الى ربكم فاني  
أتوب الى الله في اليوم مائة مرة » وقال عبد الله بن عمر « كنا نعد لرسول  
الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد يقول رب اغفر لي وتب علي انك

أنت التواب الرحيم مائة مرة، وقال « انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اثنين وسعين مرة، وفي صحيح مسلم » انه قال انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة، ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال. قال تعالى ( والمستغفرين بالأسحار ) وفي الصحيح « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » وقال تعالى ( فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ) الى قوله ( واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ) وقد أمر الله نبيه بعد ان بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده وأنى بما أمر الله به مما لم يصل اليه عمره فقال ( اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيح بحمد ربك واستغفروه انه كان توابا ) ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال الله تعالى ( الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الاتعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتنع منا حسناً ) الآية. وقال تعالى ( فاستقيموا اليه واستغفروه ) وقال تعالى ( فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ) ولهذا جاء في الحديث « يقول الشيطان اهلكك الناس بالذنوب وأهلكوكى بلا اله الا الله والاستغفار » وقال يونس ( لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ) وكان النبي صلى الله عليه وسلم « اذا ركب دابته بحمد الله ثم يكبر ثلاثاً ويقول لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى » وكفارة المجلس التى كان يختم بها المجلس والوضوء « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك » والله أعلم وصلى الله على محمد وسلم .

- ١ - آل عمران ١٧
- ٢ - البقرة ١٩٨
- ٣ - البقرة ١٩٩
- ٤ - النصر ١ - ٣
- ٥ - هود ١ - ٣
- ٦ - فصلت ٦
- ٧ - محمد ١٩

قد نهت غير مرة أصحاب المطابع على خطئهم الناشئ من عدم  
الاعتناء والمبالاة في صنعهم فلذلك لا يخلو كتاب أو رسالة من وقوع  
خطأ فيه .

| صفحة سطر | خطأ | صواب     | صفحة سطر | خطأ | صواب              |
|----------|-----|----------|----------|-----|-------------------|
| ٥        | ٩   | وزادهم   | ٣٣       | ١١  | فأت               |
| ٨        | ١٥  | صادقت    | ٤٧       | ٤   | هذا قائل القول    |
| ٩        | ٩   | وأولو    | ٤٨       | ١٧  | يجب               |
| ٩        | ١٤  | بين وبين | ٥٧       | ٧   | السييل            |
| ١٢       | ٢١  | العبادة  | ٥٨       | ١٥  | وزيدهم            |
| ١٤       | ٧   | المباحاة | ٥٩       | ١٤  | لجرتك تجيراً      |
| ٢١       | ٣   | مطاعة    | ٦٠       | ٢٠  | في                |
| ٢٤       | ٣   | واذا     | ٦٣       | ١٤  | وان تابوا         |
| ٢٥       | ٢٠  | الناس قد |          |     | الناس ان الناس قد |

